# الهلال

الجزء الرابع من السنة السابعة عشرة

١ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٩ و ٨ ذي الحجة سنة ١٣٢٦


## اشهر الحوادث واعظم الرجال

# مدحت باشا

ابو الاحرار

ولد سنة ١٨٢٢ وتوفي سنة ١٨٨٣

ان ترجمة مدحت باشا عبارة عن تاريخ الانقلاب العثماني لانهُ رحمه الله رافق اهم الحوادث السياسية في زمن السلاطين عبد المجيد وعبد العزيز وعبد الحميد وكان لهُ دخل في اكثرها ولا سيما المطالبة بالدستور ووضع القانون الاساسي وخلع السلطان عبد العزيز . ولذلك سموه ابا الاحرار او ابا الدستور فرأينا ان ننشر ترجمة حاله نقلاً عن اوثق المصادر ومنها الترجمة التي وضعها ابنه علي حيدر مدحت بك بعد اعلان الدستور بالامس وما عرفناه بنفسنا . فنقسم الترجمة الى قسمين الاول سيرته الى آخر زمن السلطان عبد العزيز والثاني سيرته في زمن السلطان عبد الحميد الحالي . ونذيل الكلام بوصف الرجل واخلاقه كما يظهر من سيرة حياته والاسباب التي دعت الى فشله في مشروعه

# ١ - سيرته الى آخر زمن عبد العزيز

## ١ — نشأته الاولى

ولد مدحت في الاستانة سنة ١٨٢٢ ووالده الحاج علي افندي اصلهُ من روستشوك . نشأ مدحت في حجر ابيه ولم يتلق من العلم في صباه الا المبادىء الأولية وكان ينتقل مع ابيه ويقيم حيثما اقام حتى استقر في الاستانة سنة ١٨٣٦ وشب هناك وفيه ذكاء وهمة . واهل الهمم والمطامع في ذلك العهد كانت تتوجه رغائبهم الى خدمة الحكومة فألحق مدحت اولاً بسكرتارية الصدارة العظمى في الاستانة وتنقل منها إلى مناصب مختلفة في الولايات فاقام في دمشق سنتين ثم عاد الى الاستانة سنة ١٨٤٤ وبرحها الى قونية سكرتيرًا لمجلس تألف تحت رئاسة سامي بكير باشا . وارتقى سنة ١٨٤٩ الى سكرتير ثاني لمجلس الولاية وفي سنة ١٨٥١ صار سكرتيرًا اول له

واتفق ان قبرصلي محمد باشا قائد جند الشام اساء التصرف في بعض الشؤون المتعلقة بالاموال غير الاميرية في دمشق وحلب فاقتضت الحال انتداب من يتحرى الاسباب و يحكم بما يتراءى له فانتدبوا مدحت فسافر و بعد ستة اشهر عاد وقد نظم مسألة الجمارك هناك وردَّ الى خزينة الدولة ١٥٠٠٠٠ ليرة عثمانية . واثبت اشتراك القائد المشار اليه في الاضطرابات التي حصلت واشار بعزله . واظهر مدحت في قضاء هذه المهمة ذكاء واقتدارًا استلفتا انتباه الصدر الاعظم رشيد باشا فولاه منصبًا هامًا في المجلس العالي فبقي في ذلك المنصب اثناء صدارة رشيد باشا وعالي باشا ورفعت باشا . وفي هذا المنصب عرف دخائل الامور واطلع على المخابرات المهمة التي دارت بين رفعت باشا وهو وزير الخارجية والبرنس منتشكوف مندوب قيصر الروس قبل حرب القرم

وفي سنة ١٨٥٤ افضت الصدارة الى قبرصلي محمد باشا الذي كان مدحت قد اشار بعزله عن الشام فاراد الانتقام لنفسه من ذلك الشاب الجريء فعهد اليه حل اعقد المسائل السياسية وادقها يومئذ وهي مسألة البلقان . وكانت ثائرة وقد تكاثرت فيها العصابات المتمردة فوكل اليه تسكين الثورة وتنقية البلاد من العصابات . فذهب في هذه المهمة ونجح فيها نجاحًا باهرًا . ولما عاد من سفرته كان رشيد باشا قد رجع الى الصدارة ودارت المداولة بينه وبين عالي باشا بشأن منح الولايات العثمانية استقلالاً اداريًا ( decentralisation ) واخذ في وضع القوانين اللازمة لذلك . فقدم مدحت تقريره عن مهمته فاعجب الصدر

الاعظم باقتداره فعقد له على اهم ولايات الطونة ( بلغاريا ) على ان يجرب فيها الاستقلال الاداري فحدث تغيير فجائي في الوزارة حال دون كل اصلاح

وتعين بعد مدة قصيرة مندوباً خصوصياً لتفتيش ولايتي ايدين وسيلسترية لانهما كانتا قد تمردتا على الدولة فقضى تلك المهمة كما قضى مهمة سوريا من قبل واطلع بذلك على مواضع الضعف في نظام الولايات ورأى الخلل السائد فشكى الولاة فسعوا لدى الباب العالي في تبرئة انفسهم فامر السلطان عبد المجيد يومئذ باعادة النظر. وخاف العقلاء ان يتغلب الباطل فرفع خير الدين افندي احد العلماء المشهورين في الاستانة تقريراً ايد به اقوال مدحت

وتوفي رشيد باشا سنة ١٨٥٨ وخلفه عالي باشا فاعطى مدحت اجازة ستة اشهر يقضيها سائحاً في أوربا يتفقد احوال دولها ويدرس نظام بعض الادارات الاوربية . فسافر وهو في السادسة والثلاثين من عمره فزار باريس ولندن وفينا وبروكسل . وامتاز بين رجال الدولة من ذلك الحين بمهارته الخصوصية في تدبير شؤون الولايات فلا تحدث ثورة او اضطراب او خلل في ولاية ويحتاجون الى من يصلحها الا انتدبوه لذلك

فانتدب مرة أخرى لتدبير شؤون بلغاريا وكان اهلها المسيحيون قد خافوا على حياتهم واموالهم فاخذوا يهجرونها بعائلاتهم واموالهم والجند لا يستطيع منعهم . فعهد بذلك الى مدحت ومنح رتبة الوزارة (١٨٦١) فسافر وفي عزمه ان يصلح الامور بالمسالمة . فلما وصل الى بلغاريا بعث الى اعيان البلاد وجمعهم في مؤتمر عرضوا فيه شكواهم فطلب اليهم ان يشتركوا معه في اصلاح الحالة . وكانت شكاياتهم ترجع الى امرين رئيسيين : الاول خلو البلاد من وسائل النقل والمخابرات التي تساعد الاهالي ولاسيما المزارعين على نقل حاصلاتهم وتصريفها . والثاني شيوع اللصوصية والعصابات المتمردة حتى اصبح الناس لا يأمنون على ارواحهم ولا اموالهم . ولهذين السببين فضل البلغاريون المهاجرة الى بلاد الصرب لانها اقرب الى الامن

فرأى مدحت انهم محقون في شكواهم فاخذ يبحث مع اولئك الاعيان في سبل الاصلاح واشار عليهم ان يستخدموا نفوذهم اولاً في ايقاف الناس عن المهاجرة وعاهدهم على اصلاحات وافقوه عليها . وقد برَّ بوعده فاعاد الجند الى معسكراتهم واخذ في تنظيم الطريق الاعظم بين نيش وصوفيا وفروعه الكثيرة . وبذل جهده في مطاردة العصابات وانشأ الجسور وغيرها وبالجملة لم يغادر أمنية يحلم بها البلغاريون الا حققها لهم . واقام نقطاً عسكرية على الحدود تمنع تعدي الصربيين . فلما تمت هذه الاصلاحات عادت العائلات البلغارية

من مهاجرها الى مواطنها . وادخلت اصلاحات كثيرة اثرت في اخلاق القوم وعاداتهم . وألف فرقة الجندرمة ونظم تحصيل الضرائب ومنع الاضطهادات الدينية وانشأ المدارس والمستشفيات للبلغاريين بلا تمييز بين اديانهم او طبقاتهم . فاستتب الامن وتعاقد القوم على السعي في مصلحة بلادهم

٢ ــ تنظيم اعمال البلقان

ان ما ادخله مدحت باشا من الاصلاح في بلغاريا وفي ايدين وسيلسترية وقع وقعاً حسناً لدى الباب العالي في صدارة فؤاد وعالي خليفتي رشيد باشا . فاستقدماه الى الاستانة سنة ١٨٦٤ للمداولة في نظام جديد يضعونه للولايات وقوانين يجري عليها الولاة . فاعدوا ذلك النظام وقرروا ان يعهد الى مدحت تنفيذه في ولايات سيلسترية وايدين ونيش على ان تتحد كلها باسم ولاية الطونة ( ١٨٦٥ ) رغم مقاومة حزب التقهقر بايعاز سروري افندي — ولهذا الرجل شأن في الحكم على مدحت سيأتي ذكره

وخلاصة النظام المشار اليه قسمة الولاية الى سبعة سناجق وقسم السنجق الى اقضية والقضاء الى نواحي وفي كل ولاية مجالس خصوصية لوضع الاموال الاميرية وجمعها وتولى مدحت هذه الولاية على هذا الطرز . والغى السخرة ومهد ٢,٠٠٠ كيلو متر من الطرق وبنى ١,٤٠٠ جسر وانشأ سفناً تجري في الطونة ( الدانوب ) عليها العلم العثماني وابطل اللصوصية ونظم جندرمة وانشأ مصارف وطنية لتسليف فقراء المزارعين

وقاعدة هذا النظام اشتراك الاهالي في تدبير شؤون بلدهم مع الحكومة في تقدير الاملاك وتعيين خراجها فلا يحصل فيها حيف . فباتت تلك الولاية بسعادة استلفتت انظار اهل الاستانة الى مدحت فجاءته التهاني من المابين والباب العالي . وصدرت الاوامر الى سائر الولاة في المملكة العثمانية ان يجعلوا نظامات ولاياتهم مثل نظام مدحت في ولاية الطونة فتوسم الناس مستقبلاً مجيداً لهذه الدولة

وانتبه مدحت ايضاً الى امر ذي بال كان سبباً في اكثر متاعب الدولة في البلقان وذلك ان بعض البلغاريين كانوا يرسلون ابناءهم للتخرج في جامعات اودسا او خركوف او كيف وكلها في بلاد الروس فكانوا يتشربون حب الجنس السلافي ويعودون لبث تلك الروح في الاهالي فيثيرون التعصب الجنسي او الديني فيعود ذلك بالقلاقل والمتاعب على الدولة . فارتأى مدحت ان يتلافى ذلك بانشاء المدارس العالية في الولاية نفسها بحيث يغني

الناس عن ارسال ابنائهم الى الخارج فضلاً عن تآلف الشبان على اختلاف مذاهبهم اذا شبوا في مدرسة واحدة وتربوا تربية واحدة • ورفع بذلك لائحة للباب العالي وقسم النفقات اللازمة لهذا العمل الى نصفين النصف يؤخذ من فضلات الخراج في الولاية والنصف الآخر يكتتب به الاهالي

فلما وصلت هذه اللائحة الى الاستانة علم بها اغناتيف سفير روسيا في الاستانة فقاومها بكل قوته لانها تخالف الترتيب الذي رتبه الروس لتحويل قلوب البلغاريين عن دولتهم • وبذل جهده في ايغار صدر السلطان عبد العزيز على مدحت فاوهمه ان الخطة التي يتخذها في الولايات تنافي سيادة الخليفة المطلقة وتؤول الى تشتت شمل المملكة العثمانية باستقلال كل ولاية بشؤونها • فلم يصغ السلطان لوشايته في بادىء الرأي لكنه وفق الى غاملة وقعت في لائحة نشرها مدحت في الجريدة الرسمية يطلب فيها تعيين اعضاء مجلس الاهالي المشتركين مع الحكومة في تدبير شؤون الولاية فسماهم « نواب » ولم يغفل اغناتيف عن تنبيه ذهن السلطان الى ذلك فاقتنع بسوء عاقبة تلك البدع وابى المصادقة على طلب مدحت تجنباً للنفقة ولم يذكر السبب الحقيقي

فذهبت اعمال مدحت في سبيل الاصلاح ادراج الرياح وابد اصحاب اغناتيف غرضه باستنهاض بعض العصابات في البلقان للتعديات ونحوها • فما احس مدحت الا وقد ظهرت عصابات فتكت بالمسلمين وقتلت اطفالاً من الرعاة فنهض المسلمون لمثل هذا العمل في المسيحيين فركب مدحت بنفسه وقبض على بعض المتمردين من النصارى فوجد باستنطاقهم انهم رسل من جمعية السلاف في بوخارست وفي كشنو فحكم المجلس على الرؤساء بالاعدام وعلى الآخرين باحكام اخرى فانقضت الثورة وعادت السكينة • على ان جرائد اوربا شددت النكير على تصرف القضاء العثماني في هذا السبيل وعدوا احكامه بربرية ونسبوها الى مدحت فبرأ نفسه • لكنهم لم يعدموا وسيلة اخرى لنكايته وذلك انه سمع برسل سرية قادمة من غلاتز الى بلغراد لدس الدسائس واعداد مشاكل جديدة فقبض عليهم على ظهر باخرة نمساوية عند روستشوك وبعث صورهم الى قنصل النمسا وطلب اليه ان يأذن بفحص تذاكرهم واخذت الضابطة العثمانية في تفتيشهم ومعها مندوب من القنصلاتو النمسوية فاطلق أحد الرسل مسدساً على الضابطة في قاعة السفينة فاجابهم العثمانيون والتحم الفريقان وانجلت الواقعة اخيراً عن القبض على اولئك الدساسين وقد جرحوا اجراحاً بليغة فكان لهذه الحادثة دوي في اوربا واتخذ اغناتيف ذلك ذريعة لطلب اقالة مدحت

فلم يفلح فاخذوا يسعون في قتله سراً فاطلق عليه احدهم في روسنشوك رصاصة اخطأته . وحاول سربي قتله ففشل ولما قبض عليه وسئل عن سبب عمله قال ان اثنين من كبار السرب اغروه على ذلك فحوكم الرجل وعوقب

وبعد هذه الحوادث بقليل (١٨٦٨) استدعي مدحت الى الاستانة ليتولى رئاسة مجلس انشأوه حديثاً فاتاها ولكن وقع اختلاف في الرأي بينه وبين عالي باشا الصدر الاعظم في بعض الشؤون فاعتزل مدحت باشا الرئاسة على ان يتولى ولاية بغداد سنة ١٨٦٩

٣ — اصلاحاته في ولاية بغداد

شخص مدحت الى بغداد فوجد فيها من المشاكل غيرما في ولاية الطونة اعني مسألة التجنيد . وكانت من المشاكل الصعبة لان القبائل العربية التابعة لولاية بغداد لم تكن ترضخ لحكم التجنيد . وكانت يومئذ قد تمردت على الدولة حتى عجزت عن اخضاعها لتفرق الكلمة بين والي بغداد ومشير جندها . ولم يكن اخضاعها ممكناً الا اذا كانت القوتان العسكرية والادارية في يد واحدة فاخذ مدحت على نفسه الجمع بين القوتين وعزم على اخضاع الثائرين بالقوة ولم يمكنهُ ذلك الا الحزم والشدة فاذعن الثائرون صاغرين بسرعة ادهشت الباب العالي فسماه مشير الفيلق السادس ووالي بغداد

وكان الولاة قبله يقاسون في تحصيل الضرائب من اولئك العرب عذاباً شديداً فتحدى الشدة في تحصيلها بقوة الجند وقد افلح . ولكنهُ اعمل فكرته في حال اولئك البدو فوجد اذلالهم بالقوة يفضي الى تجديد التمرد فرأى ان يتخذ في اخضاعهم طرقاً أخرى فعمل على تغيير نظام ملكية الارضين فيهم . وذلك ان الفلاح العربي كان يدفع للحكومة اجرة الارض التي يستثمرها وثلاثة ارباع غلتها وفي ذلك حيف عليه فقسم مدحت الارض الى قطع عرضها للبيع بشروط سهلة فلم تمض مدة يسيرة حتى ذاق ثمر ذلك العمل اذ تكاثر دخل الحكومة وقل تمرد العربان وزادت غلة الارض فزادت حركة الاعمال الأخرى . وكان من نتائج ذلك تسيير السفن في دجلة والفرات وتسهيل المواصلات بين المدن القائمة على ضفافها

وكانت ادارة السفن هناك بيد شركة انكليزية تشتغل بين بغداد والبصرة فالف مدحت شركة عثمانية ورمم السفن القديمة واوصى على سواها واختزن لها الفحم في مسقط وعدن وبندر عباس وبوشهر . وكانت هذه السفن اول سفن عثمانية عبرت قنال السويس الى

الاستانة . فرأى مدحت نجاح ذلك العمل فوسعه واوصل تلك البواخر شمالاً الى آخر ما يستطاع من شواطئ النهرين فعمر كثير من البقاع واتسعت الارض المزروعة . وعزم على ردم البقاع التي كان قد أغرقها الفيضان فعلقت الآمال ان يعود العراق الى خصبه في الدولة العباسية

وانشأ مدحت خط ترامواي بين بغداد والكاظمية طوله سبعة كيلومترات وابتنى معملاً للنسج تام الادوات وانشأ المدارس في كل قضاء وشاد المستشفيات والملاجئ . فتكاثرت البيوت المالية كالمصارف ونحوها . وانشأ مطبعة تطبع فيها جريدة الزوراء الرسمية وشكل مجالس بلدية في امهات المدن . واكتشفوا في اثناء ولايته منجماً للبترول فسهل الانتفاع به . فتقدم العراق على يده تقدماً مدهشاً . وقدم شاه الفرس سنة ١٨٧٠ لزيارة النجف وكربلاء مزار الشيعة فاغتنم مدحت تلك الزيارة وقرر اشياء كانت محل نظر بين الدولتين وفي جملتها تعديات الاكراد على ما يمرون به في طريقهم الى تركيا . فاتفقت الدولتان على انشاء نقط عسكرية عند الحدود على نحو ما فعل عند حدود الصرب من قبل . وبلغه ان في بعض مزارات الشيعة بنجد كثيراً من الجواهر والتحف اجتمعت هناك من هدايا الهنود والفرس ولا فائدة من اختزانها فاشار مدحت باستخراجها وبيعها وهي تساوي نحو ٣٠٠٠٠٠و١ ليرة عثمانية على ان تصرف في انشاء خط حديدي بين حدود ايران وبغداد او باقامة المستشفيات والمدارس وغيرها فأبى علماء الشيعة عليه ذلك فاغفل المشروع

وجملة القول لم يدخر مدحت وسيلة لاحياء العراق اقتصادياً وادارياً وادبياً فضلاً عن تحسين العلائق مع الامم المجاورة . من ذلك انه حمل مشائخ الكويت على الاعتراف برعاية الدولة العثمانية بعد ان امتنع ذلك على سلفه نامق باشا . والكويت تبعد عدة اميال من البصرة على شاطئ نجد . وهي فرضة تجارية تحكمها اسرة الصباح واصلهم من نجد لا يداخل في شؤونهم احد وهم يتعاطون التجارة البحرية مع شواطئ الهند وفارس وافريقيا واحتكروا مغاوص اللؤلؤ في البحرين . وكانوا ينصبون على سفنهم علماً خاصاً بهم وربما نصبوا علماً هولندياً او انكليزياً لغرض من الاغراض . فما زال مدحت يخابرهم بالحسنى حتى قبلوا برفع العلم العثماني على شرط الاستقلال بادارتهم وسائر شؤونهم الداخلية فاصبحت الكويت من ذلك الحين سنجقاً من سناجق ولاية بغداد . وفعل نحو ذلك بنجد وغيرها والبحرين مما يطول بنا بسطه . وفي كل عمل منه دليل على علو همة

مدحت باشا ورغبته في تأييد الدولة العثمانية

فزادت واردات العراق وتعددت السفن العثمانية التي تمخر في تلك البحار ولم يكن للدولة هناك قبل فتح قنال السويس الا دارعتان قد افسدهما الاهمال فاصلحهما في بماي واضاف اليهما سبعاً أخر وعشراً لسلك الانهر ووسع مرفأ البصرة . فاعترفت له الدولة بالفضل بكتاب جاءه من الصدر الاعظم عالي باشا مؤرخاً سنة ١٨٧١ يثني فيه على همته لتسهيل طريق الحرمين وارسل اليه السلطان سيفاً مرصعاً وقد نقش عليه كلمة « مجد »

واتفق في اثناء ذلك ان الاستانة تبدلت احوالها بموت رجليها فؤاد وعالي وبينهما ثلاثة اشهر وكانا زعيمي الاصلاح يتصران مدحت في مطاليبه واقتراحاته فاتفقت وفاتهما على اثر عودة السلطان عبد العزيز من سياحته في اوربا . ولم تكسبه تلك السياحة شيئاً من رغبة ملوك اوربا في الاحكام الدستورية والرجوع الى الشورى . لكنها اكسبته التصريح بما كان يخالج ذهنه من كره المشيرين من الوزراء وعاد الى تكليف الماثلين بين يديه بما كان يكلفهم به اجداده القدماء . وتوسع من الجهة الاخرى في النفقات الباهظة على الدولة وعلى نفسه فامر بابتناء الدوارع وانشاء القصور الرخامية على شاطئ البوسفور وهو لا يقدّر للنفقات عاقبة ووافقه على ذلك الصدر الاعظم نديم باشا تملقاً له والتماساً للنفوذ عنده . ففسدت الاحوال وتبدلت النيات وامتد ذلك طبعاً الى الولايات . ولما قلت الاموال في خزائن الاستانة بعثوا يطلبونها من الولايات ويلحون في طلبها ولو ظلموا الاهالي في تحصيل الاموال مضاعفة . فآل ذلك طبعاً الى ايقاف المشروعات النافعة فيها فضاق مدحت ذرعاً عن احتمال ذلك فاستقال من ولاية بغداد ورحل الى الاستانة

وعلى حال وصوله اليها ان الارادة صدرت بتعيينه والياً على ادرنة فعدّ ذلك نفياً لا ولاية فطلب مواجهة السلطان فاذن له وانطلق لسانه في تلك المقابلة فافاض بما يكنه ضميره من الانتقاد على الحكومة وبين ضعف الدولة والخطر المحدق بها . فاثرت اقواله في السلطان حتى عزل الصدر الاعظم نديم باشا وولى مدحت مكانه سنة ١٨٧٣ فوجد حوله اعواناً نشيطين اهل نزاهة منهم رشدي باشا الشرواني وجميل باشا وصادق باشا فشرع قبل كل شيء بتنظيم المالية وهو عمل شاق لاختلال الحسابات وسوء ادارتها وكثرة التلاعب فيها

فاخذ في تحقيق كل حادثة ومن جملة ذلك مبلغ ١٠٠,٠٠٠ جنيه خرجت من الخزينة ولم يعرف مصيرها ثم ثبت انها دخلت على الصدر السابق نديم باشا . فطولب بها رسمياً بين يدي المجلس فادعى انه انما اخذها ليدفعها الى القصر السلطاني . ثم سعى نديم

بمساعدة والدة سلطانة واصدقائها في المابين حتى افسدوا نية السلطان على مدحت فامر بنفيه الى ادرنة ومنها الى طرابزون وعاد نديم الى نفوذه . فانقسم رجال الدولة بذلك الى حزبين احدهما مدحت ومريدوه الاحرار وفيهم جماعة كبيرة من العلماء وكل الشبيبة العاقلة في الاستانة والولايات . والحزب الآخر نديم ووالدة سلطانة ورجال المابين . ومن اكبر انصار هذا الحزب اغناتيف سفير روسيا بالاستانة وكان له نفوذ في المابين . ومما حمل السلطان بنفي مدحت ايضاً تصديه لنقد اعمال جرت على يد سلفه وفيها خسارة على الخزينة ومن جملتها امتياز سكة حديدية اعطي البارون هرش افسد مدحت العقد به

٤ — خلع عبد العزيز

غاب مدحت عن الاستانة بضعة اشهر قضاها في سلانيك ثم عاد الى الاستانة وتولى فيها وزارة العدلية ورئاسة مجلس الشورى لكنه اضطر الى الاستقالة لانه رأى الوزارة سائرة على طريق يؤدي الى خراب الدولة . وقد بين ذلك بكتاب بعث به الى سكرتير السلطان (الباشكاتب) في شوال سنة ١٢٩١ (سنة ١٨٧٤) واعتزل الاعمال ولجأ الى منزل له بجوار الاستانة اقام فيها يترصد تبدل الاحوال فلم يرها تزداد الاّ فساداً وخللاً وكثر تبديل الصدور فلا يقيم الصدر منهم الا بضعة اشهر . وممن تناوبوا الصدارة في ذلك العهد محمد رشدي باشا وشرواني رشدي باشا واسعد باشا ولم يستطيعوا اصلاحاً . ولم يرض بالحالة كما هي الا محمود نديم باشا فتولى الصدارة والمالية في ضيق لا مثيل له . ومع ان الدولة لم تكن دخلت في الدين الاهلي الا منذ عشرين سنة فقد هددها الافلاس وشعر بذلك الخطر اصدقاء الدولة من الدول الاخرى وصرحوا به على منابرهم واشار بعضهم بالمداخلة في شؤونها فخاف عقلاء الامة عاقبة هذا التصريح

وحدث في صدارة اسعد باشا مناوشة على حدود الجبل الاسود آلت بالاهمال الى فتنة او ثورة عامة . وكان اسعد باشا حسن النية لكنه ضعيف الرأي فساء التصرف واظهر الضعف لدى الدول فزادت الثورة سعيراً وتوسطت روسيا والنمسا فاقيل اسعد وخلفه نديم باشا سنة ١٨٧٥ ولم يستطع هذا اخماد الثورة . فما زالت تنتشر حتى بلغت حدود البلغار واحسّ البرنس ميلان صاحب السرب بضعف الدولة فطلب ان تحوّل امارته الى مملكة واخذ يهيئ معدات الحرب عند الحاجة وفعل نحو ذلك المرسك . وفي اوائل السنة التالية تضاعف الخطب بثورة البلغار وكان الجنرال اغناتيف لا يترك فرصة في اثناء ذلك لم يغتنمها لتمشية اغراضه . فتفاقم الخطب وساد الاضطراب في المملكة العثمانية واصبح العقلاء

ينظرون الى هذه الحالة نظرة اليأس . فدخل ربيع سنة ١٨٧٦ وبلغاريا والجبل الاسود والهرسك تتقد بنيران الثورة والصرب قد تهيأت لحرب بقيادة ضباط من الافرنج . وهمت رومانيا بان تقتدي بها . والصدر الاعظم يصغي الى دسائس اغنانيف فينقلها الى السلطان وهذا لا هم له الا الانغماس في ملذاته . والدول الاوربية من الجهة الاخرى فتحت المسألة الشرقية وطلبت الاجتماع للنظر فيها واخذت المذكرات والمنكرات تتساقط على المابين كتساقط المطر . ولم تكن تلك الاحتجاجات الخارجية اقل خطرًا على الدولة من الاضطرابات الداخلية

ففي هذه الظلمات المدلهمة انبثق نور ضعيف من منزل مدحت باشا مجتمع عقلاء الاحرار . وكان مدحت في اثناء تلك الاضطرابات يفكر في وسيلة لانقاذ الدولة وقد لقي سفير انكلترا واسر اليه رأيه في جعل الحكومة العثمانية دستورية لانها اذا ظلت سائرة على هذه الخطة ذهبت الى الدمار لا محالة . واظهر امله ان انكلترا تأخذ بيده في تأييد هذا الطلب وأنه انما يقتدي بها في هذا النظام لانها أم الدول الدستورية . فاجابه السفير جوابًا مبهمًا لكنه شجعه على عادة رجال السياسة في مثل هذه الحال . وعقب هذه الحادثة تجمهر العلماء ( الصفتاء ) وتصديهم للبرنس يوسف عز الدين بن السلطان في طريقه الى نظارة الحربية وتقدموا اليه ابلاغ والده ان الشعب يطلب عزل محمود نديم الصدر الاعظم وحسن فهمي افندي شيخ الاسلام . فاجاب السلطان هذا الطلب فعزلهما وولى محمد رشدي باشا الصدارة وحسن خير الله افندي المشيخة . وكان رشدي شيخًا طاعنًا في السن واكثر مدحت من التردد اليه ففهم القوم ان هذه الصدارة سيديرها مدحت فاستبشروا ولكن فرحهم لم يطل لان السلطان عين في فروع الادارة اناسًا من الطاقم القديم والناس لا يزدادون بذلك الا طلبًا للدستور على لسان العلماء . واذاعوا على رؤوس الملأ ان تعاليم القرآن تأمر بالشورى ومن خالفها لا تجب طاعته . فاصبح مركز السلطان في خطر وما زالوا حتى خلعوه

٥ ـ كيف خلعوه

والعامل الرئيسي في خلعه حسين عوني باشا وزير الحربية وكان جنديًا شجاعًا هامًا حازمًا شديد الغيرة على دولته مع حدة في مزاجه ومضاء في عزيمته . وكان قد تولى ارقى المناصب العسكرية ثم نفاه السلطان عبد العزيز من الاستانة — وكان يكره محمود نديم ويخافه ولم يكن يدرك حقيقة الحكومة الدستورية كما ادركها صديقه مدحت لكنه كان كثير

الاعتماد على آرائه . وتبادل الوزراء الافكار فاقروا على خلع السلطان ولكي يكون خلعه شرعيا استفتوا شيخ الاسلام حسن خير الله افندي فافتاهم بالخلع وهذه صورة الفتوى :

« اذا كان زيد الذي هو امير المؤمنين مختل الشعور وليس له المام في الامور السياسية وما برح ينفق الاموال الميرية في مصارفه النفسانية في درجة لا طاقة للملك والملة على تحملها وقد اخل بالامور الدينية والدنيوية وشوشها وخرب الملك والملة وكان بقاؤه مضراً بها فهل يصح خلعه ؟ الجواب يصح كتبه الفقير حسن خير الله »

فلما حصل الوزراء على هذه الفتوى اسرعوا في تنفيذ قرارهم وقام بتدبير ذلك عوني ورشدي ومدحت . واختلف مدحت وعوني في اسلوب الخلع فكان مدحت يرى ان تصادق الامة على الخلع اولاً . وأما عوني فكان يرى ان الخلع يجب ان يكون حالاً على عادة العسكرية في سائر احكامها . فاشار مدحت ان يجتمع العلماء واعيان اسطانبول في مسجد نور عثمانية يبدون اسف الامة ويطلبون ابدال النظام الحالي . فوافقه على هذا الرأي اكثر الوزراء و عينوا التنفيذ القرار يوم ٣١ مايو وكادوا يعملون به . لكن طرأ امر اوجب الرجوع الى رأي عوني — وذلك ان امرأة من نساء يلدز اتت مدحت في ٣٠ من الشهر المذكور واخبرته ان مؤامرتهم كادت تنكشف للسلطان . فخاف مدحت العاقبة لذا لم يبادر الى العمل . وتحقق قول المرأة لان السلطان دعا عوني باشا اليه مرتين في ذلك النهار مع انه ادعى المرض فلم يقبل السلطان عذره . فاقر الوزراء على المبادرة في تلك الليلة الى خلعه ففي منتصف ليل ذلك اليوم خرج رشيد ومدحت وبين يدي كل منهما خادم يحمل فانوساً والليلة ممطرة حتى اتيا سركجي فركبا قارباً الى باشا لباني حيث يقيم عوني باشا على البوسفور . وكان عوني في انتظارهما على احر من الجمر فتفاوضوا وافترقوا وذهب عوني نحو سراي طولمه بغجه وسار رشدي ومدحت الى السر عسكرية . وكانوا قد قرروا ان يجتمع كبار الموظفين الملكيين والعسكريين في ساحة السر عسكرية ينتظرون مجيء السلطان مراد . وكان عوني مكلفاً باستقدامه . وانهم عند وصوله يبايعونه وينادون باسمه سلطاناً وان يشعلوا ناراً على برج السر عسكرية يعلم منها اهل الاسطول في البحر بتنصيب السلطان الجديد فتطلق الدارعة ( احمد باشا ) المدافع ايذاناً بذلك .

فمشى عوني الى السراي حيث التقى بسليمان باشا اخد مشيري الجند وكانا قد

تواعدا ليتداولوا على تدبير امر الخلع • وكان سليمان من اقرب اعوان عوني وانجد انصار مدحت • وكانت الجنود المقيمة في طاش قشله وغيرها قد تلقت الاوامر من رديف باشا قومندان فيلق الاستانة ان تكون على الاهبة لمنع اي اقتراب من جهة البر وكان الاسطول بقيادة ناظر البحرية نفسه قيصرلي احمد باشا وقد اعطي الاوامر بقطع الطريق عن القصر من جهة البحر • • فانتخب سليمان نخبة من رجاله الذين يثق بامانتهم وبسالتهم تحت قيادة الضباط احمد بك وبدري بك ورفعت بك • وبعد ان رتب هذا الترتيب توجه الى قصر البرنس مراد • وكان مراد عالمًا بما اعدوه وعزموا عليه لكنه لم يعلم بتقديم الميعاد المضروب فلما جاء سليمان في تلك الليلة وطلب اليه ان يخرج معه الى عوني وانه ينتظره بباب القصر ليرافقه الى السر عسكرية حسب الموعد ظن في الامر دسيسة • على انه مالبث ان تحقق الواقع فاطاعهما وسار معهما في طريق السر عسكرية

أما سليمان فتقدمهما لاتمام المهمة الكبرى التي لابد منها قبل كل شيء وهي تبليغ السلطان عبد العزيز الخلع • فلما اتى القصر السلطاني ( طولمه بغجه ) اعترضه الخدم فاجابهم انه يطلب مقابلة السلطان لامر هام فاخذوه اليه • فبلغه سليمان ماجاء من اجله وقرأ عليه الفتوى بخلعه فغضب السلطان وانتهر سليمان ولكنه ما عتم أن سمع المدافع تطلق من الدارعة ( احمد باشا ) فتحقق وقوع القضاء وادرك حقيقة مركزه وسلم نفسه لسليمان فابلغه انه مكلف بنقله من سراي طولمه بغجه الى سراي طوب قبو ليقيم فيها

وعند ذلك نودي بالسلطان مراد سلطانًا فقر الوزارة كما هي واضاف الى حاشيته الخصوصية كمال بك وابا الضيا بك وكلاهما من كبار انصار الحرية والدستور • وبوجودهما في الحاشية يأمن الوزراء من الدسائس التي تعوَّد المفسدون نقلها الى السلطان

وطبيعيٌ ان الاحرار لم يدبروا هذا التدبير الا وقد اخذوا على السلطان مراد المواثيق ان يعلن الدستور الذي اعده مدحت ورفاقه • فكادت تحقق آمال الاحرار ولكن حال دون تلك الامنية عارضٌ أوقفها دهراً طويلاً • وذلك ان عوني باشا لحظ في السلطان مراد في الليلة نفسها التي رافقه فيها من قصره انه مضطرب واصابته نوبة عصبية • وبعد الاحتفال بمبايعته في اثناء رجوعه الى سراي طولمه بغجه زادت فيه الاعراض العصبية وكان معه مدحت باشا فرأى من الحكمة ان لا يفارقه فمكث معه ثلاثة ايام واستشار الاطباء فاشاروا بعلاج وحمية ولم يخبروا العلة فاتفق في اثناء ذلك حادثتان ازعجتا السلطان وزادتا علته وهما :

٦ – موت عبد العزيز

الاولى موت عبد العزيز : وذلك ان هذا السلطان اقام بعد خلعه خمسة ايام . وفي صباح ٥ يونيه طلب من خادمه الخصوصي فخري بك مقراضاً ليقلم اظافره ويصلح لحيته . فتردد حيناً في اجابة طلبه ثم عرض الامر على والدة سلطانة فامرت ان يعطى المقراض الذي يطلبه . واتفق بعد حين ان بعض نساء الحاشية اشرفن من احدى النوافذ على المكان الذي كان عبد العزيز فيه فرأينه جالساً على كرسي وظهره محوّل ورأسه مدلى الى الامام فاسرعن الى الباب فلم يستطعن فتحه وظنن سوءًا فابان والدته فامرت بخلع الباب فدخلوا فرأوا عبد العزيز ميتاً وقد نزف دمه من جرحين في ذراعيه ورأوا المقراض بجانبه الايسر كانه استخدمه بيمناه لقطع اوعية اليد اليسرى ثم اراد استخدامه باليسرى لقطع اوعية اليد اليمنى فلم تسعفه قواه ان يتم العمل جيداً

فاستقدموا الاطباء حالا فاثبتوا انه ميت وخاف الوزراء العاقبة فامروا بلجنة من الاطباء تتولى فحص الجثة فاجتمع ١٧ من اشهر اطباء الاستانة فاقروا بالاجماع ان الموت انما كان بالانتحار ولا يمكن ان يكون بسواه وكتبوا بذلك شهادة مؤرخة في ٤ يونيو سنة ١٨٧٦ ثم دفنت الجثة في مقام السلطان محمود بعد غسلها . فلما بلغ السلطان مراد خبر هذه الفاجعة اثرت على اعصابه تأثيراً كبيراً

٧ – واقعة حسن الشركسي

ثم وقعت حادثة حسن الشركسي فاتمت عليه — وكان حسن هذا من ياوران عبد العزيز واراد عوني ابعاده فامره بالسفر الى بغداد ليلحق بجندها فابى واخذ يشيع اتهام عوني بقتل السلطان كما اتهم بخلعه فامر عوني بالقبض عليه وسجنه . فارسل حسن بعد يومين يقول انهُ مستعد لاطاعة اوامره بالسفر الى بغداد لكنهُ يستأذنه في البقاء بضعة ايام بالاستانة ليتاهب للرحيل فاذن لهُ . ففي يوم ١٥ يونيو وهو اليوم المعين لسفره ذهب الى بيت عوني وطلب مقابلته بالحاح فقالوا انه سار الى منزل مدحت باشا للاجتماع بسائر الوزراء فذهب الى اسطانبول ونزل في مطعم تناول فيه بعض الخمر ثم تحول الى منزل مدحت في طوخان طاش فوصله نحو الساعة العاشرة وقد اجتمع الوزراء وهم عشرة ومعهم شريف مكة وقد هموا بافتتاح الجلسة

دخل حسن الدار كما يدخل صاحب المنزل الى منزله فسأله الحرس عما يريده فقال انهُ مسافر في الغد الى بغداد وعنده امور هامة يريد عرضها على السرعسكر عوني باشا قبل سفره

فاجابه الحارس ان ذلك لا يتأتى الا بعد انفضاض الجلسة . فوقف حسن ريثما غافل الحرس ووثب الى السلم وتسلقه ليدخل الى قاعة الجلسة فنمه خادم مدحت ونادى خادم عوني باشا ليشكي هذا الشركسي لرئيسه . فصعد الخادم لمقابلة عوني وتبعهُ حسن يتحقق مجلس كل من الوزراء ولم ينتظر الاذن . فدخل وسلم سلاماً عسكريًا ثم اشار الى عوني أن لا ينتقل من مكانه واطلق عليه المسدس فاصاب صدره فتناثر الوزراء فرارًا من القتل ولجأوا الى غرفة أخرى الا ناظر البحرية فانه حاول ان يقبض على ذراع حسن فافلت منهُ وجرحه جروحاً كثيرة في يديه ومنكبيه . وكان عوني لا يزال فيه رمق فنهض يطلب السلم فادركه حسن وطعنهُ طعنات عديدة وعاد الى القاعة وخاطب الصدر الاعظم وهو في الحجرة الاخرى قائلاً : « اني احتاج الى قيصرلي سلمه اليّ فلا أؤذيك بشيء » . فلم يجبه فلما يئس ولم يظهر لهُ احد جمع ابسطة القاعة وكراسيها وأوقد فيها النار فادركه رجل من رجال مدحت باشا اسمهُ احمد اغا وطعنهُ في قفاه طعنة عميقة فاطلق عليه حسن المسدس في عينه فاماته واطلق رصاصة ايضاً على ناظر الخارجية . ففي حسن في هذه المعركة نصف ساعة اجري فيها مذبحة وهو فرد وهم جماعة وعاش الى اليوم التالي واعترف انهُ انما جاء لينتقم من عوني باشا وانهُ يأسف لمقتل رشيد وزير الخارجية فحكموا عليه بالاعدام فمات قبل تنفيذ الحكم

٨ — خلع السلطان مراد وتولية عبد الحميد

فلما بلغت هذه الواقعة الى السلطان مراد زاد اضطراب عقله وبعد ان كان الاطباء يرجون قرب شفائه رأوه بعيدًا عنهُ فانقسم رجال الدولة بالنظر الى هذا الحال الى قسمين قسم يرى استبقاء السلطان مراد وانتظار شفائه وهم الصدر الاعظم محمد رشدي ومدحت واكثر زملائهم . والقسم الآخر اشاروا بخلعه وتولية من يخلفه وزعماء هذا الحزب داماد محمود جلال الدين باشا صهر السلطان ورديف باشا مشير فيلق الاستانة ومشيران آخران ممن يرغبون في الرجوع الى الحال القديم فقد كانوا اصحاب النفوذ فيه والدستور لا يوافق مطامعهم ولا هم يفهمون معنى الدولة والامة . وكان هذا الداماد مجردًا من العلم كثير الحب لذاته يكره الاصلاح لانهُ يرفع اناسًا كانوا دونهُ وانما رفعته عنهم المصاهرة . فهؤلاء وغيرهم سعوا جهدهم في خلع مراد لعلة المرض وقد ساعدهم الشرع على ذلك تداخل السفراء وألحوا في تسوية الحالة الحاضرة لانهم لا يأمنون على مصالح دولهم والدولة في هذا الاضطراب واشاروا بخلع مراد وتولية عبد الحميد . وسعى الداماد في اثارة خواطر اهل

الاستانة لتأييد هذا الطلب وان الحاكم اليوم على الامة ليس السلطان خليفة الرسول وانما هو مدحت باشا ورشدي باشا . فلم يبق بدٌّ من خلع مراد . ولكن مدحت ورفاقه رأوا ان يأخذوا المواثيق على السلطان الجديد قبل مبايعته فقرروا ان يذهب مدحت بنفسه الى موصلو اوغلو حيث يقيم البرنس عبد الحميد افندي ويستطلعهُ رأيه في الاصلاح الذي اخذوا في ادخاله من حيث الدستور وغيره حتى اذا خالفهم في ذلك عرضوه على اخيه رشاد افندي . وقد قام باستطلاع رأي رشاد في هذا الشأن امرأة مدحت بطريقة سرية

اما الشروط التي عرضوها على البرنس عبد الحميد اذا تولى السلطنة فهي :

(١) ان يعلن الدستور حالاً

(٢) ان لا يستشير في اعمال الدولة الاَّ مشيريه المسؤولين

(٣) ان يعين ضيا بك وكمال بك سكرتيرين خصوصيين للسلطان مع سعد الله بك رئيس السكرتيرية ( الباشكاتب )

فاجاب مطاليبهم بكل رضا ووعد باكثرمنها وان يوسع النظام الدستوري الى اكثر مما يطلبون . وقال انهُ يتخلى عن العرش حالما يشفى اخوه مراد من المرض . فعاد مدحت الى اسطانبول و بلغ الوزراء نتيجة زيارته فأقروا على خلع مراد وتولية عبد الحميد ولم يكن لهم بدٌّ من فتوى الخلع فاستصدروها من خير الله افندي شيخ الاسلام فخلعوا مراداً وولوا السلطان عبد الحميد الحالي في اول سبتمبر سنة ١٨٧٦

وسنأتي على تاريخ مدحت في عهد السلطان الحالي بالهلال القادم

# اهم المؤلفات العربية

## في نظر القراء

### اقتراح

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما أُلف في العربية من صدر الاسلام الى الآن أي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره أفيد سائر الكتب العربية وانفعها . ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر اسماء الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

# تاريخ الحكومة الدستورية

## في اوربا

كثر تحدث الناس بالدستور والحكومة الدستورية على اثر ما ناله العثمانيون من هذه النعمة بكيفية لم تسفك بها دماء ولا ضاعت بها حقوق وقد دخلت في دور جديد واصبحت من الدول الحية بعد ان يئس الناس من حياتها . فرأينا ان نأتي على فذلكة في تاريخ الحكومة الدستورية في اوربا اي كيف نالت دول اوربا الدستور للمقارنة بين احرارها واحرارنا وان كان للبادئ فضل يغتفر بجانبه النقص والكمال لله

### ١ — تاريخ الحكومة الدستورية في انكلترا

#### ١ ـ اصل البرلمان

انكلترا اقدم الحكومات الدستورية بلا نزاع ولذلك سموها « ام المجالس النيابة » فالانكليز اول من عقد مجلساً نيابياً في اوربا وسموه بارلمان Parliament وهو لفظ فرنساوي الاصل كانوا يطلقونه في زمن لويس السابع ملك فرنسا باواسط القرن الثاني عشر على مجتمعات رجال الدولة فاستعار الانكليز هذه اللفظة في اواخر القرن الثالث عشر واطلقوها على مجلس نواب الامة . واقدم ما نعلم من امر هذا المجلس انهُ بدأ في الظهور من اواسط القرن الثالث عشر في زمن هنري الثالث اذ تقرر ان ينتخب ١٢ نائباً لينوبوا عن العامة في المجالس النيابية التي تقرر يومئذ ان تلتئم سنوياً . ثم صار ذلك قاعدة واتسعت دائرة ذلك المجلس واختصاصاته بتوالي الاجيال حتى بلغ نحو ما هو عليه الآن في اوائل القرن الثامن عشر على عهد الملك جورج الاول فالثاني . ولم يكن له قانون مدون وانما هو يجري على احكام العادة والتقاليد والقوة فيه موزعة بين ثلاثة عوامل . اولها الملك بحق الارث والثاني مجلس اللوردات او الاعيان وهؤلاء كانوا يتولون مناصبهم بالارث . والثالث مجلس النواب او العموم وهو مؤلف من اعضاء ينتخبهم الاهلون

وكان عمل البرلمان قاصرًا يومئذ على سن القوانين وتقرير ميزانية الدولة وللملك الحق بانتخاب الوزراء والقيام بالسلطة التنفيذية ولم يكن مسؤولاً ولا يزال كذلك الى الآن . فاذا

اتى عملاً يخالف القانون كان الحق على مشيريه الذين لم يحسنوا المشورة لان وزراءه هم المسئولون دونه لدى البرلمان . فكان الملك يستوزر زعيم حزب الاغلبية في مجلس النواب ويفوض اليه اختيار زملائه وان يبقي متوليًا الحكم مادامت له الاغلبية في البارلمان وهكذا تكون السلطة برمتها للبارلمان وليس الملك واللوردات الا صورة

وقد تطرق التغيير الى هذا النظام على عهد جورج الثالث سنة ١٧٦٠ وخصوصًا في خلال الحرب مع فرنسا فانصرف الملك الى القيام بحقوقه وشرع يختار الوزراء على ما يريد ولو كانوا من غير اصحاب الاغلبية في المجلس وقد يفصلهم متى حازوا الاغلبية . وكان يحضر مجلس الوزراء ويجبرهم على الانصياع لما يريد . كان يستعين على ذلك بالاحزاب السياسية التي كانت تأخذ بناصره . وكان الانكليز يومئذ حزبين كبيرين احدهما الاحرار ويسمونهم Whigs والثاني المحافظون وكانوا يسمونهم Tory فاذا تغلب حزب المحافظين تغلب الملك لانهم اشياعه يسلمون له بادارة السياسة واذا تغلب الاحرار ضعف نفوذه

ظلت انكلترا منفردة بهذا النظام الى سقوط بونابرت سنة ١٨١٤ ورجوع ملوك اوربا الى عروشهم واستتباب السكينة بعد تلك العاصفة السياسية التي زعزعت اركان العالم المتمدن وشغلت جنوده وساسته دهرًا خاف الملوك في اثنائه على تيجانهم ورجال الدين على صوالجتهم وشغل كل منهم بنفسه . فلما انقضت تلك العاصفة بعد واقعة وترلو وهدأت الاحوال وعاد ملوك اوربا الى عروشهم اخذوا في اصلاح نظام حكوماتهم فاعجبهم نظام دولة الانكليز الدستوري فاقتبسوه كما سيجيء . ولكن للبرلمان الانكليزي تاريخًا جديدًا بعد ذلك التاريخ يحسن ايراده وهو

### ٢ — البرلمان الانكليزي بعد سنة ١٨١٥

لما حدثت الثورة الفرنساوية في اواخر القرن الثامن عشر وسفكت فيها الدماء وقتل الملك شر قتلة زعزعت اركان الكنيسة وضبطت اموال الاغنياء وقلب النظام والتاج والانكليز ينظرون الى ذلك و يرون هوله فاصبحوا يكرهون كل تغيير . فقضوا ثلاثين سنة لم يدخلوا تغييرًا على نظامهم فظلوا محافظين على شؤونهم الى سنة ١٨١٥ اذ استتب الصلح فاخذ الانكليز في الاصلاح الداخلي بما قام في نفوسهم من الاعتزاز بالتغلب على بونابرت بعد ان اقلق راحة اوربا . فاخذوا يفكرون في تجديد النظام البرلماني بحيث تزيد فيه سلطة مجلس النواب و يقل نفوذ الملك وكانت مطالب الاصلاح ترجع الى اربعة فصلها سينوبوس وهي : (١)

(١) في كتاب تاريخ التمدن الحديث تحت الطبع في مطبعة الهلال

اولاً — اصلاح قانون العقوبات الذي كان منه ما سنّ في القرن السادس عشر وفيه الشيء الكثير من الاحكام الصارمة المملوءة بالقسوة كالعقاب بالوسم والربط بالعامود والجلد وحكمه بالقتل عقاباً على نحو مئتين من الذنوب . وفي جملة ما هنالك ان من الجنايات الكبرى ان يسرق الانسان ما قيمته خمسة شلنات من احد الحوانيت وان يأخذ ارنباً من زريبته او ان يقطع شجرة — فنال الطالبون بعض الاصلاح المقصود سنة ١٨٢٠ .

ثانياً — اصلاح الطريقة الاقتصادية التي وضعها كرومويل وتمت خلال حروب الامبراطورية وبها يحظر على الاساكل الانكليزية قبول غير السفن الانكليزية وكانت الرسوم على البضائع الاجنبية فادحة وفي منتهى التشويش بحيث انتفى لاستيفاء ذكرها الف ومئتي مادة . ومنع ايضاً استيراد الحبوب الى انكلترا ما لم تبلغ الاثمان حدّاً مرتفعاً مع انه ليس في البلاد من القمح ما يكفيها . فتمّ اصلاحها بين سنة ١٨٢٣ وسنة ١٨٢٨

ثالثاً — اصلاح الشؤون الدينية لان الاديان كانت تحت طائلة الاضطهاد المسنون في القرن السابع عشر اذ كان الكاثوليك يحرمون من الوظائف ولا ينال احدهم حق التوظف نائباً في البرلمان لانهُ كان يطلب من كل من يتقلد منصباً التصريح بما يخالف شيئاً من معتقد الكاثوليك . فتقرر اعتاق الكاثوليك سنة ١٨٢٩

رابعاً — الاصلاح في الانتخاب وهذا لم ينالوهُ الا بعد مرور زمن طويل . فظلوا على النهج القديم الموضوع منذ القرن الرابع عشر . كان النواب ينتخب بعضهم من جمعيات المقاطعات ( الكونتيات ) المؤلفة من الملاكين في كل المقاطعات وينتخب بعضهم من سكان بعض المدائن الممتازة . الا انهُ لم يتغير شيء منهُ منذ العصور الوسطى لا في توسيع انتخاب النواب ولا في الطريقة الانتخابية ولهذا كان الانتخاب كله مفاسد واختلال

### ٣ — اصلاح طرق الانتخاب

كانت مراكز النواب في بادىء الامر موزعة على الاهلين توزيعاً غير منتظم فان ايرلندا كانت تنتخب مئة نائب من اصل ٦٥٨ نائباً . وتنتخب اسكتلاندا خمسة واربعين نائباً و بلاد الغال ٢٤ وترسل انكلترا وحدها ٤٨٩ عضواً . حتى ان التوزيع بذات انكلترا لم يكن عادلاً مضبوطاً فالعشر المقاطعات الواقعة في جنوب انكلترا وليس فيها الا ثلاثة ملايين من النفوس كانت تنتخب ٢٣٧ نائباً بين ان غيرها من البلاد يبلغ عدد اهلها ثمانية

ملايين من النفوس ينتخبون ٢٥٢ نائباً واسكوتلاندا وعدد اهلها مليونان ترسل ٤٥ نائباً . اما بلاد كورنواليس وسكانها ثلاثمائة الف رجل يمثلها ٤٤ نائباً

واغرب من ذلك عدم التساوي بين المقاطعات والمدائن فالمقاطعات وفيها معظم الاهلين لم تكن تستنيب الا ١٨٦ نائباً بين ان المدائن تنتخب ٤٦٧ . وانكى من هذا ان مقاطعة ميدلسكس التي تحتوي تقريباً على كل مدينة لوندرا لم يكن لها من النواب اكثر مما لاهل اولدساروم التي لم يبق فيها سوى عائلة واحدة . ولم يكن في معظم المدائن من المنتخبين الاعدد ضعيف فكان لستة واربعين مدينة اقل من ٥٠ منتخباً ولتسع عشرة مدينة اقل من ١٠٠ منتخب ولستة واربعين مدينة نحو مئتي منتخب وكان اربع وثلاثون مدينة خالية من السكان منذ العصور الوسطى . ولم يكن بها هيئة انتخابية فهي مدن خربة — اعتبر ذلك بمدينة بارالستون فان فيها بيتاً واحداً ومدينة كاتون صارت حديقة وبلدة دينو يش غمرتها المياه منذ عصور . ومع ذلك ظلت جميعها ترسل نواباً عنها ( وعادتها ان تستنيب عنها نائبين ) . وعلى عكس ذلك المدن التي نشأت منذ القرن السادس عشر كليفربول ومنشستر التي ينيف عدد سكان الواحدة منها عن مئة الف نفس فانها كلها لم تنتخب احداً وقد احصوا انهُ في سنة ١٧٩٣ كان في مجلس العموم ٢٩٤ عضواً انتخبتهم المجالس الانتخابية وعدد المنتخبين فيها بكسر الخاء اقل من ٢٦٠ رجلاً وان اغلبية المجلس كانت منتخبة من اقل من خمسة عشر الف صوت

فنتج من ذلك ان النواب وبالاولى ان يقال نواب المدن لم يكونوا بحقيقة الحال ممثلي الامة وانما كان انتخابهم برأي الحكومة أو اصحاب الاملاك في المدن بحيث كان ٤٢٤ مركزاً من الـ ٦٥٨ في المجلس تحت نفوذ ٢٥٢ شخصاً من النافذين او من الحكومة بحيث اصبح اولئك النافذون سادة يتصرفون بتلك المراكز فيختارون لها من يريدون من النواب اذا لم يختاروا ابقاءها لانفسهم او لاولادهم فيمنحونها لمريديهم . وفي سنة ١٨٢٩ ارغم الدوك دي نيوكاسل ( صاحب مدينة نيوارك ) احد نواب هذه المدينة على الاستقالة وطلب من الاهلين انتخاب رجل يخصهُ . وكان المنتخبون من مزارعيهِ ولكن تجرأ منهم ٥٨٧ منتخباً فاعطوا اصواتهم لمن كان يناظرهم فطردهم الدوك جميعاً من املاكه ولكن تشكى بعضهم الى مجلس العموم فاجاب الدوك على الشكوى قائلاً « الا يحق لي ان اعمل في املاكي ما اشاء واختار » ؟ — وفي الاحايين كانوا يبيعون منصب النيابة . واتفق في نهاية القرن الثامن عشر ان كثيرين من الانكليز اثروا في الهند ( نا باب ) او بالتجارة فنالوا لثروتهم منصب النيابة

في المجلس اذ طمحت اليه نفوسهم كانها طرفة من الطرف . فكان لنيل ذلك المنصب ثمن يصعد ويهبط حسب الاحوال

وزد على هذا ان المدن والمقاطعات التي كان منتخبوها احرارًا مستقلين يغلب فيهم ان يكون عددهم قليلاً . فلم يكن في كل اسكوتلاندا الا ٣٠٠٠ منتخب . فتجد احدى المقاطعات تعدّ تسعة منتخبين بينما تجد الاخرى ذات ٢١ منتخبًا ولا يسكن المقاطعة الا واحدٌ منهم فقط . وحدث يومًا ان عقدت جمعية الانتخاب في مقاطعة بوت فلم يحضر لدى المأمور Sherif الا منتخب واحد فترأس الجمعية واعلن افتتاح الجلسة واستدعى المنتخبين باسمائهم فلم يكن من جوابٍ الاعن نفسهِ بنفسهِ ثم تكلم عن ذاتهِ مترشحًا للانتخاب ثم الاقتراع فتم انتخابه بالاجماع !

وكان الانتخاب يجري على الشكل القديم وذلك ان يصعد المترشحون الى دكة عالية ويخطبون في الناس لا يبالون بالصراخ والضوضاء وكان من العادة المتبعة ان يقدموا المشروبات للمنتخبين عند ما يجتمعون ولو من احزاب متباينة في الخلاء. ويقع الصخب والتضارب احيانًا كثيرة . وقد يدخل ما بين المنتخبين اناس لا حق لهم بالانتخاب . وطريقته هي ان يدعوهم المأمور للاقتراع برفع اليد ثم يعلن النتيجة التي كانت كثيرًا ما تعرف من قبل اذ ينحصر الترشيح في شخص واحد . ولكن اذا تعدد المترشحون طلب المناظرون الاقتراع كتابةً فيأخذ كل منتخب باعلان اسم منتخبه بصوت جهوري فيدوّن ذلك في سجل وقد يستمر هذا الاقتراع على مدى اسابيع

وجعلوا منذ القرن الثامن عشر يشكون من فساد هذا الانتخاب وانهُ ازداد فسادًا بازدياد الثروة وان المجلس الذي من خصائصه تمثيل الامة اصبح لا يمثل الا البيوتات النبيلة وذوي الثروة الطائلة وكان الاحرار يطلبون الاصلاح في كل سنة تقريبًا من سنة ١٨٠٧ الا ان المحافظين الذين كانت لهم الاغلبية من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٨٣٠ كانوا يرفضون مايطلب من الاصلاح

فانصرف الاحرار الى اكتساب الرأي العام ليميلوه الى الاصلاح وكان الاوساط الى ذلك العهد قلما يكترثون بالسياسة وكان المجلس يعقد جلساته سرًا والجرائد قليلة الانتشار . الى ان حدث تغيير مهمٌ في اواخر القرن الثامن عشر وذلك ان سكان المدن اخذوا في النمو السريع منذ انتعشت الصناعات وازدهت باستخدام الآلات فنشأ بين الناس رغبة شديدة في استطلاع الاخبار لذلك وانشئت من سنة ١٧٦٩ الى سنة ١٧٩٢ ست جرائد كبرى

يومية اخذت تروي ما يحدث في المجلس من المباحث والاراء . وفي سنة ١٧٥٣ كانت تبيع من نسخها سنوياً سبع مليونات فصارت سنة ١٨٠١ تبيع ١٦ مليوناً وسنة ١٨٢١ زادت المبيعات الى ٢٥ مليوناً ونشأ سنة ١٨٠٨ وسنة ١٨٠٩ مجلتان احداهما للاحرار وهي مجلة ايدنبورج والاخرى للمحافظين وهي مجلة كوارترلي . وفي سنة ١٨٠١ بدات الصحف تنشر اعمال المجلس وسنة ١٨١٥ شرع اشياع الحزبين يهيجون افكار العامة بعقد اجتماعات سياسية حيث كان الخطباء ينتصبون على الدكك او على المركبات ويخاطبون الجمهور بما يرون . وكان يسبق عقد تلك الاجتماعات او يعقبها مرور اشياع الحزب موكباً في الاسواق يحملون الاعلام والاعلانات ومن ثم كانوا يؤلفون منتديات سياسية يكتتب اعضاؤها بمال يجمعونه ثم يختارون منهم رجالاً يؤلفون لجنة تقوم بنشر ارائهم واستمالة الجمهور للاصلاح الذي يطلبونه وعلى هذا النمط تأسست عام ١٨٢٣ الجمعية الكاثوليكية لالغاء القانون الذي وضعه البارلمان سنة ١٦٧٢ ضد الكاثوليك واسمه Test Law وفي سنة ١٨٣٠ انشأت جمعية بيرميهام لاصلاح الانتخاب . وهكذا نشأ في انكلترا قوتان جديدتان هما الجرائد والراي العام فقامتا ازاء نفوذ الملك وكبار النبلاء وصيرتا الاغلبية في جانب الاحرار وايدتا سلطة البارلمان فاصبح الناس لهذا اليوم لا يستطيعون ان يفقهوا للبارلمان معنى من غير وجود الصحف والراي العام ويقولون عن اهم الجرائد الانكليزية ( التيمس ) انها السلطة الرابعة وعن الراي العام انه ولي الامر

على ان هذا التغيير في العادات والمناهج ادى الى اصلاح الانتخاب سنة ١٨٣٢ لان الملك جورج الرابع الذي اصر على حفظ القديم مات سنة ١٨٣٠ والاحرار انضموا الى المحافظين الغضاب فنالوا الاغلبية وشرعوا يطلبون الاصلاح . وكان رئيس وزارة المحافظين من القادة الطاعنين في السن وهو الدوك دي ولنكتون الظافر في وترلو فصعد يوماً منبر المجلس وقال انه لم يتصل به برهان يوجب تغيير طريقة انتخاب النواب وزاد على ذلك قوله اذا فوضوا اليه وضع شريعة لاحد البلاد فانه لا يجد افضل من الشريعة الحاضرة لان الطبيعة الانسانية قاصرة عن الاتيان بما يشبه سموها . وعقب هذا الخطاب اقتراع المجلس ضد الوزارة فاستقالت وخلفتها الوزارة الحرة فظلت سنتين حتى نالت الاصلاح المطلوب مع انها عرضته ثلاث مرات . اما اصلاح سنة ١٨٣٢ فقدتم بالاتفاق لان القوم لم يكونوا يريدون وضع طريقة تؤسس فقط على عدد السكان فاحتفظوا بطريقة التصويت العمومي ولكنهم جزموا ان لا يدوم الاقتراع اكثر

من يومين واحتفظوا بعدد النواب اي ٦٥٨ وعلى ان يكونوا صنفين اي نواب المدن ونواب المقاطعات ولكنهم اخذوا من المدن بعض نوابها واعطوا الحق في انتخابها المقاطعات وكان ست وخمسون بين هذه المقاطعات قد ضعف حالها وقلّ سكانها عن الالفين عدًّا فسلبوها حق انتخابها ١١١ نائبا عنها وكذلك كان ثمة ثلاثون مقاطعة سكان الواحدة منها يقلون عن اربعة آلاف نفس ومع ذلك كانت تنتخب عن كل منها نائبين فجعلوا لها نائباً ووزعوها من جديد بحيث اعطوا منها خمساً وستين منصباً لمقاطعات كان لها من قبل اربع وتسعون نائباً فصار لها عندئذ مئة وتسعة وخمسون منصباً واعطوا اربعاً واربعين منصباً لاثنين وعشرين مدينة كبيرة لم يكن لها من قبل نواب عنها وكذلك خصوا عشرين مدينة متوسطة بعشرين نائباً ومنحوا باقي المناصب لايرلندا واسكتلاندا بالسوية

وظل حق الانتخاب محفوظاً في الذين لهم ريع من عقاراتهم على انهم توسعوا في ذلك فخولوا حق الانتخاب في المقاطعات لكل الملاكين الذين يبلغ دخل الواحد منهم اربعين شلنياً ولكل المزارعين ممن يبلغ دخل الواحد منهم خمسين جنيهاً واما في المدائن فلكل من يؤدي عشرة جنيهات اجرة لداره

على ان هذا الاصلاح زاد في عدد المنتخبين خمسين بالمئة فقد كانوا يحسبون منتخباً واحداً لكل ٣٢ شخصاً من الاهلين فصار بعد الاصلاح واحداً لكل ٢٢ شخصاً واصبح سواد المنتخبين الحديثين من المزارعين والباعة في الحوانيت وظل العملة على شأنهم الاول محرومين من حق الانتخاب

فاستاء كثيرون منهم من جراء ذلك وانشأوا جمعية كبيرة من العملة وكان قد ظهر سنة ١٨١٦ وسنة ١٨١٩ حزب الراديكال واجرى مظاهرات يطلب فيها ان يكون حق الانتخاب شاملاً . ففي سنة ١٨٣٧ اخذ العملة القضاب لائحة الراديكال ورفعوا بمؤداها عريضة للبارلمان بينوا فيها مطالب حزبهم سموها لائحة الشعب يسألون فيها ان يكون حق الانتخاب شاملاً لكل الوطنيين وكذلك حق النيابة وان يعطى للنواب جعلاً وان تقسم البلاد اقساماً متساوية ويكون الاقتراع سريًّا بالاكر عوضاً عن التصريح والتسجيل

وكان اشياع حزب العامة Chartistes يتظلمون من شقاء الشعب ومن اقوالهم ان الدستور الانكليزي لا يستفاد منه الا الاعمال الشاقة او الموت جوعاً . وتجمهروا جماعات كبيرة مسلحة وطافوا الاسواق ليلاً يحملون المشاعل وعاودوا هذه المظاهرة ثلاثاً ( في سنة ١٨٣٩ و١٨٤٣ و١٨٤٨ ) ورفعوا عريضة وقع عليها ثلاثة ملايين منهم . على انهم لم

ينالوا شيئاً من البارلمان الا في سنة ١٨٧٢ على عهد وزارة غلادستون حين تقرر الاقتراع

وصارت المجالس الانتخابية منذ الاصلاح اكثر قبولاً لدى الرأي العام واشد اهتماماً بمصالح الامة واشط عملاً منهم . وكانت مطبوعات مجلس الامة ٣١ مجلداً من سنة ١٨٢٤ الى سنة ١٨٣٢ فصار معدلها ٥٠ مجلداً من ١٨٣٢ وصار الناس اكثر اطلاعاً على ما يدور في المجلس من البحث وعلى ما يتداولون به . اما القانون القديم الآمر بوجوب البحث السري فلم يلغ حكمهُ وانما جرت العادة بالاغضاء عن اخذ خلاصة مباحثه بالاختزال Stenographie بحيث تنشرها الجرائد وتوصلاً لذلك بنوا دكة مخصوصة للصحافيين . واما اصوات النواب فقد كانت اذاعة اخبارها محظورة الا ان المجلس نفسه شرع يذيعها منذ ١٨٣٦

على ان الجرائد خفضت اثمانها منذ الغاء رسم التمغة (وكانت تؤدي بنساً) وصارت بواسطة السكك الحديدية وانتظام البريد تصل بسرعة لكل مكان فيطلع الانكليز في كل قطر من بلادهم على حوادث البرلمان التي تجري في ليلتهم الماضية بما تنقله اليهم الصحف في النهار . ومع ذلك ظلت تلك الجرائد قليلة العدد لان عددها في لندن لم يتجاوز السبع الى الثمان . وانما كان يباع من نسخها عدد كبير يزيد في نفوذها . وكثرت الجمعيات واصبحت اشد قوة واكثر انتظاماً

على انهم لم يحدثوا تغييراً البتة في الشكل ولا سنُّوا لهم دستوراً مكتوباً واستمر المجلس يواصل اعماله على النهج الماضي والاعمال تسير على خطتها القديمة . اما الرئيس فيلبس شعراً مستعاراً ويمشي امامهُ حارس يضع على المائدة عصا الرئاسة

اما النواب فظلوا يتكلمون وهم في مجالسهم الا انهُ لما اصبحت الحياة السياسية اكثر نشاطاً ازدادت اهمية مجلس العموم وصار اللوردة لا يجرأون كثيراً على مقاومة النواب الذين يمثلون الامة تمثيلاً صحيحاً . فصار اكثرهم يتغيبون عن حضور جلسات مجلسهم . وكان يعقد مرة كل اسبوعين . وغلب عليهم ان يقبلوا بما يقر عليه مجلس النواب من غير ممانعة . اما الملك فاحتفظ بامتيازاته لان اعمال الحكومة ما برحت تعمل باسمهِ وبقي له حق اختيار الوزراء وفض المجلس الا انهُ اصبح من العادة المحكمة ان لا يختار الملك وزراءهُ الا من نائلي الاغلبية في المجلس وان تستقيل الوزارة متى فقد احدها عضد الاغلبية . على ان الملكة فيكتوريا منذ تسنمت العرش سنة ١٨٣٧ حتى وفاتها لم تشذ عن تلك العادة ولا يخشى ان يشذ عنها احد الذين يخلفونها

فاصبحت السلطة منذ سنة ١٨٣٢ لا كثرية مجلس النواب وبالنتيجة للشعب الذي انتخبهم • وصارت تنتقل من قوم الى آخرين بحسب تغيرات الرأي العام • ومما يذكر انه من سنة ١٧١٥ حتى سنة ١٨٣٢ تولى منصب الوزارة كل من الحزبين الاحرار والمحافظين مدة نصف قرن • ولكن من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٩٦ تناوب كل فريق منهما استلام الوزارة والاستقالة منها عشر مرات وكلاهما يتبعان خطة واحدة وهي بقاء كل فريق منهما عاملاً مع جميع افراده بالاتحاد وتمام الاتفاق سواء كان في مدى تربعه في دست الوزارة او في حال اعتزالها حين يتألب لمقاومة الحزب الاخر ولذلك يقال لهم المعارضون • ولكل فريق رئيس يعرف بالزعيم يتقلد رئاسة الوزارة حين تنتهي الاغلبية اليه [1] ويكون قد أعدّ من رجال حزبه من يتقلد مناصب الوزارات الجمة • وهكذا تكمل في القرن التاسع عشر في انكلترا النظام البارلماني القديم الذي بدأت طلائعه عندهم في القرن الثالث عشر • ومنذ حينئذ نشأت تلك المناحي الاساسية التي جرى عليها الاوروبيون حاسبين انها من خصائص النظام البارلماني

وللانكليز ملك يتولى الاريكة كابراً عن كابر فتدار الشؤون باسمه ولكنه في الحقيقة ليس له من السلطة شيء فيصدق فيه قول القائل (الملك يملك ولا يحكم)

• ــ نظام البرلمان الانكليزي

اما البارلمان فيؤلف من مجلسين احدهما المجلس الذي لا ينتخب اعضاؤه انتخاباً وهو المجلس العالي • ليس له من الخصائص الا التصديق على القوانين وثانيهما المجلس المنتخب وهو الذي يصادق على الميزانية ويراقب اعمال الوزارة وتوسد الوزارة للرجال الحائزين على الاغلبية في المجلس ويعهد برئاستها لزعيم ذلك الحزب • فان اسم الوزارة في انكلترا ليس بالاسم المتعارف رسمياً وهي تؤلف من ثلاثة وزراء وخمسة رؤساء اقلام ومن رؤساء بعض الدوائر

ويتباحث الوزراء في ندوة يعقدونها للنظر في ما يريدون اتخاذه من الوسائل ومتى اقرت اكثريتهم على شيء تعين لكل واحد منهم ان يتمسك بذلك القرار ويؤيده او يعتزل المنصب

والوزراء مسؤولون امام مجلس النواب عما يعملون وليس في وسع المجلس المذكور

(١) وتلقب حزب التوري Tory بعد سنة ١٨٣٢ بالمحافظ Conservative وحزب الهويكس Whigs بالاحرار Liberal

فقط محاكمة الوزراء بل اذا امسكت اكثريته عن قبول مطالبهم وجبت عليهم الاستقالة وبما انهم متضامنون في المسؤلية يتعين عليهم الاعتزال ولو كانت الاقلية في جانب واحد منهم فقط

وعند افتتاح المجلس يتلى خطاب الملك وتشرع الوزارة باعطاء البيان الكافي باسم الملك عن حالة البلاد والسياسة التي ترمي اليها فيجيب المجلس بخطاب يودعه آراءه وخواطره وفي كل سنة يقترع على ميزانية السنة التالية · ولا يمكن جباية شيء من الضرائب ما لم يكن المجلس قد قررها · على ان رفض الضريبة ذريعة يتخذها المجلس للتمكن من حمل الوزارة على الاستقالة اذا رآها مصرَّة على البقاء بالرغم عن فقدانها الاغلبية — وللوزارة ان تسأل المجلس التصريح بثقته فيها فتغتنم لذلك سنوح كل فرصة كعرض قانون او عقد قرض · والقصد من ذلك بيان عزمها على الاستقالة اذا لم تحصل لها الاغلبية · ويمكن للمجلس حينئذ اعلان استيائه منها بالاقرار على عدم الثقة بها · والاعمال التي يبحث فيها في كل جلسة تعين في قرار الجلسة السابقة الا انه يحق لكل نائب قبل الشروع بالبحث ان يسأل الوزراء ابداء افكارهم وما يعلمون عما يعن له من الخواطر · فيختم هذا الاستعلام باقرار المجلس على تجاوز هذا الكلام للبحث في الموضوع المرتب للجلسة على انه يغلب في النواب ان يصرحوا برأيهم بالعبارة المألوفة بقولهم « فلنرجع الى موضوع الجلسة » فاذا كانت العبارة التي اوردها النواب لا ترضي الوزارة تعين عليها الاعتزال

ويحق للوزارة ان تطلب الى الملك فض المجلس متى حصلت لها الاقلية وتلك وسيلة يجعلون بها المنتخبين قضاة بين الحكومة والنواب ويلبث الوزراء غضون الانتخاب في مناصبهم حتى اذا تجدد الانتخاب ولم تحصل للوزارة الاغلبية تعينت عليها الاستقالة ويحسبون فض المجلس المنتخب ثانية ازمة سياسية اذ ان الامة جددت انتخابه وهي صاحبة الامر · والمدة المعينة في القانون للمجلس بانكلترا سبع سنوات الا انه جرت العادة ان يفض قبل انتهاء المدة وما من مجلس تجاوز ست سنوات

العادة الجارية هي ان الوزراء يقترحون على المجلس مشروع القوانين التي يريدون سنها الا انه يحق لكل نائب ان يقترح وضع قانون او اصلاح قانون موجود وهذا ما يقال له الاقتراح البرلماني · وقبل البحث في المجلس في اي سنة كانت تحال تلك السنة الى لجنة مخصوصة تدقق فيها · ويغلب ان يتألف المجلس كله كلجنة للبحث فيقع الجدال ولكن لا يقع عليها اقتراع · واما اللجان الاخرى فتتألف من بعض اعضاء المجلس الذين يشير اليهم الرئيس

واذا ارادوا سن قانون عرضوه للبحث فيه ثلاث مرات بعد ان يقرأ في كل مرة . وفي كل قراءة يقترعون في كل مادة منه لوحدها ما لم يقترع المجلس على الاكتفاء بقراءة واحدة للضرورة القصوى في الحصول عليه

ولا يكون البحث والاقتراع مرعيين يعمل بهما الا اذا كان عدد حاضري الجلسة من الاعضاء كافياً للقيام بالاقتراع

ولا يحسب قرار النواب قانوناً نافذاً حتى يصادق عليه المجلس الاعلى و يوقع عليه الملك الا انه لم يكن من عادة الملك ان يرفض التوقيع عليه

على ان كل هذه الشؤون تجري في انكلترا تبعاً لارجحية احد الحزبين على الآخر ولكنها جرت على خطة منتظمة لانه ليس ثمة الا حزبان وكل منهما يحترم العادات فيتخلى عن المنصب لخصمه حين تحصل الاغلبية لذلك الخصم . وهذان الحزبان عبارة عن حكومتين شرعيتين يخير المنتخبون لاحداها من غير ان يكون لهم استطاعة الاستغناء عنهما جميعاً . ولذلك يستحيل حدوث تبديل فجائي . ومع ذلك فان كل واحد من الحزبين لا يمكنه تجاوز حدود سلطته زمناً طويلاً لان ذلك التجاوز يكدر المنتخبين ويحملهم على الصيرورة الى الحزب المخالف ولذلك يحسبون الرجحان بين الحزبين شرطاً اساسياً للنظام البارلماني

وسيأتي الكلام عن تاريخ الحكومة الدستورية في فرنسا وغيرها

# صوت الفقير

زاحفتُ ايامي وزاحفتني دهراً فلم أنكل ولم تنكلِ
لا عزمها واهٍ ولا عزمتي تصادم الجندل بالجندلِ
رمت فلم تبقِ على مفصل لكنها طاشت عن المقتل
وليتها اصمت فلا ابتغي من عيشها ان انا لم اقتل
لا خير في الصبر على غمرة لا يأمل الصابر ان تنجلي
صبرتُ للبؤساء صبرَ الذي قيدَ الى القتل فلم يحفل
لا فضل في الصبر لمستسلم عيٍّ عن الفعل فلم يفعل
عشرون عاماً لم تحل حالتي ما اشبه الآخر بالاول

وغدا الى المعمل في شملة — خرقاء لم تكس ولم تشمل
نم عن جسمي كما نم عن — نفسي غزير المدمع المرسل
كأنها برقع مصرية — لا يحجب الوجه عن المجتلي
يميل بي الهم كأن القنا — بين جنوب الريح والشمال
فمن رآني ظن بي نشوة — اجل بكاس الحزن لا السلسل
أقضي نهاري مقبلاً مدبراً — كأنني الآلة في المعمل
وصاحب المعمل لا يرتضي — مني بغير الفادح المثقل
فان شكوت النزر من اجرة — برح بي شتما ولم يجمل
حتى اذا عدت الى منزلي — وجدت سوء العيش في المنزل
أرى ايامى يشتكين الطوى — الى يتامى جوع نحل
ابيت والاجفان في سهدها — كأنما شدت الى يذبل
بين صغار سهد في الدجى — يذرون دمع الثاكل المرمل
بين ضعيف الحلم لم يعتمد — وشاخص في المهد لم يحول
يدعون أماً تتلظى أسى — حذار يوم الحادث المشكل
ووالد عيّ باسعافهم — في العيش عيّ الفارس الاعزل
ما زال ريب الدهر ينتابني — بالمعضل الفادح فالمعضل
حتى رماني بالتي لم تدع — الا بقايا الروح في هيكل
فها أنا اليوم طريح الضنى — وليس غير الصبر من معقل
في لفحة الرمضاء لا اتقي — وعبة النكباء لا اصطلي
هذا هو البؤس فهل من فتى — تم له في البؤس ما تم لي
فيا قرير العين في دهره — عش ناعماً في جدك المقبل
واسق مواتي قطرة فضة — من بين ذاك العارض المسبل
وارحم صغاراً كفراخ القطا — من نادب حولي ومن معول
احسن اليهم بحياتي وخذ — فيهم باجر المنعم المفضل
فدع صوتي وانقضى خاطري — ونال ذاك النحس من مقولي

مصطفى لطفي المنفلوطي

# سلطة الامة

## حدودها ومضارها

### ١ ـ المسألة في مصر

طلب الدستور النيابي في اول الامر بعض الخاصة الذين احتكوا بالاوربيين وتشربوا مبادئهم وحسبوها ثمرة هذا الشكل من الحكم . وما هي الا نتيجة تربية الايام ابام وعملهم المتواصل في قرون عديدة . طلبوه بصوت ضعيف على صفحات الجرائد ملتمسين منهُ علاجاً لامراض الاستبداد ودواء لدائهم الثقيل . وما زال هذا الصوت يعلو وينتشر حتى صارت له تلك القوة التي نشعر بها الآن . وبعد ان كان الدستور يُطلب لمناوأة الاحتلال او تشبهاً بالامم الغربية قام كتاب جريئون يجاهدون في سبيله « لانهُ حقٌ طبيعيٌّ للامة ولان السلطة الشرعية الحقيقية لها وما الحكام الا وكلاء عنها ... ولانها الكل في الكل ويجب ان يكون مقامها فوق كل مقام » ... متخذين في ذلك روسو وغيره من فلاسفة الافرنج الحديثين غير معتبرين بما كان من هذا النظام في البلاد التي اتبعته ولا مستفيدين من تجارب قرن كامل

وفي مقدمتهم حضرة احمد بك لطفي السيد مدير « الجريدة » الذي اظهر من براعة الاستدلال ومتانة الاسلوب والمهارة الصحافية ماجعل لهُ شهرة واسعة ولآرائه انتشاراً عظيماً وهو مخترع كلمة « سلطة الامة » ومروجها في مصر وعنهُ اخذتُ العبارات السالفة الذكر . وهو شديد الثقة بمبدأه شديد التمسك بهِ . ولكن نستأذنهُ في القول ان الدستور النيابي أبعد من ان يحقق اماني دعاته الغيورين ويأتي للامة بالسعادة المنشودة . وبغضّ النظر عن مبلغ استعداد المصريين لهُ وقدرتهم على القيام بهِ حق القيام فان لهُ نقائص كبيرة يعرفها العقلاء المجردون عن اهواء السياسة واغراضها . فهم يخشونه اكثر مما يرجون منهُ لانهم يعلمون ان العامة ليست أقل ظلماً وتعسفاً وعبثاً بمصالح الجميع لجهلها وقصر نظرها من الفرد . وهم لا يفضلونهُ على غيره من النظامات ذلك التفضيل المطلق لعلمهم ان لكل شكل من الحكومات معايب لانهُ انما يطبق على افراد احياء لهم عقل يخترع ونفس امارة بالسوء فيحتالون في قضاء مآربهم تحت ستار القانون . هم يعلمون ان شكل الحكومة

امر ثانوي وان الامر الاول والاهم اخلاق الناس وعاداتهم والافكار السائدة بينهم . فاذا اردنا ان يكون للامة وجود ورأي محترم في المسائل العامة وجب علينا ان نعمل في انماء الكفاءآت المختلفة فيها ونشر العلم الصحيح واتقان التربية لا ان نهيج الانانية العامة وننفخ في صدورها الفاسدة كبرياء ليس وراءها الا الشر العظيم . ونبدل شكلاً من الحكومة بآخر فنكون انما استبدلنا سيداً قديماً بسيد جديد .

## حدود سلطة الامة

١ — نسمع كل يوم انا في عصر العلم والتجربة والامتحان وانهُ قد انقضى عصر السفسطة والمجادلات المبنية على التجريد والتقسيم الى الحد الاقصى ولا يروج الآن من المذاهب والاراء الا ما ثبت « بالعلم » اي ما كان منطبقاً على الحقيقة المحسوسة . واني لا اعرف مذهباً اكثر خروجاً عن دائرة العلم الى ميدان الخيال والوهم من مذهب روسو واتباعه . فانهم يبنون معتقدهم على قضايا تناقض على خط مستقيم المعروف من طبيعة الانسان وشهادة التاريخ

يقولون ان الانسان يولد حرًّا وان حريته لا تزول عنه ابداً ولا يمكنه التنازل عنها « اذا وعد الشعب بالطاعة فقد انحلت جامعته بهذا الفعل وفقد صفة كونه شعباً » وان حريته هذه باقية له بتمامها اذا اعترف بالعقد الاجتماعي وقبل ان يخضع لسلطة الشعب او بالاحرى لسلطة الاغلبية من الشعب . ولكنها تتلاشى اذا هو تنازل عنها لحاكم غير الشعب

نقول نعم ان الانسان يولد حرًّا وهذا شرفه وهذه ميزته لانه عاقل ولا معنى للعقل بغير الحرية . ولكن اية حرية يعنون ؟ انا نفهم ونعني الحرية الادبية اي حرية القيام بالواجب وعدم القيام به — الواجب على الانسان شرعاً نحو الله ونفسه وقريبه . اما فيما عدا ذلك فيمكنه احياناً التنازل عنها او عن بعضها حسب ما تقتضيه الظروف والمصالح . وما التعاقد بين الافراد والوعد « واعطاء كلمة شرف » بفعل كذا وكذا مما لا خير فيه ولا شر ( ادبياً ) الا تقييد للحرية الظاهرة وربط لاعمال الانسان الخارجة عن الواجب . واحياناً اخرى نرى انه من الحتم عليه التنازل عن حريته لمصلحته ومصلحة ابناء جنسه كما في مسئلة الحكم . فانه يستحيل مادياً على شعب باكمله ان يحكم نفسه بنفسه مباشرة اذ كيف يجتمع للمشاورة وكم من الوقت يلزم لاخذ جميع الآراء ... ؟ واذا كان الناس يشكون الآن من كثرة المناقشات في مجالس النواب وبطء سيرها في الاعمال وطول المدة التي

تقضيها في درس مشروع فكم بالحري تكون شكواهم مرة وشديدة اذا تولت امة باجمعها مثل هذا العمل !

ينتج اذاً مما تقدم ان من الواجب على الشعب التنازل عن حريته والوعد بالخضوع لفرد او الهيئة — قليلة كانت او كثيرة — الاقدر على حفظ كيانه وترتيب قواه وملكاته وتصريفها في سبيل الخير والسعادة وهما الغاية من الاجتماع . والا سادت الفوضى وتذرع كل بحريته للجري على ما يهوى من غير مراعاة المصلحة العامة لما طبع عليه من الطمع وحب الذات . ولما كان كل الافراد في حاجة بعضهم الى بعض — فقد قيل الانسان مدني بالطبع — لتحقيق الغاية المذكورة من الاجتماع هلك الشعب لانتفاء امكان العمل لتلك الغاية

ولكن روسو ينكر على الشعب خضوعه لفرد او لهيئة ما حتى ولو كانت مختارة منه ويقول : « اذا اقام الشعب نواباً عنه فقد حريته في الحال . . . وان الشعب الانكليزي يظن نفسه حراً ولكنه واهم فان حريته لا تدوم الا مدة الانتخابات فاذا تمت رجع الى عبوديته السابقة » [1] . وهذا تطرف لا يصدر من عاقل وعي التاريخ ونظر في احوال الانسان فعلم ان الحرية المطلقة التي يدعو اليها لم توجد قط وان الجماعات من الناس كانت محكومة كما سنبينه ولن تزال كذلك . على ان روسو عاد فاعترف بان رأيه لا يمكن تطبيقه الا على كية قليلة جداً ! . ولا يدل هذا — كما يزعم هو — مع فساد مبدأه بل على ان الشعوب الكبيرة غير طبيعية !!

لكن اغلب اتباعه يطرح هذا القول ظهرياً ويعتقد ان الحكومة النيابية هي المظهر الوحيد الممكن لسلطة الامة . اذ ان الحكم ضروري في الامم كما قلنا على رغم روسو وبدونه لا يتم امر ما — اللهم الا الخراب والدمار . وقد قال روسو بذلك ضمناً لما الزم جميع افراد الشعب بطاعة الاغلبية وتنفيذ ما تقرره ولو خالفت رأي بعضهم فاوجد فريقاً حاكماً وفريقاً محكوماً و بلغ به الحال الى ان قال ان لهذه الاغلبية الحق في اجبار المعارضين على الخضوع بالقوة ! [2] ولما كان حكم الشعب نفسه بنفسه مباشرة مستحيل التحقيق وجب ان نأخذ بما يقرب منه وهو الحكومة النيابية التي لكل واحد من افراد الشعب فيها نصيب مساو لنصيب الآخر . وتترك روسو « ينبذ هذا الراي بشدة و يتهكم على اصحابه بلا شفقة » ما اراد

---

(١) العقد الاجتماعي . الكتاب الاول . الفصل السابع عشر

(٢) العقد الاجتماعي . الكتاب الاول . الفصل السابع

### ٢ — المساواة بين الجميع سياسيا

٢ — وسننظر في هذه الدعوى : المساواة بين الجميع سياسياً . ولنلتفت الآن الى قول آخر في سلطة الامة . فقد بنى روسو مذهبه على حرية الفرد الاصلية فاخطأ خطأ في الخلط بين الحرية الادبية المقدسة والحرية السياسية التي يمكن للشعب ان يتنازل عنها او لرجل اجنبي ان يقتنيها بحكم الفتح والاستعمار من غير ان يعد مجرماً وظالماً على شرط العدل والانصاف في معاملة الرعية . اما غير روسو فيقول : ان السلطة لا تخص احداً في البدء فاذاً هي لجميع وحق طبيعي لهم . نرد اولاً بأنا رأينا — على فرض التأمين على هذا القول — ان الامة عاجزة عن استعمال السلطة مباشرة وسنرى انه في استعمالها اياها لانتخاب النواب نقائص ومعائب عسى ان ذكراها تقلل من غلواء « انصار الامة » وتكسر من حدتهم التي تجاوزت كل حد . فكيف يكون طبيعياً الحق الذي يستحيل العمل به او الذي من وراء العمل به ضرر عظيم ؟ كل امر « طبيعي » سهل النفاذ خال من الضرر بل مساعد على النظام والخير تكفلت الطبيعة بجعله كذلك . اعطت الطبيعة سلطاناً للاب على ابنه وحقاً في تربيته لانه قادر على ذلك وله كل ما يلزم لتادية هذا الواجب . كذلك منحت الزوج سلطاناً على الزوجة لانه اقوى منها جسماً وعقلاً وادارة واقدر على تدبير العائلة . فما القول في سلطة الامة الطبيعية ولم تر الطبيعة منحت الامة شيئاً من مزايا الحكم بل بالعكس خصتها بالجهل والتقصير

ثانياً غير صحيح ان السلطة في البدء لا تخص احداً . اذ اصل الجمعيات البشرية عائلات — السلطة فيها بيد الاب وابنه الاكبر من بعده وهكذا كما تفرعت وتفرقت تجد على راس كل منها رجلاً تنتهي اليه الامور ويحكم لسلطه الطبيعي على من حوله . فاذا نزلت عدة عائلات ارضاً واحدة تخصها فازت بالسلطة على الباقي اكثرها عدداً وثروة وصار ملك الجميع كبير هذه . كذلك غير صحيح ان السلطة للجميع في حالة عدم وجودها في يد احد طبيعياً انما هي للاكفاء والاقدر على القيام باعبائها يستولي عليها ويتنحى عنها له الاخرون كانه وكانهم مدفوعون لذلك . خذ مثلاً ما يتألف امامنا الآن من الجمعيات ادبية كانت او سياسية او اقتصادية — مع ملاحظة الفرق بينها و بين جمعية الشعب لضيق نطاقها وقلة عدد اعضائها — تلق القائمين بها في اول الامر سواء فاذا ما بدا العمل وعرضت الصعوبات ظهر الزعيم — ولم يكن مختفياً — بتصديه لها والتقدم على غيره لمعالجتها لما يؤانسه في نفسه من الكفاءة، وفي نفوس اخوانه من هيبته واحترامه لتفوقه عليهم فيلتفون

حوله و يعتمدون على رأيه فتعرف الجمعية لدى الناس بجمعية فلان لانه اوجه اعضائها واشهرهم · انظر كيف انه بعد اعدام لويس السادس عشر ابان الثورة الفرنساوية الكبرى وسقوط كل سيادة قام للاستيلاء عليها الخطباء الجريئون روبسبير ودانتون وغيرهما لقضاء مآربهم الشخصية . وظلوا يتنافسون ويتذابحون يؤيد كلاً منهم انصاره في المجلس · والامة كان ليس لها وجود وكان الفوضى والاستبداد لم تهرق دماء للتخلص منهما الى ان جاء نابوليون الكبير فانتزع الرئاسة انتزاعاً واستبد بالامر ولا استبداد الملوك السابقين والشعب ساكن ساكت بل راقد نائم يؤدي المال ويقدم الرجال فيلعب بهم نابوليون لعباته المشهورة · ثم انظر كيف ان هذه السيادة لما سلم نابوليون الثالث نفسه للالمان وسقطت امبراطوريته وقعت لجنرال تروشي ممثل الثورة المادية ولجول فري وليون غامبتا الخطيبين الشهيرين · والعامة في كل الاحوال لايسعها الا الاعتراف بهذه الحكومات بعد تكونها والخضوع لها · ولا ينكر انها قامت احياناً بثورات وقلبت حكومات ومحقت كل سلطة ولكن هنا ينتهي عملها فانها آلة هائلة للهدم غير انها عاجزة كل العجز عن الترميم والتشييد · نقول كيف يكون طبيعياً الحق الذي لم يستعمل في الماضي ؟

٣ — ارى ان ما حدا ببعض الكتاب الى ابتداع هذا الفكر — المساواة السياسية بين الجميع — ليس الاستقراء العلمي المبني على مقدمات صحيحة بل تألمهم مما في المجتمع من المظالم والفرق الجائر بين رجل ورجل أو طائفة وطائفة فارادوا الاصلاح والتمسوا اساسه والحجة بالجدل فاعماهم الانفعال وقادتهم الحدة الى ابعد من الحق · قال اوجست كونت : لقد كان لهذا المبدأ فائدة في تقويض اركان السلطة القاشمة الاستبدادية وانما اوجد لهذه الغاية فانتج في حينه ما كان يؤمل منه · أما الآن فيجب تركه كما يترك السيف بعد الحرب لانهُ مناف لكل سلطة وكل حكم ه

ارادوا التسوية بين الكل سياسياً كما ارادوا التسوية أمام القانون · وهذه الاخيرة مقبولة معقولة لان المرء ايّاً كان يسقط من منزلته بالاجرام ويستحق العقاب لاخلاله بالنظام العام اللازم كل اللزوم للجمعية — ومع ذلك فلها شواذ اشهرها ايقاف التنفيذ على رجل عرف بالاستقامة وحصل على جاه عظيم ثم ارتكب اثماً لاول مرة فرأى الشارع بحق ان اعماله الماضية تشفع له كثيراً وانهُ لا تصح معاملته معاملة رجل خامل

وقد نضج فكر المساواة وقام الاشتراكيون يطبقونهُ على سائر احوال الناس كما يقتضيه المنطق و يطالبون بالتسوية بين الافراد اقتصادياً على النحو الذي يجهله القراء · ولكن اني لم

جميعاً ما يريدون وعدم المساواة هو القاعدة في العالم . كيف يستوي العالم والجاهل الكبير والصغير الغني والفقير ؟ وما استغناء البعض بالمال واستعلاء البعض الآخر بالمناصب او النفوذ الا نتيجة ما بين العقول من التفاوت والنفوس من التفاضل فمهما حوروا في النظامات وعدلوا في اللوائح يبقى عدم المساواة كما كان — الا اذا اطفأوا في الانسان نور العقل واخمدوا حياة النفس وحرموا عليه المرونة وجعلوه آلة صماء لا فرق بينه وبين وحوش الفلاة وطيور السماء !

٤ — اذا تقرر هذا سهل ادراك قيمة ما يسمونه « حق التصويت العمومي » فانه نتيجة لازمة لمذهب سلطة الامة ومصدره فكر المساواة بين الجميع الذي يرجع الى مساواة العلم بالجهل والفضيلة بالرذيلة — مساواة احقر رجل في البلد بعضو جمعية علمية فيجعل غلادستون او تشمبرلن او السير ادوارد جراي ماله من التأثير على مصالح البلاد بالانتخاب ! ولما كان الجهلاء القصار النظر في الامور اكثر من العقلاء الخبيرين انتهت ازمة الحكم الى بعض القوالين الذين ينجحون في استمالة العامة بالصخب والضجيج والضرب على النغمات التي تطربها وهم اعجز الناس عن القيام بالسلطة والسير بالامة بمقتضى الحكمة والعقل . وفي هذا ما فيه من الضرر على البلاد فضلاً عن الاجحاف بحقوق الاكفاء والازدراء بمواهبهم ظلماً وعدواناً

ثم ان هذا الحق الموهوم مقصور على الذكور الراشدين مسلوب من النساء والفتيان بتناقض غريب لا يفسره ما يعللونه من قصور النساء والفتيان وصغر عقولهم اذ هذا يفتح الباب للاعتراض عليهم بقصور وصغر عقول السواد الاعظم من كل امة ومطالبتهم بالتمييز بين افرادها وضمان فوز رأي عالم واحد على آراء كذا رجال عاديين كما في البلجيك وهذا واجب عدلاً . ولكنهم خائفون على المساواة اللفظية ان تنتهك حرمتها وعلى بنائها الظاهر ان يثلم . وجلون من هذه العامة لا يجرأون على مواجهتها بالحق والصياح في وجهها « انك حمقاء لا تفقهين شيئاً » فتضيع مصالحهم وتذهب آمالهم في السلطة اللذيذة فانهم ما اوجدوا هذا الفكر وسنوا هذا النظام الا بغية استغفال الامة واعمائها بما يحرقونه تحتها من بخور التمجيد والتقديس . وهم والفرد المستبد سواء في ارادة التمكن منها : هذا يذلها ويحطها الى الحضيض فتخضع وهؤلاء يرفعونها الى السماء ويتسلطون عليها بامر منها ! ... فيخالفون العقل ويجاوزون العدل ثم يحسبون انفسهم حماة المساواة ومؤيديها وما هم الا الد اعدائها لانهم يساوون بين ما لا يتساوى

اما اذا رجعوا عن هذا الوهم وكسروا هذا الصنم الجديد الذي يسجدون له صباح

ساء اوقفوا تيار شهوات العامة عند حد وولوا الحكم اهله فاسعدوا البلاد وخدموا الوطن وحسبهم من الحياة الاخلاص والصدق والثمرة الطبيعية لاستعدادهم وفراغهم

٤ ـ العامة

• العامة — اجارنا الله منها ولا سلطها علينا يوماً — « مجموع اعمى لا يدري ما يريد لانهُ لا يدري ما يصلح له »[1] سئل الامام علي عن العامة فقال « همج رعاع اتباع كل ناعق » و يشهد التاريخ ان هذا عين الصواب . راجع ما كانت عليه العامة عند اليونان فالرومان فالمسلمين ثم راقب احوالها في هذه الايام تجد ان اخلاقها واحدة لم تتغيّر وما تغير الا الزمان والمكان والمظاهر العرضية : جهلٌ وكبرياء في آن واحد يصحبهما استبداد . وتعلم ان نقمتها حلت دائماً بالامناء الذين لا يخافون في الحق لومة لائم فابوا مطاوعتها على غيها وتقدموا لارشادها فما كبرت ذلك واعدمتهم او نفتهم ونصبت عليها من تفنن في تملقها والتودد اليها واغدق عليها المال واكثر من الوعود . كم من قائد مغوار وسياسي حكيم وحر كريم ذهبوا ضحية هذه السلطة وما جنى عليهم الا شعائرهم الشريفة وتشددهم في الحق وحبهم للوطن واهله ولكن على غير طريقة العامة ومغرضيها . لذلك ترى اصحاب العقول الراجحة والنفوس العالية يتنكبون عن السياسة ويهربون من المناصب العمومية لما يستلزمه بقاؤها في ايديهم من بذل ماء الوجه وتجرع غصص الذلة لقوم لا يعقلون . فلم يحكم العامة في عهد « تسلطها » الا من سفلت نفسه فتغاضى عن نقائص الشعب حبّاً بالمنصب بل واراد ان يحولها لمصلحته وينتفع منها فيسر لها السبيل وتركها تنمو و يتعاظم شرها كل يوم الى ان بلغ سيلها الزبى فجرفته مع ما جرفت في الطريق و بئس المصير

ورأى البعض ان افعل وسائل الاستعباد وقتل الشمم والقضاء على كل فضيلة في النفوس اشباع الجسد وارضاء الشهوات فتخمد همة الانسان ويبطر . لذلك اطعمت حكومات اليونان والرومان والمسلمين عامتها ورتبت لها القمح واللحم والزيت . ولا يزال يدوي صراخها في عهد قيصر : الخبز والملاهي ! — الخبز الذي يقيت الجسد والملاهي التي تميت النفس . والحكام يعدون من حسن السياسة اجابتها الى ذلك ولا يتأخرون عنهُ طبعاً والا سقطت سلطتهم . واليوم تميتها الحكومات الغربية بالقوانين « الاجتماعية » ومعاشات الشيوخ الخ . . فتقعدها عن مناوأتها وتحفظ لنفسها حياة تعيسة لا تلبث ان تزول

من المشاهد انه اذا احتشد الناس كثيراً زال عنهم السكون المعتاد وخلعوا الوقار ودارت برؤوسهم خمرة غريبة تجعلهم يقدمون بلا مبالاة على افظع الجرائم . العامة تفتك

---

(١) العقد الاجتماعي . الكتاب الثاني . الفصل السادس

سقراط وصلبت المسيح وقضت عليه لصاً سفاكاً وقد كانت قبل ذلك بايام تصرخ له ابتهاجاً عند دخوله الى اورشليم . فسأل الوالي الجموع : واي شر صنع ! فازدادوا صياحاً وقالوا : ليصلب ... دمه علينا وعلى بنينا . » وما ذلك الا لان « رؤساء الكهنة والشيوخ اقنعوهم به » ! — هذا شأن الاحمق يدور مع كل ريح ويزداد صياحاً اذا موقع فيما يشتهي . لم يتعلم المنطق فيجيب على السؤال بما يقتضيه ولا هو يعرف الاجابة بل يصيح كالاطفال ويزداد صياحاً . كانت عامة فرنسا بالامس تطلب بالحاح الغاء عقوبة الاعدام رحمة بالانسانية وابعاداً للهمجية فاتفق ان رجلاً اسمه سوليلان اختطف فتاة وقتلها شر قتلة فهاج احساس العامة وجاش صدرها وقامت وقعدت طالبة ابقاء هذه العقوبة وتطبيقها عليه بمثل الالحاح الاول واشد !!

ولقد عرض شكسبير العامة على انظار القراء والمتفرجين في كل حالاتها وصورها ابدع تصوير فاذا هي هي . اقرأ رواية يوليوس قيصر خصوصاً واعتبر بما اظهرت من الغباوة والتذبذب بين برتوس وانطوان يتغالبان وهما عليها ويترامياتها كالكرة فتنجذب الى اتقنهما لصناعتي الكلام والمداهنة وابرعهما في اثارة اطماعها واهاجة شهواتها — شأنها في كل زمن

٥ — السلطة لخاصة العقلاء والعلماء

٦ — هذه هي العامة التي اعطوها السلطة المطلقة فكانت كالسكين في يد الطفل يجرح بها نفسه ويؤذي غيره . هلاَّ عقل مخالفونا في الرأي ورجعوا الى رشدهم وتحللوا من قيود فلسفتهم اللفظية وسلموا معنا بهذه القضية « العملية »

ان وظيفة كل شيء تستنتج من حقيقة طبيعته . وان طبيعة العامة منافية لكل حكم لانها متقلبة في اهوائها واغراضها « غير عارفة بما يصلح لها » كما قال روسو نفسه . والا فانهم يولونها بمذهبهم هذا ويضطرون للاعتراف بمشروعية كل امر تأتيه مهما كان مخالفاً للعدل والحق لانها صاحبة السلطة كلها . كأن تضيق على الاقليم التي لا تدين بدينها وتسن لها قوانين جائرة وتستغل اعناقها واغتصاب اموالها في مالا دخل له في الحياة المدنية الصرفة كما هو جارٍ في فرنسا الآن . او كأن يقف مسيو فيفياني احد اعضاء وزارة كليمنسو الحالية ويقول بملء فيه وسط مجلس النواب في سياق خطبته الشهيرة « انا اطفأنا في السماء كل نور وقلنا للرجل الساجد على وجهه : قم . ان هذه القبة المضروبة حولك من رصاص لا ينفذ فيه دعاء ولا صلاة وليس وراءها الا وهم ! » فتصفق له الاغلبية وتقرر نشر هذا القول السمج في بلاد تدعي المدنية . هل يقبل اصحابنا المصريون المسلمين ان تجمع عامتهم

يوماً ما على الكفران ونبذ القرآن !

٧ — ولا انكر ان بعض الملوك المطلقين طغى وبغى وضرب بالنواهي الالهية عرض الحائط واستباح كل محرم ولكنني انكر عليه مثل هذا التصرف ولا اعترف له بشمل ذلك الاطلاق وان حصل له فعلاً احياناً لسوء الحظ ولا انا من اشياع حكومة الفرد · ولم يقل احد من اشياعها بوجوب الاحتفاظ بها على عيوبها ولا ادعي ان الملوك فوق سائر البشر غير مقيدين بالحق والعدل — الا طائفة فسدت ضمائرها ولأمت طباعها فصرحت بهذا الكذب تقرباً للحاكم وجلباً لمنفعة دنيوية لا رعاها الله · وقولها لا يعتد به

وان ما ذهبت اليه في هذا البحث مبني على ادلة قوية مؤيدة بما قل ودل من الشواهد التاريخية بكيفية يمتنع معها رده على ما اظن · وافضل حكومة في رأيي هي التي يشترك في ادارتها اكابر البلاد عقلاً ومصالح ممن حازوا الرتب العلمية العالية او برهنوا في الحياة على صفات نادرة · لان الفرد قاصر وميال للاستبداد مما لا يحتاج الى شرح ولان الامة بمجموعها قاصرة كذلك وميالة للاستبداد كما بينا نظرياً وكما سنبينه من الوجهة العملية في عدد آتٍ ان شاء الله

يوسف كرم

---

# المركبات الهوائية

ما برح الانسان من اقدم ازمانه يحسد الطير على تحليقه في الجو · لانه اذا استطاع الطيران نجا من الحيوانات المفترسة التي تطارده ولا يقوى عليها ولا يغنيه الفرار من بين يديها · وقد يستعين بالطيران على مطاردة الطيور السابحة في الهواء كما يطارد الاسماك السابحة في الماء والدواب السارحة على الغبراء · على انه ما لبث ان تحقق عجزه عن الطيران حتى يئس واكتفى بما بين يديه واستنبط في دفع الضواري والكواسر حيلاً غلبها بها واذلها · فلما تمدن وابتنى السفن خاض بها البحار وشاد القصور وخطط الشوارع وركب المركبات واقتضى حاله تقريب المسافات وتسهيل الانتقال خطر له ان يركب الهواء كما يركب الماء فيصطنع سفناً هوائية يحلق بها وهو يرى وجه الارض كالخريطة الملونة بما فيها من الجبال الغبراء والمروج الخضراء والانهر البيضاء تتخللها المنازل والقصور او المعاقل والحصون فاخذ يفكر في الطريق المؤدي الى ذلك الطيران فعمد كعادته في اكثر مخترعاته الى تقليد الطبيعة فنظر في الطيور وكيف تطير واخذ في تقليدها

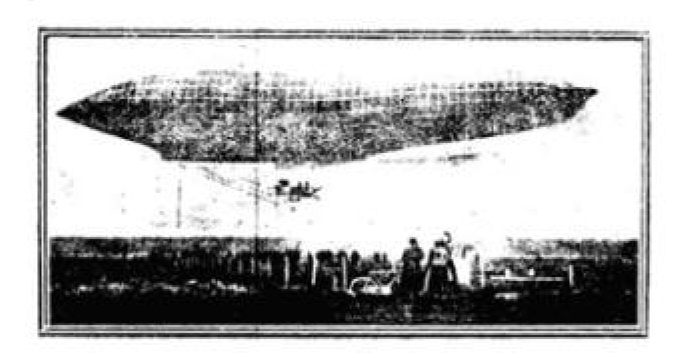
وقد يتبادر الى الاذهان ان الطيران في الهواء كالسباحة في الماء فجري المركبات الهوائية كجري المركبات المائية ولكن بين الحالين فرقاً كبيراً لان السفينة لا تحتاج في تسييرها الا الى آلة تدفعها الى الامام او تديرها ذات اليمين اوذات الشمال • واما في اختراق الجو فتحتاج اولا الى الصعود • وقد حاول بعضهم اصطناع اجنحة دعمها بقضبان من حديد وشدها الى ساعديه بشكل يشبه الطير فلم يجد في نفسه قوة على الارتفاع لان ثقلها اكثر مما يستطيع حمله بقوته ــ ذكروا غير واحد من هؤلاء حاولوا الطيران في اثناء الاجيال الوسطى ولم يفلحوا • ولا نقدر ان نثق بما يروونه عنهم وفي جملتهم باكون الشاعر الانكليزي المشهور وغيره وليس في ما يروى عن هؤلاء خبر صريح الى القرن السادس عشر فذكروا كيماوياً ايطاليا زار اسكوتلاندا على عهد جيمس الرابع وقد اصطنع اجنحة من اصناف الريش وزعم انه يقدر ان يطير بها من اسوار قلعة سترلين الى فرنسا ولما حاول ذلك فعلاً سقط قرب القلعة وكسر فخذه • والف بعض الانكليز على هذه الحادثة رواية محزنة • وفي اوائل القرن السابع عشر نشر عالم اسمه فلايدر مقالة في الطيران وعلله بالعلم فانخدع بادلته راهب اصطنع اجنحة وحاول الطيران بها فسقط وكسر فخذيه ومات • واشتغل غير هؤلاء في تعديل هذه الطريقة حتى وفق بعضهم الى اختراع البالون

والبالون اوالمنطاد عبارة عن كيس يملأ غازاً اخف من الهواء فيطلب الصعود في الجو بطبيعة الجاذبية فيحمل معه ما يتعلق به من الناس اوالادوات • واقدم من فطن له راهب يسوعي اسمه فرنسيس لانا كتب فيه سنة ١٦٧٠ واصطنع كرات كبيرة من النحاس رقيقة الجدران قطر الواحدة بضعة امتار اذا فرغ الهواء منها خفت وبرهن ان الصعود ممكن باربع كرات قطر كل منها ٢٥ قدما وثخن جدارها ١/٢٢٦ من القيراط يعلق كل واحدة منها بزاوية من زوايا سلّ مربع بحبل طوله بضعة امتار • وينصب في وسط السل سارية يشد اليها قلع وتفرغ الكرات من الهواء على قدر الامكان فتخف وتصعد وتحمل معها السلّ وفيه رجل او بضعة رجال • ولما هموا باخراج هذا الرأي الى حيز العمل وجدوه مستحيلاً لان ثخن جدار تلك الكرة الكبيرة أضعف كثيراً من ان يحفظ قوامها فكيف يحمل غيرها

على ان هذا الاختراع وان لم ينجح بنفسه فقد هيأ الاذهان الى تصور البالون الحقيقي • واول من باشره واتقنه اخوان اسماهما اسطفان ويوسف مونكوفليه من اهل انوني بجوار ليون بفرنسا • وقد تنبها الى هذا الاختراع من مشاهدة السحاب معلقاً في الهواء فخطر لهما انهما لو استطاعا وضع ذلك السحاب في كيس صعد الكيس الى اماكن

السحاب • وجربوا ذلك فعلاً وملأوا كيساً من الدخان او من الهواء السخن المتصاعد عن النار وهو طبعاً اخف من الهواء الاعتيادي — جربوا ذلك سنة ١٧٨٣ بكيس من النسيج محيطه ١٠٥ اقدام على مشهد من جماهير الناس فصعد البالون في الجو مسافة بعيدة ثم تفنن غيرهم بالغاز الذي يملأ به البالون حتى ملأوه من غاز الهيدروجين وهو اخف من الهواء كثيراً ولا يخشى ان يقلصه البرد ويسقط كما يحصل في البالون المملوء هواءً حاراً

على ان البالون مهما بلغ من اتقان صنعه وتحليقه في اعالي الجو لا فائدة منه اذ لا يمكن ركوبه او الانتفاع من صعوده الا اذا استطعنا ادارته كما تدار السفن المائية بالدفة او المجاذيف • وهذا ما وجه العلماء والصناع انظارهم اليه واخذوا يستنبطون الطرق للسفر في الهواء كما يسافرون في الماء



١ — البالون ريبوبليك

فاتخذوا في هذا السبيل طرقاً شتى فبعضهم تفنن بشكل البالون وعلق في اسفله آلة قلد بها الآلة التي تحرك السفينة بالدولاب الذي يسمونه « الفراش » وقد نشرنا له غير رسم في بعض اهلة السنين الماضية • ونرى في الشكل الاول صورة اخر ما بلغوا اليه من اتقان هذه المركبة الهوائية البالونية وهو الطراز المسمى ريبوبليك • وقد جربوا تسييرها على عدة اميال على مشهد من جماهير الناس فاتت بالنتائج الحسنة ولا محل هنا لتفصيل بنائها وكيفية تحريك آلاتها ولكنها كثيرة الاتقان • واشهر البالونات التي بنيت من هذا الطراز ونجحت بالون « زبلين »

وقد نال زبلين حظاً وافراً من النجاح منذ بضعة عشر عاماً • ومركبته من النوع



ش ٢ — مركبة زبلين طائرة

البالوني الذي نحن في صدده وهي هائلة الحجم طولها ٣٩٠ قدماً وقطرها ٣٩ قدماً وتظهر لاول وهلة أنها منطاد واحد ولكنها مؤلفة من سبعة عشر منطاداً متحاذية متلاصقة يغشاها كلها غلاف واحد من قماش متين كثيم لا ينفذ فيه الماء ولا الغاز • فالمركبة بهذا الاعتبار مؤلفة من ١٧ غرفة طول كل منها ٢٤ قدماً يفصلها بعضها عن بعض حواجز مستديرة مثل عجلات البيسكل • قضبانها مصنوعة من الالومينيوم لخفته • فاذا ارسلت نظرك في المركبة من احد طرفيها الى الاخر تخيلتها مملوءة بعجلات البيسكل الواحدة وراء الاخرى ولكن كل غرفة بالحقيقة منطاد مستقل • لانها مغطاة بغشاء مستقل من الحرير مبطن بالكاوتشوك بجملته كتيماً يمنع نفوذ الغاز منعاً تاماً • واذا ملئ المنطاد بالهيدروجين ظل هذا الغاز محفوظاً فيه اسبوعاً او اسبوعين

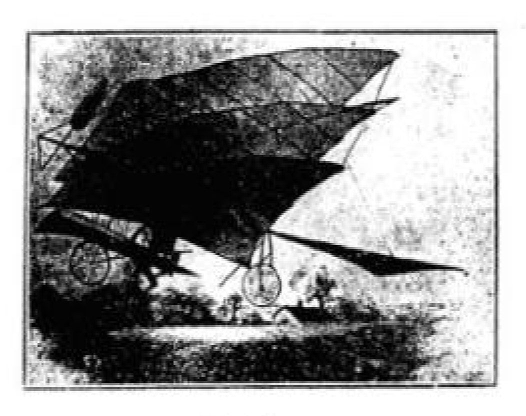
وعلى سطح المركبة من الخارج ملاط يمنع اذى الحرارة والمطر • ومساحة التجويف كله ١٢,٠٠٠ متر مكعب تبلغ نفقة غاز الهيدروجين اللازم لملئه خمسمائة جنيه ويحملون الغاز اليها في ٣,٢٠٠ قنينة من الحديد تفرغ فيها على السواء في اثناء خمس ساعات بواسطة انابيب داخلية مصنوعة لهذه الغاية

وليست المشقة في بناء هذه المركبة والانفاق عليها فقط ولكن المشقة في ارسالها الى الجو والقبض على زمامها في اثناء الطيران · وهي الضالة المنشودة التي تقضي ارباب العلم والصناعة اعواماً طويلة في البحث عنها حتى وفق اليها الكونت زبلين صاحب هذه المركبة ولو اردنا تفصيل طريقته في ذلك لطال بنا الكلام فنكتفي بالاشارة الى اهم الآلات المحركة لها : منها اربعة مجاديف لولبية كبيرة اثنان من جهة مقدم المركبة واثنان من جهة المؤخر · واللولب عبارة عن دولاب انصاف اقطاره عريضة كالمجاذيف اشبه شيء (بفراش) البواخر التي اذا دارت في الماء حركت السفينة الى الامام او الوراء · يدور كل من هذه اللوالب الف دورة بالدقيقة وفي المركبة قاربان خفيفان من الالومينيوم معلقان اسفل اللوالب يحملان ربان المركبة وملاحيها وما يحتاجون اليه من الادوات · وبين القاربين ممشى من الالومينيوم ايضاً

وفي بناء هذا المنطاد من الاجزاء اللازمة لتسييره ماعدا اللوالب والقوارب شيئان مهمان الثقل والدفة · فالثقل عبارة عن كتلة من الرصاص وزنها ثلاثمائة كيلو غرام مشدودة الى اسفل المركبة بحبل تجرّ به من احد طرفي المركبة الى الطرف الآخر بواسطة آلة خاصة بذلك · والغرض من هذا الثقل خفض مقدم المركبة أو مؤخرها على ما يراه السائق في خطة مسيره · فاذا جرّ الثقل الى المقدم خفضهُ فيرتفع المؤخر والعكس بالعكس

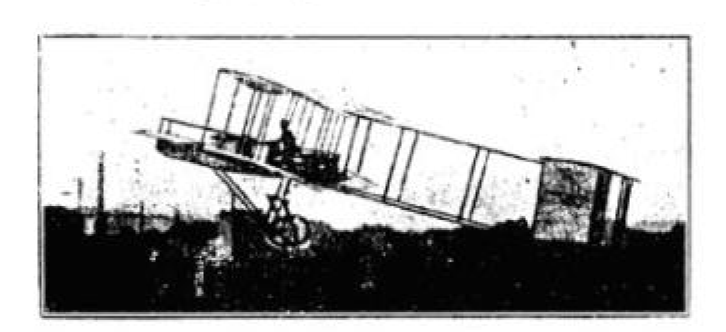
واما الدفة فعليها العمل في ادارة المركبة الى اليمين او اليسار مثل عمل الدفة في سفن البحار · وهما دفتان واحدة في المقدم والاخرى في المؤخر تتصلان بالقاربين باسلاك تساعد ساقة المركبة هناك على ادارتهما عند الاقتضاء · وهما مصنوعتان من قماش متين في اطار من الالومينيوم

واشتغل آخرون في اختراع المركبة الهوائية من غير طريق البالون فاخذوا في تقليد الطبيعة وجعلوا اجنحة الطيور قاعدة العمل فنظروا في فلسفة الطيران وكيف يصعد الطير في الجو وكيف يتحوّل يميناً او شمالاً وصعوداً أو هبوطاً واخذوا في استنباط الآلات يقلدون بها الطير ويصنعون اجنحة من النسيج كالاشرعة تنصب على آلة تحركها نحو ما يحرك الطير اجنحته بعضله وتفننوا في ذلك وجعلوا في ذيل المركبة شراعاً يقوم مقام ذيل الطير وهو فيه كالدفة للسفينة تديرها شمالاً او جنوباً · واشهر الامثلة على هذا الصنف من المركبات الهوائية مركبة الطيار ولها عند قاعدتها عجلتان تقف عليهما عند الحاجة أو تمشي عليهما قبل الطيران



ش ٣ — طيارة الهامر

وهناك طرزاً آخر من المركبات الهوائية قلدوا بها الطيارات الافرنجية المعروفة التي يلهو بها الاحداث فيرسلونها في الهواء مشدودة الى خيط وهي مربعة الشكل اشبه بصندوق وتختلف عن الطيارة الشائعة في الشام ومصر التي هي عبارة عن صحيفة مستديرة او مسدسة او مثلثة . واشهر الباحثين في هذا الشكل من المركبات الهوائية هنري فرمان فانه اصطنع مركبة مؤلفة من عدة طيارات افرنجية على شكل يسهل الطيران بها يجلس السائق او الربان في مقعد وبين يديه آلة يدير بها الدفة وتطيير هذه الآلة يرجع الى البدأ تطيير الطيارة



ش ٤ — مركبه فرمان

فان هذه انما تطير لمقاومتها الهواء وهي على سطح مائل فالولد يشدها بالخيط اليه والهواء يصدها وهي منحرفة نحو الامام والاعلى فتذهب بين القوتين وتطير . ومركبة فرنان التي نحن في

صدرها قائمة على اربع عجلات اثنتين في الامام واثنتين في الوراء . ولكن الاماميتين اعلى من الخلفتين ببضعة امتار كما ترى في الشكل الرابع فيحرك السائق العجل كما يحركها راكب البيسكل فتجري الى الامام وكلما اسرعت رفعها الهواء الى الاعلى على مبدأ الطيارة التي ذكرناها ولا تزال ترفعها حتى تعلو ويحملها الهواء ومساحة هذه المركبة عبارة عن مساحة اشرعتها وطولها عشرات من الامتار

على ان هذه الانواع وغيرها مما لم نذكره انما يرجى الانتفاع منها في الاسفار الماثلة المركبة البالونية . وقد تمكنوا من السفر بها في اوربا واميركا بما لم يكن يحلم به الناس من قبل وقد دخل الملوك والامراء في شؤونها وتشطوا اصحابها فركب ولي عهد المانيا بالامس في مركبة زبلين وانعم والده على صاحبها باعظم وسامات المانيا . وقال عنه انهُ اعظم رجل الماني في هذا العصر وانهُ فاتح العالم الهوائي . وقد ذكرنا في غير هذا المكان استخدام الفرنساويين المناطيد في الاشراف على معسكر اعدائهم في مراكش . والدول تتسابق الآن في اجادة هذا الاختراع كما تتسابق في اتقان الاساطيل والبنادق والمدافع وسيأتي يوم يكون للمركبات الهوائية شان كبير فيستغني بها عن كثير من سفن البحر ومركبات البر

## المسكر والهيأة الاجتماعية

لم ترَ المدنية سوءًا اكثر في جسمها من المسكر . وقد يعترض ان الفحشاء والمقامرة اكثر ضررًا واسوأ مصيرًا . لكنك اذا نظرت الى العاقبة وفكرت في الاسباب والمسببات رأيت المسكر اكثرها ضررًا لانهُ كثيرًا ما يكون الباعث على سائر المنكرات لان الانسان يعمل في سكره مالا يجرأ عليه في صحوه ولذلك قالوا « السكر رأس المعاصي » وهي حكمة مبنية على الاختبار وقد يتبادر الى الاذهان اننا نريد بالسكيرين الذين يترنحون ويعربدون ويخلطون في اقوالهم او يفقدون رشدهم اويتقيأون ما في احشائهم . نعم اننا نريد هؤلاء ولكننا نريد ايضًا طائفة من الادباء واهل الوجاهة ادمنوا على المسكر بالاقتداء او الاستطراق وهم لا يحسبون انفسهم في عداد السكيرين لانهم لا يعربدون ولا يترنحون ولا يفقدون رشدهم بل قد يكونون في حال سكرهم اوعى منهم في حال الصحو . ولكنهم مع ذلك مولعون بالشرب مدمنون عليه فاذا مالت الشمس انقبضت نفوسهم واظلمت قلوبهم ولا يزالون في تلك الظلمة الى ان تشرق شمس الحميا في الكاس ثم تدب في عروقهم دبيب الافعى ولكنها

تطربهم وتفرج همومهم فيعاقرونها ساعات متوالية وهي تزيد وجوههم اشراقاً وقلوبهم انبساطاً وربما دام سرورهم الى آخر الليل . وقد يثابرون على هذه الحال اياماً او اشهراً او اعواماً وهم لا يرون ما يكدرهم ولا ما يدعو الى العدول عن معاقرتها . وقد نرى جماعة منهم يزدادون سمناً وصحة (بحسب الظاهر) فلا غروَ اذا اعدها بعضهم علاجاً شافياً لكل الامراض فاذا اصابته الحمى عمد الى البيرة واذا خاف الوباء الوافد تدرع بالكنياك او الوسكي

وهناك فئة ثالثة من مدمني الخمر يشربونها لتنبيه شهوة الطعام او لمساعدة في الهضم او نحو ذلك من الفوائد الصحية (على زعمهم) . فهم لا يتناولونها الا قبل الاكل او على المائدة و يفاخرون بتناولها و يصفونها لاصدقائهم واخصائهم دواء شافياً . ولكنهم مع ذلك قد ادمنوا عليها حتى اصبحوا لا يستطيعون طعاماً ولا يهنأ لهم زاد الا اذا جعلوا زاشه كأساً او كؤوساً من العرقي او الكنياك او البيرة

وهناك طائفة اخرى من مدمني المسكر يريدون به ازالة الهموم او استجلاب المسرات وهم السواد الاعظم من المدمنين واكثرهم من اواسط الناس واكابرهم وفيهم جماعة كبيرة من اهل الوجاهة يتنا ... منهم من يشرب في منزله ومنهم من يشرب في الحانات واماكن اللهو وهم يفعلون ذلك ولا يعدون انفسهم من المدمنين لانهم لا يسكرون ولا يعربدون . ولكن ضرر المسكر لا يفوتهم واذا فاتهم ضرره الاجتماعي او الادبي فلا يفوتهم ضرره الصحي ان بضعة اقداح من الخمر متى صارت عادة تطلبها النفس ولا ترتاح الا بها يغلب ان تطلب الزيادة منها . نعرف غير واحد من خيرة الادباء ومتخرجي المدارس العالية سيقوا الى هوة المسكر حتى ادمنوه وهم لا يشعرون وكانوا في بادىء امرهم ينتقدون كل شارب ثم اجازوا لانفسهم قدحاً قبل الطعام على اعتقاد انهُ لا يضرّ وهم في اثناء ذلك يهزأون بالمدمنين ويؤنبونهم و يستخفون احلامهم ويعجبون لتعلقهم بالشرب وكيف انهم لا يستطيعون ابطاله ثم ما لبثوا ان تدرجوا هم حتى صاروا من المدمنين . وسواء زاد مقدار ما يشربونهُ ام ظل قليلاً ان الضرر واقع على الصحة لا محالة لأن كبد مدمني المسكرات تختلف عن كبد سواهم وشرايينهم تختلف عن شرايينهم ومعدهم تختلف عن معدهم كما فصلنا ذلك وصورناه في السنة الثامنة من الهلال

ويقال بالاجمال ان القوة الحيوية في مدمني الخمر اضعف منها في سواهم ولا يظهر ضعفهم من هذا القبيل الا اذا طرأ عليهم مرضٌ يشفى منهُ غير المدمن باسبوع فلا يشفى منهُ المدمن باسابيع . واذا كانت العلة شديدة تقضي على حياة السكير فلو لم يكن سكيراً لشفي

منها . وشواهد ذلك كثيرة يعرفها الاطباء . فقد رأيناهم مراراً بجانب فراش العليل اذا سئلوا عن حاله وهل على حياته خطر اجابوا « لو لم يكن مدمناً المسكر لكان الشفاء مرجحاً اما وهو من المدمنين فالامل في الحياة ضعيف » ـ ولا ينتبه مدمن الخمر الى هذا الضعف وهو في حال الصحة لانهُ يرى جسمه يزداد سمناً ووجهه اشراقاً ولو تفحص احشاءه لرأى كبده تضمر وشرايينه تتصلب وامعاءه تضعف فتداهمه الشيخوخة قبل زمن الكهولة . ناهيك بما يظهر من دلائل الضعف في عقله او خلقه او آدابه

لان المسكر لا يقتصر ضرره على الابدان فقط ولكنهُ يتطرق الى العقول والاخلاق والآداب ولا يثبت ذلك صريحاً الا الاحصاءات الطبية والاجتماعية وهي شهادة الارقام لاسبيل الى دفعها . فنقتصر على احصاء اضرارها في العقول والآداب وقد تقدمت الاشارة الى اضرارها البدنية

يؤخذ من الاحصاءات الاخيرة عن حوادث الجنون في العالم المتمدن نقلاً عن كشوف المستشفيات المبينة فيها الاسباب ان الحوادث الناتجة عن ادمان المسكرات تتراوح بين ربع عدد المصابين ونصفهم باختلاف الممالك والاقاليم اقلها في ذلك انكلترا وويلس واكثرها باريس على هذه الصورة نقلاً عن تقارير المستشفيات في البلاد المذكورة

| اسم الاقليم | حوادث الجنون الناتجة عن المسكر | |
|---|---|---|
| الولايات المتحدة | من ٢٥ ـــ ٣٠ | في المئة |
| انكلترا وويلس | ١٤٫٦ | « « |
| اسكوتلاندا | ٦٢ | « « |
| باريس | ٥١ | « « |
| فينا | ٤٠ | « « |
| بروسيا | ٤٥ | « « |

واما تأثير المسكر على الاخلاق والآداب فيستدل عليه من احصاء الجرائم التي يسببها المسكر وهذا جدول الجرائم الناتجة عن المسكر بالنظر الى مجموعها باختلاف البلاد الآتية :

| اسم البلاد | الجرائم الناتجة عن المسكر | |
|---|---|---|
| انكلترا وويلس | ٩٠ | في المئة |
| ماساشوستس باميركا | ٥١ | « « |
| او بورن | ٤٢ | « « |

| | | | |
|---|---|---|---|
| سكوتلاندا | ٩٠ | « | « |
| ايرلندا | ٨٠ | « | « |
| المانيا | ٤٣ | « | « |
| فينا | ٥٨ | « | « |
| باريس | ٨٣ | « | « |

وهناك ضرر عظيم الاهمية يرجع سببه الى المسكر ايضاً نعني الفقر · ويؤخذ من احصاء الفقراء في ماساشوستس ان ٣٩ في المئة من الفقراء سبب فقرهم المسكر وفي سائر الولايات المتحدة نسبتهم ٣٣ في المئة وفي انكلترا بين ٣٣ و ٥٠ وفي المانيا ٧٧ وفي جنيف ٩٠ في المئة

والخلاصة ان نحو ثلث الفقراء المنتشرين في انحاء العالم المتمدن سبب فقرهم ادمانهم على المسكر هم او آباؤهم فولدوا ضعاف البنية لا يقوون على العمل · وان نحو ربع المصابين بالخبل او الجنون سبب جنونهم الادمان على المسكر وقل نحو ذلك في اصحاب الجرائم

ومما ينبغي الالتفات اليه من عواقب المسكر الضرر في النسل · ومن المقرر المشهور ان ابناء السكيرين اهل عاهات ويغلب فيهم البله والجنون والكساح والصرع ويكثر فيهم سوء الخلق والميل الى المنكرات كالسرقة والفسق ويتسلسل ذلك في اعقابهم حتى ينقرض نسلهم

# احتفال العثمانيين

## بفتح مجلس المبعوثان

تم انتخاب اعضاء مجلس المبعوثان فبلغ نيفاً ومئتي عضو ومتى وقفنا على اسمائهم ننشرها لتحفظ في بطون التاريخ · على اننا نذكر الاحتفال بافتتاح هذا المجلس فقد جرى يوم ١٧ دسمبر الماضي في قصر بجانب جامع ايا صوفيا بالاستانة يشرف على هذا الجامع من جهة وعلى بحر مرمرة من جهة أخرى · وفيه طبقتان احداهما لمجلس المبعوثان والأخرى فوقها لاجتماع مجلس الاعيان · افتتح مجلس المبعوثان جلسته الاولى بحضور جلالة السلطان في منتصف اليوم المذكور وقاعة الاجتماع لا تزيد مساحتها عن عشرين متراً في مثل نصفها · ولذلك فهي تضيق عن النواب فكيف عمن جرت العادة ان يحضروا الجلسات من كتاب الصحف وغيرهم · في صدرها من الجهة الغربية مجلس الرئاسة يصعد اليه بعدة درجات في وسطه كرسي الرئيس والى جانبيه

يقعد وكيلاؤه وكتاب المجلس - وامام مجلس الرئاسة منبر الخطابة وامامه مقاعد المبعوثين على طول القاعة · والى يسار مجلس الرئاسة اللوج المعد لجلالة السلطان والى يساره لوج اعضاء العائلة المالكة وفوقها لوج طويل يجلس فيه اصهار الحضرة السلطانية و ياورانه · والى يمين مجلس الرئاسة مقابل اللوج السلطاني لوج السفراء وفوقه لوج الصحافيين وتجاه مجلس الرئاسة في الجانب الشرقي للقاعة مكان يجلس فيه كتبة الاختزال (ستينوغراف) ويعبر عنهم في اصطلاح الاتراك بكتبة الضبط · والى كل من جانبي مكان الرئاسة اماكن معدودة لرؤساء الاديان والقواد ورجال الدولة الذين يحضرون الجلسات

ففي نحو الساعة الحادية عشرة جاء هؤلاء واستقروا في اماكنهم المشار اليها وبعد ساعة تقاطر النواب بالالبسة وجلس كل منهم في مكان اعدَّ له من قبل · وتولى رئاسة الجلسة موقتاً تقي افندي مبعوث طرابزون لانه اكبر الاعضاء سناً ثم جاء السفراء بملابسهم الرسمية ولبث القوم ينتظرون قدوم جلالة السلطان · ففي نحو الساعة الاولى بعد الظهر سمع صوت النفير المنبيء بقدوم الموكب السلطاني وبعد قليل دخل ستة من انجال جلالة السلطان ليس فيهم البرنس يوسف عز الدين افندي فانه لم يحضر وكذلك البرنس رشاد افندي ولي العهد · ثم ظهر جلالة السلطان في اللوج المعد له فنهض الحضور اجلالاً له فسلم على هيئة النواب والمدعوين باشارة اليد وهو السلام التركي · ووقف جلالته هنيهة ودلائل التأثر بادية في محياه · ثم امر الصدر الاعظم ان يقرأ النطق الشاهاني فسلمه الى جواد بك فقرأه بصوت عال وهذه ترجمته :

« اعيان المبعوثان

« منحت رعيتي القانون الاساسي حينما استويت على العرش ثم اوقفت العمل بهذا القانون بناء على ما عرضه علينا رجال الدولة في ذلك العهد لما لقوه من المصاعب في انفاذه الى ان يرتقي افراد رعيتنا في العلوم والمعارف · فتوقف انفاذ مواده وتأجل اجتماعه الى زمن آخر ومن ذلك الحين وقفت قواي على ترقية الرعية في المعارف في جميع انحاء السلطنة وقد بلغناوالحمد لله الغاية المطلوبة اذ بفضل انتشار المعارف ارتقت مدارك الرعية · وبناء على الرغبة التي عرضت علينا في اعادة انفاذ هذا القانون لم تتأخر عن اعلان الدستور رغم اعتراض المعترضين · وذلك لان هذه الرغبة تضمن سعادة البلاد في الحال والاستقبال · فامرنا باعادة الانتخاب وجمعنا مجلس المبعوثان مرة ثانية · ولما تغير نوع الحكم الاداري عهدنا في زمام الادارة الى الصدر الاعظم كامل باشا · ولكن بينا كانت الوزارة المؤلفة

برئاسته تشتغل بتنظيم الامور على النظام الدستوري الجديد نقض امير البلغار ووالي الروم ايلي حقوق التابعية لسبب من الاسباب واعلن استقلال بلغاريا . واعلنت حكومة النمسا والمجر على اثر ذلك ضم ولايتي البوسنه والهرسك اللتين عهدت اليها ادارتهما موقتاً بموجب معاهدة مؤتمر برلين وابلغت ذلك الى الباب العالي والدول . وقد احدثت لي هاتان الحادثتان اللتان خرقتا معاهدة برلين ومستا علاقاتنا الدولية اسفاً شديداً

« ولما خرقت هذه المعاهدات عهدنا الى وزارتنا في اجراء ما يجب دفاعاً عن حقوق سلطنتنا ونحن نطلب من مجلس المبعوثان ان يساعدنا في ذلك . ولما كانت صلاتنا الودية مع جميع الدول حسنة بتنا نؤمل ان هذه الدول تساعدنا على حل هذه المشكلات . ونحن نرغب من صميم القلب في اصلاح المالية وتنظيم الميزانية وزيادة رفاه الرعية . وزيادة عدد المدارس لانارة الاذهان ونشر المعارف . واتمام ارتقاء نظام الجندية والبحرية واصلاح الدوائر المختلفة التي وضعت لها بعض النظامات . وستعرض هذه النظامات على هذا المجلس ومجلس الاعيان للمصادقة عليها . واملنا وطيد ان النواب يبذلون غاية جهدهم في هذا العمل . فنحن نعلن اليوم افتتاح مجلس المبعوثان ورغبتنا الوحيدة هي سعادة الامة ورفاهها وغايتنا الكبرى هي ان تدير البلاد بحسب القانون الاساسي . بل هذا هو اقصى ما نوده ( تصفيق على مقاعد كثيرة خصوصاً في لوج الصحافيين ) فنسأل الله ان يوفق مجلس المبعوثان الى خدمة البلاد » . انتهى

وبعد الفراغ من تلاوة النطق المذكور اطلقت مئة مدفع ومدفع ايذاناً بافتتاح المجلس ووقف شيخ العلماء فدعا لجلالته ثم التفت جلالته الى الاعضاء وقال « اني مسرور جداً بوجودكم في هذا المكان واسأل الله ان يوفقكم الى خدمة سلطنتي السنية وادعو لكم من صميم الفؤاد » ثم سلم وخرج وسار بموكبه الى يلدز براً كما جاء

ثم حلف النواب اليمين القانونية وهذا نحواها « اقسم اني احافظ على الاخلاص للسلطان ما بقي جلالته محافظاً على الدستور الذي اقسم اليمين بالمحافظة عليه وانا كون اميناً للدستور ولوطني في المهمة التي انتخبت لها والله وبالله » وكان المراد ان يحلف جلالة السلطان اليمين ثانية بالمحافظة على الدستور وفاوضوه بهذا الشان قبل الحفلة فلم يرض اكتفاء بانه حلفها قبلاً بين يدي شيخ الاسلام . ودارت المناقشة في ذلك ثم تراضوا واكتفوا بيمينه الاولى جرياً على سياسة جمعية الاتحاد والترقي في توخي المسالمة والمحاسنة على قدر الامكان

ووردت على مجلس المبعوثان يوم افتتاحه رسائل التهنئة من بعض ملوك اوربا ومجالسها

الدستورية فوصل تلغراف جلالة ملك الانكليز وجلالة السلطان لا يزال في المجلس وفيه تهنئة جلالته بافتتاح مجلس المبعوثان . وجاء تلغراف آخر من البرلمان الانكليزي الى البرلمان العثماني وتلغراف آخر من مجلس الدوما الروسي بهذا المعنى . واشترك العثمانيون في سائر المملكة العثمانية بهذا الاحتفال فاقاموا الزينات وعقدوا الاجتماعات والقوا الخطب والقصائد في معنى الثبات والاتحاد والاستبشار بفاتحة عصر جديد . واطلقت المدافع في الولايات والمتصرفيات كما اطلقت في الاستانة وفي جملتها مصر والاسكندرية

ومن ابهج تلك الاحتفالات في الولايات احتفالٍ بيروت والاسكندرية والقاهرة فقد تليت فيها الخطب الرنانة ورفعت الاعلام والرايات وغيرها من علامات الزينة مما يضيق المقام عن ذكره . ونطلب اليه تعالى ان يتم نعمته علينا ويوفقنا الى ما تقتضيه الاحكام الدستورية لمصلحة الامة والدولة فنكون قد اتينا امرًا لم تستطعه امة من الامم الارض ويحفظ لنا التاريخ ذكرًا ستتخذه امم الاعصر المقبلة مثالاً في طلب حقوقها وقلب حكوماتها بلا سفك دماء ولا نصب عداء

## احتفال المصريين

### بالجامعة المصرية

واحتفلت الامة المصرية في ٢١ دسمبر الماضي بافتتاح الجامعة المصرية التي اشتركت الامة في انشائها كما ذكرنا في غير هذا المكان وعقدوا لهذا الاحتفال جلسة عامة في قاعة مجلس شورى القوانين حضرها الجناب العالي ووزراؤه وافاضل الدولة ولفيف من الاعيان والعلماء وكبار الموظفين غصت تلك القاعة بهم . وتقدم مجلس ادارة الجامعة الى سمو الخديوي رسمياً بخطاب تلاه البرنس احمد فؤاد باشا رئيس المجلس المذكور ان يفتح الجامعة فاجابه سموه بخطاب هذا نصهُ :

« يادولة الرئيس

« يا حضرات الاعضاء

« لقد حاز مشروع الجامعة المصرية لديَّ ارتياحاً عظيماً منذ توجهت اليه الافكار ولذلك فاني ارحب اليوم بظهوره في عالم الوجود اذ جاءت الجامعة في أوانها مكمّلةً

ومتوّجة لنظام التعليم الذي وضع اساسه جدي المجيد محمد علي وقوى اركانه اسلافي الكرام

« فاشكركم وجميع الذين عاونوكم بعلمهم وعملهم ومالهم على تحلية وطننا العزيز بهذا المعهد العلمي الجليل الذي اتمنى له النجاح

« وأؤكد لكم أنني مع حكومتي السنية سنواليه بالعناية والرعاية . ولي امل وطيد في ان اغنياء القطر وفضلاءه يستمرّون على التنافس في امداده بمعونتهم حتى تبلغ الامة غايتها منه ان شاء الله

« وانني أشاركم يا دولة الرئيس في تلك النصائح الحكمية التي ألقيتموها على الشبيبة المصرية وانا على يقين بانها ستواظب على العمل بما يضمن لها استحقاق ثقتي وثقة البلاد

« فباسم الفتاح العليم اعلن افتتاح الجامعة المصرية واسأله تعالى ان يجعلها منهلاً عذباً لطلاب العلم والعرفان على اختلاف الاجناس والاديان »

ثم خطب عبد الخالق باشا ثروت احد اعضاء مجلس الادارة في الاسباب التي بعثت على انشاء هذه الجامعة وما يرجى من النفع على يدها وتلاه احمد بك زكي سكرتير الجامعة بخطبة في تاريخ الحضارة بوادي النيل من عهد الفراعنة الى اليوم وتخلل ذلك ابحاث في تاريخ الحضارة الاسلامية . وخطب بعده الموسيو ألبير بوفيله استاذ الآداب الفرنساوية في الجامعة ـ استغرق ذلك كله نحو ساعة وسمو الامير حاضر والجلسة مهيبة . ثم خرج سموه وانفض عقد الاجتماع واخذت الجامعة من ذلك الحين توالي دروسها في البناية التي خصصت لذلك وتعرف ببناية جناكليس . فنتوسل اليه تعالى ان تأتي بالفائدة المطلوبة وان ترتقي وتتكيف الى ما يلائم حاجات هذا القطر السعيد . وقد وافق يوم افتتاحها اول فصل الشتاء الذي يبدأ نهاره في الطول . فقد التأمت الجلسة في الساعة العاشرة ونصف من ٢١ دسمبر وفي تلك الساعة يبدأ الفصل المشار اليه ويأخذ النهار في الطول . فعسى ان يكون ذلك فألاً حسناً بنمو هذا المشروع المفيد فتدخل مصر في عصر جديد يزداد به نور العلم والعرفان فيها عاماً فعام

---

# فتاة غسان

## الطبعة الثالثة

ان الجزء الاول من الطبعة الثالثة من « فتاة غسان » الذي كان تحت الطبع واستمهلنا طالبيه الى تمام طبعه قد صدر فمن كان في حاجة اليه فليطلبه من ادارة الهلال أو مكتبته

# تسبيع الدائرة

## هل هو ممكن؟

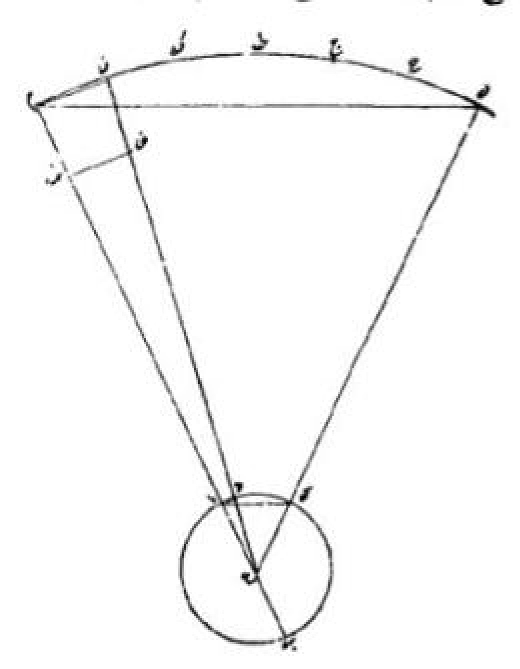
ان تسبيع الدائرة اي قسمتها الى سبعة اقسام متساوية من المشاكل الرياضية التي عرضت على قرائح الرياضيين منذ اعوام متطاولة وفرضت لها بعض المجامع العلمية جائزة يتالها صاحب الحل . وما من رياضي ظهر في هذا العصر الا اشتغل في حلها . والمراد قسمتها رياضياً اي بحسب القواعد الرياضية وان يقوم على صحتها برهان رياضي كما فعلوا في قسمة الدائرة الى ثلاثة اقسام والى اربعة وخمسة وستة . والرياضيون مختلفون في هل تسبيع الدائرة هذا ممكن او مستحيل . فالذين يرون امكانه يشتغلون في قسمتها بالهندسة او الجبر او الحساب او غير ذلك . وكم من رياضي قضى عمره في طلب هذه الضالة وهو يفكر في حلها يشتغل به عن سائر مطالب الحياة . واستغرق بعضهم في ذلك حتى نسي نفسه وسائر اهله واصبح لا يرى بين يديه الا ارقاماً او خطوطاً او اقواساً . وقد يقضي العمر وهو يتوهم انه اوشك الوصول الى الحل المطلوب فيبيت وهو يرجو ان يصبح وقد حلها فينقضي العام والاعوام والعمر ولا يقضي وطراً

واما الذين يرون تسبيع الدائرة مستحيلاً فلهم على ذلك ادلة لا محل لها هنا وانما اشرنا الى ذلك لأن الآن احد الادباء (ج . ا) بعث الينا حلاً لهذه المشكلة الرياضية نعني تسبيع الدائرة وقال أنه عرضها على احد الاساتذة الرياضيين في الاسكندرية فوساً لنا رأينا فيها فرأينا ان لا نستأثر بحكمنا عليها فبعثنا صورتها الى حضرة الرياضي منصور افندي جرداق نائب استاذ الرياضيات في المدرسة الكلية السورية وسألناه رايه في ذلك . فكتب الينا نقداً ذيله بما يدل على انه يعتقد استحالة حل هذه المسألة وينصح للمشتغلين بها ان ينبذوها ونحن ناشرون في ما يلي صورة الحل وصورة النقد للمقابلة بينهما . وقد كان في امكاننا الاقتصار على تبليغ النقد لصاحب الحل ولكننا اردنا بنشره استلفات نظر المشتغلين بحل هذه المسألة ونعرف جماعة منهم يقضون اثمن اوقاتهم في حلها فاذا اقتنعوا باستحالتها انصرفوا الى ما يفيدهم :

اولا ــ صورة الحل

لتكن الدائرة اس ب فعلينا ان نرسم فيها شكلاً قياسيا ذا سبعة اضلاع

ارسم القطر اب واخرجه الى م حتى ان الخارج منه يعدل ثلاثة امثاله اي من ع مركز الدائرة الى م يعدل سبعة امثال نصف القطر ع ا ثم من المركز ع والبعد م ارسم الدائرة م ل واقطع منها م ن • ن ك الخ ستة اقسام كل منها يعدل نصف القطر للدائرة



الحلك

اس ب وارسم من ل الخط ل ع يقطع الدائرة في س وعند تقاطع الخطين في الدائرة الداخلة ارسم الخط ا س فهو المطلوب اى هو ١/٧ للدائرة اس ب وارسم الخط م ل فهو ايضا ١/٧ الدائرة الخارجة والبرهان على ذلك :

ارسم الخط ن ع يقطع الدائرة في د وارسم الوترين م ن • اد فمن المعلوم ان الضلعين ع د • ع ا هما متساويان وهما ساقا المثلث ادع وكذلك الضلعان م ع • ن ع هما متساويان وعليه فالزاوية ع اد تعدل الزاوية ع م ن والزاوية ع دا تعدل الزاوية ع ن م والزاوية ع

مشتركة بين المثلثين ع اد • ع م ن فالمثلثان متشابهان فنسبة الضلع ع م : ع ا :: ن م : د ا ولكن الضلع م ع يعدل سبعة امثال الضلع ا ع فاذا ن م = سبعة امثال اد ولكن ن م هو نصف القطر للدائرة اس ب فهو سدس الدائرة اس ب فاذا اد هو ١/٧ ١/٦ الدائرة المذكورة او ١/٧ ١/٦ فستة امثاله يعدل ٦/٧ ١/٦ اي ١/٧ الدائرة اس ب ويعدل الخط ف ق لانه ستة أسباع هذا السدس ايضاً فيكون الخط اس هو ١/٧ الدائرة

ولنا ايضاً برهان آخر وهو ان قطر الدائرة الخارجة يعدل سبعة امثال قطر الدائرة الداخلة وعليه فمحيط الدائرة الخارجة يعدل سبعة امثال محيط الدائرة الداخلة اس ب وبما ان الدائرة تعدل ستة امثال نصف قطرها ( اي محيط ) فالدائرة الخارجة تعدل اثنين واربعين نصف قطر الدائرة الداخلة فستة منها تعدل ٦/٤٢ اي ١/٧ فاذا القوس م ل هو ١/٧ الدائرة الخارجة وعليه فالقوس ا س هو ايضاً ١/٧ الدائرة الداخلة اس ب لانهما اقواس دائرتين لهما مركز واحد فهما متشابهان متناسبان والوتر م ل يعدل سبعة امثال الوتر اس

(ج ١٠)

ثانيا — نقد الحل لمنصور افندي جرداق

اطلعت على الحل و يسوءني ان اقول انه خطأ وهذا الخطأ ناتج عن التساهل والتسامح في استعمال العبارات وعدم الانتباه لمعانيها الخاصة اوما وضعت لاجله • وبالاخص حينما ينتقل من عبارة الى اخرى

وجل القصد ان اظهر موضع الخطأ الذي اوصل صاحب الحل الى الاعتقاد ان الوتر الحاصل هو ضلع المسبع القياسي المطلوب رسمه وذلك واضح باجلى بيان • حيث يقول « ن م هو نصف قطر الدائرة اس ب فهو سدس الدائرة ا س ب » فقوله « فهو سدس الدائرة » بعيد عن الصواب والحقيقة انه يقطع سدس المحيط ولكنه لا يساويه لانه وتر ( خط مستقيم ) بين ان سدس المحيط قوس والوتر يصل بين طرفيها ومعلوم ان الخط المستقيم هو اقصر مسافة بين نقطتين ولذلك لا يساوي القوس ( سدس المحيط ) فاذاً أجزاؤه لا تساوي اجزاءها أي سدسه لا يساوي سدسها ولا سبعه سبعها الخ

ويقع في ذات الخطاء في برهانه الثاني وذلك قوله « ان الدائرة تعدل ستة امثال قطرها » ثم اعقبها بقوله ( اي محيط ) وهذا الاخير على اطلاقه مبهم جداً فلا فائدة منه • اما قوله الدائرة تعدل ستة امثال قطرها لا يسلم به احد حتى ولا حضرته لان محيط الشكل القياسي ( المسدس ) يعدل ٦ امثال نصف القطر بين انّ المحيط يعدل

٢٨٣١٨ ، ٦ امثاله ( نصف القطر ) تقريباً . وهنالك برهان آخر يظهر عدم صحة الحل وهو ان الزاوية الحاصلة في رسمه اي زاوية س ع ١ تنقص عن الزاوية الحقيقية بنحو ½ الدرجة

وخاتمة الكلام ان حل المسائل كما هو معلوم عند الرياضيين بالمسطرة والبركار مستحيل لان المسطرة تمثل الخط المستقيم ومعادلته من الدرجة الاولى والبركار محيط الدائرة ومعادلته ابسط انواع الدرجة الثانية ( $ك^٢ + ي^٢ = ش^٢$ ) بين ان الحل يتطلب خطاً منحنياً معادلته اعلى من الدرجة الثانية ولذلك لا ترى احداً من الرياضيين الذين درسوا الهندسة التحليلية والتام والتفاضل ووقفوا على برهان عدم استطاعة رسمها بحسب قوانين اقليدس يضيع دقيقة من وقته ليحلها وانصح لكل طالب ان ينبذ من مخيلته التصور بامكانية حلها بالشروط المذكورة واضاعة الوقت سدى والسلام

( المدرسة الكلية ) منصور جرداق

# الانقلاب السياسي العثماني

## هل هو صحيح ثابت

كتب الينا غير واحد من القراء يسألوننا رأينا في الانقلاب العثماني الاخير هل هو ثابت باقٍ ام يخشى ان يصيبه ما اصاب مثله منذ نيف وثلاثين سنة . والذي نراه ان حالنا اليوم غير حالنا يومئذٍ . ان التغيير الذي حصل على يد مدحت باشا ورفاقه في ذلك العهد لا يعدُّ بالحقيقة انقلاباً اذ لم يقم به الا نفرٌ من الخاصة تواطأوا على خلع السلطان واشترطوا على خلفه اعلان الدستور والامة لا دخل لها في ذلك ولا فائدة منها لو علمت لانها لم تكن مستعدة لهذه النعمة بالنظر الى ضعف التعليم والاختلاف بين العناصر والاديان فلما نفي صاحب المشروع ( مدحت ) سقط مشروعه ( الدستور ) . واما الآن فقد قامت بهذا الانقلاب جمعية مؤلفة من ألوف من نخبة الشبان الاذكياء وخيرة الكهول العقلاء الذين حنكتهم التجارب وعلمتهم الايام وفيهم ارقى رجال الامة العثمانية علماً وادباً وتربية واستقلالاً وبينهم جماعة لا يقلون رقياً في العلم والاخلاق عن ارقى رجال الامم المتمدنة . ولا غرابة في ذلك لانهم قضوا زهرة اعمارهم في اشهر بلاد الحرية وتفرغوا لدرس احوال الامم واسباب

ارتقائها وسقوطها ولذلك رأيناهم لما افضت ازمة الاحكام الى ايديهم تجنبوا الوقوع في ما وقع به اكثر الذين نالوا الحرية قبلهم من الامم الراقية فجنبوا الدماء وساسوا الامور سياسة لم يسمع بمثلها ولم يأتوا عملاً يلامون عليه ولا ارتكبوا غلطة سياسية الى الآن

فهل يخشى ان يغلب هؤلاء على امرهم او يرجعوا عن عزمهم ؟ واذا فرضنا المستحيل وانهم غلبوا او رجعوا من عند انفسهم فالامة لا ترجع لان كل فرد من افرادها من التاجر الكبير الى الصانع الصغير العالم والجاهل الغني والفقير قد شعر كل منهم بالحرية الشخصية وتنازلوا في سبيل استبقائها عن كل قديم فنبذوا الضغائن واتحدوا على اختلاف المذاهب — فهؤلاء كيف يمكن ارجاعهم الى سجن الاستبداد

على ان الاحرار العثمانيين اصحاب هذا الانقلاب لم يأتوا امراً الى الآن يخشى منه على تبديل الاحوال بل بالعكس فانهم اتوا كل ما يثبت اقدامهم منذ قبضوا على ازمة الدولة . وقبل انتخاب مجلس المبعوثان اخذوا يسعون في الاصلاحات التي لا غنى عنها وبدأوا باهمها فاستقدموا الخبيرين من ارباب الفنون الاقتصادية عهدوا اليهم بالاصلاحات الزراعية والمالية وغيرها لم يغفلوا كبيرة ولا صغيرة يفضلون الاهم على المهم ويبدأون بالاسرع استثماراً ولو كان من قبيل التجارة يستعينون بريعه على اصلاح غيره

ومن اقرب الادلة على ذلك مبادرتهم الى اصلاح شركة البواخر المخصوصة العثمانية التجارية في البحر المتوسط . فقد حدثنا صديقنا اسعد افندي مفرج مندوب الشركة الانكليزية التي كلفتها الحكومة العثمانية باصلاح هذه البواخر وقد ذهب الى الاستانة مع مندوب آخر انكليزي من قبل هذه الشركة (Fenner & Adler Co. Ld) قال انه شاهد اجتهاد الوزراء في الاصلاح بنزاهة وهمة كبيرتين يساومون على الاعمال كأنها لهم وقص علينا من حديث البواخر المخصوصة ما لا يخلو ذكره من فائدة — قال انها مئة باخرة لا تكاد تجد ثلاثاً منها على طرز واحد . لانها مجموعة من اماكن شتى على ما اقتضته مطامع الذين كانوا يتولون ابتياعها او اصطناعها في عهد الاستبداد . فكانوا اذا عهد الى احدهم بالتوصية على باخرة او عدة بواخر ابتاعها قديمة واكتفى بدهانها لتظهر جديدة و يقتسم فضلة الثمن بينه وبين الذي عهد اليه تلك المهمة والذي توسط بينهما . فلا يتفق له الجمع بين عدة بواخر على طرز واحد وفي سن واحد . فاهيك بما كانت تقاسيه تلك السفن من الاهمال في طليها والطلاء الذي تكسى به البواخر لمنع الصدأ انواع منها الكثيف الشديد تكسى الباخرة به مرة كل بضع سنوات ومنها الرقيق الذي يجدد كل سنة و بعض السنة . وكانوا يغفلون

الطلاء الاول لطول مكثه يتساعدون بذلك على الاجتزاء بما يقدر للطلاء من الاموال على ما كان جاريًا يومئذ . فاصبحت اليوم وقد تراكم على ظاهرها الصدا او الطحالب او الاصداف البحرية مما يقصر عمرها ويضعف سيرها لان فساد الطلاء وتراكم الاوساخ على سطحها يعيق سيرها فلا تقطع نصف المسافة التي كانت تقطعها قبلاً . ورأت نظارة البحرية ان تبادر الى اصلاح هذه البواخر لسرعة الانتفاع بدخلها واخبرنا صديقنا ان الشركة الانكليزية المشار اليها اوصت مندوبها ان يتساهلوا في المساومة ولو قلّ السعر عما يعطى للانكليز انفسهم . وفي عزم الحكومة العثمانية جعل البواخر المخصوصة ادارة مستقلة بنفسها وستبني ست بواخر جديدة يسير منها اثنتان في البحر الاسود واثنتان بين الاستانة والاسكندرية — هذا مثال مما علمناه يضاف الى عشرات من المشروعات التي لم نعلم تفاصيلها بعد كانتداب سابا باشا لاصلاح مصلحة البريد وويلكوكس لري العراق وسواها لاصلاح المالية والحربية وغيرها

وبالجملة لا يخشى على الدستور من الصباح باذن الله وان كنا نتوقع حصول عراقيل واختلافات شأن سائر الامم في تدبير شؤونها



الحلقة المفقودة

يراد بالحلقة المفقودة ما يتوقع العلماء العثور عليه من بقايا حيوان متوسط الشكل بين الانسان والقرد على اعتقاد وحدة اصلهما وانما يقصدهم لاثبات ارتقاء احدهما عن الآخر واشتراكهما في الاصل حيوان وسط بينهما في شكله وقواه . وقد عثر بعضهم على بقايا حيوانات ظنوا الاول وهلة انها الحيوان المطلوب ثم تبين لهم خطأهم ولا يزالون يوالون البحث في هذا السبيل . وقد رفع الموسيو ادمون بريبه الى اكاذيمية العلم في باريس مذكرة للموسيو بول دي هيكل عظمي اكتشفه احد رؤساء الدين في الطبقة الثلاثية في دير بالقرب من بريف شكل جمجمة يشبه جمجمة اكتشفوها في مكان بالقرب من

ابرفلد . ويظهر من مجمل شكلها انها اضعف من جماجم البشر الاعتياديين . فظنوها جمجمة ابله ناقص الخلقة . فلما ظهرت جمجمة اخرى من نوعها في مكان آخر مالوا الى القول بان ها تين الجمجمتين وغيرهما مما وجدوه في اماكن مختلفة من طبقات الارض باوربا بقايا سلالة من الحيوانات احط من الانسان وارق من القردة فان جهازه العصبي يقرب مما للانسان . واما من حيثيات اخرى فهو اقرب الى القرد فلعلها الحلقة المفقودة !

احياء طفل يموت

ولد لاحد اطباء الانكليز غلام ظهرت عليه علامات الضعف وهو في اليوم الخامس من عمره وفحصه الاطباء فوجدوا الضعف متمكناً منه لقلة دمه ولا امل بحياته . وكان والده قد قرأ عن طريقة الدكتور كاريل لمعالجة بنقل الدم من انسان الى انسان في مثل هذه الحال . وخلاصتها ان يدخل شريان من شرايين الجسم الصحيح في وريد من اوردة العليل فينقلون اليه من الدم على قدر الحاجة ثم يعيدون كل وعاء الى مكانه فاراد ان يجرب ذلك بابنه وان ينقل اليه من دمه . وليس في الغلام وعاء دموي ظاهري يسع الشريان الذي يطلب ادخاله فيه من شرايين والده الا وريد في مؤخر الفخذ في مكان عميق . ورغم اليأس من حياة الطفل بعد ان وقفت فيه كل حركة حيوية وظهر للناس انه مات من عشر دقائق . فالوالد لم ييأس فشقوا زنده وكشفوا عن الشريان الكعبري نحو ستة قراريط ليتمكنوا من ايصال فوهته الى الوريد في الغلام فقاسى الوالد بذلك عذاباً شديداً احتمله رغبة في حياة ابنه وقال الذي شاهد وريد الطفل انه كان ادق من عود الكبريت وجداره لم يكن امتن من ورقة السيكاره المبللة . واتم الدكتور كاريل العمل وهو لا يرجو نجاحاً ولكن حالما اخذ الدم ينسكب من شريان الوالد الى وريد الابن اخذت حياة الطفل ترتد اليه وتقدر الكمية التي انسكبت بنحو ١٥٠ درهماً في ثماني دقائق . واول ما ظهر من علامات الحياة في الطفل احمرار أُلي الاذن الظاهرة ثم احمرار الشفتين وكانتا قد ازرقتا . ثم صبغ سائر البدن بلون احمر داكن كأنه كان في مغطس من ماء الخردل واخذ في الصياح من الجوع فارضعوه وردت اليه روحه وهو لا يزال حياً

✻ جرائد اميركا ✻ بلغ عدد النسخ التي صدرت من الجرائد والمجلات في الولايات المتحدة لسنة ١٩٠٧ نحو ٠٠٠و٠٠٠و٥٠١٠ نسخة فيلحق الواحد من سكانها ١٢٥ جريدة او مجلة فضلاً عن الملاحق التي نشرتها بعض هذه الجرائد في ايام خصوصية ومقدار ذلك ٠٠٠و٥٣٩و١١ نسخة ومعدل الجريدة عندهم ٣٢ صفحة

فمجموع الورق الذي استهلك في طبع الجرائد والمجلات في تلك السنة يمكن ان يؤلف منه مكتبة فيها ٩٠٠٠٠٠٠ مجلد صفحات كل منها ٤٠٠ صفحة

# التقريظ والانتقاد

## كتاب مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان

ان الحوادث التي جرت في سوريا ولبنان باواسط القرن الماضي من اهم الوقائع التاريخية ولاسيما حوادث سنة ١٨٦٠ المشهورة وقد ظهر فيها عدة كتب تتفاوت قرباً من الحقيقة والناس يطلبون المزيد . واقرب الحوادث من الحقيقة ما كان راويها شاهد عين فيها يقول « رأيت وكابدت ... » فضلاً عما في ذلك من اللذة لما يتخلل الرواية من تصوير الحوادث ولو كان الراوي من عامة الناس وبسطائهم . ويزيد ذلك التصوير وضوحاً وثقة اذا كان الراوي من اهل العلم كما هو الحال في راوي حوادث الكتاب الذي نحن في صدده « مشهد العيان بحوادث سوريا ولبنان » وهو المرحوم الدكتور ميخائيل مشاقة عالم دمشق في القرن الماضي فقد عاش معظم ذلك القرن وكان شاهد عين في اهم حوادثه وقاسى كثيراً من مشاقها ودوّن ذلك كله في كتاب حرصاً عليه من الضياع وصدره بتاريخ عائلته ولم يلتفت الى العبارة او الانشاء . فوقعت نسخة من هذا الكتاب لحضرة ملحم افندي خليل عبده نزيل جرنفيل ( تكساس ) والدكتور اندراوس حنا شخاشيري في بلتيمور ( اميركا ) فتعاونا على تنقيحه وضبطه ونشراه في مجلد صفحاته ٤٠٠ صفحة بقطع الهلال مقسوم الى فصول وابواب حسب ترتيب الحوادث وتنسيق الوقائع . في صدره تاريخ عائلة مشاقة مطولاً وتمهيد في مساحة لبنان وسكانه وفذلكة في تاريخه القديم الى القرن الماضي . وفصول في حالة المسيحيين في ولايات الدولة واسباب الانقسام ثم نسب الامراء الشهابيين ومبدأ حكمهم ونشأة احمد باشا الجزار وتاريخ حكومته على سوريا ولبنان وما لحق آل مشاقة في ايامه من الحوادث الى ان تعين الامير بشير الشهابي حاكماً على لبنان . وتفصيل مدة حكمه وما وقع فيها من الحروب او الحوادث التي لم يرد ذكرها في تاريخ واهمها قدوم نابوليون وما عقب ذلك من تبديل الولاة والحكام وما جرى في اثناء حكمه الطويل من الثورات والحروب الى ان حمل ابراهيم باشا بن محمد علي على سوريا وما كان من نصرة الامير بشير له في الوقائع المختلفة بسوريا ولبنان الى خروجه ونفي الامير وما عقب ذلك من التنازع بين الدروز والنصارى

في لبنان وحوران حتى افضى الى مذابح دمشق وحاصبيا ودير القمر وراشيا وغيرها. ويتخلل ذلك كلام عن يوسف بك كرم والامير عبد القادر الجزائري الى مجيء مندوبي الدول لتسوية تلك المسائل ووضع نظام لبنان الحالي. وفي الكتاب رسوم اشهر الرجال الذين كان لهم شأن في تلك الحوادث كالامير بشير ويوسف بك كرم وابراهيم باشا واللورد دفرين وغيرهم

وقد صدر الكتاب المشار اليه مطبوعاً طبعاً متقناً ويباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ٢٥ غرشاً وأجرة البريد غرشان

## كتاب امراض النساء

هو كتاب علمي خاص بالاطباء الفه بالفرنساوية صموئيل بوتسي معلم امراض النساء بمدرسة الطب في باريس ومعاونه جايل في ثلاثة مجلدات كبيرة. وموضوعه معالجة امراض النساء وصفاً جراحة وقد عني بنقله الى العربية الدكتور احمد افندي عيسى. وبين يدينا الجزء الاول منه مطبوعاً طبعاً نظيفاً على ورق جميل في قطع كبير وفيه ٢٧ رسماً متقناً تمثل الاعضاء والادوات والاوضاع وغير ذلك مما يدخل في جراحة النساء. وهو اوسع كتاب نقل الى العربية في هذا الموضوع وقلما نرى بين الكتب العربية في مثل اتقان طبعه ووضوح رسومه فان آثار العناية ظاهرة في كل صفحة من صفحاته. وفيه كثير من الابحاث الجراحية النسائية العامة مطولة كالتطهير وادواته وموادّه استغرق ٦٦ صفحة والتخدير في نحو ٣٠ صفحة ووسائل الالتحام وايقاف النزف في ٤٠ صفحة وقس على ذلك سائر فصوله في استقصاء امراض النساء والتهابات الرحم وعلاجها. وقد اوضح ذلك كله بالرسوم والاشكال. فالكتاب فريد في بابه بالعربية وهو جزيل الفائدة للاطباء الذين لا يعرفون احدى اللغات الافرنجية ليطالعوا امثاله في لغاتها الاصلية. ومتى اخذت مدارس الطب في بلادنا تعلم هذا الفن باللغة العربية تتضاعف فائدته مراراً

وقد قرأنا لحضرة المعرب مقالة في صدر هذا الجزء اتى فيها على مفردات اصطلاحية نقلها عن اللغة الفرنساوية ونشر الاصول وبجانبها ترجماتها العربية. فرأينا بعضها قد استخرجه حضرته باجتهاده وبحثه وبينها الفاظ يصح ان يتداولها الكتاب كلفظ «كتيم» ترجمة Impermeable للوعاء الذي لا يخترقه الماء. ومنها ما يستحسن ابداله لبعده عن المألوف مع وجود المألوف المتداول كاختياره الصناب بدل الخردل والمدري بدل الدبوس وياحبذا لو ضبط حضرته هذه الالفاظ بالحركات حتى لا يحتاج في ضبط لفظها الى المعجمات

لان اكثرها جديد على القراء · وبالجملة ان صدور هذا الكتاب في العربية يدل على همة عالية وعناية كبيرة · وهو يطلب من حضرة المؤلف بمصر وبدل الاشتراك في الاجزاء الثلاثة معاً مئة وخمسون غرشاً

## مطبوعات جديدة

### ١ — الجرائد

(١) الثبات : جريدة يومية سياسية ادبية تجارية تصدر في بيروت لصاحبها ومدير سياستها اسكندر افندي الخوري ورئيس تحريرها خليل افندي زينية بدل اشتراكها ٩٣ غرشاً في بيروت و٢٥ فرنكاً في الخارج (٢) المحبة : كانت اسبوعية فصارت يومية وهي تصدر في بيروت لصاحبها فضل الله افندي فارس ابي حلقة بدل اشتراكها ٤ مجيديات في بيروت و٥ في بلاد الدولة العثمانيــة و٢٥ فرنكاً في سواها (٣) المقتبس : هي جريدة يومية اقتصادية اجتماعية تصدر في دمشق الشام لمنشئها ومدير سياستها محمد افندي كردعلي بدل اشتراكها ٤ ريالات في دمشق و٢٥ فرنكاً في الخارج (٤) العدل : هي جريدة عربية تركية سياسية علمية مصورة تصدر في الاستانة مرة في الاسبوع لصاحبها ورئيس تحريرها محمد صفا بك المصري بدل اشتراكها ٤٥ غرشاً في الاستانة و١٥ فرنكاً في الخارج (٥) العصر الجديد : جريدة سياسية تجارية علمية صناعية زراعيــة تصدر في دمشق الشام مرة في الاسبوع لصاحبها ناصيف افندي ابي زيد بدل اشتراكها ١٠ فرنكات في دمشق و١٥ فرنكا في الخارج (٦) كلمة الحق : جريدة عربيــة سياسية تصدر بالاستانة ثلاث مرات في الاسبوع لصاحبها ورئيس تحريرها ج· حرفوش ومحررها عزيز افندي صعب بدل اشتراكها ٤ مجيديات في الاستانة و٢٥ فرنكا في الخارج (٧) الرغائب : جريدة عثمانية علمية ادبية تجارية تصدر في طرابلس الشام مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها ومحررها حكمت بك شريف بدل اشتراكها ريالان في طرابلس و٣ في المملكة العثمانية و١٥ فرنكا في سواها (٨) المراقب : جريدة سياسية اجتماعية زراعية تصدر في بيروت مرة في الاسبوع لصاحبها ورئيس تحريرها جرجي افندي شاهين عطية بدل اشتراكها ١٠ فرنكات في بيروت و١٥ في الخارج (٩) الطلبة : جريدة

عمومية تصدر بالقاهرة مرة في الاسبوع لمديرها عبد الحميد افندي حمدي بدل اشتراكها ٤٠ غرشاً للطلبة و٥٠ لسواهم (١٠) حديقة الاخبار : هي اقدم الجرائد السورية لكنها تصدر الآن يومية في بيروت لصاحبها ومحررها وديع افندي الخوري ومديرها حنا افندي الخوري بدل اشتراكها ٢٠ فرنكا (١١) ابو قشة : جريدة هزلية جديدة تصدر في تونس الغرب مرة في الاسبوع لصاحبها السيد الهاشمي بدل اشتراكها ١٠ فرنكات (١٢) السعادة : جريدة سياسية ادبية تصدر في طنجة بمراكش مرتين في الاسبوع لصاحبها وديع افندي كرم بدل اشتراكها ١٢ فرنكا (١٣) المارونية الفتاة : جريدة انتقادية خاصة بالطائفة المارونية يصدرها يوسف افندي خطار غانم في بيروت

٢ ــ المجلات

(١) روضة المعارف : هي مجلة علمية ادبية فكاهية تصدر في بيروت مرتين في الشهر لصاحب امتيازها ومديرها السيد محمد علي بك القباني ورئيس تحريرها الاستاذ عبد الرحمن افندي سلام بدل اشتراكها مجيديان في بيروت و١٢ فرنكاً في الخارج (٢) نور الشرق : مجموعة مقالات ادبية وفوائد صحية ووصفات طبية تصدر في مصر مرة في الشهر لصاحبها حبيب افندي نجار الاجزاجي بدل اشتراكها ١٠ غروش في مصر و ٤ فرنكات في الخارج (٣) النفائس : مجموعة لطائف وفكاهات تصدر في حيفا « سوريا » مرة في الاسبوع لمنشئها خليل افندي بيدس بدل اشتراكها ستة بشالك في حيفا ومجيدي واحد في الخارج (٤) مجلة الاعمال اليدوية للسيدات : هي مجلة نسائية مصورة تصدر في القاهرة بالعربية والفرنساوية مرتين في الشهر لصاحبتها مادموازيل دانيلا واختها بدل الاشتراك ٦٠ غرشاً بمصر و١٧ فرنكا في الخارج (٥) القرطاس : مجلة علمية ادبية مدرسية تصدرها جمعية الآداب الخيرية في الاسكندرية مرة في الشهر مديرها احمد افندي فائق بدل اشتراكها ٢٠ غرشاً بمصر و١٥ غرشاً في الخارج (٦) سلسلة الروايات العثمانية : هي مجلة روائية ادبية تاريخية تصدر في طنطا مرتين في الشهر لمنشئها جورجي افندي سعادة وشريكه وفي كل جزء رواية مستقلة بدل اشتراكها ٤٠ غرشاً بمصر و١٥ فرنكاً بالخارج

٣ ــ الروايات والدواوين

(١) بوليس اميركا السري : هي رواية تاليف نقولا كارتر ونقلها الى العربية ديمتري افندي نقولا وطبعت بنفقة المكتبة الشرقية ثمنها غرشان غير اجرة البريد (٢) وفاء

الزوجين : رواية ادبية حكمية في قالب غرامي تأليف س . مسيحة الكاتب بمصلحة الري وتطلب من حضرته (٣) عودة قلب الاسد : رواية كبيرة تأليف السر ولتر سكوت الانكليزي الشهير نقلها الى العربية سليم افندي الخازن اللبناني ونشرت تباعاً في جريدة مرآة الغرب في نيويورك بامركا ثم نشرت على حدة في مجلد كبير يطلب منها وثمن النسخة ريال ونصف ريال اميركاني (٤) بطل المروءة والسيف : هي رواية ادبية تهذيبية تأليف بول فيتال الفرنساوي وقد نقلها الى العربية ادوار افندي مرقص اللاذقي وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ثلاثة غروش والبريد غرش (٥) مكنونات باريس : ظهر الجزآن الخامس والسادس من هذه الرواية تأليف اوجين سو تعريب الدكتور شدودي الرمدي الشهير وهما الجزآن ١٩ و ٢٠ من مجلة الفكاهات العصرية لصاحبها عبدالله افندي غزالة ثمن الجزء غرشان (٦) ديوان محرم : صدر الجزء الاول من هذا الديوان لناظمه احمد افندي محرم الشاعر المصري المعروف وقد سماه هدية النيل وفيه طائفة من نظمه تدخل في ٣٠٠ صفحة و يطلب من حضرته (٧) ديوان احمد نسيم : وصدر الجزء الاول ايضاً من هذا الديوان لناظمه احمد افندي نسيم الشاعر المعروف بمصر مصدراً بمقدمة بقلم عبد الرحيم بك احمد ومحمد بك هلال مع رسميهما ورسم الناظم . ويطلب الكتاب من حضرته

٤ — التواريخ وكتب اللغة

(١) الجغرافية التجارية : صدر الجزء الاول من هذا الكتاب تاليف حسين افندي لبيب مدرس بمدرسة القنادين الاميرية وهو اول كتاب صدر على هذا النمط في اللغة العربية ويطلب من مؤلفه في القاهرة وثمن النسخة خمسة غروش غير اجرة البريد

(٢) مصطفى كامل باشا : صدر الجزء الرابع من هذا الكتاب وهو تاريخ المرحوم مصطفى كامل وأعماله واقواله و يطلب من مكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة غروش غير اجرة البريد

(٣) تاريخ الحرمين وبيت المقدس : يحتوي على تاريخ المساجد الثلاثة المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي في المدينة والمسجد الاقصى في القدس تاليف احمد افندي حافظ صاحب مطبعة الهداية بطنطا و يطلب منه وثمن النسخة خمسة مليمات (٤) الكشكول الصغير . صدر الجزء الاول من هذا الكتاب الفكاهي لمؤلفه عبد العزيز افندي حمدي و يطلب منه بمصر وثمن الجزء خمسة غروش (٥) سمير العائلات : يشتمل على الاحاديث والروايات صدر الجزء الاول منه و يطلب من مكتبة الفوائد في بيروت (٦) الاستاذ . ... الكتاب الثالث من هذا المؤلف لصاحبه جورج افندي ميان وهو جزءان احدهما في الاصول

اللاتينية والآخر في الاصول اليونانية في اللغات الافرنجية وقد اوضح قواعدها باللغة العربية وجمع بين مشتقاتها ومركباتها ليسهل تناولها وهو كتاب لا مثيل له في العربية ويطلب من مكتبة الهلال (٧) اصول لغة الاسبرانتو : هو كتاب في تعليم هذه اللغة لابناء اللسان العربي الفه القس جبرائيل الحداد وطبع في رومية بنفقة حضرة الاباتي يوسف الخازن وهو اول كتاب لتعليم هذه اللغة في العربية

٥ ـ كتب علمية وغيرها

(١) الزنكوغراف : كتاب علمي عملي في صناعة الحفر على الزنك بواسطة الشمس تعريب شكري افندي صادق سكرتير نادي الفنون الجميلة المصرية يشرح كيف تؤخذ الصور وكيف تحفر ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش (٢) المعادن والجواهر : هو خطاب علمي فني القاه محمد افندي حسني العامري بنادي المدارس العليا يبحث فيه عن المناجم المصرية القديمة والحديثة وعين اماكنها وربما نشرنا امثلة منه في فرصة اخرى (٣) الشمس : هي رسالة في الشمس واحوالها ووصف حرارتها وبعدها وآثارها في الارض تأليف بطرس افندي حنا عبسود صاحب جريدة الراوي ومؤلف كتاب نظام التعليم وتطلب من حضرته (٤) (Fouilles à Achmounein) : هي رسالة في الفرنساوية عن اكتشاف اثري مصري في الاشمونين لحضرة محمد افندي شعبان الباحث الاثري نشر فيها رسوم ما اكتشفه وقرأه رسماً جميلاً وله مقالة عن القبر الروماني في تل الساحة بالفرنساوية ايضاً وكلاهما مطبوعتان (٥) رأس الحكمة مخافة الله : هو كتاب ديني لحضرة الايغومانوس ابراهيم عطا الله رئيس شريعة الاقباط الارثوذكس بسندربيتها ويطلب من حضرته (٦) الروزنامة السورية : صدرت هذه الروزنامة لصاحبها خليل افندي سركيس صاحب لسان الحال عن سنة ١٩٠٩ وهي اشهر من ان تعرف (٧) مفكرة لسان الحال : وصدرت هذه المفكرة لهذه السنة ايضاً وكلاهما تطلبان من مكتبة الهلال

وجاءنا التقرير الخامس عن اعمال مشيخة علماء الاسكندرية . وقانون جمعية التعاون والترقي الاسلامية بمصر . وتقرير جمعية العروة الوثقى الخيرية . وقانون جمعية التآخي والاحسان العثمانية باسكندرية . وقانون ادارة التعاون السورية في سانباولو البرازيل

Arabia Petraea

هي رحلة بالالمانية للدكتور مورتس ناظر الكتبخانة الخديوية دوّن فيها ماشاهده من الآثار وقرأه من النقوش في اطلال بطرا عاصمة النبطيين . والدكتور مورتس من مهرة المستشرقين الذين يقرأون اكثر اللغات الشرقية




**بوغاز البوسفور**

بين آسيا واوربا وبين بحر مرمرة والبحر الاسود

وعلى شاطئيه القلاع والقرى والقصور والحدائق تبتدىء في الجنوب بغلطة في الغرب واسكودار في الشرق وتنتهي في الشمال بفنار الروملي بالغرب وفنار الاناطول في الشرق

# الهلال

الجزء الخامس من السنة السابعة عشرة

اول فبراير (شباط) سنة ١٩٠٩ الموافق ١٠ محرم سنة ١٣٢٧


# اشهر الحوادث واعظم الرجال

# مدحت باشا

## ٢ — سيرته في عهد السلطان عبد الحميد

### ١ — جلوس السلطان عبد الحميد وتعيين اعوانه

جلس السلطان عبد الحميد على العرش العثماني في اول سبتمبر سنة ١٨٧٦ واحتفلوا ببيعته احتفالاً شائقاً في سراي طولمه بغجه حضره الوزراء والقناصل ورجال الدولة والاعيان . ولما بايعوه خاطبهم قائلاً . اشكر لكم تهانئكم ولا اتمنى شيئاً غير تقدم مملكتنا وراحة رعايانا وسترون من اعمالنا مايؤيد وعودنا بالاصلاح . فعلى رعايانا ان يقوموا من الجهة الاخرى بما عليهم » وخطب في وزرائه خطاباً حثهم به على الاتحاد في الرأي والعمل . وبعد ثلاثة ايام احتفلوا بتقليده سيف عثمان في مسجد ايوب بقرن الذهب على جاري عادتهم في تنصيب السلاطين . ثم عاد الى قصر طوب قبو حيث البسوه البردة وسلموه العلم النبوي . ويذكرون ان رشدي باشا الصدر الاعظم قال لرفاقه ساعة خروجهم من طولمه بغجه « اظننا اسرعنا بخلع مراد فعسى ان لا يحدث ما يبعث على الندم »

واول عمل باشره جلالته انه عين الداماد محمود جلال الدين باشا قائداً عاماً للجند (سر عسكر) وعين سعيد باشا (الانكليزي) رئيساً للمابوران . فلم يعارضه احد في ذلك كان تعيينهما من حقوق السلطان . ولم يبالِ مدحت باشا على تعيينهما أهمية وانما اهتم على الخصوص بتسمية سكرتيرية السلطان لان تقريبهم منه يجعل لهم نفوذاً كبيراً لا يقل عن نفوذ الصدر الاعظم

وقد كان ينبغي له ان لا يستخف بمنصب السر عسكرية ولا يقبل ان يعين له الا واحد من اهل ثقته وقد علم بالاختبار ان خلع عبد العزيز لم يكن ممكناً لو لم يكن السر عسكر عوني باشا في جملة القائلين به والساعين فيه . فهل غفل مدحت عن ذلك او تغافل؟ او لعله أحسن الظن في مساعي اهل المابين وحسن الظن في مثل هذه الحال من ضعف الرأي ؟

وقد يعترض بان تعيين السرعسكر من حقوق السلطان — فكان الاجدر بمدحت ان يجعل من ضمن الشروط التي اشترطها على جلالته في مقابلته الاخيرة قبل المبايعة ان يكون السرعسكر فلاناً كما اشترط ان يعين كمال بك وضيا بك سكرتيرين وسعد الله بك رئيس السكرتيرية (باشكاتب) وهم من خيرة الاحرار . على ان اشتراطه هذا لم يأت بفائدة لان السلطان وعده بتعيينهم ولم يفِ فلما قابل جلالته بعد المبايعة اخبره انه عين للباشكاتبية سعيد بك وهو من رجال محمود نديم الصدر الذي تقدم ذكره . فاعترض مدحت واحتج ونصح فلم يجد ذلك نفعاً فاغضى . ولو اصر لاغلب وجه المسألة وربما فاز فيولي في تلك المناصب احراراً يؤيدون الدستور . فباغضائه هذا جعل اهم مراجع النفوذ في قبضة رجال من حزب التقهقر . وقد كانت دسائسهم فاتحة عصر الاستبداد الذي انقضى بالامس . وظهر للناس بعد انقضائه ان السياسة الخرقاء التي اتبعها جلالة السلطان في مقاومة الاحرار انما كانت بدسائس اولئك المقربين وامثالهم

فاغروه اولاً على التخلص من مدحت زعيم ذلك الحزب ولا خوف عليه لان الجند في قبضته وقائده طوع اشارته . لكنه لم يشأ ان يفعل ذلك مصادرة فعمد الى سياسة المقاومة بالمطل والتسويف فجعل يتباطأ في اجابة مطاليب الصدارة ويعترض على اعمالها فبدأ بالاعتراض على الفرمان الذي نصه مدحت وعرضه على جلالته ليخاطب الوزارة به وهو عبارة عن خطة سياسته في العمل بالدستور . فنقحه السلطان وحذف كثيراً من مواده الهامة كما بينا ذلك في مقالتنا « الانقلاب السياسي العثماني » في الهلال الاول من هذه السنة (صفحة ٧) فقبل مدحت بذلك التبديل اعتماداً على ان اعلان

الدستور واجتماع مجلس المبعوثان يعوضان تلك الخسارة

٢ ـ تعديل البند ١١٣ من القانون الاساسي

على انه لم يكد يفكر في ذلك حتى جاءه في ٢٣ نوفمبر سنة ١٨٧٦ كتاب من جلالة السلطان بخط يده يقول فيه « انه مع ما يرجوه من الراحة والسعادة لشعبه بالنظام الدستوري الجديد فهو يطلب ان تكون حقوق السلاطين أيضاً مضمونة فيه ولذلك فهو يرى عرض القانون الاساسي على مجلس الوزراء لتنقيحه » فاجابه مدحت « ان هذا القانون قد يكون في حاجة الى التنقيح ولكن عرضه على المجلس لتنقيحه يستغرق زمناً لا تسمح به حال الدولة لان المضائق الحرجة التي وقعت فيها تدعو الى المبادرة في نشر الاصلاحات وتسكين الخواطر ارضاء للدول التي تهددنا بعقد المؤتمر الدولي الذي قررت عقده في الاستانة حتى اصبحنا وليس لنا الا احد وجهين إما ان نعلن القانون الاساسي وننشر الاصلاحات قبل عقد المؤتمر فلا يبقى للدول حجة علينا او ان نؤخر اعلانه فينعقد المؤتمر ويقرر المراقبة على اعمالنا . فاذا تأجل عقد مجلس المبعوثان لا يبقى لنا بدٌّ من الدخول في وصاية الدول »

فلما رأى اهل المابين قوة حجته في هذه المسألة اتوه من طرق أخرى وذلك أنهم وافقوه على وجوب السرعة في اعلان الدستور لكنهم اشترطوا تعديلاً في البند (١١٣) المتعلق بظهور التمرد او الخلل في بعض الولايات . فقد جاء في البند المذكور « انه يحق للحكومة ان تعلن الادارة العرفية موقتاً أي تبطل القوانين والنظامات » فطلبوا ان يضاف اليه هذه الفقرة « ان الذين يثبت بواسطة تحقيقات الضابطة الصحيحة أنهم سبب في اختلال امنية الحكومة فللحضرة السلطانية وحدها الحق ان تخرجهم من الممالك المحروسة وتبعدهم عنها »

فقبل مدحت هذا التعديل رغبة في سرعة العمل ولان التعديل المشار اليه يتعلق بالولايات . ولم يخطر ببالهِ انهُ سيجري عليهِ هو نفسه لانهُ كان قد احتاط لهذا الامر بالمواد ٣١ و٣٢ و٣٤ وفحواها ان الوكلاء او الوزراء لا يعزلون الا بعد المحاكمة بالمجلس ( راجع هذه المواد صفحة ٩١ من هلال هذه السنة ) . وهذه نقطة أخرى يلام مدحت على تساهله فيها لانها كانت علة نفيه . وبنفيه تزعزع حزب الاحرار

٣ ـــ اعلان القانون الاساسي

ولكن السلطان لم يدخر وسعاً في تقريب مدحت وترقيته فلما استقال رشدي باشا من الصدارة لشيخوخته في ١٩ دسمبر سنة ١٨٧٦ انتدب مدحت باشا لذلك المنصب . فكان

اول شيء اجراه عند ذلك تعجيل اعلان القانون الاساسي وعقد مجلس المبعوثان لئلا تسيء الدول الظن بالدولة وتتغلب لما ظهر الجن . وقد لاقى مقاومة شديدة من المخالفين ومن جملتهم جودت باشا وزير العدلية يومئذ . ففي الجلسة الاولى التي عقدت للوكلاء في بيت الداماد محمود اقترح جودت باشا تأخير اعلان الدستور الى اجل غير مسمى « اذ لم يبق حاجة اليه بعد ان القيت ازمة السلطة الى جلالة السلطان » فغضب مدحت لذلك الاقتراح غضباً عظيماً وألح في وجوب اعلانه بلا تأخير وهددهم اذا لم يفعلوا وقد افاد تهديده . ولو اتبع هذه الشدة في ما تقدم لغلب الحق على الباطل

على ان الاختلاف بين مدحت ورجال المابين لم يكن قاصرًا على مسألة الدستور لكنهم خالفوه في امور كثيرة . منها مقاومتهم في تعيين ولاة مسيحيين وادخال غير المسلمين في المدارس الحربية . ومنها اصرارهم على تعيين غالب باشا وزيرًا للمالية ونفي ضيا بك صاحب الاستقلال . وقد جاء شيء من ذلك في الهلال الاول عند كلامنا عن الصحافة العثمانية . اما تعيين الولاة من المسيحيين فقد ذهب مدحت الى التعجيل فيه ارضاء للدول التي ستجتمع في المؤتمر فيكون تعيينهم حجة للدولة في ادخال الاصلاح . فاجاب السلطان « انا لا نعرف رأي عامة المسلمين في التغيير الذي سيدخل على الدولة بالدستور فتعيين ولاة من المسيحيين ربما هاج خواطرهم وآل الى ما لا تحمد عقباه » وبعد اخذ ورد اجلوا الاقرار على ذلك كله الى ما بعد اجتماع المؤتمر على ان يبادروا الى اعلان الدستور وانتخاب نواب الامة

فاعلن الدستور رسمياً في ٢٣ دسمبر سنة ١٨٧٦ وتلا سعيد باشا ( الباشكاتب ) الفرمان باعلانه في حضور الصدر الاعظم مدحت وكبار رجال الدولة والعلماء وغيرهم . ثم تقدم سعيد المذكور وسلم صورة القانون الاساسي الى مدحت بعد ان قبلها وتفرق منها نسخ على الحاضرين . وخطب مدحت خطاباً ما آله قبول الدستور وقانونه ثم صلى المفتي واطلقت مئة مدفع ومدفع فعلم الناس ان الدستور قد اعلن . فتهافت الكبراء وفي مقدمتهم شيخ الاسلام خير الله افندي والعلماء ورجال الدين من النصارى مع بطاركتهم والوزراء وغيرهم يرفعون الى مدحت التهاني على فوزه باعلان الدستور وكانوا يصيحون « يحيى السلطان ومدحت » وانهالت عليه الرسائل البرقية من الولايات وغيرها والكل فرحون مستبشرون الا سراي بشكطاش فانها لم تحرك ساكنًا لان جلالة السلطان كان يشكو انحرافاً . . .

وفي اليوم التالي خف مدحت لزيارة بطريرك الروم وهي المرة الاولى منذ الفتح العثماني

زار فيها الصدر الاعظم بطريرك الروم . وانما اراد بذلك اقناع الدول ان النصارى مشاركون للمسلمين في الدستور واحتفل اليونان بزيارته فخطب فيهم واجابه البطريرك بما يدل على الائتلاف والولاء

٤ — مؤتمر الاستانة

ومن غريب الاتفاق ان اليوم الذي تعين لعقد المؤتمر هو نفس اليوم الذي اعلن فيه الدستور (٢٣ دسمبر) فاجتمع المؤتمر في ذلك اليوم للمداولة مع مندوبي الدولة فيما ينبغي اتخاذه من الوسائل لتسكين الاحوال في الولاية العثمانية باوربا ولم يكد يعلن افتتاح الجلسة حتى دوت اصوات المدافع عن اعلان الدستور . فنهض صفوت باشا احد مندوبي الدولة في ذلك المؤتمر وقال « ايها السادة ان ما تسمعونه انما هو اشارة الى اعلان الدستور الضامن لما تطلبونه فلا حاجة الى المباحثة » فوجم الحضور هنيهة ثم تكلم اغناتيف معتمد روسيا فطلب الرجوع الى مدار البحث فعادوا اليه فطلب استقلال بلغاريا باحكامها وان يتعين عليها وال مسيحي فتباحثوا واتفقوا اخيراً على ان تكون بلغاريا ممتازة باحكامها . وبحثوا مثل ذلك في شؤون الهرسك والبوسنه وغيرهما مما لا محل له هنا . واقروا على لائحة عرضها اغناتيف على الباب العالي للمصادقة عليها . فشكل مدحت مجلساً عالياً مؤلفاً من الوزراء والمشيرين وكبار رجال الدولة والرؤساء الروحانيين من كل الطوائف وعرض عليهم اللائحة واخبرهم ان ردها يؤول الى الحرب فتباحثوا وتحمسوا وابوا الا ردها فردها مدحت وانفض المؤتمر وبفضه اضطربت العلائق بين اوربا والباب العالي

٥ — نفي مدحت باشا

ولم يكد ينفض المؤتمر حتى عاد رجال المابين الى متابعة ما كانوا فيه من مماحكة رجال الاصلاح . فاستأنفوا البحث في ادخال المسيحيين المدارس الحربية وعزل غالب باشا ناظر المالية وكان مدحت يرى عزله لاعتقاده عجزه عن القيام بهذا المنصب . فرضي السلطان بعزله لكنه اشترط ان يجعل عضواً في مجلس الاعيان فطلب مدحت ان تفحص اوراقه وتراجع حسابات اعماله . وكتب اخيراً الى المابين كتاباً بين فيه عدم لياقة غالب لهذا المنصب ثم تحول الى البحث في مسألة المدارس وكان يعتقد واعتقاده صواب ان مسألة الاصلاح في المملكة العثمانية لا يمكن حلها الا بتوحيد العناصر على اختلاف الطوائف والنحل ولا يكون ذلك الا اذا نشأ شبانهم في مدارس واحدة وتربوا تربية واحدة فاراد ان يبدأ مشروعه هذا بالمدارس الحربية فطلب ادخال غير

المسلمين فيها لينشأ منهم ضباط غير مسلمين يشتركون مع اخوانهم المسلمين في خدمة الامة . فاجيب بالمدافعة والمماطلة والمعارضة وطال الاخذ والرد بين الصدارة والمابين او بين مدحت وباشكاتب المابين بالنيابة عن السلطان . واخيراً كتب مدحت الى جلالة السلطان كتاباً شديد اللهجة جاء في جملته « اني شديد الاحترام لشخص جلالتكم اما من حيث القوانين والشرع فلي" ياموﻻي ان اعصي كل امر يصدر منكم اذا كان مخالفاً لمصلحة الامة والا فاني اتحمل مسئولية انوء تحت اثقالها واخاف صوت ضميري لاني تعهدت بان تكون اعمالي مطابقة لمصلحة الوطن ورفاهيته . . . . » الى ان قال « مضت تسعة ايام منذ عرضت على جلالتكم مشروعات لا غنى عنها لسعادة الامة وصيانة الدولة فلم تصادقوا عليها مما يؤول الى خراب لم نكد نجو من مخالبه الا بشق النفس . . »

بعث مدحت كتابه ومكث في منزله ثلاثة ايام فوجد اهل المابين مندوحة للتخلص من هذا العدو القوي . فاوفد اليه السلطان صفوت باشا ناظر الخارجية ان ياتي فابى الا ان يصادق السلطان اولاً على مشاريعه فبعث اليه سعيد باشا ( الانكليزي ) فاكد له انه اذا اتى السراي فالارادة تصدر حالاً بالمصادقة على مطاليبه فوثق مدحت بقوله وركب معهُ وما عتم ان لحظ وهو في الطريق ان الشوارع غاصة بالجند وخصوصاً حول منزله في طوشان طاش ولم يكن يعلم ان الباخرة « عز الدين » في مرسى طوله بغجه منذ بضعة ايام لتحمل ابا الاحرار الى منفاه . وهب انهُ علم بذلك حينئذ فلم يكن علمه لينفعه لفوات الفرصة . فحال وصوله لسراي طوله بغجه استمهلوه ريثما تصدر الاوامر السلطانية لمقابلته فجلس في غرفة الانتظار واذا هو برئيس الياوران جاءه واخذ منهُ ختم الدولة وساقه توّاً الى الباخرة عز الدين وكانت على اهبة السفر فاقلعت ومع ربانها اوامر مختومة لا يجوز فتحها الا بعد ٢٤ ساعة . ثم فتحها فاذا فيها ان يحمل مدحت باشا الى المحل الذي يختاره من سواحل اوربا فانزل في برنديزي بايطاليا

ولا يخفى ما كان من تأثير هذا النفي على الاحرار في الاستانة لكن اهل المابين لم يقدموا على نفي زعيم الاحرار وابي الدستور الا وقد مهدوا السبيل واحتاطوا لما يخشى وقوعهُ وكانت حجتهم في نفي مدحت ان « وجوده يسبب اختلال امنية الحكومة » فللسلطان الحق بنفيه كما جاء في المادة ١١٣ من القانون الاساسي . وكان في الاستانة عصابة من اهل الوجاهة لا يرون وجود مدحت نفسه ضرورياً لتأييد الدستور ونشر الاصلاح وكانوا يعتقدون ان السلطان مخلص في اجراءاته وانما يريد بها سلامة الدولة وسعادة الامة ويمكن هذا

من نقوسهم لما رأوهُ نفي مدحت وظل محافظاً على دستوره وامر بعقد مجلس المبعوثان . وانما فعل ذلك تسكيناً لخواطر الامة أو بالحري لخواطر الاحرار مريدي مدحت وانصاره وكانت الانتخابات جارية فتعجلها لفتح البرلمان في اول مارس سنة ١٨٧٧ . ولم يتم عدد الاعضاء الكافي لعقده الا في ٤ منه فاحتفلوا بافتتاحه في سراي طوله نجبه بحضور جلالة السلطان نفسه . ولم يطل عمره الاسنة و بعض السنة كما تقدم الكلام عليه في غير هذا المكان من اهلة هذه السنة

٦ — مدحت في منفاه

وكانت الدول في اثناء ذلك تنظر في رفض الدولة العثمانيـة لقرارات المؤتمر المتقدم ذكره وكنّ يتوقعن اصلاح الاحوال باعلان الدستور فلما نفي مدحت سبق الى اذهانهن سوء الظن ولاسيما روسيا فانها عادت الى العدوان واعلنت الدولة العثمانيـة بذلك في ٢٤ افريل سنة ١٨٧٧ فساعد الاعلان على تغلب حزب المابين فلم يتقرب منه غير الذين يوافقون على سياسته وضعف حزب الدستور بعد نفي صاحبه

انتشبت الحرب بين روسيا والدولة ومدحت منفي في اوربا فلم يدخر وسعاً في مصلحة دولته ولا سيما في لندن وكتب الى البـاب العالي انهُ سعى في عقد صلح يحجب الدماء وطلب مصادقته فلم يجبهُ على ذلك لان كفة الحرب كانت لا تزال راجحة في جانب الدولة . ثم مالبث الروس ان اخترقوا البلقان واقبلوا على الاستانه فجدد مدحت الهمة في الدفاع عن حقوق بلاده لدى الدول والباب العالي بالمكاتبات . فوسوس بعضهم لجلالة السلطان ان تصدر مدحت باسم الدولة لدى دول اوربا يخشى منهُ فعمل على استقدامه الى الاستانة . فكتب اليه رئيس التشريفات الشاهانية كتاباً سريًّا يبثهُ فيه شعور السلطان معهُ بما يقاسيه في غربته وان جلالته بكى لما بلغهُ خبر عذابه وانهُ أمر لهُ بالف جنيه ينفقها في مرافقه المستعجلة ولا يعلم احدٌ بها . وطلب اليه ان يعلمه كيف ينبغي ان يوصل هذا المبلغ اليه . فاجابه مدحت بالرفض واظهر تفانيه في خدمة دولته ووطنه فدعاه للقدوم الى الاستانة لان بعدهُ عنها يوجب المواجس وسوء الظن . وما زال به حتى اقنعهُ بالمجيء رغم نصيحة اصدقائه ان لا يفعل

فسافر ولكنه فضل النزول في كريد ليمكث فيها بعيداً عن الدسائس وادرك من مجاري الاحوال ان سياسة المابين تقضي بابعاد رجال الاعمال عن الاستانة واستخدام الضعفاء. فقبل السلطان اقتراحه و بعث اليه عائلته الى كنديا في سبتمبر سنة ١٨٧٨ فاحتفل

الكرديون بمدحت وعرفوا قدره على اختلاف طوائفهم واطلقت الدوارع الراسية في مياهها المدافع لاجله فنقل ذلك الى السلطان فاوجس خيفة · وكان في عزمه ان يعقد له على كريد فعقد له عليها وبعد شهرين جاءه تلغراف من الباب العالي بجعله والياً على سوريا فاطاع وركب اليها مع اهله على الباخرة «فوائد» حتى اتى بيروت وسافر منها الى دمشق مركز الولاية يومئذٍ

٧ — ولايته على سوريا

لم ينس السوريون اعمال مدحت في اثناء تلك الولاية وكانت شهرته في مساعيه الحرة قد بلغت الى مسامعهم فلما وصل اليهم احتفلوا به احتفالاً عظيماً وقد حقق امانيهم بما ادخله من الاصلاح فيها نحو ما فعل في العراق من قبل · فانشأ مدرسة للصنائع والفنون واخرى للايتام وأيد الامن فبات الناس في راحة وعدل وفتح الشوارع في المدن ومهد الطرق بين القرى والبلاد لتسهيل الانتقال وانشأ خطاً للترامواي بين مدينة طرابلس الشام والمينا وقد نجحت نجاحاً باهراً · ولا ينسى اهل دمشق كيف انشأ لهم الشارع الاعظم · واهم ما كان من تأثير ولايته انه جمع العناصر المختلفة والف بين قلوبهم على اختلاف المذاهب والاجناس على شكل لم يسبق له مثيل في تلك البلاد · واطلق حرية المطبوعات ونشط الكتاب والادباء والشعراء فتألفت الجمعيات السياسية والعلمية

وفي ايامه ظهرت القصيدة السينية المشهورة التي مطلعها « دع مجلس الغيد الاوانس » وفيها تحريض للعرب ان يطلبوا الاستقلال كما فعل اهل الجبل الاسود · وكان السوريون اذا لقوا مدحت في محفل صاحوا ليحيى مدحت باشا وهو لا يحاذر الجاهرة بانتقاد الآبين وربما تغنى بما تم على يده من الخلع والتنصيب فساء السلطان الظن بمقاصده وزاد حذره من اغراضه واصبح يخاف ان تنتظم احوال سوريا وتجتمع كلمة اهلها فتخرج من يده فاصبح اذا عرضت عليه مشروعات مدحت اجل المصادقة عليها او رفضها · واوحى الى مشير الفيلق الخامس في الشام ان يكون على حذر منه · فاصبح المشير ينظر اليه نظر الرقيب وتباعدت القلوب بينهما وتضايق مدحت من ذلك فعزم على الاستقالة · وبعد مخابرات طويلة خيّر الباب العالي فيها بين قبول استعفائه او المصادقة على مشروعاته فكانوا يماطلونه ويدافعونه مع حاجتهم الى آرائه يومئذٍ في اثناء تمرد الدروز في حوران · وقد خدم الدولة في اخماد ذلك العصيان خدمة حسنة باعادة الامن الى تلك البلاد مع المحافظة على شرف الدولة ونفوذها · ولما فرغ من هذا الواجب لم يعد يصبر على مضايقة الباب العالي ومعارضته بما يعمله فاستقال بحجة شيخوخته

وضعفه فابت الحكومة اعفاءه ولكنها نقلته من ولاية سوريا الى ولاية ازمير سنة ١٨٨٠

٨ — ولايته على ازمير

ان ولاية ازمير هي ولاية آيدين وعاصمتها مدينة ازمير وكانت في خلل واضطراب مثل سائر الولايات في ذلك العهد بل هي من اكثرها اضطرابا بالنظر الى تكاثر اهل الدعارة واللصوص وقطاع الطرق فيها . ولم يجهل مدحت ان مشروعاته في اصلاح هذه الولاية ستصادف ما كانت تصادفه مشروعاته لاصلاح سوريا لكنه اطاع الامر وقبل المنصب وانتقل الى ازمير . وفكر في تسكين الخواطر واعادة الامن وكان فيها فرقة من الجاندرمة فوجدها غير كافية لحفظ النظام فانشأ الضابطة على النسق الاوربي ولم يكن لها وجود في تركيا من قبل . واخذ في العمل جهد طاقته والسلطان يزداد فيه سوء ظن ويخافه فزين له مشيروه ورجال خاصته ان يتخلص منه ويريح فكره من اخطاره ولم يجدوا شراكاً يأخذونه بها الا مسألة السلطان عبد العزيز فاحيوها . ورغم ما اثبته الاطباء في تقاريرهم عن موت ذلك السلطان بالانتحار ادعى رجال المابين انه مات مقتولاً وان قتلته هم حسين عوني باشا الذي قتله حسن الشركسي في بيت مدحت سنة ١٨٧٦ والداماذان محمود باشا ونوري باشا وانه اشترك معهم ايضاً مدحت باشا ورشدي باشا وخير الله افندي شيخ الاسلام

فلما اعتقد السلطان هذا القول امر بالقبض على الداماذين محمود ونوري ونشرت الصحف عود قضية عبد العزيز الى التحقيق وتزلف بعض كتابها الى المابين فالح بالقبض على كل من اشترك في مسألة عبد العزيز او شهدها فقبض على رشدي باشا زميل مدحت وحكم عليه بالنفي ليقضي شيخوخته في منغيسيا من ولاية آيدين وحكم على خير الله افندي بالنفي الى مكة وابعد سائر من بقي من الاحرار في الاستانة . ولم يبق حول السلطان الا المتملقون الذين اخذوا يناصرونه او حرضوه على افساد امر الاحرار والتضييق عليهم وفيهم جماعة كانوا يتظاهرون بالحرية ثم انقلبوا طمعاً في الدنيا

٩ — القبض على مدحت

وكان مدحت باشا يومئذ في ازمير وجاءه النبأ انه متهم وان حياته في خطر فاجاب اصدقاءه الذين انبأوه انه لا يجد في ضميره ما يوجب القلق لاعتقاده براءته لدى القضاء اما السلطان فعمد الى المبادرة بالقبض على مدحت فجأة فانتدب اللواء حلمي باشا والاميرالاي رضا بك ( ثم صار رضا باشا سرعسكر ) مع جماعة من الضباط والضابطان للقيام بهذه المهمة . فوصلوا ازمير على غرة والناس لا يفهمون سبب مجيئهم . اما مدحت فجاءه النذير بامرهم

بث عليهم العيون يراقبون حركاتهم فتحقق انهم جاؤُوا باوامر من يلدز للقبض عليه . عرف ذلك من احد رجال الضابطة التي انشاها في ازمير كان قد تنكر بلباس تاجر ونزل في الفندق الذي نزل فيه حلمي باشا وعاشره وتقرب اليه حتى وثق به واعترف له انهُ جاء للقبض على مدحت وانهُ ينتظر اوامر اخرى . فبادر مدحت الى الاحتياط ففتح في قصره باباً سريًّا يؤدي الى الشاطىء واعدَّ هناك سفينة لشركة انكليزية تنقله الى حيث يشاء

ففي مساء احد الايام جاء جاسوس مدحت المشار اليهِ واخبرهُ ان حلمي باشا دُعي الى مكتب التلغراف على عجل ولما عاد تسلح وذهب الى القشلاق . وكان سبب ذلك ان حلمي باشا تلقى الاوامر بقتل مدحت وذبح عائلته ولم يكن يستطيع ذلك الا اذا كان لهُ من يواطئه عليهِ من اهل بيت مدحت . وكان قد عرف خادماً من اهل ذلك البيت اسمهُ نذير فاتفق معهُ انهُ حالما يرى الجند قادمين الى القصر يطلق عليهم طلقاً ناريًّا من مسدس فيكون ذلك حجة لهم في الهجوم والقتل . ويؤكدون وقوع هذه المواطأة بما نالهُ نذير هذا من الحظوة في المابين بعد نفي مدحت

فلما علم مدحت بدنو الخطر اعمل فكرته بتروٍ واطلع اهل بيتهِ على الامر واوصاهم ان لا يبدوا حراكاً واخبرهم عزمه على الخروج من تركيا بحرًا من ذلك الباب السري والالتجاء الى اوربا . ففي نصف الليل اطلقت الثكنة العسكرية ثلاثة مدافع هي علامة الحريق عندهم فادرك مدحت انهم فعلوا ذلك ليصرفوا اذهان الناس عن اغراضهم الحقيقية فعمد الى الخطة التي كان رسمها للفرار فخرج مع سكرتيره من ذلك الباب السري يطلب الشاطىء ولم يبعد بضع خطوات حتى رأى الجنود قائمة على المرفأ تحرسهُ فركب مركبة وسار الى قنصلاتو انكلترا فوجد قنصلها غائباً فتحوَّل الى قنصلاتو فرنسا وطلب حمايتها فآوتهُ

اما حلمي باشا فانهُ أتى برجاله الى قصر مدحت بحجة انهُ جاء يستفتيه في امر الحريق الذي شب في المدينة فاجابهُ اهل المنزل انهُ خرج الساعة فظنهم يخدعونهُ . فامر رجاله فكسروا الابواب ودخلوا البيت عنوة حتى فتحوا غرف الحريم للبحث عنهُ . وكان الخادم نذير جالساً على مقعد والمسدس في يده فهمَّ ان يقوم بمهمته و يطلقهُ فهجم عليه خادم آخر عارف بغرضه واستخرج المسدس من يده بالقوة وسقط ميتاً من التأثر . ولم يترك الجند مكاناً لم يفتشوا فيهِ عن مدحت حتى سرير الطفل . فلما رأت امرأة مدحت باشا تطاول القوم الى هذا الحد خاطبت حلمي باشا قائلة « ارجع رجالك عن منزلنا والا فاني افتح النوافذ واستنجد الامة عليهم » فخاف حلمي تهديدها لانهُ أُمر ان يعمل عمله بدون ان يشعر احد بهِ

فصرف رجاله الا جماعة منهم استبقاهم معهُ وخرج . ثم علم ان مدحت في قنصلاتو فرنسا فذهب الى هناك وسدعليه منافذ الطرق من كل ناحية حتى يقبضوا عليه اذا خرج مهما كانت وجهته وكان قنصل فرنسا المسيو بليسيه قد انبأ سفير فرنسا بالاستانة بما جرى وبعث مدحت الى قناصل الدول العظمى في ازمير يدعوهم الى الاجتماع في قنصلاتو فرنسا فجاؤوا وقص عليهم الخطر الذي يحدق به وطلب اليهم ان يوسطوا دولهم لدى الباب العالي وانه لا يطلب منهم عفواً ولا رحمة وانما يطلب اذا كان متهماً ان يحاكم جهاراً في محكمة قانونية قضاتها نزيهون . فجرت المخابرات التلغرافية واخذت الدول المواثيق والعهود على ذلك فلم يبق لمدحت بدٌّ من السفر الى الاستانة للمحاكمة . وبعد ايام جاء اليخت السلطاني فحملوه عليهِ الى الاستانة وانزلهُ السلطان في كشك مالطة في يلدز ريثما تتألف المحكمة لمحاكمته

١٠ — محاكمته والحكم عليه

واخذوا في استنطاقه وبعد الفراغ من ذلك عقدوا جلسة في سراي يلدز حضرها السلطان من وراء الستار ولم يحضرها الا السفراء وبعض مكاتبي الصحف الافرنجية مع ان الشرط ان تكون المحاكمة في جلسة جهارية . وكان القضاة خمسة ثلاثة مسلمين واثنين مسيحيين برئاسة سروري افندي احد العلماء وقد تقدم ذكره في مكان آخر من هذه الترجمة . وكان في جملة المتهمين مع مدحت الدامادان محمود باشا ونوري باشا وعلي بك ونجيب بك وفخري بك الجزائرلي وبعض الخدم

ولما فتحت الجلسة قرئت ورقة الاتهام وفحواها « انه بعد خلع عبد العزيز ببضعة ايام تواطأ الدامادان نوري باشا ومحمود باشا مع اثنين من المصارعين واحد حرس السراي على قتل السلطان المخلوع ووعدوهم براتب قدره ثلاثة جنيهات عثمانية لكل واحد في الشهر مكافاة على هذه الخدمة فقتلوا السلطان بمساعدة فخري بك احد الحجاب . وان علي بك ونجيب بك ادخلا القتلة الى غرفة عبد العزيز . وانه كان في الاستانة يومئذ لجنة مؤلفة من مدحت ورشدي وعوني وشيخ الاسلام خير الله والداماد محمود لم يكن يصدر امر او يجري حادث ما لم تصادق هي عليه فلا بد ان يكون القتل قد حصل بعلمهم ولذلك كان مدحت مشتركاً في ارتكاب تلك الجريمة »

وبعد تلاوة ورقة الاتهام اخذ القضاة يسالون المتهمين اسئلة مختلفة وهم يدافعون عن انفسهم . وتوالت جلسات هذه المحاكمة بين ٢٣ يونيو و ٢٩ منه وانتهت بالحكم على مدحت ومحمود ونوري وآخرين بالاعدام وكانت اخبار هذه المحاكمة تنقل يومياً بالتلغراف

في صحف اوروبا ولم يستطع المكاتبون انتقادها لان رسائلهم كانت تمرّ على المراقب قبل ارسالها يشهد بذلك رسالة مكاتب التيمس المؤرخة في اول يوليو سنة ١٨٨١ بعد صدور الحكم فقد صدرها بقوله انه لم ينتقد اعمال القضاة في رسالته السابقة خوفاً من المراقبة. ثم افاض في النقد ومآلهُ ان المحاكمة كانت مهياة وانها جرت على رغائب اهل المابين فاكثروا من الشهود وفي جملتهم شاهد لم يذكر اسمه في قائمة الشهود ولم يكن يجوز سماع شهادته واسمه رفعت افندي شهد انه سمع مدحت يقول في دمشق انهم انما قتلوا عبد العزيز لئلاَّ يعود الى السلطة ويقتل الوزراء الذين خلعوه • وفي جملة انتقادات مكاتب التيمس ان المتهمين لم يكن يتيسر لهم المفاوضة مع المحامين الموكلين في الدفاع عنهم وان مدحت لم يتداول مع محاميه الأمرتين • وغير ذلك مما يطول شرحه وهو مفصل في رسالة التيمس المشار اليها • ثم توسطت الدول في الحكم فابدل بالنفي وعين لكل واحد منفاه

١٩ – مدحت في منفاه الى مقتله

اما مدحت فتعين منفاه في الطائف بقرب مكة ومعه الدامادان محمود ونوري فحمل مع رفاقه في باخرة انزلته في جدة فالتقى هناك بصديقه خير الله افندي شيخ الاسلام المنفي الى مكة كما تقدم • اما عائلة مدحت فظلت في ازمير تنتظر ما يأتي به القدر • ففي السنة الثالثة من منفى رجلها جاءهم منه كتاب مؤرخ جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ يقول فيه انه مصاب بخرَّاج في كتفه اليمنى شديد الالم — وظهر بعد ذلك انه الجمرة (فرنجي جرب) وان طبيبه غلام غير محنك • وذكر ما يقاسيه من العذاب بجهل الطبيب وما اتخذه رفاقه من الوسائل لراحته مع يأسه من الشفاء • وذكر طعامهم فقال انه عبارة عن طبق شوربا لثمانية اشخاص وطبق من ورق الفجل او نحوه • وذكر في كتاب آخر ان الخراج تحسن حاله لكنه يشعر بالضعف • وقال في كتاب آخر انه ربما كان آخر كتبه اليهم لانه لحظ ان القوم يعملون على التخلص منه بواسطة السم وانهُ يقاسي العذاب من شدة التيقظ لنفسه لانهُ محاط باقوام اشرار لا يبالي احدهم من يقتل ولا كيف يقتل • وذكر على الخصوص احدهم بكير الشركسي رفيق حسن الشركسي الذي قتل عوني باشا قديماً وختم كتابه بالدعاء بحفظ العائلة • والكتاب مؤرخ في ٢٤ سبتمبر سنة ١٨٨٣

فلما وصل هذا الكتاب الى امرأته عرضته على سفير انكلترا في الاستانة فوعدها ببذل الجهد • واجتهد اللورد دفرين بالبحث عن صحة مدحت بواسطة ترجمان قنصلاتو

قرنـا في جدة فاجاب بعد البحث على يد شريف مكة ان صحته حسنة · وتوفي في اثناء ذلك الداماد نوري باشا مجنوناً

وفي ٢٦ افريل سنة ١٨٨٣ كان مدحت راقداً في غرفته فدخلها بضعة رجال قبضوا عليه وعلى رفيقه الداماد محمود وقتلوهما خنقاً · وكتب بذلك خير الله افندي تقريراً مطولاً نشر في تاريخ مدحت الذي الفه ابنه علي حيدر · ولم ينج خير الله من القتل الا خوفاً من نقمة العلماء على الدولة لصبغته الدينية

وجاء في تقريره المشار اليه اسماء الاشخاص الذين اشتركوا في ذلك القتل وهم تسعة قتلوا مدحت و ١١ قتلوا محموداً وهذه اسماء قتلة مدحت : اليوز باشي ابراهيم الشركسي والضابط الصغير نوري اصله من كوما والانفار احمد جاويش والانفار قندرجي اسماعيل واحمد ومحمد وكلاهما من كوتاهية ورجب وعثمان من قراحصار واسماعيل البربري وأما الذين قتلوا محمود الداماد فهم : الضابط الصغير تميش اصله من سبارطة ومحمد وحسن جاويش من قوتاهية وسليمان جاويش ومحمد الاونباشي وعثمان البلطاجي واحمد وعلي الروملي ومصطفى بربر

ويقال انهم بعد ان قتلوا مدحت ارادوا ان يثبتوا صدق خدمتهم للمابين فارسلوا الجمجمة في علبة عنونوها الى يلدز في الاستانة وذكروا انها تحتوي عاجاً يابانياً وادوات صناعية لجلالة السلطان فلم تفتح الا هناك

وكان مدحت كما رأيت من سياق سيرته ذكي الفؤاد حاد المزاج حرّاً حازماً هماماً مستقل الفكر جسوراً يحب وطنه ودولته ويتفانى في مصلحتهما · وكان مخلص النية في اقواله واعماله شديد الرغبة في الاصلاح يكره الاستبداد ولا يبالي بما يلاقيه في سبيل مقاومته يدلك على ذلك انه ذهب ضحية في هذا السبيل · لكنه كان قليل الدهاء يحسن الظن في الناس حتى في اعدائه · ولم يكن كتوماً الى الدرجة التي تقتضيها حاله لما يحيط به من ارباب الدسائس · ولذلك رايته انخدع في مواقف بيناها في اثناء الكلام عنه · فلو كان اكثر دهاء في تفكيره واقل حدة في مزاجه واسوأ ظناً في اعدائه واكتم لاسراره لما انتهت حياته بالكيفية التي ذكرناها · فذهب رحمه الله شهيد الحرية والدستور · فلما حدث الانقلاب الاخير وفاز الاحرار اعترفوا بفضله وسموه ابام وصاحب دستورهم وسيبقى ذكره ما بقي التاريخ

# الجامعة المصرية

## والتعليم اللازم للبلاد

### تمهيد

لا خلاف في انا اول من دعا الى انشاء مدرسة كلية كبرى لتعليم ابناء هذا القطر وتثقيف عقولهم وترقية نفوسهم بمقالة ضافية نشرناها في السنة الثامنة من الهلال تحت عنوان « مدرسة كلية مصرية حاجتنا الكبرى » ذكرنا فيها الغرض من هذه المدرسة واشترطنا ان يتولى امرها رجال يتخذهم التلامذة قدوة في الاعتماد على النفس والاقدام وحرية الفكر والقول ومعرفة الحقوق والواجبات . فاذا خرج التلامذة منها انشأ بعضهم المدارس في البلدان والقرى يبثون تلك الروح في ابنائها ويبثها الآخرون في رفاقهم بالاسواق والجمعيات والدواوين وفي المجالس العمومية والخصوصية

ذلك ما نرى مصر في حاجة اليه — زاعما في حاجة الى التربية اكثر مما الى العلوم وكنا كلما سنحت فرصة نعيد الكرة ونستحث ارباب الثروة على القيام بهذا المشروع وقد ضربنا لهم الامثال بالمدرسة الكلية الاميركية في بيروت وانا في حاجة الى مثلها . ولكن لسبب لا نعلمه لما قام رجال الهمة لاخراج هذا الفكر الى حيز العمل دعوا الناس الى تأسيس « جامعة مصرية » وهي ترجمة ما يسمية الافرنج University فتوجهت الانظار الى ان تكون المدرسة المطلوبة لمصر على نسق جامعات أوربا وهي ارقى ما بلغت اليه دور العلم عندهم بلا منازع ولكن ما يلائم امم اوربا قد لا يلائمنا لاختلاف احوالنا عن احوالهم . وقد بينا رأينا في هذا الشأن عند اعلان خطة الجامعة في العام الماضي . ونرى ان نعود الى ذلك الآن بعد أن بدأت الجامعة بالقاء دروسها فنبين ما يرجى من الخير على بدها وما قد ينتقد عليها

ولا حاجة بنا الى اثبات حسن قصدنا في هذا البحث فان القراء يعرفون اخلاصنا في خدمة مصلحة مصر بل يجوز لكل من توطن مصر ان يبدي رأيه في هذا المشروع لانهُ شريك في النتيجة فيجب ان يشترك في مقدماتها وقد همنا النظر في هذا الموضوع على الخصوص لانهُ اهم المواضيع التي طرقتها الصحف وقد قضت اعواماً وهي تخوض فيها بلا ثمرة فالبحث في طرق تعليم الامة وترقية نفوس ابنائها اهم تلك الابحاث لان ما يتطلبه المصريون

من الاستقلال او الدستور او الحرية او الثروة او غيرها لا ينال بغير العلم · وذلك هو عذرنا في الرجوع الى هذا البحث غير مرة

فائدة الجامعة المصرية

ان انشاء الجامعة المصرية ينبغي ان ينقل مصر من طور الى طور واذا استطاعت التوفيق بين طرق التعليم فيها وحاجة هذه البلاد اليها نهضت بهذا القطر الى ارقى معارج المدنية · وبما ان التعليم فيها سيكون باللغة العربية فانها ستغني آداب هذه اللغة وتحيي آمال اهلها · فيكثر الكتاب والقراء وترتقي الصحف وتتضاعف المؤلفات فتكون هذه الجامعة خاتمة مساعي اهل هذا العصر في سبيل النهضة العلمية في الشرق · فتتشكل الاندية وتتألف الجمعيات تلقى فيها الخطب باللسان العربي · وتظهر كتب العلم والطب والفلسفة والتاريخ والادب والرياضيات وغيرها في اللغة العربية وتصير مصر بؤرة العلم والعرفان في الشرق الاسلامي · فيتحقق الحلم الذي نتوهمه محالاً — اذ لا يعرض ذكر كاتب افرنجي وما يكتسبه من مؤلفاته الا اسفنا لكساد بضاعة الادب عندنا لقلة القراء فنتحسر على حالنا ونتمنى لو بلغنا الى مثل مابلغ اليه الافرنج من رواج الادب — فالجامعة المصرية تتكفل بتحقيق هذه الامنية

ناهيك بما يترتب على ذلك من تربية الشبيبة وترقية نفوسهم اذ يتعلمون معنى الوطن والوطنية ويدركون كنه الاستقلال الحقيقي ويفهمون الحرية الشخصية فيعلمون كيف يجتمعون وكيف يطالبون · ولهذا الغرض من التربية فضلنا انشاء الكليات على الكتاتيب يوم اختلفت الاراء في هل الكليات افيد لاهل هذا القطر ام الكتاتيب · وقد بينا رأينا في افضلية الكليات على انها تهذب الاخلاق وترقي النفوس (راجع الهلال الاول من السنة الرابعة عشرة)

هذه هي الفوائد التي تترتب على الجامعة · فهل نرجوها من الجامعة المصرية اذا تمشت على الخطة التي رسمتها وبدأت بالسير عليها ؟ والجواب كلاّ واليك الدليل

حاجة البلاد الى التعليم والتربية

اذا صح قولنا ان طريقة هذه الجامعة في تعليمها قليلة الفائدة لمصر فلا يستلزم انها لا تفيد غيرها لانها الطريقة التي سارت عليها معظم جامعات اوربا · ولكن المطلوب ممن يريد ادخال حسنة من حسنات التمدن الحديث الى الشرق ان يكيفها حتى تلائم طبائع اهله وتوافق مصالحهم ويسهل عليهم تناولها · لا أن يقدمها لهم كما هي اذ لكل امة احوال تختلف عما الاخرى فانتقادنا مسلك الجامعة المصرية انما نريد به عدم ملاءمته لحاجة هذا القطر

وحاجة هذا القطر كما قلنا مراراً انما هي الى ترقية النفوس وتدريب الشبيبة على

العمل وتعليمهم قيمة الوقت وتدريب عقولهم على التمييز بين الصحيح والفاسد . وهذه وامثالها لا تنال باستماع الخطب في اداب اللغة او تاريخ الحضارة او الفلسفة ليس لان هذه العلوم لا ترقي العقول بل لان الطلبة عندنا غير مستعدين لتفهمها والاستفادة منها لانها فوق ما يحتاجون اليه . كما انهم لا يستفيدون الفائدة المطلوبة من المدارس الابتدائية والثانوية لانها تحت حاجتهم . فهم مفتقرون الى علوم متوسطة بين مايعلم في المدارس الثانوية المصرية وما يلقى في قاعات الجامعة الآن . وهذا الذي نريده بانشاء المدرسة الكلية العلمية لانها تتكفل بسد هذا الخلل . والفرق بينها و بين المدارس الثانوية التي تمنح شهادة البكالوريا بمصر انها ارقى كثيراً ولاسيما في العلوم الطبيعية والرياضيات التي ترتقي بها عقول الشبان وتتعود النظر الصحيح والحكم المعقول

الطبيعيات والرياضيات

لما عزمنا على تلقي الطب في المدرسة الكلية في بيروت بحثنا عما يقتضي تعلمه استعداداً لذلك فقيل لنا لابد لطالب الطب من ان يجوز الامتحان في الفلسفة الطبيعية والهندسة والجبر والحساب واللغة الانكليزية والعربية . فلم نستغرب اشتراطهم شيئاً من هذه العلوم الا الجبر والهندسة لاننا لم نر لهما علاقة بالطب . ولكننا ما لبثنا ان رأينا لهما فائدة كبرى في تدريب العقل على تسلسل الادلة وتنسيقها كما يفعل المنطق فضلاً عن تعويد طالبهما حصر الفكر في الموضوع الذي يريد البحث فيه

اما الطبيعيات ففوائدها اظهر من ان تحتاج الى دليل فهي تكشف للعقل عن اسرار الطبيعة ونواميسها فيرى اسباب الحوادث و يتعود التعليل الصحيح المبني على المشاهدة والاختبار فلا تخدعه الاوهام . ونريد بالطبيعيات هنا الفلسفة الطبيعية والكيمياء والنبات والحيوان والجيولوجيا والفلك والفيسيولوجيا والجغرافية الطبيعية والظواهر الجوية . فهذه العلوم يتلقاها تلامذة كليات العلم في كل بلاد ولا ينال الطالب شهادة البكالوريا مالم يمتحنها الا في مصر فان شهادة البكالوريا لا يشترط فيها من هذه العلوم الا مبادىء قليلة في الفلسفة الطبيعية والكيمياء . والعلوم الطبيعية لا غنى عنها في تنوير الاذهان حتى يدرك العقل حقائق الاشياء و يميز الخرافة من الحقيقة فلا يضيع وقته في طلب المحال . ان الشبيبة المصرية في اشد الاحتياج الى هذه العلوم لتسلط الاوهام على عقول عامتها حتى المتعلمين منهم فقد علمنا من المكتبة الخديوية بالقاهرة ان من الالوف الذين يختلفون اليها للمطالعة او النسخ نحو سبعون في المئة منهم يطلبون كتب السحر او الزايرجة او الرمل او التنجيم . فيقضي احدهم ساعات وهو

جالس يطالع او ينسخ . وهؤلاء طبعاً من المتعلمين وتلامذة المدارس ولما رأى ناظر المكتبة ذلك وهو يعلم الضرر الناتج عن التعلق بهذه الترهات امر بالحجر على تلك الكتب فلا يعطى شيء منها لاحد الا اذا ظهر انه يريده للبحث العلمي فقط

فالشبيبة التي هذا حالها لا تفيدها دروس الحضارة وآداب اللغة الا قليلاً وانما هي في حاجة الى العلوم الطبيعية . وما نحن ممن يقول بوجوب الاقتصار على هذه العلوم فقط لانها وحدها الحقيقية لما فيها من المنافع للناس كما يرى صديقنا الدكتور شميل [1] ولكننا نرى للعلوم الادبية والتاريخية والفلسفية فضلاً كبيراً على هذا التمدن بل لا نرى رونقاً للتمدن بدونها وان كنا نعتقد ان العلوم الطبيعية يجب ان تكون اساساً لسائر العلوم . فاذا تلقى الطالب شيئاً من الادبيات بعدها كانت فائدته منه مزدوجة لانه يتلقاها ممحصة فلا يقبلها على علاتها — واليك امثلة من فوائد العلوم الطبيعية

فوائد العلوم الطبيعية

فالفلسفة الطبيعية تعلمنا نواميس السمع والبصر ونواميس الاثقال والجاذبية والمغنطيسية وان المادة تشغل حيزاً محدوداً . فلا نصدق ان فلاناً دخل البيت وابوابه مقفلة او انه اختفى فجأة . ولا ان الجالس في طنطا يحضر لك عصاك من خزانتك بمصر في لحظة وانت بين يديه ولا ان زرقاء اليمامة رأت جيش العدو على مسافة ثلاثة ايام او نحو ذلك مما يرد في سياق التاريخ او الادب

والكيمياء تكشف اسرار الظواهر الطبيعية بالتحليل والتركيب وتبرهن لنا ان المواد مؤلفة من عناصر محدودة ولها نواميس معينة لا تتغير وان المادة لا تتلاشى . فلا نلتفت الى القائلين بتحول النحاس الى ذهب ولا نضيع دقيقة في سبيله . واذا رأينا بعضهم يحول البيضة الى حية او البصلة الى دجاجة علمنا يقيناً انه يفعل ذلك بالشعوذة

والجغرافية الطبيعية تعلمنا طبائع الاقاليم واسباب اختلافها فنعلم ان سبب ملوحة البحار ما تذيبه مياه الانهر من الاملاح في اثناء جريها الى مقرها في البحر وان الطوفان لم يعم الارض

والظواهر الجوية تعلمنا اسباب المطر والرعد والبرق والرياح والاعصار فلا نخاف الرعد او نحسبه قرقعة لجم الجان ولا نحسب البرق بريق عيون الابالسة . اذ نتحقق بالبرهان انها من تفاعل كهربائية الجو

---

(1) راجع مقالته في المقتطف الأول من المجلد ٣٤

وعلم الفلك يدلنا على عظمة الخليقة وسعة هذا الكون . ويعلمنا حركات الافلاك واسباب الخسوف والكسوف فلا نخاف على القمر او الشمس من ان يبتلعهما الحوت ولا يزعجنا ظهور ذوات الاذناب او نتطير منها لتحققنا ان حركات الافلاك لا علاقة لها باحوال الاجتماع

والجيولوجيا تكشف لنا عن طبقات الارض وما تتركب منه وانها قديمة جداً . وان الفحم الحجري بقايا الغابات تحت الضغط قروناً وان القار الذي يستخرج من باطن الارض ليس من دماء العفاريت ولا انه تحلب من دماء الكفار . وهي تعلمنا بواسطة علم المعادن ان الحجارة الكريمة مقاديرها محدودة فاذا جاء في بعض الكتب ان الملك الفلاني بنى قصراً حجارته من الجزع واساطينه من العقيق مثلاً علمنا انه يرمي الكلام جزافاً . وهي تدلنا على اسباب الزلازل والبراكين فاذا سمعنا ان ارضاً ظهرت في البحر ولم تكن بالامس او ان ارضاً كانت ثم غارت في الماء لم نستغرب القول ولهذه الحقيقة شأن كبير في تفسير بعض الغرائب التاريخية

والفيسيولوجيا تبحث في وظائف الاعضاء وقواعد الهضم والغذاء وكيفية التمثيل والدثور ونواميس الحياة . فنعلم بها ان الانسان لا يعيش خمسمائة سنة او الف سنة . ولا يبلغ طوله عشرين ذراعاً او خمسين . وانه لا يعيش في باطن الارض لحرارته وفساده ولا في قاع البحر لانحباس الهواء عنه . وان الخبل العقلي سببه اختلال في الدماغ لا كرامة ولا ولاية . وان الانسان لا يمسخ حجراً والحجر لا يصير انساناً . وان الحسد لا يؤذي والعين لا تصيب

وعلم الحيوان يبين لنا انواع الحيوانات وطبقاتها وخصائصها وتوالدها . فاذا قيل لنا بعد ذلك ان فار الغيط يتولد من الطين وان في بعض البلاد اناساً لهم رؤوس كلاب او اذناب اسماك نبذنا ذلك القول ولو كان قائله كبيراً او وجيهاً

وعلم النبات يعين اصناف النبات وفصائلها ونواميس غذائها وتناسلها وتنوعاتها وخصائصها . فاذا قرأنا ان في حديقة الملك الفلاني شجرة تثمر طيوراً او حشرات عددنا ذلك من الخرافات . ولا نخاف من اللفاح اذا رأيناه يشبه الآدميين ولا نصدق انه مسخ انسان او فرخ من الجان لعلمنا انه جذر نبات معروف . واذا عرض لنا عرق العقرب الذي يذهب بعض الناس ان من يقتنيه يقع ميتاً اقتلعناه ولم نبال

هذه امثلة من فوائد العلوم الطبيعية في انارة الاذهان . ولهذه العلوم في المدارس الكلية معامل ومعارض ومسارح ومنابت يشاهد الطالب فيها امثلة مما يقرأ عنه او يجري التجارب فيه بنفسه كمعامل التحليل الكيمي للكشف عن المواد المجهولة والمعارض الجيولوجية وفيها

ضروب الاحجار والمعادن حسب طبقات الارض · والمعارض النباتية فيها امثلة من النبات على اختلاف الاقاليم · والمعارض الحيوانية وفيها هيا كل الحيوانات باختلاف اصنافها ناهيك بمسارح الحيوان وحدائق النبات والمعارض الطبية والميكانيكية وغيرها

فالشاب الذي يستنير عقله بهذه العلوم تتسع مداركه ويدرك حقيقة الموجودات فلا يأخذه الغرور ولا تخدعه الاوهام فاذا سمع درساً في التاريخ او الحضارة او آداب اللغة فهم منه غير ما يفهمه سواه ·

التوسع في العلوم الاخرى

واعتبر ذلك ايضاً في التاريخ والجغرافية وسائر العلوم الادبية فان مايلق منها في المدارس المصرية اقل مما يطلب للبكلوريا في البلاد الاخرى · فالكليات هناك تتوسع في التاريخ العام والجغرافية وتعلم فلسفة التاريخ والاقتصاد السياسي والفلسفة العقلية والادبية والمنطق ومبادىء اللغات القديمة · فهذه كلها لا وجود لها في المدارس المصرية بل هي تكتفي بمبادىء اولية في التاريخ والجغرافيا · واكثر طلبة العلم في الجامعة المصرية من حملة البكلوريا وهم كما رأيت فكيف يستفيدون من خطاب في تاريخ حضارة امة او تاريخ اداب لغتها ولا المام لهم الا بنتف قليلة من تاريخ تلك الامة · فطالب تاريخ التمدن الاسلامي مثلاً هل يستوعبه اذا لم يكن متمكناً من تاريخ الاسلام ؟ وطالب تاريخ التمدن المصري القديم كيف يتفهمه ان لم يكن عارفاً تاريخ مصر القديم · وكذلك طالب تاريخ آداب اللغة ينبغي ان يكون مطلعاً على تاريخ اصحاب تلك اللغة مع المام باللغات القديمة التي تفرعت عنها او اشتركت معها في تاريخها · فطالب آداب اللغة العربية مثلاً يجب ان يكون له المام باخواتها السامية وهي السريانية والعبرانية والحبشية كما يجب على طالب اداب اللغة الفرنساوية ان يعرف مبادىء اللاتينية واليونانية · وكما ينبغي لكليهما ان يلم باداب القدماء التي اخذت هذه الامم عنها · فالباحث في اداب اللغة العربية يجب ان يعرف اداب اللغة الفارسية واليونانية اللتين نقل العرب عنهما · والباحث في التمدن الاسلامي يجب ان يعرف تمدن الامم التي تقدمته كالرومان واليونان والفرس وغيرهم

فالعلوم التي تلقى بالجامعة المصرية الآن هي عظيمة الاهمية في اعتبارنا لكنها موضوعة في غير محلها — وقد يعترض علينا باننا اول من نبه الاذهان الى هذه العلوم في اللغة العربية لاننا نشرنا « تاريخ اداب اللغة العربية » في الهلال منذ ١٠ سنة ولم يكن احد فكر فيه ونحن اول من سماه بهذا الاسم · واننا اخذنا في كتابة تاريخ التمدن الاسلامي منذ ثماني سنين ولم يكن

احد ذكره قبلنا — فيتخذ المعترض ذلك حجة لدفع انتقادنا · فنجيب اننا انما نكتب في هذه المواضيع وامثالها لتفقيه خاصة القراء وليس للغرض الذي انشئت الجامعة من اجله · ولما كان الغرض من انشاء هذه الجامعة ترقية العقول وتهذيب النفوس كان الاولى بها أن تبدأ بتعليم العلوم الطبيعية والتوسع في التاريخ والجغرافية والاقتصاد السياسي ثم تبني فوقه الحضارة والآداب وغيرها

وقد يقال ان التعليم الجاري الآن في الجامعة وقتي وانها تنوي تغييره بعد ان يعود التلامذة الذين ارسلتهم لتلقي العلم في اوربا · والجواب ان ذلك قد يكون الواقع ولكننا قرأنا في قرارها الذي اصدرته في العام الماضي قولها « ان الذي ينقص القطر المصري الآن ليست المدارس العلمية او المدارس التي يخرج منها المحامون والمهندسون والاطباء بل ينقصها المدارس التي تعلم العلم لذاته دون مجرد الربح · لذلك ستكون الابحاث التي يتناولها التعليم في الجامعة واسعة جداً و يعلم فيها تاريخ المدنية وتاريخ العلوم والفلسفة والتشريع والطب باوسع التعليم »

فلا نرى هنا ذكراً للعلوم الطبيعية التي تقدم ذكرها فلم تجعلها من ضمن بروغرامها ولا هي موجودة في بروغرام المدارس المصرية · وهذا ما نتقدم الى لجنة الجامعة ان تنظر فيه فانه من الاهمية بمكان عظيم · واذا فرضنا انه من بروغرامها فقد كان الاولى ان تبدأ به

طريقة القاء الدروس

بقي لنا ملاحظة أخرى على طريقة القاء الدروس في الجامعة المصرية فانها تلقى خطباً يسمعها التلامذة وينصرفون · وهي الطريقة المتبعة في اكثر مدارس اوربا العالية ولكنها مع ذلك لا تصلح لنا لان احوالنا تختلف عن احوال امم تلك القارة · هم يحتاجون الى مدارس التعليم فقط ونحن نحتاج الى مدارس التعليم والتربية معاً · ان الاوربي يتلقى مبادىء التربية في حجر والديه لان العائلة عندهم ارقى من العائلة عندنا · فالام تتكفل عندهم بغرس تلك المبادىء في طفلها فتعلمه الاعتماد على النفس والمحافظة على الوقت وتبث فيه استقلال الفكر وحب الوطن · واما نحن فينبغي لنا ان نتعلم ذلك في المدارس لان امهاتنا لا يزلن عاجزات عنه · ولا يتيسر الحصول عليه الا بالمدارس الداخلية التي يقيم فيها التلامذة يتعلمون و يتثقفون و يتربون بطريقة يحمل بها التلاميذ على الدرس كرهاً وحباً في وسط يكون اساتذته مثالاً في الآداب الصحيحة والاخلاق السامية فضلاً عن العلم · فتكون المدرسة مدرسة تعليم وتربية يدخلها الطالب لدن العود لين العريكة فلا يزال يتلقى العلم و يتمرس باسباب الترقي و يطبع على الاقدام وسائر الفضائل حتى يخرج مثقفاً قوي الارادة نشيطاً مستقل

الفكر عاماً يحب وطنه و يتفانى في خدمته . وهذا لا يتأتى بالحضور الاختياري لسماع الخطب لان معظم هذه المحامد تنال بالقدوة والمباحثة والمعاشرة والمناقشة اناء الليل واطراف النهار . وبالجملة اننا في حاجة الى مدرسة يسبك فيها الطالب سبكاً في قالب جديد يوافق مصلحة بلاده على ايدي اساتذة عقلاء فضلاء يستفيد من اخلاقهم ومناقبهم

نحتاج الى مدرسة اذا فرغ تلامذتها من دروسهم لا يخرجون الى القهوات والبارات واماكن اللهو كما يفعل اكثر الذين يحضرون الدروس الاختيارية بمصر . بل يلازمون اساتذتهم او رفاقهم يباحثونهم في الادب او الفلسفة او الاخلاق و يتنافسون في المسابقة الى الفضيلة او يعقدون الاجتماعات للخطب الادبية او الاجتماعية ويتمرنون بالخطابة على المنابر او المناظرة في المواضيع المفيدة كما يفعل تلامذة المدرسة الكلية السورية وامثالها من الكليات الكبرى التي يشعر اساتذتها انهم مسئولون عن تربية التلامذة مثل مسئوليتهم عن تعليمهم . وليس كما يشاهد بالمدارس الاميرية بمصر لهذا العهد فان الاساتذة يلقون الدروس وينصرفون الى شؤونهم لا يهمهم ما يكون بعد خروجهم . وربما التقى التلميذ ومعلمه في قهوة واحدة او على مائدة واحدة يشربان و يتمازحان . فيشب التلامذة لا يخافون المنكر ولا ينفرون من اماكن اللهو . وهذه مفسدة تقف في سبيل ما نرجوه من الرقي لابنائنا في عوامل هذه المدنية . وذلك طبيعي في المصالح الاميرية لان العامل فيها انما يهمه الراتب الذي يقبضه على عمل لا يلذ لهُ ولا يصدق انهُ فرغ منهُ حتى يمضي الى شؤونه . ولذلك فالآمال متجهة والابصار شاخصة الى الجامعة المصرية التي انشئت باموال الاهالي لعلها تسد هذا النقص . فنتقدم الى ولاة امرها ان يجعلوها اقرب الى مصلحة البلاد وحاجة اهلها للاسباب التي قدمناها

---

## يطلب لادارة الهلال

زادت طلبات الاشتراك على ما قدرناه في اول هذه السنة من الهلال ولم نتنبه لذلك الا بعد طبع الهلالين الاول والثاني فزدنا عدد ما طبعناه بعدهما . فنرجو ممن يكون عندهُ احد هذين العددين او كلاهما فوق حاجته ان يتكرم بارسالها الى الادارة ولو بالثمن ريثما نعيد طبعها . ومثل ذلك العددان ١ و ٢ من السنة ١٦ والسابع من السنة ١٥ والتاسع من السنة ٤ ونرجو من وكلائنا الكرام بالجهات وعلى الاخص في سوريا ان يتكرموا بارسال ما يقع لهم ايضاً من الاعداد المذكورة

# تاريخ الحكومة الدستورية

## ٢ ـ تاريخ الحكومة الدستورية في فرنسا

### ١ ـ نظرة في حال اوربا بعد سقوط بونابرت

لما سقط بونابرت ورجع ملوك اوربا الى امتلاك عروشهم سنة ١٨١٤ سعوا جهدهم في اعادة الحكومة الى ما كانت عليه قبل الثورة • على ان بعضهم أراد الرجوع الى الوراء كملك سرديفيا الذي خطر له ان يهدم طريق كورنيش لانها من بناء الفرنساويين • وعزم منتخب هيس على تنزيل القادة عن درجاتهم التي نالوها في غضون تغيبه — على ان بعض الحكومات حافظت على شيء من الشؤون التي حدثت في زمن الثورة كحرية الصناعة والزراعة ووحدة الشرائع وتنظيم الادارات على نسق قانون لكنهم صرحوا ان الثورة جريمة غير مشروعة وانه يجب اعادة الملكية المطلقة • وكان لويس الثامن عشر يلقب نابوليون بونابرت بالمغتصب ويحسب سنة ١٨١٥ السنة الحادية والعشرين من ملكه كأن نابوليون لم يكن في اثناء ذلك • ويسمى رجوع الملكية هذا في اصطلاح المؤرخين La restauration

ويعقب الصدمات السياسية غالباً تنبه الاذهان الى الاصلاح فاخذت دول اوربا بعد الملكية تنظر في تنظيم حكوماتها فنشأ من ذلك نظريتان متناقضتان احداهما « الحكومة المطلقة » والثانية « الحكومة الدستورية » فاصبح في كل مملكة حزبان متما كان احدهما حزب الحكومة المطلقة والثاني حزب الحكومة الدستورية ويسمونه الحزب الحر • وليس الاختلاف بين الحزبين في تشكيل الحكومة لان اتباع الدستور لا يؤثرون الجمهورية على الملكية وانما وجه الخلاف على مبدإ السلطة ذاتها

على ان مبدأ الحكم المطلق يقرب جداً من المبدأ القديم ألا وهو الحق الالهي بحيث يكون للملك وحده كل السلطة على بلاده وان الله أودع السلطة في اسرة الملك ومن ارادته تعالى ان تنتقل من الاب الى الابن وحقوق الملك هذه متصلة به من الدين والتقليد ولكنه لم ينلها من رعيته ولذلك لا يلتزم باداء الحساب عنها بل يحكم فيهم بما يظنه حسناً متبعاً ضميره غير مقيد بشيء من السنن والقوانين • فكل سلطة تصدر عنه وله وحده حق

الحكم واشتراع القوانين ووضع الضرائب . الا ان الرعية حافظت في بعض الممالك على حق انتخاب نواب عنهم يؤلفون مجلساً ويغلب في الملوك ان يحكموا بالاتفاق مع ذلك المجلس الا انه اذا تعذر اتفاق الملك والنواب فعلى النواب الخضوع والتسليم لأن السلطة ليست من خصائص الامة وانما هي من حقوق الامير

ويحسب اشياع الحكومة المطلقة انه لا يمكن ان يقيد الملك بشيء من القيود ازاء رعيته ولذلك ينبذون كل دستور مكتتب ولا يعترفون بقاعدة غير ما في التقليد وارادة الملك ولما كانوا يعتقدون ان الدين يوصي باحترام الملك رغبوا في جعل الدين الزامياً وحفظوا لكنيسته سلطة سياسية ( ذلك ما كانوا يسمونه اتحاد العرش بالهيكل ) — واذ كانوا يخشون من الجرائد انتقادها على اعمال الحكومة رغبوا في جعلها تحت المراقبة المستمرة فكانوا في اغلب الاحايين يشايعون المراقب الذي يفحص المقالات قبل السماح بطبعها

على ان اشياع الحكومة المطلقة في كل بلاد يكونون من رجال البلاط ومن العمال ويلحق بهم القسم الاكبر من الاشراف والكهنة والفلاحين والعاطفة المتسلطة عليهم هي اعتبار الماضي وحب الترتيب

اما المبدأ الدستوري فقائم على مبداء سلطة الامة وهو قريب جداً من مبداء الحكومة الدستورية البريطانية التي تعترف للملك بحق الملك الا انه لا يملك الا برضا الامة وبموجب ميثاق . فلا يحق له من القوانين ولا وضع الضرائب ولا اختيار الوزراء بمجرد ارادته بل لا يستطيع ان يحكم الا بالاتفاق مع المجلس الذي يمثل الامة واذا اختلف الملك والامة فعلى الملك الامتثال والتسليم لان الامة هي السائدة

وتأميناً للامة على حقوقها يضعون دستوراً مكتوباً هو الشريعة الاساسية في البلاد ويتعهد الملك ووزراؤه بالعمل به . واذا أخلوا بشيء منه فللامة الحق بمقاومتهم ويكون الوزراء مسؤولين عما يعملون ولما كان من افضل الذرائع المانعة لتجاوز السلطة حدودها هو اشهارها للناس طلب الدستوريون حرية الكلام والكتابة والاجتماع كما طلبوا حرية المعتقد والمساواة بين المذاهب

وكان معظم الدستوريين يقيمون في المدائن وسوادهم من الاوساط والعملة والمشترعين والكتبة وكان شعارهم النجاح والحرية

هكذا بدأ الخصام بين هذين الحزبين عقيب رجعة الملكية وكان معظم الخلاف بينهما في القضيتين الآتي ذكرهما :

القضية الاولى · طلب الاحرار من الحكومة وضع دستور مكتوب تقرر فيه حقوق الرعية · فابت الحكومة التقيد بحقوق تمس مقام الملوك

القضية الثانية · طلب الاحرار حرية المطبوعات وابت الحكومة ان تسمح بطبع الكتابات المزعزعة للاركان Subversifs والمراد بها انتقادها على نظام الهيئة الاجتماعية والحكومة · فاحتفظت بالمراقبة

وكان اشياع الحكومة المطلقة في سنة ١٨١٥ م ولاة الامر في كل ممالك اوربا تقريباً لذلك اخذوا يتعقبون الكتبة المنتقدين و يقيمون عليهم الدعاوي في المحاكم ويمنعون الكتب والجرائد الاجنبية ويزجون قراءها في السجون · وكانت حكومة المانيا توجس خوفاً من اجتماعات طلبة العلم فاجتمع مؤتمر كارلسباد اجتماعاً مخصوصاً قضى به بفض الاجتماع المسمى Burschenschaft و باقامة مراقبين في المدارس الجامعة يحظرون كل اجتماع يعقده الطلبة وادى ذلك الى اعتقال كثيرين من اولئك الطلبة في القلاع — فشرع الاحرار يؤلفون الجمعيات السرية ومن ثم اخذوا يحاولون بالمؤامرات والثورات قلب الحكومة وارغامها على منح الدستور حسب النظام البارلماني في انكلترا ـ لان انكلترا هي مهد النظام البارلماني وفيها كانت نشأته كما تقدم وعن قومها الانكليز اخذت الشعوب الاخرى مناهج الشورى

٢ ـ عهد La charte سنة ١٨١٤ ورجعة الملكية الى فرنسا

لما رجع البوربون الى فرنسا سنة ١٨١٤ وملكوا عليها وعدوا باحترام سنن الثورة والامبراطورية وانهم لا يمسون المجتمع بشيء فيستمر ديمقراطيا و يظل الفرنساويون سواء في حكم القانون وفي تقلد كل الوظائف وتلبث الامتيازات القديمة ملغاة وتبقى الاملاك الوطنية لمالكيها الحديثين ولا يمسون الادارة فتستمر على الرجوع بها الى المركز وتبقى كل المصالح العامة كالمالية والعدلية والادارة والبوليس والجيش حتى تقيم الولايات على ما رتبت الثورة و يحتفظون على مشاريع نابليون مثل القانون ووسام اللجيون دونير والبنك والمدارس الكلية · وكان الشعب قد تمرد على الامبراطورية صائحاً فليسقط التجنيد والحقوق المحددة واوجبوا على انفسهم الغاء هاتين السنتين القبيحتين وابدالها بالاكتتاب و بالرسوم غير المقدرة

هكذا كانت فرنسا منذ سنة ١٨١٤ ممتعة بنظام اجتماعي واداري لم يحدث فيه تغيير منذ يومئذ وهذا الترتيب الاجتماعي صار اساساً متيناً في الحياة الفرنساوية الا انه لم يكن في فرنسا ادارة منظمة كما كان لحكومة انكلترا فاضطرت ان تحدد القواعد التي تتوزع

السلطة بحسبها وان تمنح الامة دستوراً تعوده. فقضت في تدبير ذلك ستين سنة (من ١٨١٤ الى ١٨٧٥) . اما الدستور الاول فتاريخه سنة ١٨١٤ على ان عداة استبداد نابليون من الملوك المتحالفين والساسة الفرنساويين انجبوا بالنظام البارلماني الانكليزي لانهم حسبوه اكثر حرية من نظام كل الحكومات فنصحوا لويس الثامن عشر ان يدخله الى فرنسا حتى ان مجلس الشيوخ (السنا) كتب تقريراً مبنياً على مبدإ سود الامة قال فيه « ان الشعب الفرنساوي بملء اختياره يدعو لتبوء العرش لويس ستانيسلاس كزافيه شقيق الملك الاخير وان الشعب لاقراره على العمل بالدستور يفرض على الملك ان يقسم اليمين على العمل به وان يوقع عليه قبل ان ينادى به ملكاً » فأبى الملك الجديد المصادقة على هذا الدستور لانه رغب في بادىء الامر ان يتبوأ الاريكة فلما نودي به ملكاً اذاع قراراً جديداً تجنب فيه الالماع الى ذكر الدستور ولكنه استعمل بديلاً منه اسماً مأخوذاً عن العصور الوسطى الا وهو العهد الدستوري Charte Constitutionelle اما الملك فتلقب بلويس الثامن عشر بنعمة الله ملك فرنسا ثم ارخ العهد في السنة الحادية والعشرين من ملكه واستخدم عبارة الملوك المألوفة « تنازلنا ومنحنا » وانما عدل الى هذه الخطة ليظهر للملإ انه لا يعترف لحكومة من الحكومات التي سادت فرنسا منذ وفاة لويس السادس عشر انها كانت شرعية . وان الملك الشرعي الوحيد كان ابن شقيق لويس السابع عشر ومن بعد وفاته اصبح هو صاحب الملك وان السلطة التي اتصلت اليه بالارث هي حق الهي تختص به دون سواه وانها مطلقة وله وحده الحق بالتصرف فيها وتحديدها بمنح منه يصدره من تلقاء ارادته يريد بذلك ان السلطة في فرنسا من خصائص الملك وليست من خصائص الامة فادى ذلك الى امتعاض الاحرار واستيائهم الا ان تجت على هذا الشكل المطلق صدر العهد Charte سنة ١٨١٤ مشيداً النظام الدستوري وبه دخلت الى فرنسا المناهج السياسية التي كان يجري عليها المحافظون وذلك ان الحكومة كانت موزعة على ثلث سلطات وهي الملك والمجلسان مكان للملك السلطة التنفيذية وحق تنصيب الوزراء واقالتهم وفض مجلس النواب وكان الوزراء مسؤولين عما يعملون . اما المجلس العالي فكان يؤلف من امراء فرنسا الذين يعينهم الملك فينتقل المنصب فيه بالارث الى اعقابهم شأن مجلس اللوردة في انكلترا . ومن خصائصه التصديق على القوانين فكان مجلس النواب مؤلفاً من اعضاء ينتخبون من الامة وله اشتراع القوانين والاقتراع على الميزانية ولم يكن الامراء والنواب يوجرون اما المطبوعات فصارت حرة شأنها في انكلترا . والخلاصة ان النظام الفرنساوي كان نسخة ثانية للنظام الانكليزي حتى في الجزئيات مثل خطاب العرش وجواب المجلس واللجان وغير ذلك

### ٣ — كيفية انتخاب النواب وحرية المطبوعات

ولقد اغفل العهد القرار على قضيتين عمليتين كان من الواجب ان يبت الحكم فيهما بالقانون : القضية الاولى كيفية انتخاب النواب والثانية كيفية تنظيم حرية المطبوعات · على ان القوانين اللازمة لهاتين القضيتين لم تذكر في العهد فظلت موضوعاً للبحث زمناً طويلاً

على ان النظام الانكليزي كان في عهد اتخاذه انموذجاً للسنن الفرنساوية غير جازم في احدى القضايا وهي : ما هي حقوق الملك تجاه مجلس النواب ؟ هل يفرض عليه ان يتخذ وزراءه من اغلبية اعضاء المجلس ؟ واذ لم تكن هذه القضية قد قطع الجدال فيها في انكلترا لبثت كذلك في فرنسا

وهكذا ظلت مباحث البرلمان دائرة من سنة ١٨١٤ الى سنة ١٨٣٥ على وضع قانون الانتخاب وقانون المطبوعات وسلطة الملك واما ما يختص بنظام الانتخاب والمطبوعات وسائر الدستور فقد اتبع الساسة الفرنساويون النهج البريطاني

على انهم لم يتنازعوا في منح كل فرنساوي حق انتخاب النواب فان الثورة اظهرت لهم الحقوق في الانتخاب العام وقام في الاذهان ان حقاً اعظم الاهمية مثل انتخاب النواب لا يجب ان يخول الا لبضعة مختارة من الرجال الاكفاء على ان تكون الثروة هي الاساس المعتمد في تخويل الانسان حق الانتخاب كما في انكلترا فيعدلون الى دفاتر الجباية وبحسبها يقررون اسماء نائلي ذلك الحق وظلوا على اعتماد تلك الدفاتر حتى سنة ١٨٤٨ على انهم منذ سنة ١٨١٤ جعلوا مقدار الجباية عالية جداً بحيث يتعين على المنتخِب ان يؤدي في كل سنة من الضرائب ثلاثمائة فرنك · وأما المنتخَب ( بفتح الخاء ) فيؤدي الفي فرنك · وطريقة الانتخاب هي ان يجتمع المنتخبون في حاضرة الولاية أو المقاطعة · وظل نهجهم هذا جارياً الى سنة ١٨٣٠ على ان عددهم لم يكن يومئذٍ يتجاوز الف مئة وعشرة الاف رجل مع ان عدد الاهلين كان من ٢٥ الى ٣٠ مليوناً من النفوس وكانوا ينقسمون الى قسمين احدهما عامة الشعب الذين لا حق لهم بشيء من الحقوق السياسية · وثانيهما المقيدة اسماؤهم في دفاتر الجباية وهم المنفردون بحق تمثيل الامة جملة · ومن جراء ذلك صاروا يلقبون هؤلاء الواقعين تحت الجباية بعد سنة ١٨٣٠ بالقوم القانونيين وذلك لانهم كانوا ازاء القانون السياسي كانهم كل البلاد (١)

---

(١) ان الاختلاف الاساسي كان قائماً على طرق اجراء المبداء العام وهو ان

أما المطبوعات السياسية فقد ترتبت ايضاً على نهج الانكليز على ان يضعوا على كل عدد منها تمغة بقيمة ٥ سنتيمات وكانت اجرة البريد عن العدد الواحد ١٠ سنتيمات ولم يكن بيع الاعداد مفردة شائع الاستعمال بل كان تصريفها محصوراً بالاشتراك فيها. فظلت الجرائد كطرفة غالية الثمن لا يتمتع بها الا الاوساط . وكان عدد المشتركين فيها سنة ١٨٣٠ لا يتجاوز الستين الفاً الى السبعين . وأما عامة الشعب فلم يكونوا يقرأون ولذلك لبثوا في جهل مطبق لا يدركون من السياسة شيئاً لان تلك بقيت من خصوصيات الاوساط وكان يتعين على من ينشىء جريدة ان يقدم كفالة مالية مهمة . ولذلك لم يكثر عدد الجرائد بل كان لكل حزب من الاحزاب ثلاث اواربع منها ولكل منها نفوذ عظيم على قرائها . ومما زادها بسطة ان البدء لم تكن يوقعها كتابها جرياً على الخطة الانكليزية وحالة كون الصحف ظلت مكتنفة بكل هذه المثبطات اتيحت لها حريتها كما هو الحال في انكلترا الا انهُ حُظر عليها ان تتكلم بشأن الملك او تنتقد الدستور

٤ ـ الاحزاب السياسية في فرنسا

وهكذا نقل النظام السياسي الانكليزي الى فرنسا الا انهم لم ينقلوا معهُ العادات الانكليزية فكانت نشأة الاحزاب في فرنسا على غير المألوف في انكلترا . فالنواب الفرنساويون لكونهم اصعب مراساً لم يرتضوا ان يتألبوا حزبين بل شرعوا يجتمعون شراذم شتى وكل واحدة منها تنهج سبيلاً خاصاً في السياسة شأن الاحزاب في انكلترا. ولما كانت كل شرذمة منها تتبع سياستها الخاصة وترمي للحصول على السلطة كانت طريقة الرجحان الانكليزية غير معمول بها ما لم تحصل الاغلبية لشرذمة واحدة منها ولذلك لم يكونوا يعرفون اين يجدون زعيم الاغلبية ليعهدوا اليهِ بتأليف الوزارة ولا يمكن ثبوت وزارة اذا لم تجد من يؤيدها من الشراذم المختلفة حتى انها مهما احكمت الاتفاق لا تستطيع ان تبقى في المنصب طويلاً إذ يسهل على رجال الشراذم الخارجة عن السلطة ان يتعصبوا فيحملون على الوزارة ويسقطونها بالاقتراع ضدها فيدفع ذلك بالوزراء الى ارشاد المنتخبين او ارهابهم ليتسنى لهم الحصول على الاكثرية الغالبة . وفوق ذلك ترى الحكومة الفرنساوية اقدر من

---

الثروة وحدها حق التأهيل للانتخاب اما حق الانتخاب عند الانكليز فقد كان حتى قبل سنة ١٨٣٢ اقل قيمة مما هو عند الفرنساويين ومع ان عدد سكان انكلترا اقل من عدد الفرنساويين فان المنتخبين عندهم يزيد عددهم عشرين ضعفاً عن منتخبي فرنسا فالحياة السياسية عندهم لم تكن محصورة بالاوساط

الانكليزية على اتخاذ وسائل الضغط في الانتخاب ذلك لانه منذ ايام نابليون يتولى المناصب في الولايات عمال كثيرون كلهم يخضعون للوزراء

على ان النظام البارلماني يحتاج الى احزاب معتدلة تحترم العادات التي بني الدستور عليها . وكان الظن في سنة ١٨١٤ ان العهد يكون مقبولاً لدى الجميع لانه متسع في الحرية بالنسبة لنظام نابوليون . وكان البوربون ( الاسرة التي لا تنازع ) قد جاؤا بالسلام والناس في اشد الحاجة اليه والرغبة فيه فلم يعزلوا احداً من رجال الحكومة حتى ان لويس الثامن عشر ابقى وزراء نابوليون في مناصبهم . وابقى اربعة وثمانين عضواً من مجلس الاعيان ومجلس النواب برمته . فظهر كأن فرنسا الجديدة قد صالحت فرنسا القديمة بواسطة نظامها البرلماني

على ان غباوة البوربون وعودة نابليون صيرا المصالحة امراً مستحيلاً فان البوربون لم يمسوا النظام الجديد بسوء ولكنهم اباحوا لاصحابهم المهاجرين اتخاذ لهجة ارعبت بل جرحت قلوب جميع الرجال الذين يستفيدون من بقاء الشؤون الحديثة كالذين ابتاعوا الاملاك الوطنية واشراف الامبراطورية والعمال والقادة والفلاحين . وقد اهتاج الجيش كثيراً لان قادته احيلوا على نصف الراتب ولانه اخذت الراية المثلثة من افراده وعوضوا منها بالراية البيضاء

ولذلك كان الجنود والفلاحون من انصار نابليون يوم عودته الى فرنسا فنقض النظام البارلماني المنصوص بالعهد . واستمال نابليون الجمهوريين بجعل حكومته دستورية تصادق عليها الامة بالاقتراع العمومي . على ان هذا النظام سقط بسقوطه بعد موقعة واترلو وارجع نظام العهد . غير ان النظام البونابرتي الذي عاش مدة يوم ترك آثاراً لا تمحى من ذلك ان اشياع الملكية اهتاجوا واخذوا في اضطهاد مريدي نابليون الذين اتفقوا عليه وظنوا انهم بذلك يقوضون اعمال الثورة . أما مريدو النظام الجديد من اشياع نابليون والجمهوريين فقد حملهم عداؤهم لانصار الملكية على الاتحاد معاً تحت العلم المثلث الالوان حال كون الجمهوريين كانوا يحسبون نابليون مغتصباً فصاروا يعدونه حامي الثورة من البوربون الذين يحاولون ارجاع النظام القديم وهكذا قام في فرنسا حزبان متطرفان الواحد منهما يعرف بغلاة الملكيين Ultra-royaliste وهم الطالبون ارجاع النظام القديم وسلطة الملك المطلقة وامتيازات الاشراف والكهنة . والحزب الثاني الجمهوريون البونابرتيون ( ويلقبونه بالحزب الحر ) وهم الراغبون في سقوط البوربون على

ان كلا الحزبين لم يكن راضياً بالعهد . اما الاحرار فكانوا من حزب الثورة على ان مقاصدهم لم تكن تحاكي مطالب حزب الاحرار من الانكليز الذين كانوا يسعون في الاصلاحات الحرة وانما كان الاحرار الفرنساويون يعملون على قلب الملكية التي اوجدها الدستور وكان غلاة الملكيين من مريدي الرجعة لم يقتصروا في رغائبهم اقتصار حزب المحافظين من الانكليز على رفض الاصلاح وانما ارادوا الرجوع الى النظام الذي سقط ولا يستطاع قيامه الا بالثورة

وقام من بين هذين الحزبين المتفقين على عداء الدستور حزبان دستوريان هما الملكية المعتدلة ( حزب اليمين ) وغايتهم البقاء على الحالة القديمة شأن حزب التوريس ( Tories ) وحزب الملكيين الاحرار ( doctrinaires ) وغايتهم التقرب للحكومة على النهج الانكليزي

٥ — فوز غلاة الملكية

وفي سنة ١٨١٥ جرى الانتخاب والناس في رعب شديد سيما وان الحلفاء كانوا يكتسحون البلاد فاكتسب حزب غلاة الملكيين الاكثرية في مجلس النواب الذي سموه المجلس غير الموجود فطلبوا ان تعاد الاملاك الاهلية الى الاكليروس وان ترفض الديون العمومية ويعزل القضاة الاحرار وتبطل المدارس الجامعة فحزب الملك ضدهم . واما حزب الملكيين الاحرار فانهم تحزبوا للملك في مضادة المجلس ابقاء على اعمال الثورة فطلب المجلس من الملك ان يستوزر من الاكثرية فيه فخالفهم الملكيون الاحرار زاعمين ان الملك حرٌّ في اختيار وزرائه . وقال رويار كولار سنة ١٨١٦ « انهُ في اليوم الذي لا تتألف فيه الوزارة الا من الاغلبية في المجلس او حين يتقرر ان المجلس قادر على عزل وزراء الملك يكون ذلك الوقت يوم سقوط الدستور والملكيةُ المستقلة ومنذ يومئذٍ تصبح حكومتنا جمهورية » ثم ان المجلس رغب في تخفيض فئة الجباية التي باداتها يستطيع الفرنساوي ان ينتخب لمجلس النواب وان يكون الحط منها حتى تبلغ الخمسين فرنكاً فيزيد عدد المنتخبين ويناهزون المليونين . اما الملكيون الاحرار فتمسكوا بالثلثمئة فرنك فئة مقررة للمنتخبين يريدون بذلك ان اهل الطبقة العليا من الاوساط يدافعون عن الحرية اكثر مما يدافع عنها صغار الملاكين فتخلص لويس الثامن عشر من غلاة الملكيين بفض المجلس النيابي بغتة واصدر امراً ان يعمل حسب قانون الانتخاب لسنة ١٨١٤ فكان بذلك صيانة القوانين الا ان الامة ظلت بعيدة عن السياسة وبقي الملك محتفظاً بادارة الحكومة ذلك ما حال دون

قيام نظام دستوري حقيقي

وظل الدستور بين سنة ١٨١٦ و ١٨٢٩ جاريًا في سيره القانوني والاحرار يعملون على اثارة الخواطر في البلاد وينشئون الجمعيات السرية ومؤامرات عسكرية وشرعوا يكتبون الرسائل ويقيمون المظاهرات الا انهم لم يكن لهم في المجلس الا نفر قليل من النواب وكذلك لم يكن فيه من غلاة الملكية الا عصبة صغيرة على ان معظم النواب كانوا من حزبي الوسط الدستوريين اما الوزارة التي اختارها الملك فكانت تعتز بالاغلبية — فوزارة ديكاز اعززها الاحرار الملكيون فاستمرت في منصتها من سنة ١٨١٦ الى ١٨٢٠ وقد قامت في تضاعيف هذه المدة بالاصلاحات الحرة — ووزارة فيلال ساعدها حزب اليمين واستمرت من سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٢٧ فتوقفت الاصلاحات خلال هذه الايام بل ان المجلس قرر بعض قرارات من قبيل الرجعة الى الطرق القديمة فلم يرضَ مجلس الشيوخ بعضها فرفضهُ . وفي سنة ١٨٢٧ اتحد كل عداة وزارة فيلال فحازوا الاغلبية في المجلس ( ٣٦٠ صوتًا ضد ٣٠ صوتًا ) على ان شارل العاشر لم يرضَ ان يقيم الوزارة من اليسار بل اختارها من حزب الوسط اليمين فاستوزر مارتيناك غير ان هذا الوزير لم ينل من المجلس الا الاقلية

بيد ان نظام الرجعة تلاشى خلال تنازع الحزبين المتطرفين ولم يكن شارل العاشر رغب في النظام الدستوري . وقد قال اني افضل ان انشر نشر الخشب عن ان اكون ملكًا في حالة ملك انكلترا فان الملك في فرنسا هو الذي يحكم الا ان يستشير المجلسين وينعم النظر في آرائهما وما يعرضان لكنهُ اذا لم يقتنع بقولها فالامر يرجع الى ارادتهِ . وفي سنة ١٨٢٩ استوزر الملك بوليناك من حزب غلاة الملكية فاجمعت على عدوان الوزير سائر الاحزاب من النواب ورفعت عريضة ضدهُ موقعة من ٢٢٢ نائبًا فاحتفظ الملك بوزرائهِ وفض المجلس

وكاد يكون المجلس الجديد المنتخب سنة ١٨٣٠ اشد عداء من القديم الا ان شارل العاشر اراد ان يعمل بما نجح به لويس الثامن عشر سنة ١٨١٦ ذلك ان البند الرابع عشر من العهد يقول « ان في وسع الملك اصدار الاوامر اللازمة لانفاذ القانون ولتوطيد الامن في المملكة » وعملاً بحكم هذه السنة اصدر شارل العاشر ثلاثة اوامر احدها يحتم بفض المجلس الجديد قبل اجتماعه والثاني بأمر بتبديل نظام الانتخاب والثالث يقضي بتعيين مراقب للجرائد ( تموز سنة ١٨٣٠ ) وكان الرأي العام ان الملك تجاوز حد سلطتهِ وان الاوامر التي اصدرها ان هي الا قوانين وضعها من عند نفسهِ من غير ان يقررها اقتراع

ومجلس النواب فهي اذاً غير قانونية فنهض الصحافيون الباريزيون ووقعوا على لائحة اعتراضية وعقد النواب الذين كانوا يومئذ في باريز العزيمة على المقاومة القانونية غير ان الوسائل الشرعية لم تكن لتغلب حكومة تعززها القوة المسلحة

وكان قد قام في باريز حزب جمهوري نشأ من بين الطلبة والعملة ومع انه قليل العدد (من ثمانية الى عشرة آلاف رجل) ولم يكن له نواب ولا جرائد فقد كان منظماً تنظيماً حسناً ومسلحاً وهو الذي نهض بثورة سنة ١٨٣٠ يومئذ ثار رجاله الاشداء فتقلدوا السلاح واقاموا المتاريس (١) في الشوارع الضيقة من شرقي باريز رافعين العلم المثلث الالوان ولم تكن الحكومة محتسبة لوقوع الهرج لذلك لم يكن لديها في باريز من الكتائب الا ١١,٠٠٠ رجل فغلب الثائرون على المدينة في ثلاثة ايام . فهلع شارل العاشر ولم يجسر على محاولة استرجاع المدينة بل فرّ هارباً من فرنسا . وكان النواب خلال الموقعة قد اجتمعوا في باريز وفاوضوا شارل العاشر ثم اقروا على العهد بالملك الى اسرة جديدة ولذلك ارتضوا بالدوق اورليان ملكاً بعد ان وعدهم باتخاذ العلم المثلث الالوان وبالذب عن النظام الدستوري لان العلم المثلث الالوان كان محبباً للناس مرفوعاً فوق كل المدن . فلما نودي بلويس فيليب ملكاً اعترف به الناس من غير ممانعة

٦ — عهد ١٨٣٠ والملكية التي تأسست في شهر تموز (يوليو)

قامت ثورة سنة ١٨٣٠ باسم سيادة الامة فقبل الملك الجديد بهذا المبدأ وتلقب بلويس فيليب الاول ملك الفرنساويين بنعمة الله وارادة الامة . واذ اقتضت الظروف اشتراع دستور جديد وضعوا عهد سنة ١٨٣٠ على انه لم يعط للامة كمنحة من الملك وانما وضعته الامة نفسها وارتضاه الملك واقسم على احترامه والغي البند الرابع عشر الذي كان شارل العاشر قد توكأ عليه وكذلك الغيت مراقبة المطبوعات الغاء باتاً ومنح مجلس النواب حق انتخاب رئيسه ووعد العهد بسن قوانين للمحلفين (جوري) وللحزب الوطني وللادارة ولحرية التعليم وتمم ذلك سنة ١٨٣١ بوضع قانونين ذلك ان عضوية الشيوخ كانت ارثية فجعلوها مدى الحياة والفئة التي تؤهل الفرنساوي لانتخاب النواب كانت ثلثمئة فرنك فحطت الى مئتي فرنك فصار المنتخبون يومئذ مئة الف وخمسين الفاً (وبلغوا سنة ١٨٤٨ مئتي الف)

---

(١) وكانوا قد عملوا المتاريس في سنة ١٨٢٧ وسبق لهم ان اقاموها من قبل في زمن الفروند ولكنهم لم يستعملوها زمن الثورة (والفروند Fronde ) هو حرب احزاب جرت في اواسط القرن السابع عشر

واصبحت الامة هي السائدة وليس الملك وصار يُخال ان النظام البارلماني توطد في فرنسا الا انهُ كان لم يزل في البلاد حزبان متطرفان في عدوانهم للدستور احدهما حزب اليمين وهم اشياع الملكية Legitimistes الذين لا يريدون الاعتراف بالملك لانهم يحسبونه مغتصباً والحزب الثاني نوّاب اليسار وهم الجمهوريون الذين كانوا يشكون من انخداعهم سنة ١٨٣٠ على ان الملك مع كل تظاهره بالانصياع لاحكام الاغلبية لم يكن يسير في شيء مسير الملك الدستوري فكان يريد اختيار وزرائهِ والاشتغال معهم ليدير سياستهم على خاطره وعوضاً عن ان يسلك طبق ارادة الاغلبية كان يبذل قصاراهُ لاتخاذ اغلبية خاضعة للارادة الملكية

ومن سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٣٥ كان الحزبان اللذان أحدثا الثورة وهما الملكيون من حزب الشمال والجمهوريون يتنازعان على السلطة · أما لويس فيليب فترلفاً للجمهوريين النافذين في المجلس البلدي بباريز قرّب اليهِ زعيمهم لافايت ولافيت والّف وزارة مختلطة جعل فيها خمسة وزراء من الجمهوريين واربعة من الملكيين فوقع الخصام في الوزاره نفسها فكان الجمهوريون يريدون السياسة الديموقراطية والتداخل لاسعاف الشعوب الثائرة في اوربا · وكان الملكيون يريدون الاحتفاظ بسلطة الاوساط والسلم مع الدول الكبري · أما الملك فكان متشيعاً لحزب الملكيين · لذلك اراد ان يترك رجال الاحرار يتلاشون من انفسهم فابقاهم وحدهم في الوزارة يتمتعون بها وبالنفوذ في باريز ( وزارة لافيت ) فظن الناس ان الوزارة ستضرم نار الحرب في اوربا · لذلك استولى الرعب على البلاد وسقط الرنت ٣ بالمائة الى ٥٢ فرنكاً و٣٠ سنتيا والرنت ٥ بالمئة الى ٨٢ فرنكا و٥٠ سنتيا فتخلى النواب عن لافيت واتخذ الملك وزارة ملكية زعيمها كازمير باريه (سنة ١٨٣١ ) ففقد حزب الجمهورية كل آماله بان ينال منصة الوزارة بواسطة مجلس النواب لذلك صرف قصاراهُ بتجديد ثورة سنة ١٨٣٠ وذلك انهُ انشأ جمعيات للعملة وجريدة وشرع يحدث شغباً وهرجاً في باريز — فاقتصت الحكومة من الجرائد والجمعيات السرية واعانها الحرس الوطني على قمع الفتن · وفي الوقت ذاته سحقت قوة الملكيين في الغرب · وفي سنة ١٨٣٥ استتب الامن عقيب المحاكمات الصارمة والعمل باحكام القوانين المسنونة في ايلول ضد المطبوعات

ومن سنة ١٨٣٥ الى ١٨٤٠ اتصل الخصام الى مجلس النواب بين الحزبين الدستوريين وهما حزب الوسط الايسر ( تيرس ) وحزب اليمين الاحرار الذي صار حزب الوسط

الايمن ( كيزو ) على انه كان بينهما عصبة متوسطة هي حزب العامة le tiers Parti وعصبتان اخريان متطرفتان • وفوق ذلك فان الملك عوضاً عن ان يعهد بالوزارة لحزب صاحب الاغلبية ويبقيه فيها حتى يصير الى الاقلية كان يستوزر اصدقاءه من غير الاكثرية او يرفت الوزراء الذين لا يتبعون سياسته • فكانت الوزارة تسقط بسرعة بسبب مناكفة المقاومين او معارضة الملك لها ولذلك سقطت ثماني وزارات من سنة ١٨٣٢ الى سنة ١٨٤٠ وقد كانت تلك الآونة معترك البلاغة فقد استمر الجدال على جواب المجلس للملك سنة ١٨٣٨ اثنى عشر يوماً تلي خلالها ١٢٨ خطاباً غير ان النظام البرلماني لم يفض الى اقامة حكومة ثابتة

وعقد الملك سنة ١٨٤٠ حلقة وثيقة العرى مع حزب اليمين وعهد بالوزارة الى كيزو وكانت سياسته ترمي الى استحصال عضد المجلس له فجعل ينتخب من النواب من لا رأي له بحيث يتصرفون دائماً الى التصويت للوزارة • فكان يستميل المنتخبين والنواب لا بمجاراتهم في مناحيهم السياسية وانما شرع يسترضيهم بما يدر عليهم من المنافع الذاتية وذلك باعطاء المنتخبين ادارات التبغ والرواتب المدرسية والوظائف ويمنح النواب المناصب اللائقة بهم • وكانت هذه الوسائل فعالة لان النواب لم يكونوا يستوفون رواتب او اجوراً عن نيابتهم فاصبح نصف المجلس من العمال الموظفين وكان من سياسة كيزو تجنب كل عمل في اوربا وكل اصلاح في فرنسا • وظلت الاحوال على هذه الوتيرة ثماني سنين والاغلبية تزداد على كرور الايام حتى بلغت منتهى قواها في انتخاب سنة ١٨٤٦ الا ان سواد الامة كان يزداد استياء فينتقدون على الحكومة سياسة الجمود وتفشي الرشوة بين رجالها ولذلك بدأوا يطالبونها بالاصلاح في الشؤون الآتية :

اولاً : ان تخفض قيمة المال المؤهل للانتخاب وان يمنح حق الانتخاب لمن كان من طلبة العلم الذين كانوا قد احرزوا منذ سنة ١٨٢٧ حق الذكر في جدول الذين يختارون منهم جماعة المحلفين Jury

ثانيا : ان يحظر على النواب تقلد الوظائف

فكأن فرنسا كانت قد انقسمت الى فريقين الفريق الاول مؤلف من الملك والوزارة والمجلس النيابي والمنتخبين بحق ما يؤدون من الضرائب • وهذا الفريق اتحدت فروعه كلها واجمعت على رفض كل ما يطلب من الاصلاح وحسبك بهم قوة انهم مستجمعون في قبضة ايديهم كل سلطة قانونية في البلاد • اما الفريق الثاني فهم المعارضون ويؤلفون من سائر

طبقات الامة ولهم في السياسة رأي الا انهم لم يكونوا يحرزون شيئاً من السلطة لانفاذه

وكانت السيادة في ظاهر الامور للنظام البرلماني البحت اذ يرى الملك كأنهُ منفذ لارادة اغلبية مجلس النواب المنتخب الا ان حقيقة الحال هي ان حصر الانتخاب في الاغنياء وتفشي الرشوة فيه جعل المجلس عبارة عن قوم مجتمعين لخدمة الملك لا للقيام بوظيفة النواب عن الامة ومثلهُ اصبح النظام البرلماني الانكليزي في وزارة وزيرٍ كان استاذاً لتاريخ انكلترا في حالة تجمل الحكومة في شخص الملك . وسنأتي على تاريخ الحكومة الدستورية في سائر دول اوربا في مكان آخر

# عجائب المخلوقات

## البومة في القطب الشمالي

من الخصائص الطبيعية في الحيوان ان يتكيف على ما يلائم الاقليم الذي يعيش فيه والا فانهُ ينقرض . والغالب ان يتكيف عملاً بناموس الانتخاب الطبيعي لحفظ النوع وفي بعض الحيوانات خاصة التكيف لمطابقة ظواهرها على ظواهر ما يحيط بها من التربة او النبات فيتخذ احدها لوناً يشبه ما يعيش عليه من النبات او يسرح فوقهُ من التربة او الحجارة وهذا ايضاً من قبيل الانتخاب الطبيعي يراد به الدفاع عن النفس لان هذا الحيوان اذا طارده عدوٌ يصعب عليه الاهتداء اليه لتشابه الالوان عليه ويظهر هذا التلون على الخصوص بالحشرات وفي الطيور فالحجل مثلاً ترى لون ريشه بلون الحصى التي يتنقل عليها فلا يهتدي الصياد اليه الا بمشقة


بومة القطب الشمالي

ومن هذا القبيل نوع من البومة تعيش في المنطقة الشمالية على الثلوج اذا جاء الشتاء اكتسب شعرها لوناً ابيض كالثلج فاذا جلست اخفت منقارها واغمضت عينيها فلا يشك من يقع بصره عليها انها قطعة من الثلج فلا يهتدي اليها الصيادون ولله في خلقه شؤُون



# الدكتور يوحنا ورتبات

## استاذ التشريح والفسيولوجيا في المدرسة الكلية السورية

ولد سنة ١٨٢٧ وتوفي سنة ١٩٠٨

### ١ـ فضل الارسالية الاميركية في سوريا

لكل الارساليات الدينية فضل على سوريا ولكن للارسالية الاميركية ما عدا مدارسها العالية التي تخرّج فيها الالوف من الشبان والشابات في العلم والطب والصيدلة والتجارة ومشروعاتها الخيرية التي اعالت الالوف من المعوزين وذوي الاسقام فضلاً يربو في نظر الباحث الاجتماعي على كل ما تقدم نعني تربية الاخلاق. ان فضل المرسلين الاميركان في هذا السبيل لا يمكن تقديره حق قدره. انهم بالاخلاق من اكبر دعائم هذه النهضة العلمية. ولعلنا لا نغالي اذا قلنا ان هذه التربية كانت في جملة الاسباب التي مهدت السبيل لاعلان الدستور لانها ترقي نفوس الشبان وتعودهم استقلال الفكر والاعتماد على النفس والصراحة في

القول والمجاهرة بالرأي فيخرج الطالب من مدرستهم رجلاً يثق بنفسه فيبث هذه الروح بين اهله وينشأ مقداماً لا يبالي بالاسفار في استدرار الرزق او طلب العلى · ناهيك بما استفاده السوريون من جوارهم بالقدوة ولا سيما في اوائل هذا العصر لمسيس الحاجة الى الاصلاح · ولتفرد بعض المرسلين يومئذ بمناقب تجتذب القلوب وتستهوي العقول فيحلو للنفس تقليدها والاقتداء باصحابها — اذا جمعت هذه الحسنات وغيرها مما لا محل له هنا هان عليك تصور فضل الارسالية الاميركية · وسنفرد فصلاً خاصاً لبيان ذلك الفضل في وقت آخر وانما عمدنا الى ذكره الآن لنتطرق منه الى سبب ظهور صاحب الترجمة استاذنا المرحوم الدكتور ورتبات · لان ظهوره من جملة افضال تلك الرسالة كما سترى

## ٢ — اصله ارمني

كان للرسالة الاميركية عمل في بر الاناطول قبل عملها في سوريا وكان الانكليز قد سبقوها الى هناك وفيهم القسيس والقنصل والتاجر والكاتب فاخذوا بناصرها واصبح مرجع الاميركان في شؤونهم الى سفير انكلترا في الاستانة · ولكن الاباء اليسوعيين كانوا اسبق الجميع الى التعليم والتبشير هناك · ولهم شأن خاص في ارمينيا فقد دخلوها ونشروا الكثلكة فيها من اواسط القرن الخامس عشر فظهرت طائفة الارمن الكاثوليك وعرف الباقون باسم الارمن الارثوذكس وكانوا اقل علماً واضعف عزيمة لتفوق الكاثوليك بالعلم والنظام واجتماع الكلمة مع ارتباطهم برومية · فاضطر الارثوذكس اخيرًا الى استنجاد بطرس الاكبر قيصر الروس فحماهم — ولا تزال كنيستهم تحت حماية روسيا مثل سائر الكنائس الارثوذكية في الشرق الاسلامي

والكنيسة الارمنية ثلاث طبقات من الاكليروس وهي الاساقفة والكهنة والشمامسة · والاساقفة ثلاث درجات (١) رئيس الاساقفة (٢) الاسقف (٣) نائب الاسقف ويسمونه في اصطلاحهم «ورتباد» وهو في الاصل يقابل لقب «دكتور في اللاهوت» ففي اواخر القرن الثامن عشر او اوائل التاسع عشر حدث في ارمينيا حادث بعث على مهاجرة جماعة من كبار الاكليروس الارمني نزحوا من ارمينيا الى بر الاناطول وصل الينا اسماء ثلاثة منهم وهم اسقفان احدهما قرابيت ديونيسيوس والثاني يعقوب ابكاريوس والثالث كان رتبة ورتباد التي تقدم ذكرها ثم قيل بالتحريف «ورتبات» ولم نقف على اسمه

لا نعلم سبب تلك المهاجرة وقد يكون السبب اختلافاً في المذهب او الرأي ويقال ان

الكنيسة الارمنية ادعت عليهم انهم تصرفوا باموال دير او كنيسة هناك · فلم يجدوا من ينصفهم فانضموا الى الكنيسة الانجيلية ولجأوا الى سفير انكلترا في الاستانة اللورد ستراتفورد فلما تفحص قضيتهم اعتقد براءتهم فاخذ بناصرهم وتوسط في اطلاق سراحهم واشار عليهم بالذهاب الى سوريا باوارقهم بكتب توصية الى قنصل الانكليز في بيروت واسمه بطرس ابوت وهو حمو استاذنا الدكتور فانديك وجد صديقنا المستر ادوار فانديك لأمه وعليه معولنا في تحقيق اصل عائلة صاحب الترجمة ونشأته الاولى

شخص هؤلاء الى سوريا والمرسلون الاميركان لاول عهدهم فيها فرحبوا بهم فاقاموا فيها وتزوجوا · فاقام يعقوب ابكاريوس في بيروت وعرف بيعقوب آغا واشترى منزلاً قرب الشلاق عرف باسمه · ثم اشتراه الارمن وجعلوه ديرًا لهم ولا يزال الى الآن وعائلة ابكاريوس مشهورة

واما ديونيسيوس فتزوج واولد وعرفت عائلته في بيروت باسم ترابيت · واما ورتبات فتزوج واولد يوحنا صاحب الترجمة وكركور ويعقوب · ومات ابواهم وهم اطفال فعنيت بتربيتهم مسز هوايتن المرسلة الاميركانية احسن تربية وعلّمتهم · فلم يصبُ الى الدين منهم الا يوحنا · واما اخواه فاحدهما يعقوب نزح في شبابه الى اميركا واختفى خبره وكركور تعلم الطب في بلاد الانكليز وتعاطاه في الكرنتينات فاقام رئيسًا لكرنتينا كربلاء عدة سنين ثم نقل الى جدة ومات فيها

٣ــ سيرة حياته

اما يوحنا ورتبات فقد ولد سنة ١٨٢٧ وتلقى مبادئ العلم في مدارس المرسلين الاميركان في بيروت وكانوا لا يزالون حديثي العهد في التعليم يعلمون كل شيء في اللغة الانكليزية فساعد ذلك على اتقانه هذا اللسان نفعاً وتلفظاً · وقرأ آداب اللغة العربية على الشيخ ناصيف اليازجي وتفقه بالمنطق والعروض على الشيخ عقل من علماء حلب · وقرأ على المرسلين أيضاً بعض اللغات القديمة كالعبرانية واللاتينية واليونانية في اثناء درسه علم اللاهوت · وكانت التقوى قد ظهرت فيه منذ نعومة اظفاره فتفقه بالدين على ان يتعاطى التبشير · ورأى ان عمله يكون اكثر نفعاً اذا تعلم الطب فتلقى معظمه على المرحوم الدكتور فانديك ولم يكن يشترط بالطبيب لمعاطاة الطب ان يكون في يده شهادة · فارسله المرسلون مبشرًا الى حاصبيا · فاقام في هذا المنصب مدة طويلة تزوج في اثنائها بسالومي ابنة ترابيت المتقدم ذكره · واشتغل وهو في حاصبيا بالعلوم الدينية ودرس الاديان الشائعة

في سوريا وخصوصاً الدرزية · وقد وفق الى الاجادة في ذلك بمطالعة كتب وقعت لاحد الفرنساويين على اثر حادثة سنة ١٨٦٠ وهو ينهب بعض الخلوات · فوصلت هذه الكتب الى ورتبات واستفاد منها كثيراً في هذا الموضوع

وأدت الحادثة المشار اليها الى تشتت شمل الناس فنزل جماعات من اهل لبنان وحاصبيا وسائر سوريا الى بيروت وفي جملتهم يوحنا ورتبات وترك مهنة التبشير او التعليم · فاشار عليه استاذنا الدكتور فانديك ان يتمم دروسهُ الطبية في بلاد الانكليز فيسهل عليه الارتزاق من الطب فسافر الى ايدنبرج واتم الطب في مدرستها · وعاد الى سوريا وبيده الدبلوما الطبية فاستخدمته جمعية التبشير .C. M. S طبيباً ومبشراً في حلب مكث فيها بضع سنين وعاد الى بيروت · وكانت المدرسة الكلية في أول نشأتها وتعليمها في اللغة العربية فهي تحتاج الى اساتذة من الاطباء يعرفون الانكليزية والعربية جيداً فوجدوا في صاحب الترجمة الرجل المطلوب وانما ينقصه الاختصاص بفن يتقنهُ لاجل التعليم · فاقترحوا عليهِ أن يتخصص للتشريح والفيسيولوجيا واشار عليه الدكتور فانديك أن يتقنهما في اميركا ويتحصل على الدبلوما الاميركية ليسهل على الجنة تعيينه في عمدة المدرسة فذهب الى نيويورك وتفقه بالتشريح والفيسيولوجيا وعاد الى سوريا فعينتهُ عمدة المدرسة الكلية استاذاً للتشريح والفيسيولوجيا فيها

فقضى في هذا المنصب نيفاً وعشرين سنة وهو موضع احترام التلامذة فتخرج تحت يده مئات من الشبان وكلهم يحبونه ويجلون قدره · وقد كنا في جملة الذين قرأوا عليه التشريح والفيسيولوجيا من سنة ١٨٨١ — ١٨٨٣ درسناهما في كتابيه اللذين الفهما في هذين الموضوعين باللغة العربية وهما مشهوران وعبارتهما سهلة ممتنعة · وقد عانى المشاق الجسيمة في تأليفهما وان كان اكثرهما منقولاً عن الانكليزية وانما المشقة في ايجاد الاوضاع العربية الملائمة للمصطلحات الافرنجية في ذينك الفنين · وكان يعتقد ان عبارة كتاب الفيسيولوجيا احسن من عبارة كتاب التشريح واكثر التلامذة يرون عكس ذلك فكنا اذا اردنا مداعبته قلنا لهُ « ان عبارة كتاب التشريح احسن » فيظهر استغرابه · وما زال استاذاً لهذين الفنين حتى جرى في المدرسة الكلية الخلاف المشهور بين العمدة وطلبة الطب سنة ١٨٨٣ واستقال الدكتور فانديك من منصبه وكان يعلم الباثولوجيا فعهدوا بتعليمها الى الدكتور ورتبات فعلمها اربع سنوات · اي حتى خرج الطلبة الذين كانوا بدأوا الطب باللغة العربية ثم جعلوا يعلمون الطب في اللغة الانكليزية فلم تبق حاجة الى استاذ يعرف العربية

وقد اولد ثلاثة ابناء هم هنري وامين ووليم توفي هذا الاخير في شبابه وابنتين هما لومي وادلا ولما توفي في ۲۱ نوفمبر الماضي في بيروت لم يكن في منزله من اهله الا ابنته ادلا لان ولديه كانا بعيدين . فتولى نعيه جماعة من نخبة وجهاء بيروت واكثرهم من تلامذته واصدقائه فنعوه الى الناس فاحتفل اهل المدينة بتشييع جنازته احتفالاً يليق بمنزلته

وكان له مقام رفيع بين العلماء والوجهاء واحرز من علامات الشرف وسام الاستحقاق الذهبي وساعة من اصحاب المستشفى البروسياني في بيروت بعد تطبيبه فيه ١٥ سنة والمجيدي الرابع من الدولة العثمانية مكافأة على خدمته في الكوليرا التي تفشت سنة ۱۸۷٥ ثم العثماني الرابع جزاء عمله في نشر العلم

٤ – مناقبه ومؤلفاته

كان ربع القامة مع ميل الى القصر ممتلئ الجسم . عرفناه في كهولته وقد وخطه الشيب وزاده هيبة ووقاراً وكان ذكي الفؤاد حسن النظر لكنه كان ضعيف الذاكرة الى ما يفوق التصديق ولا سيما في اسماء الاشخاص — فقد يلاقي باحد تلامذته الذين تلقوا العلم عليه وعاشروه سنتين في الصفوف على الاقل وسنتين أخريين في المستشفى ولا يذكر اسمه وانما يذكر صورته فيقول له «انك من تلامذتي ولكنني لا اذكر اسمك» فاذا سُمِّيَ تذكر كل ما يعرفه عنه . ومن امثلة ذلك اننا بعد ان تركنا المدرسة الكلية في اثناء حادثتها المشار اليها اخذنا في درس اللغة العبرانية فعلمنا ان عند الدكتور ورتبات كتاباً مطولاً في نحو هذا اللسان فاستعرناه منه للمطالعة ثم دوهمنا بالسفر الى بلاد الانكليز وبقي الكتاب معنا سهواً . وفي السنة التالية عدنا الى مصر واعدناه اليه مع بعض الاصدقاء لكنه لم يسلمه اليه بيده فلم يكن يعلم انه جاءه . واتفق اننا جئنا بيروت بعد سبع سنوات فالتقينا بالاستاذ في منزل احد الاصدقاء فلم يخاطبنا لانه نسينا على عادته . لكنه لم يكد يسمع اسمنا حتى التفت الينا وقال «ماذا جرى بالكتاب العبراني» فاخبرناه الواقع

وكان طيب السريرة مخلص الطوية يميل الى البساطة في كل شيء حتى في اعتقاده وآرائه وفي عشرته وسيرته . فاذا استوصفه مريض وصف له ابسط العلاجات ولم يكن يعول في الطب الا على الوسائل الهيجينية كالاستحمام بالماء البارد وتبديل الهواء والاعتماد على التغذية البسيطة ويميل في انذاره الطبي الى التهوين على المريض . وكان قنوعاً في مطالبه لا يهمه جمع المال انما يهمه ان يشفى المريض وان يكون وسيلة لتخفيف الآلام والمصائب . فاذا كان مريضه فقيراً احسن اليه بما يستعين به على الغذاء والدواء لا يفرق بين المسيحي وغير المسيحي ولذلك

سموه فانديك اثنى لاشتهار صديقه استاذنا الدكتور فانديك بهذه المناقب من قبل

وله مؤلفات عديدة بعضها كتب مطبوعة على حدة والبعض الآخر رسائل نشرت في المجلات . او على حدة وكتبه اكثرها طبي وبعضها غير طبي اما الكتب الطبية فهي :

(١) كتاب اصول التشريح . وهو كتاب كبير فيه مئات من الرسوم كان عليه معوله في اقراء هذا العلم بالمدرسة الكلية

(٢) كتاب الفسيولوجيا : وهو مزين بالرسوم وكان يعلم به ايضاً وقد تقدم ذكرهما

(٣) حفظ الصحة : سماه كفاية العوام في حفظ الصحة وتدبير الاسقام وهو مجموع فوائد عامة لحفظ الصحة وتدبير المرض عند غياب الطبيب

(٤) كتاب التشريح الصغير في مبادىء هذا العلم وهو جزيل الفائدة ومعه اطلس كبير فيه صور الاعضاء لافادة غير تلامذة الطب

(٥) رسائل عديدة اكثرها صدر بالانكليزية وكل رسالة في مرض خاص كالجذام والطاعون والكوليرا والحمى التيفوئيدية والتريخينيا وغيرها

اما مؤلفاته في غير الطب فمنها :

(١) كتاب في اديان سوريا نشر في اللغة الانكليزية واسمه Researches into the religions of Syria وهو بحث في الاديان الشايعة في سوريا بحثاً تاريخياً واعتقادياً ويشمل بحثه بضعة عشر ديناً او مذهباً

(٢) قاموس انكليزي عربي : هو منسوب الى ابيه ولكن له فضلاً كبيراً في تأليفه

(٣) قاموس انكليزي وعربي وعربي وانكليزي له وللدكتور بورتر

(٤) كتاب حكمة العرب في اللغة الانكليزية

(٥) رسائل عديدة في الوصايا والتربية وغيرها نشرت في المقتطف وغيره يضيق المقام عن تعدادها

وله رسائل في اللغة الانكليزية وترجمات كثيرة في مواضيع مختلفة وكان وسيلة في نشر بعض الآثار الشرقية الدينية منها الكتب والاوراق التي استخرج منها كتابه في اديان سوريا فانه دفعها الى جان هندرسن اوف بارك الكويكري في لندن فطبعها

# زلزال مسينا

## والزلازل في العالم

نكبت ايطاليا بزلزال في المضيق بين صقلية وكلابريا في ٢٨ دسمبر الماضي فاخرب المنازل ودفن الناس احياءً فاذكرنا ذلك ما تعودته ايطاليا من امثال هذه الزلازل ٠ فانها من اكثر البلاد تعرضاً للزلازل ٠ وفي التاريخ عشرات من امثال هذه النازلة اصابت ايطاليا من اقدم ازمنة التاريخ فراعها الخراب اما بالزلزال فتميد ارضها فتتساقط ابنيتها على ساكنيها فتدفنهم احياء — او تخسف بهم فتغور في قاع البحر او تنقلب رأساً على عقب او يتفجر بجانبها بركان يقذف في جوفه حمماً ورماداً تنصب عليها فتدفنها جميعاً ٠ كما اصاب بومباي في القرن الاول للميلاد

وما في الارض بلد غير معرض للزلازل كثيراً وقليلاً فهي تختلف بذلك باختلاف البقاع ومجاورتها للبحار ونوع طبقاتها ٠ اما اسباب الزلازل فقد بسطناها في الهلال مراراً — وخلاصة ذلك ان الارض تزداد حرارتها بازدياد التعمق في جوفها فلا تتجاوز قشرتها حتى تصير الحرارة عالية جداً تكفي لصهر اصلب المعادن او المركبات المعروفة ٠ ولكن ضغط القشرة يمنع ذلك الصهر ٠ فاذا حدث ما يرفع الضغط عنها ولو قليلاً تحولت المواد الحامية الى سائل يدفع القشرة من فوقه ويقذف من جوف الارض صخوراً سائلة وناراً تعرف بالحمم البركانية يصاحبها دخان ورماد

واسباب رفع الضغط كثيرة اشهرها تبخر بعض مياه البحر بدخولها في شقوق الارض العميقة فيرفع بخار الماء بمرونته بعض الضغط عما تحت القشرة فيتحول ذلك الجزء بغتة الى سائل يقذف ما في طريقه من القشرة ويحصل البركان ٠ او ان ماء المطر يتسرب في شقوق الارض فيخترقها فاذا بلغ مكاناً على عمق تحول بخاراً فجأة فيحصل البركان ٠ واذا كان السبب الذي تحصل عنه البراكين ضعيفاً حصلت الزلازل فمن تفاعل الحرارة تحت القشرة يدفعها ذهاباً واياباً او صعوداً او هبوطاً او يدور بها دوراً رحوياً ٠ ومنها انواع الزلازل الموجية والرحوية والقذفية ٠ وذكروا للزلازل اسباباً أخرى لا محل لها هنا

ومما لا خلاف فيه ان تحت قشرة الارض حرارة شديدة تكفي لاصهار اصلب الصخور متى اتيح لها ذلك برفع الضغط او غيره فتمزق القشرة وتتصاعد منها الحمم او تميد ذهاباً واياباً او تدور دوراً رحوياً او موجياً او تنخسف فتهبط وتغور او تنقلب او تتفتت

ونحن على سطحها تتساقط علينا المنازل فتدفننا او تفيض علينا المياه فتجرفنا او ينهال علينا الرماد والحمم التراب فتغطي منازلنا وحقولنا . ذلك هو شأن الارض من اول تكونها وكانت اكثر تعرضاً لذلك في اول ادوارها فكم تشققت قشرتها وكم غارت الجبال وطافت البحار وكم من يبس هبط فصار بحراً وكم من بحر ارتفع قعره فانحسر ماؤه فصار يبساً . ورب جزيرة محاطة بالماء من كل ناحية كانت قبل التاريخ متصلة بالقارة . وكم من جزر ظهرت فعمرها الناس اجيالاً ثم غارت بهم وذهب خبرها وكم نرى على قمم الجبال من اسماك محجرة تدل على ان تلك القمة كانت في قاع البحر ثم ارتفعت بتفاعل حرارة جوف الارض للاسباب التي قدمناها والزلازل التي حدثت قبل زمن التاريخ كثيرة لا يمكن حصرها ولا تعيين ازمنتها . ولكنها كثيراً ما فصلت بين برين واجرت البحر بينهما . وكم جعلت الجزيرة واحة والبرزخ بوغازاً والبوغاز برزخاً مما لا سبيل الى تحقيقه او تعيينه وان كنا كثيراً ما نرجع اليه في تعليل الحوادث العظمى التي لم يدركها التاريخ كمهاجرة الانسان الى اميركا وتفرقه في جزائر المحيط القاصية مع سائر الحيوانات في زمان لم يكن سلك البحار معروفاً فيها

على اننا نكتفي من اخبار الزلازل والبراكين بما ادركه التاريخ . وهي ايضاً كثيرة يستحيل حصرها ولكنها تعد بالمئات اكثرها في جزر اليونان وايطاليا والقسطنطينية وسائر شواطىء البحر المتوسط اليك اشهرها مرتبة حسب سني حدوثها :

| سنة حدوث الزلزل | | نتيجته واضراره |
|---|---|---|
| ٤٢٥ | ق م | تحولت به اوبيا في بلاد اليونان الى جزيرة |
| ٣٧٣ | « « | غارت فيه هليسيا وبورما في بلاد المورة ولم يبق لها اثر |
| ٣٤٥ | « « | دفنت به دوراس بكل سكانها و ١٢ مدينة حولها |
| ٢٨٤ | « « | غارت فيه ليسيماخيا |
| ١٧ | ب م | زلزلت افسوس وتخربت مع ما حولها |
| ٧٩ | « « | دفنت به بومباي وهركولانيوم بجوار فيزوف |
| ١٠٥ | « « | انقلبت اربع مدن في اسيا واثنتان في اليونان و٢ في غلاطية |
| ١١٥ | « « | خسفت انطاكية |
| ١٢٦ | « « | زلزلت نيقوميديا وقيصرية ونيقية |
| ١٥٧ | « « | تخربت بونطس ومكدونيا و١٥٠ بلداً حولها |
| ٣٥٨ | « « | زلزلت نيكوديميا ايضاً ودفن اهلها تحت خرائبها |

| | | |
|---|---|---|
| ٥٤٣ | ب م | زلزال شعر به العالم كله |
| ٥٥٧ | « « | زلزلت به القسطنطينية وتخرب كثير من قصورها |
| ٧٤٢ | « « | في سوريا وفلسطين واسيا الصغرى تخرب بها اكثر من ٥٠٠ بلد |
| ٩٣٦ | « « | تصدعت القسطنطينية |
| ١١٣٧ | « « | في كاتانيا بصقلية تخربت ومات تحت الردم ١٥,٠٠٠ نفس |
| ١١٨٦ | « « | في كالابريا غارت احدى مدنها في البحر الادرياتيكي |
| ١٢٦٨ | « « | في صقلية قتل فيها ٦٠,٠٠٠ نفس |
| ١٤٥٦ | « « | في نابولي « « ٤٠,٠٠٠ « |
| ١٥٠٩ | « « | في القسطنطينية مات فيها الوف |
| ١٥٣١ | « « | في لشبونة تهدم ١,٥٠٠ منزل دفن تحتها ٣٠,٠٠٠ نفس |
| ١٥٩٦ | « « | في اليابان تهدمت به بلاد كثيرة وقتل الوف |
| ١٦٢٦ | « « | في نابولي تخرب ٣٠ بلدًا ومات ٧٠,٠٠٠ نفس |
| ١٦٦٧ | « « | تخربت به راغوسة |
| ١٦٧٢ | « « | في شاماكي دامت ٣ أشهر قتل فيها ٨,٠٠٠ نفس |
| ١٦٩٣ | « « | في صقلية أخرب ٥٤ بلدًا و٣٠٠ قرية وفي كتانيا اهلك ١٨,٠٠٠ من اهلها وجملة القتلى ١٠٠,٠٠٠ نفس |
| ١٧٠٣ | « « | في اليابان هلك ٢٠٠,٠٠٠ نفس |
| ١٧١٦ | « « | في جزائر الغرب هلك ٢٠,٠٠٠ نفس |
| ١٧٢٦ | « « | في بالرمو بايطاليا هلك ٦,٠٠٠ نفس |
| ١٧٣٠ | « « | في الصين باد ١٠٠,٠٠٠ نفس |
| ١٧٤٥ | « « | في القاهرة تهدمت نصف منازلها وقتل فيها ٤٠,٠٠٠ نفس |
| ١٧٥٥ | « « | زلزال كبير امتد في اسبانيا وانكلترا والمغرب وغيرها |
| ١٧٥٩ | « « | في سوريا امتد على ١٠,٠٠٠ ميل واخرب بعلبك |
| ١٧٨٣ | « « | في مسيناوما جاورها خربت بها منازل كثيرة وقتل كثيرون |
| ١٨٢٢ | « « | في حلب ( سوريا ) قتل فيها ٢٠,٠٠٠ نفس |
| ١٨٢٣ | ب م | في بالرمو وغيرها من مدن ايطاليا |
| ١٨٤٠ | « « | في ارمنيا تهدم بها ٣,٢٠٠ بيت وقتل كثيرون |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ١٨٥١ | ب | م | في جنوبي ايطاليا تخربت ملفي وقتل فيها ١٤٠٠٠ نفس |
| ١٨٣٧ | « | « | في كالامبريا بايطاليا قتل ١٠٠٠٠ نفس |
| ١٨٦٨ | « | « | في بيرو باميركا تخربت عدة بلاد وقتل ١٠٠٠٠ وقدرت الخسارة بمبلغ ٦٠٠٠٠٠٠ جنيه |
| ١٨٨٣ | « | « | في مسينا قتل فيها ٦٠٠٠٠ نفس |
| ١٨٨٥ | « | « | في كشمير وجوارها تخرب فيها ٧٠٠٠٠ مسكن |
| ١٩٠٢ | « | « | في المرتنيك قتل بها ٣٠٠٠٠ من الناس |
| ١٩٠٥ | « | « | كلابريا قتل به ٣٠٠٠ نفس |

فاذا اعتبرنا الاضرار الناجمة عن هذه النوازل للاحياء لرأيناها كثيرة ونعجب للانسان كيف ينسى ماضيه ولا يقيس عليه حاضره . ان الزلازل تتوالى على البلد الواحد مراراً فيخرج الناس من تحت الردم ويبنون بيوتهم على اطلالها . لو راجعت ما ذكرناه عن حوادث الزلازل في ايطاليا وحدها لرأيتها تكررت في اكثر البلاد فمحت اهل البلد الواحد مرارًا والناس مع ذلك يعودون فيسكنون ذلك البلد و يعمرونه . واذا اعدت النظر في ذلك الجدول وجدت وادي النيل من اقل البلاد تعرضاً للزلازل والحمد لله

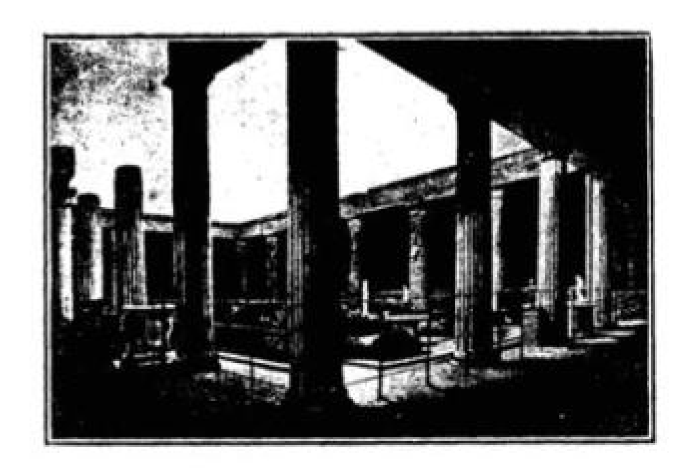
وخراب البلاد بالزلازل يرجع الى كيفيتين : اما ان يكون الزلزال تحت ذلك البلد فيقلبه او يمزقه فيتهدم ما عليه او تطوف عليه المياه فتغرقه . واما ان يأتيه الخراب من بركان مجاور له يقذف عليه الحمم فتغطيه . واقرب امثلة الوجه الاول زلزال مسينا الاخير واشهر امثلة الوجه الآخر خراب بومباي وهركولانيوم . فنأتي على حديث هذين البلدين ثم نعود الى مسينا

بومباي وهركولانيوم

بومباي مدينة رومانية في مقاطعة كمبانية من ايطاليا كانت على شاطىء خليج نابولي عند قاعدة جبل فيزوف . وقد عاصرت دولة الرومان في ابان مجدها وكانت من اشهر مدن مملكتها ثروة وعمراناً وفيها الهياكل والمراسح والقصور والاندية وكانت مجتمعاً للاغنياء ورجال الدولة يبنون فيها المقاصف والحدائق ليقضوا فيها ايام الراحة . ومن اشهر المقاصف التي بلغ خبرها الينا مقصف شيشرون . فقد جاء ذكره في سيرة حياته

وقد ساعد على زهو بومباي وحضارتها موقعها الخصب على مصب نهر سارنوس وكانت قد سارت في ميدان البذخ والترف شوطاً بعيداً . حتى اذا توسط القرن الاول للميلاد

(سنة ٦٣م) اصابها زلزال زعزع اركانها فهدم كثيراً من ضواحيها واخرب بعض قصورها خراباً يقضي باعادة البناء • فاخذ الناس بالترميم • وهم في ذلك ثار بركان فيزوف سنة ٧٩ م بجانبها فقذف عليها الحمم والرماد فغطاها • وكان بجانبها مدينة اخرى اسمها هركولانيوم انغمرت معها • وكانت تلك المقذوفات كثيرة حتى لم يبق من مكان في ذينك البلدين ظاهراً ولا قمم الهياكل • فاصبحت الارض قاعاً صفصفاً • لم يخرب من المدينة قصر ولكنها ردمت ردماً فمات اهلها خنقاً وهم مشتغلون في مرافقهم الاعتيادية بعضهم في الاسواق واخرون في الحوانيت وآخرون في المراسح او على الموائد • فلما ثار البركان ما شعر البومبيون الا والرماد يتساقط عليهم وقد حجب السماء عن ابصارهم • فظل كل واحد في مكانه • فلما اتيح للناس كشف تلك الاماكن بعد بضعة عشر قرناً وجدوا تحت الردم اناساً لا يزالون كما تركوا يوم الزلزال بعضهم على المائدة وآخرون في الحمام واخرون على المقاعد في المراسح ؟



انقاض قصر في بومباي

بقيت بومباي قروناً والناس لا يعرفون مكانها لان مقذوفات البركان غطتها وما يجاورها فلم يبق شيء من ابنيتها او شوارعها ظاهراً • ولم يهتد المنقبون الى مكانها الا في اواسط القرن الثامن عشر اذ اتفق لاحد الناس وهو يشتغل في كرم من العنب انه عثر على احجار استدل منها على وجود ابنية تحت الاغراس فاخذ ينقب فوقف على اثار بناء • ثم

اخذوا يحثون من ذلك الحين وينقبون حتى اكتشفوا معظم المدينة باسواقها وهياكلها وقصورها واسوارها . فتبين لهم بعد التنقيب انها كانت محاطة بسور له ثمانية ابواب لكل واحد منها اسم خاص . وتبينوا عن الفورم مجتمع العلماء والفلاسفة وعلى هيكل باسم جوبتير وآخر باسم هركيل وآخر للزهرة . وعلى مرسح كبير وآخر صغير وامفيتياتر وعلى تكنة لسكنى المصارعين وعلى حمامات كثيرة ومنازل وقصور لا تزال اساطينها قائمة وتماثيلها منصوبة وعلى جدرانها صور ونقوش يقصدها السياح الآن للفرجة

## زلزال مسينا

قد رأيت ان بومباي اصيبت بزلزال اخرب بعضها قبل ثوران البركان ومثلها مسينا ايضاً لم يكن زلزال الامس اول ما اصابها وانما هو آخر الزلازل واشدها وطأة ولم يكن قاصراً على مسينا ولكنه تناول بلداً يقابلها على الجانب الآخر من المضيق اسمه بورجيو وبلاداً على شاطىء مضيق مسينا الواقع بين صقلية وكلابريا . وكان الزلزال شديداً جداً اتصل اذاه الى مسافات بعيدة جداً وهلك فيه اكثر مما هلك في سواه من الزلازل حتى الآن . فقد بلغ عدد القتلى فيه نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس ولم يقتل في خطب بومباي وهركولانيوم الا ٣٠ الفاً وربما قارب مصيبة مسينا في اهوال الزلازل زلزال اليابان الذي حدث في سنة ١٧٠٣ فقد قتل فيه نحو ٢٠٠٠٠٠ كما ترى في الجدول . وما من زلزال بلغ قتلاه الى هذا العدد غيرهما

بدأ زلزال الامس في مانيليون في الساعة الخامسة و٢٥ دقيقة صباحاً ثم سار على خط مستدير في تلك البلاد التعسة وبقي ٣٢ ثانية يتردد أي نحو نصف دقيقة بهزات تموجية فتقطعت الاسلاك التلغرافية والتلفونية والخطوط الحديدية فانقطعت المواصلات فلم يستطع الناس تقدير هذا الخطب حق قدره . ثم علموا انه من اشد الزلازل هولاً واعظمها تخريباً فان سكان مسينا نحو ١٥٠ الفاً لم يبق منهم الا عشرة آلاف وبورجيا على الشاطىء الآخر من المضيق كان سكانها خمسين الفاً لم يبق الا القليل غير القتلى في الجهات المجاورة . ويقدرون المجموع بنحو ٢٠٠٠٠٠ نفس كما تقدم غير ما تهدم من القصور والقلاع فدفن الناس ودفنت معهم الاموال والاشياء وتشققت الارض حتى اختلطت اليابسة بالبحر وفارت ينابيع مياه حارة وتعطلت الفنارات . وكان يسمع للزلزال دوي كهدير البحر المائج . وقد استولى الرعب على الناس لا يدرون الى اين يفرون فكانوا يرمون انفسهم من النوافذ ويركضون في الشوارع والجدران تتساقط عليهم او تطوف مياه البحر فتغرقهم او تتطاير عليهم النيران من الحرائق التي شبت في المنازل فتحرقهم فمن استطاع الفرار وكتب له البقاء طلب الفلاة ولجأ الى كهوف

الجبال او توسد الرمال. وكانت النازلة اشدّ وطأة على الخاصة مما على العامة لان الزلزال يهدم البيوت الشاهقة باسرع من هدمه البيوت الصغيرة. فاصبح السادة والسيدات من اهل الترف والرخاء اما تحت الردم او يركضون حفاة في الاسواق وقد اخذ الرعب من قلوبهم كل مأخذ فجُنّ كثيرون منهم



قصر متهدم في مسينا

وكان لخبر هذه النازلة وقع شديد على العالم كافة. فتألفت اللجان لجمع الاموال لاغاثة المصابين وتبرع الملوك بالمبالغ الطائلة ولاسيما ملك الايطاليان والبابا ولا تزال المساعي متواصلة لجمع المال وارساله. ونختم المقال بقصيدة لحافظ ابراهيم في وصف هذه الفاجعة قال:

نبئاني ان كنتما تعلمان ما دهى الكون ايها الفرقدان
غضب الله ام تمرَّدت الارض فانحت على بني الانسان
ليس هذا سبحان ربي ولا ذا ك ولكن طبيعة الاكوان
غليان في الارض نفَّس عنه ثوران في البحر والبركان
ربِّ اين المفر والبحر والبر على الكيد للورى عاملان
كنت اخشى البحار والموت فيها راصدٌ غفلة من الربان
سابحٌ تحتنا مطلٌّ علينا حائم حولنا مناه مداني

فاذا الارض والبحار سواء في خـلاق كلاهما غادران
ما لمسين عوجلت في صباها ودعاها من الردى داعيان
ومحت تلكم المحاسن منهـا حين تمت آياتهـا آيتان
خسفت ثم اغرقت ثم بادت قضي الامر كله في ثواني
وأتى أمرها فاضحت كان لم تك بالامس زينة البـلدان
ليتهـا امهلت فتقضي حقوقاً من وداع الهداة والجيران
لمحة يسعد الصديقان فيهـا باجتماع ويلتقي العاشقان
بغت الارض والجبال عليها وطغى البحر أيما طغيان
تلك تغلي حقداً عليها فتنشق انشقاقاً من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجماً وقذفاً بشواظ من مارج ودخان
وتسوق البحار ردءاً عليهـا جيش موج تاني الجناحين داني
فهنا الموت أسود اللون جون وهنا الموت احمر اللون قاني
جند الماء والثرى لهلاك الـ خلق ثم استعان بالنيران
ودعا السحب عاتيا فأمدتـ ـه بجيش من الصواعق ثان
فاستحال النجاء واستحكم اليأ س وخارت عزائم الشجعان
وشفى الموت غله من نفوس لا تباليه في مجال الطعان
أين (رجيو) وأين ماكان فيها من مغان مأهولة وغواني
عوجلت مثل أختهـا ودهاها ما دهاها من ذلك الثوران
رب طفل قدساخ في باطن الار ض ينادي أمي ٠ أبي ٠ أدركاني
وفتاة هيفاء تشوى على الجمـ ـر تعاني من حره ما تعاني
وأب ذاهل الى النار يمشي مستميتاً تمتدُّ منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيه مسرع الخطو مستطير الجنان
تأكل النار منه لاهو ناج من لظاها ولا اللظى عنه واني
غصت الارض ُ ـ اتخم البحر ُ مما طوياه من هذه الابدان
وشكا الحوت للنسور شكاة رددتها النسور للحيتـان
اسرفا في الجسوم نقراً ونهشاً ثم باتا من كظة يشكوان
لا رعى الله ساكن القمم الشـ ـم ولا حاط ساكن القيعان

قد أقاما على أكف براها ... بارىء الكائنات للاتقان
كيف لم يرحما أناملها الغر ... ولم يرفقا بتلك البنان
لهف نفسي وألف لهف عليها ... من أكف كانت صناع الزمان
مولعات بصيد كل جميل ... ناصبات حبائل الالوان
حافرات في الصخر أو ناقشات ... شائدات روائع البنيان
منطقات لسان كل جماد ... مفحمات سواجع الافنان
ملهمات من دقة الصنع ما لا ... يلهم الشعر من دقيق المعاني
من تماثيل كالنجوم الدراري ... يهرم الدهر وهي في عنفوان
عجب صنعها وأعجب منه ... صمتها — تلك قدرة الرحمن

***

ايه (مسين) آنسي اليوم «يعبا ... ي» فقد اوحشت بذاك المكان
آنسي الدرة التي كانت الحلـ ... ـية في تاج دولة الرومان
غالها قبلك الزمان اغتيالاً ... وهي تلهو في غبطة وامان
جاءها الامر والسراة عكوف ... في الملاهي على غناء القيان
بين صب مدله وطروب ... وخليع في اللهو مرخي العنان
فانطووا كانطواء املاك بالأمـ ... ـس وزالت بشاشة العمران
انت «مسين» لم تزولي كما زالت ... ولكن امسيت رهن الاوان
ان ايطاليا بنوها بناةٌ ... فاطمئني ما دام في الحي باني
فسلام عليك يوم توليـ ... ـت بما فيك من مغان حسان
وسلام عليك يوم تعودي ... ن كما كنت جنة الطليان
وسلام من كل حي على الار ... ض على كل هالك فيك فان
وسلام على الأُلى اكل الذئـ ... ـب وناشت جوارح العقبان
وسلام على امرىء جاد بالدمـ ... ـع وثنى بالاصفر الرنان
ذاك حق الانسان عند بني الانـ ... ـسان لم ادعكم الى إحسان
فاكتبوا في سماء (رجيو) و (مسـ ... ـين) و (كالبريا) بكل لسان
ههنا مصرع الصناعة والفـ ... ـن ويروا الحذق والحجى والاغاني



مجلس المبعوثان العثماني يوم افتتاحه في ١٧ دسمبر سنة ١٩٠٨
وجلالة السلطان واقف في لوجه يحيي المبعوثان عند تلاوة النطق وهم وقوف
وفي اللوج الثاني الى جانب جلالته الحجاب . وفي اللوج المواجه بالجهة اليمنى محررو جريدة « تقويم وقائع » الرسمية

# اعضاء مجلس المبعوثان

ذكرنا في الهلال الماضي احتفال العثمانيين بفتح مجلس المبعوثان و بسرنا انهُ اخذ في العمل فانتخب احمد رضا بك الحر الشهير احد نواب الاستانة رئيساً لهُ . وأولم جلالة السلطان مادبة فاخرة اجتمع فيها المبعوثون كافة واعرب فيها جلالته عن سروره بذلك الاجتماع بعبارات لم تترك مكاناً للشك في ارتياحه الى ذلك الانقلاب العجيب . واهم ما اتوه من الاعمال انهم صادقوا على الوزارة الحالية التي يرأسها الصدر الاعظم كامل باشا واخذوا ينظرون في شؤون الدولة . وهذه اسماء المبعوثين الذين اجتمعوا في يوم الافتتاح باعتبار البلاد التي ينوبون عنها مرتبة على احرف الهجاء :

الاستانة العلية : احمد رضا بك ، ماتياس زاده رفيق بك ، خواجه مصطفى عاصم افندي ، حسين جاهد بك ، احمد نسيمي بك ، قسطنطين قسطنطيدي بك ، باندلا كي قوزميدي افندي ، خلاجيات افندي ، زهراب افندي ، ويتالي فراجي افندي

ادرنه : رضا توفيق بك ، طلعت بك ، عاصم بك

آيدين : خواجه زاده عبد الله افندي ، نازللى حاجي سليمان افندي

اماسيه : عارف افندي ، قائمقام اسماعيل حقي بك ، جودى افندي ، وزير كوبريلي فاضل افندي

ارضروم : حافظ زاده سيف الله افندي ، حاجي شوكت افندي ، قره كين افندي ، وارته كس افندي ، حاجي حافظ ضيا افندي

ارزنجان : مفتي عثمان افندي

ايج ايل : مفتي بايرام افندي

ارطغرل : محمد صدقي افندي ، صوفيه لي محمد بك

ازميد : مقبل بك ، حافظ رشدي افندي ، انسطاش افندي

انقره : ماهر سعيد بك ، حاجي مصطفى افندي ، قاسم افندي ، حكمت افندي

ازمير : نسيم افندي مازلياخ ، قاروليدي افندي ، بورغان جوبلو افندي ، مفتي محمد سعيد افندي ، اسيار طليان افندي ، سيد بك ، ار يستيدي باشا

اسكوب : نجيب بك دراغه ، سعيد افندي طودوري ، بالوف افندي ، علكساندر برتيبج افندي

اورفه : صفوت افندي ، محمود نديم افندي

اشقودره : شاكر بك ، مصطفى افندي

ايلصبان : عبد الله ماهر افندي

انطاكية : بركت زاده حاجي رفعت بك

اطنه : علي منيف بك

انطاليه . تكه : ابو الضيا توفيق بك ، المالیلي خواجه نعمان زاده حمدي افندي
اسبارطه : سليمان سامي بك ، اكرديرلي شرف بك
بتليس : عارف بك
بروسه : بيكباشي طاهر بك ، حافظ احمد افندي ، خواجه عمر افندي ، ايلبصان متصرفي صبري بك
بوردور : محدث زاده عمر لطفي افندي
برات : عزيز باشا ، اسماعيل كمال بك
بصره : زهير زاده احمد باشا ، طالب بك
بنغازي : يوسف بك شتوان
بولی : شرف بك ، مصطفى افندي ، عبد الوهاب افندي ، ممتاز قول اغاسي حبيب بك
بيروت : سليمان افندي البستاني ، رضا بك الصلح
بروزه : عزمي بك
بروشته : حاجي مصطفى افندي ، صاوا افندي ، فواد باشا ، ووجتريتلي حسن بك
برزرين : مفتي محمد امين افندي ، شرف افندي ، يحيى افندي
توقاد : حاجي مصطفى افندي ، خطاط زاده اسماعيل باشا ، كتابي مصطفى صبري بك
تكفور طاغي : آغوب بابيكيان بك ، عادل بك
جانيك : محمد علي بك ، عبد الله بك ، نائل بك ، جهار شنبه لي خواجه احمد بك
جده : قاسم بك
جبل بركت : راشد بك
جوردوم : علي عثمان بك ، منير بك
حما : حالت رازي بك ، الشيخ عبد الحميد زهراوى
حلب : كواكبي زاده مسعود بك ، جابرى زاده نافع باشا ، عينتابلي مصطفى افندي ، ملاح زاده مرعي باشا
حكارى : سيد طه افندي
ديار بكر : برنجي زاده عارف بك
دكرلي : حكاك احمد نجيب بك ، قراه شارلي غني بك
دده اغاج : اسماعيل بك ، بوز باشي سليمان بك
درسم : فكرى باشا زاده ، عمر لطفي بك
دراج : اسعد باشا
درامه : اكاه بك ، رضا بك
رودس : قسطنطينيدي بك
زور : لطفي بك
سينوب : حسن فهمي بك ، دوقتور رضا انور بك
سيواس : خواجه شاكر افندى ، دوقتور داغاوريان ، نظرت بك ، ميرالاي عمر شوقي بك قائمقام حسن بك ، مصطفى افندي
سعرد : عبد الرزاق بك
صبروز : مدحت بك ، ناشد بك ، ديبغاس افندى ، والجيف افندي

سلانيك : امانوئل قره صو بك ، رحمي جاويد بك ، يورکي مونه ئوس بك ، آرتاس بك ، ولاصوف بك

ساقز : جليدى ميخالاكي بك

سرفيجه : قوزانه لی دريزي بك ، كرهبنه لی آندريا بوشو بك

سوريه : شفيق المؤيد بك ، عجلاني زاده محمد بك ، عبد الرحمن باشا ، شمعه زاده رشدي بك

صاروخان : توقاده زاده شكيب بك منصوري زاده سعيد بك ، الماسي بك ، حيدر بك

صامسون : علي تقي بك، والافنديه نصيب زاده عماد الدين ، مفتي محمد امين، نملي زاده حاجي عثمان ، ماطيو قوله نيدي ، خزينه دار زاده محمد ، ايوب زاده عزت ، خطيب زاده امين

طرابلس شام : فؤاد بك خلوصي

صنيجه : مدعي عمومي معاوني حسن بك

طرابلس غرب : يوسف باشا زاده ، صادق بك ، ناجي بك

عسير : احمد بن محمد مشيبه بك ، علي بن حسن بك

عكا : اسعد افندي شقير

فيزان : فرهاد بك

قره حصار شرقي : فيضي بك ، سردار زاده مصطفى بك

قرق كليسا : امر الله بك ، مصطفى عارف بك

قسطموني : يوسف بك كمال، اسماعيل ماهر بك، احمد ماهر بك، شيخ زاده شكري بك

قونيه : محمد امين بك ، كرد زاده حاجي مصطفى بك ، خادمي زاده محمد بك، شيخ زاده زين العابدين بك ، قره مان اركليلي صالح بك

قيرشهر : علي رضا بك، محمود ماهر بك، مفتي زاده سالم بك

قره سي : علي غالب بك ، عبد العزيز مجدي بك ، محرم حسين بك ، ابراهيم وصفى بك ، بروسه تاني شفيق بك

قيصرى : عمر بك ، حاجي قاسم بك

قوزان : حاجنلي بوياجيان حامبا، رسوم مراد بك

قدس : حافظ بك السعيد، روحي بك الخالدي ، سعيد بك الحسيني

قلعه سلطانيه : عارف عصمت بك ، سيد علي رضا بك

قره حصار صاحب : سالم افندي ، كامل بك ، رضا باشا

كرلجنه : عارف بك ، اسماعيل بك ، خواجه فهمي افندي

كنقرى : محمد توفيق بك ، بهجت بك

كوتاهيه : عبدالله عزمي افندي ، مصطفى صفوت باشا ، جمال بك، خواجه راسخ افندي

افندي

كور يجه : شاهين نقي بك ، اولاح ميشه افندي

كنج : محمد افندي

كموشخانه: مصرلي زاده صبري افندي، قدربك زاده ابراهيم لطفي باشا

كليبولي : دقتور نازلي افندى

لازستان : ابراهيم فريد افندى ، جور كصولى

لاذقية : مير محمد ارسلان

بني : قاندي افندى

مدالي : بنابوط بستاني بك ، ميخائيلو صالطه بك

مناستر : محمد واصف بك، تره يان نالى بك، بلغار پانجه بك، بنا كي ديمتروويچ بك

منتشا : خليل بك . حمزه بك

مرسين : حكمت بك

معمورة العزيز : بكراده محمد افندي، حاجي ضيا بك، عاصم بك

مرعش : قاضي زاده حاجي حسين فهمي افندى، بايزيد زاده شكرى بك

مدينة منوره : عبد القادر هاشمي بك

ملاطيه : احمد حامد بك، محمد توفيق بك

مكة مكرمه : حنفي مفتيسي عبدالله سراج افندى

نيكده : محيي الدين بك، قورد اوغلي بورغا كي افندي، خيري بك

نابلس: شيخ احمد افندي الخماش

يوزغاد : خيرالله بك، جيان زاده ادبب بك، علي عثمان بك

يانيه : صور لاديفوس بك، منيد بك، ماما يولو بك

---

# اهم المؤلفات العربية

## في نظر القراء

نشرنا في الهلال الماضي اقتراحاً وعيده الآن راجين من حضرات القراء الاجابة عليه وهو :

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما ألف في العربية من صدر الاسلام الى الآن أي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره أفيد سائر الكتب العربية وانفعها . ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر اسماء الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

# السؤال والاقتراح

## البرقع بمصر

( الخرطوم ) اندريا افندي الصوري

متى ابتدأ المصريون بلبس البرقع ولأي سبب

﴿ الهلال ﴾ البرقع من جملة وسائل التحجب كالخمار والنقاب والقناع · والحجاب على اجماله حدث في مصر بعد الفتح الاسلامي لاننا لا نجد له مثالاً بين البسة المرأة قبل ذلك العهد · كانت المرأة المصرية على عهد الفراعنة تجالس الرجال وتشهد الاحتفالات العمومية الدينية والسياسية وهي مكشوفة الوجه · وكانت تتولى المناصب في الكهانة والسياسة ولها الحق في توارث الملك كالرجل وكان لها مقام رفيع في الهيئة الاجتماعية لم يكن مثله لمعاصراتها من الامم الاخرى وتقدمت على الرجل في كثير من الاعتبارات الاجتماعية مما لم يفطن له الافرنج الا في العصر الاخير · وكثيراً ما كان الطامعون من الملوك الغرباء يكتسبون حق السيادة على عرش الفراعنة بالتزوج من بعض بناتهم · ولم تكن المرأة تحتجب ولا تستر وجهها عن الرائين وانما كانت تغطي راسها بخمار من الضفائر كثيف يغطي الراس والعنق وجانبي الوجه ترى أمثلة منه في المتحف المصري

فالحجاب دخل مصر بعد الاسلام وشاع اولاً بين المسلمين وقد بينا سبب شيوعه في كتابنا تاريخ التمدن الاسلامي ( ج ٥ ص ٧٧ ) ثم قلدتهم به اكثر الامم التي دخلت في سلطانهم بمصر والشام وغيرهما · فلبست نساؤهم النقاب وهو القناع تضعه المرأة على مارن انفها تستر به معظم وجهها ويشبه البشمك الشائع عند الاتراك · والخمار تغطي به المرأة راسها وهو النصيف وكان شائعاً في الشرق قبل الاسلام · اما البرقع فانه عربي وهو في الاصل خريقة تثقب للعينين تلبسها الدواب فتستر الوجه · واستخدمها نساء الاعراب لستر الوجه فقط اوالوجه ومقدم الجسم الى الارض بحيث تبقى العينان مكشوفتين للنظر · واتخذته بعض الامم المجاورة وتنوع مع الزمان · وكان شائعاً في بلاد الدولة العثمانية منذ ثلاثمئة سنة على شكل غريب — كانت المرأة تغطي رأسها بالخمار وترفع بعضه عن اسفل عنقها حتى يغطي ذقنها وفمها ومعظم انفها وترخي بعض قسمه العلوي على جبينها · ثم تغطي عينيها بشبه عصابة

لا تبعد عن عينها الا بمقدار ما تستطيع رؤية طريقها . وتفنن اهل مصر بالبرقع على اسلوب خاص فجعلوه نصفين وصلوا بينهما بانبوب يصنعونه من المعدن المذهب او غيره

## الحروف العربية

(شبلنجة شرقية) عبد الحميد افندي نصير

من وضع الحروف الهجائية العربية ومتى كان ذلك

(الهلال) ان الحروف العربية لم توضع وضعاً ولكنها تولدت بتنوع الحرف النبطي الذي كان شائعاً في شمالي جزيرة العرب قبل الاسلام . وقد بينا ذلك في اماكن كثيرة من الهلال وفي الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

## تركيا الفتاة وجمعية الاتحاد والترقي

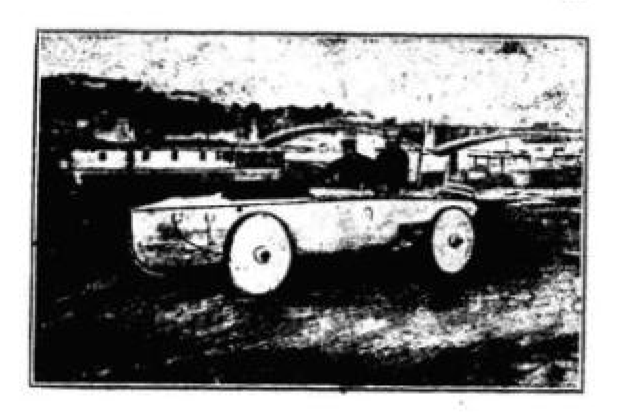
( الاسكندرية ) ايمانوئيل افندي بحري

هل جمعية الاتحاد والترقي التي ظهرت بعد اعلان الدستور هي نفس حزب تركيا الفتاة والا فما الفرق بينهما

(الهلال) الفرق بينهما ان تركيا الفتاة حزب وليس جمعية وهو يشمل كل عثماني حر ناقم على النظام القديم بدون ترابط او تواثق بعهود او شروط . ولم يكن لهذا الحزب جمعية معينة لها رئيس وكاتب وامين ولا لها قوانين للعمل او الاجتماع او غير ذلك . وانما كانت تجمع اولئك الاحرار جامعة المصلحة والغاية و يبدأ ظهور هذا الحزب من ايام السلطان عبد العزيز . اما جمعية الاتحاد والترقي فهي جمعية تأسست في وقت معلوم قام بانشائها جماعة وضعوا لها قوانين تسير عليها في قبول الطالبين وتعارفهم ولها رؤساء وشعب كما فصلنا ذلك في الهلال الاول من هذه السنة . و بينها و بين حزب تركيا الفتاة علاقة شديدة لانها تالفت من اعضائه فكل عضو من اعضائها عثماني حرٌ اي من حزب تركيا الفتاة وليس كل عثماني حر عضواً في جمعية الاتحاد والترقي

# الاتومبيل المائي

من اهم ثمار الاختراعات الحديثة وانفعها تسهيل المواصلات وتقريب المسافات بالآلات البخارية والكهربائية كالبواخر البحرية والقطر البرية والمركبات الكهربائية على اختلاف اشكالها والاغراض المرادة بها . ومنها الاتومبيل والترامواي والبيسكل وغيرها وما زالوا يتفننون في تسهيل المواصلات على اساليب تبهر العقول . وآخر ما قرأناه من اختراعاتهم ان احدهم اخترع مركبة بخارية من قبيل الاتومبيل تمخر في الماء كما تدرج على الارض



الاتومبيل المائي

وذلك انهُ صنع المركبة بشكل سفينة طولها خمسة امتار تسع اربعة اشخاص واذا جعل طولها ستة امتار ونصف متر وسعت ثمانية اشخاص . لها مقدم ومؤخر وفي مؤخرها دفة ودولاب ذو عوارض مثل الذي تشاهده في مؤخر السفن البخارية ويعبر عنهُ بالفراش . اذا ادير اجرى السفينة . وهي من الجهة الاخرى ذات اربع عجلات كاوتشوك مثل عجلات الاتومبيل تدار بالبخار او الكهربائية حسب الاقتضاء . فاذا اديرت في البر درجت كالاتومبيل تماماً اذ لا فرق بينها وبينهُ الا في شكلها الخارجي وهو لا يعيق سيرها . ويجلس السائق فيها وبين يديه الدولاب الذي يحول به المركبة شمالاً او يميناً وسائر الآلات التي تستخدم للايقاف او الاسراع . واذا نزلت في الماء تحولت القوة المحركة الى ادارة الفراش المذكور وتحول السائق الى ربان يقبض على الدفة يديربها السفينة كما يشاء وسرعة هذه المركبة بالساعة ٣٥ كيلومتراً في البر و ٩ كيلومترات في الماء

ولهذا الاختراع فائدة كبرى في الاسفار بالبلاد التي لا يعرف الراكب خارطتها فاذا اعترضه نهر او بحيرة لا يضطر للوقوف او الرجوع

## البيسكل المائي

ومن هذا القبيل ايضاً البيسكل المائي وهو عبارة عن اسطوانتين من الخشب مجوفتين سدُّها محكم بحيث لا ينفذها الماء . طول الواحدة منهما اربعة امتار وعرضها نحو ٧٠ سنتيمترًا يوصل بينهما بعوارض من الحديد تجعلها ثابتتين على موازاة واحدة وينصب عليهما قوائم من الحديد على شكل الكرسي كما ترى في هذا الشكل



البيسكل المائي

ويشدُّ مقعد السائق في الوسط بين الاسطوانتين وتحته مثل عجلات البيسكل الاعتيادية لكنها تدير فراشاً بدفع الماء الى الوراء فيتقدم البيسكل الى الامام . وفي المقدم نصاب مزدوج يقبض عليه الراكب بيديه كما يفعل راكب البيسكل ليحول مسيره يمينًا او شمالاً . فهو في البيسكل المائي يعمل هذا العمل لتحريك عارضة تحت الماء كالدفة في السفن . وسرعتها في الماء تزيد على خمسة كيلومترات في الساعة

# باب الاخبار العلمية

☼ الكحول وام اوربا ☼ احصى بعض علماء اسوج مقدار ما يلحق الواحد من اهل اوربا من الكحول الذي يدخل معدهم باسم البيرا او الخمر او الويسكي او غيرها في السنة ورتب ذلك باعتبار الممالك فكانت النتيجة كما يلي مرتبة الاكثر فالاكثر :

| اسم المملكة | ما يلحق الواحد | | | |
|---|---|---|---|---|
| في فرنسا | ٣٨ رطلاً | | في الصرب | ١٥ رطلاً |
| « بلجيكا | ٢٢ « | | « انكلترا | ١٤،٥٠ « |
| « اسبانيا | ٢١ « | | « النمسا والمجر | ١٤ « |
| « الدنمارك | ١٩،٣٠ « | | « هولندا | ١١،٥٠ « |
| « سويسرا | ١٨،٥٠ « | | « روسيا | ٩،٢٠ ارطال |
| « ايطاليا | ١٨،٣٠ « | | « اسوج | ٨ « |
| « المانيا | ١٨ « | | « رومانيا | ٧ « |
| « البورتغال | ١٧،٦٠ « | | « نروج | ٥ « |
| | | | « فنلاند | ٠،٤٠ « |

☼ جوائز نوبل ☼ منحت جوائز نوبل في هذا العام الى متشنكوف الروسي واهرليك الالماني عن الطب . والاستاذ ماكس بلانك الالماني في برلين عن الكيمياء . واما الخدم التي استحق عليها متشنكوف هذه الجائزة فابحاثه الطبية ولا سيما اكتشافه عمل الكريات البيضاء في الدم وانها تدافع عن حياة الانسان اذا هم الميكروب باغتيالها . وبحث متشنكوف ايضاً في بعض الامراض المعدية ولا سيما في مقاومة الشيخوخة . واما الدكتور اهرليك فهو مدير معمل الترابيوتيا العملية في فرانكفورت وله فضل في الابحاث المكروبية . ونال جائزة الطبيعيات الاستاذ لبمن لاكتشافاته في التصوير الشمسي الملون

☼ اعلى ما بلغ اليه ركاب الهواء ☼ صعد الاستاذ هركسل في اواخر يوليو الماضي في مركبة هوائية بجزائر كناري فبلغ ارتفاعها عن الارض ٢١٨٠٠ متر وذلك اعلى ما بلغ اليه البشر في طبقات الجو الى الآن

☼ تجميد الهليوم ☼ الهليوم عنصر غازي اكتشفوه منذ عدة سنين وكان المظنون انه لا يتحوّل الى سائل فاستطاعوا الآن تحويله الى سائل ثم الى جامد . فثبت ان

الغازية في العناصر حالة عارضة وما من غاز الا وهو يقبل التحول الى جامد

﴿ سلخ الحيات وهي حية ﴾ من اغرب طرق القسوة التي يأتيها الانسان مع اخيه الحيوان ان بعض السيدات في العالم المتمدن يتخذن من جلود الحيات احزمة وغيرها من ضروب الزينة . ولكن نزع الجلد عن الحية وهي ميتة يخسر شيئاً من متانته وزهوه فعمدوا الى سلخه عنها وهي حية . واكثر ما يفعلون ذلك في حيات الهند الكبيرة وهناك اناس منقطعون لهذه الصناعة . فاعتبر كم يقاسي ذلك الحيوان من العذاب وهم يسلخون جلده . و يفعلون ذلك ايضاً مع بعض اصناف الطير ولا ذنب لها الا ان ريشها جميل يرغب فيه طالبات الزينة من السيدات ربات الثروة والبذخ !

﴿ اعلى حرارة يحتملها الاحياء ﴾ تختلف درجة الحرارة التي يقوى الاحياء على احتمالها باختلاف انواع الحيوان فالانسان مثلاً لا يعيش في وسط حرارة تزيد على سبعين درجة سنتكراد ولكن بعض الحيوانات الدنيئة كالديدان وبعض الاسماك وحشرات البحر تحتمل الحر الى ١٥٠ درجة . والميكروبات تختلف قوتها على احتمال الحرارة فميكروب الطاعون يحتمل الحرارة الى درجة ٣١ سنتكراد فقط ( كذا ) وميكروب الدفتيريا يحتملها الى درجة ٦٠ واما ميكروب السل فيحتملها الى درجة الغليان ( ١٠٠ ) ولا تموت الا على درجة ١٦٠ ولكن من الميكروبات انواعاً تحتمل الحرارة الى درجة ٢٥٢ واكثر

---

# مطبوعات جديدة

نقتصر في هذا الباب على ذكر ما يظهر حديثاً من الكتب او الجرائد او المجلات اعلاناً لظهورها ولا نتعرض لنقدها او تقريظها . واذا دعت الحال الى شيء من ذلك نشرناه في باب التقريظ والانتقاد

١ — الصحف والمجلات

١ المسامرات الاسبوعية : هي روايات ادبية دورية كل عدد منها يحتوي على رواية باكملها . تصدر في الاسكندرية بدل اشتراكها ٣٠ غرشاً في العام وثمن النسخة نصف غرش

٢ المدرسة : هي مجلة علمية ادبية تاريخية لمؤسسها المرحوم مصطفى كامل باشا تصدر في القاهرة مرة في الشهر ويقوم بتحريرها نخبة من الكتاب قيمة اشتراكها ٤٠ غرشاً وللطلبة ٢٠

٣ المجلة المطبعية : هي مجلة ادبية صناعية انتقادية تصدر بمصر مرة في الشهر لصاحبيها فرنسيس افندي مخائيل واحمد افندي السيد بدل اشتراكها ١٥ غرشاً

٤ الجامعة المصرية : هي مجلة خاصة بنشر محاضرات الجامعة المصرية تصدر في القاهرة مرتين في الشهر لاصحابها محمود افندي شاهين ومحمد افندي كامل فيضي وعبد الله افندي امين بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً لطلبة المدارس و ١٠٠ غرش لغيرهم و ١٢٠ في الخارج

٥ المجلة المصرية : هي مجلة ادبية شعرية لمنشئها خليل افندي المطران الشاعر المشهور وكانت تصدر مرتين في الشهر واحتجبت حيناً ثم عادت الآن للظهور اسبوعية و بدل اشتراكها ١٠٠ غرش بمصر و ٣٠ فرنكاً للخارج

٦ الصباح : مجلة علمية تجارية ادبية تاريخية تصدر في طنجة مرتين في الشهر لرئيس تحريرها وديع افندي كرم بدل اشتراكها عشر بسيطات في المغرب وعشرة فرنكات للخارج

٧ النظام : جريدة يومية سياسية اقتصادية اجتماعية مستقلة تصدر في مصر لصاحبها ومديرها محمد افندي مسعود الكاتب الصحافي المعروف بدل اشتراكها ١٥٠ غرشاً بمصر و ٥٠ فرنكاً في الخارج

٨ المجلة الصحية : هي مجلة صحية صدرت بمصر منذ تسعة اعوام لمحررها الدكتور زيات ومديرها نجيب افندي غناجة ثم احتجبت فاعادا اصدارها بالامس وبدل اشتراكها ٢٠ غرشاً

٩ فرعون : مجلة اجتماعية ملية قبطية سياسية تصدر بمصر مرتين في الشهر لصاحبها ومحررها توفيق افندي حبيب بدل اشتراكها عشرون غرشاً

١٠ الانصاف : جريدة سياسية علمية ادبية اخبارية فكاهية تصدر في القدس مرة في الاسبوع لصاحبها بندلي افندي الياس مشحور بدل اشتراكها عشرة فرنكات في المملكة العثمانية و ١٢ فرنكاً للخارج

١١ المحروسة : هي جريدة سياسية مشهورة صدرت منذ نيف وثلاثين سنة واحتجبت منذ بضعة اعوام وعادت الى الظهور الآن بعد ان انتقلت ملكيتها الى حضرة الياس افندي زيادة وهي تصدر في القاهرة كل يوم ويتولى رئاسة تحريرها الاستاذ ابراهيم افندي الحوراني الشهير بدل اشتراكها ١٥٠ غرشاً في مصر و ٥٠ فرنكاً في الخارج

## ٢ — الكتب

١ تدبير صحة الحامل والنفساء والطفل في العامين الاولين : هو كتاب صحي يدل اسمه على موضوعه وضعه في الفرنساوية الدكتور اده الاختصاصي بفن الولادة ونقله الى العربية الدكتور فرّا وطبع بنفقة مطبعة المعارف مزيناً بالرسوم ويطلب منها ومن مكتبة الهلال ومن مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وثمن النسخة عشرة غروش

٢ The History of Sulu : هو تاريخ لبلاد الصولو من جزر الهند الشرقية الفه

بالانكليزية الدكتور نجيب صليبي نزيل مانيلا ( فيلبين ) واوضحه بالخرائط الوافية فجاء كتاباً مطولاً في نحو ٤٠٠ صفحة كبيرة وطبع بنفقة الحكومة هناك

٣ History of the Resuli Dynasty of Yeman : هو الترجمة الانكليزية لكتاب العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية للمستشرق ردهوس التي تطبع بنفقة لجنة تذكار جيب بانكلترا · وعني بتصحيحها الاساتذة المستشرقون براون ونيكلسون وروجرس · وذكرنا صدور الجزئين الاولين قبلاً وجاءنا الآن الجزء الثالث منها وفيه التعاليق والشروح

٤ Effect of War on Property : هو كتاب انكليزي سيامي يبحث في تأثير الحروب على املاك الارضين تأليف الدكتور الما لطيفي من علماء الهند المتخرجين في جامعة كمبردج وهو يباع في مكتبة مكميلان الانكليزي الشهير في لندن

٥ La Province de Bagdad : هو كتاب في وصف ولاية بغداد قديماً وحديثاً الفه في الفرنساوية حبيب افندي شيحا وضمنه ملاحظات على السكة الحديدية هناك وعن قبائل البادية في مابين النهرين و يطلب من مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

٦ رحلة الحبشة : هي رحلة لسعادة صادق باشا المؤيد العظم فريق اول في الجيش العثماني · كتبها في التركية وقد نقلها الى العربية حضرة رفيق بك العظم وحقي بك العظم وطبعت بنفقة شركة طبع الكتب العربية وزينته بالرسوم والخرائط · و يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٢ غرشاً واجرة البريد ٣ غروش

٧ فلسفة العمر : هي رسالة حكمية ادبية في اربعة اعمار الانسان وما في طيها بحسب الاحوال الاجتماعية الراقية من عبر وحكم · تأليف الكونت دي سيجر الفرنساوي وقد نقلها الى العربية حضرة صالح بك حمدي حماد وعلق في حواشي الكتاب خلاصة تراجم المشاهير الذين وردت اسماؤهم فيه للاستشهاد باقوالهم · وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومن مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وثمن النسخة خمسة غروش واجرة البريد غرش ونصف

٨ خلاصة ادب اللغة : كتاب مدرسي يشتمل على حالة اللغة العربية في عصورها الخمسة مع منتخبات من اقوال المتقدمين تاليف الشيخ ابراهيم عبد الخالق مدرس العلوم العربية في كلية الفرير · بمصر ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٣ غروش والبوسطة نصف غرش

٩ مصطفى كامل باشا : ظهر الجزء الخامس من سيرة حياة المرحوم مصطفى كامل واعماله و يباع في مكتبة الهلال وثمن الجزء خمسة غروش

١٠ مكنونات باريس : ظهر الجزء الثامن من رواية مكنونات باريس ترجمة الدكتور شدودي وهو الجزء ٢٢ من الفكاهات العصرية لصاحبها عبد الله افندي غزاله وثمنه غرشان



# العدد السادس

أول مارس سنة ١٩٠٩ م




الجزء السادس من السنة السابعة عشرة

١ مارث ( اذار ) ١٩٠٩ و ٩ صفر سنة ١٣٢٧

# توارث الملك

## في الدولة العثمانية



محمد رشاد افندي

ولي عهد السلطنة العثمانية

# توارث الملك في الدولة العثمانية

## توارث الملك على الاجمال

ان انتقال الملك بالتوارث في الاعقاب كما ينتقل العقار وغيره من الاموال انما هو من بقايا السلطة الملكية المطلقة يوم كان الملوك يعدون سلطتهم الهبة يقبضون بها على اعناق الناس واموالهم يتصرفون بها كما يشاؤون • ولما تقيدت تلك السلطة بتوالي الاجيال ظل التوارث جارياً لانه احسم للنزاع وابقى للسكينة • والا فقد كان للناس اذا آثروا السلطة الملكية دون سواها ان يولوا عليهم من يختارونه ويثقون بعقله وعدله وسداد رأيه ولكنهم قلما فعلوا ذلك — حتى ارقى الامم مدنية اليوم فانها لا تزال ترضخ لتوارث الملك مع خطر انتقاله الى من لا يصلح له • نعم انهم لا يخافون أذى الملك اذا كان شريراً لتقيده بالدستور والشورى ولكنهم لا يرجون منه عوناً او تنشيطاً • وقد يعترض مسيرهم بمن يلتف حوله من اهل الدسائس وذوي الاغراض

ورضوخ الناس للحاكم المطلق اذا كان ظالماً غشوماً واحتمالهم الضيم وهم سكوت انما سببه وهن العزيمة والاركان الى الذل • ولذلك كان اكثر الامم رضوخاً لنير الظالمين اهل الحضارة من سكان المدن والقرى لبعدهم عن انفة اهل البداوة واستقلالهم • اما هؤلاء فمع شيوع توارث السيادة في أمرائهم اذا آنسوا في احدهم ظلماً او خروجاً ابدلوه فاذا ابى قتلوه واختاروا سواه • ولكن ذلك لا يخلو من الخطر اذ كثيراً ما تقوم الفتنة لهذا السبب فتنشب الحرب بين انصار الامير المقتول وقاتليه حتى تؤول الى الخراب • فكانوا يجتنبون الخلع اوالقتل على قدر الامكان تداركاً للفتنة • ويقال نحو ذلك في انتخاب الامراء بلا توارث فانه من بواعث الانقسام بين الاحزاب لانتصار كل فريق الى امير يريدون انتخابه فيختصمون • ولذلك اقرّ اكثر الناس على توريث الملك لانه حاسم لاسباب الفتن وقيدوا سلطة الملوك بالشورى والدستور على مقتضيات الاحوال

## توارث الملك في الاسلام

كانت السيادة في صدر الاسلام رئاسة دينية تشمل السياسة وتعرف بالخلافة ولكنها من افضل انواع الحكومة لاشتمالها على احسن شروط الحكومات المختلفة • فقد كانوا يولون عليهم اهل الكفاية بلا توارث وهم يشترطون في الخليفة ان يكون عالماً عادلا

كفوءًا سالم الحواس فاذا توفرت هذه الشروط في ملك كان اطلاق يده في الاحكام افضل لمصلحة الامة من تقييدها بالدستور • وانما عمد اهل الاجيال الاخيرة الى تقييد الملوك بالدستور خوفاً من ان يفضي الملك الى غير الكفاة فيحيدوا عن جادة الحق

وللخلافة في صدر الاسلام شأن خاص لا يقاس به ولا يرجى البقاء على مثله فقد كانت الخلافة شورى وما هي شورى — كان للخليفة ان يسمي من يخلفه ممن يرى فيهم الكفاءة واللياقة • كما فعل ابو بكر في تسمية عمر ولكنه لم يسمه الا بعد ان شاور اصحابه فيه • واذا خاف ان يدعو ذلك الى القيل والقال عين جماعة يختارون من بينهم خليفة كما فعل عمر • ولم يخطر لاحد منهم ان يجعلها ارثاً في نسله • حتى ان عمر لما سمي الشورى لانتخاب من يخلفه منهم سمى ابنه عبد الله في جملتهم ولكنه نهى عن انتخابه • فاختاروا عثمان بن عفان وهذا قتل ولم يوص فاختار الناس علياً بلا شورى• فشق ذلك على كثيرين من كبار الصحابة لانهم كانوا وقت مقتل عثمان متفرقين في الامصار لم يشهدوا بيعة علي فمنهم من بايع ومنهم من امسك حتى يجتمع الناس وتركوا الامر فوضى حتى يكون شورى لمن يولونه • ثم كان ما كان من امر الفتنة المشهورة

فلما قتل علي ارادت شيعته حصر الخلافة في نسله باعتبار انهم بضعة من النبي فسألوه وهو على فراش الموت «أنبايع الحسن» فقال «لا آمركم ولا انهاكم انتم ابصر» اما هم فبايعوا ابنه الحسن وهذا تنازل عنها لمعاوية ابن ابي سفيان فصارت في بني أمية

فطريقة الخلفاء الراشدين في انتخاب الخلفاء افضل ما بلغ اليه جهد المتمدنين حتى الآن وهي جامعة بين الجمهورية والملكية والشورية • اما الجمهورية فلان الخليفة ينتخب من جمهور القرشيين بلاحصر ولاتعيين • وهي شورية لان الانتخاب يكون بالشورى • وهي مطلقة لان الخليفة اذا قبض على أزمة الملك كان مطلق التصرف • فاذا اضفت الى ذلك شروطها الاربعة التي ذكرناها كانت افضل انواع الحكومات على الاطلاق • لان الحاكم المطلق اذا كان عادلاً مع علم وكفاءة وسلامة الحواس لم يكن اقدر منه على ترقية شؤون المملكة وتوسيع نطاقها والتوفيق بين رعاياه • ناهيك بما في طريقتهم تلك من أدلة التقوى والزهد في الدنيا كما يتضح ذلك من مراجعة سير الخلفاء

فلما افضى الامر الى بني امية واختلطوا بالروم في الشام واطلعوا على طرق الحكومات عندهم وفي جملتها توالي الملك في الاعقاب رأى معاوية ان يجعلة كذلك في نسله • ولكنه تهيب لعلمه بما فيه من مخالفة سنة الراشدين فاستشار بعض خاصته فشجعه المغيرة بن شعبة

وزاده تشجيعاً ما خافه من افتراق الكلمة اذا ترك الامر بعده فوضى فيتطلبه بنو هاشم ولا يرضى بنو امية تسليمه الى سواهم فيأول ذلك الى الفتنة بعد ذهاب دهشة النبوة وتغلب طبيعة الملك ورجوع الناس الى العصبية . فتجنباً للفتنة بايع ابنه يزيد وخوفاً من الافتئات عليه بعد موت معاوية طلب له البيعة في حياته وتربص ليرى مايبدو من الناس فلم ير شراً وجرى على ذلك خلفاؤه بعده الا عمر بن عبد العزيز فانه اراد الرجوع الى طريقة الخلفاء الراشدين فلم يوفق الى ذلك بتغلب العامة عليه فلم تطل مدته فعادوا الى طريقة معاوية

واراد مثل ذلك ايضاً المأمون في الدولة العباسية فعهد الى علي بن موسى بن جعفر الصادق من نسل الامام علي وسماه « الرضا » فعظم ذلك على بني العباس ونقضوا بيعة المامون وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي . ولو لم يبادر المامون الى ملافاة الامر لخرجت الخلافة من يده . فعاد الى الخلافة بالارث وجرى عليها العباسيون والفاطميون وغيرهم من خلفاء المسلمين

كيفية التوارث

الاصل في توارث الملك ان ينتقل في الاعقاب من الاب الى ابنه وقد جرى المسلمون على ذلك في نقل الملك الى ابنائهم بعهد كانوا يعقدونه لهم في حياتهم وقد يعقدونه لبعض ذوي قرابتهم . وكثيراً ما كانوا يعرضون عزمهم في ذلك على اهل الرأي كما فعل المنصور لما اراد البيعة لابنه المهدي وكان جعفر يعترض عليه في ذلك فامر المنصور باحضار الناس وقامت الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فاكثرت في وصف المهدي فبايع له

وكانوا اذا رأوا غير واحد من اولادهم او اخوتهم اهلاً للخلافة بايعوا لاحد اولادهم او اخوتهم وشرطوا ان يخلفه فلان او فلان كما فعل يزيد بن عبد الملك لما اراد ان يبايع بولاية العهد وكان ابنه لايزال صغيراً فبايع اخاه هشاماً على ان يخلفه ابنه الوليد بن يزيد . وكثيراً ما كانوا يغيرون في شروط المبايعة بعد حين اذا رأوا لزوماً لذلك . وقد يبايع الخليفة بولاية العهد لاحد اولاده ويذكر من يخلفه ويخيره في استخلافه كما فعل الرشيد لما كتب بولاية العهد لابنه المأمون ومن بعده للقاسم وجعل امره للمأمون ان شاء اقره وان شاء خلعه . والعهد كتاب يكتبه الخليفة او من يكتب له ويختمه بخاتمه وخواتم اهل بيته ويدفعه الى ولي العهد او من يتولى امره فيحفظه الى حين الحاجة . وقد يحفظه في مكان امين في خزانة او مسجد او في الكعبة كما فعل الرشيد بالكتابين اللذين كتبهما لاولاده بولاية العهد أحدهما للامين والآخر للمأمون وبعد هذا للقاسم

## الدول التركية في الاسلام

ظهر الاسلام والاتراك اهل بداوة فلما انتشر العرب في انحاء العالم وطئت خيولهم بلاد الترك وهم يعبرون عنها بما وراء النهر ففتحوا بخارا وسمرقند واشروسنة وغيرها من تركستان في ايام بني امية فاتصل الاتراك من ذلك الحين بالعالم المتمدن وكانوا يمتازون بالشجاعة وقوّة البدن والمهارة في رمي النشاب واحتمال الاسفار الشاقة على ظهور الخيل والثبات في ساحة الوغى فاستخدمهم الخلفاء في الجندية . واول من جندهم المعتصم العباسي لاسباب بيناها في تاريخ التمدن الاسلامي (ج ٤ ص ١٥٦) فاشتدت سواعدهم بتوالي الاجيال وتقدموا في المناصب حتى انشأوا الدول وتوارثوها في اعقابهم

واقدم الدول التركية نشأت في عهد الدولة العباسية على سبيل التفرع اذ يكون الامير التركي والياً على عمل تحت سيطرة الخليفة العباسي فيوانس في نفسه قوة على الاستقلال فيعلنه ويطلب من الخليفة تثبيته فيثبته على ان يخطب له ويذكر اسمه على النقود كما فعل مؤسسو الدول الطولونية والاخشيدية في مصر والايلكية في تركستان والغزنوية في افغانستان في القرنين الثالث والرابع للهجرة الى اواسط الخامس . وكانت هذه الدول اقرب الى الامارات منها الى الدول الملكية لانها نشأت فروعاً للدولة العباسية وكان امراؤها او سلاطينها من عمال هذه الدولة او قوادها وخرجوا عن طاعتها

وكان الاتراك في اثناء ذلك ينشطون وينتظمون حتى نشأت فيهم الدول الحقيقية ليس على سبيل التفرع كما تقدم بل من عند انفسهم وحملوا على المملكة الاسلامية من المشرق . واول من فعل ذلك السلاجقة وتعرف دولتهم بالدولة السلجوقية نسبة الى مؤسسها سلجوق وكان اميراً تركياً في خدمة بعض خانات تركستان باواسط القرن الخامس للهجرة ورأى المملكة العباسية في ضعف واختلال فحمل عليها بعد ان اعتنق الاسلام هو وقبيلته وسائر جنده ورجال عصبيته دفعة واحدة . ونهض بهؤلاء من تركستان وسار بهم غرباً حتى اكتسحوا المملكة العباسية وحكموها تحت رعاية الخليفة العباسي ببغداد ولهم منزلة عظمى في تاريخ الاسلام

لكن دولتهم لم تكد تنشأ حتى تقسمت وتفرعت . ثم انتقلت الى قوادهم ومماليكهم المعروفين بالاتابكة . فانقسم السلاجقة اولاً الى خمس دول اقتسموا المملكة في ما بينهم فحكمت احداها كرمان والاخرى سوريا والاخرى العراق والاخرى بلاد الروم (آسيا الصغرى) غير الدولة الاصلية . وكان للسلاجقة قواد يولونهم الاعمال يسمونهم الاتابكة

فاخذ هؤلاء يستقلون كل امير بولايته فانشأوا عشر دول اخرى وهي الدولة البورية في دمشق والزنكية في الجزيرة والكيتجينية في اربلاء والارتقية في ديار بكر وماردين ودولة شاهات في ارمينيا واتابكة اذربيجان والدولة السلغرية في فارس والهزارسبية في لورستان والخوارزمية في خوارزم والقطلقية في كرمان

واغرب من ذلك ان الفرع السلجوقي في بلاد الروم (اسيا الصغرى) انقسم الى ثمانية فروع يرأس كلاً منها سلطان من آل سلجوق. فبسبب هذه الانقسامات لم يطل حكم السلاجقة الا ريثما قام العثمانيون في آخر القرن السابع للهجرة فذهبوا ببقيتها. ولم يطل حكم السلاجقة مع تعدد فروعهم وكثرة دولهم على قرنين ونصف قرن. والسبب في ذلك انهم كانوا يتوارثون الملك بالانقسام فيضعفون وتتشتت قوام

توارث الملك في الدولة العثمانية

ظهرت الدولة العثمانية في آخر القرن السابع للهجرة (١٢٩٩ م) وقد نشأت مستقلة كالدولة السلجوقية ولم تتفرع من دولة اخرى لان اصحابها اتوا من المشرق وهم قبيلة عليها امير فقطعوا الفرات الى اسيا الصغرى وفيها ملوك السلاجقة فتغلبوا عليها كما هو مسطر في تاريخ هذه الدولة. وكأنهم استفادوا من اسباب الانقسام التي آلت الى ذهاب دولة السلاجقة فعمدوا الى تداركها

واهم تلك الاسباب انقسام المملكة بين الاخوة او تنازعهم عليها. فلم يجد العثمانيون سبيلاً للافادة ذلك الانقسام افضل من حصر السلطة في واحد من الاعقاب لا يكون له منازع. فكانوا اذا توفي السلطان عن عدة اولاد وتكون ولاية العهد لواحد منهم فحالما يتولى الملك يقتل اخوته

واول من فعل ذلك منهم رابع سلاطينهم بايزيد الاول بن السلطان مراد (تولى سنة ١٣٨٩) وكان بكر اخوته وله اخ اصغر منه معروف بالشجاعة والنجدة وعلو الهمة فخاف منه على سلطته. فاجمع امراء الدولة على قتله خوف الفتنة وانقسام المملكة. ويقال انهم فعلوا ذلك بفتوى شرعية افتى بها علماء ذلك العهد بناء على الآية «والفتنة اشد من القتل» واصبح قتل الاخوة قاعدة يرجع اليها العثمانيون عند الحاجة. فكان السلطان حالما تفضي اليه السلطة بعد موت ابيه يعمد الى قتل اخوته ولو كان بعضهم رضيعاً كما فعل السلطان محمد الفاتح وكان له اخ رضيع اسمه احمد فلما مات ابوهما وافضت السلطة الى محمد فاول شيء باشره نقل جثة والده لتدفن في بورصة ثم امر بقتل اخيه

ولما افضت السلطنة الى السلطان سليم الغازي بن بايزيد الثاني عين ابنه سليمان حاكماً على القسطنطينية وحمل بجيوشه الى اسيا لمحاربة اخوته واولاد اخوته حتى يتفرغ لاعماله بعد قتلهم ولا يبقى من ينازعه · وكان من جملة اعماله في هذا السبيل انه عثر على خمسة من اولاد اخوته في بورصة فامر بقتلهم ثم طارد اخاً له اسمه كركود ففرّ منه الى الجبال فما زال يبحث عنه حتى قبض عليه وقتله وهكذا فعل سواه · ومثله السلطان مراد الثالث فكان له خمسة اخوة قتلهم حالما تولى الملك

وافظع من ذلك كله ما فعله السلطان محمد الثالث فقد آلت السلطنة اليه سنة ١٥٩٥ م وله تسعة عشر اخاً غير الاخوات فامر بخنقهم قبل دفن ابيه فخنقوهم ودفنوهم معاً تجاه ايا صوفيا في القسطنطينية

وكأن هذه المبالغة في القتك افضت الى رد الفعل بابطال هذه العادة الوحشية فلما انتقلت السلطنة بعد محمد المذكور الى ابنه احمد الاول سنة ١٦٠٣ م لم يكن سنه يتجاوز الرابعة عشرة ولكنه كان عاقلاً وله اخ صغير اسمه مصطفى فلم يقتله بل اكتفى بالحجر عليه في اثناء سلطنته · فاصبح السلاطين بعده يعوّلون في الاحتفاظ بسلامة سلطنتهم على الحجر بدلاً من القتل · والفضل في ذلك يرجع للسلطان احمد المذكور فانه اول من فعل ذلك

وله بدعة اخرى ادخلها في توارث الملك لم تكن من قبل · وذلك انه اوصى بالملك بعده لاخيه مصطفى المشار اليه بدلاً من ان يوصي به الى احد اولاده كما كان اسلافه يفعلون · فبعد ان كان الملك ينتقل الى الابناء بالتسلسل في الاعقاب صار ينتقل الى الاخوة ايضاً الارشد فالارشد الا ما قد يعترض ذلك من نفوذ الانكشارية او دسائس الوزراء او غير ذلك

فالعرش العثماني ما زال ميراثه محصورًا في الابناء من السلطان عثمان الى احمد الاول ( من سنة ١٢٩٩ — ١٦٠٣ ) ثم صار ينتقل الى الاخوة ايضاً ولا يزال كذلك الى الآن كما ترى في الجدول الآتي :

انظر الجدول في الصحيفة التالية

(١) عثمان الاول تولى سنة ١٢٩٩ م
(٢) اورخان بن عثمان ١٣٢٦
(٣) مراد الاول بن اورخان ١٣٦٠
(٤) بايزيد الاول بن مراد الاول ١٣٨٩
(٥) محمد الاول بن بايزيد الاول ١٤٠٢
(٦) مراد الثاني بن محمد « ١٤٢١
(٧) محمد الثاني بن مراد الثاني ١٤٥١
(٨) بايزيد الثاني بن محمد « ١٤٨١
(٩) سليم الاول بن بايزيد « ١٥١٢
(١٠) سليمان الاول بن سليم الاول ١٥٢٠
(١١) سليم الثاني بن سليمان « ١٥٦٦
(١٢) مراد الثالث بن سليم الثاني ١٥٧٤
(١٣) محمد الثالث بن مراد الثالث ١٥٩٥

(١٤) احمد الاول ١٦٠٣ (١٥) مصطفى الاول ١٦١٧

(١٦) عثمان الثاني ١٦١٨ (١٧) مراد الرابع ١٦٢٣ (١٨) ابراهيم ١٦٤٠

(١٩) محمد الرابع ١٦٤٨ (٢٠) سليمان الثاني ١٦٨٧ احمد الثاني ١٦٩١

(٢٢) مصطفى الثاني ١٦٩٥ (٢٣) احمد الثالث ١٧٠٣

(٢٤) محمود الاول ١٧٣٠ (٢٥) عثمان الثالث ١٧٥٤

(٢٦) مصطفى الثالث ١٧٥٧ (٢٧) عبد الحميد الاول ١٧٧٣

(٢٨) سليم الثالث ١٧٨٩

(٢٩) مصطفى الرابع ١٨٠٧ (٣٠) محمود الثاني ١٨٠٨

(٣١) عبد المجيد ١٨٣٩ (٣٢) عبد العزيز ١٨٦١

(٣٣) مراد الخامس ١٨٧٦ (٣٤) عبد الحميد الثاني ١٨٧٦



السلطان عثمان موسس الدولة العثمانية

فترى من مراجعة هذا الجدول ان العرش العثماني انتقل في الابناء ١٤ عقبا من عثمان الى احمد الاول في نحو ٣١٦ سنة ثم تولاه الاخوة ايضاً في ثمانية اعقاب توالى في اثنائها ١٩ سلطاناً في ٢٩٢ سنة . فمعدل حكم السلطان في المدة الاولى ٢٣ سنة واما في الثانية فلم يتجاوز ١٦ سنة . ومن اسباب ذلك ان السلاطين كانوا في الدور الاول يتولون الدولة وهم في ريعان الشباب فيطول حكمهم . واما في الثاني فكثيراً ما كانت تنفضي الحكومة الى الاخ وهو كهل او شيخ فلا يحكم الاقليلاً . غير استبداد الانكشارية واكثارهم من العزل والتنصيب

فولي عهد السلطنة العثمانية الآن هو اكبر ابناء السلاطين سناً يليه الاصغر فالاصغر على التوالي وهم كثار وكلهم من نسل السلطان محمود الثاني المتوفى سنة ١٨٣٩ وهذا جدول باسماء افراد الاسرة السلطانية الاحياء وكيفية توالدهم ذكوراً واناثاً وسنة الولادة حتى يظهر ترتيبهم في الاعمار . ونفرد لابناء جلالة السلطان عبد الحميد جدولاً آخر [1]

انظر الجدول في الصحيفة التالية

(١) نقلنا الجدول من مجلة العالم الاسلامي الفرنساوية عدد نوفمبر سنة ١٩٠٨

اولا — اعقاب السلطان محمود الثاني

- محمود الثاني ولد سنة ١٧٨٥ وتولى سنة ١٨٠٨ وتوفي سنة ١٨٣٩
  - عبد المجيد ولد سنة ١٨٢٣ وتولى سنة ١٨٣٩ وتوفي سنة ١٨٦١
    - مراد الخامس ولد سنة ١٨٤٠ وتوفي سنة ١٩٠٤ وتولى سنة ١٨٧٦ وخلع فيها
      - صلاح الدين افندي ولد سنة ١٨٦٦
      - خديجة سلطانة تزوجت واصف باشا
      - فهيمة سلطانة « غالب باشا
      - فاطمة سلطانة « رفيق باشا
    - عبد الحميد السلطان الحالي ( انظر اولاده في جدول آخر )
    - جميلة سلطانه تزوجها الداماد محمود جلال الدين باشا
    - محمد رشاد افندي ولي العهد ولد سنة ١٨٤٤
      - ضياء الدين افندي ولد سنة ١٨٧٧
      - نجم الدين افندي « ١٨٨١
      - رفيعه سلطانه « ١٨٨٧
    - احمد كمال الدين ولد سنة ١٨٤٧ ( توفي سنة ١٩٠٥ ) وله ابنة متينه سلطانه تزوجها صالح باشا
    - سنية سلطانه تزوجها الداماد محمود باشا ( توفيت في ٢٧ يناير الماضي )
    - برهان الدين افندي ( توفي سنة ١٨٨٥ )
      - ابراهيم توفيق ولد سنة ١٨٧٦
      - قادرية سلطانه
      - فاطمة سلطانة تزوجها نوري داماد باشا
    - مديحه سلطانه . تزوجها فريد باشا
    - سليمان افندي ولد سنة ١٨٦٠ له ولد اسمه عبد الحليم افندي
    - وحيد الدين افندي ولد سنة ١٨٦١ وله فبيرة سلطانة
  - عبد العزيز ولد سنة ١٨٣٠ وتولى سنة ١٨٦١ وتوفي سنة ١٨٧٦
    - يوسف عز الدين ولد سنة ١٨٥٧
    - صالحه سلطانه ولدت سنة ١٨٦٢
    - فاطمة سلطانه ولدت سنة ١٨٦٨ تزوجها خالد باشا
    - عبد المجيد افندي ولد سنة ١٨٦٩ — وله ولد عمر فاروق افندي
    - شوكت افندي ( ولد سنة ١٨٧٢ وتوفي سنة ١٨٩٩ ) ابنه جمال الدين افندي ولد سنة ١٨٩١
    - سيف الدين افندي ولد سنة ١٨٧٦
    - امينه سلطانه ولدت ١٨٧٦ تزوجها محمد بك افندي

ثانيا — ابناء السلطان عبد الحميد الثاني

السلطان عبد الحميد الحالي ولد سنة ١٨٤٢ وتولى السلطنة سنة ١٨٧٦

| | | |
|---|---|---|
| محمد سليم افندي | ولد سنة | ١٨٧٠ |
| زكية سلطانة ولدت سنة ١٨٧١ تزوجها نور الدين باشا | | |
| نعيمة سلطانة ولدت سنة ١٨٧٦ تزوجت كمال الدين باشا | | |
| عبد القادر افندي | ولد سنة | ١٨٧٨ |
| احمد افندي | » | » |
| نائلة سلطانة | » | ١٨٨٤ |
| برهان الدين افندي | » | ١٨٨٥ |
| شادية سلطانة | » | ١٨٨٦ |
| عائشة سلطانة | » | ١٨٨٧ |
| رفيعة | » | |
| خيرية | » | ( توفيت ) |
| خديجة | » | » |
| عبد الرحيم افندي | | ١٨٩٢ |
| احمد نور الدين افندي | | ١٩٠١ |
| محمد عابد | » | ١٩٠٥ |
| سامية سلطانة | | ١٩٠٨ |



اغوات الاكشارية

فاذا نظرت الى الذكور الاحياء من ابناء السلاطين الآن رأيت اكبرهم سناً محمد رشاد افندي بن السلطان عبد المجيد يليه يوسف عز الدين افندي بن السلطان عبدالعزيز ثم سليمان افندي بن السلطان عبد المجيد وغيره على هذه الصورة :

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| (١) | محمد رشاد افندي | بن عبد المجيد | ولد سنة | ١٨٤٤ | سنه | الآن | ٦٥ | سنة |
| (٢) | يوسف عز الدين افندي | « عبد العزيز | « « | ١٨٥٧ | « | « | ٥٢ | « |
| (٣) | سليمان افندي | « عبد المجيد | « « | ١٨٦٠ | « | « | ٤٩ | « |
| (٤) | وحيد الدين افندي | « « « | « « | ١٨٦١ | « | « | ٤٨ | « |
| (٥) | صلاح الدين « | « مراد | « « | ١٨٦٦ | « | « | ٤٣ | « |
| (٦) | عبد المجيد افندي | « عبد العزيز | « « | ١٨٦٩ | « | « | ٤٠ | « |
| (٧) | محمد سليم افندي | « عبد الحميد | « « | ١٨٧٠ | « | « | ٣٩ | « |
| (٨) | سيف الدين افندي | « عبد العزيز | « « | ١٨٧٦ | « | « | ٣٣ | « |
| (٩) | ابراهيم توفيق افندي | « برهان الدين بن عبد المجيد | « « | ١٨٧٦ | « | « | ٣٣ | « |
| (١٠) | ضياء الدين افندي | « رشاد افندي | « « | ١٨٧٧ | « | « | ٣٢ | « |
| (١١) | عبد القادر « | « عبد الحميد | « « | ١٨٧٨ | « | « | ٣١ | « |
| (١٢) | احمد افندي | « « « | « « | « | « | « | « | « |
| (١٣) | نجم الدين افندي | « رشاد افندي | « « | ١٨٨١ | « | « | ٢٨ | « |
| (١٤) | برهان الدين « | « عبد الحميد | « « | ١٨٨٥ | « | « | ٢٤ | « |

هؤلاء اربعة عشر بالغاً كل منهم يصح ان يكون سلطاناً وانما قضت قاعدة التوارث المتبعة ان يكون اولاهم بذلك اكبرهم سناً وهو محمد رشاد افندي . فنذكر شيئاً عن السبعة الاولين نعرفهم به الى القراء

محمد رشاد افندي

هو ابن السلطان عبد المجيد وشقيق جلالة السلطان الحالي واصغر منه بسنتين فقط عمره خمس وستون سنة قضى منها نيفاً وثلاثين سنة محجوراً عليه عملاً بالعادة المتبعة في معاملة ولاة العهد بعد السلطان احمد الاول كما تقدم . وذلك انه لما تولى أخوه السلطان الحالي اسكنه في سراي طولمه بغجه وأقام عليه الحرس ودس حوله الجواسيس . وقد بلغ

من امر هذا القصر في ابان عصر الاستبداد ان المار بجانبه لا يجسر على الوقوف عنده او النظر اليه طويلاً ولا التحدث بشأنه • ولم يكن يؤذن لاحد بالدخول على ولي العهد الا طبيبه وخياطه وغيرهما ممن يحتاج اليهم في حاجاته الضرورية • ولا يكون ذلك الا باذن من اهل المابين فيجعلون في ايدي حجاب ولي العهد قائمة فيها اسماء الذين يجوز ادخالهم عليه وكانوا يشددون على الخصوص في منع اخوته وسائر اهله من زيارته — حتى اصبح اذا رأى واحداً من اهله انكره لطول الفراق

ويذكرون من امثلة ذلك ان رشاد افندي وأخاه كمال الدين افندي جاءا سراي يلدز في احد الاعياد الكبرى منذ بضع عشرة سنة لتقديم فروض المعايدة لجلالة السلطان • وهما في حضرته فتح باباً الى جانبه بان من ورائه سيدتان عليهما امارات الجلال والعظمة هما الاميرتان سنية سلطانه وجميلة سلطانة بنتا السلطان عبد المجيد اي أختا السلطان عبد الحميد وأخويه رشاد وكمال الدين • فلما التقت العيون تهيب الاميران وخجلت الاميرتان وانكر الاخ أخته والاخت أخاها لانهم لم يتقابلوا منذ ١٥ سنة • فاطرقت الاميرتان تأدباً فعمد السلطان الى تعريفهم بعضهم الى بعض فأوماً بيده الى الاميرتين قائلاً « اختاي » والى الاميرين وقال « اخواي » فلم يكن ذلك كافياً ليذهب الدهشة التي تولت الجميع • ثم أقفل الباب وانصرف كل الى حال سبيله

والحجر على رشاد افندي في قصره لم يكن يراد به ان يكون سجيناً لا يخرج مطلقاً فكان يخرج احياناً الى منزله فتسير مركبته في طرق عليها الحرس والرقباء ويحدق بالعربة الحجاب على افراسهم يظهرون لغير العارف أنهم يحرسونه وهم في الحقيقة عيون عليه يراقبون حركاته وما يبديه الناس في أثناء مروره • على انه كان يتعمد الاختفاء في المركبة لئلا يكون ظهوره سبباً في القاء الشبهة على بعض اصدقائه

ويغلب على مناقب ولي العهد التقوى وطيب السريرة وصدق اللهجة • لم يسمع انه عورض في قول او كذب في رواية منذ نعومة اظفاره • وكان شديد التعلق بوالده المغفور له عبد المجيد فلما بلغه نعيه اخذه اليأس حتى اوشك ان يلقي نفسه في البوسفور • وهو جريء مستقل الفكر حتى في أضيق أيام حجره فكان لا يبالي ان يصرح بما يجول في خاطره من انتقاد السياسة حتى بين يدي رجال المابين انفسهم

وهو ذكي الفؤاد وفيه ميل الى العلم ذكروا انه كان يقضي معظم ساعات احتباسه في مطالعة الشعر الفارسي حتى اصبح قادراً على نظم مثله • ولو أتيح له ان يعمل ما يشاء

لتوسع في المطالعة واستوعب العلم • على انه كان مع التضييق عليه لا يفوته الاطلاع على ماجريات الاحوال في العالم المتمدن • وفيه نزوع الى الحرية الشخصية والحكومة الدستورية فكان في مقدمة الفرحين باعلان الدستور بالامس

يوسف عز الدين افندي

هو ابن السلطان عبد العزيز وقد ادرك الثانية والخمسين من عمره • وكان بعض الناس في أثناء عصر الاستبداد ارادوا تقديمه في الملك على رشاد افندي بان يجعلوه ولياً للعهد بدلاً منه ولكن العقلاء كانوا يخطئون الساعين في هذا السبيل وينسبون عملهم هذا الى اغراض شخصية • لان السلطان عبد العزيز نفسه كان قد اراد في أثناء سلطنته ان يحوّل ولاية العهد عن مراد ابن اخيه الى ابنه يوسف هذا كما أراد جلالة السلطان الحالي



يوسف عزالدين افندي

منذ عهد قريب ان ينقل ولاية العهد الى ابنه برهان الدين • وكان السلطان عبد العزيز شديد الرغبة في نقل الملك الى اعقابه • فلما شخص الى أوربا سنة ١٨٦٧ اصطحب مراداً رغم ارادته لانه ولي عهده ولكنه اصطحب ابنه عز الدين ايضاً ليقدمه للعالم المتمدن ويتوقع ان يحظى برضى ملوك أوربا • فكان يستاء مما يشاهده من احتفائهم بابن أخيه دون ابنه

فلم يزدد الارغبة في نقل الارث الى نسله · ولا يكون ذلك الا بتحويل ولاية العهد الى ابنه كما فعل اسماعيل باشا صاحب مصر بالخديوية المصرية اذ جعلها تنتقل الى الابناء بعد ان كان يتولاها الاخوة والاعمام وغيرهم وقد نال ذلك من عبد العزيز نفسه في اوائل حكمه فرأى عبد العزيز ان يعمل مثل عمله ـ ولعله تساهل معه في نقل الخديوية الى نسله تمهيداً لما كان ينويه هو · ووجه عنايته الى هذا الامر حتى اصبح محور حركاته وسكناته وعليه تدور اعماله الادارية واغراضه السياسية · فلا يولي وزيراً او صدراً الا ان وافقه عليه فكثر تبديل الوزارات في ايامه حتى توالى منها ثماني وزارات في خمس سنين · وبذل جهده في رفع منزلة ابنه لدى الناس فاطلق يده في خاصته وجعله نافذ الكلمة ورقاه الى رتبة سر عسكر وعهد اليه قيادة الحرس السلطاني واجاز له حضور مجلس الوكلاء والاشتراك في مباحثه

وكان اهل المابين من الجهة الاخرى يتملقون السلطان باطراء ابنه وتحسين عمله · ويقال انه بلغ من رغبته في مبايعة ابنه انه كاد يهمّ بتسميم ابناء اخيه ولكن كبر عليه ذلك فخطر له ان يسعى سعياً آخر فيعلن انتقال التوارث الملكي في الدولة العثمانية من الاخوة الى الابناء وحصره فيهم كأنه رده الى ما كان عليه قبل السلطان احمد الاول · وعزم على ان يستعين في ذلك ببعض الدول فوافقه اغناتيف سفير روسيا بالاستانة ووعده ان يأتيه بعشرين الفاً من القوزاق الروسي يؤيدون قوله بالسيف ويخمدون انفاس المقاومين اذا مست الحاجة · على ان هذه المساعي ذهبت عبثاً اذ اطلع الاحرار على شيء منها فعجلوا خلعه فذهبت آمال يوسف عز الدين ادراج الرياح

### سليمان افندي

هو ابن عبد المجيد وشقيق السلطان عبد الحميد · ولد سنة ١٨٦٠ ويقول عارفوه انه ميال بفطرته واخلاقه الى الاتراك القدماء شديد الحرص على اهله وله ولع بالزراعة ففي الاعوام الاخيرة من عمره وهو يشتغل في الحقل تلذذاً بالزراعة · وكانت له امرأة نادرة المثال في جمالها مع ميل الى التبرج والظهور بين اقرانها بما وهبتها اياه العناية فلا تنفك ذاهبة جائية الى المصورين تصور نفسها · فعلم الجواسيس على عهد زعيمهم فهيم باشا بترددها على المصورين فوشوا بها وبزوجها الى السلطان فبعث اليه وكلفه ان يطردها فابى فامره ان يطلقها ففعل فاخذها السلطان اليه ليقدمها هدية الى بعض احصائه وشق ذلك على سليمان فعاد الى الحقل يتلاهى بتعهد الزرع والغرس · وذكر الذين يعرفونه ان السلطنة اذا افضت اليه بذل جهده في احياء الزراعة

يقيم سليمان افندي في اورنه كوي وهو يعرف اللغة الفارسية معرفة جيدة مثل اخيه رشاد افندي وله فيها منظومات مشهورة

وحيد الدين وصلاح الدين وعبد المجيد ومحمد سليم

ويلي سليمان بحق الارث اخوه وحيد الدين آخر ابناء عبد المجيد . وهو الآن في الثامنة والاربعين من عمره شديد الولع بالخيول وله اصطبل عامر في املاكه في جنكل كوي على شاطئ آسيا . وله مهارة في تربية الخيل وتضميرها وفي ركوبها . واذا اجتمع باصحابه كان اكثر حديثه عن الخيول واوصافها وانواعها . ولما بلغه عزم اخيه السلطان الحالي على نقل ولاية العهد الى اعقابه اسرع الى يلدز وطلب الدخول على اخيه فمنعوه بحجة ان السلطان مريض فالح في طب الدخول فالجأه الحرس السلطاني الى قصر هناك على ان يبقى فيه ريثما يصدر امر السلطان بشانه . ثم صرفوه



صلاح الدين افندي

ويلي وحيد الدين في حق الارث البرنس صلاح الدين افندي بن السلطان مراد وهو في الثالثة والاربعين من عمره . وقد عرف بشدة شغفه بابيه حتى ذكروا انه لما مات ابوه اراد ان يدفن نفسه معه لو لم يمنعه عمه السلطان عبد الحميد من ذلك وقد وعده ان يربيه

مع اولاده فلم يرض . وقضى معظم سني شبابه محبوساً مع ابيه في سراي جراغان او في يلدز

وما كان يزيد صلاح الدين تعلقاً بابيه انهُ تلقى كثيراً من مبادىء العلم على يده . لان السلطان مراد رحمه الله كان محباً للعلم واهله . ولا يزال صلاح الدين حتى الآن يميل الى الاعتزال حداداً على ابيه يقضي اوقاته في المطالعة . وله شغف كثير باللغة الفرنساوية ويحب التصوير والموسيقى ويمارسهما مع اخواته . وله الحان وضعها من عند انفسهن لم تنشر بعد



عبد المجيد افندي

ويأتي بعد صلاح الدين البرنس عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز المولود سنة ١٨٦٩ وهو كثير الشبه بصلاح الدين في اخلاقه وامياله ومعروف بحرية الفكر وصراحة القول وله معرفة جيدة باللغة الفرنساوية فضلاً عن لغته الاصلية وعن الفارسية . وقد تغير عليه السلطان الحالي بعد مذابح ارمينيا لان الناس تحدثوا يومئذ بتنصيبه في مكانه ولم ينجح المشروع لان قيصر روسيا وامبراطور النمسا انقذاه . وكان عبد المجيد هذا متهماً باشتراكه مع العثمانيين الاحرار . فلم يكن يخلو منزله ولا دروبه من الجواسيس يراقبون حركاته وسكناته وهو لطيف المعشر قريب من القلب وقد اجمع الناس على حبه .



محمد سليم افندي

ويأتي في الدرجة السابعة من الحق بولاية العهد البرنس محمد سليم افندي بكر جلالة السلطان عبد الحميد فهو في التاسعة والثلاثين من عمره تثقف في المدرسة التي انشأها والده لتعليم ابناء السلاطين . ولا يخفى ما يرجى ان يكون حال من ينشا تحت ذلك النير . يكفي مثالاً على ذلك حكاية اوردها بعضهم عن البرنس المذكور في اثناء تلقيه العلم قال « دخل عليه ابوه مرة وهو ينظر الى خريطة المملكة العثمانية وقد اخذ يعلم بالحبر الاحمر تحت الولايات التي خرجت من تلك المملكة بعد حرب الدولة وروسيا سنة ١٨٧٧ فلما رآه السلطان يفعل ذلك انتهره وصفعه وقال له « كيف تتجاسر على الاشتغال بهذه الامور »

وطبيعي ان امثال هذه المعاملة توجب النفرة وتبعث على اساءة الظن . واوغر بعضهم صدر السلطان فبث العيون على ابنه حتى في سراي يلدز . والبرنس محمد سليم افندي مع ذلك يعتقد ان لا سبيل الى انقاذ الدولة العثمانية غير الاصلاح على الطرق الحديثة وهو عاقل حكيم

هؤلاء سبعة من ابناء السلاطين قد يفضي الحكم اليهم الواحد بعد الآخر ولكنهم لا يتولونه الا وهم شيوخ لاضطرار كل واحد ان يتربص حتى يأتي دوره عملاً بقاعدة التوارث المتبعة . فاذا لم يحدث تغيير فجائي لا يتولى السلطنة سلطان عمره اقل من سبعين سنة

# اقتراح

## على مجلس المبعوثان

ان الدولة العثمانية اليوم في دور الانتقال وقد اخذ نواب الامة ينظرون في اصلاح شؤونها الادارية والسياسية والاجتماعيــة يدرسون المشروعات و يضعون التقارير ولا نعلم اذا كانوا ينوون جعل مسألة توارث الملك في جملة مباحثهم وهي من الابهام والاضطراب بحيث تستدعي انتباه مجلس الامة ولا تخفى عليهم فلا يحسن التجاوز عنها . وهم طبعاً في غنى عمن يلفتهم او يرشدهم ولكننا رأينا ان نقول كلمة لعلها توافق ما في خواطرهم والا فلا ضرر منها

ان توارث الملك في الدولة العلية يحتاج الى اصلاح وتحديد . فقد رأيت انهُ كان ينتقل في الاعقاب من الاب الى ابنه ثم صار ينتقل الى الارشد . وظهرت رغبة بعض السلاطين في ارجاعه الى ما كان عليه في اوائل الدولة اي ان يعود فينحصر في الابناء دون غيرهم لما في ذلك من رفع التنازع والاستفادة من نشاط السلاطين وهممهم في شبابهم واوائل كهولتهم بدلاً من ان تاول السلطنة الى الشيوخ . وقد يعترض على ذلك « ان الشيوخ اقرب الى التعقل وصحة النظر ولاسيما بعد ان صارت الحكومة دستورية واصبح الحل والعقد في ايدي الامة فلا يُرجى السلطان ولا يُخاف . لانه هو ووزارته ينفذان قرارات مجلس الامة »

كأن المعترض لا يعلق على منصب الملك كبير اهمية وهو من الاهمية في مكان عظيم ولاسيما في الدولة العثمانية لما في السلطان من الاعتبارات التي لا مثيل لها في سائر الدول الدستورية واخصها الاعتبار الديني في نظر جمهور الامة فضلاً عما لهُ من النفوذ الشخصي على قلوب الناس فيترتب على تلك الاعتبارات النفع او الضرر تبعاً لاخلاق السلطان واهوائه . ما عدا اشتراكه مع الامة في درس الامور النافعة ودخله في اعمال وزرائه . ناهيك بما قد يكون له من القدوة الحسنة او السيئة لان الناس ميالون الى التشبه بملوكهم فاذا كان ملكهم تقيا تدينوا او كان ميالاً الى العلم تعلموا او الى غير ذلك تشبهوا به . غير ما قد يبثه في نفوسهم من الخلال والسجايا لاجتماع الناس حول ملكهم يقلدونه ويتحدثونهُ

فالسلطان في الدول الملكية الدستورية لا يستخف بتأثيره على الدولة والامة وان كان ذلك التأثير اشد كثيراً في الدولة الملكية المطلقة اذ تكون كلمة الملك شريعة المملكة ولكنها في الدول الدستورية عظيمة الاهمية ايضاً . فاذا خير العثمانيون في توارث الملك في دولتهم

بين ان ينتقل الى الابناء في الاعقاب او الى الارشد على الاطلاق فاي الوجهين يجب ان يختاروا ؟

اذا اختاروا التعاقب في الابناء فقد قيدوا السلطة بشخص معين قد يكون نافعاً وقد يكون ضاراً وربما كان غلاماً تضطر الدولة لاقامة الاوصياء عليه ولا يدرى ما يكون من شانه بعد رشده ـ نقيد انفسنا بذلك و بين ايدينا من اعامه وابنائهم من هو جدير بالملك وقد ظهرت فضائله واتضحت مناقبه وظهر للملأ انه لو تولى الملك لافاد الامة والدولة فوائد جمة

واذا اختاروا الارشد فانهم يسلمون من نزق الشباب اذ الغالب ان يفضي الملك على هذه الخطة الى الكهول والشيوخ . ولكن الشيخوخة لا تغير فطرة الانسان فتنقلها من الشر الى الخير . وقد يتفق ان يكون اكبر ابناء السلاطين سنّاً ضعيف الرأي او فيه ميل الى الدسائس او المطامع او نحو ذلك مما يأول الى عرقلة مساعي مجلس الامة فتضطر الى الرضوخ او الخلع او غير ذلك مما يوجب القلاقل

فترى من ذلك ان كلا الطريقين وعرٌ لا يخلو من الخطر . فيتبادر الى الذهن انهُ لم يبق للامة خير من ان تغض النظر عن الاسرة المالكة وتختار رجلاً يملكها تعتقد فيه الكفاءة للقيام بشؤونها كما فعل المسلمون في صدر الاسلام . . ولكن ذلك لا يتاتى ولا فائدة منهُ اليوم ولا سبيل اليهِ . فلا بد لنا من الاحتفاظ بسلالة السلاطين العظام ونعمد الى سبيل وسط بين الحالين فنجعل الملك حقاً لكل بالغ من ابناء السلاطين على ان تتوقف مبايعته لولاية العهد على قرار مجلس الامة ومصادقة السلطان ووزرائه . وطبيعي ان الامة لا تجمع على اختيار واحد ما لم تتحقق انهُ افضل سائر المرشحين لمصلحتها ومصلحة الدولة . ومن فوائد هذه الطريقة انها تجعل عرش السلطنة جعالة للسابق من ابناء السلاطين في طريق الفضيلة والتعقل وخدمة مصلحة الامة ورفع شأن الدولة

ذلك هو اقتراحنا نعرضهُ على مجلس الامة بالايجاز . ولا نبحث في كيفية الترشيح لولاية العهد او كيفية الانتخاب ولا ما يجب اجراؤهُ للترضية او التسوية بين الآخرين فانها من التفاصيل التي يمكن العود الى بسطها وليس الموضوع مما يدعو الى العجلة ولكن يجوز عرضهُ للبحث . فاذا وفقت الامة العثمانية الى هذه الطريقة في توارث الملك تكون قد اتت اصلاحاً في الحكومة الدستورية لم يوفق اليهِ سواها والله المستعان

# الازهر

## تاريخه وعلومه وتلامذته

### نهضة طلبة المدارس في الشرق

ضجت القاهرة بمطالب الازهريين واحتجاجاتهم واختلفت اقوال الكتاب بين معجب ومنتقد • وعندنا ان قيام الشبان وتكاتفهم في التماس حق يطلبونه او دفع جور ينتقدونه انما هو من ادلة الحياة الاجتماعية يتعود بها الشبان الاجتماع والاتحاد ومعرفة الحق والواجب وقد يتخللها شطط يصلح مع الزمان وانما العبرة بالاساس • فاذا كان قيام اولئك الطلبة مبنياً على مجرد اعتقادهم انهم مظلومون وان لهم حقاً يطلبونه بلا تغرير او اغراء فتلك هي الحرية الشخصية بشرط ان يكون قيامهم بسكينة وتعقل

وقيام تلامذة المدارس على أساتذتهم او اولياء مدارسهم انما هو من محدثات هذا التمدن • وهو كثير الحدوث في أوربا من عهد بعيد • اما في الشرق فانه حديث العهد وأول من اقدم عليه طلبة الطب في المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت منذ نيف و٢٥ سنة فقد قاموا بصوت واحد يطلبون بعض الحقوق المتعلقة بدروس المدرسه وشهاداتها وعددهم ٤٥ شاباً ونحن في جملتهم • فاكبرت عمدة المدرسة احتجاجهم وعدته من قبيل الطيش فانكرته عليهم وكلفتهم الاعتذار او الخروج من المدرسة فابوا الاعتذار • وانتهت تلك الحادثة ببقاء معظم أولئك الطلبة خارج المدرسة وتفرقوا في الارض • فجاء بعضهم مصر وذهب آخرون الى الاستانة نالوا شهاداتها الطبية ونزح آخرون الى أوربا او اميركا وقد عدل بعضهم عن الطب الى التجارة او المحاماة او الصحافة او خدمة الحكومة او غيرها • ولهذه الحادثة تاريخ لا يخلو من العبرة ربما اتينا عليه في فرصة أخرى

ولما أطلقت حرية المطبوعات بمصر في أواسط عهد الاحتلال اخذ الناس يتعودون الحرية الشخصية وانتشرت هذه الحرية في المدارس الكبرى وتعودت تلامذتها المجاهرة بافكارهم ورافق ذلك قيام الحزب الوطني المعارض لسياسة الحكومة فانضم اليه تلامذة المدارس الاميرية • وقد احيا هذا الشعور فيهم على الخصوص المرحوم مصطفى كامل بالمعاشرة ايام التلمذة ثم بالخطب في الاندية ثم في اللواء فاصبحوا ينظرون الى اجراءات الحكومة في

مدارسها نظر المنتقد واكثر ما كانوا يفعلون ذلك غيظاً من المستر دنلوب سكرتير نظارة المعارف لاعتقادهم انه مصدر متاعبهم وتوهموا انه يتعمد اذاهم • فترتب على ذلك قيام تلامذة مدرسة الحقوق للاحتجاج او المطالبة منذ بضع سنين والعهد بها غير بعيد

وكنا نحسب هذه النهضة الاجتماعية لم تتجاوز تلامذة الحقوق لانهم يتعودون معرفة الحق ويسهل عليهم المطالبة به فاذا بي قد تجاوزتهم الى المدارس الاخرى حتى بلغت الى الازهر وقد اشتهر تلامذته منذ انشائه بالسكينة والاذعان لا يحركون ساكناً فقاموا بالامس يطلبون من ادارة الازهر مطالب سنأتي على خلاصتها في آخر هذه المقالة • ونبدأ بنبذة في تاريخ هذه المدرسة الكبرى ووصف أحوالها

تاريخ الازهر وعلومه

بنى الازهر القائد جوهر فاتح مصر للخلفاء الفاطميين في اواسط القرن الرابع للهجرة وكان الغرض الاول من بنائه اقامة الشعائر الدينية وتأييد مذهب الشيعة العلوية لاختلاط السياسة بالدين في الدولة الاسلامية من ذلك العهد[1] وكانت هذه الشيعة قد قاست الامرين تحت سلطة العباسيين من قتل ونفي فلما تأتى لها تغلبها على مصر جعلتها عاصمة دولتها وأنشأت القاهرة معقلاً لجندها والجامع الازهر لتأييد مذهبها لان العامة لا تحكم بغير الدين • وكان المصريون يومئذ على مذهب الامام الشافعي لان هذا الامام قضى أخريات أيامه بمصر ومات فيها وقبره معروف في ضواحي القاهرة • وكان الفاطميون يعترفون بهذا المذهب ايضاً وأما العباسيون فكانوا على مذهب ابي حنيفة • فتوافق الفاطميون والمصريون في المذهب فهان على الفاتحين تأييد سلطانهم وتوسيع دائرة نفوذهم فقربوا الفقهاء والعلماء واستقدموهم من سائر اقطار العالم الاسلامي واجروا عليهم الارزاق وفرقوا فيهم الاموال • وكانت اكثر مجالسهم تعقد في الازهر على عادة الفقهاء في ذلك العهد فتزاحمت فيه الاقدام وكانوا كلما ضاق بهم وسعوه بابنية ينشئونها بجانبه ويوسعون دوره حتى اصبحت سعته الآن نحو ١٢,٠٠٠ متر مربع وكانت أقل من نصف ذلك • وتضاعفت أساطينه مراراً وكان عددها يوم بني ٧٦ اسطوانة فاصبحت ٣٧٥ اسطوانة متفرقة في أجزائه • وصارت ابوابه تسعة

وكانت أعطية الخلفاء للفقهاء في اول الامر على غير قياس او ميقات • فلما افضت الخلافة الى العزيز بالله ثاني الخلفاء الفاطميين سنة ٣٦٥ هـ امر وزيره يعقوب بن كلس

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٧٩ ج ٤

ان يرتب للفقهاء ارزاقاً معينة وان يبني لهم منازل يقيمون فيها بجانب الجامع • وكانوا يأتون المسجد في بادىء الرأي لصلاة الجمعة وقراءة الفقه على رأي الشيعة والوعظ والمباحثة فتدرجوا من القراءة الى التعليم حتى اصبح الجامع مدرسة كبرى اكثر دخلها مما وقفه لها الخلفاء والامراء ويقدر دخله السنوي اليوم بعشرين الف جنيه

علوم الازهر

ظل الأزهر مدرسة شيعية طول خلافة الفاطميين ( نحو مئتي سنة ) حتى غلبهم صلاح الدين الايوبي على مصر سنة ٥٦٧ هـ وكان سني المذهب وليس له بدٌّ من مبايعة خليفة يثبته في منصبه فبايع الخليفة العباسي في بغداد وخطب له في الجامع الازهر • وكان صلاح الدين على مذهب الامام الشافعي فلم يضطر لتبديل كثير من طرق التعليم وقبل الناس سلطته على اهون سبيل • على انه لم ير له مندوحة عن مراعاة مذهب الخلفاء العباسيين وهو مذهب ابي حنيفة ورأى بحكمته وسداد رأيه ان يكتسب ولاء سائر المسلمين فاجاز تعليم المذاهب الاربعة كل مذهب بحضرة اهله • فآل ذلك الى اتساع شهرة هذه المدرسة وتقاطر اليها الطلاب من اربعة اقطار المسكونة • ولم يبق التعليم قاصراً فيها على الفقه وعلوم الدين واللغة ولكنه تناول شيئاً من الرياضيات والنجوم وبعض العلوم الطبيعية

وما زال ذلك شأنها في ايام السلاطين الايوبيين ومماليكهم حتى جاء السلطان سليم العثماني وفتح مصر في اوائل القرن العاشر للهجرة ثم استبد الامراء المماليك في الحكومة واشتغل الناس عن العلم • وكان العنصر العربي قد ضعف شأنهُ في سائر المملكة الاسلامية الا في مصر لان مدرسة الازهر كانت اكبر وسيلة لاستبقاء اللغة العربية حية لتعليم العلوم الدينية واللسانية لكنها اقتصرت يومئذ على هذه العلوم واهملت سواها من الطبيعيات والرياضيات

على ان فضل الازهر في احياء اللغة العربية لم يكن قاصراً على نشرها في الديار المصرية أو ما جاورها من البلاد العربية لكنه شمل سائر البلاد الاسلامية • فقد كانوا يفدون على مدرسته من بلاد الترك والمغرب والشركس والصين وزنجبار والهند وافغانستان وغيرها • وقد رغب الناس فيه لانه كان يعلم الطلبة مجاناً ويقوم بنفقاتهم من الطعام واللباس والمأوى فضلاً عن امتيازه بمهارة الاساتذة • فكان اعظم العلماء المسلمين في الاجيال الاسلامية الوسطى يتخرجون من مدرسة الازهر • وكان للمتخرج في هذه المدرسة مزية وفضل على المتخرجين في سائر المدارس الاسلامية

وما زالت علوم الازهر قاصرة على الدين واللغة الى الوثبة الثانية من هذه النهضة بعد الحوادث العرابية اذ اهتم العقلاء من ولاة الامور بادخال بعض العلوم الحديثة ونحوها مما لا غنى عنه في مجاراة تيار التمدن في هذا العصر • ولكنهم خافوا ان يفاجئوا الناس بهذا الاصلاح لما رسخ في اذهانهم من آثار العصور المظلمة من تقبيح العلوم الطبيعية وما يبنى عليها واتهام اصحابها بالكفر • فرأت الحكومة ان تمهد ذلك بفتوى من كبار الفقهاء فاستفتت المرحومين الشيخ محمد الانبابي شيخ جامع الازهر والشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية في « هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف » فاجاب الشيخ الانبابي جواباً مؤرخاً في اول الحجة سنة ١٣٠٥ هـ خلاصته جواز تعليم تلك العلوم مع بيان النفع من تعلمها وصادق الشيخ البنا على هذه الفتوى بتاريخ ٧ منه

ثم نهض المرحوم الشيخ محمد عبده لاصلاح الازهر في هذا السبيل كما هو مشهور • ومع هذا وذاك لم يدخل من هذه العلوم الا بعضها من عهد غير بعيد • واليك جدول العلوم التي تعلم في الازهر الآن وهي تقسم الى وسائل ومقاصد • اما الوسائل فهي :

| | |
|---|---|
| النحو | مصطلح الحديث |
| الصرف | الحساب |
| المعاني والبيان | الجبر |
| البديع | العروض |
| المنطق | القافية |

والمقاصد يراد بها العلوم التي يرجى الوصول اليها بعد التمكن من الوسائل وهي :

| | |
|---|---|
| علم الكلام والتوحيد | اصول الفقه |
| علم الاخلاق الدينية | تفسير القرآن |
| الفقه على المذاهب الاربعة | الحديث |

كل هذه العلوم كانت تعلم في الازهر قبل هذه النهضة فاضافوا اليها العلوم الآتية :

| | |
|---|---|
| صناعة الانشاء | الجغرافية او تقويم البلدان |
| اللغة متناً وأدباً | التاريخ |
| مبادىء الهندسة والجبر | علوم عقلية |
| الكيمياء والطبيعة | الخط |

ولو راجعت اسماء الكتب التي تعلم هذه العلوم بها لرأيت اكثرها قديماً يحتاج الى تعديل حتى يوافق روح العصر

على ان ما بذله المرحوم الشيخ محمد عبده في سبيل ترقية الازهر وان لم يأت بالثمر المطلوب فقد نبه اذهان الطلبة لمطالعة كتب التواريخ والطبيعيات وغيرها من العلوم الحديثة فالعقلاء منهم يطالعون تلك العلوم بانفسهم او يقرأونها على اهلها . ونشأ في تلامذة الازهر حرية البحث وحب الاطلاع والتمييز بين النافع وغير النافع من العلوم . فكان الشيخ رحمه الله هذب نفوسهم ورقى اخلاقهم وعلمهم كيف يتعلمون ريثما يتم هذا الاصلاح رسمياً في قوانين هذه المدرسة

طلبة الازهر واساتذته وشهاداته

وتلامذة الازهر الآن يزيدون على عشرة آلاف تلميذ يقسمون الى فرق باعتبار المواطن تقيم كل فرقة بمسكن مؤلف من غرف يعبرون عنه بالرواق والاروقة بالازهر ٢٧ رواقاً ١١ لاهل القطر المصري تقسم باعتبار البلاد او المذاهب كاروقة الصعايدة والبحيرية والفيومية والشراقوة والحنفية والحنابلة وغيرهم و١٦ رواقاً للطلبة الوافدين من خارج القطر وفيهم الشوام والمغاربة واهل الحرمين وجاوه والسنارية والاتراك واليمنية والاكراد والهنود والبرابرة والدكارنة وغيرهم . وقد فصلنا اماكنهم في هلال الثالث من السنة الخامسة عشرة . وتختلف الاروقة سعة باختلاف اهلها على ان اكبرها رواق الاتراك ورواق الشوام ورواق المغاربة والصعايدة . واكثر الطلبة على مذهب الامام الشافعي واكثرهم من المصريين فان غير المصريين لا يتجاوز عددهم ٪۱۲ من المجموع

ويقسم التعليم في الازهر الى ثلاث درجات ابتدائية وثانوية وانتهائية كما يستدل من الشهادات التي ينالها الطلبة وهي ثلاث : الاولى شهادة المعافاة ينالها من اقام في الازهر ثلاث سنوات وقدم الامتحان اللازم . والثانية الشهادة الاهلية ينالها الطالب بعد ان يقضي في الازهر ثماني سنوات على الاقل ويقدم الامتحان وهي الشهادة الاصلية التي كانوا يعطونها قبل ادخال النظام الجديد والغرض منها ايجاد ائمة للجوامع وخطباء لهم اطلاع على احكام الدين . ويجوز تعيين اصحاب هذه الشهادة في وظائف الامامة والخطابة والوعظ في المساجد لتعليم العامة وليس لهم حق التدريس في الازهر . والثالثة شهادة العالمية ينالها الطالب بعد ان يقضي في الازهر ١٢ سنة ويجوز لحاملها التعليم في الازهر

ومع كثرة طلبة الازهر لا ينال شهاداته في العام الا نفر قليلون لان اكثر الطلبة يخرجون منه قبل اوان الامتحانات . ولا يتقدم للامتحان غالباً الا الراغبون في خدمة

الحكومة بالقضاء الشرعي او التدريس . على ان عدد المتقدمين للامتحان يزداد كل عام

والمدرسون في الازهر ثلاث درجات عددهم جميعاً ٢٥٠ مدرساً ولكل درجة علوم يدرسونها . وينقسم المدرسون بالنظر الى المذاهب على هذه الصورة :

١٠٠ من الشافعية
٧٢ « المالكية
٧٦ « الحنفية
٢ « الحنابلة

وكان مشايخ الازهر يتصرفون في شؤونه من تلقاء انفسهم الى عهد غير بعيد فشكلت الحكومة سنة ١٣١٢ هـ مجلساً سمته مجلس ادارة الازهر مؤلفاً من خمسة اعضاء تنتخبهم من كبار العلماء ويكون شيخ الازهر رئيساً عليهم عند الاجتماع للمداولة . ولهذا المجلس النظر في ادارة شؤون الازهر علمياً وادبياً ومالياً

مطالب الازهريين اليوم

وما زال الازهريون سائرين في دروسهم حتى انشأت الحكومة في العام الماضي مدرسة القضاء الشرعي وجعلت علومها على قسمين قسم عال يتخرج فيه القضاة والمفتون وقسم ابتدائي يتخرج منه كتبة المحاكم الشرعية ونحوهم . وكانت هذه الوظائف قبلاً ينالها تلامذة الازهر فاصبحوا لا يطمعون الا بالوظائف الصغرى التي لا مستقبل لها ورأوا من الجهة الاخرى ان الذين يندرجون في سلك مشيخة الاسكندرية يقبضون من الرواتب اضعاف ما يقبضه اخوانهم الازهريون . فقام الازهريون واعانتهم الجرائد في طلب الاصلاحات لزيادة العلوم وغيرها فاجريت الاصلاحات فيه وقسم طلابه الى درجات وصفوف وتقررت الكتب التي يطلب منهم الامتحان فيها لكنهم لم يأتوهم بالمعلمين الاكفاء لما ادخلوه من العلوم العصرية. ونظر الازهريون من جهة اخرى الى ما يتناولونه من الجراية او الوظيفة او الراتب بالنظر الى مدرسة القضاء الشرعي وغيرها والى الاوقاف الخاصة بالازهر فاعتقدوا انهم مظلومون . فلهذا السبب ولاسباب اخرى تفهم من خلال مطالبهم اضربوا عن الدروس في اواخر يناير الماضي ورفعوا الى لجنة الازهر المطالب الآتية بنصها :

اولاً : ان يناط التدريس في كل سنة باكفاء ماهرين في العلوم التي يعهد اليهم تدريسها وان يرعى في توزيع الدروس على سنيها قوى الطلبة والزمن الذي تدرس فيه مع بذل الوسع في سرعة الوصول الى النتيجة المطلوبة في تلك العلوم

وبادخال النظام الجديد في الازهر اصبح طلابه في حاجة شديدة الى الحصول

على الكتب التي لم يعهد تدريس علومها بالازهر من قبل والى ادوات فنية · ومعلوم ان العدد الكثير من طلابه قد يكونون في اضطرار الى ما ينفقون في هذا السبيل · وهم يرون ان اخوانهم طلاب المدارس المجانية كالازهر لا يحصلون على تلك الكتب والادوات من غير مقابل الا لانهم طلاب علم فبالحري ان تكون هذه الميزة شاملة لطلاب الازهر الذين قطعوا انفسهم لتحصيل العلوم الدينية واضافوا الى ذلك تحصيل العلوم الحديثة وليس بعسير على حكومة الجناب العالي الخديو الذي يبذل الوسع في ترقية شؤون المعاهد الدينية ان تساعد اولئك الطلبة بمنحهم تلك الكتب والادوات بالمجان حتى تبعد عنهم تصرف الباعة في اثمان هذه الاشياء فيرفعونها متى راوا اقبالاً عليها كما انه ليس بعسير على الحكومة ان توسع نطاق مكتبة الازهر حتى يجد الطلبة فيها الكتب التي تلزمهم لينتفعوا بها على ان يردوها فلا يحرج صدر الفقير من الطلبة اذا ضاقت يده عن الحصول على ثمن ما يريد شراءه من الكتب لهذا يتقدمون الى اللجنة بالطلب الآتي وهو :

ثانياً : ان تصرف كتب العلوم الحديثة والادوات الفنية للطلبة بالمجان وان يوسع نطاق المكتبة الازهرية بحيث يكون فيها العدد الكافي من الكتب التي تدرس في الازهر ويباح لهم الانتفاع بها عارية

وبالرجوع الى النظام الجديد يعلم انه جعل نيل الشهادة الاولية منوطاً باداء طالبها الامتحان في ثمانية عشر علماً وناط نيل الشهادة باداء الامتحان في اكثر من عشرين علماً ومع هذا هو خلو من ان يجعل للحاصل على احداهما اي حق مع ان الحاصل على الاولى يكون قادراً على ان يقوم باعمال المأذونية والكتابة في المحاكم الشرعية المركزية والاوقاف وادارة الازهر مثلاً · كما ان الحاصل على الشهادة الثانوية بمقتضى هذا النظام يصح ان يعهد اليه التدريس في مدارس الاوقاف الخيرية والخطابة في المساجد والوعظ في الامصار والكتابة في المحاكم الكلية الشرعية اذ الاول يكون قد جاز الامتحان بنجاح في علوم تجويد القرآن الكريم والتوحيد والفقه والاخلاق الدينية والسيرة النبوية والحديث والصرف وعلم الشعر والبيان والانشاء والخط والاملاء والمنطق والحساب والتواريخ وتقويم البلدان وقواعد الصحة والثاني يكون قد جازه في علوم الحديث والتوحيد والفقه مع حكمة التشريع والتوثيقات الشرعية والنحو مع الوضع والصرف والمعاني والبيان والبديع وادب اللغة والانشاء والمنطق وآداب المناظرة والميقات والحساب والجبر والهندسة ورسم الاشكال والتاريخ وتقويم البلدان ونظام القضاء والادارة والاوقاف والمجالس الحسبية لهذا يبسط الطلبة ايديهم الى

الجنة بالطلب التالي وهو :

ثالثاً : وضع امتيازات لحامل الشهادتين الاولية والثانوية بان يجعل للاول الحق في أن يعين في وظائف المأذونية وكتابة المحاكم الشرعية المركزية والاوقاف وادارة الازهر ويجعل للثاني الحق في ان يعين في وظائف الخطابة في المساجد — والوعظ في الامصار وكتابة المحاكم

ان مساواة افراد اهل الطائفة الواحدة معما تباعدت امكنتهم من العدل الذي تنتظره امة مخلصة من حكومة عاملة على رقي امتها فاحرى بطلاب العلوم الدينية وهم على تمام الاخلاص لاميرهم المحبوب ساعون في تحقيق رغباته الشريفة عندهم والاقتراب من امانيه العالية فيهم ان يلتمسوا منه العدل بين اهل الازهر الشريف وباقي المعاهد الدينية في مرتبات الطلبة والعلماء لان طلبة اليوم هم علماء الغد ولان اهتمامهم بشان العلماء الآن انما هو اهتمام بشان انفسهم غدا فهم يمهدون لارجلهم مواضعها قبل الخطو ويتزودون في شباب سنهم لسفرهم الطويل الذي سيقطعونه فيما حملوا من امانة الله . وقد رأوا ان لا تناسب بين اهل الازهر وغيرهم من المعاهد الاخرى فيما ذكر فهم اذا قارنوا بين مرتب العالم بالازهر وهو مائة قرش وبين مرتب اخيه الذي تخرج معه في وقت واحد ثم ادرج في سلك علماء الاسكندرية وهو ثمانمائة قرش يجدون ان النسبة بينهما كنسبة واحد الى ثمانية وهو فرق لايبرره تباعد المعهدين . وربما كان هذا من البواعث على غرس ما لا يحمد غرسه بين اهل العلم الديني وهم اول من يجب أن تغرس بينهم الاخلاق الفاضلة وان يربى فيهم حب المساواة ووجود النسبة في مكافأة العاملين على عملهم حتى لا يوجد هذا الفرق العظيم بين مرتب العالم بالازهر واخيه الذي الحق بسواه من جهة ومن جهة اخرى فان مرتب العالم بالازهر لا يقوم بالكفاف من مطالب الحياة ولو كان من المفتشين فلا عجب اذا جرت الحاجة بامثال هؤلاء الى التبذل في طلب العيش واهراق ماء الوجه في استكمال مطالب الحياة من غير هذا الوشل ومتى وصل الامر بالعلماء الى مثل هذا الحد فقد سقطوا من منصة الاحترام وهو اول العوامل في نفوذ ارشادهم والاستجابة لدعوتهم الى الصلاح وتكون عصارة ذلك ضياع الفائدة من مهمة الازهر الشريف التي يؤديها الى العالم الاسلامي اذ هذه المهمة العظمى لا تؤدى على اكمل وجه على يد مبتذل ساقط الكرامة يلتمس الرزق بكل الوسائل ولو كانت لا تتفق مع شرف العلم وكرامة العلماء . لذا يرون من الواجب عليهم ان يعرضوا الطلب الآتي وهو :

رابعاً : ان تناسب المرتبات بين العلماء والطلبة في كافة المعاهد الدينية تناسباً مقبولاً (انتهى نص المطالب)

فلما وصلت هذه المطالب الى الحكومة عينت لجنة تنظر فيها فقررت طرد الذين لا يرجعون الى دروسهم لتنظر في مطاليبهم . فاقر طلبة السنتين الاولى والثانية على الرجوع فاتوا الازهر في ١٦ فبراير الماضي فراوا اعلاناً ملصقاً على الباب هذه صورته :

«من مشيخة الازهر»

«بناء على استرحام حضرات المشايخ من سمو الجناب العالي قد انعقد المجلس العالي لجامع الازهر الشريف بعد ظهر يوم الاثنين ٢٤ محرم سنة ٣٢٧ وقرر العفو عن الطلاب الذين يقدمون استرحاماً ملتمسين العفو بدون شرط كما تقرر العفو عن الخمسمائة واثنين وخمسين طالباً الذين سبق لهم تقديم هذا الاسترحام وقد تحدد لذلك مدة خمسة عشر يوماً ابتداء من يوم تاريخه فكل من يرغب من الطلبة العودة للدراسة عليه ان يتوجه لجامع المؤيد ويمضي على طلبات الاسترحام المطبوعة الموجودة طرف حضرات مشايخ الاروقة

٢٥ محرم سنة ٣٢٧»

وهذه صورة الاسترحام

«فضيلتلو افندم مولانا الاستاذ شيخ الجامع الازهر

«نلتمس من فضيلتكم استرحام العفو عنا بعودتنا لتلقي دروسنا كما كنا وندعو لسمو خديوينا المعظم بطول العمر والبقاء ٢٥ محرم سنة ٣٢٧»

فابلغوا اخوانهم المعتصبين خبره فتوافد جمهور منهم الى الجامع لمعرفة الحقيقة فبلغهم ان الشيخ حسونه النواوي شيخ الجامع قد رفع استعفاءه الى سمو الخديوي فقبله وكلف خليل باشا حماده ناظر الاوقاف ان ينوب في ادارة شؤون الازهر موقتاً . ورضي بعض تلامذة السنتين الاولى والثانية بالشرط الذي فرضته لجنة الازهر لقبولهم ودخلوا الدروس فاستاء تلامذة السنين الاخرى فدخل بعضهم الجامع واحدث تشويشاً آل الى الصياح والتضارب فدخل الجنود في الامر وقبضوا على بعض التلامذة وساقوهم الى المحاكمة واخذت الحكومة في تحقيق الحادثة ويدعي الازهريون ان حماده باشا امر بضربهم واتهموا سواه ايضاً والمسألة تحت التحقيق الآن وقد اثرت اهانة الازهريين هذه في شعائر كبار المصريين فاحتجوا الى المراجع العالية وتبرع المحامون في الدفاع عن الازهريين وسنذكر ما تنتهي اليه الحادثة

# سلطة الامة

## ٣ ـ مضارها

[ اعتمدت في كتابة الفصل السابق على ما تكون لديّ من المعلومات بعد مطالعات كثيرة وخصوصاً في كتاب «المبادىء الاساسية للحقوق» وضعه بالفرنسية الكونت دي ڤاري‌سوميير (De Vareilles-Sommières) — اما هذا الفصل فننقول عن كتاب «الحكومة الحديثة ووظائفها» تأليف بول لروا بوليه ( P. Leroy-Beaulieu ) العالم الاقتصادي الكبير بشيء من التصرف اقتضاه التركيب العربي وباغفال بعض الاقوال التي ترمي الى اغراض في الكتاب لا محل لها هنا ] — قال الكاتب :

للحكومة الغربية الحديثة مميزات خاصة عن الحكومات القديمة او الاسيوية • وهي قائمة على انتخاب المحكومين حكامهم لمدة قصيرة يتغير بعدها هؤلاء كلهم او جلهم

وقد كان للانتخاب شأن يذكر في جميع الحكومات الماضية تقريباً • لكنه لم يكن يتجاوز الاشراف على الاعمال العمومية وتنبيه اولي الامر الى خطأهم ومساعدتهم في مهامهم — اما الآن فهو قوام الحكومة الحديثة التي تسير برأي الاغلبية وتحسب ان اجماعها على امر كاف لجعله مشروعاً • ومن خواصها الازدراء بالماضي والتقاليد والتهافت على كل جديد والثقة العمياء باصلاح الهيئة الاجتماعية وتقليل الادواء فيها بالتغييرات التشريعية

ولا ابحث هنا فيما اذا كان هذا النظام نهائيا وانه المضجع الناعم الذى لن ترتضي الشعوب الحديثة عنه بديلاً فان له بعض المزايا وكثيراً من الاضرار • ويصعب على المفكر الجزم بالايجاب لان التاريخ يدلنا على ان الملوك والاشراف يكونون الحكومات ويوصلونها الى العزة والمنعة وان الشعوب اذا تركوا وشأنهم كما هو حاصل الآن عبثوا بها وقوضوا اركانها • ولا ادعي النبوة • لكن يظهر لي ان هذه الامم الحديثة ستعود بعد زمن ربما كان طويلاً وبعد هزات عنيفة وتجارب مؤلمة الى الحكومات الملكية القديمة مع مراعاة التوازن بين الحاكم والمحكوم كما في بروسيا الآن وقد وقفت سلطة الامة فيها عند حد

محدود بفضل الحوادث الخصوصية التي وقعت لها وبعض كبار الرجال الذين تولوا امرها فقادوها الى المجد والسؤدد — لا بفضل الدستور فانه يشجع اطماعها التي لا بد ان تثور عاجلاً او آجلاً فتنال مشتهاها [1] — او كالامبراطورية الرومانية في ازهى ايامها التي طالت قرنين •••• ولكن هذا حدس وتخمين فلننظر الى الحكومة الحديثة ولنقدر ما تستطيع عمله لحفظ الشعوب واعمالها المدنية ولنقابل بين الدعاوي الطويلة العريضة التي يدعيها انصارها وبين النتائج التي يمكن ان تصل اليها

الحكومة الحديثة

والانتخابات لا يسبقها صوم ولا صلاة يرجع الانسان بهما الى نفسه يستطلعها الرأي في مصالح البلد بهدوء وسكون بل تجري وسط ضجة غير معتادة وهياج شديد تثيرها الاحزاب المتنافسة فتشوش على الناس آراءهم ويختلط عليهم امر هذه السياسات المتضاربة فتخرج الاكثرية من هذه المعمعة صورة مصطنعة لا تمثل حقيقة آراء مجموع الشعب • يفوز بها الحزب الاعلى صياحاً والاكثر تفنناً في مدح بضاعته والاكرم وعوداً والاسخى مالاً : تسير الحكومة خلف هذه الاكثرية اربع او خمس سنين مع انها خلقت يوم اضطراب وتحمس مضى وانقضى

وينزل بالامم كما ينزل بالافراد اميال واهواء تمتلك افئدتها وتأخذ بمجامع قلوبها فلا تعود تلهج الا بها ورائدها فيها الاحساس اهاجه المهيجون فتتطرف في الشغف بها وطلب

---

(١) مضى على هذا القول عشرون عاماً وقد اخذ يتحقق وبدت طلائع الحركة في نوفمبر الماضي على اثر حديث الامبراطور المشهور وقد حاول فيه الايقاع بين الدول وتشدده بلا داع مع فرنسا في حادثة البيضاء. فقام الالمان قومة واحدة واجمع الريشتاغ على ذم حكم الفرد ونقد بجرأة نادرة حركات الامبراطور الاوتوقراطية التي تكررت فازعجت النفوس وقد كان في غنى عنها • وطلب جعل الوزارة مسئولة امامه ووجوب مراقبة الشؤون الخارجية بحيث لا يتفرد بتصريفها الامبراطور وجعل اعلان الحرب متوقفاً على المجلس • وما هذه الا البداية • وهكذا احدثت دائماً غلطات الملوك ردَّ فعل من جهة الشعب الى ان يستتب له الامر فيخطئ، ولا رادع فيتوغل في الخطأ فتعود اليه الملكية الخ • ويجعل تاريخ الحكم جذب ودفع بين الملوك والامم يكاد يكون لها علامات واحدة واوقات معينة في حياة كل امة •

تحقيقها كالميل الى الغاء عقوبة · والميل الى الحرية الشخصية غير المحدودة · والميل الى نوع من الاعمال العمومية وانشاء سكك حديدية او ترع او تشييد ابنية فخيمة — الميل الى الدين او عنه[1] — الى التعليم العمومي · الى حرية التجارة او تقييدها ··· الخ فتنتهز الاحزاب احدى هذه الفرص السانحة وتتسابق في اكتساب ثقة الشعب بمتابعته في اهوائه والوعد بارضائها

والحكومة الحديثة خاضعة لهذه الاهواء والتصورات الناقصة وهي في كل مرحلة من مراحلها تنقل الميل الذي كان سائداً وقت الانتخاب باشد حالاته لانها حكومة الاكثرية وتمد في اجله اربع او خمس سنين مع انه بطبيعته ابن ساعة ثم يذهب كالفوتوغرافية تصور جواداً راكضاً فيبقى كذلك على الورق الى الابد

والواجب على الحكومات مقاومة اهواء العامة والحكم بمقتضى العقل الذي لا ينقلب كالاحساس وصد الاندفاع والضغط على الهوى · ولكن الحكومة الحديثة مندمجة في الكل وليس لها شخصية مستقلة حتى تعمل · فينتج عن ذلك ان هذه الاهواء يكثر عددها لانعدام الوازع وانفساح المجال امامها وشعور القوم بامكان تحقيقها · وهذا سبب ما تراه في اعمال الحكومات الحديثة من الغلط والتخبط ولهذا يأتي التشريع فيها مضطرباً متناقضاً مبالغاً فيه لجانب الحزب الغالب · فيقضي كل مجلس ثلاثة ارباع وقته في نقض ما ابرمه المجلس السابق · وقد يأتي احياناً على ضد الرأي العام وقد زالت عنه الحمى وعاد اليه السكون وهذا سر انقلابه على الاكثرية المسيطرة بخذلها في الانتخابات الجزئية التي تدور على مسئلة معينة يعلم هو مصلحته فيها بعد ان ايدها في الانتخابات العمومية فوافق على بروجرام سياسي بكل مفصلاته ليس له فيه مصلحة مستعجلة

اضف الى تغير المبادىء في الحكم تبدل الموظفين المتوالي تجد ان الحكومة الحديثة ليس لها سلسلة معقولة منطقية للقوانين واللوائح بخلاف ما يجب ان تكون عليه كل ادارة

(١) قال المؤلف في موضع آخر من الكتاب ( حاشية ٣١٣ ) ان الانتخابات في الولايات المتحدة الاميركية اوضحت بما ليس بعده من مزيد شأن الرشوة يتزايد استفحالاً من سنة ١٨٨٩ · فالحزبان الكبيران السائدان هناك يشبهان جمعيتين عظيمتين ليس بين آراء اعضائهما فرق يذكر تتنازعان معه المكاسب المادية التي تأتي من وراء الاستيلاء على الحكومة

كبيرة . وقد كان هذا التبدل قديماً لا يتناول الا الوزراء و بعض ذوي المناصب العالية اما الآن فتراه يمتد الى سائر الدوائر . اذ لما كان النزاع السياسي قائماً بين حزبين او اكثر يمثل كلاً منها جيش من السياسيين الطامعين تعليهم بلا ثروة ولا مورد رزق لزم ان ظهور جيش على جيش تتبعه « تصفية » عمومية لمنفعة افراد المعسكر الظافر القاهر . ويزداد هذا التقلب بازدياد تأثير الانتخاب وكلما قربت الهيئة الاجتماعية من نظام الديمقراطية المحضة شوهد فيها اوضح فاوضح الى ان يصير قاعدة . ولما قال الجنرال جاكسون احد رؤساء الولايات المتحدة السابقين واشدهم حدة : « الاسلاب للظافرين ! » انما كان يتكلم لغة يفهمها سياسيو العالمين القديم والحديث

وعلاجاً لهذا الحال ينبغي اولاً تقليل مدة انعقاد البرلمان فتخف وطأة السياسيين وتحل الراحة والسكينة محل الهياج والاضطراب فيمضي الشعب في عمله هادئاً مطمئناً . واذا صادف ان هذا النظام أخر الاقرار على قانون مفيد الا انه يكون سبباً في القضاء على تسعة مشاريع ضارة او عديمة الفائدة . وتقضي مجالس انكلترا الايام الاخيرة من كل فصل في انهاء اعمالها فتزج بالمشاريع التي لم يتناقش فيها في هاوية النسيان وقد يكون هذا افضل اعمال الفصل كله

وينبغي ثانياً تصديق الامة ( اي مجموع من لهم حق الانتخاب ) مباشرة على اهم القوانين بعد اقرار البرلمان عليها لان النواب عرضة للتهور والتطرف وفي معظم الحكومات الحديثة ليس للشعب عليهم سلطان [1] ما دامت مدتهم لم تنقض وهذا متبع في سويسرا ومعروف باسم ( Referendum )

خصائص الحكومة الحديثة

الحكومة الحديثة — نظرياً — تمثل جميع اهالي البلاد . فهي اذن نظرياً — اعدل هيئة في العالم . ولكنها في الواقع وكيلة الاغلبية — حكومة الحزب المنتصر والعدل فيها وهمٌ لا اثر له في الحقيقة ولا يمكن ان يكون له اثر . وهي دائماً ميالة لتفضيل فريق على فريق . قد تطمع الحكومات الملكية في اعلاء منار الحق واقامة العدل وهي وان لم يقدر

---

( ١ ) وقال المؤلف في مقالة نشرتها « المجلة » الفرنسوية في ١٥ ابريل سنة ١٩٠٨ اني اعتقد اعتقاداً ثابتاً ان ثلاثة ارباع القوانين التي يصدرها البرلمان تحدث في البلد ارتباكاً واختلالاً اكثر مما تساعده على الرقي » . — وجاء في بحث مستفيض في العدد

تحقيق امنيتها كالواجب الا انه ليس في نظامها ما يعوقها عن ذلك ما دام الآمر الناهي فيها يريد الخير • اما الحكومة الحديثة فاساسها الانتخاب وتعريفها كما يفهم الغربيون الآن وكما اسلفنا انها وكيلة الاكثرية من الامة لا الامة باجمعها • وهذه الاكثرية القابضة على دفة الدولة موقتة وعالمة ان لن يستتب لها الحال الا قليلاً ولها آراء لم تكن سائدة من قبل فهي تعمل بكل قواها على سيادتها وهدم ما بناه الخصوم في الماضي • وهي مهددة كل ساعة بالسقوط والاحزاب المعارضة تسعى جهدها في تعجيله فتصبح هذه الاكثرية وهي خائفة على السلطة التي ما وصلت اليها الا بعض شق النفس اي تغلت من يديها فتخسر شيئاً كثيراً لان ادارة الشؤون العمومية اصبحت مهنة ••• غير مجانية

فلا محل اذن ولا مسوغ لتصورات بعض الفلاسفة الذي ينظرون الى الحكومة الحديثة من الوجهة النظرية البحتة فيتغنون بكمالها وعدلها • فانها في الحقيقة ظالمة ولا تنفك عن الظلم لحظة واحدة • وقد يحاول بعض كبار الرجال ذوي النفوس الكريمة العفيفة ان يتجنبوا هذه الخطة او يلطفوا من سماجتها ولكنهم لا يفلحون ويرون انفسهم

---

المذكور من « المجلة » لمسيو ريمون بوانكاريه احد وزراء فرنسا السابقين والسياسي المشهور ما يأتي : « لقد اصبحت النيابة السياسية وظيفة جزيلة النفع واقترح بعضهم ترتيب معاشات النواب واعضاء مجلس الشيوخ بعد الجهاد الحسن ! فعوضاً عن ان تكون الحياة العمومية بايدي الجميع اذا بها تحتكر شيئاً فشيئاً لصالح جماعة قليلة • يجب نزع السياسة من السياسيين او ينفرون بلادنا عن قريب من الحرية و يوقظون فيها الغرائز الامبراطورية يجب تقليل مدة انعقاد البرلمان الذي يحسب غالباً انه خسر يومه اذا لم تتحرك اعضاؤه عدة ساعات في الحر والضوضاء كأن تقدم الامة يستلزم كل يوم قواعد جديدة وتشريعاً متواصلاً !

« وهذه الحركة التي لا بركة فيها وهذا الجدال الذي لا ينتهي وحب المناقشة والمنابذة من نتائجها تضاؤل السلطة التنفيذية وتلاشي صورة الحكومة من اذهان الوزراء — تلك الصورة التي ينطوي تحتها فكر التضامن والشعور بالمسؤولية

« ويزداد النواب اعتقاداً بان لهم الحق في السيطرة على المصالح الادارية وتوظيف الاقارب والاصدقاء • اما الوزراء فقد اعتادوا النظر الى المسائل من الوجهة التي ترضي انصارهم • واكثرهم دهاء يستخدم مواهبه في القاء المشاكل يدخرها خلفه وينزوي في نظارته الى ان يعتلي منبر الخطابة فيقابل بالتصفيق ! ••• »

مضطرين لمطاوعة حزبهم الذي رفعهم الى مراتب السلطة ولا يزال يؤيدهم فان لم يظاموا الحبث في النفس ظلموا على كره منهم وعدوا ذلك من حسن السياسة في سبيل استبقاء المنصب • او يلبون نداء الضمير فيستقيلون وليس اظلم من حكومة لا يفوز فيها الرجال العادلون

كذلك اذا قنعنا من المسئلة بالوجه النظري وضربنا صفحاً عن طبائع الانسان وتأثير الاحوال حسبنا الحكومة لا تتعجل في اعمالها ولا تطيش لان الزمن متسع امامها ولان مسؤوليتها كبيرة فتتروى وتقدر كل خطوة من خطاها بحكمة وتبصر ولا تقدم على امر الا بعد الدرس والتمحيص • وهذا ايضاً زعم باطل • فان ازمة الحكم مضطربة ابداً في ايدي سادة اليوم وهم يعلمون ان ليس لهم الا سنتان او ثلاث او اربع لتنفيذ سياستهم وتحقيق أماني حزبهم فيشتغلون آناء الليل واطراف النهار بلا تردد ولا ابطاء قبل ان يستقطهم الحزب المزاحم فانه واقف لهم بالمرصاد يتحين ضعفاً يبدو منهم فيقضي عليهم قبل ان يقضوا لبانتهم • هذا سر العمل المتواصل الذي نشاهده في الحكومات الحديثة فيبهرنا لاول وهلة فاذا ما دققنا النظر وجدناه سطحياً اغلبه من قبيل الحركة الكاذبة ذراً للرماد في العيون وايهاماً للناس بأنهم يتفانون في خدمتهم • ومعظم الباقي مبني على آراء خاصة بهم للتطرف فيها نصيب غير قليل فلا يتم حتى تنقضه الحوادث وتعلن ماخفي من عيوبه فيفطن لها الاهالي وقد صدمتهم عواقبها فتهيأ اذهانهم لفكرة النسخ والتغيير وتتجه انظارهم الى حزب آخر وهكذا الى ما يعلم الله

ان الملكية الموقتة لارض او غيرها تطفىء في صاحبها نار العزم وتقعده عن كل سعي ثمرته ذاهبة غداً الى غيره • او تحمله على انتهاز الفرصة ليملأ جيبه وبطنه ما استطاع الى ذلك سبيلاً • وهذا ينطبق على الحكومات وتختلف نتائجه خفة او خطارة باختلاف دائرة الحكومة صغيرة محدودة او كبيرة قابلة للاتساع — ونحن نرى انها تتسع يوماً فيوماً في الحكومات الحديثة

اعتبر بما يقع في بلاد حكوماتها على غير النظام الحديث : حكومات الشرق المطلقة فانها والحكومات الحديثة تؤدي الى نتائج واحدة • في الحكومات المطلقة يتغيرالنظار كل آن تبعاً لارادة الحاكم المطلق فتسود الفوضى في الادارة وتنهب الاموال ولكن النهب والتبذير لا يظهران في أوربا كما في الشرق بل في صور لطيفة « قانونية » [1] يذهب

(١) — لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلماً منظماً (حافظ

المال بانشاء وظائف جديدة اسمية لا حاجة اليها • باحالة موظفين على المعاش قبل الاوان • ويتسرب من طرق اخرى كثيرة اهمها المكافآت والاعانات والاشغال العمومية وقد زاد المبلغ المخصص للمعاشات في فرنسا مائة مليون فرنك سنوياً من خمسة عشر عاماً وزاد عدد الموظفين في هذه المدة مائتي الف على الاقل[١] • فرغماً عن تباين نظام الحكومتين وتضاد وضعهما من مطلقة ونيابية ترى الفساد فيها متشابهاً وسببه في الواحدة هو الملك ودسائسه وفي الثانية اهواء الشعب وجهله

لم ننته من تعداد مميزات الحكومة الحديثة • ومنها واحدة مجهولة بعض الجهل ولكن اضرارها خطيرة جداً وهي كيفية نظر الحكومة الى مصالح الامة والعمل لها • الحكومة الحديثة اساسها الانتخاب والمنازعة العنيفة بين الاحزاب فلا تتجلى المصالح الاجتماعية امام بصيرتها بصورتها العامة بل تظهر لها متفرقة مبعثرة مناقضة بعضها لبعض • او بعبارة اخرى لا ترى الا مصالح خصوصية — مصالح منتخبيها — وتحسب كالرجل الساذج ان المصلحة العمومية تتالف من مجموع المصالح الخصوصية • وهذا صحيح في بعض الاحوال فقط • فاذا عرضت لها مسئلة العلائق الجمركية مع البلاد الاجنبية مثلاً — وهي مسئلة ذات شان عظيم في هذه الايام ومختلف عليها كثيراً — اثرت عليها مصالح من ينتفعون من حماية التجارة او من يظنون انهم منها منتفعون فان الظواهر تخدعهم في بعض الاحيان ) وغفلت عما يعود به على البلد نظام التجارة الحرة من القوة واليسر باستنهاض الهمم[٢] • وقس على ذلك الاعمال العمومية والتعليم الخ •

وهي لقيامها على الانتخاب وكونها وقتية ادعى الى تقدير المصالح الصغيرة القريبة دون مصلحة او مصالح اكبر ولكن بعيدة فتهمل واجباً من اهم واجبات الحكومة وهو

(١) — ولكل موظف صوت في الانتخاب وهو معرض اكثر من غيره لمراقبة الحكومة وتضييقها تستميله بالترقية او تضطهده فاذا اجتمعت هذه الاصوات كانت قوة في جانبها لا يستهان بها • وتسعى الحكومة الفرنسوية في شراء سكك حديدية في بلادها فاذا نجحت استخدمت في الانتخاب من يدخل تحت حوزتها من العمال العديدين • وفي الولايات المتحدة ترى الرئيس الظافر بعد ان انفق حزبه في سبيل انتخابه ملايين الريالات يجر وراءه في الحكومة اصدقاءه واصدقاء اصدقائه وجيران هؤلاء وجيران جيرانهم • • • • وللمحسوبية في تلك البلاد الديمقراطية ما لها في اية حكومة شرقية • وهذا مثل آخر على ان الانسان لا تتغير نفسه بتغير نظام الحكومة

التحوط للمستقبل وتمهيد السبل له مهما كان بعيداً . »

انتهى كلام المسيو بول لروا بوليه . وكتابه كله على هذا النسق من الاستشهاد بالارقام والحوادث وتقديم التجربة وعبر التاريخ على التصورات الخيالية . فقد بحث في جميع وظائف الحكومة بحثاً ضافياً وخرج منه بالنتائج التي اجملها فيما سبق مؤيدة معززة بامثلة عديدة وخلاصتها ان الحكومة النيابية ليست احسن حكومة وان فيها العجز والتعسف والاسراف كما في الحكومة المطلقة وانها لا تغير اخلاق الشعب ولا تهذب طباعه بل تغير مظاهر فساده . ومثله معها كمثله مع سائر النظامات يصبغها بصبغته ويدمغها بطابعه وقلما يتأثر منها الا على قدر معلوم . لقد اساء التصرف في الدين فحول التعلق به الى تعصب اعمى ولم يفده ذلك التعلق شيئاً في تجميل نفسه وقمع شهواته بل اكتفى من الدين ببعض الفرائض الظاهرية او بمجرد الانتساب له — افيريدونه على ان يحسن التصرف بالنظام النيابي ؟

وقد انتبه كثير من الكتاب الى هذا الرأي قبل المسيو بوليه وبعده واخذوا يشكون من عيوب الحكومة الحديثة وقد برزت الى حيز العمل بعد ان اعجبوا بمحاسنها على الورق . قرأت مقالة كتبها المسيو جبريل بوبوَا ( G. Beaubois ) في مجلة « الحركة الاشتراكية » وكان لها صدى في عالم الصحافة الفرنسوية اترجم منها بضعة اسطر لان الكاتب والمجلة بمعزل عن كل ريبة ولا يمكن ان يتهما بميل الى الملكية . « كم من مرة صرحت هذه المجلة بعجز الديمقراطية ... عن تحكيم المبادىء العالية في امور الحياة . ويظهر ان كل ما يحتمل القول في هذا الموضوع قد قيل ولكن كل يوم يأتينا بادلة جديدة على صحة رأينا ويقنعنا بان الفساد الديمقراطي لم يبلغ في زمن ما مبلغه في هذه الايام المضطربة والسلطة قد احتكرها نفر يحاولون قتل كل ميل الى الحرية في النفوس ... »

وقال عن طائفة السياسيين انهم « لم يخرجوا من طبقة معينة من الهيئة الاجتماعية بل هم خليط من الهيئات لا تضامن بينهم وبينها لان ليس لهم مصالح واعمال . فيسعون في

(٢) دعي الشعب السويسري منذ عامين للتصديق على قانون الغاء تجارة الكحول ( Referendum ) فعارضه المنتفعون من هذه التجارة معارضة شديدة حتى خشي عليه العقلاء ولكنه نفذ اخيراً بارادة اغلبية بينها وبين الاقلية فرق قليل من الاصوات . ففي هذه المرة ايضاً تصادم مبدأ سام فيه صحة الافراد وخير العائلات ومستقبل الوطن مع مصالح مادية كادت تقهره

تجارتهم و ينظاهرون امام الشعب بالحكمة والارادة الصالحة والقدرة على التأليف بين المصالح المتنافرة وسيادة السلام الاجتماعي وتحقيق الاماني الادبية والعقلية . وما عملهم في الحقيقة الا كذب ورياء » ثم انتقد وزارة كليمنسو من الانتقاد لاستبدادها واستخفافها بالحق والعدل في حوادث كثيرة عددها واحدة واحدة الى ان قال : « لقد هدمنا الباستيل ولكن هل صلحت الحال عن ذي قبل ؟ هل امحى الظلم ؟ لقد قمنا بعدة ثورات ولكن حكامنا الديمقراطيين اشد وطأة علينا من الملوك القدماء ووزرائهم »

اضرار سلطة الامة

ولم اكن لاشدد هذا التشديد واجمع الاقوال والشواهد من كل طرف لو ان مذهب سلطة الامة قاصر على كونه خطأ عقلياً لا يترتب عليه ادنى عاقبة . ولكنه سبب كثير من البلايا وفي طيه اخطار جمة — انه يشجع الناس على الفتن والثورات ويبررها في نظرهم فيتوهمون انهم ابطال الحرية يعملون لسعادة بلادهم والانسانية . اليس للشعب الحر المطلق الحق في ابدال وكلائه بغيرهم متى اراد ؟ « ان الشعب غير ملزم بترك السلطة المدنية لحكامه ولا السلطة الحربية للقواد . وهو حر في تغيير شكل الحكومة في كل وقت ! » ومن يراجع تاريخ فرنسا في القرن الماضي يتحقق ان هذا القول اتبع بحرفيته فانها قامت بعدة ثورات بعد الثورة الكبرى الى ان اعياها الجهد وذهبت منها الاخلاق فقنعت اخيراً « بالاستبداد الديمقراطي » . وفي مصر سمعنا غير مرة حديثاً كهذا : « كل حكومة شخصية مهما كانت عادلة تستأثر بحق الحكم فهي حكومة غاصبة حق غيرها وحكم الغصب الرد دائماً كلما امكن ذلك من غير ان يكون للرد ظرف خاص او زمن معين » (الجريدة) وبين فكرة الرد وفكرة الاسترداد مسافة قصيرة جداً اذ لكل امرىء الحق في استرداد حقه المغصوب سيما اذا كان ذلك الحق المغصوب ثميناً وضرورياً له . واي شيء اثمن من الحرية واعز واكثر ضرورة منها لرقي الامم وسعادتها كما يدعون غير مفرقين بين الحرية الادبية والحرية السياسية . وفي جريدة اخرى معروفة نقرأ من حين لآخر تعريضاً بالامير من حيث هو امير لا يمنح شعبه « الدستور » لا من حيث انه اتى عملاً يستحق من اجله الانتقاد كالاستبداد والعبث بالحرية الشخصية . كل هذا من شانه ان يولد الحقد في الصدور والكبرياء في الاذهان ويعدها للثورة مع ان الواجب المتحتم على كل امة ان ترضى بكل حكومة عادلة

اني ابحث بحثاً علمياً ولا دخل لي في السياسة العملية ولكن هذه ملاحظات دخلت

في دائرة الواقع ولا حرج فيها على احد من الناس

وآخر نتائج هـذا المذهب الفوضى اي عدم وجود حكومة مطلقاً . وروسو لم يتقدم الى هذا الحد من التطرف ولعله لم ينتبه لجميع نتائج رأيه المنطقية كغيره من الكتاب والفلاسفة يبتدعون رأياً ويطبقونه على ما يتيسر لهم او بالاحرى على ما استوقف نظرهم في عالمي الفكر والعمل وحدا بهم الى ابتداع الرأي وهم في الغالب يكملون نقصاً أو يصدون تياراً وعلى كل حال يبتغون أصلاحاً فيحومون حول دائرة النزاع لا يتعدونها ولا يحفلون بتتبع رأيهم في كل مناحيه . ثم يأتي بعدهم من يتناول الرأي ويقلبه من كل جهة ساكن الجاش رابطه ويستخرج منه ما شاءت حيلته وقادته اليه حرأته . قال برودون الفوضوي الفرنسوي الشهير : « بعد ان قرر ( روسو ) ان السلطة للشعب وحده وان لا يمثله الا جميع افراده وان القانون باجماع الكل ترك هذه القضايا واحل ارادة الاغلبية محل ارادة الكل وأشار بتسمية نواب بواسطة الانتخاب يحكمون باسم الشعب ويسنون القوانين . لقد كان الظلم الصادر من الملوك مكروهاً ممقوتاً لكنه يعيده لنا ويريدنا على احترامه لصدوره عن الشعب كما يقول(٢) » — وقال روسو ان الفرد بخضوعه للقانون في الحكومة الديمقراطية الحرة لا يخضع الا لارادته » كيف تسن القوانين لمن يفكر بنفسه ولا يسأل الاعن افعاله ! — لمن يريد ان يكون حراً ويشعر انه وجد ليكون حراً ! اني انبذ القوانين ولا اعترف بواحد منها واحتج على كل قيد تثقل به حريتي ..(٣) وقال روسو وأصاب : لا يطيع احد الا القوانين التي قبلها حراً مختاراً » وقوانين الاغلبية لا تتوكأ على الحق بل على القوة . فلكي أظل حراً يجب ألاَّ اخضع لغير ارادتي وان أحكم نفسي بنفسي — يجب العدول عن الانتخاب وعن الملكية (٤) »

---

(١) — العقد الاجتماعي تاليف روسو – الكتاب الثالث — الفصل الاول

(٢) — من كتاب « الفكرة العمومية للثورة في القرن التاسع عشر » صفحة ١٣٠ — وقد عزونا لروسو عكس ذلك في المقال السابق استناداً على كثير من اقواله ولا يطمعن احد في استيعاب ارائه والتوفيق بينها فهذا امر متعذر جداً بل مستحيل لما حوت كتاباته من المناقضات الصريحة والسفسطة والتعمية ساعده على ذلك ما رزق من قوة البيان وبراعة الاسلوب

(٣) من الكتاب المذكور صفحة ١٤٩ (٤) من الكتاب المذكور صفحة ٢٣٥

أي عن الحكومة بنوعها

فالفوضويون ذوو الوجود العابسة والنفوس المضطربة والمعيشة المنغصة - اصحاب الخناجر والمسدسات والقنابل المدمرة - من ترتعد لذكرهم فرائص الملوك والامراء ورؤساء الجمهوريات وكل حاكم على وجه الارض - ليسوا وحوشاً ولا يقتلون لمجرد القتل - هم تلاميذ روسو ولكن احذق منه في المنطق وأمهر في فن الاستنتاج وأقدم على المخاطر فدلون لما يقولون علامة اليقين الثابت والخدمة الصادقة • ليس من غرضهم اعدام الحياة الاجتماعية ولكن نظاماً جديداً لهذه الحياة قام في عقولهم فحرك ايديهم • انهم يريدون تأسيسها على قواعد أخرى ••• او بالاحرى يريدون القضاء على القواعد والترتيبات - القضاء على الحكومة والقوانين والجيش • يريدون حياة حرة يصرف فيها الانسان مواهبه وملكاته بلا قيد ولا شرط • « الفوضى ادراك للاجتماع لا يبقى معه مجال للاقليات المستبدة كالكهنة والقواد والقضاة - هي ارقى تمثيل للحياة الاجتماعية يحكم فيها المرء نفسه ويتمتع المجموع بكل انواع الحرية ••• [1] »

كلام في كلام شرحنا مقدماته عن روسو والنتائج عن التلاميذ فاذا الثانية من جنس الاولى والكل كتلة واحدة اجزاؤها متناسقة ومحكمة الوضع بدقة هندسية - مما يصح ان يكون عذراً لهؤلاء المجانين ويجعلهم في نظر العاقل الحكيم احق بالشفقة منهم بالبغض والاحتقار لانهم يضحون منفعتهم الذاتية ويقدمون انفسهم للموت في سبيل ما يحسبونه خيراً للعالم ومن كان هذا شأنه استحق الاحترام بقطع النظر عن صحة رأيه وفساده وعن نتيجة سعيه حسنة او سيئة اما من اجتمعت فيه النزاهة والهمة العالية والراي الصحيح فحقيق بالاعجاب فضلاً عن الاحترام

***

قال سبنسر : « انا نسي غالباً ان في كل خطأ روح حق » لولاها ما وجدت الضلالة سبيلاً الى الذهن • وأصل الخطأ حقيقة غولي في تطبيقها او لم تفهم تمام الفهم • ويقضي عليَّ الصدق والاخلاص الا أتعامى عن اشعة الحق المتلألئة في ثنايا مذهب سلطة الامة والا أنسى ذكرها - ولا أريد ان أنسى • صحيح ان الشعب لم يخلق متاعاً للملك ولكن الملك وجد لصالح الشعب • وواجب الملك مراعاة الفائدة العمومية في احكامه ليس الا• وللشعب حق واضح في ان يحكم طبقاً لمبادىء العدل والانصاف • وله ان يرفض الطاعة

(١) - كروبوتكين • الفوضى وفلسفتها صفحة ١٧

للاوامر التي لا يظهر عليها قصد المنفعة العامة او التي فيها غبن له واجحاف بحقوقه صريحين متوخياً سعادة المجتمع وتقدمه بما ينبغي من التحفظ والحكمة متجاوزاً في بعض الاحيان عن بعض الحقوق درءاً لما يجره دائماً استعمال العنف مع الملك من البلايا التي لم تكن في الحسبان ومفضلاً تحمل اهون الشرين • يحمل ذلك لحفظ كيانه وقضاء حاجته من الحياة لا تطلعاً لحقوق وهمية وتهجماً على سلطة لا قبل له بها

والواجب على الملك اشراك اكابر البلد في الحكم لانهم أدرى بمصالحها وطرق اسعادها فاذا كانت الامة على جانب من العلم والمدنية أشرك معهم الآخرين مانحاً كل فرد منهم من السلطة على قدر كفاءته واستعداده

هذه حقائق معروفة منذ القدم اخفاها روسو واطلقها وتشدد فيها كثيراً فصادف كلامه هوى في الافئدة وأرضى المبتلين بحب الذات وهم معظم الناس فاقنعهم بان لهم كذا وكذا من المزايا والحقوق فزاد حبهم لذواتهم واعجابهم بانفسهم لان هذا الداء الخبيث ينمو بالتملق والخداع او بمقارنة الانسان نفسه بمن هم دونه فيتراءى له انه شيء كبير

هذا سبب انتشار تعاليم روسو وأصل الكبرياء المتمكنة في صدور اهل هذا العصر فاورثتهم الشرور بدل السعادة والتقاطع بدل الاخاء • تراهم قائمين بعضهم على بعض « العمل على رأس المال » و « الافكار الحرة الجديدة » على « الافكار العتيقة القديمة » حتى طغى سيل الفتنة الدنيا وتزعزعت اركان كل سلطة وايقنا ان هذا العالم الاوروبي سائر الى الفوضى والخراب • والله يذل المتكبرين

يوسف كرم

---

## قصة مجرم

انشأ السيد مصطفى لطفي المنفلوطي مقالة يخاطب فيها مشنوقاً ويثبت أن لهذا المجرم شركاء في جريمته وهؤلاء الشركاء هم ابواه والمجتمع والحكومة فبعث اليه الناظم وهو صديق له بهذه القصيدة يؤيد فيها رأيه ويستشهد بقصة انها حدثت قبل انها معنى لبعض المجرمين:

يا صاحب النفس الذكية والفتى الـ ... داعي الى الاصلاح والخيرات

لا فض فوك ولا برحت مؤيد الـ ... آراء فينا صادق « النظرات »

---

(١) اشارة الى مقالات ينشرها الكاتب في صحيفة المؤيد تحت عنوان النظرات

اضرب على نغمات (هوجو[1]) انهُ قد كان يألفُ هذهِ النغمات
أو (فيلسوف الروس[2]) أوحد عصره ربّ اليراع الساحر النفّاث
واحمل على اهل المظالم حملة من دونها الحملات في الغزوات
وأعد لنا عهد (المعري) والالى كانوا الى الاصلاح خير دعاة
كانوا لرأفتهم وحسن خلالهم لا يفزعون الطير في الوكنات[3]
ويرون تربية النفوس على التقى اولى من الاعدام بالالات
ولكم أثاروا سخطهم واستصرخوا من جور حكام وظلم قضاة
لا شيء فوق العدل الا رحمة الـ إنسان بالانسان في الزلات
ان تقتلوا يا قوم يوماً فاقتلوا جهلاً غدا مستحكم الحلقات
أو تعدموا شيئاً يضرُّ فاعدموا فقر النفوس وطيبوا العلات
في كل يوم تنصبون مشانقاً وتمكنون الحبل في الرقبات
ونرى السجون على تعدّدها قد امـ تلأت بأهل البغي والنزغات
ونرى لكم خوف الطغام وسطوهم جاؤوا باسلة بكل جهات
فهل استتب الامن في الدنيا وهل بات المهدَّدُ آمن المهجات
وهل الجرائم لم تعد تترى وهل كفَّ الجناة وسالموا المهجات ؟
لو أنصف الناس استراح قضاتهم والنصف لا يأتي بغير حصاة
والناس ما داموا على جهل فلا عقلٌ يردهموا عن الشهوات
لا تحرموهم نعمة التعليم وادْ عوهم الى الخيرات والحسنات
اعطوهموا بدلاً من الجلاد إنْ ساناً يقوِّمُ فيهمُ الملكات

---

(١) فكتور هوجو الشاعر الفيلسوف الفرنسي مؤلف كتاب البؤساء

(٢) تولستوي الروسي رأس الفلاسفة

(٣) اشارة الى بيت المعرّي :

ولا تفجعنَّ الطيرَ في وكناتها بما وضعت فالظلم شرّ القبائح

الله رحمنٌ فكونوا مثلهُ  رحماء بالانسان في السقطات
لا تنصبوا هذي المشانق واجعلوا  دور العلوم فسيحة الساحات
فلرُبَّ مدرسة تشادُ فتهدم ال  سجن الحصين وتقشع الظلمات

***

اني لأذكر قصةً عن مجرمٍ  فاضت لدى تذكارها عبراتي
فعسى يرى الآباء فيها عبرةً  وتكون للابناء خير عظات
حكم القضاةُ على فتىً بالموت إذ  قتل امرءًا ليفوز بالسرقات
فأتوا بهِ عند الصباح مكبلاً  ما بين فرسان وبين مشاة
اخذوا مسالكه عليهِ واوصدوا  في وجههِ ابواب كل نجاة
ودنوا بهِ من آلةٍ سوداء قد  نصبت لاعدام الأثيم العاتي
وتلوا عليهِ الحكم وهو مروَّعٌ  تبدو عليهِ صفرة الاموات
سألوهُ قبل الموت عما يشتهي  فاجابَ هيا عجلوا بمماتي
لكنهُ بين الجموع رأى لهُ  أماً تنوحُ باسوإ الحالات
فبكى وقال دعوا الحزينة لحظةً  كيما اقبلها قبيل وفاتي
فدنوا بها منهُ فقال تشجعي  يا أم هذي آخر اللحظات
مدّي لسانكِ كي اقبلهُ ولا  تبكي فموتي لا محالة آت
مدّي لسانكِ انهُ عذبٌ وما  ارى الى القبلات في الوجنات
مدّت له منها اللسانَ ولم تكن  تدري بما للابن من نيات
فدنا يقبلها ولكن صرخة  منها دوت والناس في دهشات
نظر الجميع الى الفتى فاذا بهِ  قطع اللسان وقال ذي الكلمات
لو لم يكن هذا اللسان مشجعاً  لي في الجرائم ما فقدتُ حياتي
هذا انتقامي منكِ يا أمي ولا  لومٌ عليَّ وهذه ثاراتي
إهمال تربية البنين جنايةٌ  عادت على الآباء بالويلات

فؤاد سليم

# صحة العائلة

## الوقاية من الجدري

نعود في الهلال الى هذا الموضوع الذي تعددت الكتابة فيه لما نراه اليوم من تفشي الجدري في هذا القطر وتهامل اكثرهم في اتخاذ الوسائل اللازمة لتلافي اخطاره وقد رأينا ان نختصر هنا ما كتبناه قبلاً في غير هذه المواضع عن التطعيم وضرورته ونتائجه مستندين في ذلك الى احدث ما نشر في هذا الباب

أصبح التلقيح ضد الجدري من الامور المثبوت نفعها الواجب قضاؤها واعداء هذه الطريقة لا يتجاوزون عدد الانامل • وكفى برهاناً على فائدته ما صار اليه الجدري من التقلص والضعف بعد ان كان من اعظم الآفات التي مني بها الانسان وبعد ان ملأ المستشفيات بالعميان والقبور بالموتى واصاب الخليقة بتشوه من محاسن الخلق في اكثر سكان المعمور

ومع ذلك فان كثيرين يحجمون عن قبول التلقيح او تكراره اما تهاملاً واما حذراً معتقدين ان التطعم اثناء الوباء مجلبة للداء وان من أصيب بالجدري او لُقح باللقاح الواقي منه كان في أمن من الوقوع فيه ثانية • ولا ريب ان اعتقادهم الاول ان التلقيح في مدة انتشار الداء مساعد على ظهوره ناجم عما يعرض احياناً من ظهور الجدري بعد التلقيح وذلك اذا صادف التلقيح في طور حضانة المرض اي بعد ان يكون دب الى الجسم وقبل ان تظهر اعراضه الخارجية فينسبون الداء الى عملية اللقاح ولا يدرون انه كامن في الجسم قبل ان تجري هذه العملية • والحقيقة ان التلقيح ضروري ولا سيما ايام انتشار المرض وهو اذا لم يقدر ان يوقف سيره في الانسان الواحد كأن يكون التلقيح في طور الحضانة فقد يخفف من وطأته ويقصر مدته

واما اعتقادهم الثاني من ان المناعة المكتسبة بالتطعم مرة تغني عنه ثانية فوهم نزع عنه الحجاب بما أيده الاختبار حتى ان الجدري نفسه قد يعيد الكرة على من أصيب به سابقاً ولا يتوهم من كان الداء عليه شديد الوطأة من قبل انه أقل تعرضاً له من سواه فشدته دليل على ان جسمه اكثر قابلية له من غيره وربما عاوده فكان ايضاً شديد الحملة •

فاذا كانت المناعة المكتسبة بالجدري لاتقوى على دفعه دائماً فما قولك بالتلقيح وهو اخف منها واقصر عمراً ولذلك يجب على المرء ان يعيد التطعيم كلما دعت الضرورة . وقد قدر عمر المناعة المكتسبة بواسطة اللقاح فكان معدلها خمس سنين يعني انه يجب اعادة التلقيح بعد انقضاء هذه المدة

كان الانكليز يلقحون الجدري نفسه للوقاية منه وقد اخذوا هذه العادة عن سكان القسطنطينية سنة ١٧٢١ وكان جنر من القائمين بهذه الطريقة في موطنه من مقاطعة برستلي . وكان لسكان هذه المقاطعة اعتقاد ثابت ان المعتنين بتربية البقر هم في مأمن من الجدري فسمع جنر بذلك وسعى في اكتشاف هذا السر فعرف بعد البحث ان السبب في هذه الوقاية بثور تظهر في الايدي اشبه ببثور الجدري ثم تبين له ان هذه البثور منتقلة الى الرعاة بالعدوى من بثور مثلها موجودة في اخلاف البقر

وايد له ذلك تجربة اجراها على طفل عمره خمس سنين لقحه من بثور البقر فظهر فيه مرض تفاعلي ممتاز بذاته . واراد بعد ذلك ان يتحقق اذا كانت هذه البثور تكسب الجسم مناعة دون الجدري فلقح بها صبياً اسمه جامس فيبس في الثامنة من عمره مستمداً اللقاح من فتاة اسمها سارة مصابة بهذه البثور ثم لقحه بالجدري الانساني بعد مرور شهرين على ذلك لم تظهر فيه اعراض الجدري وكان ذلك اليوم المشهور تاريخ اكتشاف جنر (١٤ مايو سنة ١٧٩٦) وقد صادفت طريقته موانع دون انتشارها شأن كل اكتشاف جديد في العالم حتى اضطر البرلمان في انكلترا ان يصدر قراراً رسمياً بوجوب استعمال التلقيح بمادة الجدري البقري وطرح العادة القديمة التي لم تكن تسلم من الخطر

القابلية للتلقيح — ليس في الناس من لا يقبل دمه هذا اللقاح بل كلهم في حالة صالحة لاخذه الا فيما ندر والعامة تسمي من كان في هذه الحالة من المناعة الطبيعية « عظمه اطرش » . والقابلية لجدري البقري او اللقاح اكثر مما هي للجدري البشري الا ان المناعة الباقية بسببها اخف من المناعة التي يخلفها الجدري واقصر مدة وهي على نسبة واحد الى اثنين ولهذا يجب تجديدها . ولا يستثنى الاطفال من هذه القابلية بل ان الجنين للشهر الرابع من تصوره في الرحم قابل ايضاً للتأثر بالتلقيح . ولا تزول مع كبر السن والهرم وهي تزيد على زعم بعضهم ايام الحبل والنفاس والرضاعة كما تزيد القابلية للجدري في مثل هذه الاحوال ايضاً ولا تأثير للسلائل والاحوال الجوية عليها . وظهور المناعة يكون في اليوم الثامن لعهد التلقيح ويمكن للجنين اكتسابها وهو في بطن امه بالعدوى او بانتقال المناعة

اليه سواء كانت مناعة الجدري ام التلقيح وقد تبقى فيه القابلية وان زالت من امه بالتلقيح · وقد بحث بعضهم في تاثير جدري الآباء في الابناء فوجدوا انه قلما تنتقل المناعة بالوراثة اذا تكون الجنين بعد اصابة الاب او الام · وكذا في اثناء الاصابة الا اذا جاءت متاخرة فوافق طور التقشقش وهو الاخير من اطوار الجدري ولادة الولد فان التلقيح حينئذ قد لا ياخذ مجراه

المناعة بعد التلقيح — لا حاجة لظهور النفاط بعد التطعيم لتتم المناعة او بالاحرى لا يمنع عدم ظهور النفاط حصول المناعة فقد جرب بعضهم ذلك بكي موضع الجرح بنترات الفضة قبل الطفح فما ظهر النفاط ولا وقفت المناعة · واخذ غيره قطعة من جلد الثور بعد ست وعشرين ساعة من تلقيحه وخاط الجرح في موضع التلقيح فالتأم بالمقصد الاول بدون حمى واخذت المناعة مع ذلك مقرها في الجسم · اذاً ليست اعراض اللقاح الموضعية من مقتضيات المناعة ويمكن اكتساب هذه عن غير طريق الجلد بوضع حمة المرض على قرنية العين او حقنها في وداجي الثور او سائل العين المائي

تلك هي حال المناعة المكتسبة بواسطة التلقيح ضد التلقيح ثانية · اما ما كان منها ضد الجدري فقد اثبتت تجارب الاطباء انها لا تتم في الايام الاول وقد لقح بعضهم عدداً غير قليل بالجدري البقري ثم بالجدري الانساني فكانت العلتان تسيران سيرهما الطبيعي الواحدة الى جنب الاخرى · ما لم يلقح الجدري بعد مضي اليوم الرابع على التلقيح الاول فان الانسان قد يكون حينئذ في مأمن من الجدري بما اكتسبه من المناعة الا ان هذه المناعة لا تكون اكيدة على الاطلاق قبل اليوم الحادي عشر

كيف تحصل هذه المناعة — يغلب القول ان السبب في ذلك وجود مادة جديدة في الدم تغير في كيفيته ولكن هل تحمل هذه المادة جراثيم قائمة بذاتها ام هي سم مستقل بفعله؟ فقد ظهر بالامتحان ان اعراض التلقيح ليست نتيجة مرض موضعي كالدفتيريا مثلاً فان المكروب في هذا الداء ينحصر في مكان ومنه ينفث سمه في الدم وليس هذا شأن اللقاح بدليل حصول الاعراض دون وجود الاثر الموضعي وعلى ما اظن ان المسألة بعيدة الحل ما دام العامل المرضي لهذه العلة اللقاحية مجهول

الاعراض الناجمة عن التلقيح — لها سير معروف لا يتغير اذا روعيت قواعد النظافة وقت التلقيح · ففي الطور الاول وابتداؤه من اليوم الرابع تظهر على الجرح حبة فتكبر وتمتلىء سائلاً شفافاً صافياً ويحوطها هالة حمراء الى اليوم الثامن فيبتدىء طور التلقيح واعراضه

الحمى وانحلال القوى وتلبك المعدة وصداع الرأس واحياناً تضخم الغدد اللمفاوية المجاورة ويتحول لون السائل الى الكدورة حتى اذا جاء اليوم العاشر يبتدي الطور الثالث فتأخذ الحبة تنشف حتى لا يبقى منها في اليوم الرابع عشر غير قشرة سميكة ملتصقة تسقط في اليوم الثامن عشر تاركة اثرًا لا يمحى · وقد تكون اعراض التلقيح عمومية فلا ينحصر النفاط في موضع الجرح بل يظهر في جهات مختلفة من الجسم اما التلقيح الذي تظهر بثوره في اليوم الثاني فهو فاسد لا يعطي الجسم ادنى مناعة

وقبل ان نختم هذه الرسالة يجدر بنا التنبيه الى امر عظيم الاهمية وهو ان الطريقة التي تعودها البعض بتلقيح الانسان من الانسان قد تكون شديدة الخطر بنقلها بعض الامراض الهائلة فالاحسن ان لا يعتمد بعد اليوم على غير اللقاح المأخوذ من الحيوان

اذا تأكدت ايها القارئ مما تقدم ضرورة التلقيح بالجدري البقري وسهولة اعراضه وتبين لك ان عملية الوقاية سهلة بسيطة تقتضي بوخزة ابرة لا بطعنة سيف قدرت هذا الاكتشاف حق قدره واسرعت الى طبيبك بفرح واستبشار باسطاً له يدك وكاشفاً عن ذراعك

الاسكندرية الدكتور نقولا فياض

## متى يجب قلع الاسنان

### في الاطفال

لا يجوز قلع اسنان الاولاد في طور الطفولية مالم تنخت وتدرم (اي تتحرك ليستخلفها غيرها من الاسنان الدائمة) وبعبارة اوضح نقول انه لا يسوغ لانسان ان يسرع بقلع سن حليبية مسوسة لولد عمره من ٣ الى ١٢ سنة الا اذا كانت قابلة التبديل ومتخلخلة بل يجب مداواتها وحشوها اذا امكن عند طبيب مدرسي فتبقى لمدة سقوطها وتبدلها الطبيعي حتى ان الاسنان والاضراس التي تصاب بخراريج او التهابات حادة وتحدث انتفاخاً وورماً في الفك كثيرًا ما لا يستصوب قلعها في احوال كهذه بل قد يستسهل فتح تجويف السن وافراغ المادة الصديدة منها ومن ثمة معالجتها بالطرق الفنية وابقاؤها الى مدة التسنين الثاني

ورب قائل يقول ما المنفعة من مداواة اسنان الطفل وتعريضه لاحتمال مشقات التطبيب في حين ان هذه الاسنان على وشك السقوط وقريبة من ان تتبدل فالجواب هي ان استبقاء الاسنان الزمنية تحت مراقبة العلاج واجب لاسباب :

(١) لاجل اتمام نمو عظم الفك ونضج جراثيم الاسنان الدائمة فيه والحفظ منافذ وحفر لطلوعها ، ثبتت اذ ذاك بانتظامها الطبيعي

(٢) ان السن الحليبية اذا سوست قبل اوان تبديلها فقلعها بهذه الحالة يخشى منه كسر رقوق السن او تضعضع الفك بالنظر الى ركاكته وبالتالي تتهيج الحلمات السنية فتنبت الاسنان عوجاء كما يشاهد في اسنان كثيرين من الناس

(٣) بقلع السن تفقد قوة المضغ ويعسر الهضم ويضعف الجسم واما الدلائل الاضطرارية التي تقضي على الطبيب بالقلع فاهمها ما يأتي :

(١) ان كل ضرس او سن غير قابلة المعالجة والشفاء لاجل خراج سنخي مزمن او نكروسس في جدرانها يجب قلعها اي ان الانسان مثلاً اذا وجد ان لثة اسنان ابنه ضعيفة وبجية يخرج منها افراز كريه وسيلان منتن ، ودلائل ذلك تظهر من تسلط الخراريج ) فليجرب معالجتها فاذا لم ينجح فيها العلاج بعد مدة يسيرة يجب قلعها

(٢) تقلع السن اذا اريد نبت الاسنان الدائمة اي كل سن حليبية تكون مانعة لطلوع السن التي ستخلفها يجب قلعها

(٣) تقلع السن من التهاب اللب او الغشاء المحيط بها حين لا يمكن شفاؤها وتقلع ايضاً لاجل تراكم الاسنان بعضها على بعض وذلك ان بعض الاولاد بالنظر الى ضيق فكهم عند ما يبتدىء فيهم التسنين الثاني تلتصق الاسنان الدائمة بالاسنان الزمنية فيخشى تشقق اليناء من شدة الضغط واذ ذاك يجب قلع سن او ضرس من الاسنان الزمنية عن كل جانب والا فن الدائمة ونجاح هذا العمل يتم بعلم ومهارة الطبيب

( دمشق الشام ) الدكتور جورج عربيلي

## ساقية المدير (١)

من قصيدة في وصفها لحضرة احمد افندي محمود في الفيوم

بها ما بي من الوجد الكثير      فلا تنفك في حال مثير
حنين دائم وعويل شاك      وآهات تتابع بالزفير
وجسم قد غدا وهناً نحيلا      فاشبه جسم سكان القبور
شكاني من هوى رشاً لعوب      فما شكواك « ساقية المدير »
لقد نالت قصور الحي مني      وانت بعيدة عن ذي القصور

(١) ساقية المدير هي احدى السواقي المركبة على شواطىء البحر اليوسفي لري الاراضي الزراعية

# باب السؤال والاقتراح

## البكلوريا المصرية

(بيروت) اميل زيدان طالب بالمدرسة الكلية

قرأت مقالتكم عن الجامعة المصرية في الهلال الخامس من هذه السنة فلاح لي من مطالعتها انكم حططتم من قدر التعليم الثانوي في مصر ورفعتم شأنهُ في المدرسة الكلية الاميركية . فتجاوزتم الحقيقة في الحالتين على ما ارى . لا انكر ان التعليم الثانوي في مصر ينقصه علوم يجب ان تكون ضمن بروجرامه وأهمها الفيسيولوجيا وعلوم النبات والحيوان والفلك والفلسفة . ولكن هذه العلوم التي هي داخلة ضمن بروجرام الكلية لا تدرَّس فيها درساً كافياً . اعني أنها لا تعطى وقتاً لاستيعابها . مثلاً تنظرون من تلميذ بدرس الهندسة المبسطة (Plane) في ٤ او ٥ أشهر بمعدل ٤ ساعات في الاسبوع وهذا العلم يخصص له في مدارس مصر ٤ سنوات . وعلى هذا النمط يمكننا ان نقابل بين كثير من العلوم هنا وهناك . فترون ان الوقت في الكلية قصير يتعذر معهُ على التلميذ ان يتفهم تلك العلوم جيداً . وخلاصة ما ارى ان المدرسة الكلية تكثر من العلوم الطبيعية والرياضية ولا تعطيها الوقت الكافي . اما المدارس المصرية فعلومها أقل لكنها تعلم جيداً

(الهلال) لا يخفى عليكم ان المدارس التي تمنح البكلوريا لا يطلب منها التوسع في العلوم الطبيعية او الرياضية ولكنها تلقن التلامذة مبادىء هذه العلوم على الاجمال وتترك التوسع فيها للمطالعة بعد الخروج من المدرسة او ليتلقاها من أراد في المدارس الخاصة بكل فرع منها . فقضاء اربع سنوات في دراسة الهندسة البسيطة اسراف في الوقت . ولا نخالفكم ان خمسة اشهر لا تكفي لاستيفائها ولكن لما كان المراد الالمام بمبادىء العلوم حتى يستطيع التلميذ بعد خروجه من المدرسة ان يفهم ما يطالعه فيها فالكلية أحسنت بتوزيع الوقت على عدة علوم . وبدلاً من ان تضيع اربع سنوات في تعليم الهندسة

وتغفل اكثر العلوم الطبيعية كما تفعل المدارس المصرية قسمت تلك المدة بين عدة علوم · وطبيعي انها لا تقدران تتوسع في تعليمها كلها ولو ارادت ذلك لقضى التلميذ معظم شبابه في المدرسة · على أننا نرى تلامذة الكلية مع قصر مدة التدريس كما تقولون يخرجون وقد تفهموا ما القي عليهم — ولعل الفضل في ذلك لطريقة التعليم · وقد سبق أننا انتقدنا اساليب القاء الدروس في المدارس المصرية في مكان آخر من الهلال

## الدستور الفرنساوي

( ومنه )

واطلعت في الهلال الخامس نفسه على مقالة في تاريخ الحكومة الدستورية في فرنسا فرأيتكم لم تذكروا الا قسماً من ذلك التاريخ اي من سنة ١٨١٥ — ١٨٤٠ والدستور على ما اظن يبتدىء قبل هذا التاريخ · فالثورة الفرنساوية حركة دستورية محضة · وقد جاء في قاموس لاروس في هذا الصدد : « يبتدىء الدستور بفرنسا سنة ١٧٨٩ الا اذا اعتبرنا بعض المجتمعات التي كانت تسمى « برلمان » دستوراً غير انها كانت تحت سيطرة الملك يديرها كيفما شاء وقد توالى منذ سنة ١٧٨٩ الى الآن في فرنسا ثماني حكومات دستورية » فلماذا لم تذكروا الا قسماً من تاريخ الحكومة الدستورية في فرنسا؟

( الهلال ) ان البرلمان قديم في فرنسا لكنه لم يكن « دستورياً » بالمعنى المراد الآن اي انه لم يكن مؤلفاً من نواب تنتدبهم الامة للسيطرة على اعمال الحكومة وانما اعماله كانت تجري على رغبة الملك واغراضه كما ذكرتم · واما الثورة الفرنساوية فهي حركة سياسية في سبيل طلب الحرية ولم تنشىء دستوراً · واما قول لاروس ان الحكومة الدستورية تبدأ بفرنسا سنة ١٧٨٩ فقد اراد به الاجمال وهو لا يخالف الواقع فكل حركة في سبيل الحرية تعدُّ من قبيل الدستور · وانما أردنا بما كتبناه « في تاريخ الحكومة الدستورية » الدستور المنظم على الشكل المعروف



## صاحب الزنج

( سنقافورا ) الشيخ محمد سالم الكلالي

كيف استطاع صاحب الزنج محاربة جيوش بني العباس الضخمة . تلك المحاربة التي لم يفعل ما يقاربها من كان قبل صاحب الزنج من الفرس والعرب المستولين على تلك الاصقاع قبل الاسلام وفي صدره حتى اقتضى حرب الزنج اكثر من اربع عشرة سنة اي من سنة ٢٥٥ الى سنة ٢٧٠ﻫ مع ظلمهم وقلة عددهم وعددهم وانقطاع مددهم وصغر عقولهم بالنسبة لمن قبلهم

( الهلال ) اهم تلك الاسباب اختلال احوال الدولة العباسية بذهاب هيبة الخلفاء واستيلاء الاتراك والخدم على ازمة الامور وعجز الدولة عن استبقاء اعمالها تحت سلطانها . فلم يكد يدخل القرن الثالث حتى أخذت الولايات تستقل عن الخلافة والدولة لا تقوى على اخضاعها . فاقتدى الزنج بغيرهم واتخذوا التشيع للعلويين ذريعة للقيام وساعدهم على ذلك التنافر بين العصبيات المختلفة وسقوط شأن العرب وغير ذلك مما تراه مفصلاً في تاريخ التمدن الاسلامي . هذا ما حرأهم على القيام اما ما ساعدهم على الثبات بضع عشرة سنة فاستنصارهم العبيد والخدم وهؤلاء كانوا يقاسون الامرَّين من الذل والامتهان لكثرتهم وبخس اثمانهم . دعاهم ذلك الداعي للنهوض على أسيادهم ونهب الاموال فوافقوه فاجتمع له اباق العبيد والزنوج الذين كانوا يكسحون السباخ في ضواحي البصرة والكوفة وانضم اليهم سائر السودان فتركوا اسيادهم رغبة في النهب فحاربوا الدولة في وقائع كثيرة قتل فيها نحو ٢,٥٠٠,٠٠٠ نفس وكانوا يفعلون ذلك باسم الدعوة العلوية . وبما ان أساس قيامهم على النهب وما هم من اهل السيادة او السياسة انتهت ثورتهم بقتل زعيمهم وتبدد رجاله

---

## اعلى ما بلغ اليه ركاب الهواء

( المطرية دقهلية ) ح . ع . ج

قرأنا في الصفحة ٣١٧ من هلال هذه السنة ان الاستاذ مركدل صعد في مركبة هوائية فارتفع بها عن الارض ٢١,٨٠٠ متر وذكر الهلال ان هذا أعلى ما بلغ اليه البشر

في طبقات الجو الى الآن . فاكبرنا ذلك وكان بين الحضور طبيب يوناني فقال ان الانسان لا يجد الهواء صالحاً لحياته اذا ارتفع فوق الخمسة الآلاف من الامتار فاقولكم

( الهلال ) ذلك هو الواقع . والمراد بما ذكرناه في الصفحة المذكورة ان هزكل استطاع ارسال منطاده الى ذلك الارتفاع في الجو لا انه ركب فيه كما ورد هناك سهواً . فان الانسان يعجز عن الصعود الى اعلى جبال هملايا خوف الاختناق لخفة الهواء في علو لا يزيد على ستة آلاف متر فكيف الى بضعة وعشرين الف متر . ولكنهم يسيرون الارتفاع بآلة يضعونها في المنطاد فتبين علوه عن الارض من تلقاء نفسها كما يفعل البارومتر في تعيين علو الجبال وتسجل اعلى نقطة بلغ المنطاد اليها في اعالي الجو . وآخر ما جاء عن الارتفاع في الجو ان بعضهم اوصل منطاده الى علو ٢٩٠٠٠ متر

## دودة في حجر

( شبلنجة شرقية ) عبد الحميد افندي نصير

من اغرب ما رأينا ان احد الفلاحين كسر بلاطة فرنه فوجد داخلها ( دودة حية تسبح بحمد الله وشكره ) لونها احمر بلون البلاطة تماماً ولها داخل البلاطة مكان بحجمها تماماً طولها سبعة سنتيمترات ومحيطها سنتيمتر واحد . فاكبرنا قدرة الخالق سبحانه وتعالى فكيف عاشت هذه الدودة طول المدة وهي داخل البلاطة والنار فوقها وتحتها والفرن مستعد للخبز دائماً

( الهلال ) من شروط الابحاث الطبيعية ان تحقق وقوع الحادثة ثم نبحث عن اسبابها . ولا ينبغي لنا تصديق كل ما نسمعه ولا سيما اذا كان مخالفاً للنواميس الطبيعية . فالدودة لا تعيش تحت الوقود بل هي تموت تحت درجة الغليان ( ١٠٠ سنتكراد ) وقد ثبت بالتجارب الاخيرة على الديدان وامثالها من الحيوانات الدنيئة انها تموت على درجة ٤٥ سنتكراد ولكن بعضهم شاهد ديداناً عاشت في حرارة بين ٥٠ و ٦٩ درجة واعلى حرارة استطاعت هذه الاحياء احتمالها ٨١ درجة سنتكراد اي اقل من درجة الغليان كثيراً . وحرارة بلاطة الفرن تختلف عنها باختلاف قربها من النار او بعدها . وعلى كل حال فالحرارة في الفرن على اجماله تتجاوز درجة ٨١ فاما ان تكون البلاطة التي وجدت الدودة فيها بعيدة عن النار كثيراً او ان الرواية تحتاج الى تحقيق

المص

(البلك سوريا) سليم افندي رزق

حفرنا بئراً عمقها ١١ متراً فجاء ماؤها غزيراً واردنا نزحه فلم نفلح . فاذا وضع في البئر قسطل يمتد من اسفل البئر في الماء الى اعلاها ثم يمد الى مكان على بعد ٢٠٠ متر من البئر واوطأ من قاعها وسددنا فوهة القسطل المذكور ثم ملأناه ماء يتصل بماء البئر في قاعها . واذا فتحنا الفوهة المشار اليها ينصب الماء منها فهل يبقى جارياً بلا انقطاع

﴿ الهلال ﴾ نعم ولا يزال جارياً ما دام في البئر ماء بشرط ان يبقى القسطل مضبوطاً لا يدخله هواء . وهذا ما يعبر عنه في اصطلاح الطبيعيات بالمص

# غرائب الجراحة

## تبديل القلوب والكلى

هل اغرب على السمع وادعى الى الدهشة من قولهم « ان قلب فلان قد تعطل من حؤول او ضمور فابدله بقلب سليم » او « اصاب كليته التهاب حتى عجزت عن تأدية وظيفتها فابدلها بغيرها كما يبدل زنبلك الساعة ( الياي ) اذا تعطل ؟ » انها لامنية يتمناها الناس من قبيل تمني المستحيل و يتعللون بامكانها كما يتعللون باضغاث الاحلام . على ان بعض الاطباء يشتغل الآن بتجارب يرجون ان يتوصل بها الى هذه الغاية او ما يقرب منها . نعني الدكتور الكسيس كرل في معمل روكفلر بامركا . فقد نشرت مجلة مكلور الانكليزية تجاربه من هذا القبيل وهذه خلاصتها :

اهتم الدكتور كرل منذ كان طالباً في جامعة ليون باستخدام اعضاء الحيوانات السليمة للتعويض بها عن اعضاء عليلة في الانسان وكان يرى ذلك ممكناً . فجاء سنة ١٩٠٥ الى الولايات المتحدة باميركا وتعين في جامعة شيكاغو والحق في السنة التالية بمعمل روكفلر فاخذ يشتغل باخراج فكره المشار اليه الى حيز العمل . فاستنبط في خياطة الشرايين والاوردة طريقة جديدة بابرة رفيعة وخيوط حريرية دقيقة وبرع فيها حتى توصل الى قطع الاورطى ( الشريان الاكبر ) على مسافة قصيرة من القلب وخياطة بدقة بحيث يعود الى اصله وقد

جرب طريقته هذه في الحيوانات فاتى بالغرائب بنقل الاعضاء او بعض اجزائها من حيوان الى آخر. فنقل اورطى كلب وخاطه باورطى كلب آخر . وقطع اجزاء من جدران الاورطى في القطط والكلاب وخاطها في غير امكنتها بسهولة تحت البنج الثقيل . فكان ينبج الكلب تبنيجاً تاماً ويجري فيه ما يريده من قطع وخياطة والكلب لا يشعر بالم في اثناء العملية ولا بعدها والجروح تلتئم بسرعة ولا يحدث نزف او التهاب . فلا يلبث الكلب او الهر ان يفيق من البنج حتى يعدو ولا يدري ان دمه يجري في وعاء ليس له . وعند الدكتور كرل الآن هرة صحيحة الجسم شريانها السباتي منقول اليها من كلب له في منزله . ونقل قطعة شريان من ركبة احد الناس وخاطها في اورطى كلبه . ونقل بعض معاونيه قطعاً من شرايين الارانب والقطط الى الكلاب

واتصل بتجاربه المذكورة الى استخدام الاوردة في « ترقيع » الشرايين لان الشرايين اذا تعطل احدها واريد ابداله بشريان اخر لايتأتى ذلك اذ لا يمكن الاستغناء عن شيء منها بدون خطر على الحياة . بخلاف الاوردة فان منها جانباً كبيراً يمكن الاستغناء عنه بسهولة « فيرقع » به ما تعطل من الشرايين . فترقيع الشرايين على هذه الصورة يرى الدكتور كرل انها قد تعيد الحياة الى الميت — قال صاحب المقالة :

« يعترف الاكثرون منا ان القلوب والكلى يمكن اعادة الحياة اليها بحيث ترجع الى عملها بعد ان تكون قد توقفت ومات اصحابها . فاذا استطعنا نقلها وغرسها حالاً في جسم حيٍّ يمكن رجوعها الى عملها . وهذه حقيقة طبية ثابتة فقد استخرجوا قلباً بعد موت صاحبه بثلاثين ساعة واعادوا اليه عمله ( الانقباض والانبساط ) ونقل الدكتور كرل قلب احد الكلاب ووضعه في عنق كلب آخر ووصل بين اورطي القلب المنقول وشريان السباتي من هذا الكلب بالخياطة الرفيعة . وكذلك بين الوريد الاجوف والوريد الوداجي فاصبح الكلب وله قلبان يشتغلان معاً احدهما ينبض ٨٨ نبضة في الدقيقة والآخر ينبض مئة نبضة !

« وعند الدكتور كرل صندوق مبرد في الجليد يختزن فيه قطعاً من الشرايين والاوردة لاستخدامها في « الترقيع » عند الحاجة . وقد استخدم بعضها لهذه الغاية بعد حفظها ثلاثين يوماً في ذلك الصندوق فأتت بالغرض المطلوب كانها قطعت بالامس . كأن الطبيعة تترك بذلك فترة للانسان يفرق فيها بين موت الشخص وموت اعضائه — اذ قد يموت الانسان واكثر اعضائه سليمة كأن يموت من علة في القلب وتكون كبده وكليتاه سليمة او يموت بعلة الكبد وقلبه سليم . فاذا نُزعت الاعضاء السليمة ساعة الموت يمكن حفظها في

الجليد مدة طويلة لحين الحاجة

« وقد تظهر القلوب او قطع الشرايين المختزنة في الجليد ذابلة جافة ولكنها حالما توصل بالحيوان الحي تعود الى الحياة . وربما صاحبها الاول قد صارت ترابا »

ويرى الدكتور كرل ان دفن الميت برمته اسراف والاولى في اعتباره ان تحول المدافن الى مخازن مجلدة تحفظ فيها الاعضاء السليمة بعد موت اصحابها . وقد اخذ في الاقتناع من تجاربه فعلاً فشفي بعض فقراء الدم من الانيميا الضعفية بنقل الدم الى احد شرايينهم من شريان بعض الاصحاء . و يتوقع ان يشفي الانورزما بابدال الشرايين المتهرئة فيها بشرايين سليمة

ولا يزال الدكتور المشار اليه يشتغل بهذه التجارب النافعة في معمل روكفلر ومعه المعاونون والتلامذة . واكثر تجاربه على القطط والارانب والكلاب ولا يشعر حيوان منها بأذى لانه يجري التجارب عليها بعد التبنيج . واذا مات احدها فيموت مبنجاً فلا يشعر بالالم ويذهب ضحية في خدمة النوع الانساني



# مجلس المبعوثان

## بالنظر الى لغات اعضائه ومذاهبهم الدينية وآرائهم السياسية

كتب سانتو سيمو احد كبار الكتاب الذين خبروا احوال تركيا وله معرفة جيدة باحوال البرلمان العثماني مقالة وصف فيها اعضاء مجلس المبعوثان من حيث اللغة والدين والآراء السياسية ـ وخلاصة ذلك ان عددهم ٢٦٠ عضواً يقسمون بالنظر الى اللغات او الاجناس على هذه الصورة :

| | عدد | |
|---|---|---|
| اتراك | ١١٩ | عضواً كلهم مسلمون |
| عرب | ٧٢ | وصل منهم ٤١ عضواً كلهم مسلمون الا واحداً مسيحيا ( البستاني ) |
| يونان | ٢٣ | كلهم مسيحيون ارثوذكسيون |
| الباتيون | ١٥ | « مسلمون |
| ارمن | ١٠ | « مسيحيون غريغوريون |

| | | |
|---|---|---|
| اكراد | ٨ | كلهم مسلمون |
| اسبانيول | ٤ | « يهود |
| بلغار | ٤ | « مسيحيون ارثوذكس |
| صرب | ٣ | « « « |
| فلاخ | ٢ | « « « |
| الجملة | ٢٦٠ | |

واما النسبة من حيث الاديان فعلى هذه الصورة :

| | | |
|---|---|---|
| مسلمون | ٢١٤ | |
| مسيحيون | ٤٢ | كلهم روم ارثوذكس وارمن الأ واحداً كاثوليكياً ( البستاني ) |
| يهود | ٤ | |

وذكر الكاتب الاسباب التي دعت الى قلة الاعضاء المسيحيين مع استحقاقهم لعدد كبير من النواب واهمها انقسامهم عند الانتخاب وتكثير المرشحين فتبددت الاصوات

واما الاحزاب السياسية فاعترف الموسيو صانتو ان الحكم بوجودها بعد تسرعاً اذ لم تختمر الاراء بعد . ولكنه قسمهم الى قسمين اجماليين بالنظر الى خطة الادارة في الحكومة وهما المركزيون واللامركزيون . ويراد بالمركزيين الذين يرون اتحاد الولايات العثمانية تحت سلطة مركزية واحدة . وعكس ذلك اللامركزيون فانهم يرون ان تستقل كل ولاية باحكامها الداخلية وتبقى علاقتها بالمركز الرئيسي علاقة سياسية كما هو الحال في مقاطعات المانيا والولايات المتحدة

وحزب المركزيين اكثرهم اتراك وكان لجمعية الاتحاد والترقي يدٌ في انتخابهم . وكان عددهم اولاً ١٥٢ عضواً ومقدامهم احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان

واللامركزيون لا يزيد عددهم على ٣٥ شخصاً ويسمون انفسهم « فرقة الاحرار » وما بقي من الاعضاء على الحياد . والظاهر ان اكثر اللامركزيين من غير الاتراك واكبر دعاة هذا الحزب البرنس صباح الدين . وقد اختلفوا في التعبير عن ذلك الاستقلال الاداري فصباح الدين يسميه « عدم مركزية » والاخرون من اللامركزيين يسمونه « مأذونية » ومعناها توسيع اختصاصات الولاة . وقد بالغ بعض المنتقدين في مراد صباح الدين من عدم المركزية فنسبه بعضهم الى رغبته في استقلال الولايات بعضها عن بعض وهذا غير مستطاع للاحوال الحاضرة ولا هو مراده . وقد اتهمه بعضهم بالغرض والمطامع ولا غرض له غير خدمة الدولة بما يظنه الانسب لمصلحتها

# كيف بدأ روكفلر بالعمل

روكفلر اغنى اغنياء اميركا اليوم وقد وقفنا له على مقالة في احدى المجلات الانكليزية بسط فيها نشأته الأولى وكيف تدرج الى الثروة . وخلاصة ذلك انه ولد سنة ۱۸۳۹ في بيت حقير بناه ابوه قبل ذلك باعوام . وكان يحمل منذ حداثته دفترًا يدون فيه ما يدخل عليه او يخرج من يده او ما يمر به قال « اضطررت وانا في السابعة او الثامنة من عمري ان اساعد والدتي في عملها فعهدت اليَّ دجاجات هنديات اتولى تغذيتها بقشدة اللبن . فكنت انصرف الى ذلك بكليتي وقد نجحت فبعت الدجاجات باثمان حسنة »

ترك روكفلر المدرسة وهو في السادسة عشرة من عمره ودخل المدرسة التجارية في كليفلاند اقام فيها بضعة اشهر تعلم بها مسك الدفاتر وخرج منها للبحث عن شغل يتعاطاه قال « قضيت عدة اسابيع وانا اطوف الاسواق اسأل التجار وارباب الحوانيت عن عمل اعمله فاستصغروني وابوا استخدامي ولاحظت في بعضهم الترفع عن مخاطبتي لصغر سني »

ووقع اخيرًا على رجل في كليفلاند وعده بالنظر في طلبه على ان يفكره مرة اخرى . ففرح روكفلر بهذا الوعد ولبث في الانتظار على مثل الجمر وقلبه يخفق لئلا تذهب تلك الفرصة من يده . ووفق أخيرًا الى الاشتغال في محل هيوت وتتل في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨٥٥ لكن مسألة الراتب او الاجرة لم يجر ذكرها قط فبعد انقضاء ثلاثة اشهر اعجب صحاب المحل بمهارته ومواظبته فدفعوا له عشرة جنيهات عن تلك المدة وعينوا له راتبًا مقداره خمسة جنيهات في الشهر ولم تنقض السنة الأولى من خدمته حتى استلم دفاتر المحل وصار راتبه مئة جنيه في السنة ثم صار في السنة التالية ١٦٠ جنيهًا . وابت نفسه البقاء في الخدمة فاتفق مع شاب آخر اسمه كلارك على عمل يشتركان فيه رأس ماله ۸۰۰ جنيه على كل منهما نصفها ولم يكن مع روكفلر الا ١٤٠ جنيهًا اقتصدها من راتبه واقترض باقي النصف من ابيه بفائدة عشرة في المئة . فانجز هذا المحل في السنة الاولى اشغالاً تساوي ١٥٠٠٠٠ جنيه فاضطر الى اقتراض ٤٠٠ جنيه اخرى من البنك . وزاد نشاطًا على العمل فخرج سائحًا يتجول عن المحل فصادف نجاحًا باهرًا ولم تنقض تلك السنة حتى اصبحا لا يستطيعان القيام بتلك الاعمال لكثرتها الان مبيعات المحل زادت فيها على نصف مليون جنيه واخذ يتفنن في اساليب الكسب من ذلك الحين حتى بلغ الى ثروته المشهورة

# باب الأخبار العلمية

(ثروة انكلترا) وضع بعضهم تقريراً عن ثروة انكلترا بالنظر الى سكانها وتوزع الاموال بينهم فكانت خلاصة ذلك ان جملة ثروتها ١١,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه منها ١٠,٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه ا ٥,٠٠٠,٠٠٠ نفس فقط والباقي ٦٠٠,٠٠٠,٠٠٠ جنيه يملكه سائر اهل المملكة وهم ثمانية اضعاف هؤلاء اي ٣٩,٠٠٠,٠٠٠ نفس وبعبارة أخرى ان ٩٥ في المئة من ثروة بلاد الانكليز في قبضة تسع سكانها والخمسة في المئة الباقية تملكها الثمانية الاتساع الباقية

(مكاتب المانيا) يؤخذ من احدث الاحصاءات عن خزائن الكتب في المانيا ان في مكتبة برلين ١,٣٣٠,٠٠٠ مجلد وفي مكتبة مونيخ ١,١١٠,٠٠٠ مجلد وفي ستراسبورج ٩٠٠,٠٠٠ مجلد وفي غوتنجن ٥٣٦,٩٠٠ وفي ليبسك ٥٠٠,٠٠٠ مجلد

(جامعة باريس) يظهر من آخر تقرير لهذه الجامعة ان عدد الاساتذة فيها ٢٨٥ استاذاً منهم ٤٣ في كلية الحقوق و٨٢ في كلية الطب و٦٢ في القسم العلمي و٧٨ في القسم الادبي والباقي في اماكن أخرى

ويؤخذ من احصاء تلامذة هذه الجامعة ان عدد الطلبة في العام الماضي بلغ ١٦,٦٠٩ منهم ٢,٣٧٩ طالباً اجنبياً . ويقسمون باعتبار العلوم التي يتلقونها على هذه الصورة:

| | |
|---|---|
| ٧,٤٨٢ | في الحقوق |
| ٣,٣٣٠ | في الطب |
| ٢,٦٠٧ | في العلوم |
| ٢,٩٤٩ | في الاداب |
| ١,٠٠١ | في الصيدلة |

واكثر الاجانب الذين يدخلون جامعة باريس يأتون من روسيا ورومانيا ومصر لدرس الحقوق . ومن روسيا وتركيا ورومانيا واليونان للطب . ومن روسيا فقط لاجل العلوم ومن روسيا والمانيا وانكلترا واميركا للاداب . ومن تركيا فقط لاجل الصيدلة

(احصاء الرسائل التلغرافية) يؤخذ من احصاء وضعته الحكومة الالمانية ان اكثر الدول تبادلاً للرسائل التلغرافية انكلترا ثم اميركا ثم فرنسا ثم المانيا . فقد بلغت الرسائل البرقية التي تبودلت في انكلترا العام الماضي ۹٤,۰۰۰,۰۰۰ رسالة . وبلغت في الولايات المتحدة ٦٥,٥۰۰,۰۰۰ وفي فرنسا ٥۸,۰۰۰,۰۰۰ وفي المانيا ٥۲,٥۰۰,۰۰۰ رسالة . وبلغت قيمة هذه الرسائل في انكلترا ۷٦,۲۳٥,۰۰۰ فرنك وفي الولايات المتحدة ۱٤۰,۰۰۰,۰۰۰ فرنك وفي المانيا ٤۱,٥۰۰,۰۰۰ فرنك وفي فرنسا ۳٦,٦۰۰,۰۰۰ فرنك

(صادر الكافور من فرموسا) بلغ مقدار الكافور الذي صدر من فرموسا لسنة ۱۹۰۷ نحو ٤,۱۲۲,۰۰۰ رطل منها ۲,٤٥۰,۰۰۰ رطل سافر عن طريق الهافر ولندن وهامبورج و ۱,٦۳٥,۰۰۰ رطل الى اميركا و ۳۳۳,۰۰۰ رطل نحو مدراس الهند

(الحركة الدائمة) لا يزال اصحاب الفراغ يشتغلون في اختراع الحركة الدائمة وبعبارة أخرى اختراع آلة اذا حركتها ظلت متحركة الى الابد . ويرى بعض العلماء استحالة هذا الاختراع كاستحالة قسمة الدائرة الى سبعة اقسام . ولكن الناس لا ينفكون عن التفكير في اختراع هذه الآلة وكثيرون يتوهمون بانفسهم الوصول الى المطلوب فيسجلون اختراعهم . وبلغ عدد الاختراعات المسجلة للحركة الدائمة في انكلترا وحدها ٥۷٦ اختراعاً في خمسين سنة

(اقمار المشتري) اكتشفوا للمشتري حتى الآن ثمانية اقمار تدور حوله كما يدور قمرنا حول ارضنا . ولكل منها دورة تختلف مدتها عن دورة الآخر

(توزيع البرودة بالانابيب) في البلاد المتمدنة كثير من وسائل الراحة او ضروريات الحياة او لوازم المدنية توزع على السكان بالانابيب او غيرها بثمن معين كتوزيع الماء وتوزيع الغاز او الكهربائية للانارة ولم يبق الا ان يوزعوا الحرارة والبرودة . واذا اعتبرنا غاز الانارة والمجاري الكهربائية من قبيل الحرارة الموزعة بقي توزيع البرودة على المنازل في اثناء حرارة الصيف . وقد وصلوا الى ذلك فعلاً في بعض مدائن اميركا مثل نيويورك وبوسطن وسانت لويس وبلطيمور وغيرها فانهم يستحضرون البرودة بواسطة الامونياك في مستودع عمومي يوزعون الامونياك منه على الطلاب في اوعية جامداً او سائلاً

(منجم للماس جديد) اكتشفوا منجماً جديداً للماس بجوار بوغاز لودرتس

(احصاء الصين) يؤخذ من احدث احصاء لسكان الصين ان عددهم ٤۳٤,۲۱٤,۰۰۰

نفس اي نحو ربع سكان الارض ليس بينهم من الاجانب الا ٦٩٫٨٥٢ نفساً

( ارتياد حضرموت واليمن ) من اشهى ثمار الدستور العثماني ان الجمعية الجغرافية الانكليزية قررت ارسال رحالة يرتاد مجاهل جزيرة العرب في اليمن وحضرموت ومايليها وهي امنية طالما تمنيناها لما نرجو كشفه من الاحافير والآثار التي تضيء طريقنا في تاريخ اسلافنا . وجدير بالاحرار العثمانيين ان يوفدوا وفداً عربياً للبحث والتنقيب هناك لانه يكون اقدر على التفاهم واقرب الى ثقة اهل تلك البلاد

✲ مملكة الميكسوس ✲ الميكسوس او ملوك الرعاة بمصر او الشاسو كما سميناهم في كتاب « العرب قبل الاسلام » من الدول العربيـة التي تولت مصر وضاعت اخبارها كما بينا ذلك في الكتاب المذكور . ولكن النقابين في الآثار المصرية وقعوا على آثار تدل على سعة مملكة هؤلاء العرب فقد كانت تمتد من الفرات في العراق الى الشلال الاول في النيل عند اصوان

✲ التليباتي وقراءة الافكار ✲ الفرق بين التليباتي وقراءة الافكار ان الاولى عبارة عن نقل الاحساس او العاطفة من نفس الى نفس . واما الثانية فيرادبها انتقال الافكار او الالفاظ او الصور من عقل الى عقل . قال صاحب مجلة سواستكا انه خبر الاثنين ومثال الاول انه كان جالساً ذات يوم فاحس بالم في رسغ قـدمه اليمنى ظهر بغتة على غير انتظار ثم علم ان امرأته اصابتها لطمة على رسغ قدمها المذكورة في تلك الساعة وهي بعيدة عنه . ومثال الثاني انه كان جالساً ذات يوم في مكتبه يشتغل في بعض الشؤون فاحس كأنه يسمع الفاظاً لم يفهم المراد بها لكنـه سمعها واضحة وكان في الغرفة معه كاتب مستغرق في عمله فتحول اليه وسأله هل خاطبه فاكد له انه لم يخاطبه ولكنه كان مشتغلاً في مسألة همته كثيراً . فقال له صاحب المجلة « سمعت هذه الالفاظ كأنها تهمس في أذني » وقالها له فقال الكاتب ان هذه الالفاظ قد تخيلتها في ذهني لكني لم انطق بها

✲ اسعار التمثيل في اوربا ✲ من ادلة رواج الادب في اوربا ارتفاع اجور الممثلين عندهم فمنهـم هري لودر اجرته ٨٠٠ جنيه في الاسبوع ويقتضي ٣٠ جنيهاً على كل دور شعري هزلي ينظمه . واجرة جاريك ١٠٠ جنيه عن الليلة الواحـدة . ويقتضي ارفن ١٢٠ جنيهاً وكوكلن ١٤٠ جنيهاً عن كل ليلة . وسارة برنار تقبض ٢٠٠ جنيه عن كل ليلة وقد قبض بادروسكي الممثل الروسي ٥٠٠ جنيه عن تمثيل ٢٠ دقيقة . وليتل تينش يقتضي ٥٠٠ جنيه في الاسبوع

﴿الخطوط الحديدية في اوربا﴾ بلغ مجموع الخطوط الحديدية في اوربا آخر العام الماضي ٣١٧,٦٥٤ كيلومترًا تقسم بين ممالكها على الصورة الآتية :

| عدد الكيلومترات | اسم المملكة | | |
|---|---|---|---|
| ٥٨,٣٥٨ | روسيا وفنلاند | ٤,٤٤٧ | سويسرا |
| ٥٨,٠٤٠ | المانيا | ٣,٤٤٦ | دنمارك |
| ٤٧,٨٢٣ | فرنسا | ٣,٢١٠ | رومانيا |
| ٤١,٦٠٥ | النمسا والمجر | ٣,١٦٧ | تركيا |
| ٣٧,١٥٠ | انكلترا | ٣,٠٧٧ | هولندا |
| ١٦,٥٩٦ | ايطاليا | ٢,٧١٩ | البورتغال |
| ١٤,٨٥٠ | اسبانيا | ٢,٥٨٦ | نروج |
| ١٣,٣٩٢ | اسوج | ١,٢٤١ | اليونان |
| ٤,٦٨٨ | البلجيك | ١,٢٣٢ | سائر الممالك الصغرى |
| | | ٣١٧,٦٥٤ | الجملة |

﴿حرارة طبقات الجو﴾ ظهر للمشتغلين بسبر اعالي الجو ان وراء الطبقات الهوائية الباردة طبقة حارة نوعًا وتبدأ الحرارة بالصعود بعد تجاوز ١١,٠٠٠ متر فوق سطح البحر

﴿ورق لا تحترق﴾ يصطنعون في بعض المعامل ورقًا من الياف القصب الهندي او اليوكالبتوس كثيبًا لا يخرقه الماء ولا يحترق ويمكن تنظيفه بالغسل. وتمزج الالياف قبل صنعها بقشور بعض انواع الشجر ويعالج المزيج في سائل قلوي ضعيف يغلى فيه ثم يمر عليه الماء النقي وبعد تمام المعالجة على اساليب لا محل لها هنا يصب على شكل الورق وقد يقلدون به الكاوتشوك

﴿معهد الراديوم في لندن﴾ انشأ ملك الانكليز معهدًا للراديوم في لندن الغرض منه البحث في خصائص هذا المعدن العجيب وتطبيقها على المنافع الصحية. وقد تبرع برأس مال هذا المعهد اثنان من كبار اهل الثروة وهما السر كاسل المشهور عندنا واللورد ايفاغ. ويتولى تدبير شؤونه لجنة من مشاهير العلماء ولا يخفى ان البحث في هذا المعدن انما يحول دونه غلاء ثمنه لان المليغرام الواحد منه يساوي ٤٠٠ فرنك

﴿ثمار التلغراف بلا سلك﴾ ذكرنا في غير هذا المكان استخدام التلغراف اللاسلكي في البواخر السابحة في الاتلانتيكي تتخابر فيما بينها ومع شواطىء اوربا واميركا لمبادلة اخبار الطقس وغيرها او الاستغاثة عند الحاجة. وقد ظهرت ثمرة هذا التلغراف بانقاذ

٧٦٠ شخصاً لولاه لذهبوا طعاماً للاسماك وذلك ان الباخرة «ريبوبليك» من شركة هوايت ستار اصطدمت وهي على مسافة ٢٧٠ ميلاً من نيويورك بالباخرة فلوريدا الايطالية واوشكت ان تغرق ولكن عامل التلغراف اللاسلكي فيها اسرع بجاش رابط الى الآلة واوصل خبر الخطر الى الاطراف فبلغ الى عدة بواخر في الاوقيانس الاطلانتيكي واسرعت لاسعافها فكانت الباخرة الفرنساوية لورين اول باخرة وصلتها الرسالة لكنها ادركت الباخرة بعد ان كانت «بلطيك» قد وصلتها واطلعت ركابها اليها في اثناء الليل والنوء شديد وحملتهم الى نيويورك اما الباخرة ريبوبليك فغرقت ولكن ركابها نجوا بفضل التلغراف اللاسلكي

﴿ شركة الكلاب الصحية ﴾ تألفت في فرنسا شركة غرضها تربية الكلاب على التفتيش عن الجرحى في ساحة الحرب

﴿ مستخرجات الذهب في العالم ﴾ بلغ مجموع ما استخرج من الذهب في العام الماضي مليارين و١٨١ مليوناً من الفرنكات اكثرها من الترانسفال فقيمة ما استخرج منها ٧٢٨ مليوناً تليها الولايات المتحدة ومجموع قيمة المستخرج منها ٤٨١ مليوناً ثم اوستراليا ٣٧١ مليوناً فروسيا ١٣٧ مليوناً من الفرنكات والباقي من البلاد الاخرى

﴿ نحو القطب الشمالي ﴾ يتأهب روالد اموندسن الرحالة النروجي لرحلة يخترق بها الاصقاع الشمالية على كيفية لم يسبق لها مثيل . وقد اخذ في اعداد ما يلزم لتكون رحلته جزيلة الفائدة

﴿ المركبات الهوائية في اميركا ﴾ قررت حكومة اميركا مبلغ مليونين ونصف مليون فرنك تدفعها جوائز لمن يسبق الى اتقان المركبات الهوائية

﴿ تجارة البيض في ازمير ﴾ بلغ مقدار البيض الصادر من ازمير العام الماضي ٢٦,٣٢٢,٣٧٢ بيضة ثمنها ١,٣٠١,٣٥٠ فرنكاً

﴿ التلفون بلا سلك في اميركا ﴾ يشتغل علماء اوربا واميركا في اتقان التلفون اللاسلكي وقد نجحوا في فرنسا وايطاليا والمانيا نجاحاً حسناً . واما في اميركا فقد كان النجاح اسرع فتوصلوا الى ايصال الاصوات بلا اسلاك الى مسافة ٣٢٠ كيلومترا ( بين برانتروك وجامايكا من ولاية نيويورك )

﴿ آهل مدن العالم ﴾ اكثر مدن العالم سكاناً لندن تليها نيويورك فباريس فغيرها على هذه الصورة :

| اسم المدينة | عدد سكانها | اسم المدينة | عدد سكانها |
|---|---|---|---|
| لندن | ٤,٧٩٥,٧٨٩ | طوكيو | ١,٥٨٧,٠٠٠ |
| نيويورك | ٤,١١٣,٠٠٠ | فيلادلفيا | ١,٤٤٢,٠٠٠ |
| باريس | ٢,٧٦٢,٠٠٠ | بطرسبرج | ١,٤٢٩,٠٠٠ |
| شيكاغو | ٢,٠٤٩,٠٠٠ | موسكو | ١,٣٥٩,٠٠ |
| برلين | ٢,٠٤٠,٠٠٠ | القسطنطينية | ١,٢٥٠,٠٠٠ |
| فينا | ٢,٠٠٠,٠٠٠ | | |

# مطبوعات جديدة

نقتصر في هذا الباب على ذكر ما يظهر حديثاً من الكتب او الجرائد او المجلات اعلاناً لظهورها ولا نتعرض لنقدها او تقريظها . واذا دعت الحال الى شيء من ذلك نشرناه في باب التقريظ وانتقاد الكتب

(١) الوطن او سلسترة : هي رواية تمثيلية تمثل المواطف القومية والوقائع الحربية تأليف المرحوم نامق كمال بك العثماني الحر وقد نقلها الى العربية الشيخ محيي الدين الخياط الكاتب المعروف في بيروت . وطبعت حديثاً على نفقة سليم افندي هاشم وكمال افندي بكداش وتطلب من المكاتب الشهيرة

(٢) مكنونات باريس : صدر الجزء التاسع من هذه الرواية في جملة سلسلة الفكاهات المصرية في جزئها الثالث والعشرين . وصدر معها في نفس الجزء القسم الاول من دهاء البوليس وكلاهما من تعريب الدكتور شدودي وتطلب الفكاهات المصرية من مكتبة التأليف في شارع عبد العزيز

(٣) تاريخ الحضارة : هو كتاب في ثلاثة مجلدات تأليف شارل سنيوبوس احد اساتذة كلية السوربون في باريس قد نقل الجزء الاول منه رصيفنا محمد افندي كرد علي صاحب المقتبس ونشره في كتاب على حدة ويطلب من حضرته في دمشق الشام

(٤) رسائل مصرية فرنساوية : هي الخطابات المخصوصة التي ارسلها المرحوم مصطفى كامل باشا في حياته الى مدام جوليت آدم الكاتبة الفرنسية الشهيرة . وقد نقلها الى العربية علي بك فهمي كامل شقيق الفقيد المرحوم وطبعها مع الاصل الفرنساوي في

كتاب صفحاته ٣٥٠ صفحة وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وسائر المكاتب

(٥) مصطفى كامل باشا : صدر الجزء السادس من هذا الكتاب المشتمل على ترجمة هذا الفقيد وفيه كثير من مقالاته وخطبه وثمنه خمسة غروش ويطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

جرائد ومجلات

(١) مجلة جمعية الحياة : هي مجلة دينية اجتماعية ادبية تصدر بمصر في منتصف كل شهر قمري بعناية جمعية الحياة بدل اشتراكها ٤٠ غرشاً بمصر و ١٥ فرنكاً في الخارج

(٢) العرفان : مجلة علمية ادبية اخلاقية اجتماعية تصدر في صيدا ( سوريا ) مرة في الشهر وهي اول جريدة صدرت فيها · لمنشئها احمد افندي عارف الزين بدل اشتراكها مجيدي واحد في صيدا وخمسة فرنكات في الخارج

(٣) النبراس : مجلة تبحث في العمران والاجتماع والعلم والادب والتاريخ والانتقاد والسياسة تصدر في بيروت مرة في الشهر لمنشئها ومحررها الشيخ مصطفى الغلاييني بدل اشتراكها ريال مجيدي في بيروت و٢٥ غرشاً مصرياً بمصر وثمانية فرنكات في الخارج وسنتها عشرة اشهر

(٤) حذام : جريدة سياسية عثمانية تصدر بمصر مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها يوسف حمدي بك يكن بدل اشتراكها ٦٠ غرشاً بمصر و٢٠ فرنكا في الخارج

(٥) المفيد : جريدة وطنية علمية سياسية تصدر في بيروت كل يوم لصاحبها عبد الغني افندي العريسي ورئيس تحريرها حسن بك بيهم بدل اشتراكها ٤ ريالات في بيروت وليرة عثمانية في الخارج

(٥) المرج : جريدة سياسية ادبية اقتصادية تصدر في جديدة مرجعيون ( سوريا ) مرة في الاسبوع وهي اول جريدة صدرت في ذلك البلد لصاحبيها الدكتور اسعد رحال صاحب الامتياز ودانيال افندي زعرب مديرها المسئول بدل اشتراكها مجيديان ونصف في الولايات العثمانية ونصف ليرة انكليزية في الخارج

(٦) دمشق : جريدة تخدم الامة والوطن والمنافع العمومية تصدر في دمشق الشام كل يوم لمؤسسيها الافندية سليم هاشم وتوفيق الحلبي ومسلم عابدين بدل اشتراكها ليرة عثمانية في البلاد العثمانية و٢٥ فرنكا في الخارج



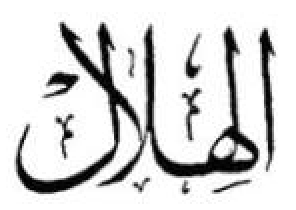
# العدد السابع

أول ابريل سنة ١٩٠٦ م

اقا صيد حسن تقي زاده

نائب رئيس انجمن ايالة تبريز واحد زعماء الحزب الدستوري في ايران






الجزء السابع من السنة السابعة عشرة

١ افريل ( نيسان ) ١٩٠٩ و ١٠ ربيع اول سنة ١٣٢٦

# أشهر الحوادث وأعظم الرجال

## الدستور الفارسي

### تاريخه

ان اول دولة اسلامية اعلنت الدستور الدولة العثمانية سنة ١٨٧٦ تليها الدولة الفارسية اعلنته سنة ١٩٠٦ وكما تعطل دستور العثمانيين بعد سنة وبعض السنة تعطل الدستور الفارسي بعد نحو تلك المدة . ولا يزال الفارسيون يجاهدون في سبيل استرجاعه ويبذلون اموالهم وارواحهم ويقاسون الاضطهاد من اجله كما تقرأ في صحف الاخبار . فعسى ان يوفقوا الى اعادته كما وُفق العثمانيون الى اعادة دستورهم . وان يكون ذلك بعد فترة اقصر من الفترة التي اضطر العثمانيون لانتظارها . وسبق الدستور الفارسي نهضة سياسية لها تاريخ يحسن ايراده . وتلا اعلانه وتعطيله حوادث غريبة لا يخلو ذكرها من عبرة . وقد عني بهذا الموضوع ووفاه حقه من الدرس صديقنا الدكتور براون المستشرق الانكليزي الشهير محب

الفرس وصاحب الباع الطولى في تاريخهم وآدابهم ولغتهم . وقد كتب في الدستور الفارسي كتاباً بالانكليزية في نيف ومئة صفحة رأينا تلخيصه لقراء الهلال بتصرف قليل على ما يقتضيه المقام قال :

النهضة السياسية في بلاد فارس

تبدأ نهضة الفرس لطلب الاصلاح منذ ثلاثين سنة على الاقل ـ كأنها شرارة من شعلة الدستور العثماني . فاخذ الايرانيون يتحدثون في الاصلاح والمساواة والحرية الشخصية والفضل الاول في بث هذه الروح بينهم لرجلين احدهما يعرفه المصريون ويعترفون بفضله في نهضتهم نعني السيد جمال الدين الافغاني [١] والثاني البرنس ملكوم خان سفير ايران في لندن من سنة ١٨٧٢ — ١٨٨٩ ( توفي في يوليو من السنة الماضية )

واول ظواهر هذه النهضة السياسية اعتراض الايرانيين سنة ١٨٩١ على منح حكومتهم احتكار التبغ الفارسي لشركة انكليزية فاحتجوا على هذا العمل لانه يخالف مصلحة الوطن . قام بالمطالبة عنهم جماعة الفقهاء ( الملاَّ ) والمجتهدين ( الأئمة ) وصاحوا بصوت واحد انهم لا يقبلون بذلك الاحتكار لان عقد امثاله يعود على البلاد بالخراب . اذ لا تلبث ان تصير تجارتها وسياستها الى الاجانب . وقد ثبت الفقهاء في مطاليبهم وعضدهم الاهلون باصواتهم فاضطرت الحكومة الى موافقتهم . فآل ذلك طبعاً الى زيادة الائتلاف بين الشعب وفقهائهم . لكنه اوجب خسارة الحكومة لانها دفعت نصف مليون جنيه لاصحاب الاحتكار في مقابل تنازلهم عن حقوقهم فاضطرت ان تستدين ذلك المبلغ من البنك الفارسي بفائدة ٦ في المئة فاصبحت مدينة تدفع عن دينها ٣٠٠٠٠ جنيه في السنة . وبما ان الشركة التي قبضت ذلك التعويض انكليزية ومؤسسي البنك الذي سلفها ذلك المبلغ انكليز نشأ في قلوب الفرس نفور من الامة الانكليزية وتحوَّل النفوذ الى الروس وهم مناظرو الانكليز على ايران . واخذ الصدر الاعظم امين السلطان جانب روسيا وبالغ بتقربه منها وجاهر بعداوته للانكليز وما زال على هذا الى موته ( سنة ١٩٠٧ )

وكان من جملة عواقب النفور الذي تولد بسبب الاختلاف على الاحتكار المذكور مقتل الشاه ناصر الدين سنة ١٨٩٦ فخلفه ابنه المرحوم مظفر الدين شاه الى سنة ١٩٠٧ اي نحو ١١ سنة تقهقرت في اثنائها احوال ايران وكثرت ديونها وتمكن الفقر من اهلها فزاد كرههم للدولة ونقمتهم على الظالمين . على ان الشاه المشار اليه كان من تباشير اعماله انه عزل الصدر الاعظم امين السلطان وعين مكانه امين الدولة وهو اكثر حباً لوطنه وحرصاً

---

(١) راجع ترجمته في كتابنا تراجم مشاهير الشرق ج ٢



امين السلطان

على مصلحة الامة . وعين نصير الملك ناظراً للمالية وهو من المثقفين محبي الاصلاح . لكنه لم يستطع عملاً لان الشاه اعتلت صحته فوصف له الاطباء السياحة في اوربا والاستحمام بمياه كونترا كسفيل فاحتاج الى الاموال فاراد امين الدولة ان يستدين مليون جنيه في لندن فلم يفلح فاستقال فخلفه مناظره امين السلطان سنة ١٨٩٨

التنازع على النفوذ بين روسيا وانكلترا

وكان امين السلطان قوي العزيمة وفيه ذكاء ودهاء لكنه لم يستخدمهما في مصلحة بلاده فقضى في الوزارة هذه المرة خمس سنوات ساق البلاد فيها الى الخراب وصارت الجمارك في ايامه بقبضة جماعة من البلجيكيين يتولون شؤونها في المملكة كلها . وتخلل ذلك قرض عقده مع روسيا سنة ١٩٠٠ بمبلغ ٢٢ مليون روبل ( او ٢٫٤٠٠٫٠٠٠ جنيه ) بضمانة دخل الجمارك في بلاد ايران ما عدا ولاية فارس وخليج العجم . ومن شروط هذا القرض ان يستهلك في ٧٥ سنة بفائدة خمسة في المئة وان يوفى من اصله القرض الاول الذي استقرضته حكومة الفرس من البنك الفارسي ( الانكليزي ) للتعويض على اصحاب احتكار التبغ . والغرض من ذلك كله ان تبقى روسيا هي الدائنة الوحيدة لبلاد ايران فتستقل بالنفوذ فيها .

ومع ذلك فان معظم هذه الاموال انفق على الشاه في رحلته . وهاج الشعب بطهران في اثناء غيابه وحدث شغب كثير طلباً للقوت وهو يتمتع بالاموال في باريس وبطرسبورج . و بلغت المنافسة بين روسيا وانكلترا على النفوذ معظمها سنة ١٩٠١ وانكلترا مشتغلة بالحروب في جنوبي افريقيا فاغتنم الروس اشتغالها وارسلوا سفينة لهم زارت بوشهر ومسقاط وبندر عباس ولنجه في خليج فارس لتلفت الانظار الى سلطانها . واتفق في اثناء ذلك فتح طريق سجستان من الهند تحت مناظرة الكبتن و بو ير . وعاد الاضطراب الى طهران وثار الشعب على الصدر الاعظم وطعنوا في وطنيته وانه يبيع البلاد الى الاجانب

وفي السنة التالية ( ١٩٠٢ ) عزمت حكومة الفرس على عقد قرض آخر مع روسيا مقداره مليون جنيه بفائدة ٤ في المئة فدارت المخابرة بشأنه واغتنمت روسيا تلك الفرصة فاشترطت مصادقة الفرس على انشاء طريق من جلفا الى قزوين بطريق تبريز فاجابوها . وعاد الشاه ثانية الى اوربا وجاء لندن قضى فيها اسبوعاً ومعه وزيره امين السلطان وهو اذ ذاك في ابان نفوذه وحكيم الملك التبريزي طبيب الشاه الخاص وصديقه وهو عاقل مخلص. وذهب الشاه لزيارة الملك ادوار وهو يرجو ان ينال منه وسام ربطة الساق فخاب رجاؤه واهداه الملك صورته فلم يقبلها وجاراه رجال حاشيته فلم يقبلوا الوسامات التي أمر لهم بها

وفي اوائل سنة ١٩٠٣ رأت انكلترا ان تكتسب قلب الشاه فاهدته وساماً حمله له وفدٌ الى طهران برئاسة الفيكونت داون ولم يعد داون من هذه المهمة حتى عقد مع الشاه وفاقاً تجارياً يقابل الوفاق التجاري المعقود مع روسيا لانه أضرّ بواردات انكلترا ولا سيما الشاي الهندي . فالتعريفة الجديدة غاظت الاهالي ونهض بعضهم للاحتجاج على الحكومة في طهران و يزد وتبريز وقبضوا في هذا البلد الاخير على مجتهد اتُّهم انه يدعو الى الثورة

واتفق ان اللورد كرزن زار خليج فارس في تلك السنة وقد اشتد النزاع بين امين السلطان وحكيم الملك وانتهى بموت هذا الاخير [1] في رشت واتهم امين السلطان بتسميمه فهاج العلماء والفقهاء في النجف وكربلاء عليه واتهموه بالكفر فاضطر الى الفرار من بلاده الى روسيا اقام فيها مدة ثم رحل الى الصين وغيرها واخيراً نزح الى اوربا فنزل سويسرا اقام فيها الى اوائل سنة ١٩٠٧ فدعي الى وطنه ومات فيه باوغسطس من تلك السنة . وكان قد خلفه عند فراره سنة ١٩٠٤ عين الدولة من الاسرة المالكة وهو جاهل متغطرس فكرهه الناس اشد من كرههم لسلفه تولى هو رئاسة الوزارة ووزارة الداخلية

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الهلال ص ١١٣ سنة ١٠



حكيم الملك

وتعين الموسيو ناوس البلجيكي وزيرًا للمين ومديرًا للجمارك وكانوا يكرهون هذا الاخير كرهاً شديداً واصيبت البلاد في تلك السنة بالهواء الاصفر واشتدت وطأة هذا الوباء في شيراز على الخصوص فامات نحو عشر اهلها · ومع ذلك فلم يكن اشد وطأة على الايرانيين من نتائج الحرب الروسية اليابانية التي انتشبت في اوائل تلك السنة لاشتغال روسيا بها عنهم ، وذهب الشاه في السنة التالية (١٩٠٥) الى لندن وبطرسبورج في نحو الزمن الذي عقد فيه السلم بين روسيا واليابان بعد ان غلبت الروس وفازت اليابان وانتعشت امال الشرقيين في استرداد مجدهم · وفي اواخر هذه السنة انف الفقهاء والتجار الايرانيون من استبداد ناوس وكان قد قبض على ست وزارات واصبحت اهم مرافق البلاد في يده · وساءهم ايضاً تصرف عين الدولة فثاروا والتجأوا الى المسجد في طهران جعلوه حرماً لهم · فاضطهدتهم الحكومة ففروا الى مزار شاه عبد العظم على اربعة اميال من طهران · ورافق ذلك سوء حكومة شجاع السلطنة ابن الشاه في ولاية فارس وكان قد تولاها بعد ان اخرجه اهلها جبراً منذ سنتين · ناهيك بظلم آصاف الدولة في مشهد ومن امثلة استبداده ان جماعة احتجوا على سوء حكومته واعتصموا في المسجد فامر رجاله باطلاق النار عليهم · فضلاً عن استخدام ظفر السلطنة الجلد في تعذيب كبير المجتهدين في كرمان حاج مرزا محمد رضا وعن جلد وزيرا كرم فقيهاً

آخر في قزوين وبضعة عشر تاجراً

فآل ذلك طبعاً الى زيادة حنق الفقهاء والتجار . واشتد غضب رجال الدين على الخصوص من صورة فوتوغرافية لمدوم الموسيو ناوس تزيا فيها بلباس الفقهاء وعليه العمامة

فلهذه الاسباب نهضت الامة الفارسية عن بكرة ابيها وظهر فيها الخطباء ودعاة الاصلاح وفي جملتهم السيد عبد الله والسيد محمد وصارا بعد ذلك من اكبر حماة الدستور بين الفقهاء والسيد جمال الدين الخطيب الكبير . على انهم لم يكونوا الى ذلك الحين يطلبون الدستور وانما كان همهم عزل عين الدولة وقد ضافرهم على عزله جماعة ظهر بعدئذ انهم من الد اعداء الدستور ولكنهم كانوا يكرهون هذا الرجل ويحبون اسقاطه وفي جملتهم امين السلطان فانه بذل ٦٠٠٠٠ جنيه في سبيل ذلك . ومحمد علي شاه الحالي وكان يومئذ ولي العهد وغيرهم فاجتمعت الاموال في ايدي الناهضين وتعززت احزابهم وحاول الشاه اقناعهم بالرجوع من شاه عبد العظيم الى طهران فلم يقبلوا فبعث اليهم امير بهادر في ٣٠ فارساً فعاد خائباً . فاكتفى الشاه بمنع الناس من اللحاق بهم ثم كتب اليهم بخط يده يعدهم بعزل عين الدولة اذا عادوا الى المدينة وانه يعلن المجالس العدلية وكان اعلانهما من جملة مطاليبهم

فعاد القوم الى طهران باحتفال عظيم واستقبلهم الشاه احسن استقبال لكنهم لبثوا ينتظرون نجاز وعده عبثاً فانه لم يعزل عين الدولة ولا اعلن العدلية وبالعكس انه زاد الناس ضيقاً واخذ في القبض على زعمائهم . فارسل القوزاق وغيرهم من الجند وبث الجواسيس في الشوارع ينقلون اليه اخبار الاحرار ومنع الناس من الخروج في الشوارع بعد الساعة الثالثة من الليل الى الفجر وجعل المدينة تحت الاحكام العسكرية . وكان الاحرار قد انشأوا معهدين سياسيين لخدمة مصلحة الامة يجتمعون فيهما احدهما « انجمن مخفي » ( الجمعية السرية ) والثاني « كتاب خانه ملي » ( المكتبة الاهلية ) لتثقيف اذهان الشبان في السياسة ومن مؤسسيها السيد نصر الله احد انصار الاصلاح وقد انتخب بعد اعلان الدستور نائباً عن طهران . ومن نصرائها ميرزا حسن رشدية الذي انشأ بعدئذ جريدة « نداء وطن » وميرزا اقا الاصفهاني انتخب بعدئذ نائباً عن تبريز . ومجد الاسلام الكرماني . فامر عين الدولة بابعاد الثلاثة الآخرين الى « قلعة نادري »

وفي اواخر فبراير سنة ١٩٠٦ وافق اول المحرم فاعاد الزعماء عبد الله ومحمد وجمال الدين وغيرهم النقمة على الحكومة فامر عين الدولة بابعاد جمال الدين الى قم فابعدوه والخطباء ما زالوا يخطبون فامر بالقبض على خطيب آخر اسمه الشيخ محمد واعظ فنصره جماعة كبيرة

وارادوا منع الجند من القبض عليه فحدث نزاع اصيب في اثنائه احد الفقهاء السيد حسين برصاصة فحمل الثائرون جثته وطافوا بها الشوارع وهم يندبون ويقرعون الصدور واجتمع جمهور كبير من الفقهاء ( الملا ) المعروفين بروضة خوان وجماعة من الطلبة والتجار والباعة والصناع والسوقة ولجأوا الى المسجد الجامع في وسط المدينة . واراد الجند منعهم من هذه المظاهرات فاطلقوا عليهم النار فقتلوا بضعة عشر رجلاً من جملتهم ملا اسمه السيد عبد الحميد فتفرقت العامة وخلت منهم الاسواق واحتلتها الجنود وكان ذلك في ٢١ يونيو سنة ١٩٠٦

والذين اعتصموا بالمسجد حوصروا فيه ثلاثة ايام حتى التمسوا الافراج على ان يبرحوا طهران الى قم فاذن لهم فخرجوا وتبعتهم الجماهير حتى وصلوا قم وسموا هذا الخروج « الهجرة الكبرى » واقفلت الاسواق فامر عين الدولة بفتحها وهدد اصحابها بنهبها ان لم يفتحوها

طلب الدستور ونيله

واخيراً توجه وفد ينوب عن كبار التجار والصيارف في طهران الى وكيل انكلترا في قلهك المستر جرانت دف وسألوه اذا لجأوا الى وكالة انكلترا في طهران هل تحميهم فاجابهم انها تفعل . فذهب بعضهم الى الوكالة البريطانية وتبعهم آخرون بالعشرات ثم بالمئات حتى بلغ عددهم ١٥٠٠٠ نفس رتبوا انفسهم جماعات حسب اصنافهم بقيم اهل كل صنف في فسطاط ولهم طعامهم وخفرهم وزينوا الفساطيط بالآيات والابيات واحسنوا الظن في الانكليز واحبوهم وخالطهم بعضهم واخذوا يسألونهم عن مجلس البارلمان وكيف يتألف وكيف ينتخب النواب ونحو ذلك لان مطالب الامة لم تبق محصورة في عزل عين الدولة وانشاء مجالس عدلية . لكنها شملت طلب الدستور وانشاء مجلس الامة واصروا على طلبها وانهم لا يرجعون ما لم ينالوها . فعظم ذلك على الشاه ورجاله لكنه لم يرَ بداً بعد المفاوضات والمخابرات من موافقة الامة على مطالبها فاصدر الفرمان باعلان الدستور في ٥ اغسطس سنة ١٩٠٦ فخرج معظم الاحرار من الوكالة البريطانية وبقي بعضهم شهرين آخرين اما الفقهاء المنفيون في قم فرجعوا الى العاصمة يخفرهم عضد الملك والحاج نظام الدولة فاستقبلوا في طهران احسن استقبال

وعمد زعماء الاصلاح حالاً الى مباشرة العمل فطلبوا قانون الانتخاب فصدر به امر خاص على يد لجنة انجزته في ٣٦ يوماً وصادق الشاه عليه . وكان من اعضاء هذه اللجنة مشير الدولة ومخبر السلطنة حفيد العالم الكبير رضا قولي خان وهو من عائلة عريقة في الحسب وكان لها شأن كبير في تلك الحركة الدستورية ولا سيما الاخوة الثلاثة صنيع الدولة ومخبر السلطنة ومخبر الملك — فلما تم قانون الانتخاب طبعوا منه ٥٠٠٠٠ نسخة فرقوها في الناس



مظفر الدين شاه اول من اعلن الدستور في ايران

وفي ٧ اكتوبر سنة ١٩٠٦ تم الانتخاب واجتمع مجلس الامة وباشر اعماله فعارض الحكومة في قرض ٤٠٠,٠٠٠ جنيه ارادت عقده مع انكلترا وروسيا على السواء على شروط لم تعلن جهاراً وانما اراد عقده الشاه ووزراؤه ففهم هؤلاء انهم لا يستطيعون استخدام المجلس لمصالحهم وانه انما يشتغل لمصلحة الامة

وكان اهل تبريز من اكثر الايرانيين رغبة في الدستور وهم يئنون تحت جور حاكمهم وهو يومئذ ولي العهد (الشاه الحالي) وقد اغل ايديهم عن السعي وتواطأ مع وصيه الروسي شبشال خان وياوره علي بك على تشكيل طغمة من الجواسيس مثل جواسيس تركيا في عصر الاستبداد فافضى الامر في ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٦ الى التجاء جماعة من الاهالي الى قنصلاتوا انكلترا واقفلت الحوانيت . وقام الناس ينكرون اعمال ولي العهد ويطالبون

الحكومة الدستورية فجاء الجواب بعد بضعة ايام من معتمد انكلترا في طهران ان الشاه اعلن الحكومة الدستورية فخرج الملتجئون من القنصلاتو والفوا جمعية سموها « جمعية النظار » لمراقبة الانتخابات التي لم تنته الا في ٢ نوفمبر من تلك السنة • وكان في جملة نواب تبريز السيد حسن بن تقي المعروف بتقي زاده وكان قد شخص الى طهران في ٣ سبتمبر وله شأن كبير في تاريخ الدستور (انظر رسمه في صدر هذا الهلال)

وحدث في أثناء الانتخابات وبعدها اضطرابات عديدة في الولايات ولا سيما في تبريز ورشت وشيراز واصفهان وزنجان وكان الاحرار اذا فشلوا لجأوا الى الوكالات الانكليزية او بيوت التلغراف حتى يفوزوا ولذلك اصبح نفوذ انكلترا في اعلى درجاته • وكانت الانتخابات تسير ببطء فينتخب نواب الولايات بالتدريج ويفدون على طهران واسبقهم في ذلك وكيل الرعايا نائب همدان ثم سيد تقي زاده نائب تبريز

اعمال مجلس النواب الفارسي

كان يجتمع المجلس في الاسابيع الاولى من تألفه في عمارة خورشد ثم انتقل الى قصر بهارستان • وقرروا استقدام المبعدين من نصراء الدستور فاستقدموا سعد الدولة من يزد وميرزا اقا من أصفهان والحاج ميرزا حسن رشدية ومجد الاسلام من قلعة النادري

وأهم المواضيع التي شغلت المجلس في اول أمره سن القانون الاساسي وانشاء بنك اهلي • فاعدوا القانون الاساسي وصادق عليه الشاه آخر سنة ١٩٠٦ ووقع عليه ولي العهد وكان قد جاء طهران منذ بضعة اسابيع • اما مسألة البنك الاهلي فقروا على رأس المال اللازم له فاكتتب في نحو مئة كل منهم بخمسة آلاف طومان (الف جنيه) واكتتب بعضهم باكثر من ذلك واكتتب الفقراء حتى باع تلامذة المدارس كتبهم واكتتبوا باثمانها والنساء بعن حلاهن واكتتبن • فبلغ المال المكتتب به نحو مليون طومان في طهران وحدها ووعدت تبريز بمليون آخر منها ومن سائر اذربيجان • ولكن الشاه اشترط للمصادقة على ذلك المشروع انشاء قرض قيمته ٢,٠٠٠,٠٠٠ طومان • ووضع الانكليز والروسيون المقيمون هناك عقبات أخرى في طريق هذا العمل لان ظهور بنك أهلي رأسماله ستة ملايين طومان يوقف حركات اعمالهم حتى يضطروا للانسحاب من ايران

وتوفي مظفر الدين شاه في ٤ يناير سنة ١٩٠٧ وخلفه ابنه محمد علي شاه الحالي ومن اول ادلة كرهه للدستور واهله انه لم يدعُ مجلس الامة لحضور الاحتفال بتتويجه فشق ذلك على الامة • وزاد غضبها لما رفضت الوزارة حضور جلسات البرلمان • واشترك

المتملقون من الحكام في نصرة الشاه ووزارته على الدستور واهله فاخفقوا في مقاومة الانتخابات • ووصل نواب تبريز السبعة في ٧ فبراير الى طهران فقوبلوا بالترحاب والاحتفاء وفي أثناء ذلك رفع المجلس الى الشاه أموراً يطلب مصادقته عليها وهي : اولاً ملحق للقانون الاساسي ثانياً الاعلان بان ايران اصبحت دولة دستورية ثالثاً عزل الموسيو ناوس البلجيكي رابعاً منع الاجانب من تولي الوزارة في ايران — رفع النواب مطالبهم هذه الى الشاه وطلبوا الجواب عليها في خمسة ايام فماطلهم ثم وافقهم وعاد المجلس الى أعماله

عزل الموسيو ناوس في ١٠ فبراير وتعينت لجنة اشتغلت في وضع الملحق شهرين ومن اعضائها سعد الدولة وامين الضرب والسيد نصر الله وتقي زاده ومستشار الدولة • ثم رفعوه الى الشاه فلم يصادق عليه الا بعد اشهر ( في اكتوبر سنة ١٩٠٧ )

وفي مارس سنة ١٩٠٧ تقرر الغاء منصب الصدر الاعظم فاستقال نصر الله خان منه وتشكلت وزارة جديدة برئاسة سلطان علي خان ( وزير افخم ) • والوزراء يلقبون على هذه الصورة (١) فرمان فرما ( وزير العدلية ) (٢) علاء السلطنة ( وزير الخارجية ) (٣) نائب السلطنة (وزير الحربية ) (٤) نصير الملك ( وزير المالية ) (٥) مهندس الممالك ( وزير النافعة ) • وتقسمت الاعمال على الوزراء واصبح كل منهم مسئولاً عن وزارته • وكان لدى مجلس الامة في الشهرين الاولين من تألفه ست مسائل هامة (١) مسح المملكة ٢) انشاء بنك اهلي (٣) تنظيم مجالس البلديات وقوانينها (٤) قوانين المجالس الفرعية في الولايات (٥) قانون المطبوعات (٦) تحديد اعمال الولاة والحكام • واهم الحوادث التي جرت في أثناء ذلك ان ولاة فارس والعراق واصفهان ابوا الاعتراف بالنظام الدستوري فاشتغل المجلس باقناعهم

مقاومة الدستور

وفي نحو هذا الزمن بدأ نصراء الاستبداد في مقاومة الاصلاح شرع بذلك اكبر شاه و( روضه خوان ) والسيد محمد وشيخ زين الدين زنجاني وستة آخرون من ضعفاء الفقهاء انحازوا الى حزب التقهقر • فألف هؤلاء عصابة لجأت الى شاه عبد العظيم كما فعل طلاب الاصلاح من قبل وأنشأوا جمعية ضموا اليها كثيرين من الفقهاء ( الملا ) والطلبة • ويؤكدون ان الشاه كان ينفق عليها ويساعدها بالمال والطعام لكنها لم تات عملاً يذكر لان دعاة الاصلاح غلبوا وتأيدوا على الخصوص لانهم نجحوا بعزل الموسيو ناوس •

وتشكلت وزارة رئيسها نصر الله خان مشير الدولة واخذوا باستئصال الولاة الباقين من عصر الاستبداد كاصاف الدولة من خراسان و نصر السلطنة من تنكابون والحيج خماني وهو فقيه ذو ثروة وقوة من رشت . واخيراً ظل السلطان عم الشاه من اصفهان وقد عزل هذا الاخير بطلب ٣,٠٠٠ من الاصفهانيين لجأوا الى الوكالة البريطانية واستجدوها وبث آخرون الى المجلس في طهران يستغيثون به ثم الفوا اندية لمراقبة احوال بلدهم وفعل نحو ذلك اكثر الولايات لجمع الكلمة اشهرها نادي شيراز وجيلان وكان لها تاثير في نصرة الاصلاح وجمع كلمة العقلاء وترقية اذهان الشبان بالتعليم والتدريب على الحرية الشخصية

وبعد اسبوعين ( في اواخر مارس سنة ١٩٠٧ ) قبض الاهالي قرب تبريز على اسلحة فيها ١٠,٠٠٠ بندقية روسية وذخائرها كان الشاه يحاول نقلها الى طهران وقد نبههم الى ذلك رغبة الشاه في قتل رئيس لجنة اذربيجان الحاج مهدي بدسيسة فراش باشي فازداد سوء ظنهم به

وفي ١٩ ابريل بعث الشاه الى امين السلطان استقدمه من منفاه فنزل رشت فاراد اهلها منعه من المسير الى طهران غيظاً مما لاقاه من احتفاء روسيا به في اثناء ابعاده لكن مجلس الامه اذن بمروره تجنباً لمعاداة الشاه . فلما وصل الى طهران عينه رئيساً للوزارة . وفي اواخر مايو شاع ان في عزم الشاه ارسال عشرة آلاف فارس بقيادة رحيم خان على تبريز لالغاء الدستور في تلك المدينة الحرة وأخذ ابنه وهو ذاهب من قارجاداغ يقتل وينهب . ولم يزد عدد الذين قتلهم على خمسين نفساً ولكنه سبب قلقاً عظيماً فاحتج مجلس الامة على عمله وطلب من الشاه محاكمة رحيم خان فاضطر الى الطاعة فحكم عليه بالسجن ثمانية اشهر وقبض على ابنه ايضاً وسيق اسيراً الى تبريز

وفي يونيو منها حدث شغب في كرمانشاه وتبريز وماكو وخوي واهم من ذلك كله قيام اخي الشاه سالار الدولة في الغرب فحاربوه في نهاوند وقبضوا عليه وسلموه الى ظهير الدولة فساقه الى طهران تحت الحفظ لكنه لم يقاصص . وفي يوليو أتم المجلس سنته الأولى فاحتفلوا بعيد الثانية في ٢٥ منه احتفالاً باهراً حضره ١٠٠,٠٠٠ نفس وتليت فيه الخطب ومدت الموائد ولم يكن الشاه حاضراً . وفي الشهر التالي بعثت روسيا مذكرة الى المجلس تشكو فيها من القلاقل في ايران وانها اذا لم يستتب الامن تضطر للمداخلة رغبة في الامن العام ! . فلم يعبأ المجلس بقولها ولا وافقها على هذه اللهجة احد من العقلاء . ووافق ذلك ايضاً تجاوز

الاكراد العثمانيين حدود المملكة ولم يحدث عنه كبير ضرر

وانما اضرَّ المجلس نهوض حزب التقهقر. بدأ بهذا النهوض فضل الله في يوليو سنة ١٩٠٧ غضباً لنفسه بسبب مالحقه من الاهانة في مجلس الامة لانه سعى في اعادة حشمة الملك حاكماً على قانون ولم ينجح . فلما انكشف سعيه خرج من طهران الى شاه عبد العظيم والتف حوله جمهور من حزب التقهقر واخذوا يدعون الى رفض الدستور ومقاومة اعمال مجلس الامة ولم يفلح فاضطر أخيراً الى مصالحة المجلس والرجوع الى طهران في اكتوبر

مقتل امين السلطان

واهم الحوادث التي تقدمت الحالة الحاضرة مقتل امين السلطان وعقد الوفاق الروسي الانكليزي في ٣١ اوغسطس سنة ١٩٠٧ وكانت الامة قد حنقت حنقاً شديداً على رجوع ذلك الوزير ثم رأته يسعى في عقد قرض فلما اوشك ان ينجح تربصوا له وقتلوه وهو خارج من مجلس الامة ومعه السيد عبد الله الطباطبائي الفقيه العالم المشهور . قتله صيرفي صغير اسمه عباس اقا التبريزي بطلق ناري ثم قتل نفسه . ووجدوا في جيبه تذكرة عليها اسمه ورقم ٤١ وهو نمرته في النادي الوطني (الفدائي) لانه عضو فيه ووجدوا معه سماً كان ينوي تناوله لو قبضوا عليه وجردوه من سلاحه . واستعد عباس اقا المذكور لهذا العمل منذ ايام . وذكروا انه ذهب الى مصور فوتوغرافي طلب اليه ان يصوره فلما اتم الصورة قال له « احتفظ بهذا الرسم انه سيطلب منك بكثرة بعد ايام قلائل » وكان له اخ اسمه حسن اقا شاركه في السعي وكان حاضراً القتل وفرّ الى تبريز ثم قتل نفسه فيها . واصبح اسم عباس اقا في جملة ابطال التاريخ الذين بذلوا حياتهم في سبيل بلادهم . وجعلوا قبره موقفاً للخطباء ومنشداً للشعراء ولكن الشاه لما تغلب في ٢٣ يونيو سنة ١٩٠٨ امر بنسف ذلك القبر

الوفاق الروسي الانكليزي

اما الوفاق الروسي الانكليزي فلم يعلم مجلس الامة به الا في ٢٥ سبتمبر وخلاصته ان تقسم مملكة فارس الى ثلاثة اقسام قسم شمالي يكون النفوذ فيه لروسيا وقسم جنوبي شرقي لنفوذ انكلترا وقسم متوسط يبقى على الحياد . وتبدأ حدود القسم الشمالي من الغرب بقصر شيرين وتسير جنوباً شرقياً الى اصفهان ويزد وتشتمل عليها وعلى همدان وكرمانشاه ثم تدور شمالاً شرقياً بتون في خراسان الى ذو الفقار قرب حدود الافغان الروسية . واما نفوذ انكلترا فيحده خط يبدأ من بندر عباس ويسير شمالاً الى كرمان ويشتمل عليها ومن هناك شمالاً شرقياً الى برجند ومنها الى الحدود . واما الدولة الفارسية فلها ما بين ذلك

فلما اطلع المجلس على هذا الوفاق علموا ان المراد به اقتسام ايران بين جارتيها روسيا وانكلترا وبعد ان تنافستا عليها اتفقتا على اقتسامها ونالت روسيا الحظ الاوفر . ومع ذلك فقد صرحتا ان المراد بهذا الاقتسام حفظ استقلال ايران والمحافظة على سلامتها من تداخل الاجانب في شؤونها !

وفي سبتمبر المذكور انتخب احتشام السلطنة سفير ايران في برلين رئيساً لمجلس الامة بدلاً من صنيع الدولة لانه استقال . وتألفت وزارة جديدة برئاسة مشير السلطنة وحدث في ذلك الشهر ايضاً اضطراب في كرمان سببه استبداد نصرة الدولة حاكم البلد ابن فرمان فرما اذ امر رجاله ان يطلقوا النار على الناس فقتل منهم نحو ١١ نفساً . ورفع اعيان الامة وامراؤها خطاباً الى الشاه بتأييد مجلس الامة فاطاعهم واقسم اليمين على ذلك

وفي ١٤ اكتوبر سنة ١٩٠٧ استقال السير سسل رابس وكيل انكلترا في طهران مراعاة لصحته فخلفه المستر مارلن وعينت فرنسا الموسيو بيزو مستشاراً المالية ايران بطلب حكومة الفرس فاحسن خدمتها . وفتح الالمان في طهران مدرسة كلية دفع الامبراطور نصف نفقاتها والنصف الآخر من حكومة الفرس وبلغ عدد تلامذتها ٢٠٠ تلميذ

الميزانية الفارسية

وفي ٢٨ اكتوبر تألفت وزارة جديدة برئاسة نصير الملك وفيها مشير الدولة وصنيع الدولة واصاف الملك . وفي اوائل نوفمبر صدرت اول ميزانية فارسية بعد ان اشتغل في وضعها لجنة من كبار العلماء والماليين الايرانيين ستة اشهر وجعلوا نصب اعينهم ان يزيد الدخل على الخرج ولو قليلاً لان زيادة الخرج في الماضي اثقلت كاهل الدولة وكادت تذهب بها . ولزيادة الدخل لا بد من مسح الارضين وتعديل الضرائب وهي تفتقر الى وقت ومال ومساعدة الدول . فاشار نصير الملك بالتعويل على الاقتصاد في النفقة وهو ميسور في كثير من الابواب اولها باب رواتب الشاه واهله لان مظفر الدين الشاه السابق كان مشهوراً بالاسراف الكثير يهب ويمنح بلا حساب ولا سبب وخصوصاً لاهله ولا سيما لظل السلطان عم الشاه الحالي وشعاع السلطنة ابن عمه فجعل للاول ١٥٫٠٠٠ جنيه في العام والثاني ٢٣٫٠٠٠ جنيه . فاقترحت اللجنة ووافق المجلس على تخفيض كل منهما الى ٢٫٤٠٠ جنيه . ثم نظروا في الاقتصاد من ابواب أخرى تعرف في اصطلاحهم بالتيولات والتسعيرات وتفاوت العمل وغيرها وعدلت فيها او غيرتها مما يطول شرحه

وعلم مجلس الامة ان من جملة اسباب الاختلال تلاعب جباة الاموال في ما يجمعونه

من المال على الطريقة القديمة ولا يصل منه الى الخزينة أكثر من العشر فالف مجالس (انجمن) للولايات او بلدية لمراقبة ذلك ومنع الشطط فيه . ومما يحسن التنبيه اليه ان المجالس الفرعية (الانجمن) التي نشأت في ايران بعد الدستور ولها تأثير كبير في احوال ايران السياسية قسمان : احدهما رسمي والآخر غير رسمي فالمجالس الرسمية هي التي تقدم ذكرها واما غير الرسمية فيسمونها في اصطلاحهم مجامع وهي اشبه بالاندية وتختلف سبلها في خدمة الامة فبعضها للتثقيف والبعض الآخر للتآلف وغيرها للاعمال الخيرية . وفيها جانب كبير غرضها سياسي محض ولبعض هذه المجامع مدارس ليلية لتعليم الفقراء وتدريبهم على معرفة الحقوق والواجبات وبعضها لتطبيب الفقراء وتخفيف اثقال الحياة . والبعض الآخر اندية تلقى فيها الخطب السياسية ونبغ من بين القوم عدة خطباء شاع ذكرهم في العالم المتمدن منهم ملك المتكلمين وآقا السيد جمال الدين وغيرهما

ولنعد الى ميزانية الحكومة — فبالاقتصادات التي ادخلتها اللجنة على ميزانية الحكومة زاد الدخل ٢٣٠,٠٠٠ جنيه بعد ان كان العجز قبلاً ٥٧٠,٠٠٠ جنيه كأنها زادت الايراد ٨٠٠,٠٠٠ جنيه . وليست هي بالحقيقة زيادة في الايراد وانما هي تخفيض في النفقات . فبعد ان كان مجموعها ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه جعلوها ١,٢٠٠,٠٠٠ جنيه . اما الايراد فبقي ١,٤٣٠,٠٠٠ جنيه . فاستاء الشاه من هذا الاقتصاد لتقييد يديه عن النفقة وحصر حقه في ١٢٠,٠٠٠ جنيه ينفقها عليه وعلى حاشيته وقصوره بيوت السلطنة . فعزل كثيرين من رجاله واعوانه واعلمهم انه فعل ذلك « لان مجلس الامة قطع رواتبهم » يريد ان يثير نقمتهم فاجتمعوا في الجامع قرب بهارستان (محل اجتماع المجلس) وتظاهروا بالضوضاء وانهم ينوون شراً فاخذ المجلس الاحتياط لمنع ذلك فزاد التنافر بين المجلس والشاه رغم ذهابه لزيارة المجلس في ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٧ وتأكيده صدقه لهم باليمين وهي المرة الرابعة لهذا القسم على ما يظن

مجاهرة الشاه ضد الامة

وكثرت الاضطرابات في الجيش الايراني بطهران واهمها اختصام بين القوزاق والسلاح خورية انجلت عن مقتل بضعة من كل جانب . وحدث نحو ذلك في شيراز واستقالت وزارة نصير الملك لعجزها عن عزل امير بهادر جنك عن قيادة الجيش وهو من حزب التقهقر ولانها لم تستطع ادخال فرقة القوازق تحت احكام نظارة الحربية فاغتنم الشاه تلك الفرصة للشروع بما كان ينويه من الغاء الدستور والفتك باهله فاوعز الى بعض الغوغاء من اهالي

طهران برئاسة اثنين من زعماء الترسانة يسميان مقتدر نظام وصنيع حضرت فهجموا على بهارستان واطلقوا عليه النار والمجلس منعقد فيه فردهم خفر المجلس فرجعوا الى ميدان الطبخانة وتجمهروا وعلا الضجيج . فبعث الشاه الى نصير الملك وعلاء الدولة ومعين الدولة اخوي احتشام السلطنة وفي حال وصولهم امر بالحجر عليهم كل واحد في غرفة على حدة . وعلم احد اتباع نصير الملك سرًا ان الشاه ينوي قتل سيده فاسرع على جواده الى الوكالة البريطانية وشكا اليها ذلك فركب المستر تشرشل سكرتير الوكالة الى سراي الشاه وقابل الشاه وهدده اذا هو الحق اذى بنصير الملك كانت التبعة عليه لان نصير الملك نشأ في جامعة انكلترا وتشرف بوسامات انكليزية فاصبح الشاه يرتعد من الغضب وامر باحضار الرجل فاخذه تشرشل معه الى منزله وسافر في الغد الى اوربا

واما العامة والغوغاء فظلوا يتجمهرون ويهمون بالهجوم على بهارستان والمتطوعة نصراء المجلس من الجهة الاخرى وعددهم ثمانمائة بقيادة ظهير السلطان ابن عم الشاه واقفون للدفاع اذا رأوا من الغوغاء تعديًا على المجلس . وفي جملة المتطوعة جماعة من المتعلمين والادباء مثل جهانكير خان منشئ جريدة صور اسرافيل والسيد محمد رضا الشيرازي صاحب جريدة المساواة والجريدتان من خيرة الصحافة الفارسية نشرتا في عهد الدستور . وكان للمتطوعين نظام خاص لهم عمدة لتدبير شؤونهم يسمونها « ادارة الرئاسة » ومجلس للجيش اسمه « ادارة النظامي » ولجنة للنفقة والايراد وأخرى للمطبوعات . ظلت الثورة اسبوعين وكل من الجانبين واقف بالمرصاد واضطر الشاه أخيرًا للتساهل فبعث الى نصير الملك تلغرافًا يدعوه به الى ايران ان شاء ولم يأت . واستقدم علاء الدولة ومعين الدولة من منفاهما وبعث الى مجلس الامة مصحفًا مختومًا يجدد به يمينه للمحافظة على الدستور . وزاد على ذلك قوله « انه اذا اخلف هذه المرة كان مسئولاً امام الله والناس » فخطب السيد تقي زاده خطابين شائقين في اثناء هذه الحركة احدهما يوم هجوم الرعاع على المجلس واطلاق الرصاص عليه والآخر عند انقضاء الازمة وبين فى هذا الآخير القوة التي اكتسبها الشعب بالاتحاد وقال « يد الله مع الجماعة » والح عليهم ان ينسوا ما لاقوه في الايام والاخيرة ويزيلوا من اذهانهم كل شك اوسوء ظن وخطب ايضا السيد عبد الله البهبهاني

وسعى عضد الملك رئيس القاجار وشعاع السلطنة شقيق الشاه في تأييد الوفاق بين المجلس والشاه فاغتنما الاحتفال بالعيدين عيد الغدير وعيد الاضحى . واستقبل الشاه الوفد الذي اتى من النواب لمعايدته احسن استقبال . وعقب ذلك حادث اعاد النفور ( في اخر فبراير سنة ١٩٠٨ ) وذلك ان بعضهم رمى قنبلة على اتوموبيل الشاه فقتل سائقه وانفجرت

قنبلتان في اليوم التالي بقرب ذلك المكان فقتلتا رجلين ٠ فقبضت الحكومة على صاحب البيت الذي خرجت القنابل منه واسمه السيد غلام رضا من مرند وهو حداد واستنطقوه بلا فائدة ووقعت الشبهة على ثلاثة القوا القنابل وفروا ونجوا ٠ و بالطبع ان الشاه ورجاله اتهموا النواب بهذه الجريمة فا كد له هؤلاء صدق مودتهم وان الذين رموا القنابل من رجال وصي الشاه الروسي شبشال خان

التوسط في الصلح

وفي اوائل ابريل سنة ١٩٠٨ استقال احتشام السلطنة من رئاسة مجلس النواب وقد كرهه الاعضاء لانه عارض بعض الاصلاحات كتشكيل البوليس المحلي واطلاق حرية المطبوعات فخلفه مختار الدولة والعلائق بين المجلس والشاه لا تزال مشوشة وعضد الملك يسعى في التوفيق بينهما ٠ فاشترط الشاه للمصالحة ان تكف الصحف عن الطعن فيه واشترط المجلس عزل ستة يعتقدون انهم سبب سوء التفاهم بين الشاه وامته وهم امير بهادر جنك وشبشال خان ومفاخر الملك وامين الملك وموقر السلطنة ومجلل السلطان ٠ فوافق الشاه على هذا الطلب بشرط ان ينفذ المجلس مطالبه اولاً ٠ واتفقوا اخيرًا على العمل معاً فعين المجلس لجنة من جمال الدين وجهانكير خان والسيد محمد علي الشيرازي وغيرهم من النواب ارباب الادب والنفوذ لتعديل لهجة الصحف والخطباء عن الشاه اما هذا فابى عزل الستة المشار اليهم فنهض اعيان الامة واجبروه على الرضا فرضي في اول يونيو سنة ١٩٠٨ لكنه لم يبعد المعزولين عن طهران فاقام امير بهادر جنك في وكالة روسيا وظل شبشال خان يزور الشاه مع قائد القوزاق

وفي اليوم التالي اتحد سفير روسيا ووكيل انكلترا على التوسط في حل ذلك الخلاف ٠ و يؤخذ من رواية تقي زاده انهما تلفنا ( ارسلا تلغرافاً ) الى ناظر الخارجية مشير الملك بقدومهما اليه لان الحالة صارت تدعو الى القلق وطلبوا اليه ان يدعو الى المفاوضة ايضاً مختار الدولة رئيس المجلس وعضد الملك فلم يأت هذان لان المخابرات يجب ان تكون على يد ناظر الخارجية ( في اوربا ) ٠ واجتمع السفيران بمشير الملك وطفق سفير الروس يهدد ناظر الخارجية وصرح له « ان حياة الشاه اصبحت في خطر ووجود امير بهادرجنك لازم لحمايتها وان اندية الحزب الوطني قد تجاوزت الحدود ٠ ولا غرض لها الا خلع الشاه فهذا لا يمكننا احتماله واذا وقع تضطر روسيا للمداخلة بموافقة انكلترا » وخرج السفيران من هناك وابلغا فحوى هذا الانذار الى سائر المراكز الرسمية

اما مشير الملك فحالما فارقه السفيران اسرع الى مجلس الامة وقص الحديث على الرئيس

وعلى السيد تقي زاده ومستشار الدولة النائبين عن تبريز وهما يخافان مداخلة الاجانب اكثر من سائر النواب فخافوا ان يأول تمسكهم الى ضياع بلادهم ففضلوا اعتلال الامة على موتها واقروا على الكف عن كل حركة عدوانية ضد الشاه

اما هذا فانه فرّ في ٣ يونيو خوفاً على حياته ونزل « باغ شاه » قصر الملك في ضواحي طهران ومعه فرقة من القوزاق قائدها الكولونل لياخوف ووصيه شبشال خان وابنه ولي العهد وعمره ١١ سنة . ولما استقر الشاه في قصره كتب الى مشير السلطنة رئيس الوزراء انه خرج لتبديل الهواء لا لغرض سياسي ولم يفد هذا القول لان الامة ثارت خواطرها وخافت على المجلس . فاجتمع حول بهارستان نحو الف من المتطوعة وجاهروا بسوء ظنهم وامروا باقفال الابواب وقبضوا على الذخائر واعلنوا خلع الشاه . واجتمع تقي زاده والحاج مرزا ابراهيم اقا مدير نادي مظفري وابواب النادي بجانب مدخل بهارستان فاستخدموه لاجتماع نواب الاندية واللجان والمجامع الوطنية من المدينة واطراف المملكة يلقون فيه الخطب يحرضون المتطوعة على نزع السلاح والتفرق اذ لا باعث لهذا القلق . فتفرق القوم وعادت السكينة

وفي ٤ يونيو ارسل الشاه الى عضد الملك ان يتوسط لدى الاعيان والاشراف بشأن بضعة عشر منهم كانوا الحوا في عزل شبشال خان وأن يرسلهم الى قصره « باغ شاه » للبحث في هذه المسألة فابى الاعيان الذهاب لاول وهلة لسوء ظنهم في الشاه فاقنعهم عضد الملك فذهبوا وفيهم البرنس جلال الدولة وعلاء الدولة ووزير همايون ومعتمد خاقان وسردار منصور ومعاون الدولة . فلما وصلوا الى القصر تفاوضوا مع الشاه ولما ارادوا الخروج قبض عليهم القوزاق وحجزوهم الا معتمد خاقان فانه تمكن من الفرار واسرع الى مجلس الامة فابلغهم ما وقع وكان المجلس مهتماً بتسكين خواطر الشعب وتخفيف لهجة الصحف والخطباء للمصالحة مع الشاه فلما بلغهم ذلك غضبوا وكتبوا يطلبون اطلاق الاسرى . وكان الشاه من الجهة الاخرى يحشد الرجال وقد قطع عن مجلس الامة كل المواصلات التلغرافية وغيرها بين طهران والولايات وعزل حاكم طهران وولى مكانه بعض رجاله واعلن انه ينوي استئصال بعض اهل الاذى في البلاد

وبعد بضعة ايام قبض الشاه على رئيس الاخوة بقزوين ميرزا سليمان خان ( وكان معاوناً لناظر الحربية ) لانه ساعد اهل الدستور باسلحة الدولة وسجنه في باغ شاه . واعلن الاحكام العسكرية وملأ المدينة بالفرسان القوزاق بقيادة الكونل لياخوف وجرد الاهلين من الاسلحة على قدر الطاقة . وبعث في ١١ يونيو ضابطاً و ٢٥ جندياً الى المجلس

بالبلاغ الاخير يقول اذا لم يتفرق المجتمعون في المسجد بعد ساعتين فرقهم بالقوة ولو اضطر الى استخدام المدافع

استفحال الخلاف

ولما استفحل الخلاف الى هذا الحد داخلت لجنة التوسط التي كانت تسعى في التوفيق بين الشاه ومجلسه وهم ١٢ المتقدم ذكرهم ووجدوا من مصلحة الامة ان يقنعوا الشعب بالتفرق فذهب بعضهم الى المسجد وفيهم تقي زاده وممتاز الدولة ومستشار الدولة فوجدوا فيه عشرة آلاف نفس فاشاروا عليهم بالذهاب الى منازلهم فابوا أولاً ثم خطب فيهم تقي زاده فاقنعهم بالتفرق فذهبوا وهم يبكون ويولولون وزاد اليأس في أحدهم حتى قتل بنفسه واسمه مهدي جاوكوش قال انه يخجل ان يقابل امرأته ناكصاً على هذه الصورة

ولم يقنع الشاه بتفرقهم فطلب نفي ثمانية من زعمائهم وهم جهانكير خان صاحب جريدة صور اسرافيل ومحمد رضا صاحب مساواة وملك المتكلمين الخطيب الشهير والسيد جمال الدين وداود خان والبرنس ظهير السلطان والحاج يحيى دولتابادي وعلي محمد برادر· وامر بتقييد الصحافة وتجريد الاهالي من السلاح ـ دارت المخابرة بشان هذه المطالب والشاه مجد في نقل الذخائر من المدينة الى معسكره في باغ شاه

وفي ١٧ يونيو اقفلت الحوانيت وتجمهر التجار والباعة والصناع وغيرهم وطلبوا الى المجلس أن يأذن بمكان يجتمعون فيه · فعين لهم مسجد سپهسلار بجانب بهارستان بشرط أن لا يحملوا سلاحاً فكانوا يجتمعون هناك في النهار ويتفرقون في الليل الى منازلهم الا جماعة ينوبون عنهم وبعض الخفر تحت السلاح · وشاع خبر هذا الاستبداد في الولايات فتألفت العصابات خصوصاً في رشت وكرمان واصفهان وتبريز وعين هذا البلد الاخير لجنة اقرت على خلع الشاه وبعثت الرسائل البرقية بذلك الى الاطراف واخذوا في جمع الاموال لنجدة اخوانهم فجمعوا في ليلة وصباحها نحو ٢٠٠٠٠ جنيه اكثرها من الفقراء اعدوا بها ٣٠٠ فارس بقيادة رشيد الملك انفذوهم لمساعدة اهل الدستور في طهران · وفي جملة قواد هذه الحملة ستار خان و باقر خان · ووعدت سائر الولايات بمثل هذه الامداد لكنها لم ترسل شيئاً

حادثة ٢٢ يونيو

وفي أثناء ذلك لم تكف رسل الشاه عن القدوم على المجلس بالمطالب وبعضها مستحيل ولم يعد يسمح لاحد بمقابلته غير مشير السلطنة · وفي مساء ٢٢ يونيو بعث الشاه الى النواب واحزابهم أنهم في أمان وكان الجانبان قد اتفقا ان يسوى الخلاف بينهما على يد لجنة مؤلفة من الحزبين حزب الشاه وحزب الامة · وفي ذلك المساء جاء صنيع الدولة ( وزير

المالية ) ومشير الدولة ( وزير المعارف والفنون ) ومشمد الملك ( وزير التجارة ) الى المجلس واعلنوه ان الشاه رضي بتحكيم اللجنة المشار اليها • فتفرق النواب على ان يأتيهم في صباح اليوم التالي من ينوب عن الشاه في تسوية الخلاف • وفي نصف الليل كتب مشير السلطنة رئيس الوزارة الى عمتاز الدولة رئيس مجلس الامة يقول « ان الشاه قبل كل مطالبكم » فاطمأنت الخواطر لكنها كانت دسيسة من الشاه للفتك بدعاة الاصلاح فما اصبح يوم ٢٣ يونيو حتى اتت كوكبة من القوزاق الى ساحة مدرسة السبهسلار وفيها بعض المجندين من الوطنيين وتقدموا اليهم بالمحاسنة ان ينسحبوا فانسحبوا وأقفلت الابواب • واحدق نحو الف من القوزاق والجند ببهارستان والمسجد وتفرقت جنود الشاه في المدينة تقطع الطرق على المارة • وكان الثمانية الذين طلب الشاه نفيهم قد اقاموا في غرفة بجانب قاعة المجلس • فادرك العقلاء الدسيسة فخابروا الفقهاء والنواب بالتلفون فاسرع رئيس المجلس ومرزا محمد صادق محرر جريدة مجلس وبضعة آخرون من جملتهم المجتهدان البهباني والطباطبائي فاذن لهم بالدخول • وكان السيد تقي زاده مريضاً فتأخر عن الحضور فلما جاء لم يؤذن له • وكان الجند يأذنون بالدخول ويمنعون من الخروج

وبعث رئيس المجلس والطباطبائي الى قائد القوزاق يسألانه عما يريده فاجاب انه جاء لتفريق الجماهير • فاجابا انهما يفرقان الناس بالحسنى فلم يقبل • ثم جاء الكولونل لياخوف ومعه ضباط روسيون في مركبة وتفرس في المكان ونصب ستة مدافع في اماكن متفرقة وطلب الطباطبائي مخاطبته فلم يقبل فاراد بعض المتطوعة اطلاق الرصاص على لياخوف فنعهم العقلاء لئلا يأول قتله الى مداخلة روسيا فعاد لياخوف الى مركبته وانصرف • وفي حال رجوعه اطلقت المدافع على بهارستان بامر الضباط الروسيين فذعر الناس وحاولوا الفرار حتى القوزاق اخذوا بالتفرق ولكن الضباط الروسيين كانوا يختطفون بنادقهم ويطلقونها على الفارين من الاهالي وغيرهم فقتلوا بالطلقة الاولى ١٢ من المتطوعة ولم يكن فيهم الا مئة تحت السلاح وليس مع احدهم اكثر من ٥٠ الى ١٠٠ طلق • لكنها افادتهم فعطلوا بها ثلاثة من المدافع التي نصبت لضرب المجلس • وحاول مجمع مظفري ومجمع اذربيجان من مجامع الحزب الوطني القبض على الثلاثة المدافع الباقية فطردهم القوزاق

طالت الواقعة ثماني ساعات وانتهت بهدم ذينك البنائين الفخيمين اللذين كانا مجتمع الاحرار ومستودع آمالهم وهما بهارستان ومسجد سبهسلار ولم يعرف عدد القتلى من الناسين وتمكن تقي زاده من النجاة والتجأ نحو ثلاثين من الزعماء الى الوكالة البريطانية • ولم يكن

يؤذن لها بحماية غير الذين في خطر القتل • اما الثمانية المحكوم عليهم بالنفي فالتجأوا الى منزل امين الدولة فاقفل عليهم ونقل خبرهم بالتلفون الى قراقول القوزاق فبعثوا جنداً قبضوا عليهم • فحاول احدهم الحاج ميرزا ابرهيم الامتناع عن الذهاب فقتل وسيق الباقون الى باغ شاه فامر الشاه في صباح اليوم التالي بشنق جهانكير خان وملك المتكلمين وظهير السلطان • فشنقوا الا ظهير السلطان لان والدته اخت مظفر الدين شاه صاحت باخيها انه اذا قتله قتلت نفسها فعفا عنه واطلقه ففرّ الى اوربا • اما بقية الثمانية فمنهم محمد رضا



محمد ولي خان حاكم رشت

تمكن من الفرار وقاسى في فراره جوعاً وخطراً عظيمين حتى بلغ الى القوقاس • وجمال الدين فرَّ ايضاً ولكن يقال انهم قبضوا عليه في همدان وقتلوه • وظل الاثنان الباقيان في الاغلال بقصر الشاه « باغ شاه » مع آخرين

وقضى جند الشاه اياماً يخربون ويقتلون وينهبون لا يوقرون عظيماً ولا اميراً • وتعين الكولونل لياخوف حاكماً على طهران فوضعها تحت الاحكام العسكرية واصدر منشوراً بهذا المعنى وأحاط بالوكالة البريطانية لمنع الاهالي من الالتجاء اليها • ولا يزال لياخوف على طهران يتصرف بها كما يشاء

اما الولايات فان الشاه بعث الى حكامها ان يقاوموا الاحزاب الوطنية فاطاعه بعضهم واضطهد الاهالي وظل البعض الآخر اميناً للدستور • وممن نصر الدستور بنفسه ورجاله حاكم رشت فان دارعة روسية رست في ميناه وهددته فلم يخف تهديداً في الدفاع عن مصلحة أمته

واكثر الولايات الايرانية مقاومة للاستبداد ونصرة للدستور ولاية اذربيجان وخصوصاً القصبة تبريز ولا تزال رافعة علم الحرية الى الآن وقد قاسى اهلها عذاباً عظيماً ولايزالون يقاسون وهم ثابتون في مطالبهم • ومن نصراء الوطنية وكبار قوادها ستارخان فانه عمل في تبريز اعمالاً عظيمة واخرج جند الشاه منها وجعلها خالصة للمصلحين

وقبض على مكتب التلغراف فوجد فيه صور الرسائل التي كان يرسلها نصراء الاستبداد الى الشاه ضد طلاب الدستور فثبت عندهم من هم الخائنون — وقد اتى الدكتور براون على نصوص تسعة منها في بضع عشرة صحيفة لا محل لها هنا

---

# اهم المولفات العربية

## في نظر القراء

### اقتراح

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما الف في العربية من صدر الاسلام الى الآن أي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره افيد سائر الكتب العربية والذها • ومتى تمت الاجوبة على ذلك تجمع اصوات كل مؤلف وتنشر اسماء الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

# العرب والترك

## قبل الدستور وبعده

كتب الينا كثيرون يسألوننا رأينا في ما دار بين صحف الاخبار من المناقشة في تبادل العلائق او التفاضل بين العرب والترك فرأينا ان نكتب فصلاً في تاريخ هذه العلائق من صدر الاسلام الى الآن :

### ١ - العرب والترك قبل الدستور

كيف التقت الامتان

لم يكن بين العرب والترك علاقة قبل الاسلام وكان كلاهما اهل بادية وسطو وغزو. ولم تلتقيا قط لما بينهما من الابعاد الشاسعة . فالعرب كانوا في جزيرتهم والترك في جبال الالطاي او جبال الذهب في اواسط اسيا بين الهند والصين وسيبيريا وبينهم وبين جزيرة العرب مفاوز واودية وجبال. وهم يختلفون عن العرب في تكاوينهم واخلاقهم وآدابهم ولغتهم اختلافاً كبيراً . ويستحيل التفاهم بينهم لتباعد اللغة التركية الاصلية في تركيبها والفاظها عن اللسان العربي يوم لم يكن فيها كلمة عربية ولا في اللغة العربية كلمة تركية فضلاً عن اختلاف اسلوب التعبير

فلما قام العرب بالاسلام واخذوا ينتشرون بالفتح او غيره وطئت حوافر خيولهم بلاد الترك وهم يعبرون عنها بما وراء النهر ففتحوا بخارا وسمرقند وفرغانة واشروسنة وغيرها من تركستان في ايام بني امية . وكان اهل تلك البلاد قبائل يتولاهم امراء او ملوك يعرفون باسم خاقان او اخشيد او غيرها . وكانوا لا يزالون على عبادة الاوثان فدخولهم في حوزة المسلمين بعث على احتكاكهم بالعالم المتمدن في ذلك العهد فاعتنقوا الاسلام وظهرت مواهبهم ونبغ منهم القواد العظام وانشأوا دولاً حكمت العالم الاسلامي قروناً متوالية . ونقسم علاقة الاتراك بالعرب في الاسلام الى دورين الاول دور الخدمة والثاني دور السيادة . ونعني بدور الخدمة دخول الترك في خدمة العرب في صدر الاسلام . وبدور السياده سيادة الترك على العرب بعد ذلك

## سيادة العرب في صدر الاسلام

فطر العرب على الانفة والاستقلال فلما قاموا بالاسلام وفتحوا العالم زادوا عظمة واعتقدوا الفضل في انفسهم على سائر الناس وانهم من طينة غير طينتهم · واصبح العربي يعدُّ نفسه سيدًا على غير العربي ويرى انه خلق للسيادة وسواه للخدمة · ولذلك لم يكن العرب يشتغلون في صدر الاسلام بغير السياسة والحكومة وتركوا سائر الاعمال لسواهم · ولم يكن ينازعهم في تلك السيادة احد فكانوا يزدادون افتخارًا وخصوصًا على المسلمين غير العرب ويسمونهم الموالي يريدون انهم كانوا عبيدًا لهم واعتقوهم — وهم غير اهل الذمة · ويدخل في جملة الموالي الفرس والترك وغيرهم من المسلمين غير العرب · وبلغ من ترفعهم عنهم انهم كانوا يكرهون ان يصلوا خلف المولى واذا صلوا قالوا انما نفعل ذلك تواضعاً لله · وكانوا لا يكنونهم بالكنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون في الصف معهم ولا يتقدمونهم في المواكب الى غير ذلك مما تراه مفصلاً في تاريخ التمدن الاسلامي

وكأن العرب سكروا بخمر السيادة والنصر لارتقائهم من رعاية الابل الى سياسة الممالك في بضعة عشر عاماً فتوهموا في فطرتهم ما ليس في سواهم من المناقب والسجايا كما توهم الرومان قبلهم وكما يتوهم اهل هذا العصر في بعض الامم السائدة فيعتقدون امتيازها باصل فطرتها عن سائر الامم — وكان فضل العرب على سواهم يعدُّ قضية مسلمة لا تحتاج الى دليل · فلما بالغ بنو امية في الاستخفاف بغير العرب بعد ان ذهبت دهشة النبوة اخذ هؤلاء في التذمر ونصروا آل علي وغيرهم من اعداء الامويين ونشأت طائفة لا تعترف بفضل العرب تعرف بالشعوبية لم تظهر الاَّ في الدولة العباسية بعد ان انحط شأن العرب

وبدأ انحطاط شأن العرب على الخصوص بعد الاختلاف الذي وقع بين الامين والمأمون اذ استنصر المأمون الفرس على العرب رجال اخيه وكانت الغلبة للمأمون · فانحط شأن العرب وصار الخلفاء يعوّلون بعده على الاستعانة بالاعاجم وخصوصاً الاتراك واخذوا يجندونهم

## خدمة الاتراك في الجند الاسلامي

يبدأ دور الخدمة منذ فتحت تركستان على عهد الامويين فكان القواد اذا فتحوا بلدًا حملوا اسراه وسباياه الى اهلهم او باعوهم لمن يحملهم الى الاطراف فيباعون بيع الرقيق · ولما افضت الدولة الى العباسيين كانت تركستان تؤدي الجزية والخراج فكان العمال يحملون في جملة الجزية اولادًا من اهل بادية تلك البلاد يبيعونهم للرق وهم في الغالب من السبي

او الاسرى على جاري العادة في تلك الاعصر . وقد يختص الامراء باحسنهم فيخدمونهم في دورهم مع غيرهم من ارقاء الامم الاخرى ويعرفون بالمماليك

وكان الاتراك يمتازون عن سائر الامم التي دانت للمسلمين بقوة البدن والشجاعة والمهارة في رمي النشاب والصبر على الاسفار الشاقة فوق ظهور الخيل والثبات في ساحة الحرب فاتخذ منهم الخلفاء بالتدريج جنداً واول من استخدمهم في الجندية من الخلفاء المنصور العباسي ولكنهم كانوا شرذمة صغيرة لا شأن لها في الدولة وانما كان الشأن الاكبر يومئذ للخراسانيين (الفرس) والعرب . ولما اشتد التنافس بين العرب والفرس في ايام الرشيد وذهبت سطوة العرب بذهاب دولة الامين وتسلط الفرس انصار المأمون واخواله واستبدوا في الدولة كانت الحضارة قد اضرت بالمسلمين واذهبت منهم قوة التغلب والفتح . ففكر المعتصم اخو المأمون في ذلك قبل ان تفضي الخلافة اليه وكانت امه تركية وفيه كثير من طبائع الاتراك التي ذكرناها مع الميل اليهم لانهم اخواله كما كان يميل المأمون الى الفرس

وشاهد المعتصم جرأة الفرس وتطاولهم بعد قتل اخيه الامين فاصبح يخافهم على نفسه ولم يكن له ثقة بالعرب وقد ذهبت عصبيتهم واخلدوا الى الحضارة والترف وانكسرت شوكتهم فرأى ان يتقوى بالاتراك وهم لا يزالون الى ذلك العهد اهل بداوة وبطش مع الجرأة على الحرب والصبر على شظف العيش . فجعل يتخير منهم الاشداء يبتاعهم بالمال من مواليهم في العراق او يبعث في طلبهم من تركستان وغيرها فاجتمع عنده عدة آلاف وفيهم جمال وصحة فالبسهم اثواب الديباج والمناطق المذهبة والحلية المذهبة وميزهم بالزي عن سائر الجنود وبذل العناية في تدريب جنده هذا وبنى لهم مدينة سامرا واطلق لهم الاعطية فاعتنقوا الاسلام وتحضروا ولم يقتصر على اقتناء المماليك لكنه رغب كثيرين من الامراء واولاد الملوك في القدوم اليه فاشتد ساعد الاتراك وقويت شوكتهم وغلبوا على امور الدولة خصوصاً بعد ان انقذوا المملكة من بابك الخرمي وفتحوا عمورية في عهد المعتصم . فبعد ان كان النفوذ للوزراء الفرس صار الى الاتراك واصبحت ازمة الدولة العباسية بعد المعتصم في ايديهم ولا سيما بعد ان قام المتوكل لمقاومة الشيعة فزاد في تقديم الاتراك لانهم كانوا عونه على ذلك . ثم اغراهم ابنه المنتصر (او هم اغروه) على قتله فقتلوه وكان ذلك اول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه اكثر من بضعة اشهر فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ ﻫ ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ ﻫ وقد استفحل امر الاتراك استفحالاً عظيماً — ومما يحكى عن استبدادهم في الخلفاء انه لما تولى

المعتز فعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال « انا اعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له « فكم تقول انه يعيش وكم يملك » قال « مهما اراد الاتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك

وقد قتلوا المعتز هذا شرّ قتلة فانهم جرّوه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه في الشمس بالدار فكان يرفع رجلاً ويضع اخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمهُ بيده . والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس وبلغ من فقر القاهر بالله انهم حبسوه وهو ملتف بقطن جبة وفي رجله قبقاب خشب — فلا غرو اذ اصبح الخلفاء آلة في ايدي الاتراك اذا تنازعوا على السلطة كان الخليفة مع الحزب الغالب وبعد ان كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة صار الخليفة يحلف لهم

فبهذا وامثاله انحط شأن العرب وقيل عنهم « لايفلح العربي الا اذا كان معه نبي ينصره » واشتد ازر الاتراك فتدرجوا من الاستبداد في دور الخلفاء الى انشاء الدول المستقلة فانتقلوا من الخدمة في دول العرب الى السيادة على العرب وغير العرب

سيادة الاتراك في القرون الوسطى

بدأت سيادة الاتراك بانشاء الامارات في ظل العباسيين واقدم اماراتهم الطولونية فالايلكية فالاخشيدية فالغزنوية ثم انشأوا الدول الكبرى واولها الدولة السلجوقية وفروعها في فارس وتركستان واسيا الصغرى والشام والعراق وغيرها ثم دول السلاطين المماليك في مصر والشام واخيرًا الدولة العثمانية وبها يدخل تاريخ الاسلام في دور جديد . لانها اتت والعالم الاسلامي قد تمزق وتضعضع بما انتابه من صدمات المغول وغيرهم فجاءت هذه الدولة في ابان الحاجة اليها فافتتحت القسطنطينية وقد يئس المسلمون من فتحها بعد ان حاولوه مرارًا . وحارب العثمانيون اعظم ملوك اوربا وطاردوهم الى بلاد المجر وحاصروا فينا عاصمة النمسا واخذوا الجزية من الارشيدوق فردينان واكتسحوا البحر الابيض الى شواطئ اسبانيا فارتعدت اوربا خوفًا منهم . وفتحوا المشرق الى العراق ثم ساروا جنوبًا غربيًا حتى فتحوا الشام ومصر وفيها بقية الدولة العباسية فتنازل العباسيون لهم عن الخلافة فامتدت مملكتهم في ايام السلطان سليمان ( سنة ٩٢٦ — ٩٧٤ هـ ) من بودابست على ضفاف الطونة الى اصوان على ضفاف النيل ومن الفرات بالعراق الى بوغاز جبل طارق . فاجتمع العالم الاسلامي الغربي تحت جناح الدولة العثمانية ولا يزال . وكان اجتماع الخلافة والسلطة

فيها سبباً لطول بقائها اكثر مما تقدمها من الدول الاسلامية حتى العباسيين مع طول مدة ملكهم لان سلطتهم اصبحت بعد القرن الثالث من انشاء دولتهم اسماً بلا رسم . والدولة العثمانية اول دولة اسلامية غير عربية جمعت بين الخلافة والسلطة ووافقها المسلمون عليه

اما العنصر العربي في اثناء ذلك فقد كان ضعيفاً الا في الاندلس الى زمن محدود . وحاول النهوض في اثناء الدولة الفاطمية بمصر فلم يكد ينهض حتى غلب عليه الاكراد فالاتراك فسقط ولم يقم للعرب قائمة في الدولة الاسلامية من ذلك الحين — الا ما ابدته بعض القبائل من النهوض في بلاد العرب او غيرها بدعوة سياسية او دينية كقيام الوهابية في نجد والدراويش في السودان . ولما عزم محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية على انشاء دولة اسلامية كبرى في اوائل القرن التاسع عشر اراد ان يستعين على انشائها بعصبية اسلامية واقوى العصبيات بمصر يومئذ الترك والعرب وكانت العصبية التركية للدولة العثمانية فاختار عصبية العرب فحامت الآمال حوله وخصوصاً بعد حربه الوهابية واجتماعه بشريف مكة وغيره من رؤساء القبائل . فاحيا العنصر العربي ونشط العصبية العربية بما انشأه من المدارس والمطابع او نشره من الكتب . فكان للعرب نهضة قلما افادته في غرضه السياسي لما حال دون مطامعه من اغراض دول الافرنج في المملكة الاسلامية . ولكنها افادت اهل الشرق من العرب فائدة ادبية علمية بتمهيد السبيل للنهضة التي نحن فيها

## ٢ — العرب والترك بعد الدستور

### جامعة المصلحة

قد رايت في ما تقدم ان الملك في عصر الاستبداد كان يتسلق عرش سلطنته على جثث اهل عصبيته وهم لا يرون في ذلك غرابة ولا حيفاً لتغلب الذل على نفوسهم . وقد رسخ في اعتقادهم انهم خلقوا اتباعاً للملك يفعل بهم ما يشاء — اما في هذا العصر عصر الدستور والحرية فقد اصبح للامة صوت في سلطة الملك ورأي في تدبير حكومته . وآن لهم ان يقلعوا عن تلك العصبيات العمياء . وليست العصبية او الجامعة الحقيقية في اعتقادنا الا « جامعة المصلحة » نعني ان الانسان لا يطالب بجامعة لا توافق مصلحته او مصلحة امته وكما كان الملوك يحيون العصبية التي توافق مطامعهم ليغلبوا بها على اعدائهم فعلى الامة التي جعلها الدستور حاكمة ان لا تتخذ من العصبيات او الجامعات الا ما يوافق مصلحتها

لكل منا اسباب متعددة يربطه كل واحد منها بعصبية من العصبيات وهو يلجأ الى العصبية التي يرى في انتسابه اليها نفعاً . فالسوري المسيحي مثلاً تجمعه بالافرنج وبالاقباط الجامعة الدينية وتجمعه بمسلمي سوريا ويهودها وسائر طوائفها جامعة الوطن . وتضمه مع مسلمي مصر والحجاز والمغرب والعراق جامعة اللغة . وتجمعه بالاتراك والارمن والاروام جامعة الدولة وتجمعه باهل الهند والفرس جامعة الشرق . واذا كان تاجراً فهو معدود من جماعة التجار او كان صحافياً فهو من الصحافيين تجمعه بهم جامعة الصحافة وهكذا في سائر اسباب الاجتماع . واعتبر ذلك ايضاً بالتركي المسلم بمصر فتجمعه جامعة الدين بمسلمي مصر وجامعة اللغة باهل الاناطول وتركستان والاستانة وجامعة الدولة باهل سوريا والعراق وارمينيا ومكدونيا . وهكذا يقال باليوناني من اهل مكدونيا تجمعه جامعة الدين مع اهل اوربا المسيحيين وجامعة الجنس بالدولة اليونانية وجامعة الدولة بالاتراك والسوريين والارمن وغيرهم

فكل من هؤلاء وامثالهم مخيرٌ في الظهور بالعصبية او الجامعة التي يتوسم بها النفع او يرى فيها المصلحة الغالبة على مقتضى الاحوال . وهو ما عبرنا عنه بقولنا ان الجامعة الحقيقية انما هي « المصلحة المشتركة » فيظهر الناس باحدى العصبيات الاخرى في سبيل خدمتها . وقد يعدل الرجل عن عصبية الى عصبية حسب الاقتضاء . فالعرب مثلاً قاموا في صدر الاسلام بعصبية الدين فعصبية الجنس فلما توطنوا واستقروا في المدن نشأت عندهم العصبية الوطنية فتولدت احزاب أهل الحجاز واهل الكوفة والبصرة والشام وغيرها

كان السلاطين الاتراك في ابان الدولة العثمانية يظهرون بعصبية الجنس رغبة في ضم كلمة الاتراك لتوسيع نطاق دولتهم بالفتوح . وكانوا يستنجدون العرب وغيرهم من المسلمين باسم جامعة الدين ورعاياهم راضخون صاغرون . فلما فسدت احكام هذه الدولة واستنار شعبها بنور التمدن الحديث جعلت كل طائفة منهم تلجأ الى الجامعة التي تظنها تنقذها من ذلك الظلم فالمسلمون اغضوا عن عصبية الدين لانها تجمعهم باهل الدولة وهم يتظلمون منهم و عمدوا الى الجنسيات او اللغات . فالعرب رأوا المصلحة في العصبية العربية لانها تجمع اهل جزيرة العرب ومصر والشام والعراق والمغرب والسودان وغيرها وهم يعدون بالملايين . فاخذوا يتحدثون بها وقد نشطها على الخصوص محمد علي باشا كما تقدم . ووجد الارمن مصلحتهم بالجامعة الجنسية فاجتمعوا باسم الارمن ثم تقربوا من اوربا بالجامعة الدينية لينصروهم على الاتراك كما كان السوريون المسيحيون احيانا يلجأون الى بعض دول اوربا لتحميهم باسم الدين . وقد كانت هذه الامم تجتمع كلها في جامعة واحدة هي « الجامعة العثمانية » لكنها لم تفعل لسوء الاحكام

وفساد النيات بين الحاكم ورعيته

الجامعة العثمانية

والحاكم العثماني تركي لكن فساد حكومته اساء رعيته حتى ابناء عصبيته الاتراك فتباعدوا عنه وانكروا سيادته فساء الظن بهم واراد ان يغتص آثارهم ويعرقل مساعيهم ويضعف اصواتهم فاستعان عليهم بعصبية أخرى افسد بينها وبين الاتراك بعد ان كان يخاف اهلها على منصبه لتحدثهم بالخلافة — نعني العرب فقدم رجالاً منهم جاروه وسايروه . فرأى الاتراك العقلاء ان امرهم لا يستقيم ومساعيهم لا تفلح الا اذا توسعوا في العصبية او الجامعة . وعلموا ان العصبيات الدينية أو الجنسية انما يستفيد منها الملوك المستبدون للتغلب على الامم . وكانوا قد خالطوا المتمدنين باوربا ورأوا قيامهم بالجامعة الوطنية باسم الدولة فاختاروا الجامعة العثمانية عصبية لهم . وهي تضم الترك والعرب والارمن والروم والالبان وغيرهم . فنادوا بذلك فقويت شوكتهم واستحسنت الدول مساعيهم فنشطتهم حتى نالوا الدستور باسم العثمانيين . وجاهر الاتراك وهم اهل الدولة بانهم يتنازلون عن جنسيتهم ويتغاضون عن حقوقهم السياسية ولا يعرفون غير الجامعة العثمانية لاعتقادهم انهم اذا لم يفعلوا ذلك تمزقت دولتهم وذهبت ضياعاً . فوافقهم العرب وفيهم من لم يصدق اخلاص التركي في وعده لانه لم يتعود ذلك منه ولا من غيره من أمم الشرق . وانضم بعضهم الى تلك الجامعة طمعاً بمنصب يناله او نفع يجره فلما استبطأ نيل ما يرجوه نقم على الاتراك واتهمهم بسوء القصد . وحمل جماعة من نصراء العرب على جمعية الترقي والاتحاد ونسبوها الى التعصب الجنسي وانها انما اتخذت الجامعة العثمانية ذريعة لاسترجاع سلطة الاتراك وامتيازاتهم وانها لم تخلص النية في سعيها الى غير ذلك مما يوجب الشقاق ويبعث على القلاقل

واقوى حججهم التي يعولون عليها في هذا الشأن ان الانتخابات لمجلس المبعوثان لم تكن حرة مستقلة بل جرت تحت سيطرة جمعية الترقي فكان النواب العرب اقل كثيراً مما يقتضيه احصاؤهم وليس فيهم مع ذلك الا مسيحي واحد . فاصبحت الاكثرية في المجلس لهذه الجمعية فلا يتقرر الا ما تريده . وان الدستور يقضي بالمساواة بين الملل المختلفة في الحقوق فكان يجب على الدولة ان تعين بعض العرب في الوظائف الكبرى كالولاية والوزارة ونحوهما وهي لم تفعل بعد — فهذه الاعتراضات تظهر لاول وهلة وجيهة وما هي كذلك

نحن يهمنا شأن العرب طبعاً لاننا ننتسب اليهم ونتكلم لسانهم وقد تخلقنا باخلاقهم • ويهمنا ذلك على الخصوص بالنظر الى مصلحتنا الخصوصية لان عملنا قائم بالعرب ونحن نشتغل بآدابهم وتاريخهم • ونبذل وسعنا في ترقية شؤونهم ومن اقصى امانينا ان يكون للعرب دولة عظيمة • ولذلك فلا يمكن ان يحمل كلامنا في هذا الشأن على غير الاخلاص والرغبة في المصلحة الحقيقية فنقول :

استبداد جمعية الترقي والاتحاد

لا تنكر استخدام جمعية الترقي نفوذها في الانتخابات حتى جعلت الاكثرية من حزبها واصبحت صاحبة الكلمة النافذة في مجلس الامة • وانها تلكأت في اسناد الوظائف الكبرى الى العرب • ولكننا لا نحمل ذلك على رغبتها في الاستئثار بالسيادة دون العرب او غيرهم لان الجمعية التي بهرت العالم بتعقلها وحكمتها وصدق نيتها في طلب الاصلاح وقد اشتملت على نخبة الادباء والعلماء والفلاسفة واتت اعمالا سيخلد ذكرها التاريخ ما بقي الدستور اذ قلبت الحكومة على كيفية لم يسبق اليها سواها بشهادة التاريخ من من اقدم ايامه الى الآن وتزكية كبار الساسة المعاصرين — ان الجمعية التي هذا شأنها لا يعقل انها ترتكب هذا الخرق في السياسة وهي تعلم انه قد يأول لا الى تضعضع الدولة بل الى ضياعها — يدلك على ذلك استخدامها الحكمة والتعقل في كل تصرفاتها • ولكنها فعلت ذلك على ما نظن رغبة في سلامة هذه الدولة وصيانة للدستور الذي نالته بعد شق الانفس من ان تعبث به الايدي اذا تولاه غير اهله

كيف يجوز لنا ان نلوم جمعية الترقي (الاتراك) على سوء ظنهم فينا ونحن لم نبرهن لهم حتى الآن على الرغبة في الاتحاد معهم قلباً وقالباً • كان نصراء عصر الاستبداد من العرب • ولما قلبت الحكومة وأعلن الدستور وجاهر الاتراك انهم يتنازلون عن جنسيتهم وامتيازاتهم رغبة في الوفاق ما كان من العرب الا السعي في تأييد الجامعة العربية فالفوا جمعية التآخي العربي بالاستانة وقد انتقدناها في غير هذا الهلال • وانشأوا الصحف للدفاع عن العرب والتنديد بالاتراك والتفاخر بمجد العرب ودول العرب وعلوم العرب • وكتب آخرون يدعون الى جامعة سورية (عربية) التماساً للاستقلال الاداري وانابوا انفسهم عن السوريين وهؤلاء لا يعلمون — كيف يلام الاتراك على سوء ظنهم في العرب بعد ذلك وكيف يحق لنا ان نستبطئهم في اسناد المناصب الكبرى الى العرب — اذا صح انهم فعلوا ذلك عمداً • اذ قد يكون السبب في ذلك التباطؤ اعتقادهم عجز العربي عن القيام

بالمناصب السياسية او الادارية الآن ليس لعدم استعداده ولكنه لم يتهيأ لهذه المناصب بعد كما تهيأ لها التركي بتوالي الحكم قروناً متوالية · والحريص على سلامة الدولة العثمانية وهي في طور تكونها يوافق على اسناد المناصب الى الاتراك او غيرهم من الامم العثمانية التي تعودت السياسة وتدربت على الحكم ريثما يستعد لها العرب وغيرهم — وهذا لا يكون فجأة

لا خلاف ان خاصة الاتراك اقدر من خاصتنا في السياسة والحكومة · والدولة في هذا الانقلاب تحتاج الى دربة وحنكة ودهاء في السياسة ريثما تتوطد دعائمها فليس من الحكمة ان نعهد في ذلك الى غير المحنكين من رجالها

وقد يعترض بأن استبداد جمعية الترقي في النفوذ يخالف روح الدستور · فنقول نعم الاستبداد استبداد العاقلين العادلين · واجمع العقلاء على ان الشرق لا ينهض به الا حاكم مستبدٌ عادل عاقل بل هو افضل ضروب الحكومة لسائر الناس وهم انما قيدوا الملك بالدستور لقلة العاقلين العادلين فكيف وقد وفقنا الى جمعية جمعت خيرة العقلاء العادلين وهي اذا استبدت كان استبدادها مقروناً بالشورى لانها مؤلفة من عشرات اومئات فيكون استبدادها ابعد عن الخطأ من استبداد الفرد · ولو خيرنا لاخترنا ان تتولى هذه الجمعية امور الدولة وحدها بلا شورى بضع سنوات ريثما تتوطد دعائم البناء الذي تفانت في اقامة جدرانه · وهب انها ارتكبت خطأ او اقترفت حيفاً بالعرب او بغيرهم فالحكمة تقضي علينا بالكظم والتسامح رغبة في مصلحة الدولة الا اذا تحققنا سوء القصد فعلاً لا لمجرد الظن

فنتقدم الى اخواننا العرب ان يحسنوا الظن باخوانهم الاتراك وينبذوا عصبيات زمن الاستبداد فانها من عصبيات الجاهلية ولينظروا الى « جامعة المصلحة » وهي اليوم « الجامعة العثمانية » التي نلنا الدستور بها فلا نقوى على حفظه وتأييده الا بها · ولا بد من اتفاقنا والاتفاق لا يتم بين اثنين الا واحدهما مظلوم وهو دائماً اعقلهما · لانه يتحمل الضيم بصدر رحيب وعقل كبير رغبة في الوفاق الذي يعود بالنفع على كليهما · وما يصح على الفرد يصح على الجماعات فلا بد من الوفاق لبقاء دولتنا فعلى العاقل ان يغضي عما يتوهمه من الشطط في صاحبه ما لم يخش ان يأول ذلك الشطط الى الضرر بالمصلحة العامة فيجادله بالحسنى ويباحثه مباحثة الشريك العاقل · ومتى تأيدت هذه الدولة وانتظمت شؤونها طالب كل بحقوقه ووقف عند حده · والاّ فمن ضعف الرأي ان نتهم شريكنا بالخيانة لمجرد الوهم او نحاسبه على خطأ اذا صح انه فعله عمداً لا ضرر منه على المصلحة العامة · لاسيما وان ذلك الشريك هو صاحب المشروع وواضع اساسه وباني جدرانه لم نساعده في تشييده الا قليلاً ولما تم

البناء أشركنا في الاستظلال به وجعل لنا فيه حقاً مثل حقه علي ان نتضافر على حفظه ألا نغتفر له استئثاره ببعض مرافقه بغير ان يحرمنا التمتع بما قضينا العمر ونحن نقصر على عشر معشاره

## قانون المطبوعات

### وحرية الصحافة

قرر مجلس النظار في جلسته المنعقدة في ٢٥ مارس الماضي احياء قانون المطبوعات المسنون سنة ١٨٨١ قبيل الحوادث العرابية وفيه تقييد لاقلام الكتاب وحجز لافكارهم وهذا ما كنا نخافه على صحافتنا بعد ان تطرف بعضها في لهجته . ويسوءنا ان يكون تخوفنا في محله وان تصح نبوتنا فيه . فقد ذيلنا مقالة كتبناها عن حرية الصحافة بمصر في الهلال الاول من السنة الماضية بقولنا :

« فالصحافة أنت مصر ناضجة تامة النمو وأتتها حرية المطبوعات عفواً لم تسفك في سبيلها دماً ولا انفقت عليها درهماً . فعسى ان نحسن استخدام هذه الهبة لئلا تذهب من يدها . ولا يحسن بنا التمثل بدول أوربا في كل شيء لان احوالنا غير احوالهم . وتلك الدول اعطت رعاياها حرية المطبوعات مضطرة بعد جدال وحرب انتهت بتغلب الشعب فاذعنت الحكومة وكتبت لهم بذلك عهوداً دونتها في قوانينها وشرائعها ولا يسهل الغاء شيء منها الا بعد مصادقة مجالس الامة . واما مصر فقد نالت تلك الحرية بارادة شخص اللورد كرومر فهي حرة عرفاً لا قانوناً . وقانون المطبوعات المتقدم ذكره لا يزال قابلاً للتنفيذ واذا أرادت الحكومة تنفيذه فمن يمنعها ؟ واذا صاحت الجرائد وشكت فمن ينصرها؟»

قلنا ذلك من قبيل التهديد او الذكرى لعل كتابنا يعتدلون ولم يكن يخطر لنا ان الحكومة ستقدم عليه فعلاً . ولا نزال نعتقد أنها ستعدل عنه او تعدله على الاقل بما يكفي لكبح جماح المتطرفين لا ان تعود بنا ربع قرن الى الوراء فيذهب البريء بجريرة المذنب

ولكي يتحقق القراء ان قانون مطبوعات سنة ١٨٨١ ثقيل على اقلامهم كتاب هذا اليوم نورد نصه وهو :

المادة الاولى — لا يسوغ لاحدٍ ان يكون صاحب مطبعة الا بعد ان تسلم اليهِ رخصة من نظارة الداخلية و بعد ان يودع عشرة الاف قرش بصفة تأمين. وللحكومة في كل حال ان تنزع منهُ هذه الرخصة عند الاقتضاء

المادة الثانية — المطابع السرية تقفل وتضبط ادواتها و يجازى مالكها أو المودعة عندهُ بغرامة من خمسة الاف قرش الى خمسة عشرة الف قرش

المادة الثالثة — لا يجوز لاحدٍ من أرباب المطابع ان يطبع صحفاً قبل ان يقدم لادارة المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة معلنة بعزمه على طبعها وكذلك لا يجوز لهُ بإي طريقة كانت بيع أو نشر تلك الصحف بعد طبعها الا بعد ان يقدم خمس نسخ منها للادارة المذكورة

المادة الرابعة — يصير حجز وضبط أي مطبوع كان في الاحوال الاتية :

اولاً : اذا لم يبرز صاحب المطبعة وصلاً من إدارة المطبوعات بتقديمه الكتابة والنسخ المقررة في البند السابق

ثانياً : اذا لم يتوضح في كل نسخة اسم ومحل سكن صاحب المطبعة الحقيقيين

ثالثاً : اذا اقيمت أمام احدى المحاكم دعوى تتعلق بمضمون ذلك التأليف

وفي هذه الحالة الاخيرة لا يكون الحجز والضبط قطعيين الا بعد صدور الحكم على صاحب التأليف المذكور من المحاكم المقامة أمامها الدعوى

المادة الخامسة — عدم تقديم الكتابة قبل الطبع أو عدم تقديم النسخ اللازمة قبل النشر يوجبان مجازاة صاحب المطبعة بدفع غرامة من الف الى الفي قرش

المادة السادسة — اذا لم يضع صاحب المطبعة اسمهُ ومحل سكنه على كل نسخة فيجازى بدفع مبلغ من الف الى الفي قرش غرامة واذا وضع اسماء ومحل سكن مختلقين يغرم بدفع مبلغ من الفين الى اربعة الاف قرش

المادة السابعة — يجوز في الاحوال المبينة ببندي ٥ و ٦ استبدال الغرامة بنزع الرخصة وقفل المطبعة

المادة الثامنة — يصير اثبات المخالفات بموجب محاضر يحررها مأمورو الاثمان او

مأمورون مخصوصون يتعينون للتفتيش على المطابع

المادة التاسعة — يسري هذا القانون على مطبوعات الحجر وباقي المطبوعات بسائر انواعها مهما كانت الطريقة المستعملة لطبعها

المادة العاشرة — يجوز للحكومة في كل الاحوال حجز وضبط جميع الرسوم والنقوش مهما كان نوعها أو جنسها وسواء كانت معلنة أو معرضة لنظر العامة أو للبيع وذلك متى ترآى لها ان الرسوم والنقوش المذكورة مغايرة للنظام العمومي أو للآداب أو للدين ويجازى من نشرها أو حملها أو عرضها للبيع بغرامة من مائتين الى الفي قرش

المادة الحادية عشرة — كل جريدة أو رسالة دورية تشتغل بمواد سياسية أو ادارية أو دينية وتصدر بانتظام واطراد في ايام معلومة أو بدون انتظام واطراد لايجوز ايجادها أو نشرها الا باذن من الحكومة

والاذن يكون مخصوصاً بشخص المعطى لهُ ويجب تجديدهُ متى حصل تغيير في صاحب امتياز الجريدة أو النشرة أو رئيس محرريها أو صاحبها أو مديرها

المادة الثانية عشرة — على أرباب الجرائد أو الرسائل المذكورة في البند السابق ان يدفعوا قبل صدورها مبلغاً بصفة تأمين كما يأتي :

اذا تجاوز صدور الجريدة أو الرسالة ثلاث مرات في كل اسبوع وان كان صدورها في يوم معلوم أو بكراريس على غير اطراد فيكون مبلغ التأمين مائة ج مصري

واذا كان صدورها ثلاث مرات في الاسبوع أو أقل فيكون خمسين ج مصرياً

المادة الثالثة عشرة — يسوغ محافظة على النظام العمومي أو الدين أو الاداب تعطيل أو اقفال أي جرنال أو رسالة دورية بامر من حكومتنا بعد انذار أو بقرار من مجلس النظار بدون انذار

ويسوغ اضافة غرامة من خمسة جنيهات الى عشرين ج لكل انذار يصدر

المادة الرابعة عشرة — جميع التبليغات التي تصدر من نظارة الداخلية بقصد نشرها يجب درجها مجاناً في صدر اول صحيفة تصدر من الجريدة المذكورة

المادة الخامسة عشرة — على صاحب الجريدة أو الرسالة أو من تطبع على نفقته أن يدرج فيها الرد الذي يرد اليهِ من الشخص الذي حصل التعريض بهِ او ذكر اسمهِ في تلك الجريدة او الرسالة ويكون نشر الرد في الثلاثة الايام التالية ليوم وروده او في اول عدد يصدر اذا كان ميعاد صدوره بعد انقضاء الثلاثة الايام ومن خالف ذلك يجازى بدفع غرامة من ٢ ج الى ١٠ ج وهذا مع عدم الاخلال بما يترتب على تلك المقالة من العقوبات والتعويضات ويكون نشر ذلك الرد بدون اجرة ويجوز ان يكون مطول الشرح خمسة اضعاف المقالة المردود عليها

المادة السادسة عشرة — اذا استمر صدور الجريدة أو الرسالة بعد تعطيلها أو توقيفها تحت عنوانها الاصلي او تحت عنوان آخر فيعاقب كل من محررها وصاحب امتيازها وصاحب المطبعة بدفع غرامة من ٥ الى ٢٠ ج مصرياً عن كل عدد اوصحيفة تصدر منها . وهذا فضلاً عن نزع رخصة صاحب المطبعة واقفال مطبعته

المادة السابعة عشرة — لناظر داخلية حكومتنا ان يمنع دخول وتداول وبيع الجرائد والرسائل المنشورة في خارج القطر المصري وكل من ادخل أو وزع أو باع أو وُجدت عنده بنوع الوديعة جريدة أو رسالة دورية منشورة في خارج القطر المصري وممنوع دخولها يعاقب بغرامة من جنيه الى ٢٥ ج مصرياً

المادة الثامنة عشرة — كل كتابة غير صادرة من الحكومة سواء كانت بالخط او بطبع الحروف او بالنقش او بطبع الحجر لايجوز نشرها او لصقها بالشوارع والميادين والمحلات العمومية متى كانت تلك الكتابة تحتوي على اخبار سياسية ومن خالف ذلك يعاقب بغرامة من جنيه الى عشرة جنيهات يلزم بها بطريق التضامن كل من الفاعلين لذلك العمل والمشتركين فيهِ . وهذا مع عدم الاخلال بالعقوبات التي تترتب على الجناية او الجنحة الناشئة عن الكتابة المذكورة

المادة التاسعة عشرة — على موزعي الكتب والصحف والرسائل والنقوش وعلى الذين يسرحون بالكتب المبيع ان يستحصلوا اولاً على رخصة تعطى اليهم بلارسم في المحروسة والاسكندرية من مأموري الضبطية وفي باقي المحافظات والمديريات من

المحافظ أو المدير ويجوز لجهات الحكومة المعطاة منها تلك الرخص ان تنزعها عند الاقتضاء ومن يخالف ذلك يعاقب بدفع من عشرة قروش الى مائة قرش فضلاً عن محاكمة محرري وموزعي وبائعي تلك الصحف بالنسبة للجنحة او الجناية التي يكونون ارتكبوها

المادة العشرون — تؤخذ الغرامة من مبلغ التأمين وكلما نقص لزم تكميله في ظرف ١٥ يوماً لاجل ابلاغه قيمته الاصلية والا فيعتبر كأنهُ غير موجود والحجز والضبط يكون اجراؤهما بالطريقة الادارية وكذلك التغريم او توقيف الجريدة او الرسالة وتعطيلها في الحالات المبينة بهذه اللائحة يكون بامر من ناظر داخلية حكومتنا والامر المذكور يكون بتاً لا مراجعة فيهِ وجميع هذا لا يمنع من محاكمة من يستحق المحاكمة امام جهات القضاء

المادة الحادية والعشرون — يعفى اصحاب المطابع والجرائد والرسائل الدورية الموجودة الآن من طلب الرخصة ويعطى لهم مهلة شهرين لتقديم مبلغ التأمين

المادة الثانية والعشرون — كل قانون او لائحة او امر او منشور مخالف لامرنا هذا صار ملغى

المادة والعشرون — على ناظر داخلية حكومتنا تنفيذ امرنا هذا

صدر بسراي عابدين في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ الامضاء

محمد توفيق

بأمر الحضرة الفخيمة الخديوية ورئيس مجلس النظار وناظر الداخلية

شريف

ثم ذيل القانون المذكور بما يأتي :

اولاً ( المادة الثالثة من تلك الحدود ) لا يجوز لاحد من ارباب المطابع ان يطبع صفحاً قبل ان يقدم لادارة المطبوعات بنظارة الداخلية كتابة معلنة بعزمه على طبعها الخ المراد من الصحف الكتب والرسائل المؤلفة الغير دورية والمؤلفات الدورية التي يكون ميعاد صدورها شهراً فازيد اما الجرائد والرسائل الدورية التي يكون ميعاد صدورها اقل من شهر فانه يكفي في جواز طبعها اصل الرخصة المعطاة له في اصدار الجريدة اوالرسالة ويكفي في جواز نشرها توصيل الخمس نسخ الى الادارة نفسها او الى البوسطة ان كان المحل بعيداً من جهة الادارة

ثانياً (المادة الرابعة) يصير حجز وضبط اي مطبوع كان في الاحوال الآتية الخ المراد من اي مطبوع من التآليف والكتب والرسائل الغير الدورية او الدورية التي يكون ميعاد صدورها شهراً فازيد تشملها الاوجه الثلاثة المذكورة في هذه المادة اما الجرائد والرسائل التي يكون ميعاد صدورها اقل من شهر فلا تدخل الا في حكم الوجه الثالث من هذه المادة

ثالثاً المادة الحادية عشرة · المقصود من صاحب الجريدة ما يشمل الشركات التي تمنح من الحكومة امتيازاً بانشاء جريدة على طريق المساهمة فلا تحتاج الى تغيير الرخصة الا اذا تغير عنوان الشركة

رابعاً المادة الثامنة عشرة · كل كتابة غير صادرة من الحكومة سواء كانت بالخط الخ المقصود من الكتابة عمومها باي طريقة كانت وتعديد الطرق الموضحة بالمادة المذكورة للتعميم وليس المراد منه الاقتصار على الانواع المسرودة فيها

في ٢٧ محرم سنة ٩٩ الموافق ١٩ دسمبر سنة ٨١ الامضا

شريف

اما القرار الرسمي الذي اصدرته الحكومة في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ باعادة قانون المطبوعات فتجد نصه في مكان آخر من هذا الهلال

# شروط التعريب

نقلا عن كتاب الاشتقاق والتعريب

للشيخ عبد القادر المغربي احد محرري المؤيد

قلنا اولاً ان حد التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية · والعرب لم يكونوا يخالطون الاعاجم كما نخالطهم نحن لهذا العهد · ولم يكونوا يعرفون من لغاتهم كما نعرف منها نحن · لذلك كانت السنتهم غير ممرنة على النطق بالكلمات الاعجمية · واسماعهم غير مستأنسة بلهجتها ونغمتها استئناسنا نحن بهما · فمن ثم كانوا اذا عربوا كلمة افرغوها في قوالب كلماتهم العربية · وردوها الى صيغها واوزانها · الا ما ندر

من ذلك النادر كلمات خراسان وابراهيم والمرزنجل واهليلج وابريسم وأجرّ وشطرنج بفتح الشين · فانه لا يوجد في الاوزان العربية فعالان وافعاليل وأفعيلل وفاعلّ وفعلّل

وكانوا مع ذلك ينطقون بتلك الكلمات المغايرة لاوزانهم • ولا يتحرجون من تكرارها في كلامهم

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا

ووردت كلمة ابراهيم العبرانية في القرآن الكريم مرات عديدة • وبهذه المناسبة نقول ان ابليس اليونانية ذكرت في القرآن تسع مرات • وشيطان اليونانية ايضاً ذكرت اثنين وخمسين مرة

ولما رأى الجوهري ان العرب قلما يعربون كلمة ما لم يردوها الى كلمة توازنها في لغتهم — جعل ذلك شرطاً في التعريب وفي صحة اطلاق « المعرّب » على الكلمة المنقولة الى العربية وزاد في تعريف التعريب قيداً فقال « أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية على نهجها وأسلوبها » فقوله نهجها وأسلوبها ناظر فيه الى ما قلناه • وهذا ما عناه المرحوم جمال الدين الافغاني بقوله : اذا اردنا استعمال كلمة أعجمية في اللغة العربية فما علينا الا ان نلبسها مشلحاً وعقالاً فتصبح عربية • وقد أراد بالمشالح والعقال ما اراده الجوهري بالنهج والاسلوب • وتبع الحريري الجوهريّ في زيادة هذا القيد حتى قال في كتابه درة الغواص ان فتح الشين من شطرنج خطأ والصواب كسرها لتصير على وزان قرطعب وجردحل

ولا يمنع الجوهري والحريري ورود مثل خراسان واهليلج وآجرّ في كلام العرب وانما يمنعان جريان التعريب فيه واطلاق اسم المعرب عليه فهما واشياعهما يقولون ان خراسان واخواتها كلمات اعجمية وردت في كلام العرب وليست معربة الى لغتهم فالكلمات التي تنطق بها العرب في اعتبار هؤلاء ثلاث مراتب : عربية ومعربة واعجمية • اما سيبويه وجمهور اهل اللغة فقد ذهبوا الى ان التعريب ان تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية مطلقاً : فهم تارة يلحقونها بأبنية كلامهم كدرهم وزبرج • وطوراً لا يلحقونها بها كابراهيم وآجر وشطرنج ( بفتح الشين ) وابريسم • ومن هذا القبيل « سمندو » و « قندو » اسمان اعجميان لمدينتين فان العرب عربوهما ونطقوا بهما وبواوهما الساكنة في آخرهما كما هما في الاعجمية • مع انه لم يوجد في اوزان كلامهم اسم على هذا المثال قط : اي بواو ساكنة في الآخر • فرتب الكلم اذاً عند سيبويه اثنتان : عربية ومعربة • ومدار التعريب على الاستعمال وحده • وقد ذهب مذهبه عامة اهل اللغة • فصرحوا بانه لا يلزم في المعربات ان تجري على امثلة الاوزان العربية • بل ان جاءت فحسن لتكون مع اقحامها على العربية شبيهة باوزانها

وقد يتفق ان تغير العرب الأسماء الاعجمية التي تعربها تغييراً لا يكون معه الحاق باوزانها ومناهج كلامها : كقول الاعشى « وكسرى شهنشاه الذي سار ملكه » اصل الكلمة « شاهان شاه » اي ملك الملوك • فقد حذف منها الالفين الاولين حتى صارت شهنشاه • وبقيت بعد هذا التغيير غير منطبقة على وزن من اوزان العرب • قد يقال ان مذهب سيبويه هذا ارفق باللغة والمتكلمين بها • واعون على حياتها واتساع دائرتها لا سيا زمناً كزمننا هذا : انتشرت فيه اللغات الاعجمية بيننا • ومرنت على النطق بكلماتها السنتنا • ولا مجامع لغوية لدينا تعتني بنقل تلك الكلمات وردها الى ابنية عربية وامرنا في التعريب على العكس من امر العرب : هم كانوا قلما يبقون الكلمة الاعجمية على هيئتها الاصلية ونحن قلما نحولها الى اوزان لغتنا : فتلغراف وتلفون وفونوغراف واوتوموبيل وتياترو وسيناماتوغراف وبرجرام في كثير من نظائرها نكاد ننطق بها كما أنزلت على لسان اهلها ويسمى استعمالنا لها — وان لم نغيرها او نلحقها — تعريباً على ما ذهب اليه سيبويه

وكأن سيبويه واشياعه نظروا الينا والى ما يطرأ على لغتنا بعين الغيب : فلم يشترطوا في التعريب سوى الاستعمال • ولو اشترطوا فيه تغيير الكلمة والحاقها باوزاننا — لضقنا ذرعاً بتلك الكلمات الاعجمية الكثيرة التي تهال على لغتنا ايما انهيال • وليس لنا من العناية وانشاء المجامع ما يقوم بهذا الشرط ويفيه حقه • فنكون اذن في اعتبار اولئك الجهابذة المشترطين — اعاجم نتكلم الطمطمانيه • ونتراطن بلغتنا تراطنا

على انا مهما استحسنا راي سيبويه في عدم اشتراطه رد الكلمة المعربة الى مناهج اللغة واوزانها — ينبغي ان نقف في ذلك عند حد محدود • والا تكاثرت الكلمات الاعجمية ذات الاوزان المختلفة والصيغ المتباينة في لغتنا الفصحى • وخرجت على تمادي الايام بذلك عن صورتها وشكلها • وعادت لغة خلاسية : لا عربية ولا اعجمية • كاللغة المالطية • او كسائر اللغات العربية العامية • في مختلف الاقطار الاسلامية

نعم نحن إذن في حاجة الى مجمع لغوي يصون لغتنا المحبوبة عن هذا الخطر الذي يتهددها وينتشلها من هذه الهوة التي نخشى ان تواقعها

# هل السوريون عرب

## او ما هم

فاضت صحف الاخبار بعد الدستور في السوريين هل هم عرب واختلفت الآراء في ذلك فكتب الينا غير واحد يسألوننا رأينا فيهم فنقول :

السوريون قبل الاسلام

ان السوريين ويراد بهم غالباً اهل الشام والعراق وما بين النهرين وفلسطين يصعب تعيين اصولهم لكثرة ما توالى عليهم من الدول قديماً وحديثاً فقد كانت هذه البلاد في اقدم ازمنة التاريخ مأهولة بشعوب سامية تتقارب نسباً ولغة . أما قبل نزول الساميين فكانت مقاماً لامم لا يعرف اصلها وكان الساميون اقوى منهم فغلبوهم على بلادهم واستقروا فيها واخذ اولئك بالانقراض قبل الميلاد بعدة قرون . وهاك ترتيب مساكن الساميين هناك من الشمال الى الجنوب — الآراميون ( السريان والكلدان ) فالفينيقيون فالعبرانيون فالانباط . وخالطتهم امم شتى غير سامية اقامت بين اظهرهم في بقاع مختلفة من بلادهم غير بقايا الشعوب الاصلية مما يطول بيانه ولكن الساميين تغلبوا عليهم جميعاً وعاشت اديانهم وآدابهم وعاداتهم

على ان مركز هذه البلاد الجغرافي جعلها عرضة لمطامع الفاتحين من الامم القديمة كالحثيين والمصريين والاشوريين والفرس فكانوا يتناوبون فتحها او اكتساحها وتتقاطر شعوبهم اليها ولكن الامر لم يستقم لدولة من الدول في سوريا كما استقام لليونانيين خلفاء الاسكندر . فان هذا القائد العظيم فتح هذه البلاد في القرن الرابع قبل الميلاد واوغل فيها ثم صيرها خلفاؤه يونانية وتوافد اليها اليونان واقاموا فيها واختلطوا باهلها ولا سيما بعد ظهور النصرانية . وقد دخلت في سلطة الرومان ولكن العنصر اليوناني مازال متغلباً عليها واكثر تغلبه على سواحل بحر الروم ويضعف شأنه في الداخلية تدريجاً

ومع ذلك الاختلاط ظلت الشعوب السامية محافظة على آدابها وعاداتها ولغاتها ولاسيما اليهود فانهم مع ما اصابهم من الاضطهاد والسبي ظلوا من حيث الآداب والدين نحو ما كانوا عليه في ايام داود وسليمان الا ما اصاب لغتهم من التغيير في اثناء السبي ببابل فانها اختلطت بالسريانية والكلدانية وعُرفت باللغة الآرامية او الكلدانية وبها كتبوا

التلمود وانقسموا الى اليهود والسامريين · أما من بقي من الشعوب السامية ولاسيما الآراميون فتنصروا وانفردوا بآدابهم وعاداتهم واكثرهم كانوا يقيمون في العراق وما بين النهرين واعالي سوريا الى فلسطين

فكانت حدود الشام الغربية على سواحل بحر الروم يغلب فيها العنصر اليوناني. وحدودها الشرقية مما يلي البادية يغلب فيها العنصر العربي · وكان هناك من اوائل القرن الرابع قبل الميلاد امة عربية عرفت بالانباط أو النبط كان مقامهم وراء فلسطين شرقاً جنوبياً على انقاض الادوميين وهي دولة بطرا التي فصلنا اخبارها في كتابنا « العرب قبل الاسلام » فانهم اختلطوا باهل الشام وفلسطين اجيالاً متوالية · ولما ضعف شأنهم ظهر مكانهم على حدود الشام والعراق اجيال جديدة من العرب اتخذهم الفرس حلفاء يردون غارات اخوانهم اهل البادية او ينصرونهم في الحروب التي كانت تنشب بين تينك الدولتين قبيل الاسلام · فاقام حلفاء الروم في جهات حوران وهم الغساسنة واقام حلفاء الفرس على شاطيء الفرات في الحيرة وهم المناذرة · فاذا انتشبت الحرب بين الروم والفرس تجند الغساسنة للروم والمناذرة للفرس ودافع كل منهما عن اصحابه · ولنحو هذا السبب اقام العرب على الحدود بين الفرس والروم في ما بين النهرين والعراق وفيهم بطون من اياد وربيعة

فسكان الشام والعراق عند ظهور الاسلام كان معظمهم من بقايا الاراميين الاصليين في الشمال والشرق واليهود والسامريين في الجنوب وبقايا الانباط في الجنوب الشرقي يليهم العرب الغساسنة والمناذرة ثم قبائل اياد وربيعة بين النهرين · ويتخلل هذا المجموع شتات من امم اخرى كالجراجمة في جبل اللكام والجرامقة في الموصل واخلاط من مولدي اليونان الرومان على الشواطيء ومولدي الفرس والاكراد في الشمال

## السوريون بعد الاسلام

ولما رسخت قدم العرب في الشام والعراق اختلطوا باهلها واقاموا في مدائنها ثم نزح اليها غيرهم طلباً للرزق ونزلوا الارياف · ولما قامت الدولة العباسية وعظم شأن الفرس وتولوا الاعمال في المملكة نزح جماعة منهم الى الشام والعراق · ثم تكاثر الجند التركي في الدولة فتكاثر تقاطر الاتراك واقاموا فيهما وكانت الدولة تستعين في حربها برجال من الاكراد والديلم والارمن وتزايد الاكراد على الخصوص في عهد الدولة الايوبية ثم تكاثر الاتراك والجركس في عهد الدولة السلجوقية والنورية والسلاطين المماليك · فلما تسلطت الدولة العثمانية اضيف اليهم جماعة من الانكشارية وهم اخلاط من امم شتى وجماعة الارناؤط وغيرهم — ناهيك

بتقاطر الافرنج الى سوريا في اثناء الحروب الصليبية وما بعدها وفيهم الفرنساوي والانكليزي والالماني والايطالي . وقد اجتاحوا الثغور والاراضي المقدسة واقاموا ردحاً من الزمن في مملكة معززة الاركان بمن كان يأتيها من نصارى الافرنج وقد بقي منهم جماعة توطنوا وتناسلوا

وكانت المهاجرة متواصلة الى سوريا من جيرانها سكان شواطىء البحر المتوسط من الغرب وسكان البادية من الشرق ولا سيما اليونان وعرب حوران فان مهاجرتهم اليها لم تنقطع حتى الآن . وفي سوريا كثير من العائلات المسيحية ترجع بانسابها الى احدى هاتين الامتين

فالسوريون الآن ينقسمون من حيث اصولهم الى قسمين كبيرين المسلمين والمسيحيين . فلننظر في انساب كل منهما على حدة . أما اليهود فانسابهم محفوظة قلما طرأ عليها تغيير

انساب المسلمين في سوريا : ان انساب مسلمي سوريا ترجع بالاكثر الى العرب لانهم اول من نزلها من اهل الاسلام بعد الفتح كما تقدم . وخالطهم بعد ذلك من جاءها من الامم الاسلامية كالترك والجركس والاكراد والفرس والديلم ونحوهم ومن اعتنق الاسلام من مسيحييها أو يهودها أو اليونان أو غيرهم فممن حفظوا انسابهم العربية بيوت الخالدي والحسيني والمخزومي وغيرهم وفيهم بيوت يخالطها شيء من الدم الارامي أو اليوناني أو الاسرائيلي

انساب نصارى الشام

أما نصارى سوريا وهم المراد من البحث الذي فاضت به الصحف فقد كان معظمهم عند ظهور الاسلام من الاراميين والعرب واليونان كما رأيت . والاراميون هم سكان البلاد الاصليون وجاءهم اليونان بحرًا من الغرب فنزلوا سواحل بحر الروم ودخل عليهم العرب برًّا من الشرق والجنوب واكثرهم من غسان في حوران وتغلب واياد والنمر في ما بين النهرين . وكانت هذه القبائل عند ظهور الاسلام تدين بالنصرانية لكن قبائل مابين النهرين نصرت العرب بجامعة الجنس أو اللغة لانها كانت ناقمة على الفرس فعرف العرب المسلمون لها فضلها في ذلك . فلما هموا بوضع الجزية على اهل الذمة بعد الفتح ابت قبائل تغلب واياد والنمر اداءها و بلغ عمر بن الخطاب ذلك فاستشار اصحابه فقال له بعضهم « انهم عرب يأنفون من الجزية وهم قوم لهم نكاية فلا تعن عدوك عليك » فوافق ذلك ما في نفسه ففرض عليهم الصدقة كما تفرض على المسلمين ولكنه اشترط عليهم ان لا ينصروا اولادهم فآل ذلك طبعاً الى دخولهم في الاسلام . وكان عمر شديد المحافظة على الجامعة العربية لا يأذن للعرب النصارى في التوغل ببلاد الروم واذا فعلوا استرجعهم وخاطب ملك الروم بشأنهم لانه يرى

ذلك حقاً له . ذكروا ان الوليد بن عقبة لما سار لفتح العراق والجزيرة انضم اليه عربها النصارى الأ قبيلة اياد فانهم تحملوا الى بلاد الروم فكتب الوليد الى عمر بذلك فكتب عمر الى ملك الروم « بلغني ان حيًّا من احياء العرب ترك دارنا واتى دارك فوالله لتخرجنه او لنخرجن النصارى اليك » فاخرجهم ملك الروم

فلم يبق على النصرانية من عرب الشام بعد الاسلام الا بقايا الغساسنة في حوران ونتف من أتباع المناذرة عرب العراق او من جاءهم من كندة ونحوها . فما كان في نصارى الشام من دم العرب او النسب العربي مرجعه بالاكثر الى الغساسنة . اما العرب الفاتحون الذين نزلوا الشام والعراق فكلهم مسلمون وندر فيهم من تنصر فلم يدخل انساب السوريين المسيحيين شيء من انسابهم ولا دخلها شيء من انساب الامم الاسلامية التي نزلت الشام بعد العرب كالاتراك او الاكراد او الفرس او الجركس او غيرهم . ولكن خالطها كثير من انساب الامم النصرانية التي نزلت هناك كالارمن والروم والافرنج من زمن الصليبيين وما بعده . لان هؤلاء كانوا اذا جاؤا سوريا استقروا فيها وتناسلوا ونسيت انسابهم وتكلموا العربية وتخلقوا باخلاق السوريين وعاداتهم وصاروا منهم

فانساب نصارى الشام الآن ترجع الى انساب اصلية وهي الآرامية ( السريان والكلدان ) وانساب دخيلة اقدمها واكثرها شيوعاً على سواحل البحر المتوسط اليونانية لان اليونان جاءوا سوريا واختلطوا باهلها من اقدم ازمنة التاريخ وكانوا ينزلون شواطئها وزاد نزوحهم بعد زمن الاسكندر حتى صارت سوريا بلداً ثانياً لهم كما تقدم . وظلوا يتوافدون اليها بعد الفتح الاسلامي وما زالوا على ذلك الى الآن . وفي سوريا بيوت كثيرة تنتسب الى اليونان واسماؤها تدل على أصولها كبيت يني وماولي وكتسفليس وباباذوبليس وفيليبيدس وغيرهم . ومنها بيوت تبدلت اسماؤها باسماء عربية وحفظت انسابها عند اهلها كبيت مشاقة في دمشق الشام فهم يرجعون بنسبهم الى يوسف بركي من كورفو ببلاد اليونان نزل طرابلس الشام وكان تاجراً بالمشاقة فعرف اسمه بها . وبيت مسرة فرع من اسرة يونانية نشأت في طرابزون جاء جدها الى ديار بكر فحلب وتفرعت في دمشق ومصر

اما النسب العربي في السوريين فانه قديم وعريق فيهم ايضاً لكن اكثره في شرقي الشام وجنوبها مما يلي جزيرة العرب لان اهل هذه الجزيرة كثيراً ما كانوا ينزلون ماجاورهم من القرى ويتحضرون . ولكن تلك الاصول القديمة قد ضاعت الآن واكثر ما يعرف

من النسب العربي في السوريين يرجع الى الغساسنة وهو متأصل فيها قبل الاسلام ثم توالى دخول الغساسنة الشام واندماجهم باهلها جيلاً بعد جيل اما التماساً للرزق بالزرع أو غيره اوفراراً من العرب المسلمين في مشارف الشام . واحدث ما يذكرونه من توافدهم الى سوريا مهاجرتهم في اواسط القرن الخامس عشر على اثر خصام وقع في حوران حملهم على الالتجاء الى المدن فتفرقوا في سوريا ونزل منهم جماعة كبيرة في جنوبي لبنان . وكثيرون من نصارى هذا القسم الروم الارثوذكس وغيرهم ينتسبون الى الغساسنة وقد نزل بعضهم للمدن وتناسلوا فيها . وهناك عشائر نصرانية كبيرة ترجع باصولها الى حوران فمشايخ بيت الخازن في لبنان ينتسبون الى اصل حوراني ويقولون ان جدهم جاء من اذرع في حوران في اواسط القرن الخامس عشر . وكذلك اسرة المطران في بعلبك وزحلة فانهم في الاصل من جالية حوران . وهكذا يقال في بيوت جبارة وغنام وحوراني وعطية وشقير وطراد وحداد وصفير وغصن وغيرهم

وأما سائر الانساب النصرانية فمنها الاصول الارمنية وهي كثيرة وكلها تعد من جملة السوريين كبوت هندية وخياط باشا وابكاريوس وورتبات وقرابيت وغيرهم . ومنها الاصول الافرنجية وقد ضاعت اسماؤها الا قليلاً منها كبيت ابيلا من الاسبان وبيت طاسوس الايطاليان وبيت شرشل من الانكليز . وينتسب بيت كرم في اهدن الى كولونل فرنساوي . وبيت طربيه في طرابلس ينتسبون الى الفرنساويين من زمن الصليبيين . وقس على ذلك سائر الامم المسيحية التي نزلت الشام واختلطت باهلها مما يطول شرحه

فالسوريون المسيحيون ليسوا عرباً من حيث النسب وان كان فيهم شيء من دم العرب بل هم اخلاط من امم شتى ولكنهم يعدون عرباً لانهم يتكلمون العربية وقد توالدوا في بلاد عربية وتخلقوا باخلاق العرب . فسوريا اصبحت بعد الفتح الاسلامي عربية لنزول العرب المسلمين فيها واتخاذها وطناً لهم وقد نشروا فيه لسانهم وعاداتهم وآدابهم فسكانها يعدون عرباً وان لم يرجعوا بانسابهم الى قبائل العرب

والعرب بهذا الاعتبار ثلاث طبقات (١) اهل البادية الذين ينتسبون الى القبائل العربية ولا يزالون محافظين على انسابهم (٢) العرب المسلمون الذين نزلوا الارياف واختلطوا بغير العرب بالتزاوج واندمج فيهم سواهم من الامم الاسلامية غير العرب وهم سكان المدن في الشام والعراق ومصر والمغرب تجمعهم اللغة العربية والدين الاسلامي (٣) العرب المولدون المنتسبون الى العرب وهم المسيحيون من سكان هذه البلاد فانهم

يعدون عرباً باعتبار لغتهم وعاداتهم وآدابهم لا من حيث انسابهم . ومنهم نصارى الشام والعراق واقباط مصر . وعلى هذا القياس يعد نصارى بر الاناطول الذين يتكلمون التركية اتراكاً واكثرهم من اليونان وقس عليه

## قانون المطبوعات

### قرار مجلس النظار في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ باعادة قانون المطبوعات

حيث ان الحكومة لم تنفذ منذ سنة ١٨٩٤ قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١

وحيث ان الجمعية العمومية طلبت من الحكومة في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٣ ردع الجرائد عن تجاوزها الحدود وعن الفوضى التي وصلت اليها وأرسل اليها مجلس شورى القوانين طلباً مثل هذا في ٣٠ يونيه سنة ١٩٠٤

وحيث ان عدم تنفيذ قانون المطبوعات لم يزد هذه الجرائد الا تمادياً في التطرف والخروج عن الحد حتى ادى ذلك لشكوى الناس بلسان الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين من هذه الحالة التي اضرت بمصالح البلاد ضرراً بليغاً

فقد قرر مجلس النظار ما يأتي :

اولاً : يعمل باحكام قانون المطبوعات ( الصادر بتفسيرها وتوضيحها القرار الوزاري الرقيم ١٩ دسمبر سنة ١٨٨١ ) فيما يتعلق منها بنشر الجرائد في القطر المصري . وكل جريدة يثبت صاحبها بالكيفية التي تقررها نظارة الداخلية ان اصدارها كان مطرداً حتى صدور هذا القرار تعتبر كانها حاصلة فعلاً على الرخصة التي نص عليها القانون . وكل جريدة من هذه الجرائد لم يسبق لها ايداع التأمين المنصوص عليه في القانون تعفى من ايداعه أيضاً

ثانيا : تسري أحكام القانون المختصة بالمطابع على المطابع الجاري طبع جرائد فيها وذلك فيما يختص فقط بالمخالفات المتعلقة بطبع هذه الجرائد غير انه

ا : لا يطلب ايداع التأمين المنصوص عليه في القانون

ب : وتعتبر الرخصة كانها اعطيت فعلاً لكل مطبعة يكون مطرداً طبع الجرائد فيها

ثالثاً : يجوز في كل وقت للحكومة عند الاقتضاء استعمال السلطة المنصوص عليها في المادتين العاشرة والسابعة عشرة من القانون

### قرار ثان

بعد اطلاع مجلس النظار على قراره في هذا اليوم بتنفيذ قانون المطبوعات الصادر في ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٨١ قرر تكليف سعادة ناظر الداخلية باقامة الدعوى أمام المحاكم عن المخالفات التي تقع من الجرائد ما لم يستصوب المجلس تنفيذ المادة الثالثة عشرة من القانون للوصول الى الغاية المقصودة

هذا قرار مجلس النظار الحقناه بما تقدم عن قانون المطبوعات في مكان آخر من هذا الهلال

## مسألة الازهر

### انقضاء الازمة

وعدنا في الهلال الماضي ان نأتي على ما تنتهي اليه مسألة طلبة الازهر . وخلاصة ذلك ان الحكومة لما رأت اهتمام الامة بشؤونهم اجتمع مجلس النظار في ٢٠ فبراير تحت رئاسة سمو الخديوي ونظر في مسألتهم فقرر العفو العام عن الطلبة وكل الذين قاموا بالمظاهرات والاضراب عن الدروس . وايقاف العمل موقتاً في الازهر بالنظام الجديد مع الرجوع الى قانون سنة ١٣١٤ في ما يختص بادارة الازهر وسير التعليم فيه واحكام الامتحان والنظام العام . والى قانون سنة ١٣١٢ في من تنطبق عليهم احكامه في الامتحان وكل ذلك موقتاً . وبناء على هذا القرار اعلنت مشيخة الازهر العلماء والطلبة الموجودين يومئذ في القاهرة بان يعودوا الى القاء الدروس وتلقيها في الغد ( ٢٢ فبراير ) في الجامع الازهر وما جاوره من الاماكن المعتاد التدريس فيها أما المتغيبون من الفريقين بالسفر فيجب ان يرجعوا الى دروسهم في مدة لا تتجاوز اسبوعاً

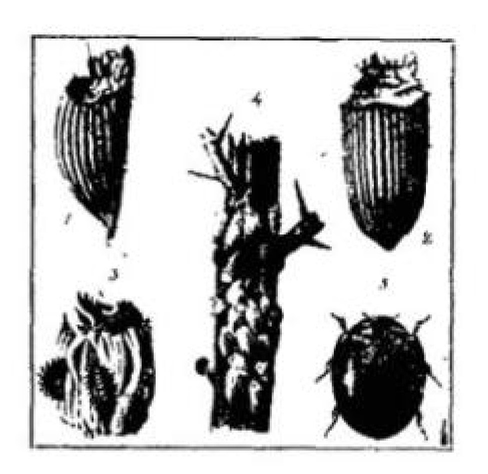
وختم اعلان المشيخة بما يأتي « هذا وليعلم ان اللجنة المنوطة بفحص مطالبهم لا تزال توالي الاجتماع لهذا الغرض ومتى فرغت من عملها رفعته للسدة الخديوية ليصدر الامر السامي بما يوافق »

فرجع الازهريون العلماء والطلبة الى دروسهم وافرج عن المسجونين منهم وعادت المياه الى مجاريها

# ابادة الحشرات

## لكل شيء آفة من جنسه

نعني بالحشرات الدويباب الصغيرة كالهوام ونحوها واكثرها موذٍ يخافها الانسان على نفسه وغرسه وقد يبذل جهده في اتقاء شرها . و يدخل فيها البعوض والعث والبراغيث والبق والنمل والذباب . بعضها قليل الاذى و بعضها كثيرهُ وفيها السام وغير السام ولكنها على الاجمال من جملة اسباب العذاب . وقد يتبادر الى اذهاننا انها خلقت لعذابنا وانها تعيش بامتصاص دمائنا او باختلاس طعامنا على اهون سبيل . ولكنها في الحقيقة تتنازع على رزقها وتتقاتل و يفترس بعضها بعضاً ويعيش بعض اجناسها باقتناص الاجناس الأُخرى



1 و 2 الحشرة ايسيريا بورشاسي في بلوغها 3 دودة الحشرة نوفيوس كردنالس التي تفترس ايسيريا 4 ايسريا تتسلق الغصن ونوفيوس تفترسها 5 نوفيوس في حال البلوغ التام

ويختلف اغتذاؤها بعضها من بعض باختلاف الانواع فمنها يتربص حتى يرى جثة حشرة ماتت ببعض الطواريء فيأ كلها كما يفعل النمل الاعتيادي بما يعثر عليه من جثث الخنافس او الذباب او نحوها ومنها ما يسطو على بيوض نوع آخر من الهوام فيأ كلها . ومنها انواع تلقي بيوضها في أجسام هوام أخرى ولا تلبث ان تتحول الى ديدان تسري في ابدانها وتميتها ثم تأ كلها . و يستفيد الانسان من هذه الخاصة باتقاء شر الحشرات التي تسطو عليه اوعلى

مغارسه فتتلفها بان يبحث عن الحشرة التي تسطو على عدوته هذه ويربيها ويرسلها عليها وهي تتكفل بابادتها

وقد استفاد المتمدنون بهذه الخاصة بعد درس طبائع الحشرات فوفقوا الى وقاية المواسم من الهوام المؤذية التي تسطو على المغارس كما تسطو الدودة على القطن المصري . واشتغل في درس هذه الطبائع مارشال وكيفر وديكو و برلسك وغيرهم وخدموا الزراعة بنتائج ابحاثهم

واقرب الامثلة على ذلك مغارس الليمون والبرتقان في كليفورنيا فقد سطت عليها دودة اصلها من اوستراليا اسمها العلمي ايسريا بورشاسي Icerya Purchasi واتلفت الزرع فاشار الموسيو ريلي احد علماء الحيوان هناك على صاحب المغارس ان يرسل مندوبًا الى اوستراليا يدرس طبيعة هذه الحشرة و يبحث عن الحشرة التي تفترسها . فانفذوا عالمًا اسمه كوبل فذهب الى هناك واكتشف حشرة اسمها في الاصطلاح العلمي نوفيوس كرديناليس Novius Cardinalis اكثر سائر الحشرات سطوًا على تلك الدودة فحمل منها امثلة الى كليفورنيا واستولدوها فتكاثرت وفرقوها على المزارعين فارسلوها بين الاغراس فسلمت الاشجار وهي تقتنص آثار تلك الدودة وتفترسها او تتلفها وكرروا ذلك عامين فسلمت الاشجار من تلك الدودة

فالقطن المصري قد تعب الكيماويون والمزارعون في التفتيش عن دواء لابادة دودته التي كثيرًا ما اثقلته واضرت باصحابه فما عليهم الا ان يبحثوا عن حشرة تسطو عليها وتقتلها بانقاد من يدرس طبيعة هذه الحشرة في موطنها الاصلي وهي اسهل الوسائل لوقاية القطن المصرى من الاذى

---

## الهلال الاول من السنة السابعة عشرة

### الطبعة الثانية

فرغنا من اعادة طبع الهلال الاول من السنة السابعة عشرة الحالية فنرجو ممن اشترك بعد نفاد طبعته الاولى ولم يصله هذا الجزء ان يخبرنا فنبعث به اليه . وقد اخذنا في اعادة طبع الهلال الثاني وسنعلن ظهوره في حينه

# سكسافون

## آلة تميز الذكر من الانثى

اكتشف علماء هذا العصر كثيرًا من اسرار الطبيعة ونواميسها بما لم يسبق له مثيل في تواريخ العصور حتى سموه عصر الاكتشاف والاختراع . لكن ما بقي غامضاً عن اهله اكثر كثيرًا مما عرفوه اذ لا يمضي يوم لا نعرض لنا حوادث يعجزنا تفسيرها ونذهب في تعليلها كل مذهب بما لا يخرج عن حدود التخمين . ومن اغمض الظواهر الطبيعية ما كان متعلقاً منها بالحياة واغمضها ما كان من اعمال العقل او المخيلة . وهذا ما حدا بالناس الى التحدث بالارواح فانكر العلماء وجودها واستنبطوا الفاظاً يغطون بها جهلهم فقالوا تليباثي وهبنوتزم وقراءة الافكار ونحو ذلك وهي لا تشفي غليلاً . وكلما تعمقنا في التفكير زدنا شعورًا بعجزنا لكن الانسان مفطور على البحث والاستنتاج فلا ينفك يراقب الحوادث و يستخرج اسبابها و يتعلق بالدليل ولو كان ضعيفاً لتعليل ما شغل خاطره من الغوامض

ومما شغل الخواطر وتاقت الى معرفة حقيقته النفوس سبب الذكورة والانوثة في الحيوانات وخصوصاً الانسان واقل منها معرفة ما في بطن الحامل قبل الوضع ذكرًا هو او انثى . وقد ذهب الناس في ذلك مذاهب اكثرها من قبيل الخرافات ولا تزال هذه المسألة تحت البحث وما برحت تعدُّ من الغوامض

غير ان بعضهم وفق الى اكتشاف يرجى الوصول به الى تلك الامنية . ذلك ان مهندساً انكليزيًّا اسمه وليمس يشتغل بتربية الفراخ وتوليدها . اتفق انهُ كان في احدى غرف معمله كرة صغيرة من الفولاذ معلقة بسلك رفيع الى وتد في الحائط . فرأى هذه الكرة ذات يوم تتحرك كالرقاص ذهاباً واياباً بلا سبب ظاهر . ولما طال تحركها اصبح شديد الميل الى استطلاع سببه فرأى تحتها قفصاً من بيض الدجاج فخطر له ان يزيح القفص لعلهُ يجد تحتهُ قطعة من المغناطيس فلم يجد شيئاً . لكنه ما عتم ان رأى ذلك الرقاص قد كفت حركته فاعاد القفة فعادت الحركة فتحقق ان بين وجود البيض وتلك الحركة علاقة . فاخذ يبحث في تفاصيل تلك العلاقة لعله يستفيد منها . فوجد للرقاص حركتين احداهما خطرانية ذهاباً واياباً مثل حركة الرقاص والاخرى مستديرة ترسم دوائر تامة . وتحقق بعد تجارب عديدة ان ذلك الرقاص الفولاذي لا يتحرك ما لم يكن تحته بيض أو غيره من الاجسام الحية

ولا يتحرك فوق البيض الفاسد . وان حركته تكون خطرانية اذا كانت البيضة انثوية أي تنقف عند الفقص عن دجاجة . وتكون مستديرة اذا كانت تنقف عن ديك . وقد جرب ذلك مراراً عديدة واستفاد منه فائدة مادية فاصبح قادراً على التفريق بين البيض الفاسد والصحيح وفي هذا بين الانثى والذكر فيولد المقادير التي يريدها من كل منهما

ثم وجد هذا التمييز في الحركة ينطبق على الذكور والاناث في سائر الحيوانات . فاذا علق الرقاص المذكور فوق رأس رجل أو غلام تحرك حركة مستديرة واذا علق فوق امرأة أو فتاة كانت حركته خطرانية . وجرب ذلك بجماعة من علية القوم احدهم السير الفرد ترلر كما نرى في هذا الرسم



السكافون اوالرقاص الفولاذي فوق رأس السيرالفرد ترلر يتحرك حركة مستديرة

وقد ذكر المستر ستيد انه قابل المستر وليمس في مكان سماه وسأله عن صحة هذا الاكتشاف فاكد له انها حقيقة ثابتة وهو يبني اعماله على هذه الحقيقة وقد جربها الوفاً من المرار حتى اصبحت معوَّله في توليد الفراخ او الديوك في معمله على ما يختاره . وانه تعوَّد الاسراع في استخدام هذا الكاشف حتى صار يكشف عن ٢٠٠ بيضة كل ساعة ولا تخل هذه القاعدة مرة واحدة كل مئة مرة

وقد جربها فوق حيوانات مخبأة او مغطاة لا يظهر جنسها للناظر فاذا تحرك الرقاص علم انها ذكر أو انثى ويكون كذلك

هذا ما ذكره المستر سنيد في مجلته ووعد ان يزيد القراء تفصيلاً عنه . ولكنه لم يذكر اذا كان المستر وليمس جرب آلته هذه على الاجنة لمعرفة جنسها من الانوثة او الذكورة لعلها تكفي الناس مؤونة التحسر على معرفة ما في بطون الحوامل — ولله في خلقه شؤون

# يوسف راي المكسيكي

## لا تؤذيه سموم الحيات



يوسف راي يلاعب الثعابين السامة

الحيات السامة كثيرة وهي انواع متعددة ترجع الى قسمين عظيمين وكلها اذا لسعت تقتل ومنها حيات تقتل الملسوع في بضع دقائق لقوة سمها وهي كثيرة الاذى ولا سيما في الهند لكثرة انتشارها هناك . ومنها نوع يعرف عندهم باسم (ناجا) يعشش في المنازل فتبلغ الوفيات بسمه في العام من ١٦,٠٠٠ الى ٢٠,٠٠٠ نفس من الناس ونحو ٤,٠٠٠

دابة من البقر والخيل . ويقال نحو ذلك في المكسيك فان حياتها السامة كثيرة بينها ثعبانات هائلة من اصناف الكوبرا واللاشة اذا حقن ١٥ مليغراماً من سمها في وريد انسان أحدث فيه اعراضاً مميتة

وهي تفعل فعلها السام كيفما دخل سمها الدم في الانسان او غيره من الحيوانات ويندر في الحيوانات من لا يؤذيه سمها وأندر منه في الانسان . اما الحيوانات فقد ذكروا انواعاً من القنافذ والنموس لا يؤثر فيها سم الحيات او يكون تأثيره قليلاً . اما الناس فلم يعرف حتى الآن انسان ثبت بعد التجربة العلمية انه لا يتأثر من سم الحيات الا شاباً مكسيكياً اسمه يوسف راي هو الآن في الثانية والعشرين من عمره يقيم في كويريرو من ولايات المكسيك . وهو هندي المنبت اي من سكان المكسيك الاصليين . شاهده الدكتور مولين الرحالة ووصفه لاصدقائه وتناقلت اخباره الصحف . قال الراوي اذا نظرت الى ذراع يوسف هذا رأيت فيه ندبات كثيرة كان الثعابين كانت تنهشه نهشاً . وربما رأيت في القيراط المربع بضع لسعات وكل لسعة احدثت جرحاً نفث فيه الثعبان سمه وهو يحمل في جرابه ثعابين سامة ليس كما يفعل غيره من الحواة فيحملون حياة لا انياب لها ولا سم فيها . وهو يستولي على الثعابين او يتقي لسعها بقضيب مرن يضربها به على رأسها . وقد تعصاه فتلسعه فيبادر الى سكين يقطع به موضع اللسع ويكرر القطع كلما لسع . ولا يفيده القطع لو لم يكن دمه لا يقبل هذا السم . ومهما يكن من سبب ذلك فان يوسف راي هذا قد لسعته الحيات مئات من المرات ولم يستخدم في معالجتها دواء ولا هو يشكو تسمماً

وهو يرتزق من عرض نفسه على الناس ومعه الثعابين القتالة يلاعبها بانامله ويلفها على عنقه بعد ان يكشف للناس عن انيابها . واذا لسعته عمد الى السكين وقطع مكان اللسع . وهو يكتسب نحو عشرة جنيهات كل يوم بالمكسيك وربما انتقل الى اوربا قريباً وقد يجيء مصر

---

# وكالة الهلال

## في الولايات المتحدة

ان اسعد افندي الحاماتي الذي كان وكيلاً للهلال في الولايات المتحدة الاميركية قد استقال من الوكالة فنرجو من حضرات المشتركين هناك أن يرسلوا بدلات الاشتراكات رأساً الى ادارة الهلال بمصر ريثما نعين وكيلاً آخر

# باب السؤال والاقتراح

## مناجاة الارواح

( بيروت ) خليل افندي ابراهيم دبوس

قرأنا في بعض جرائدنا المحلية مقالة ضافية للدكتور ابرهيم يوسف عربيلي عن استحضار الارواح ومناجاتها . وعدَّد الكاتب اسماء جمعيات كثيرة ترمي الى هذه الغاية . وآخر ما شاهده بعيني راسه في البلاد الاوربية من مدام « توسون » العرافة او « الوسيطة » انها احضرت له والدته « مريم » المتوفاة من زمن بعيد وكلَّمها بحضور جم غفير من الناس ثم توارت عنه . انتهى

وقد قصصت هذه الرواية على لفيف من الاصحاب فبعضهم اقر بصحتها وآخرون كذبوها اشد تكذيب بقولهم انها « شعوذة » واخيراً اتفقنا على ان يكون الهلال حكماً بيننا مع الاذعان لما يبديه

( الهلال ) وجاءنا سؤال آخر بهذا المعنى من سليم افندي فؤاد في كفركلا الباب بالسنطة وآخر من ح . ع . ج في المطرية دقهلية

والجواب على ذلك ان مسألة الارواح لا تزال من المسائل الغامضة التي لم يقطع العلم بصحتها او فسادها مع انها تخالف النواميس الطبيعية المعروفة . وانما تركت بين المعضلات التي لم يقطع فيها لان العلماء الطبيعيين لا يدعون الاطلاع على نواميس الكون كلها بل هم يعترفون بعجزهم عن تعليل كل حوادثه فاذا عرض لهم حادث لم يستطيعوا تعليله بما يعرفونه من النواميس الطبيعية تركوه معلقاً حتى يكشف الزمان حقيقته . لان الطبيعيات لا تزال قابلة للتعديل والتصحيح بخلاف الرياضيات فانها لا تقبل تعديلاً . اذا قلت للرياضي مثلاً الا يمكن ان تكون الزوايا الثلاث من مثلث في بعض الاحوال اكثر من زاويتين قائمتين بل لو اتيته بمثلث وقست زواياه بين يديه وبينت له انها اكثر من قائمتين فانه لا يكلف نفسه النظر في برهانك بل يحتم قطعياً انك مخطئ . وربما كان الخطا من

الآلة او غيرها لان اعتقاده بصحة تلك القضية الهندسية لا يقل عن اعتقاد كل انسان ان مجموع الاثنين والاثنين اربعة

وليس الحال كذلك في المسائل الطبيعية فان الاكتشافات المتوالية تأتينا كل يوم برأي جديد فلا يجوز لنا الاعتقاد اننا بلغنا الحقيقة التي لا يمكن نقضها . فقد مرَّ على العلوم الطبيعية ادوار وكان اهل كل دور يعتقدون انهم بلغوا الكمال في تفسير الحوادث وتعليلها فيخلفهم عصر آخر ينتقد آراءهم و يضحك من تعاليمهم وهكذا على توالي الاجيال

كان العلماء في القرن السادس قبل الميلاد يعتقدون ان الماء اصل كل مواد هذا الكون من الجوامد والسوائل والغازات وهو رأي الفيلسوف طاليس . ثم زعم من جاء بعده ان تلك المواد ترجع الى العناصر الاربعة الماء والنار والهواء والتراب . وهو ماجرى عليه علماء اليونان والرومان والعرب والافرنج الى عهد غير بعيد . وكانوا يعللون كل ظواهر الكيمياء والطبيعيات بهذا الرأي لا يلاقون صعوبة ولا اشكالاً . ولا يخفى عليك ان هذا القول يعدُّ اليوم من الخرافات بعد ان انقلب علم الكيمياء انقلاباً كليًّا بما توصلوا اليه من التحليل والتركيب . فوجدوا ان مواد الكون مؤلفة من عناصر بسيطة عددها زهاء ثمانين عنصرًا وهي تزداد يوماً عن يوم بما يكتشفونه منها . ولا يبعد ان يتصل اهل القرن العشرين الى تحليل هذه العناصر الى بسائط اخرى ترجع الى مادة واحدة يتكون من تركبها بعضها مع بعض على نسبٍ مختلفة كلُّ هذه العناصر . فيكون الكون مؤلفاً من مادة واحدة وقوة واحدة

و يقال مثل ذلك في علم الطب . فقد كان مدار التشخيص والعلاج عند الاقدمين على الاخلاط والامزجة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك . وكانوا يعللون به كل الحوادث التي تقع لهم تعليلاً مقبولاً بالنظر الى تلك العصور . ولم يخطر ببالهم الميكروب ولا الاكسجين ولا افتقروا اليهما في التعليل

فكان الشيخ الرئيس يعلل اسباب الحميات وسائر الاوبئة تعليلاً يقبله اهل عصره كما نقبل تعليلها اليوم بما نعرفه من النواميس الحديثة . فلا يبعد ان يأتي بعدنا اناس تنكشف لهم نواميس لم تنكشف لنا فينظرون في الحوادث الطبيعية غير نظرنا فتختلف فيها اراؤهم عن آرائنا . وربما ضحكوا من جهلنا كما نضحك من جهل سلفائنا . فالطبيعيون الذين استوعبوا العلم لا ينكرون وجود الارواح انكارًا قطعياً لانهم لا يدعون الكمال في علمهم وادعاء الكمال من شأن ناقصي العلم . و يكثر ذلك في الشبان عند اول طروقهم ابواب

العرفان فلا يكاد احدهم يتعلم مبادىء الطبيعيات حتى يتبادر الى ذهنه انه اوتي العلم والحكمة فيعتقد ان كل ما يبدو من حوادث هذا الوجود مخالفاً لما تعلمهُ انما هو من قبيل الخرافات

نعم ان القول بوجود الارواح يخالف العلوم الطبيعية على ما بلغت اليه حتى الآن ، ولكن العاقل البصير لا يقول باستحالة وجودها لاننا نرى كثيراً من الحوادث التي تجري معنا لا تعلل تعليلاً واضحاً الا بها كالاحلام والتنويم المغنطيسي وقراءة الافكار والتلباثي ، ثم هو لا يجوز له الاعتراف بوجودها لانه يخالف كثيراً من النواميس الطبيعية الثابتة من حيث المكان والمادة والقوة ، فالمعول عليه اليوم أن المادة تشغل كل مكان في هذا الوجود فاين تكون الارواح ، واين تكون قبل الولادة ومتى تحتل الجسم او تنفصل عنه الى غير ذلك

على ان في العلوم الطبيعية الى اليوم آراء يعدونها من اسس هذه العلوم وتظهر عند التدقيق انها غامضة كالراي الجوهري مثلاً وخلاصته ان المادة مؤلفة من اجزاء صغيرة لا تقبل الانقسام سموها الجواهر الفردة وهم يسلمون به لانه يعلل كثيراً من الحوادث الغامضة في الكيمياء والطبيعيات وغيرها ولو اعملت الفكرة في حقيقة تلك الجواهر لتعذر عليك تصورها كما يتعذر تصور الارواح . فاصحاب الرأي الجوهري جعلوا للجواهر الفردة حركة ليعللوا الظواهر الطبيعية بها ولكن الحركة تستلزم المكان والمكان في اعتقادهم لا يكون فارغاً فافترضوا اشتغاله بمادة لم تسمع بها اذن ولا خطرت على قلب بشر سموها « الاثير » وبها يعللون انتقال النور وغيره من القوى الطبيعية وهم يرتاحون الى ذلك التعليل ، ولكن هذا الاثير مادة فهو بمقتضى الرأي الجوهري مؤلف من جواهر بينها حيز لا يكون فارغاً فبماذا نملاه ؟ هل نملاه بمادة اخرى اخف من الاثير ننتحل لها اسماً آخر ؟ ثم ان هذه ايضاً يجب ان تكون مؤلفة من جواهر متحركة وهكذا الى ما لا نهاية له ، ولكنهم قد يقولون أن الاثير مؤلف من مادة متلاصقة لا تتجزأ وهذا فرض لا يتصوره العقل اكثر مما يتصور الارواح ، وبعد اكتشاف خصائص الراديوم عدلوا اقوالهم في الرأي الجوهري فقالوا ان الجوهر مؤلف من اجزاء صغيرة سموها اليكترون وقدروا قطر الجوهر الواحد جزءاً من مليون من القيراط وان الاليكترون عبارة عن احاد كهربائية بعضها سلبي و بعضها ايجابي فيكون الجواهر على زعمهم هذا مؤلفة من القوة . . وهذا ابعد عن التصور من الارواح

وخلاصة ما يقال في هذا الموضوع ان وجود الارواح ممكن ولكن لا يجوز القطع بوجودها او عدمه لنقص ابحاثنا حتى الآن ولان ما يروى لنا من احاديثها اكثره معرض للمبالغة

فيخرج عن اصله ولا يستطاع التعويل عليه

اما ما ذكره الدكتور عربيلي في جرائد بيروت عن الحوادث التي شهدها بنفسه فقد سمعناها من فيه هنا وظهر لنا من مجمل حديثه انه يعتقد ما يقوله فهو صادق لانه قال ما يعتقده بلا تمويه او كذب . ولكن صدقه لا يستلزم صحة ما يرويه اذ كثيراً ما يرى الناس اشياء لا وجود لها وانما يصورها لهم الوهم واكثر ما يعرض ذلك لاصحاب المزاج العصبي فان للاوهام سلطة كبيرة عليهم ولا يفلح اصحاب الارواح غالباً الامع هؤلاء لانهم يتسلطون على اعتقادهم بالتنويم المغنطيسي او الايهام فيجعلونهم يرون اشياء لاوجود لها الا في مخيلة المنوم

## الحواة واستخراج الثعابين

معقلة زحلة — الياس افندي يوسف

جاءنا رجل مصري مهنته التقاط الحيات فاذا دخل بيتاً تمتم وعزم وذكر اسم الله واسم سليمان الحكيم والرفاعي فتنزل الحية فيلتقطها و يقلع اسنانها و يسلمها الينا ولا خوف منها فنقلبها ،اذا هي كسائر الحيات وقد ادهش الناس باعماله . فكيف يتسلط على الحية ولا يخاف لسعها وقد بذلنا الجهد في كشف هذا السر واختلفنا في تعليله لكن اتفقنا على استفتاء الهلال

الهلال — الحواة مشعوذون ليس فيهم من القوى ما ليس في سواهم غير الخفة والبراعة في ايهام الناس انهم يلتقطون الثعابين في المنازل والغالب ان يأتي الحاوي بالثعبان معه وكثيراً ما سمعنا بهؤلاء الحواة واعمالهم فافضى بنا حب البحث الى تجربة الامر بنفسنا فاستقدمنا أمهر حواة القاهرة وطلبنا اليه اخراج حية قلنا له انا سمعنا حفيفها في سقف المطبخ . فجاءنا ذات يوم حاملاً جرابه ومتشحاً بجلابيته ولم يشأ ان يدخل المطبخ قبل ان نتفحص ثيابه ونتحقق خلوها من الحيات . فادخلناه غرفة وجردناه من ثيابه حتى وقف فيها عرياناً ويداه خاليتان فلم نر معه شيئاً . ثم لبس جلابيته ودخل المطبخ وجعل يعزم ويتمتم ونحن نراقب حركاته وسكناته ولم نر فيها ما يوقع شبهة في صدقه . ثم مد يده الى احدى زوايا المطبخ واستخرج حية رأيناها رأي العين كأنها تنساب بين الاواني فعجبنا غاية العجب لانطلاء تلك الحيلة علينا

ولكننا استعدنا العمل ثانية والتمسنا من الرجل استخراج حية أخرى فاستخرجها من زاوية أخرى ونحن ننظر اليه ولا نشم بالحيلة . ولكن اعتقادنا شعوذة الحواة ما زال ثابتاً فينا وازداد ميلنا الى استطلاع كنه حيلهم فتقدمنا الى الرجل ان يطلعنا على

كيفية اخفائه الحية وطريقة استخراجها على هذه الصورة وقلنا له انا على يقين بخلو منزلنا من الحيات وانا لم نستخدمه الا على سبيل الامتحان • فابى مكاشفتنا واصرّ على انه انما استخرج الحيتين من منزلنا • فلما اعيتنا الحيلة استرضيناه بالنقود على شرط ان يطلعنا على ذلك السر • فلما قبض الجعل تبسم ورفع يده فأرانا ابطه فاذا هناك حية ملتفة حتى صغر حجمها ولم تعد تظهر لغير المتأمل • وقال اني اضع الحية على هذه الصورة هنا فاذا جردتموني من ثيابي فهي باقية تحت ابطي لا ترونها وقد اجعلها في ابط رجلي او بين فخذيّ او في مخبأ آخر من جسمي • فلما آخذ في التعزيم استخرجها بخفة واضعها في اي مكان اردته ثم اريكم اياها خارجة من هناك • فلم نثق بقوله حتى اجراه فعلاً امامنا وذلك انه لف الحية على نفسها وجعلها تحت ابطه ووقف يعزم وينادي كجاري العادة ونحن نراقبه فاذا به يجرها من تحت الطاولة وهي تحاول الفرار منه ولم نشعر به حين اخرجها من ابطه

## دول الاسلام وملوكها

(عكا) ايليا افندي قسطا زربق

كم هو عدد ملوك الدول الاسلامية من عرب واتراك وغيرهم من اول الاسلام الى الآن مع ذكر سلسلة اسمائهم ومدة حكم كل منهم بالتاريخ الهجري وما يقابله من التاريخ الافرنجي

(الهلال) اذا عرفتم ان عدد الدول الاسلامية مئة واربع دول وعدد ملوكها ١٣٨٣ ملكاً نظنكم تعفوننا من ايراد ما طلبتم في الهلال لانه يستغرق هلالين معاً • وانما يستوفى ذلك في كتاب برمته

## حريق مكتبة الاسكندرية

(جامعة غلاسكو) احمد افندي صادق عفيفي

ما هو رأيكم في حريق مكتبة الاسكندرية التي كانت فيها لما جاء عمرو بن العاص في صدر الاسلام هل هو احرقها ام احرقها الرومان قبله ومن هو مؤسس هذه المكتبة

(الهلال) قد افردنا فصلاً خاصاً بهذه المكتبة في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي من صفحة ٤٠ — ٤٦ فصلنا فيه تاريخها وبحثنا بحثاً انتقادياً في حريقها ترجح لنا به ان العرب احرقوا ما كان باقياً منها في ايامهم

# باب الاخبار العلمية

(الاشعة الحيوية) يراد بالاشعة القوى التي تنبعث من الاجسام الى ما حولها كما تشع الحرارة من جسم حار فتنتقل الى جسم آخر ابرد منه او تذهب في الفضاء . وكان الناس قديماً لا يعرفون من انواع الاشعة غير أشعة النور واشعة الحرارة . ثم حلوا النور الى الطيف الشمسي فظهرت لهم فيه اشعة مظلمة عند طرفي الطيف المذكور ورأوا فيها قوة كياوية تمتاز عن سواها في التحليل والتركيب بعضها في احد طرفي الطيف الشمسي فوق البنفسجي والبعض الآخر في الطرف الآخر وراء الاحمر . ثم وجدوا فرقاً بين اشعة النور الاعتيادي والنور الكهربائي وظن البعض انهما مختلفان في الجوهر . ثم اكتشفوا اشعة رنتجن التي تخترق الاجسام الجامدة . تليها الاشعة الحيوية التي يكني عنها العلماء بحرف (N) كما يكنون عن اشعة رنتجن بحرف (X) والاشعة الحيوية وصفناها في الهلال مراراً وتمتاز عن سواها انها تنبعث عن الاجسام الحية . وعرفوا تنوعاً من اشعة رنتجن سموه الاشعة الكاثودية ثم اكتشفوا الاشعة الراديومية وهي تنبعث عن بعض المعادن واهمها الراديوم والاورانيوم والثوريوم . واخيراً اكتشف هرز تنوعاً من الاشعة نسب اليه فقيل الاشعة الهرزية وتمتاز ببطء سيرها وطول امواجها ولا يبعد وصولهم بامثال هذه الاكتشافات الى كشف اسرار الحياة او ايضاح ما هو غامض من احوالها كالعقل ونحوه

(زجاج للمصابيح لا ينكسر) تضاعفت الشكوى من تكسر زجاج المصابيح ولا سيما بعد شيوع الانوار الغازية فان الزجاجة لا تلبث ان تمرّ عليها نسمة باردة وهي حامية حتى تنكسر بانقباض بعضها بالبرودة دون البعض الآخر . ولكنهم اصطنعوا نوعاً من الزجاج لا تفعل فيه هذه المؤثرات يعرف بزجاج بكارا يستخدمونه في المصابيح التي ترسل في اعماق الارض لاضاءة المناجم . فقد جربوا متانته بانهم حموه الى درجة مئة سنتكراد ثم غمسوه في ماء درجته ١٣ فلم ينكسر وهو مركب من المواد الآتية على هذه النسبة :

| | | | |
|---|---|---|---|
| رمل | ٧٥ | اكسيد الزنك | ٦ |
| بيكربونات الصودا | ١٣ | اكسيد الرصاص الاحمر | ٥٠ |
| كربونات المغنيسيا | ٩ | | |

(الاثمار المضيئة) في جزائر المحيط وفي بعض جهات اميركا الجنوبية نوع من النبات له ثمر يسمونه «زبدة الجوز» او «شمعة الجوز» ويسميه اهل البلاد الاصليون بلسانهم «سابوكايا» يقتاتون به ويستضيئون بنوره لانه يشتعل بلا دخان ولا رائحة. يوقفون الجوزة في موقف كالمسرجة ويشعلونها فتضيء الى آخرها

(مستشفى للسل سائح في البحار) تقرر لدى الاطباء أن السل لا يشفى الا بالهواء النقي المطلق والغذاء الجيد فالغذاء ميسور في كل بلد واما الهواء النقي فافضله هواء البحار ولذلك فقد أخذ بعضهم يهتم بانشاء مستشفى للسل (سناتوريوم) في باخرة كبيرة تطوف البحار تعدُّ فيها الاغذية على ما يناسب المسلولين وتبنى فيها غرف مكشوفة يلعب فيها الهواء. فيدخله المريض يدفع جعلاً لا يزيد عن اربعين فرنكاً عن الطعام والمنام كل يوم ويجد كل ما يحتاج اليه هناك. والشفاء مضمون اذا لم يكن المرض قد بلغ اقصى درجاته واخذ الضعف مأخذه من المريض. فاذا قضى المريض شهراً او بضعة اشهر في هذه السياحة عاد صحيحاً معافى. وسيخرج هذا المشروع الى حيز العمل قريباً

✻ دلالة النبات على الطقس ✻ اذا صحت السماء وكان الطقس جميلاً اشرق وجه الطبيعة وتفتحت الازهار لاستقبال نور الشمس. واذا تكدر الطقس وتلبدت السماء بالغيوم تنقبض الطبيعة وتساعدها الازهار في ذلك. لكن بعض النبات ادق احساساً عند هذا التغيير من سواه فشقائق النعمان لا تفتح ازهاره وتنتعش اوراقه الا اذا صحا الجو وانجلى وجه السماء. فاذا تكدرت ولو قليلاً تطبقت الازهار وذبلت الاوراق ويقال نحو ذلك في البرسيم وغيره من الاعشاب الحساسة

✻ نيازك جديدة ✻ سقط في قرية جوبيلا باسبانيا خمسة احجار نيزكية يختلف وزنها من كيلوغرام الى خمسة كيلوغرامات واتفق وقوع بعضها على زرع جاف فاحدث حريقة لان النيازك تشتد حرارتها بالفرك لسرعة سقوطها من اعالي الجو. وكسروا بعضها فوجدوا باطنه مبلوراً واما ظاهره فقد اكتسى قشرة خشنة اذابتها الحرارة فذهب تبلورها

✻ التطعيم للوقاية من التيفوئيد ✻ تهتم نظارة الحربية باميركا باتخاذ الوسائل لحماية جندها من الحمى التيفوئيدية بواسطة التطعيم بها كما يطعم بالجدري للوقاية منه وهي ترجو ان تنجح بذلك

✻ جائزة بريسا في اكاديمية تورين ✻ اعلنت اكاذيمية العلم في تورين (بايطاليا) عن جائزة قدرها ٩٫٣٠٠ فرنك عينها المسيو بريسا نصير العلم والعلماء تعطى مكافأة عن

اعظم اكتشاف او اختراع او افيد تأليف علمي يظهر سنة ١٩١١مهما تكن جنسية صاحبه او تبعيته . اي انه اعطى المخترعين والعلماء مهلة ثلاث سنوات للقيام باحد هذين العملين

﴿مدافع خرساء﴾ يشتغل السير حيرام مكسيم المخترع الشهير باصطناع مدافع اذا ظهرت احدثت انقلاباً كبيرًا في القوات العسكرية لانها ستكون خرساء لا يسمع صوت اطلاقها وذلك انه سيجعل عند فوهة المدفع صماماً يطبق عليها حالما تخرج القنبلة فيمنع الغاز المتولد باحتراق البارود من الانتشار والصوت انما يحدث بانتشاره بعد ضغطه . وقد جربوا مثالاً على هذا المبدأ في معمل الاسلحة في سبر ينفلد فلم يسمع صوت اطلاقه الاَّ لمسافة خمسين مترًا

﴿ارسالية مغنطيسية﴾ عني معهد كرنجي في وشنطون بانفاذ ارسالية من العلماء تتجسس مغنطيسية الارض على اختلاف البقاع . فارسلت وفدًا الى الصين وآخر الى افريقيا وآخر الى اسيا الصغرى وغيرها من الاماكن التي لم يسبق قياس مغنطيسيتها

# الاشتقاق والتعريب

للشيخ عبد القادر المغربي

الشيخ المغربي غنيٌّ عن التعريف بما يقرأه الناس من نفثات يراعه على صفحات المؤيد . وكلهم معجبون باعتداله وصدق لهجته وصراحة افكاره وطلاوة المواضيع التي يطرقها والاسلوب الذي يتوخاه في بسطها بما لم يتعوده من غير المتخرجين في المدارس الاوربية او المطلعين على آداب الافرنج الاَّ نادرًا . والشيخ المغربي تحدى هذا الاسلوب من عند نفسه ثم اخذ في درس اللغة الفرنساوية للاطلاع على آداب الافرنج . وسنرى منه اضعاف ما رأينا باذن الله . ومن مظاهر اعتداله وصراحة اقواله الكتاب الذي نحن في صدده «الاشتقاق والتعريب»

هو كتاب صغير الحجم لكنه جزيل الفائدة بالنظر الى صدوره من شيخ غادرا كثر زملائه يرسفون باغلال التقاليد لايخالفونها ولوخالفت المعقول وانحفنا بحث جعل النواميس الطبيعية رائده فيه . وقد دل بما بسطه في هذا الكتاب على معرفة صحيحة بقواعد الاجتماع ونواميس الارتقاء فضلاً عن سعة اطلاعه على آداب اللغة وعلومها ومفرداتها . فصدَّر الكتاب بمقدمة

في اصل الامة العربية وكيف تكونت بالتجنس ودخول الاجانب في جنسيتها قبل الاسلام وبعده فصلاً عن التوالد فصل ذلك تمهيداً للقول بجواز نمو لغتهم بالتجنس اي بقبول الدخيل فيها خلافاً لزعم القائلين بجمود اللغة وتحريم النمو عليها ثم عمد الى تأييد ذلك بفصول في الاشتقاق والقلب والابدال والنحت بين تأثيرها في تعدد الالفاظ. وكتب فصلاً في التعريب عارض به من يزعم ان وجود اللفظ الغريب في اللغة كوجود مادة غريبة في جسم الانسان. ودفع حجة القائلين ان اللغة توقيفية بتفسير الآية التي يعولون عليها في ذلك « وعلم آدم الاسماء كلها » تفسيراً معقولاً . ثم تكلم عن تكوّن الجنس العربي ونسبته الى الامم السامية وشفع ذلك بفصل في نمو اللغة بالدخيل كما تنمو الاجسام الحية بتوالي التحليل والتركيب اذ يندثر القديم ويخلفه ما يقوم مقامه من الدقائق « الدخيلة » . وأيد ذلك بنمو الامم بالدخيل كما حدث في اميركا وغيرها

ثم أتى بفصول في وظيفة التعريب وشروطه واورد طائفة من المعربات ردها الى اصولها. وتكلم في التعريب ومعربات السنة وافرد فصلاً عنوانه « المعرب عربي او بمنزلته » واتى بالادلة على ذلك وافاض في الكلام عن المولد والمحدث والعامي وختم الكتاب بفصل في نتائج وملاحظات

فالكتاب فريد في بابه وأسلوبه نرجو ان ينسج الكتاب على منواله و يطلقوا هذه اللغة المسكينة من قيود التقليد فتسعفهم في تأدية ما حدث من المعاني بحدوث هذه المدنية بين اظهرهم

---

# مطبوعات جديدة

نقتصر في هذا الباب على ذكر ما يظهر حديثاً من الكتب او الجرائد او المجلات اعلاناً لظهورها ولا نعرض لنقدها او تقريظها . واذا دعت الحال الى شيء من ذلك نشرناه في باب آخر

١ – كتب تاريخية

١ دواني القطوف في تاريخ بني المعلوف : هو كتاب تاريخي الفه عيسى افندي اسكندر المعلوف في تاريخ اسرته ولكنه ضمنه كثيراً من التعاليق والحواشي ملأها بالفوائد التاريخية العمومية كوصف الوقائع والعادات والاخلاق والشؤون العمرانية واصول كثير من الاسر الشرقية وفروعها ومشاهيرها ومواطنها في زهاء ٨٠٠ صفحة مما لا يتيسر الوقوف عليه في كتاب وفيه مباحث علمية وجغرافية واحصائية وذيله بخمسة فهارس وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٤٠ غرشاً

٢ مصطفى كامل باشا : صدر الجزء السابع من سيرة هذا الفقيد العزيز وهو يتضمن تاريخ المسألة الشرقية ويباع في المكاتب الشهيرة وثمن النسخة خمسة غروش

٣ عقود الجوهر : هو كتاب الفه جميل بك العظم محاسب المعارف في بيروت جمع فيه تراجم من لهم خمسون تصنيفاً فمائة فاكثر . وصدر الجزء الاول منه وهو يطلب من مكتبة الهلال بمصر

٤ لبنان والدستور العثماني : وهو بحث سياسي قانوني تاريخي في موقف لبنان الحاضر ازاء الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده تأليف بولس افندي مسعد ويطلب من مكتبة المعارف وثمن النسخة خمسة غروش

(٥) Der Islamische Orient : هو كتاب الفه بالالمانية صديقنا المستشرق الالماني الاستاذ هرتمن جاءنا الجزء الثاني منه وفيه ابحاث علمية اجتماعية في العرب واصولهم وطبقاتهم الى اليوم وفيه تعاليق جاء فيها ذكر كثير من مشاهير الشرق يدخل في نحو ثمانمائة صفحة كبيرة ويطلب من Verlag Rudolf Haupt, Leipzig

٦ تحفة الانام في مختصر تاريخ الاسلام : تاليف المرحوم الشيخ عبد الباسط الفاخوري مفتي بيروت السابق ضمنه مختصر تاريخ الاسلامية الدول من ظهور الاسلام الى الآن في نحو ٣٠٠ صفحة وهو يطب من المكتبة الاهلية في بيروت

٧ A brief narrative of recent events in Persia هو كتاب انكليزي في تاريخ الدستور الفارسي لصديقنا الدكتور براون المستشرق الانكليزي الشهير وقد لخصناه في صدر هذا الهلال

## ٢ — الكتب العلمية وغيرها

١ احصاء المدارس المصرية : هو كشف باحصاء التلامذة الموجودين في المدارس العمومية والخصوصية بالقطر المصري سنة ١٩٠٧ — ١٩٠٨ وضعته ادارة عموم الاحصاء بنظارة الداخلية في ٣٣٠ صفحة كبيرة كلها جداول وفهارس وهو يصدر كل عام

٢ دليل بيروت : هو تقويم يصدر في بيروت في اول كل عام هجري لمؤلفه عبد الباسط افندي الانسي . وبين يدينا التقويم الاول لعام ١٣٢٧ هجرية في ٢٢٠ صفحة تشتمل على كل ما يشتاق زائر بيروت الى معرفته من اسماء الاماكن والاشخاص والمشاهد وغيرها ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٦ غروش

٣ تفصيل وخياطة الملابس : هو اول كتاب وضع في العربية بهذا الموضوع لانه يشتمل على قواعد التفصيل والخياطة للسيدات نقله الى العربية رزق افندي عبد الله بمكتب هندسة وابورات السكة الحديدية . وفيه كثير من الرسوم التي توضح كيفية التفصيل على اسلوب جلي وهو يطلب من مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز ومن الهلال وثمن النسخة ٤٠ قرشاً

٤ مديحة وطنية دستورية عثمانية : هو لحن جديد وضعه الموسيقي السوري الشهير وديع افندي صبرا نزيل باريس لنشيد نظمه الشيخ ابو نضاره المعروف بشاعر الملك . ولصبرا افندي الحان كثيرة وضعها من عند نفسه تغنى في باريس والاستانة وبيروت ومصر وغيرها وهو من نوابغ الموسيقيين في هذا العصر

٥ The religious attitude and life in Islam هو كتاب في الدين الاسلامي تأليف الاستاذ مكدونلد المستشرق الاميركاني استاذ اللغات السامية في مدرسة هرتفورد . وله مؤلفات عديدة في الفقه الاسلامي وغيره والكتاب في ٣٢٠ صفحة ويطلب من The University of Chicago Press, U. S. A. وثمن النسخة ريال و٨٨ سنتاً خالص اجرة البريد

٦ الجوهر اللماع فيما ثبت بالسماع : هو مجموع حكم للامام الشافعي المنظومة والمنثورة جمعها حسين بن عبدالله باسلامة نزيل مكة وقد طبعت بمطبعة كردستان بمصر وتطلب منها

٣ ــ الجرائد والمجلات

١ العائلة القبطية : هي مجلة تهذيبية فكاهية تصدر في الاسكندرية من جمعية الاتحاد القبطية الخيرية الارثوذكسية بدل اشتراكها عشرون غرشاً

٢ الاستاذ : مجلة سياسية علمية ادبية تاريخية تصدر في مصر مرتين في الشهر لصاحبها ومحررها عبد المجيد افندي كامل بدل اشتراكها ٥٠ غرشاً بمصر و١٥ فرنكاً في الخارج

٣ النتيجة الشرقية : تقويم تجاري تصدر بالاسكندرية مرة في السنة لمنشئها يوسف افندي الخوري الصيدلي الكيماوي وقد صدرت نشرة سنة ١٩٠٩ في كراس كبير وهي سنتها التاسعة

٤ العصر الجديد : جريدة سياسية تصدر في طرابلس الغرب مرة في الاسبوع لصاحبها محمد افندي علي البارودي بدل اشتراكها عشرة فرنكات



# العدد الثامن

أول مايو سنة ١٩٠٩ م

احمد رضا بك

رئيس مجلس المبعوثان





الجزء الثامن من السنة السابعة عشرة

١ مايو (ايار) سنة ١٩٠٩ و ١١ ربيع الثاني سنة ١٣٢٦

# تاريخ الجند العثمانى

## منذ نشوء الدولة العثمانية الى اليوم

### ١ – الجند الاسلامي على الاجمال

جند العرب

كان العرب قبل الاسلام اهل بداوة لا نظام للجند عندهم وانما كانوا قبائل اذا أرادت احداهن حرباً جردت رجالها وفيهم الفرسان والمشاة ومعهم الاسلحة المعروفة في الجاهلية كالقوس والرمح والسيف . الا ما كان من نظام الجند في الدول العربية التي تمدنت قبل الاسلام كالتبابعة ملوك حمير والمناذرة ملوك الحيرة . فقد ذكروا للمناذرة كتيبتين من الجند تسمى أحداهما الدوسر والاخرى الشهباء . واما عرب الحجاز فقد كانوا قبل الاسلام على الفطرة البدوية

فلما ظهر الاسلام انفرد المسلمون عن سائر العرب واتحدوا بجامعة الدين يداً واحدة في محاربة اعدائهم فكانوا كلهم جنداً كبيرهم وصغيرهم . واول جنود المسلمين المهاجرون فلما جاؤوا المدينة اتحدوا بالانصار وصاروا جميعاً جنداً واحداً قائدهم النبي بنفسه ورابطتهم المعاهدة والمواخاة وعددهم يومئذ قليل جداً

ثم جعلوا يزدادون بالفتح والغزو في ايام النبي وأبي بكر بما انضم اليهم من قبائل العرب

في الحجاز واليمن و نجد واليمامة كباراً وصغاراً تجمعهم جامعة الاسلام حتى تكاثروا فتكاتفوا وحملوا على الشام والعراق ومصر ففتحوا البلاد ومصروا الامصار وانقسموا الى اجناد يقيم بعضها في مصر و بعضها في الشام وبعضها في العراق في محطات خاصة بهم . وكان جند كل محطة ينقسم باعتبار القبائل والبطون فكانت البصرة مثلاً خمسة اقسام تسمى الاخماس يقيم في كل خمس منها قبيلة من قبائل المسلمين وهم الازد وتميم وبكر وعبد القيس وأهل العالية . وكان على كل خمس امير من امراء تلك القبائل . وقس على ذلك سائر اجناد المسلمين في الكوفة والفسطاط مما مصره المسلمون او في غيرهما من مدن العراق والشام ومصر فقد كان لهم في كل اقليم جند ينقسم على نحو هذه الكيفية

ذلك والمسلمون كلهم جند محارب لا يعمل احد منهم عملاً وقد نهاهم عمر بن الخطاب عن الزرع كانه رآهم بعد ان فتحت لهم الامصار ورأوا خصب الارض قد مالوا الى الرخاء والتقاعد عن الحرب فأمر مناديه ان يخرج الى امراء الاجناد يتقدمون الى الرعية ان عطاءهم قائم وان رزق عيالهم سائر فلا يزرعون . ولعله اراد بذلك ان لا يتوطنوا في بلد اذ ربما مست الحاجة الى تجنيدهم لنجدة اخوانهم في بلاد أخرى او لحماية بعض الامصار فلا يثقل عليهم ذلك

اما تنظيم الجند فئة خاصة دون سائر فئات المسلمين فقد بدأ بايام عمر عند تدوين الدواوين وتم في ايام بني أمية . و يظهر ان التجنيد الالزامي بدأ في اواسط هذه الدولة وكان الناس من قبل يذهبون الى الحرب جهاداً في سبيل الدين فيصيبون الغنائم والفيء . فلما قامت الفتنة بعد مقتل عثمان ( سنة ٣٥ هـ ) اشتغلوا بالحرب فيا بينهم مدة وكل طائفة تندفع الى ذلك دفاعاً عن رأيها واعتقادها بانها تذود عن الحق فلما افضى الامر الى بني امية وصار المسلمون دولة واحدة وضعفت قوة الاحزاب بتغلب العنصر الاموي لم يعد الناس يرون ما يدفعهم الى الحرب طوعاً فجعلوا يتقاعدون فاضطر الخلفاء الى التجنيد بالالزام . ولعل اول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف على عهد عبد الملك بن مروان . وكانت الدولة الاموية قد بلغت ذروة مجدها وكثر المسلمون ومالوا الى العمل في الارض واطلق لهم السراح وكانوا قد هموا بالتقاعد عن الحرب ايام معاوية فغلبهم بدهائه وعطائه فلما تولى ابنه يزيد ثم معاوية الثاني ثم مروان بن الحكم ولم يكن فيهم من يملك القلوب او الاعناق تجرأ الجند على التقاعد فتولى عبد الملك الخلافة والجند على ماتقدم لا يرحلون برحيله ولا ينزلون بنزوله فشكا ذلك الى روح بن زنباع صاحب شرطته فاجابه « يا امير المؤمنين ان في شرطتي رجلاً

لو قلده امير المؤمنين عسكره لارحلهم برحيله وانزلهم بنزوله يقال له الحجاج بن يوسف» فاطاعه عبد الملك وقلد الحجاج امر العسكر . وكان شديداً عاتياً فلم يعد أحد يتخلف عن الرحيل والنزول الا اعوان روح بن زنباع . فوقف الحجاج عليهم يوماً وقد رحل الناس وهم على طعام . فقال لهم «ما منعكم ان ترحلوا برحيل امير المؤمنين» فقالوا له «انزل يا ابن اللخناء فكل معنا» فقال «هيهات ذهب ما هنالك» ثم امر بهم فجلدوا بالسياط وطوفهم في العسكر وامر بفساطيط روح بن زنباع فأحرقت بالنار . فدخل روح بن زنباع على عبد الملك بن مروان باكياً فقال له «مالك» فقال «يا امير المؤمنين الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شرطتي ضرب عبيدي واحرق فساطيطي» قال «علي به» فلما دخل عليه قال «ما حملك على ما فعلت» قال «ما انا فعلته يا امير المؤمنين» قال «ومن فعله» قال «انت والله فعلته انما يدي يدك وسوطي سوطك وما على امير المؤمنين ان يخلف على روح بن زنباع للفسطاط فسطاطين والغلام غلامين ولا يكسرني فيما قدمني له» فاخلف الخليفة لروح بن زنباع ماذهب له وتقدم الحجاج في منزلته وكان ذلك اول ماعرف من كفايته

فيشبه ان يكون ذلك اول تاريخ التجنيد الالزامي . ثم صار سنة واصبح الجند الاسلامي فئتين المرتزقة والمتطوعة وكلاهما عرب يرجعون في انسابهم اما الى قحطان وهم اليمنية او الى عدنان وهم المضرية وفيهم جماعة من الموالي او العبيد

جند الاعاجم في الاسلام

فلما تولى بنو العباس واحتاجوا الى موازرة الاعاجم في تأييد سلطانهم دخل في جند العرب جماعات منهم . واول من دخل في الجند الاسلامي منهم آل خراسان لانهم هم الذين نصروا العباسيين في دعوتهم بقيادة ابي مسلم الخراساني وسلموا اليهم الخلافة . فكانت فرق الجند في ايام المنصور ثلاثاً اليمنية والمضرية والخراسانية . ثم اضيف اليها فرقة رابعة هي فرقة الحرس الخاص اتخذها الخلفاء خوفاً مما كانوا يتعصبونه لهم من القبائل و يقيمون عليهم من الثورات . ومن غريب هذه الاعمال ان الامر الذي اراد الخلفاء ان يحفظوا سلطانهم به كان علة خروج ذلك السلطان منهم

ولما افضت الخلافة الى المعتصم بالله (سنة ٢١٨ هـ) كانت العناصر الاجنبية قد تمكنت من الدولة وزاد الخلفاء خوفاً على انفسهم فخاف المعتصم من جنده على نفسه فاصطنع قوماً من اهل الحوف بمصر (الشرقية والدقهلية) واستخدمهم في بلاطه وسماهم المغاربة ولعل فيهم بعض اهل المغرب . وجمع خلقاً من اشروسنة وسمرقند وفرغانة ابتاعهم من اسواق

بغداد تدريجاً وجند منهم جنداً سماه جند الفراغنة ثم سموا الاتراك ٠ وقد كانوا أشد خطراً على الدولة العباسية من سائر فرق الجند وآل الامر بهم الى الاستبداد في اهل الدولة واحتقار الجند العربي الاصلي واساءة سائر اهل بغداد ٠ حتى كثيراً ما كانوا يركبون الدواب في شوارع بغداد ويركضونها فيصدمون الرجل والمرأة والصبي ٠ فتأذى الناس وشكوا امرهم الى المعتصم فلم يرَ سبيلاً الى ملافاة ذلك الا باخراج جنده من بغداد فبنى لهم سامرا سنة ٢٢١ هـ ) واقام معهم فيها ٠

وكانت خلافة المعتصم بدء نفور العرب من خلفائهم وشكواهم منهم ٠ وكانوا يعبرون بالجند يومئذ عن الاتراك وغيرهم من الاعاجم و بالحربية عن جند العرب وكلهم مشاة ٠ ثم المتطوعة وهم الذين يقدمون على الحرب من تلقاء انفسهم ويغلب ان يكون المتطوعة في الجهاد خارج حدود المملكة الاسلامية ٠ وكان من فرق الجند عند الخلفاء النشابون الذين يرمون النشاب والنفاطون الذين يرمون النفط لاحراق حصون الاعداء والمنجنيقيون رماة المنجنيق وهم مثل طوبجية هذه الايام والعيارون وهم رماة الحجارة من المخالي ٠ وكان للجند عندهم اطباء وصيادلة يرافقونه في الحرب والسلم كما تفعل الدول المتمدنة اليوم

عدد الجند ورتبهم ونظامهم

كان المسلمون في صدر الاسلام وهو الجند العربي قليلين يعدون بالمئات واخذوا يزدادون بزيادة العمارة واتساع الفتح حتى صاروا يعدون بعشرات الالوف ثم بمئات الالوف ٠ ولا يسهل تعيين ذلك بالضبط وانما يستدل عليه من عدد ما كانوا يجندونه الى الحرب فقد ذكروا ان يزيد بن المهلب في عهد بني امية حمل على جرجان وطبرستان بجند عدده ١٢٠،٠٠٠ من المرتزقة سوى الموالي والمتطوعة ٠ وحمل الرشيد على هرقلة بجند عدده ١٣٥،٠٠٠ من المرتزقة ما عدا الاتباع والمتطوعة ٠ وكان جند محمد بن طفج مؤسس الدولة الاخشيدية بمصر ( سنة ٣٢٣ — ٣٣٤ هـ ) ٤٠٠،٠٠٠ جندي وثمانية آلاف مملوك يحرسه منهم الفان كل ليلة على التناوب ٠ وروى ابن خلدون ان المعتصم نازل عمورية في جند عدده ٩٠٠،٠٠٠ ولا غرابة في ذلك اذا اعتبرنا عدد الحامية في الثغور الدانية والقاصية شرقاً وغرباً فضلاً عن المصطنعين والموالي والخاصة (١)

اما الرتب العسكرية فلم تكن معروفة عند العرب في الجاهلية ٠ ولكنهم كانوا يولون على القبيلة الامير واذا احتاج الامير الى من ينوب عنه على فصيلة ارسلها الى غزو ولى رجلاً

(١) راجع تفصيل احوال الجند الاسلامي في الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامي

كانوا يسمونه المنكب وتحت المنكب العريف والمنكب يكون على خمسة عرفاء · والعريف على نقير او نفر

وظل العرب في اوائل الاسلام على نحو ما كانوا عليه في الجاهلية فقسموا الجند الى عرفاء تحت كل عريف عشرة رجال وسلموا القيادة الى اناس من اهل السابقة وكذلك كان نظامهم في اثناء الفتوح · ثم جعلت العرفاء اسباعاً وجعلوا مائة عريف بعضهم على ثلاثين او اربعين رجلاً وبعضهم على ٢٠ حسب طبقات الجند من حيث السابقة ونحوها · وكان على العرفاء امراء يقال لهم امراء الاسباع هم يتولون تفريق العطاء في العرفاء وهؤلاء يفرقونه في الجند

وقلما حدث تغيير في رتب الجند في ايام بني امية اما في الدولة العباسية فكانت رتب الجند ان على كل عشرة رجال « عريف » وعلى كل خمسين « خليفة » وعلى كل مائة « قائد » ثم تنوع الترتيب فصار العريف على عشرة وعلى كل عشرة عرفاء ( او ١٠٠ نفر ) « نقيب » وعلى كل عشرة نقباء ( او ١٠٠٠ رجل ) « قائد » وعلى كل عشرة قواد ( او ١٠٠٠٠ رجل ) امير · ولا يخلو الامر من وقوع التبديل في هذا النظام بالنظر الى الدول

## ٢ — الجند في الدول التركية

### جند المماليك

يغلب في الدول التركية ان يكون جندها من المماليك المبتاعة منذ الصغر واكثرهم من الاتراك والجراكسة والاكراد والروم والارمن والتركمان وكانوا يبتاعونهم صغاراً من النخاسين فيربونهم ويثقفونهم ويدربونهم على الحركات الحربية وركوب الخيل · واشهر من فعل ذلك دولة المماليك بمصر وكانوا يقيمونهم في قصور او قلاع يختص كل منها بفرقة حسب اجناسهم وقد بلغت المماليك السلطانية في ايام الملك المنصور قلاون ٦٧٠٠ ثم تمها ابنه عشرة آلاف وجعلهم طوائف فافرد طائفتي الارمن والجركس وسماها البرجية لانه اسكنها في ابراج بالقلعة فبلغت عدتهم ثلاثة آلاف وسبعماية وافرد جنس الخطا والقبجاق وانزلهم بقاعة عرفت بالذهبية والزمردية وجعل منهم جمدارية وسقاة وسماهم خاصكية وعمل البرجية سلاحدارية وجمدارية وجاشنكيرية واوشاقية · ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاون بجلب المماليك من بلاد ازبك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث في طلبهم وبذل الرغائب للتجار في حملهم اليه ودفع فيهم الاموال العظيمة ثم افاض على من يشتريه منهم انواع العطاء من عامة

الاصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم يراع عادة ابيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل المماليك في اطوار الخدم حتى يتدربوا و يتمرنوا

اما تعريبهم فكانوا يبدأون به منذ دخول المملوك في ملك السلطان . فاذا قدم تاجر عرض مملوكاً على السلطان فيشتريه ويجعله في طبقته و يسلمه الى الطواشي برسم الكتابة فاول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج اليه من القرآن وكانت كل طائفة لها فقيه يأتيها كل يوم و يأخذ في تعليمها القرآن ومعرفة الخط والتمرن باداب الشريعة الاسلامية وملازمة الصلوات والاذكار . وكان الرسم اذ ذاك ان لا تجلب التجار الا المماليك الصغار . فاذا شب الواحد من المماليك علمه الفقيه شيئاً من الفقه واقرأه فيه مقدمة . فاذا صار الى سن البلوغ اخذ في تعليمه فنون الحرب من رمي السهام ولعب الرمح ونحو ذلك فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج اليه واذا ركبوا الى لعب الرمح أو رمي النشاب لا يجسر جندي ولا امير ان يحدثهم او يدنو منهم فينقل عند ذلك الى الخدمة ويتنقل في اطوارها رتبة بعد رتبة الى ان يصير من الامراء فلا يبلغ هذه الرتبة الا وقد تهذبت اخلاقه وكثرت آدابه وامتزج تعظيم الاسلام واهله بقلبه واشتد ساعده في رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل ومنهم من يصير في رتبة فقيه عارف او اديب شاعر او حاسب ماهر

فاذا صاروا جنداً نزلوا في قلعة الجبل وفيها ديوان معدّ لهم . وكانت الجيوش التركية بديار مصر على قسمين منهم من هو بحضرة السلطان ومنهم من هو في اقطار المملكة وبلادها وسكان بادية العرب والتركمان وجندها مختلط من اتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان وغالبهم من المماليك المبتاعين . وهم طبقات من اكابرهم من له امرة مائة فارس وتقدمة الف فارس ومن هذا القبيل تكون اكابر النوّاب وربما زاد بعضهم بالعشرة فوارس والعشرين ثم امراء الطبلخانات ومعظمهم من تكون له امرة اربعين فارساً وقد يوجد فيهم من له ازيد من ذلك الى السبعين ولا تكون الطبلخانة لاقل من اربعين ثم امراء العشراوات ممن تكون له امرة عشرة وربما كان فيهم من له عشرون فارساً ولا يعدون في امراء العشروات . ثم جند الحلقة وهؤلاء لا تكون مناشيرهم من السلطان كما ان مناشير الامراء من السلطان وأما اجناد الامراء فمناشيرهم من امرائهم وكان منشور الامير يعين فيه للامير ثلث الاقطاع ولاجناده الثلثان فلا يمكن الامير ولا مباشريه ان يشاركوا احداً من الاجناد فيما يخصهم الا برضاهم وكان الامير لا يخرج احداً من اجناده حتى يتبين للنائب موجب يقتضي اخراجه

وكانت رواتب تلك الاجناد اقطاعاً يورثونه لاولادهم ولهم مرتبات في الاطعمة والالبسة

وانعامات في الاعياد والمواسم فيها تفصيل لطيف لامحل له هنا

## ٣ - الجنود العثمانية

### قبل الانكشارية

ظهرت الدولة العثمانية والجند الاسلامي اكثره على الشكل الذي لخصناه اي انه مؤلف من المماليك المبتاعة بالمال او المقتناة بالاسر او نحو ذلك وكان العثمانيون عند قدومهم اسيا الصغرى لايزالون على البداوة يحاربون تحت راية اميرهم و يقتسمون الغنائم في ما بينهم كما يفعل سائر قبائل البادية فاذا فرغوا من الحرب عادوا الى شؤونهم فلم يكونوا جنداً منتظماً قائماً تحت السلاح وانما كانوا يقدمون على الحرب من عند انفسهم · فلما وضع عثمان اساس الدولة العثمانية على انقاض دولة السلاجقة في اسيا الصغرى اصبح العثمانيون في حاجة الى من يحارب معهم لتوسيع نطاق الدولة · فكان يأتيهم المتطوعة ينضمون اليهم رغبة في الفتح او الغنيمة او الفخر ولم يكونوا يحاربون الا على ظهور الخيل وكذلك من تطوع في نصرتهم وكانوا يسمون اولئك المحاربين « اكينجي » ولم يكونوا يمتازون بشيء من اللباس او الطراز مثل جنود هذه الايام · يلبس كل منهم اللباس الذي يختاره لكنهم كانوا يتدربون على الحركات العسكرية تدرباً حسناً واشتهروا على الخصوص بانتظامهم في الصفوف فاذا مشوا كانت افراسهم صفاً واحداً كالحائط فكان عثمان اذا عزم على تجريدة بعث المنادين الى القرى والبلاد يعلنون عزمه و يدعون من شاء للاشتراك في ذلك ان يأتي الى معسكر الامير في الاجل المضروب · واذا اراد التستر في حركاته الحربية بث تلك الاوامر سراً على ان عثمان لم يكن مع ذلك يخلو من حرس قائم يلازم فسطاطه او قصره

توفي عثمان بعد ان فتح معظم ولاية بروسة ( خداوندكار ) فخلفه عليها ابنه اورخان واتخذ اخاه علاء الدين وزيراً · فرأى علاء الدين ان الدولة نظراً لاخذها بالاتساع لاغنى لها عن الجند المنظم فاشار على اخيه بذلك ووافقه جندرلي قره خليل أحد كبار رجال الدولة وصار بعدئذ وزيراً شهيراً وعهدوا اليه بتنظيم الجند فنظم جنداً افرض له اعطية وسماه «ياياه» او « يادة » المشاة ورتبه عشرات ومئات على نحو ما كان في الدولة العباسية · وجعل عليهم رؤساء سماهم باسماء تركية · فكان رئيس العشرة يسمى في الدولة العباسية « عريف » فسماه « اون باشي » اي رئيس عشرة وسمى رئيس المئة « يوز باشي » وكان اسمه « نقيب » وسمى رئيس الالف « بكباشي » وكان اسمه « قائد » ولكنه مالبث ان خاف تمرد ذلك

الجند او عصيانه لاختلاف عناصره اغراضه ولم يكن يدفع اليهم الرواتب الا في زمن الحرب وهم يحتاجون اليها في حال السلم ايضاً فارتأى انشاء جند الانكشارية

# الانكشارية

## ١ – اصلهم

لفظ الانكشارية محرف عن « يكي چري » في التركية ومعناها الجند الجديد وقد نظر قره خليل في تنظيمه الى خلوه من عصبية تبعث على التمرد · وكان العثمانيون يومئذ يفتحون البلاد واكثر اهلها مسيحيون فيدخل في حوزتهم جماعة من غلمان النصارى الذين قتل آباؤهم واصبحوا لانصير لهم ولا مرجع لآمالهم فارتأى ان يربي اولئك الغلمان تربية اسلامية ويدربهم على الفنون الحربية ويجعلهم جنداً دائماً لا يخشى منه التمرد لانه لايعرف عصبية غير الدولة ولا عملاً غير الجندية ولا ديناً غير الاسلام · فجندهم وسار بهم الى الحاج بكطاش شيخ طريقة البكطاشية باماسية ليدعو لهم فدعا لهم وسماهم « يكي چري »

ولم يكن قره خليل هذا اول من جند غلمان النصارى كما يظن اكثر مؤرخي الاتراك فان الملك الظاهر صاحب مصر فعل ذلك قبل تاسيس الدولة العثمانية وهو متوجه الى دمشق سنة ٦٦٥ هـ لملاقاة عساكره العائدة من غزوة بلاد سيس فنزل بلداً اسمه قارا بين دمشق وحمص فامر بنهب اهلها النصارى وقتل كبارهم لانهم كانوا يسرقون المسلمين ويبيعونهم سراً للصليبيين واخذ صبيانهم مماليك ربام بين الاتراك في الديار المصرية فنشأوا على الاسلام وتجندوا في الجيش التركي

على ان قره خليل جعل شروطاً للانكشارية لم يسبق لها مثيل فقسمهم الى وجاقات واحدها وجاق والوجاق · يقسم الى اورط احدها اورطة ولكل اورطة عدد تعرف به ولبعضها اسماء خاصة · ويختلف عدد الجند في كل اورطة حسب الاعصر من ١٠٠ الى ٥٠٠ و يختلف عدد الاورط في الوجاق وعدد الوجاقات بمقتضى ذلك · واكبر ضباط الوجاق اوقائدها الاكبر يسمى « آغا » تحته سكبان باشي تحته غيره فغيره على هذه الصورة :

| | |
|---|---|
| الاغا | قائد الوجاق ويقابل اللواء في هذه الايام |
| سكبان باشي | ينوب عن الاغا في الاستانة ويقابل القائمقام اليوم |
| قول كتخيا اوكخيابك | نائب الآغا او السكبان باشي |
| صمسونجي باشي | قائد اورطة نمرو ٧١ |

| | |
|---|---|
| زغرجي باشي | قائد الاورطة نمرو ٦٤ |
| محضر اغا | ينوب عن الانكشارية عند الصدر الاعظم |
| خصكي | ينوب عن الآغا في القيادة على الحدود |
| باشجاويش | قائد الاورطة الخامسة |
| كخيا يري | ينوب عن الوجاق لدى الآغا |
| الافندي | الكاتب |

ولكل اورطة ضباط يقتسمون قيادتها وادارة شؤونها على هذه الصورة :

| | |
|---|---|
| ١ الجوربجي | رئيس الاورطة يشبه الكولونيل |
| ٢ اودة باشي | نائب الجوربجي في المناورات العسكرية وغيرها |
| ٣ وكيل الخرج | يتولى امر الطعام والشراب |
| ٤ بير قدار | يتولى الاعلام والبيارق |
| ٥ باش اسكي | يتولى قيادة القراقولات |
| ٦ اشجي | الطاهي |

٢ — قوانين الانكشارية

قد رأيت ان جند الانكشارية تشكل في زمن السلطان أورخان ولكن الفضل الاكبر في تنظيمه وترتيبه يرجع الى السلطان مراد الاول ( تولى سنة ٧٦١ هـ ) وهذه خلاصة قوانينهم :

(١) الطاعة المطلقة لقوادهم وضباطهم او من ينوب عنهم

(٢) تبادل الاتحاديين سائر الفرق كانها فرقة واحد وتكون مساكنها متقاربة

(٣) التجافي عن كل ما لا يليق بالجندي الباسل من الاسراف اوالانغماس ويكون معوّلهم على البساطة في كل شيء

(٤) الاخلاص في الانتماء الى الحاج بكطاش من حيث الطريقة مع القيام بفروض الاسلام

(٥) لايقبل في سلك الانكشارية الا الذين يشبون من غلمان الاسر على التربية الخاصة بين الغلمان الاعاجم الآتي ذكرهم

(٦) ان الحكم عليهم بالاعدام ينفذ بشكل خاص

(٧) يكون الترقي في المراتب حسب الاقدمية

(٨) لا يجوز ان يوبخ الانكشارية ولا يعاقبهم غير ضباطهم
(٩) اذا عجز أحدهم عن العمل يحال على المعاش
(١٠) لا يجوز لهم ارسال لحاهم
(١١) « « « ان يتزوجوا
(١٢) « « « الابتعاد عن ثكناتهم
(١٣) « « « ان يتعاطوا عملاً غير الجندية
(١٤) يقضون أوقاتهم بالرياضة البدنية والتمرين بالحركات العسكرية

فاذا تدبرت هذه القوانين هان عليك تصور الاعمال العظيمة التي اتاها هذا الجند في مصلحة الدولة العثمانية من الفتوح العظام • وقد يتبادر الى الذهن لاول وهلة ترفع الناس عن الانتظام في هذا الجند لانه مجموع لقطاء لا يعرف لاحد منهم اب ولا ام ولكنك تفهم من البند الخامس من قوانينهم انهم كانوا يحظرون على غير اللقيط او المملوك الانتظام في جندهم وكان السلاطين يشددون في تعظيم هذا الامر في عيونهم — يروى ان السلطان سليماً الفاتح احتاج في أثناء فتوحه بين حلب ومصر الى المال فاقترض دفترداره مبلغ ٦٠,٠٠٠ ريال من احد التجار ريثما تصل الحملة ومعها النقود • فلما وصلت بعث الدفتردار الى التاجر ان يأتي لقبض المال فأتى الرجل وقال « اني غني من فضل الله واحب ان اتخلى عن هذا المال للخزينة السلطانية بشرط ان يقبل ابني في جند الانكشارية »

فرفع الدفتردار الامر الى السلطان سليم فاكبر السلطان ذلك وبالغ في انتهار الدفتردار حتى قال له « وتربة اجدادي لولا خوفي من ان يقول الناس ان السلطان سليماً فاتح الحرمين الشريفين قتل تاجراً طمعاً بماله لامرت بقتلك وقتل ذلك التاجر بهذا السيف • ادفع النقود الى صاحبها حالاً ولا تمد الى مثل هذه الجسارة مرة أخرى وكل من يتجاسر ان يدخل غريباً في جند الانكشارية يقتل •• »

٣ — عددهم

كان الانكشارية يتألفون اولاً من ابناء النصارى فقط يجمعونهم في ثكنات يعلمونهم فيها ويدربونهم كما تقدم ويعرفون قبل انتظامهم في الجندية بالغلمان الاعاجم (عجمي اوغلانلر) فاذا نالوا قسطهم من التعلم في المدة المعينة لذلك تقدموا للامتحان في الحركات العسكرية فمن جاز الامتحان ادخل في احد الوجاقات • ولم يكن عددهم في اول الامر

يتجاوز ألف جندي واخذ يتزايد مع الزمان بمن كانوا يجمعونهم من اطراف المملكة بآسيا وأوربا وخصوصاً بعد ان عادت الدولة الى اعطاء السلطان خمس الغنائم وفي جملتها الاسرى والسبايا . فالاسرى من الغلمان كانوا يتخذونهم للخدمة ثم جعلوا يضيفونهم الى الغلمان الاعاجم في التكنات لينتظموا في الوجاقات . فلما تولى السلطان مراد الثالث لم يكن عدد الانكشارية يتجاوز عشرين الفاً ولا كان معوّل الدولة عليهم في حروبها وانما كان المعوّل على فرق أخرى من الجنود التي كان الأمراء والعمال ياتون بها من الولايات وتعرف كل منها باسم خاص كالتمرجية والعزب وغيرهم ويسمون « يرلي قولي » اي الجند المحلي

اما الانكشارية فزادت اهميتهم وتكاثروا على الخصوص في ايام السلطان مراد المذكور ( سنة ٩٧٦ هـ ) وسبب ذلك انه احتفل بتطهير ابنه محمد احتفالاً دام شهرين وتقاطر اليه الناس من اطراف المملكة وتزاحمت الاقدام حتى مات كثيرون تحت الارجل . فسعى بعض الموجودين من اهل الخفة واللباقة بملافاة تلك الاخطار وافلحوا . فلما انقضى الاحتفال اراد السلطان مكافأتهم فطلبوا ان يكافأوا بالانضمام الى جند الانكشارية . فامر فرهاد آغا وهو زعيم الانكشارية يومئذ ان يلحقهم بجنده فابى ذلك لمخالفته القوانين فالح عليه السلطان فاستقال وخلفه آخر اسمه يوسف اغا وافق السلطان على طلبه

فادخل في الانكشارية غير الغلمان وصار ذلك عادة جارية فبعد ان كان الانكشارية من عهد نشأتهم سنة ٧٣٠ هـ الى زمن السلطان مراد الثالث (سنة ٩٧٦ ) لا ينتظم في سلكهم الا الغلمان الاعاجم كما تقدم صاروا يقبلون سواهم ولو كان الطالب تاجراً اوصانعاً اوحارثاً فآل ذلك الى فساد امرهم وذهاب انفتهم اذ انتظم فيهم كثيرون بالرشوة والهدايا

على ان بعض السلاطين اهتموا بتنقية الانكشارية والتدقيق في طرق الدخول فقلّ عددهم ثم عادوا الى التكاثر وهذا احصاؤهم في اهم نقط التاريخ مع اسماء السلاطين وسني الاحصاء :

| عدد الانكشارية | تاريخ الاحصاء | | زمن السلطان |
|---|---|---|---|
| ١٢,٠٠٠ | ٩٣٠ | هـ | سليمان القانوني |
| ١٣,٦٠٠ | ٩٨٢ | « | مراد الثالث |
| ٢٧,٠٠٠ | « | « | « « |
| ٤٨,٠٠٠ | ١٠٠٢ | « | « « |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٤٥,٠٠٠ | ١٠٠٤ | « | محمد الثالث |
| ٣٧,٦٢٧ | ١٠١٨ | « | احمد الاول |
| ٤٦,١١٣ | ١٠٤١ | « | مراد الرابع |
| ٤٤,٨٠٠ | ١٠٣٣ | « | « « |
| ٧٠,٠٠٠ | ١١١٠ | « | مصطفى الثاني |
| ٨١,٠٠٠ | ١١٤٠ | « | احمد الثالث |
| ١١٠,٠٠٠ | ١٢٢٠ | « | سليم الثالث |
| ١٤٠,٠٠٠ | ١٢٤٠ | « | محمود الثاني ( وهو ابادهم ) |

### ٤ ـ رواتب الانكشارية ( العلوفة )

الاصل في ترتيب العلوفة ان تدفع يومياً ولكنها لم تكن تدفع الا مرة كل ثلاثة اشهر تخفيفاً للثقلة فكانوا يؤدونها على اربع مرات في السنة وتعرف كل مرة باسم مؤلف من ثلاثة احرف مقتطعة من اسماء اوائل شهورها . فالربع الاول من السنة مؤلف من محرم وصفر وربيع فالاحرف الاولى من هذه الاشهر اذا جمعت على هذا الترتيب كانت « مصر » وعلى هذا النسق كانوا يسمون الربع الثاني « رجج » وقد يقتطعون من اسم الشهر غير حرفه الاول مراعاة للفظ فالربع الثالث ( رجب شعبان رمضان ) يسمونه « رشن » باقتطاع النون من رمضان بدل الراء وقس عليه . وكانت لهم رسوم في كيفية تفريق العلوفة لامحل لها هنا

اما مقدار العلوفة فقد كان لاول انشاء هذا الجند درهماً واحداً لكل انكشاري في اليوم ثم ارتفعت الى ثلاثة دراهم . وفي ختام سنة ١٠٠٠ هـ صارت العلوفة خمسة دراهم في اليوم . وكان السلاطين يزيدون رواتب بعض الاورط دون البعض الآخر لاسباب موضعية كأن تكون اورطة في حرب فتفتح حصناً او بلداً او تعمل عملاً عظيماً فيزيد السلطان علوفتها الى ضعفيها او اكثر او اقل . وربما اقترح السلطان على جنده وهم في حصار ان الاورطة التي تفتح هذا الحصن تزيد علوفتها الى كذا فنتج عن ذلك تفاوت الرواتب بين الاورط المختلفة

وكان للانكشارية هدايا ينالونها في الاعياد او عند تولية السلاطين فقد كان على السلطان مال يفرقه عند تسنمه عرش السلطنة يقال له « بخشيش الجلوس » وقد يزيد رواتبهم اكراماً لذلك الجلوس فضلاً عن البخشيش . ولهم اعطيات أخرى ينالونها في احوال اخرى . ولكي تظهر قيمة الدراهم بالنظر الى نقود هذه الايام نقدرها بما يبتاع بها من ضروريات العيش فقد

كانت اقة اللحم الضاني سنة ١٠٠٠ هـ تباع بثلاثة دراهم وكل اربع أقات من الخبز بثلاثة دارهم . وكانت تزداد المألوفة وتغلو الاشياء معاً كما حصل بمصر لهذا العهد

ولم يكن بخشيش الجلوس يعطى للانكشارية فقط بل كانت العادة ان يعطى لسائر الجند ولكبار الموظفين ومقاديره معينة فكان بخشيش الصدر الاعظم ٣٠,٠٠٠ درهم وشيخ الاسلام مثله . وقاضي العسكر ٢٠,٠٠٠ والقاضي ١٥,٠٠٠ والاستاذ ٥,٠٠٠ والدفتردار ٣٠,٠٠٠ درهم وقس على ذلك وكانت بخاشيش اغوات الانكشارية تختلف باختلاف مناصبهم فالآغا الاكبر بخشيشه ١٠,٠٠٠ درهم وآغا الاستانة ٦,٠٠٠ درهم ومثله آغا غاليبولي . وكل من آغا الاناطول والروملي ٥,٠٠٠ وهكذا الى الانكشاري النفر البسيط فكان بخشيشه ٣,٠٠٠ درهم فيبلغ مجموع ما يعطى يوم الجلوس مالاً طائلاً قد يزيد على ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ درهم

واعتبر ذلك ايضاً في ما يصرف لهم من الاطعمة كاللحم والخبز او القمح فقد كان الانكشارية في زمن السلطان محمد الثالث ٤٥,٠٠٠ مقاتل فبلغت اثمان ما صرف لهم من اللحم نحو ١٧٠,٢٠٤,٩ درهماً ومن الخبز ١٥,٠٠٠,٠٠٠ درهم ومن سائر لوازم الطعام ١,٢٠٣,٠٠٠ درهم

## ٥ ـ ملابس الانكشارية

كان المعوّل عند العثمانيين في التفريق بين الرتب وتمييز اصحابها بعضهم من بعض باشكال القلانس ( القاووق ) او الاقبية ( القفطان ) او الاحزمة ( الكمر ) او الوانها فكان لكل طائفة من رجال الدولة قلنسوة شكلها خاص بهم وكذلك الاقبية والاحزمة وغيرها على اختلاف في ألوانها واشكال ازرارها فضلاً عن الاعلام . واختلف المؤرخون في وصف هذه الالبسة , واختلفوا في اسمائها واشكالها فسموا القباء او الرداء قفطان او تنورة والحزام كر وقس عليه . واختلفت هذه الملابس على الخصوص في ضباط الانكشارية ورؤسائهم وكانت تختلف باختلاف السلاطين و باختلاف العصور و باختلاف الرتبة . ولو اردنا تفصيلها لضاق بنا المقام فنقتصر على تصوير بعض كبار الضباط بملابسهم كما ترى في الشكل الاول بالصفحة التالية

فالصورة الوسطى التي تحتها نمرة ( 1 ) هي صورة اغا الانكشارية وعمامته كبيرة منفوخة وعليه القفطان والجبة وحول وسطه الحزام وفيه الخنجر وفي قدميه نعال مكشوفة . والى يمينه في الطرف نمرة ( 2 ) نائبه المسمى « قول كخيا » وقاووقه يختلف عن ذاك اختلافاً عظيماً



2 4 1 3

(ش ١) اغا الانكشارية ونائبه وخادمه

وفي قنته شبه المروحة من الريش و بجانبه نمرو ( 4 ) خادم الاغا وعمامته كالعمائم المعروفة . والى يسار الآغا نمرو ( 3 ) الباشجاويش و يختلف لباسه عن اولئك من كل جهة وخصوصاً قاووقه وقفطانه وازاره ونعاله

وترى مثل هذا الاختلاف في صغار الانكشارية ايضاً على تفاوت في الرتب والاعمال فترى في الشكل الثاني بالصفحة المقابلة

ان نمرة ( 3 ) صورة جندي انكشاري واقف وعليه الجبة والقفطان والقاووق بشكل خاص وهو منثنٍ الى الوراء ونمرة ( 4 ) انكشاري واقف وقفة الاحترام و ( 1 ) ضرب آخر من الانكشارية يعرف بسلاق و ( 5 ) نوع آخر جيولك . وانتبه الى نمرة ( 2 ) فانها صورة احد الغلمان الاعاجم الذين يخرج الانكشارية منهم و نمرة ( 6 ) انكشاري مدرع

وكان للانكشارية اسلحة خاصة وموسيقى خاصة بهم

٦ــ الغلمان الاعاجم

يراد بالغلمان الاعاجم الصبيان الذين يقيمون في الثكنات للتمرن على الحركات العسكرية استعداداً للدخول في الوجاقات وكانوا على زمن اورخان الف غلام من النصارى ثم اخذ السلاطين يستكثرون منهم ويبنون الثكنات او القلاع لاقامتهم . وكان لهم




(ش ٢) اغار الانكشارية

في اختيارهم شروط من جملتها ان يكونوا صحاح الابدان والعقول فلا عجب اذا تألف منهم جند كاد يفتح اوربا و يكتسح العالم المتمدن

ويجتمع اولئك الغلمان من خمس السلطان في الغنائم ثم صاروا يجمعونهم بالشراء ولهم ديوان تقيد فيه اسماؤهم ومدارس يتعلمون فيها الحركات العسكرية واساتذة يعلمونهم كل ما يلزم الجندية على اصطلاح تلك الايام . وكان من اولئك الغلمان جماعة يختصونه بخدمة السلطان يقيمون في قصور خاصة بهم ويتعاطون الخدمة اما في القصور او في الحدائق . فالذين كانوا يقيمون في الحدائق عرفوا بالبستانجية ورئيسهم يقال له بستانجي باشي . ثم تدرج البستانجية مع الزمان حتى صاروا حرس السلطان الخاص . واشتغل آخرون باعمال اخرى في خدمة السلطان وعرفوا باسماء اخرى . غير الذين كانوا ينتظمون في الجندية الانكشارية ومنهم جماعة كانوا يشتغلون بالنجارة لاصطناع السفن ولهم ثكنات خاصة بذلك . ومنهم فئة قليلة يلحقون باغا الانكشارية لخدمته في الحلاقة وغيرها و يسيرون وراءه اذا مشى في المدينة . والذين يعرفون التركية منهم كانوا يلحقونهم بالقصر السلطاني للخدمة في المطابخ

وكان الغلمان اخلاطاً من الالبان والبوسنة واليونان والبلغار والارمن سكان الروملي

فهم على الغالب من سكان تركيا اوربا . فكانوا يرسلون القواد لجمع اولئك الغلمان من ضفاف الدانوب وغيرها وكلهم مسيحيون . ويظهر انهم ما زالوا يجمعونهم من ابناء المسيحيين الى اواسط القرن الحادي عشر للهجرة ثم صاروا يدخلون فيهم اولاد الاجناد او غيرهم من المسلمين

وكان للغلمان الاعجم ضباط ورواتب واطعمة والبسة وكانوا يقسمون الى اورط بلغ عددها احيانا ١٥٠ اورطة . ولكل اورطة ثلاثة ضباط يسمون چوربجي وميدان كخيا والقوبجي وبلغ عددهم جميعاً نحو ١٠,٠٠٠ نفس مبلغ علوفتهم كل ثلاثة اشهر ٦,٨٢٣,٢٠٣ درهماً

## ٢ – طعام الانكشارية

كان للانكشارية عادات خاصة نشأت فيهم من اختلاف عناصرهم ومن طبيعة نظامهم ومن اغربها عندنا عاداتهم في الطعام وادواته وكيفية توزيعه . واهم اصنافه الشورباء فقد كانت تصنع في حلل خاصة ترسل الى الاجناد في قدور كبيرة يحملونها معلقة باعواد مستعرضة كما ترى في الشكل الثالث



( ش ٣ ) توزيع الشورباء على الانكشارية

يحمل الحلة اثنان من الجند يقال لهما « قراقول انجي » يتقدمهما ضابط اسمه باش

قراقول الجي يحمل على كتفه ملعقة كبيرة من الحديد. فيمر بالاماكن التي فيها عساكر من اورطتهم وهم في انتظار وصوله فيحطون القدر على الارض ويغرفون منها بالملعقة لمن ياتي بطبقه على قدر حاجته

وللطعام شان كبير عند الانكشارية وفي مطبخ كل اورطة قدر كبيرة هي مثال لقدر يحترمونها اعتمادًا على حديث يتناقلونه بينهم عن الحاج بكطاش صاحب الطريقة البكطاشية التي ينتسب اليها الانكشارية انه طبخ شورباء فيها ويعتقدون انهم اذا نقلوا هذه القدر من مكانها وصبوا هناك ماء زلزلت الارض

وكانت هذه القدور ملجأً للمجرمين فمن اتى اليها وجب على الانكشارية حمايته والدفاع عنه كما كان يفعل العرب في حماية من يستجير بهم . وفي الحوادث الكبيرة التي تتفق لهم كقيامهم بثورة او مفاوضتهم في امر يهمهم كانوا يجتمعون حول هذه القدور للمفاوضة بجانبها تبركًا بها

## ٨ - اهم حوادثهم

كان الانكشارية عونًا للدولة العثمانية في فتوحها فتاريخهم عبارة عن تاريخها العسكري لكنهم تقلبوا على احوال مختلفة باختلاف العصور . فكانوا في القرن الاول من تألفهم على اتم ما يكون من النظام والطاعة للسلاطين ثم تمردوا للمرة الاولى عند مبايعة السلطان محمد الفاتح . وسبب ذلك ان السلطان مراد الثاني آنس في ابنه محمد اللياقة للسلطة فاحب ان يتنازل له عن الملك وعمره لم يتجاوز الرابعة عشرة . فشاور وزيره خليل باشا بهذا الشان فاستقبح عمله واراد ان يثنيه عن عزمه فلم يفلح . وتنازل السلطان لابنه فاستصغر الوزراء سلطانهم وطمعوا باستخدام نفوذهم فخاب رجاؤهم لان محمدًا كان مع صغره قوي الارادة كبير العقل فاخذوا يسعون في خلعه . واتفق زحف هونيادس المجري على المملكة العثمانية فبعث الوزراء الى مراد في مغنيسيا وكان قد شخص اليها للراحة ان يسرع لانقاذ الدولة فاعتذر انه يثق بابنه . فكتب اليه ابنه ان ياتي فاتى وعاد الى الملك حتى زالت تلك الازمة فرجع الى مغنيسيا . فلم يشتف الوزراء من ذلك فحرضوا الجند على التمرد فتمردوا وبعث خليل باشا الى السلطان مراد بذلك فاضطر الى المجيء وعاد الى عرشه وارسل ابنه الى مغنيسيا مكانه . وهكذا فاز الوزراء بدسائسهم وكان ذلك فاتحة تمرد الانكشارية واصبحوا بعد هذا الفوز يتطلبون الهدايا عند مبايعة السلاطين وصار ذلك سنة متبعة . وتوالى تمردهم حتى اصبحوا ثقلاً كبيرًا على كاهل الدولة وصارت تحب التخلص منهم او استبدالهم واشهر من عزم على

ذلك السلطان سليم الثالث ( تولى سنة ١٢٠٣ هـ )

كان السلطان سليم عاقلاً حكيماً محباً للاصلاح ورأى ما بلغ اليه اختلال الاحوال بسبب استبداد الانكشارية في امور الدولة حتى صاروا يعزلون و يولون كما كان يفعل الجند التركي في الدولة العباسية فعزم على التخلص منهم واستبدالهم بجند منظم مثل جند اوربا في ذلك العهد. لكنه لم يكن يستطيع مباشرة ذلك وهو في حرب مع روسيا والنمسا فعمد الى اصلاح شأن هذا الجند فاصلحه ونظم احواله على قدر الامكان فاثار فيه حمية ونشاطاً ساعداه على الظفر. واختبر السلطان في اثناء تلك الحرب ضعف النظام القديم للحكومة والجيش فافتتح الصلح الذي عقد بعد الحرب واخذ يفكر في الاصلاح وفي جملته تنظيم جند على النظام الجديد فوجد في طريقه عقبات جمة اهمها ان الانكشارية لم يكونوا محصورين في الاستانة بل كانوا متفرقين في كل الولايات فاذا اراد مناوأتهم لا يستطيع ذلك. ويقاومهم يقف عثرة في سبيل النظام الجديد لانه يحط من منزلتهم و يأول الى الاستغناء عنهم فعمد الى اختيار جماعة منهم يدربهم على النظام الجديد في الپيادة او الفرسان من الجند الذي اخذوا بجمعه من الاهالي. فلم يعجبهم ذلك وتمردوا وظل السلطان ثابتاً في عزمه مع الحماسة والسياسة ولكن الاضطرابات السياسية التي كانت تنتاب الدولة من كل ناحية حالت دون المرغوب في ايام السلطان سليم وفي ايام خلفه مصطفى الرابع فكان الفضل في ابادة المماليك وتنظيم الجند الجديد عائداً الى السلطان محمود الثاني

٩ — ابادة الانكشارية

تسنم هذا السلطان عرش الدولة العثمانية سنة ١٢٢٣ هـ والسياسة في اضطراب وشعر بشدة الحاجة الى الاصلاح وادخال النظام الجديد الى الجندية العثمانية وهو يومئذ النظام الفرنساوي وقد علم بما يحول دون ذلك فجمع اليه رجال دولته بحضرة المفتي افندي وخطب الصدر الاعظم اذ ذاك محمد سليم باشا خطاباً أعدد فيه ماوصلت اليه فئة الانكشارية مع ماهم فيه من القصور في الفنون الحربية الجديدة وطلب اليهم ان يبدوا رأيهم في ما يجب اتخاذه من الوسائل للاقاة ما يهدد المملكة العثمانية بسبب ذلك. فاقر الجميع وفي جملتهم آغا الانكشارية على اتخاذ الوسائل الفعالة. فتلا المكتوبجي امراً قاضياً بتنظيم جيش جديد باسم ( اكنجي ) وتهذيبه فوافق الجميع على وجوب تنفيذ هذا الامر وتلي ذلك بعدئذ على ضباط الانكشارية فقبلوا به فاخذوا في تنظيم الجيش وفي ٦ ذي الحجة سنة ١٢٤١ ( ١٨٢٦ م ) استعرضوه وشرعوا في تهذيبه للمرة الاولى في ساحة آتميدان

اما الانكشارية فحالما شاهدوا ذلك النظام نسوا عهودهم لما رأوا في الامر ما يحط من سطوتهم ونفوذهم واخذوا يتحدثون سرًّا وينقمون على تلك البدعة فحاول الصدر الاعظم قمعهم سرًّا وجهرًا فلم يزدادوا الا عناداً حتى هجموا اخيراً على منزله للايقاع به فلم يظفروا بشخصه لانه لم يكن هناك فتفرقوا في المدينة يصادرون المارة والباعة فبعث الصدر الى السلطان بالامر وامر ضباطه وجنده الخصوصيين فحضروا في السراي · اما الانكشارية فاسروا على اعمالهم وجاهروا في طلب رؤوس الذين اشاروا بتنظيم ذلك الجيش فوقف الصدر الاعظم وحوله من رجاله والعلماء والمشائخ عدد غفير في انتظار مجيء السلطان وكان في بشكطاش فاسرع الى السراي وخطب في الجماهير فانهض هممهم فاقسموا على الثبات حتى يفوزوا أو يقتلوا فداء عن سلطانهم وطلبوا اليه ان يرفع العلم النبوي الشريف فرفعه ومشى فتبعه الناس وتقاطروا من انحاء المدينة للدفاع عن السلطان والسنجق الشريف ففرق فيهم الاسلحة ثم سلم العلم الى المفتي وجلس في قصر (كشك) فوق باب السراي حيث يشرف على الساحة ويشاهد الجماهير

ثم اجتمع الصدر الاعظم والمفتي والعلماء في جامع السلطان احمد وتلوا الفاتحة وسوراً أخرى بالخشوع التام ثم نهضوا في هيئة الحرب وفيهم العساكر واهل المدينة فادركوا الانكشارية وقد تجمهروا في ساحة اتميدان فحاولوا ردهم بالحسنى فابوا فاطلقوا عليهم الرصاص والتحم الفريقان وكانت المذبحة هائلة عادت فيها العائدة على جند الانكشارية ومن لم يقتل منهم قيد اسيراً فنجت البلاد منهم وهدأت الاحوال واخذ السلطان في تنظيم الجند الجديد الذي هو باقٍ الى الآن

وسنأتي على تاريخه في فرصة اخرى

## الهلال الاول من السنة السابعة عشرة

### الطبعة الثانية

فرغنا من اعادة طبع الهلال الاول من السنة السابعة عشرة الحالية فنرجو ممن اشترك بعد نفاد طبعته الاولى ولم يصله هذا الجزء ان يخبرنا فنبعث به اليه · وقد اخذنا في اعادة طبع الهلال الثاني وسنعلن ظهوره في حينه

# باب السؤال والاقتراح

## هل في الوجود عالمٌ آخر

(بيروت) جورجي افندي الخوري

قرأت ما كتبتموهُ في الهلال الماضي عن مناجاة الارواح وقد اعجبني اعتدالكم بالحكم لان ما نجهله اكثر كثيراً مما نعلمهُ كما قلتم فلا يحق لنا انكار ما يغمض علينا بهِ انكاراً قطعيًا إذ قد تكون علة الغموض فينا لقصر مداركنا أو قلة معرفتنا . ولا يجوز من الجهة الاخرى ان نسلم بكل ما يقال لنا تسليمًا اعمى . وقد اذكرني هذا البحث بمسألة من اشكل المسائل واهمها لانها تتعلق بنا رأساً نعني « ما يكون من امرنا بعد الموت » أي هل في الوجود عالمٌ آخر غير الذي نحن فيه وهل بين ذلك العالم وعالمنا علاقة أو اتصال وهل نفوسنا أو ارواحنا أو ما نعبر عنهُ بقولنا « انا » يفنى بعد الموت أو يبقى ليعاقب أو يثاب — نعم ان الاديان الالهية حلّت هذه المشكلة وقالت بالمعاد الخلود ولكنها قالت ذلك بصيغة الخبر كانهُ قضية مسلمة مثل قولها عن الارواح . فبالنظر الى الدين لم يبق مجال للبحث في صحة هذا القول ولكننا نريد النظر فيهِ من حيث العلم أي هل يدل العلم على وجود عالمٍ آخر فيه معاد وخلود أم نحن اذا متنا صرنا الى العدم

(الهلال) لا يخفى على حضرتكم انَّ البحث في المعاد من اقدم ابحاث الانسان . وما من امة ارتقت مداركها الا فكرت في مصيرها بعد الموت وذهب الاكثرون على ان في الوجود عالماً آخر ينتقل اليه اهل هذا العالم يعاقبون فيهِ أو يثابون . وقد اسندوا احكامهم الى العلم المعروف عندهم ولذلك كانت كتب الاقدمين

مشحونة بالادلة المبنية على فلسفتهم وعلومهم مما لا نفهمه لبعد مصطلحاتهم عن مصطلحاتنا واختلاف قواعد علومهم عن قواعد علومنا . كان مدار الاقدمين في اثبات المعاد على البراهين الجدلية التي هي من قبيل علم الكلام واكثر المعوّل فيها على الالفاظ . أما اليوم فان علومنا مبنية على المحسوسات ومرجعها الى العلوم الطبيعية المؤيدة بالتجارب التي لا يبقى معها مجال للريب . ونظنكم تطلبون الاستدلال على هذه الحقيقة بطريق هذه العلوم وهو عمل شاق لا يتيسر الوصول اليهِ ولكننا نبحث فيهِ على سبيل الاستنتاج العقلي فلا تتوقعوا وصولنا الى برهان صريح

يختلف النظر في هذا الموضوع عنهُ في مسألة الارواح ان هذه لا نرى اثباتها ضروريًّا لتكملة النظام واما الخلود والمعاد فوجداننا يدلُّ على حاجة الطبيعة اليهما . إذ لا يمكننا ان نتصور هذا الوجود صائراً الى العدم . واذا كنا قد اتينا هذا العالم لنقضي فيهِ اياماً ثم نتلاشى كان وجودنا عبثاً وكانت الخليقة برمتها العوبة لا معنى لها ولا فائدة منها

واذا بحثنا في المعاد والخلود بالنظر الى العلم الطبيعي لا نراهما يخالفان النواميس الطبيعية لان الخلود خاصة من خصائص مادة هذا الكون اذ قد ثبت بالكيمياء والطبيعيات ان المادة والقوة وهما اساس الموجودات لا تتلاشيان وانما تتحولان من صورة الى صورة باختلاف التركيب والتحليل على نسب متفاوتة . وما الموجودات على اختلاف احوالها من الجماد والنبات والحيوان الا من ظواهر ذلك التحول . فمقدار المادة أو القوة في هذا الكون واحدٌ منذ الخليقة الى الآن وسيبقى كذلك الى الابد لا يزيد قمحة ولا ينقص قمحة . فاذا كان الخلود من خصائص المادة الاصلية المكونة منها الموجودات فهل يستحيل ان يلازمها في بعض صورها ؟

بقي ان ننظر في هل هناك عالمٌ آخر غير هذا يجري فيهِ العقاب أو الثواب ؟ ويدلنا النظر في نظام الموجودات ان هذا العالم الذي نحن فيهِ لا يكون تاماً أو معقولاً الا اذا فرضنا عالماً آخر متصلاً بهِ ويكون متمماً لهُ — واليك البيان :

اذا تدبرنا حوادث الطبيعة رأيناها تجري على قواعد ثابتة ضمن حدود معينة

فالسيارات تجري في افلاكها بازمنة ومسافات محدودة بنظام تام بحيث نستطيع التنبؤ عن مسير كل منها وتعيين المكان الذي يبلغهُ بعد مئة أو الف سنة أو اكثر. ونعرف اوقات الكسوف والخسوف بالدقيقة والثانية والثالثة. ونرى الفصول الاربعة تتوالى باوقاتها على نظام معلوم. واذا نظرنا الى سائر الحوادث الطبيعية لا نعدم لها تعليلاً يرتاح اليهِ العقل ويستنير بهِ الذهن. فاذا تساقط المطر علمنا انهُ بخار الماء الذي تصاعد بحرارة الشمس عن سطوح البحار ثم تكاثف ببرد الجو فعاد ماء وتساقط مطراً ثم يجري جداول وانهاراً تصب في البحار فترجع الى حيث اتت فتعود الشمس فتبخرها فيتصاعد بخارها في الجو حتى يتكاثف بالبرد وينزل مطراً وهكذا على توالي الادهار

واذا اشعلنا شمعة حتى احترقت كلها علمنا انها لم تتلاش ولكنها تحولت الى مواد غازية لا تدركها ابصارنا. واذا استقبلنا حبلاً من نور الشمس بموشور فانحل الى الوان النور السبعة علمنا ان النور مؤلف من هذه الالوان واذا مزجناها عاد النور الى ما كان عليهِ

ولو صببنا حامض الكبريتيك على كربونات الكلس لا نرتاب مطلقاً ان المركب الحاصل من ذلك انما هو كبريتات الكلس وقد افلت غاز الحامض الكربونيك في الهواء ومثل ذلك يقال في سائر التفاعلات الكيماوية فان نواميس تركيبها وتحليلها من ادق النواميس واضبطها. وشاهد النظام في ذلك انك اذا عمدت الى عمل تنبأت عن عواقبه قبل وقوعها أو لو رأيت حادثاً استطعت تعليلهُ بما يرتاح اليهِ عقلك ولا يبقى لديك مكان للابهام أو الالتباس

واعتبر ذلك في ظواهر الحياة فاننا اذا غرسنا بزرة زيتون في الارض علمنا يقيناً انها لا تنبت الا زيتوناً وبزر الليمون لا ينبت الا ليموناً وهكذا في سائر انواع النبات. ونعلم يقيناً أيضاً ان النبات لا يولد حيواناً ولا الحيوان نباتاً. وان لكل نوع من النبات والحيوان عمراً لا يتعداه. وفي اعمال الحياة نواميس جارية بغاية الدقة فالحيوان يتولد من جنين والجنين من بيضة وكل ذلك بنواميس جلية يرتاح اليها العقل. ولو اردنا تعداد الامثلة لضاق بنا المقام

فالنظام شامل للكائنات وهي مرتبطة بعضها ببعض بسلاسل من الاسباب والنتائج لا يسع العقل الا التسليم بها والرجوع اليها . فاذا سقط حائط على مارّ فقتلهُ قلنا لاول وهلة ان ذلك حدث بالصدفة ولكن الصدفة اسم لامعنى لهُ لان الحائط لم يقع الا بعد ان أثرت فيهِ فواعل الرياح والحرارة والمطر اعواماً والريح لم تمر بهِ الا مدفوعة بعوامل طبيعية معلومة اقتضتها نواميس الرياح المقررة . والرجل لم يمر بجانب ذلك الحائط الا لاسباب اقتضت مسيره ولو بحثت عنها لرأيتها مبنيــة على نواميس طبيعية راهنة لا مناص لهُ منها . واذا مات واحدٌ بغتة يتبادر الى ذهننا ان موتهُ كان صدفةً أو لغير سبب ولكننا لو فتحنا الجثة لوجدنا في بعض اعضائه الرئيسية مرضاً تمكن بهِ لاسباب مبنية على نواميس طبيعية

وخلاصة القول اننا نرى الحوادث الطبيعية مما يتعلق بالمادة والقوة على اختلاف مظاهرها جارية بكل دقة ونظام ولكل منها نواميس وقواعد وتعاليل يرتاح العقل اليها ويعجب بدقة نظامها وصحة مقدماتها ونتائجها

ولا نزال نرى ذلك النظام مرعيًّا حتى نصعد من الاعمال المادية الى الحوادث النفسية المعنوية أو الادبية المتوقفة حسب الظاهر على الحوادث الطبيعية فنرى فيها نقصاً أو خللاً يقف بنا حيارى لانعلم وجه الحكمة أو العدل في وقوعه

فاذا اصيب احدنا بمرض وتمكن فيهِ حتى قضى نحبهُ فلا نعدم وسيلة في تعليل سبب المرض وكيفية الوفاة والرجوع في ذلك الى نواميس طبيعية مقررة . واذا اصابت احدنا مصيبة من فقرٍ أو شقاء لانعجز عن تتبع ذلك الى اصوله واسبابه ونعللهُ تعليلاً يقبلهُ العقل . وكل ذلك راجع الى النواميس الطبيعية المتعلقة بالمادة والقوة ولكننا لو نظرنا الى مجمل هذه الحوادث من وجهها الادبي أو قسناها بقياس العدل أو حاولنا تطبيقها على احكام العقل لرأينا فيها خللاً أو نقصاً لا يزيدنا الاَّ جهلاً ولا يزداد بحثنا فيها الا تعقيداً حتى يقودنا ذلك الى الشكوك وتضارب الظنون

ولايضاح المراد نقسم حوادث هذا الكون الى مادية وادبية او معنوية . فالحوادث المادية نريد بها ما هو جارٍ من تفاعل المادة والقوة كالحوادث الفلكية والظواهر الجوية

والافعال الكياوية ونواميس النمو في النبات والحيوان وما جرى مجرى ذلك من الحوادث الجارية في الطبيعة . ونريد بالحوادث الادبية او المعنوية افعال النفس بالنظر الى احكام العقل على ما يظهر لنا من محل حوادث هذا الكون ونسبتها الى ما نشعر به أو نتوقعه من الحكمة في الخلق . ومن امثلة اعمال النفس المشار اليها حكمنا على بعض الحوادث من حيث انطباقها على العدل أو الشفقة أو الحنو أو عدم انطباقها . مثال ذلك اذا سمعنا أو قرأنا ان رجلا قتل ابنهُ عمداً فاننا نشعر بانقباض ونتمنى الانتقام من القاتل ولو كنا لا نعرفهُ أو لم يكن لنا علاقة بالمقتول . وبالعكس اذا سمعنا ان رجلاً انتصر لمظلوم فانجدهُ وانقذهُ من يد ظالم فاننا نشعر بارتياح الى هذا العمل ونرى في انفسنا ميلاً الى الفاعل ورغبةً في الثناء عليه أو مكافأتهِ فيدل ذلك على ان في طبيعتنا قوة تقيس بها الحوادث المعنوية ونحكم بصوابها او خطاها بلا تعليم ولا تدريب . فوجود هذه القوة الفطرية فينا يقتضي انطباقها على سائر القوى

واذا تأملنا في ماجريات هذا الكون نرى المادية منها منطبقة على احكام العقل ونرى في انفسنا ارتياحاً اليها لانها جارية على نواميس مقررة مرتبطة بعضها ببعض بنظام معلوم وعلى وتيرة واحدة بحيث اذا علمنا مقدماتها تنبأنا بنتائجها بناء على علمنا ان للسبب الواحد نتيجة واحدة دائماً

أما الحوادث الادبية المعنوية أو النفسية فعلى خلاف ذلك وقلَّ ان نرى فيها ما ينطبق على احكام العقل أو ترتاح اليهِ النفس . مثال ذلك رجل قضى حياتهُ في عمل البر والاحسان الى الفقراء واعالة المصابين عاملا على التقوى والورع ونرى النكبات مع ذلك تتوالى عليه والضيق يحدق به فلا يكاد ينسى مصيبة حتى يصاب باخرى فيقضي حياتهُ آسفاً كئيباً وربما مات كمداً وحزناً . ورجل لا دين لهُ الا ارتكاب المحرمات واتيان الموبقات لا يفتر عن الاذى والظلم ونرى الخيرات تنهال عليهِ والسعد يخدمه فيقضي حياتهُ سعيداً متمتعاً بملاذ الدنيا ونعيمها

وهناك فتى غض الشباب يانع الفؤاد ذكيٌّ فطنٌ يتوقع الناس منه خيراً وهو راغب في خدمة بني الانسان أخذ يهيئ نفسهُ للعمل وآمالهُ واسعة وصدره رحب

وقلب والديه عالق به يعدّان الساعات لجني ما غرساهُ فيه من العلوم والآداب للتمتع بثمر اتعابهما . ولكنهُ لايكاد يبدأ بالعمل حتى تداهمهُ المنية فيقضي نحبه فتضيع بموته الآمال ويذهب تعبهُ واستعدادهُ ادراج الرياح

وهناك شاب آخر ينشأ على المنكرات وأذية اهلهِ ومعارفهِ فيطلب الناس موتهُ ويتمنون قضاء نحبه ولكنهُ يعمر طويلاً ويتمتع بثمار تعبهِ وربما بتعب سواه

وهناك طفل وُلد مريضاً بمرض ورثهُ عن والدهِ فقضى حياتهُ (القصيرة) يقاسي مرّ العذاب من المرض حتى مات وهو لم يقترف ذنباً . وقد يتفق ان والدهُ الذي جرَّ عليهِ هذا الوبال لم يقاسِ من عواقب مرضهِ أمراً يسوءهُ . وآخر ورث عن والده ثروة طائلة وصحة جيدة فعاش في رغدٍ ورخاء متنعماً منغمساً في الترف عاكفاً على الملاهي وقد يكون شريراً فيستخدم اموالهُ ونفوذهُ للاضرار في الناس . وآخر ورث عن والده الفقر أو مات والدهُ مديوناً وقضى هو كل حياتهِ يعمل ويجد لوفاء الدين حتى مات من عظم الشقاء والبلاء

وهناك أرملة احبت البقاء من اجل ولد وحيد ربتهُ بدموع عينيها وعمل يديها منذ دب الى ان شب اذا مشى راقبتهُ عيناها أو تكلم خفق لهُ قلبها واذا تبسم انتعشت جوارحها واذا غاب شيعهُ عقلها فاذا دنت ساعة عودتهِ جعلت تطل من النوافذ وقد شاعت عيناها وكلما رأت شبحاً ظنتهُ ابنها فلما ابطأ قليلاً خارت قواها وجثت تصلي وتطلب الى الله ان يحرسهُ من نائبات الزمن فاذا عاد نسيت كل اتعابها وقامت بخدمتهِ تحمد الله على نعمهِ . فلما شب لم يعد همها الا الاهتمام بزواجه فكلما رأت فتاة نظرت اليها من وجه المناسبة بينها وبينهُ وهي تظن ان ليس في الدنيا فتاة تليق بابنها حتى وقع اختيارها واختياره على عذراء تنطبق اوصافها على ما يريدان فخطبتها له وأخذت تعد معدات العرس فاستقدمت الفراشين والنجارين وابتاعت احسن الاثاث وهي تعد الايام والساعات منتظرة يوم الفرح وهي في ذلك اصيب العريس بمرض لم يمهله ليلة فقضى وترك والدتهُ في حال انت ادرى بها

وهذا خريستوفورس كولومبوس مكتشف اميركا جاء العالم بخدمة لاتعادلها خدمة

ولكنهُ قضى حياتهُ في الخطر والمشقة ومات حزيناً يئساً وكم من المخترعين والمكتشفين الذين يذيبون ادمغتهم وينهكون اجسامهم في البحث والتنقيب حتى يخترعوا آلة أو يكتشفوا مخبأ ولكنهم يموتون من عواقب الشقاء والتعب وهم لم يذوقوا ثمرة اعمالهم

هذه امثلة قليلة تذكر القارئ بحوادث كثيرة أغرب منها سمعها أو شاهدها وكلها تدل على اختلال الحوادث الادبية وعدم انطباقها على احكام العقل وشعور النفس . فهذه الامثلة وامثالها لاتدل على نظام عاقل ولا نرى فيها حكمة أو رابطة كما نرى في الحوادث المادية لان احكام عقولنا تقضي على فاعل الخير بالخير وفاعل الشر بالشر وتعلمنا الشفقة على المصابين والحزانى ونصرة المظلومين والنقمة على الظالمين مما لا نراه فيها

فنظام هذا الكون يدل على حكمة فائقة في وضعه ونرى آثار هذه الحكمة في كل عمل من الاعمال المادية أما الاعمال الادبية فقلما نرى حكمة فيها . فيظهر ان في هذا النظام نقصاً من جهة معلومة هي الحوادث الادبية او المعنوية . ولا يعقل ان الذي اوجد هذا النظام المحكم أراد ان يكون فيه نقص أو ظلم أو اجحاف الا ان يكون قد جعل لهذا الكون تتمة تسد هذا النقص . ولا يمكن ان يكون ذلك الا في عالم آخر نظامه متمم لهذا . وبما ان ذلك النقص متعلق رأساً بالانسان فلا يسد ذلك الخلل الا اذا وجد الانسان في ذلك العالم وهو لايكون هناك الا مبعوثاً . وهو المعاد

فهل في الحوادث الطبيعية ما ينافي هذا القول وهل يترتب على فرض المعاد منافضة لنظام الكون المعروف . كلا . لاننا لم نستطع حتى الان إدراك حدود هذا الكون ولا الزمان الذي وجد فيه فكيف يمكننا الحكم قطعياً على ما وراءه أو على ما لا يقع تحت حواسنا منه ومثلنا في ذلك مثل رجل مغمض العينين حمل الى حديقة ثم رفع الغطاء عن عينيه فتى في الحديقة فاذا هي محاطة بسور عال لا يمكنه تعديه ولا ان يرى ما وراءه فلو جاءه مخبر بان وراء ذلك السور بحراً أو براً او وادياً او جبلاً او مدينة فلا يمكنهُ ان يكذبهُ ولاهو مكلف بتصديقه حتى يعتقد صدق قوله الا اذا اقام لهُ دليلاً يقبلهُ عقلهُ

فوجود العالم الاخر لا ينافي نظام هذا العالم بل هو متمم لهُ كما تقدم والله اعلم

## قياس الابعاد الفلكية

(القاهرة) حسن افندي طلبات

نقرأ في كتب الفلك ان النجم الفلاني يبعد عن الارض كذا وكذا من ملايين الاميال وان طول قطره كذا ووزنه كذا الخ فكيف يعرفون ذلك

﴿الهلال﴾ يعرفونه بآلات خاصة بذلك مبنية على اساسات في غاية البساطة يشاهدها كل واحد منا. فالقادم بالقطار الحديدي من الاسكندرية الى القاهرة اذا اطل من نافذة القطار الى احد جانبي الطريق واشرف بنظره الى سهل واسع والقطار يسير سريعاً يظهر له السهل كأنه يدور دوراناً لولبياً حول المكان الواقف هو فيه وذلك عادي يشاهده المسافرون في اي قطار حديدي . وكذلك المسافرو في البواخر البحرية فأنهم يشاهدون البريدور مثل ذلك الدوران . و يشاهد مثله ايضاً المسافرون على ظهور الخيل او النوق في السهول الواسعة . واذا ظهر للمسافر بالقطار جسم بعيد جداً او كان الوقت ليلاً ونظر الى الكواكب فانه يراها مسرعة كأنها تسابقه . واذا نظر الى الاشباح القائمة في ذلك السهل متناسقة الواحد بعد الآخر بالنسبة الى موقفه رأى ابعدها عنه اكثرها سرعة في الجري معه والمسافرون بالقطار ليلاً لا يميزون بين ما يتراءى لهم من الانوار البعيدة والاجرام السماوية الا بما بينهما من الفرق العظيم في السرعة . وقلّ ان ينكر احد في سبب هذه المظاهر او اذا فكر فقلّ ان يهتدي الى قاعدة يعلل بها كل ما يظهر له . على انه لو امعن النظر قليلاً لتبين له من وراء ذلك قاعدة هي اساس لمعظم الآلات التي تقاس بها ابعد المسافات بين الاجرام السماوية

ولا يضاح ذلك وتعليله اغرس ثلاث عصي في سهل منبسط على خط واحد من الشرق الى الغرب واجعل بين الاولى والثانية مئة خطوة وبين الثانية والثالثة ١٠٠٠ خطوة وقف انت عند العصا الاولى الغربية بحيث تظهر لك العصي الثلاث على خط واحد الى شرقيك . ثم اخطُ مئة خطوة نحو الجنوب تماماً فتظهر لك العصي وقد تغيرت جهاتها بالنسبة اليك ولو قست ذلك الميل بالزاوية المقسمة الى درجات تساوي الدرجة منها $\frac{1}{360}$ من الدائرة بان تجعل احد ضلعي الزاوية موازياً للخط الذي سرت فيه وتصوب الضلع الآخر الى كل من العصي على حدة لرأيت العصا الوسطى قد مالت ٤٥ درجة نحو الشمال واما الثالثة فلم تمل الا خمس درجات تقريباً . وفي حساب المثلثات قواعد في غاية البساطة تستخرج بها

الابعاد متى علم مقدار ذلك الميل

فقد تبين لك مما تقدم تعليل ما يظهر من دوران السهل وانت سائر في القطار الحديدي لان ما عليه من البيوت والاشجار وسائر الاشباح لا تبقى كلها الى جهة واحدة من نظرك لاختلافها في البعد عنك بل ترى اقربها اليك اكثرها ميلاً عن جهة اتجاهك ويتدرج ذلك لديك حتى يظهر كالدوران

وعلى هذه القاعدة يبنون قياسهم ابعاد الاجرام السماوية . ويشترط في كل ذلك ان تكون المسافة بين مكان الرصد الاول ومكان الرصد الثاني معلومة فلو اردنا قياس بعد الشمس عن الارض فاننا نعين موقعها او ميلها في وقت واحد من مكانين بينهما مسافة معلومة كان يتوطأ فلكيان الواحد في القاهرة والآخر في لندن على تعيين موقعها في زمن معين فاذا عرفوا الفرق بين الموقعين مع علمهم بالمسافة بين القاهرة ولندرا استخرجوا بعدها على انهم يحتاجون للدقة في ذلك الى رصدهـا عند توسط جرم آخر بينها وبين الارض كتوسط الزهرة احياناً بينهما فيكون الرصد اكثر دقة

وقد علموا بهذه القواعد ان البعد بين الشمس والارض ٩٣،٠٠٠،٠٠٠ ميل تقريباً واذا عرفنا بعد الشمس هان علينا معرفة حجمها بمقتضى ناموس مشهور ومعلوم وذلك ان الاجسام تظهر للعين اصغر مما هي بنسبة بعدها عنها وعندهم قواعد مدققة لبيان تلك النسبة . فوجدوا بناء على ذلك ان قطر الشمس يساوي ٨٨٠،٠٠٠ ميل وان نسبة حجمها الى حجم الارض كنسبة ١،٣٨٤،٠٠٠ الى واحد وبمعرفتهم جرمها ومقدار بعدها استخرجوا وزنها بناء على ما يعلمونه من نواميس الجاذبية ومقدار تأثير ذلك الجرم على تلك المسافة فوجدوا ان نسبة وزن الشمس الى وزن الارض كنسبة ٣٥٤،٩٣٦ الى واحد . وبهذه القواعد نستطيع استخراج ابعاد السيارات الاخرى واجرامها وأوزانها

ومعلوم ان الارض تدور حول الشمس مرة في السنة فيكون بين موقعها في منتصف الشتاء وموقعها في منتصف الصيف مضاعف بعدها عن الشمس أي ١٨٦،٠٠٠،٠٠٠ ميل وهي مسافة طويلة لكنها لا تعد شيئاً بالنسبة الى ابعاد الثوابت ويتضح ذلك مما يلي :

عرفنا بعد الشمس الشاسع بتعيين موقعها من نقطتين على سطح الارض لا تزيد المسافة بينهما عن بضعة آلاف من الاميال ولكن هذه المسافة لا تفيدنا شيئاً لو اردنا تعيين موقع نجم من النجوم الثوابت لعظم بعده عنا لان الفرق بين الموقعين يقل ظهوره كلما بعد الجرم المراد قياس بعده . على انهم قد جعلوا المسافة بين نقطتي الرصد في تعيين موقع بعض

الثوابت ٠٠٠و٠٠٠و١٨٦ ميل وهي المسافة بين موقع الارض في منتصف الصيف وموقعها في منتصف الشتاء اي انهم رصدوا الثوابت والارض في احدى هاتين النقطتين ثم رصدوها وهي في النقطة الاخرى فلم يظهر في موقع الثوابت فرق يذكر ولكنهم استنجدوا آلات حديثة في غاية الدقة يظهر بها الفرق ولو كان ثانية واحدة اي جزءا من ٣٦٠٠ جزء من الدرجة فاستطاعوا بعد الجهد الكلي ان يعرفوا بعد نجم هو من اقرب النجوم الثوابت اسمه (الفا) فوجدوا فرقاً في موقعه لا يبلغ الثانية وعلموا بذلك انه يبعد عن الارض ٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠و٠٠٠و٢٠ ميل اي ٢٠ مليون مليون ميل وقد حسبوا المدة اللازمة لوصول النور منه الينا فبلغت ثلاث سنين و٨٣ يوماً باعتبار مسير النور ٠٠٠و١٩٠ ميل في الثانية

---

## القصيدة الحكمية للبستي

(نيويورك) يوسف افندي سليمان

من هو قائل هذا البيت:

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم — فطالما استعبد الانسان احسان

وهل هو من قصيدة وما هي:

﴿المنار﴾ ان هذا البيت من قصيدة الشيخ ابي الفتح البستي وهذا نصها:

زيادة المرء في دنياه نقصان — وربحه غير محض الخير خسران
وكل وجدان حظ لا ثبات له — فان معناه في التحقيق فقدان
يا عامراً لخراب الدهر مجتهداً — بالله هل لخراب العمر عمران
ويا حريصاً على الاموال يجمعها — أنسيت ان سرور المال احزان
زع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها — فصفوها كدر والوصل هجران
وأوع سمعك امثالاً افصلها — كما يفصل ياقوت ومرجان
احسن الى الناس تستعبد قلوبهم — فطالما استعبد الانسان احسان
وان اساء مسيء فليكن لك في — عروض زلته صفح وغفران
وكن على الدهر معواناً لذي امل — يرجو نداك فان الحر معوان
واشدد يديك بحبل الله معتصماً — فانه الركن ان خانتك اركان
من يتق الله يحمد في عواقبه — ويكفه شر من عزوا ومن هانوا

من استعان بغير الله في طلب ... فان ناصره عجزٌ وخذلان
من كان للخير مناعاً فليس له ... على الحقيقة اخوان واخدان
من جاد بالمال مال الناس قاطبة ... اليه والمال للانسان فتان
من عاشر الناس لاقى منهم نصباً ... لان اخلاقهم بغيٌ وعدوان
من استشار صروف الدهر قام له ... على حقيقة طبع الدهر برهان
من يزرع الشر يحصد في عواقبه ... ندامة ولحصد الشر ابان
من استنام الى الاشرار نام وفي ... قميصه منهم صلٌّ وثعبان
ورافق الرفق في كل الامور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه انسان
احسن اذا كان امكان ومقدرة ... فلن يدوم على الانسان امكان
دع التكاسل في الخيرات تطلبها ... فليس يسعد بالخيرات كسلان
لا ظل للمرء احرى من تقى ونهى ... وان أظلته اوراق وأغصان
والناس أعوان من والته دولته ... وهم عليه اذا عادته اعوان
سحبان من غير مال باقل حصرٌ ... وباقل في ثراء المال سحبان
لا تحسب الناس طبعاً واحداً فلهم ... غرائز لست تحصيها وألوان
ما كل ماء كصداء لوارده ... نعم ولا كل نبت فهو سعدان
وللامور مواقيت مقدرة ... وكل امر له حدٌّ وميزان
فلا تكن عجلاً في الامر تطلبه ... فليس يحمد قبل النضج بحران
حسب الفتى عقله خلاً يعاشره ... اذا تحاماه اخوان وخلان
هما رضيعا لبان حكمة وتقى ... وساكنا وطن مال وطغيان
اذا نبا بكريم موطن فله ... وراءه في بسيط الارض اوطان
يا ظالماً فرحاً بالعز ساعده ... ان كنت في سنة فالدهر يقظان
يا ايها العالم المرضي سيرته ... ابشر فانت بغير الماء ريان
ويا اخا الجهل لو اصبحت في لجج ... فانت ما بينها لا شك ظمآن
لا تحسبن سروراً دائماً ابدا ... من سره زمن ساءته ازمان
اذا جفاك خليل كنت تألفه ... فاطلب سواه فكل الناس اخوان
وان نبت بك اوطان نشأت بها ... فارحل فكل بلاد الله اوطان
خذها سوائر امثال مهذبة ... فيها لمن يبتغي التبيان تبيان
ما ضرّ حسانها والطبع صائغها ... ان لم يصغها قريع الشعر حسان

## سكان سوريا المسلمون والمسيحيون

شبراخيت ـ عوض افندي القلتاوي

هل المسلمون اكثر عددًا في سوريا ام المسيحيون وما هو احصاؤهم

الهلال ـ ان المسلمين نحو ضعفي المسيحيين وليس لسوريا احصاء مضبوط لان الحكومة الماضية قلما كانت تعنى بذلك وهذا احصاء السوريين على آخر تقدير

| اسم الطائفة | ولاية بيروت | سوريا (الشام) | لبنان | ولاية حلب | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|
| المسلمون | ٢٣٠,١٧٣ | ٣٤٧,١٩٦ | ٢٠,٤٢٢ | ٧٦٨,٤٤٩ | ١,٣٦٦,٢٤٠ |
| المسيحيون | ١٦٦,٤٤٣ | ٦٥,٦٩٨ | ٣١٩,٢٩٦ | ١٨٣,٣٠٩ | ٧٣٤,٧٤٦ |
| اليهود | ٢٥,١٣٦ | ٦,٣٤٢ | — | ٢٠,٠٠٠ | ٥١,٤٧٨ |
| الدروز | ١,٥٧٥ | — | ٤٩,٨١٢ | — | ٥١,٣٨٧ |
| النصيرية | ٩٥,٧٢٠ | — | — | ٢٤,٠٠٠ | ١١٩,٧٢٠ |
| الاسماعيلية | ٩,٠٠٠ | — | — | — | ٩,٠٠٠ |
| اجانب | ٥٥,٠٠٧ | ؟ | ؟ | ؟ | ٥٥,٠٠٧ |
| المجموع | ٥٨٣,٠٥٤ | ٤١٩,٢٣٦ | ٣٨٩,٥٣٠ | ٩٩٥,٧٥٨ | ٢,٣٨٧,٥٧٨ |

ورأينا في احصاء آخر اجمالي ان عدد المسلمين في بلاد سوريا وفلسطين ١,٥٠٠,٠٠٠ والمسيحيين ٧٠٠,٠٠٠ واليهود ٨٠,٠٠٠ الدروز ١٠٠,٠٠٠ والمتاولة ٢٥,٠٠٠ والنصيرية ٥٥,٠٠٠ الجملة ٢,٤٦٠,٠٠٠ نفس على وجه التقريب وقرأنا في دليل بيروت ان عدد نفوس ولاية الشام ١,٢٠٠,٠٠٠ وفي مكان آخر انهم ٧١٩,٠٠٠ نفس

## نفقات التعليم في مدارس اوربا

المطرية ـ ح · ع · ج

ما هي نفقات التعليم في اشهر مدارس اوربا فان الرغبة تجددت في الرحلة لطلب العلم

الهلال ـ وقد جاءنا مثل هذا السؤال من بعض تلامذة المدارس الكبرى بمصر والجواب عليه يقتضي تفصيلاً كثيرًا فنكتفي بالاجمال فنقول ان نفقات التعليم في المدارس الكبرى باوربا اكثر كثيرًا مما في الشرق قد تزيد على اربعة اضعافه فيه غير نفقات المعيشة في

تلك البلاد فقد علمنا من اصدقاء ارسلوا ابناءهم لتلقي العلم في مدارس انكلترا فبلغ مجموع النفقة على الواحد بين ١٥٠ و٢٠٠ جنيه في السنة ويقال نحو ذلك في مدارس فرنسا وربما كانت اقل قليلاً في المانيا . اما نفقات التعليم وحدها فتختلف باختلاف العلم المطلوب اكتسابه فان لتعليم العلوم سعر وللهندسة سعر وللطب سعر وهكذا يقال في سائر العلوم ولكنها تختلف بين ٣٠ جنيهاً و٥٠ غير نفقات ثانوية لرسم الدخول او ثمن كتب وادوات ونحوها . فالقسم العلمي من كلية لندن يقتضي من الطالب خمسة جنيهات رسم دخول في مقابل الانتفاع من المكتبة والالعاب الرياضية وغيرها . ثم راتباً سنوياً مقداره ٣١ جنيهاً ونصف جنيه للدروس العلمية واذا اراد ان يتلقى درساً في الكيمياء فيدفع علاوة خمسة جنيهات وخمسة شلينات في السنة . ومن اراد ان يختص درسه بالكيمياء فالراتب ٤٠ جنيهاً في السنة الاولى و٣٥ في الثانية و٣٤ في الثالثة . وطالب الطب يدفع ٥٥ جنيهاً غير رسوم الامتحان فانها تختلف من ١٠ جنيهات الى عشرين مما يطول شرحه . وجملة القول ان التعليم عندنا لا يزال رخيصاً جداً فالمدارس الاميرية بمصر تقتضي ١٥ جنيهاً في السنة والطالب يتناول غداءه فيها ويأخذ الكتب اللازمة . والمدرسة الكلية الاميركية في بيروت تقتضي عن القسم العلمي ١٨ جنيهاً في السنة يتعلم بها الطالب ويأكل وينام . وعن القسم الطبي ٢٣ جنيهاً وقد كانت اقل من ذلك وستزيد تدريجاً مع زيادة رغبة الناس في العلم

---

## مقتل البرامكة

(كفر اباظه) محمد افندي حسن عوضي

اجتمعت في ناد ببعض الاصحاب فجرنا الحديث الى ما جرى للبرامكة مع هارون الرشيد وسبب قتل جعفر . هل كان قتله لاسباب عائلية ام سياسية — ففريق اسند ما حصل للاسباب العائلية . وهي ما وقع للعباسة اخت الرشيد مع جعفر كما هو مشهور . وفريق اسنده للاسباب السياسية . وهي تقدم جعفر في الخلافة وكثرة ما امتلكوه فاستاء الرشيد وبطش بهم لهذه الاسباب — وكل من الفريقين مرتكن على كتب تاريخية فاتفقنا على استفتاء هلالكم في ذلك

(الهلال) هي اسباب سياسية فصلناها في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي من صفحة ١٤٠ — ١٤٦ يطول بنا ايرادها خلاصتها ان الرشيد كان يكره الشيعة العلوية

وكان جعفر شيعياً وله اعداء من رجال الدولة يتنافسونه على النفوذ اشهرهم الفضل بن الربيع وعلي بن عيسى بن ماهان فكانوا يراقبون حركاته و ينقلونها الى الرشيد من جملتها اطلاق سراح شيعي كان الرشيد قد امر بسجنه . ونقلوا اليه كلاماً قاله جعفر في مجلس شراب يعرض به بما فعله ابو مسلم الخراساني من نقل الدولة الى العباسيين وانه ينقلها هو منهم بدون سفك دم الى غير ذلك فضاق الرشيد ذرعاً وفتك به وقبض على اهله واتباعه خوف الفتنة كما هو مشهور

## أمثلة من باب الاكتفاء في الشعر

راموا فطامي عن هوى * غذيته طفلاً وكهلا
فوضعت في طوقي يدي * وقلت خلوني والا

يريد والا مزقت ثيابي — وقول آخر

اذا كرهت منزلاً فدونك التحولا * لاتحملن اهانة من صاحب وان علا
وان جفاك صاحب فكن به مستبدلا * فمن أتى فرحباً ومن تولى فالى

يريد الى حيث — وآخر

وكشفت فضل قناعه * بيدي عن قمر تجلى
ولثمته في خده * تسعين أو تسعين إلا

يريد الا واحدة او اثنتين — وآخر مكتفياً ومقتبساً

لله ظبي زارني في الدجا * مستوفزاً منتطياً للخطر
فلم يقم بمقدار ان * قلت له أهلاً وسهلاً ومر

يريد ومضى او ومرحبا — وآخر مثله

ورب نهار فيه نادمت أغيداً * فما كان أحلاه حديثاً وأحسنا
منادمة فيها مناي بجبذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنى

يريد المنادمة — وآخر

قد زارني في الدجا من كنت أعشقه * وبات عندي ونال المغرم الوطرا
حيا بها شبه عينيه ومبسمه * فراع عقلي بكأس رائق وشرا

يريد وشره او شرابا — وآخر

شقائق النعمان ألهو بهـا ٭ ان غاب من أهوى وعز اللقا
والخد بالقرب نسيمي وان ٭ غاب فاني اكتفي بالشقا

يريد بالشقائق — ولابن نباته يخاطب النيل

يا نيل يا ملك الانهار قد رزقت ٭ منك الاراضي شراباً سائغاً وغذا
وقد اتيت القرى تبغي منافعها ٭ فمالها بعد فرط النفع منك أذى
فقال تذكر عني انني ملك ٭ وكيف تنسى به ان الملوك اذا

اشارة الى الاية — ان الملوك اذ دخلوا قرية افسدوها

# وثوب المستبدين باهل الدستور

## صحوة الموت

اضطربت المملكة العثمانية في اثناء الشهر الماضي بحركة ظنها الناس لاول وهلة القاضية على الدستور ولكنها عادت بالخير عليه وعلى اهله لانها ايدته. وخلاصة ذلك ان جمعية الاتحاد والترقي لما وافقها السلطان عبد الحميد على اعلان الدستور دخلت الاستانة وقبضت على ازمة الاحكام لكنها خالفت قواعد الانقلاب السياسي فعاملت بقايا عصر الاستبداد معاملة الاخوة اذا تصالحوا وتسامحوا حجباً للدماء. ففرح الناس بذلك واعجبوا بما اظهره السلطان من الولاء للجمعية حتى شكا اليها ما كان يقاسيه في العصر السابق من دسائس اصحاب الاغراض وان الدستور جاء نعمة عليه كما هو على رعاياه

فقلنا ان الجمعية اتت عملاً لم يسبق له مثيل ( انقلاب بلا سفك دماء ) ولكن يظهر ان ذلك يخالف طبيعة السياسة . فما لبث ان وثب بها اهل التقهقر يريدون اغتيالها واليك الاسباب .

١ لما انتصرت الجمعية ودخلت الاستانة وسيطرت على اعمال الحكومة كان في الاستانة جماعة من اعضائها القدماء الذين تخلوا عنها وانحازوا الى المستبدين وخانوها

بالوشاية أو غيرها مما آل الى قتل كثيرين منهم أو نفيهم كما ترى ذلك مفصلاً في كلامنا عن تاريخ الانقلاب العثماني في الهلال الاول من هذه السنة . فلما رأوا الجمعية فازت طلبوا الرجوع اليها واتخذ كل منهم يتحمل سبباً حمله على التغير وفي مقدمتهم مراد بك الداغستاني . فالمذكور كان قد تولى رئاسة هذه الجمعية في باريس ونشر جريدته ميزان لنصرة الدستور . وسعى اهل المابين يومئذ على يد احمد جلال الدين باشا في افساد امر الجمعية فطلبوا اليهم هدنة فاشترطوا شروطاً رضي السلطان بها وجاء مراد بك الى الاستانة ليشهد تنفيذ تلك الشروط فلم ينفذ منها شيء بل آل ذلك الى القبض على كثيرين من الاحرار ونفيهم وقتلهم وصار مراد بك من الموالين للمابين (١) وهم يتهمونه بانه وشى بكثيرين وألحق الاذى بهم

فلما دخلت الجمعية الاستانة فائزة بنيل الدستور أراد مراد بك الرجوع اليها فابت عليه ذلك والشاعر يقول « احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة » فاخذ يتحين الفرص للانتقاد عليها في ظل الحرية التي هي اوجدتها . فالتف حوله كثيرون من الناقمين لمثل نقمته أو لانهم كانوا يرجون نفعاً لم ينالوه فاخذوا يطعنون في استبدادها ويختلقون عليها الاكاذيب وسموا انفسهم « الاحرار » وفيهم البرنس صباح الدين

٢ وفي الاستانة حزب ديني ساءه الدستور نعني طائفة المشائخ ( الصوفيه ) فهؤلاء لا يهمهم الا نصرة الدين لانه مصدر تعيشهم ورأوا جمعية الاتحاد والترقي تدعو الى جمع العناصر العثمانية بلا تمييز بين الاديان فساءهم ذلك فاغتنموا تطرف بعض اعضاء الجمعية في كلامه عن الاسلام ومبالغته في التساهل فاتخذوا ذلك حجة على الجمعية وانضموا الى جمعية اسلامية اسمها « الجمعية المحمدية » أو اشتركوا في تأليفها

٣ أرادت جمعية الاتحاد تعجيل تنظيم الجند فولت عليهم ضباطاً تعلموا الفنون الحربية في اوربا فعاملوهم بما تقتضيه الحرية الدينية — قالوا انهم ابطلوا النفير الذي يضرب للصلاة وتركوا الناس احراراً يصلون متى شاؤوا . وادخلت نظارة الحربية قوانين تمنع ترقية العساكر وتقيد حركاتهم فاغتنم المشائخ ذلك واثاروا خواطر الجند على

(١) راجع الهلال الاول من سنة ١٧ صفحة ٢٣

ضباطهم وانهم يريدون إهمال الشريعة وان الدستور يخالفها ووافقتهم على ذلك الجمعية المحمدية

٤ اخذت هذه الاحزاب تنقم على الجمعية وتخطئ أعمالها جهاراً على صفحات الجرائد التي تنتسب اليها وفي مقدمتها جريدة سربستي ورئيس تحريرها حسن فهمي بك فانه انتقد الجمعية ووزارتها انتقاداً جارحاً تطرق فيه الى الاشخاص . واتفق ان فهمي المذكور قتل ولم يعرف قاتله فتوجهت التهم الى جمعية الاتحاد . فاظهر السلطان اسفه لموته وامر ان يكرم بدفنه في المدفن السلطاني فعظم امره في عيون اعداء الجمعية فقام الجند ووافقهم الاحرار الناقمون واعضاء الجمعية المحمدية وتجمهروا حول مجلس المبعوثان في ١٣ افريل الماضي يطلبون اسقاط الوزارة لانها من حزب الاتحاد وعزل احمد رضا بك عن رئاسة المجلس .فنشل الاتحاديون لان جيش الاستانة كله ضدهم وليس لديهم هناك قوة يدافعون بها فتفرقوا واختبأوا ريثما خابروا سلانيك وفيها الفيلقان الثاني والثالث على ولائهم فحملت تلك الجنود على الاستانة وما زالوا حتى دخلوها ظافرين وعادت السيادة اليهم فاضطروا الى اعلان الاحكام العرفية للتخلص من بقايا العهد القديم سريعاً . وانضم مجلس الاعيان الى مجلس المبعوثان ونظروا في حال السلطان بعد هذه الفتنة فقرروا خلعه وبايعوا اخاه محمد رشاد الدين افندي في ٢٧ افريل الماضي واخرجوا السلطان السابق الى سلانيك مع بعض اهله

ولما اعلنت الاحكام العرفية قبضوا على نحو عشرة آلاف من مسببي تلك الثورة وفي جملتهم مراد بك الداغستاني وصباح الدين (ثم اطلقوه) واخذوا في محاكمتهم محاكمة عرفية . فخطأ الجمعية بالاغضاء عن بقايا العصر القديم كاد يذهب بالدولة أو بمزقها ولكن التوفيق خدمها بتمرد جند الاستانة قبل اوانه لان اعداء الدستور اظهروا الولاء للدستوريين وأخذوا يسعون سرًا في إيغار صدور العامة عليهم وخصوصاً الجند فبدأوا بجند الاستانة ولا بدّ من انهم أخذوا يسعون في بث ذلك سرًّا بالفيالق الاخرى في سلانيك وأدرنه والشام وغيرها وبثوا الجواسيس في الاطراف يحرضون عامة المسلمين على الثورة ضد المسيحيين . والمفهوم ان ذلك جرى بايعاز من السلطان عبد الحميد

فأفلحوا في اطنه واسكندرونة ومرسين وطرسوس فجرت فيها مذابح يعدُّ قتلاها بعشرات الالوف وكادت تفلح في حلب والشام . وأما البيروتيون فانهم قبضوا على بعض القادمين بتلك الاوامر وجددوا التحالف بين الطوائف واقسموا انهم باقون على الاتحاد ولو خالفهم فيه أهل المملكة العثمانية كافة

فظهور الثورة في الاستانة عاجلاً نبه العقلاء الى مقاومة مساعي أهل الاستبداد . فلو تأخرت حركة جند الاستانة سنة أو بعض السنة ربما تنتشر تلك الروح في سائر الفيالق لذهب الدستور واهله هدراً والعياذ بالله



السلطان محمد الخامس

سلطان الدولة العثمانية الجديد

لما تغلب رجال الاتحاد والترقي على المتمردين ودخلوا الاستانة عقدوا في سانستفانو بضواحي الاستانة جلسة كبيرة ضمت اعضاء مجلسي الاعيان والمبعوثان ونظروا في اسباب هذه الفتنة وعلاقة السلطان عبد الحميد بها والوسيلة لتجنبها في المستقبل فاقروا على خلعه

بفتوى من شيخ الاسلام بحجة انه تلاعب بالكتب المقدسة واحرقها وهدر دماء برية وبدد اموال الامة فخلعوه في ٢٧ افريل ونصبوا مكانه ولي العهد محمد رشاد افندي باسم « السلطان محمد الخامس » كما تقدم وهذه صورة التلغراف الرسمي الوارد بهذا الصدد :

« الاستانة في ٢٧ افريل سنة ١٩٠٩ : اجتمع مجلسا الاعيان والمبعوثان بتاريخ ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧ الموافق ١٤ ابريل سنة ١٣٢٥ وقررا خلع السلطان عبد الحميد من الخلافة والسلطنة العثمانية وأيد شيخ الاسلام محمد ضياء الدين افندي القرار بفتوى شرعية . وكان ذلك اليوم الساعة السادسة والدقيقة ٣٠ عربية وتقرر بان تكون الخلافة والسلطنة لوارثهما الشرعي رشاد الدين افندي باسم السلطان محمد الخامس وقد اطلق حالاً من كل المواقع ١٠١ مدفع توفيق باشا »

فالسلطان المخلوع سنوفيه حقه من الوصف في فرصة اخرى . اما السلطان الجديد فقد وصفناه في اثناء كلامنا عن « توارث الملك في الدولة العثمانية » في الهلال السادس من هذه السنة وهذا نص قولنا هناك :

« هو ابن السلطان عبد المجيد وشقيق السلطان عبد الحميد واصغر منه بسنتين فقط عمره خمس وستون سنة قضى منها نيفاً وثلاثين سنة محجوراً عليه عملاً بالعادة المتبعة في معاملة ولاة العهد بعد السلطان احمد الاول كما تقدم . وذلك انه لما تولى اخوه السلطان عبد الحميد اسكنه في سراي طوله بغچه وأقام عليه الحرس ودس عليه الجواسيس . وقد بلغ من امر هذا القصر في ابان عصر الاستبداد ان المار بجانبه لا يجسر على الوقوف عنده او النظر اليه طويلاً ولا التحدث بشأنه . ولم يكن يؤذن لاحد بالدخول على ولي العهد الا طبيبه وخياطه وغيرهما ممن يحتاج اليهم في حاجاته الضرورية . ولا يكون ذلك الا باذن من اهل المابين فيجعلون في ايدي حجاب ولي العهد قائمة فيها اسماء الذين يجوز ادخالهم عليه وكانوا يشددون على الخصوص في منع اخوته وسائر اهله من زيارته — حتى اصبح اذا رأى واحداً من اهله انكره لطول الفراق

« ويذكرون من امثلة ذلك ان رشاد افندي واخاه كمال الدين افندي جاءا سراي يلدز في احد الاعياد الكبرى منذ بضع عشرة سنة لتقديم فروض المعايدة للسلطان . وهما في حضرته فتح باباً الى جانبه بان من ورائه سيدتان عليهما امارات الجلال والعظمة هما الاميرتان صفية سلطانة وجميلة سلطانة بنتا السلطان عبد المجيد اي اختا السلطان عبد الحميد واخويه رشاد وكمال الدين . فلما التقت العيون تهيب الاميران وخجلت الاميرتان

والكر الاخ اخته والاخت اخاها لانهم لم يتقابلوا منذ ١٥ سنة . فاطرقت الاميرتان تأدباً فصد السلطان الى تعريفهم بعضهم الى بعض فاوماً بيده الى الاميرتين قائلاً « اختاي » والى الاميرين وقال « اخواي » فلم يكن ذلك كافياً ليذهب الدهشة التي تولت الجميع . ثم اقفل الباب وانصرف كل الى حال سبيله

« والحجر على رشاد افندي في قصره لم يكن يراد به ان يكون سجيناً لا يخرج مطلقاً فكان يخرج احياناً الى منزله فتسير مركبته في طرق عليها الحرس والرقباء ويحدق بالعربة الحجاب على افراسهم يظهرون لغير العارف انهم يحرسونه وهم في الحقيقة عيون عليه يراقبون حركاته وما يبديه الناس في اثناء مروره . على انه كان يتعمد الاختفاء في المركبة لئلا يكون ظهوره سبباً في القاء الشبهة على بعض اصدقائه

« ويغلب على مناقب ولي العهد التقوى وطيب السريرة وصدق اللهجة . لم يسمع انه عورض في قول او كذب في رواية منذ نعومة اظفاره . وكان شديد التعلق بوالده المغفور له عبد المجيد فلما لمغه نعيه اخذه اليأس حتى اوشك ان يلقي نفسه في البوسفور . وهو جريء مستقل الفكر في اضيق ايام حجره فكان لا يبالي ان يصرح بما يجول في خاطره من انتقاد السياسة حتى بين يدي رجال المابين انفسهم

« وهو ذكي الفؤاد وفيه ميل الى العلم ذكروا انه كان يقضي معظم ساعات احتباسه في مطالعة الشعر الفارسي حتى اصبح قادراً على نظم مثله . ولو اتيح له ان يعمل ما يشاء لتوسع في المطالعة واستوعب العلم . على انه كان مع التضييق عليه لا يفوته الاطلاع على ماجريات الاحوال في العالم المتمدن . وفيه نزوع الى الحرية الشخصية والحكومة الدستورية فكان في مقدمة الفرحين باعلان الدستور » انتهى

هذا ما قلناه بالامس عن جلالة السلطان الحالي وهو ولي عهد ويؤيد ذلك ما نقله الينا البرق عن حديثه مع مكاتب الدالي كرونيكل لسان حال الوزارة الانكليزية ومن جملة ما قاله :

ان الانكليز كانوا دائماً اصدقائي وان موقف الامة العثمانية الآن موقف حرج . وكان اعدائي يتهموني بالبله ولكن مشيئة الله اختارتني اليوم لان اتولى مصلحة الاسلام واؤدي واجبي وان الصحافة في العالم كله وعلى الخصوص الصحافة الانكليزية امامها فروض يجب ان تؤديها . واعتقادي ان الرجل الحامل السيف قدير ولكن الرجل الحامل القلم اقدر

ومن اقواله انه معجب بالملك ادوارد السابع الذي يجله عن استحقاق ملايين من المسلمين الذي تحت حكمه وهو خليفة عظيم . قال واني قاصد بادىء الآن لأؤيد بكل عزم حرية الامة واحمي املاكها واكون من جهة اخرى نصيراً للسلم ونصيراً للتضامن العمراني

ثم كلف محدثه ان ينقل الى امته البريطانية تحيات جلالته ويرجوها ان تبادله عواطفه الحبية وتؤيد فيه الرجل الصاعد الى العرش العثماني شيباً وجلالاً

ثم عاد فقال لمحدثه كن ترجماني لدى العالم كله في هذا الحديث واعلن اني كنت كل حياتي نصيراً للحرية والاصلاح اما وقد اختارني الله الآن لتولي سلطنة آل عثمان فاني مستشعر باهمية المطلوب مني والتبعة الملقاة على عاتقي واساله سبحانه وتعالى ان يهديني الصراط المستقيم ويلهمني الحكم بالعدل بين شعبي على اختلاف مذاهبه

واثنى جلالته في الختام على رجال تركيا الفتاة واعلن انه كان طول حياته مؤازراً لهم ومتمنياً نجاحهم ونجاح الدستور لانه لا يرى في خطتهم ولا في الشريعة المحمدية الغراء ما ينافي الحرية والدستور

وختم حديثه بالضراعة الى المولى عز وجل بان يسعد الامة البريطانية فقد كانت دائماً صديقة للامة العثمانية (انتهى الحديث)

فنهنئ الامة العثمانية بهذا الفوز ونرجو ان تكون سلطنة محمد الخامس بدء عصر جديد زاهر

# اهم المولفات العربية

## في نظر القراء

### اقتراح

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما الف في العربية من صدر الاسلام الى الان اي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره افيد سائر الكتب العربية والذها . ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

# جمعية الاتحاد والترقي

## والانقلاب العثماني

كتبنا في الهلال الماضي فصلاً في الترك والعرب قبل الدستور وبعده حملنا على كتابته ما سمعناه من انتقاد اخواننا العرب على استبداد جمعية الاتحاد والترقي في اعمالها واستئثارها بالنفوذ دون سواها . وبينا ان الدولة في حال تبعث على الاتفاق بين العناصر لحفظ كيانها وانا يجب ان نغتفر لهذه الجمعية استئثارها في النفوذ لانها تريد به المحافظة على الدستور خوفاً من ان تعبث به ايدي غير العارفين . واننا نعتقد صدق نيتها في خدمة الامة العثمانية وقد تخوفنا عواقب هذا التبرم وحثثنا العناصر على التكاتف لعلمنا بما يحيق الدولة من اسباب الفساد في اثناء هذا الانتقال . ولم يكد يصدر الهلال حتى ظهر ما كنا نخافه فقام بعض دعاة التقهقر وغيرهم ممن تسرعوا في الحكم على الجمعية بالاستبداد واحاطوا بمجلس المبعوثان وهددوا الجمعية وطلبوا عزل احمد رضا بك رئيس المجلس لانه منها واسقاط الوزارة فآل ذلك الى تجريد الجنود الموالية لهذه الجمعية في سلانيك حتى احدقت بالاستانة وكادت تفضي الحالة الى حرب اهلية لولم تتداركها الجمعية بحكمتها وبجندها فقمعت المستبدين وخلعت السلطان كما بيناه في محل آخر من هذا الهلال . فاحببنا ان نقول كلمة أخرى عن هذه الجمعية والانقلاب العثماني نبين فضلها على سواها من اصحاب الانقلاب في كل زمان لعل اخواننا العرب وغيرهم من الناقمين عليها يرجعون عن رأيهم فيها

### شروط الانقلاب السياسي

الانقلاب السياسي انتقال الحكومة من طور الى طور بالفتح او بالخلع او الاصلاح او بنقل ازمة الدولة من الفرد الى الجماعة او باشتراك الجماعة مع الفرد وتعديل القوانين او نسخها او ابدالها . وللانقلاب مهما تكن كيفيته شروط اذا لم تتوفر كان عمره قصيراً وهي ثلاثة : اولاً ان تكون المملكة في حاجة اليه والامة في استعداد له . ثانياً ان يكون القائمون به كفوءًا لاتمامه وصيانته — فاذا كان فتحاً وجب ان يكون الفاتحون اهل عصبية وقوة للمحافظة على ما فتحوه بالسيف وان ينشروا فيه لغتهم وادابهم او دينهم ليتطبع الشعب بطباعهم ويصير منهم . واذا كان الانقلاب خلعاً او اصلاحاً فعلى اصحابه ان يكونوا اهل دهاء ودراية وسياسة ليتمكنوا من استمالة الامة لهم لتنصرهم على الظالمين ثم ينظمون الحكومة الجديدة على كيفية ملائمة للعصر . ثالثاً ان يطهروا الدولة من نصراء العهد السابق اما بالقتل او النفي

او الحجر او بوسائل اخرى تتكفل بغل ايديهم عن الاذى بالافساد او الدسائس او الفتك لان تلك البقية المغلوبة على امرها يندر ان تخلص النية في الطاعة فتتربص للوثوب او تسعى في القاء الفتن

هذه اهم شروط الانقلاب السياسي فاذا لم تتوفر كلها لا يلبث ذلك الانقلاب ان ينقلب الى ضده او يذهب اهله ضياعاً وفي التاريخ شواهد كثيرة تؤيد هذه القواعد . فالعرب لما قاموا بالاسلام وفتحوا الشام والعراق كانوا اهل عصبية وحرب وكانت البلاد في حاجة اليهم واهلها في استعداد لاستقبالهم لانهم ساميون مثلهم فهم اقرب اليهم في الدم واللغة والعادات والاخلاق مما الى حكامهم الروم . لكن العرب لم يطهروا البلاد من بقايا الدولة السابقة لانهم تعمدوا الرفق واكتفوا بالاحتلال وقبض الجزية وابقوا الناس على اديانهم وعاداتهم ولغاتهم فكان ذلك باعثاً على القلاقل والمتاعب اجيالاً متوالية لان الروم الذين بقوا في ذينك البلدين لخدمة الدين او غيره كانوا عيوناً لدولة الروم على العرب يدسون الدسائس لهم ويخبرونهم بعوراتهم ولولم يبادر بنو امية الى تعميم اللغة العربية في تلك البلاد لما طال سلطان العرب فيها

فتح الفرنساويون مصر بقيادة اكبر قواد العالم بونابرت فلم يمكثوا فيها الا ثلاث سنوات قاسوا في اثنائها مر العذاب ولم يكن السبب ضعف الفاتحين ولكن البلاد لم تكن في حاجة اليهم ولا استطاعوا اكتساب قلوب اهلها لبعدهم عنهم لغة وديناً وآداباً واخلاقاً وقد اعجزهم تطهير البلاد من زعماء العهد السابق فظل المماليك احياء يلفون الاحزاب حولهم لمناوأة الفاتحين ومحاربتهم . ولما جاءت جنود الدولة العثمانية لاخراجهم من مصر لم يصعب ذلك عليها

وانظر من الجهة الاخرى الى محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية انه لم يجيء مصر فاتحاً . فالانقلاب الذي تم على يده يعد من قبيل الاصلاح بالخلع وقد افلح به لان الامة كانت معه فنصرته وايدته لدى الباب العالي وقد همه امر المماليك بقايا العصر السابق ومع انهم رضخوا لحكمه واطاعوه لكنه اعتبر بما اصاب سواه فلم يطمئن باله حتى ابادهم بطريقة فظيعة أوجبت الانتقاد عليه وخصوصاً لان المماليك اعانوه في نيل ولاية مصر وهو يعلم ذلك لكنه نظر الى مركزه نظر الفاتحين الذين انما يهمهم تأييد سلطانهم لا يبالون بما يضحون أو يرتكبون في سبيل تأييده

ولمثل هذا الغرض كان السلاطين العثمانيون اذا افضت السلطنة الى احدهم قتل اخوته لئلا ينافسوه في سلطانه ثم اكتفوا بالحجر عليهم وفيهم من لم يقترف ذنباً ولا تعمد خيانة

وانما قتلهم حرص السلطان على سيادته ورغبته في تأييد دولته . وكان دعاة السياسة في صدر الاسلام اذا توهموا الخوف من احد قتلوه بمجرد الشك — كذلك فعل معاوية وكان يقتل بالعسل المسموم حتى قالوا « ان لله جنداً من العسل » وزاد عليه الامام ابراهيم صاحب الدعوة العباسية انه اوصى قائده ابا مسلم الخراساني ان يقتل على الشك بقوله « من شككت فيه فاقتله »

نعم ان الفتك على هذه الصورة ظلم يؤخذ فيه الابرياء بجريرة المذنبين ولكن انشاء الممالك وتأييد الدول كان يقتضي ذلك . وعلى كل حال انه من شؤون العصور الاستبدادية القديمة التي كان الفاتحون فيها انما يطلبون السيادة لانفسهم ولو مات رعاياهم . وكان الرعايا المساكين اذا اعانوا دولة على دولتهم فانما يستبدلون ظالماً بظالم . فهولا ينطبق على احوال التمدن الحديث ولكن حق الفتح او التغلب لايزال مرعياً فاية دولة او جماعة تغلبت على بلد سواء كان بالفتح او غيره اعلنت الاحكام العرفية لتوطيد دعائم سلطتها بالتخلص من بقايا العصر السابق او انصار الدولة الذاهبة . ولا تتخلص منهم بغير المبادرة الى غل ايديهم او تجريدهم اوقتلهم باحكام استبدادية بعد محاكمات مختصرة اكثرها صوري . و بغيرذلك لا تقوى على تأييد سلطتها . ولا ينحصر ذلك في احوال الفتح او التغلب بالسيف بل هو يجري عند كل انقلاب مهما كان نوعه حتى في الثورات الاهلية لقلب الحكومات الملكية الاستبدادية سواء ارادوا بعد قلبها ان تكون دستورية او تصير جمهورية فانهم يلجأون في اول الانقلاب الى الاحكام العرفية اي الى الاستبداد لتطهير البلاد حالاً ممن يخشون دسائسه او يخافون بطشه . وقد يخطئون في احكامهم المستعجلة فيقتلون بعض الابرياء ولكنهم يغتفرون ذلك في سبيل المصلحة العامة فان السياسة لاقلب لها

## الانقلاب العثماني شبيه بالفتح

ان الانقلاب العثماني بحسب ظاهره انقلاب اصلاحي ولكنك اذا تأملت تفاصيله رأيته اقرب الى الفتح مما الى الاصلاح لان الاحرار العثمانيين قضوا السنين الطوال كانهم في حرب مع الحكومة الذاهبة لانها كانت تطاردهم وتقتص آثارهم وتفتك بهم سراً وجهراً وهم لايزيدون على الشكوى والاستغاثة مع الاتحاد لنشر افكارهم في الامة تحت خطر النفي والقتل — قضوا في ذلك نيفاً وثلاثين سنة هاربين شاردين يقاسون العذاب والفقرحتى بلغ بعضهم بعد ان كان اميراً في بلده انه اصبح كالعبد الهارب من الرق . وهذا احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان قضى اواخر سني الاستبداد في باريس لايزيد دخله على دخل اصغر

العملة واهل الدولة يومئذ يعرضون عليه المناصب والرواتب وهو لايبالي · وامثاله كثيرون والحكومة القديمة تتبع في معاملتهم وصية ابراهيم الامام لابي مسلم الخراساني «من شككت فيه فاقتله» فقتلت منهم كثيرين وهم صابرون على بلواهم يتحينون الفرص للوثوب بها حتى اتيح لهم ذلك في ٢٤ يوليو الماضي اذ نصرهم الجيش واضطرت الحكومة القديمة الى التسليم بالدستور فدخلت جمعية الاتحاد والترقي الى الاستانة دخول الفاتحين وفيهم الملسوع قلبه والمجروح خاطره وبعضهم ذهب اباؤهم ضحية الاستبداد وآخرون ذهبت اموالهم او اضاعوا اعمارهم في هذا السبيل فكلهم موتور يرى له ثأرًا على الدولة القديمة فلو انتقموا او فتكوا لم يلمهم احد· ولكنهم تصرفوا تصرفًا اشبه باهل الحكمة وكبار الفلاسفة فادخلوا في تاريخ السياسة بدعة لم يسبق لها مثيل لانهم عمدوا بدلاً من الانتقام او الفتك الى المحاسنة والملاينة وفتحوا صدورهم لالد اعدائهم واسبلوا ذيل الاغضاء عما مضى وقد نظروا من وراء ذلك الى مصلحة الامة لا لمصلحة نفوسهم وعذروا ضعف الطبيعة البشرية

ولكن ظهر بالامس ان ذلك التساهل جاء في غير محله لانه ترك لبقية العصر السابق مجالاً للدسائس والمساعي لاسترجاع سلطتهم· فاذا كان على جمعية الاتحاد لوم فانها تلام على لينها وتساهلها لا على استبدادها · ولو استبدت حسب سنة الفاتحين لنجت من القلاقل الاخيرة ولكنها ترفعت عن الفتك والقتل لان اعضاءها من ارقى العثمانيين اخلاقًا واسماهم نفوسًا وفيهم نخبة العلماء والفلاسفة والشعراء والكتاب — والعلم يهذب النفوس ويضعف القوة الغضبية

على انها لم تر بدًّا من الاستبداد في طرق الاصلاح باختيار رجال تثق بعقلهم واقتدارهم وصدق نياتهم فادخلت نفوذها في انتخاب النواب وتنصيب الحكام وفي غير ذلك خوفًا من اسناد المناصب الى من يفسدها فآل عملها الى اغضاب اكثر العناصر العثمانيــة اذ اتفق في اثناء سعيها لانتقاء العمال انها حرمت احد ابناء العرب المسلمين منصبًا كانت انظاره طامحة اليه وهي لا ترى فيه اهلية له فنقم عليها واتهمها بالتعصب للاتراك وانها تحتقر العرب فوجد انصارًا من بقايا العصر القديم فاذكوا تلك النيران بالكتابة والنشر حتى نقم العرب عليها وقالوا فيها ما قالوا وصاروا يفسرون اعمالها بما يوافق هذه التهمة· واتفق من الجهة الاخرى ان بعض الناس شكا احد ابناء العرب يطالبه بمال دخل عليه في اثناء عصر الاستبداد ونظرت المحاكم في دعوته فاول العرب ذلك بان الجمعية انما تتعمد الايقاع بالعرب والا فلماذا لم تحاكم المتقهقرين من الاتراك

واتفق لنفس هذا السبب انها منعت منصباً عن عربي مسيحي فنقم عليها النصارى العرب واتهموها انها تتعصب للمسلمين على النصارى . واتفق في ظرف آخر انها حرمت احد الاتراك المسلمين من منصب كان يسعى فيه فنقم عليها الاتراك لتعصبها على المسلمين وان مبادئها تدعو الى ضعف الاسلام لانها تطلب اتحاد العناصر تحت الجامعة العثمانية فيتساوى فيها المسلم والمسيحي وغيرهما . وقد صرح بعض اعضائها في اثناء ذلك باقوال تدل على التساهل الديني الكثير مما لم يعهد مثله في الشرق الاسلامي فقبض اعداء الدستور على هذه الفرصة بايد من حديد لعلمهم انها الوسيلة الوحيدة لنيل مآربهم فاخذوا يظهرون الغيرة على الاسلام وألفوا الجمعية المحمدية لتبغيض تلك الجمعية الى الشعب وخصوصاً الى افراد الجيش وهم من العامة . فكثر الناقمون عليها بين الاتراك لانها تحتقر الدين و بين العرب النصارى لانها تتعصب للاتراك والعرب المسلمين و بين العرب المسلمين لانها تتعصب للاتراك . وهي في اعتقادنا لا غرض لها من استبدادها الا المحافظة على الدستور فهي متعصبة للدستور ولا تراعي الا من تعتقد انهُ يراعيه

على اننا لا نعتقد انها معصومة عن الغلط فقد اخطأت في بعض اجراءاتها والعصمة لله وانما العمدة على صدق نيتها في اعمالها فاذا سلمت نيتها عادت الى صوابها اما الذين قاموا عليها من الاحرار وفي مقدمتهم مراد بك الداغستاني فيزعمون انها مستبدة وانها تحتقر الدين وكان المنتظر من الداغستاني الذي تغنت به الجرائد الحرة حيناً لنصرته للحق والحرية وتفانيه في خدمة الامة العثمانية ان يبقى على هذا المبدأ ولا ينقم على الجمعية هذه النقمة لانها لم ترض رجوعه الى حظيرتها بعد ان تركها وانحاز الى المستبدين . بل يجدر به اذا كان حرًّا ان ينكر نفسه ويبرهن للملا صدق نيته بالسكوت ومساعدة الجمعية في مشروعها وهي تقربهُ . أو يفعل كما فعل احمد رضا بك لما طلب اليه الثائرون بالامس ان يستقيل من رئاسة مجلس المبعوثان فقال « قضيت عمري في خدمة الامة العثمانية فاذا كان في استقالتي فائدة لها فاني استقيل » ولو صدقت نية الداغستاني ورفاقه الاحرار في مصلحة الامة للازموا السكوت لئلا يفسدوا على الجمعية اعمالها الاصلاحية ولم ينصروا الجهال واهل الاستبداد

فالاستبداد لازم في تأييد الدولة عند اول الانقلاب واذا سوغنا ذلك لجمعية الاتحاد والترقي اليوم انما نسوغه رغبة في انجاز العمل لاعتقادنا صدق نيتها ولانها صاحبة المشروع وهي احرص الناس على صيانته . لكننا طبعاً لا نرضى به الا ريثما يتأيد الدستور ثم ينال كل عنصر قسطه حسب نصوص القانون الاساسي . واما محاسبتها منذ الآن على كل حركة واتهامها

بالاستبداد والاستئثار فانه معيق لاعمالها والآن قد قضي الامر وتم الانقلاب وافضت السلطنة الى جلالة السلطان محمد الخامس وقبضت الجمعية على زعماء الثورة بقايا العصر السابق نتقدم الى الشعوب العثمانية ونخص منهم قومنا العرب ان يحسنوا الظن بهذه الجمعية المقدسة ويتركوها تعمل ما تراه ولو تخلل اجراءاتها استبداد في العزل والتنصيب أو الاستئثار بالوظائف لفئة دون أخرى فانها انما تعمل ذلك لمصلحة الامة ولا بد من التساهل ريثما تتأيد الدولة وتستتب الامور فينال كل عثماني حقه والله ولي التدبير

# بيروت

## عوامل التهذيب والارتقاء فيها

اظهر أهل بيروت بعد اعلان الدستور ما ادهش العثمانيين من الاتحاد والحرية الشخصية وصحة المبدأ منذ اعلن الدستور الى ان وثب المستبدون في الامس . فقد كان اهلها اول من تصافح فيهم الشيخ والقسيس واظهروا في اثناء انتخاب النواب لمجلس الامة استقلالاً في الفكر واتحاداً في الكلمة . ولما وثب بقية حزب التقهقر بجمعية الاتحاد والترقي بالاستانة كانوا في مقدمة الناقمين على الواثبين وقاموا يؤيدون الدستور بخطبهم ورسائلهم وعثروا على بعض الجواسيس يسعون في التفريق بينهم فقبضوا عليهم وجددوا الوفاق بين طوائفهم وقالوا اذا تباغضت الطوائف في كل المملكة العثمانية فنحن متفقون في نصرة الدستور الى آخر نسمة من الحياة

فهذه الشعائر تدلُّ على ارتقاء الامة في حياتها الادبية ويؤيد ذلك كثرة الجرائد والمدارس وسائر معدات التربية والتهذيب فيها . فسكان هذه المدينة لا يزيدون على ١٠٠٠٠٠ نفس ولكن يؤخذ من دليل بيروت ان فيها بضعاً وخمسين مدرسة كبيرة بينها عشر مدارس للبنات من كل الطوائف و بعضها داخليٌّ . وبينها ست كليات يقيم فيها التلامذة يتعلمون ويأكلون وينامون غير المدارس الصغرى في اطراف المدينة

وفيها سبع جرائد يومية هي : لسان الحال . والاحوال . والاتحاد العثماني . والمحبة . والوطن . والثبات . وحديقة الاخبار . وعشر جرائد اسبوعية هي : بيروت

الرسمية . وثمرات الفنون . وبيروت . والاقبال . والمصباح . والبشير . والنشرة الاسبوعية . والبرق . والمراقب . والمفيد . واربع مجلات علمية أدبية هي : المشرق والطبيب . وروضة المعارف . والنبراس . وكل هذه الصحف باللغة العربية

وفيها عشر مطابع وسبع عشرة مكتبة و١٣ جمعية خيرية و٦ جمعيات علمية

## شعوذة الحواة

حضرة منشىء الهلال

قرأت في الجزء السابع من اهلة هذه السنة سؤالاً عن الحاوي وكيف يستخرج الافعى من البيت وجوابكم عليه وبما اني مطلع على غيرما اوردتموه من ضروب احتيال هؤلاء المشعوذين احببت ان أوافيكم بما شاهدته بعيني : وهو اني كنت مرة في بعض القرى فجاء اثنان من الحواة ويسميهم الفلاحون عندنا « جنبانيه » يحرفونها عن « جنيدية » نسبة للجنيد البغدادي فصار احدهما يأتي المنزل يوهم اهله ان به حية . وشهدت ذلك مرة فطلبنا منه اخراجها فتجرد من ثيابه جيمها ونحن ننظر اليه ثم اعطيناه مئزراً ستر به عورته ودخل البيت وصار ينادي يا جنيد يا رفاعي ونحو ذلك وبقي رفيقه خارجاً يدق بمزهره قرب الباب ثم خرج الحاوي الداخلي وبيده حية تسعى . فعجب الحضور من هذا السر فأصررت على اكتشاف هذه الحيلة فطلبت منه ان يخرج حية ثانية ان امكنه فتوجه لبيت آخر ونزع ملابسه ففحصته فحصاً جيداً حتى قطعت الشك بان ليس معه شيء الا اني رأيته بأثناء وجوده في البيت المرة الاولى خرج وأخذ المزهر من رفيقه فشككت من هذه الجهة فجعلت وجودي في المرة الثانية كله عند رفيقه في الخارج فكان يدق بمزهره ضاماً اياه الى صدره ثم رأيته اخرج شيئاً من منطقته ووضعه تحت ابهامه داخل المزهر فاعترضت بينه وبين الباب وقلت له قف بعيداً واذا كان رفيقك يريد المزهر اعطني اياه وانا اعطيه له فلم يرض . فلم اقبل ثم صار الحاوي الداخلي يخطر في البيت ويصرخ ولما لم يجد وسيلة الوصول الى رفيقه قال « ان الحية خرجت من هذا البيت ودخلت في البيت المجاور » وخرج مستعجلاً ومر بجانب رفيقه فاعترضت بينهما ثم صار يخرج من غرفة ويدخل أخرى وانا لا امكنه من أخذ المزهر ولا الدنو من رفيقه واخيراً صرخ من داخل البيت

قائلاً « ان الحية لسعتني » فلباه رفيقه بقوله « يا جنيد » ودخل مسرعاً يوهم انه يريد اسعافه فتبعته فرايته اعطاه حية ملفوفة على نفسها ومربوطة بخيط ربطاً جعلها على ليها بحجم الخوخة فقلت له « رايتها » فقال « استر لي لا تميش » ثم خرج وبيده الحية وقد فكها من عقالها والناس يظنونه التقطها من هناك

ثم بعد مدة رأيت احدهما في البلدة فسألته « اذا لم يكن معك رفيق ماذا تصنع » قال « البس سروالاً صغيراً كلباس البحر تحت سراويلي الكبيرة واضع به الحيات ولما اريد العمل احتزم قبل نزع سراويلي موهماً ستر العورة ثم انزع سراويلي الكبار فيبقى السروال الصغير الذي به الحيات مغطى بالحزام فاتمم حيلتي على ما رأيت »

اللاذقية منح هارون



## خمر البلكه في بلاد المكسيك

يتعاطى المكسيكيون شراباً كثير الشيوع بينهم يسمى خمر البلكة كما يتعاطى اهل افريقيا خمر البلح · يستحضرونه من عصارة نبات غريب ببابه يقال له الاكاف اوراقه تنبت غليظة عريضة من جذره ( انظر الشكل في الصفحة المقابلة ) ولهذا النبات اهمية كبرى في بلاد المكسيك بسبب عصارة تجتمع في جوفه بغزارة يعالجها الاهالي فتصير خمراً لذيذاً يتعاطاه القوم هناك بكثرة لسهولة اقتنائه ورخصه

وكان الاكاف في الاصل نباتاً برياً فلما اكتشف الناس نفعه استنبتوه في البساتين فتكاثر وشاع حتى صار محصوله غزيراً وانشئت المعامل لاصطناع خمره والمتاجرة ببيعه وتوريده ولهم في تربيته وتعليله طرق عرفوها بالاختبار · ومرجع فائدة هذا النبات الى العصارة التي تتجمع في جوفه وهم يسمونها ماء العسل لحلاوتها ويستخرجونها على هذه الكيفية :

اذا مضى على الشجرة سبع سنوات آن استثمارها فيصعد البستاني عند ذلك الى جوفها ينزع ما حوله من الاوراق المتراكة حتى يظهر الفراغ كأنه وعاء مخروطي الشكل فياتي بسكين طويل يغرسهُ في وسطه الى الاسفل على شكل خاص يتلف به كل البراعم النابتة حديثاً ثم يغطي ذلك المخروط ببعض الورق ويعود اليها بمدسنة فيجد ذلك الجوف قد امتلأ عصارة لبنية تشبه السائل الذي يتولد في جوف جوزة الهند • فيستخرجونها بالامتصاص بواسطة قرعة يابسة من القرع المعروف فيجلس الرجل في وسط الاكاف ويأتي بالقرعة التي ترى صورتها بجانب الشكل ولها ثقب في قعرها وفتحة في راسها فيدخل الراس في السائل ويمتص الهواء من القعر كما ترى في الشكل



مكسيكي يستخرج عصارة الاكاف بالقرع

فاذا ذهب الهواء صعد السائل في القرعة على مبدا المص حتى تمتلئ القرعة فيسدها ويفرغها في اوعية معدة لذلك وتجمع هذه الاوعية اذا امتلأت في معامل خاصة لاجل تخميرها بواسطة مواد تضاف اليها تشبه حبوب التابيوكا بالمقادير اللازمة فيتولد اصناف من الخمر تختلف باختلاف درجات الاختمار وتحمل الى الاطراف بمقادير كبيرة وكثيراً ما تشحن في قطر خاصة تحمل مئات من القناطير

## الشعر الرستمي

نعني به شعر اسعد افندي رستم وقد نسبناه اليه لانه اشهر من نظمه وهو يمتاز بسهولته وقربه من افهام العامة يتخلله كثير من الالفاظ العامية لمعانٍ عامية لا تؤدى بالالفاظ الفصحى فهو ينظم للشعب · وقد ينتقده الشعراء لبعده عن بلاغة شعر الجاهلية وصدر الاسلام ولكنه نوع من الشعر له مزية وموقع خاصان به · ويفيد على الغالب في انتقاد عادات العامة باسلوب يفهمونه مع شيء من المجون وبين ايدينا ديوان اسعد رستم وفيه قصائد كثيرة من هذا القبيل منها قوله ينتقد التقبيل من قصيدة عنوانها بوس اللحى

اليكمُ معشر القراء من قبلي — منظومة تحتوي شرحاً عن القبلِ
وربما كنت فيما قلت منتقداً — عاداتكم فاسمعوا قولي بلا زعلِ
ان كنت اقصد فيه غير خيركمُ — سبوا لي الديك ازواجاً بلا مللِ
بوس اللحى عادةٌ في الشرق دارجهٌ — وقد ورثناهُ عن اسلافنا الاولِ
عاداتنا بعضها في الشرق محتملٌ — والبعض منها ثقيل غير محتملِ
بوس اللحى يارجال الشرق يخفضكم — قدراً ويضحك منكم اكثر المللِ
ما اثقل اثنين في تقبيل بعضهما — كانما جبلٌ يهوي على جبلِ !!
حتى الزوج اذا ما حدَّقوا بهما — تحمر اوجههم من شدة الخجلِ !
بوس اللحى عادةٌ ليست بلائقةٍ — ناهيك ما نشرت فينا من العللِ
لاسيما ان يكن من بست مفترساً — حصاً من الثوم او رأساً من البصلِ
تفوح رائحة من فرط قوتها — يشمها الناس في المريخ او زحلِ
بوس اللحى يا رجال الشرق بينكم — امرٌ ثقيلٌ على الاسماع والمقلِ
اضعتم بينكم منه الكثير فما — أبقيتم لذوات الاعين النجلِ
قد اهمل الرجل الانثى لذاك فلا — تلام ان رفعت دعوى على الرجلِ !

---

## رواية اللصوص الاربعة

هي رواية تاريخية كثيرة التشويق للمطالعة وتعرف برواية جاسوس الملكة كاترين دي مدسيس تعريب سليم وثابت وقد طبعت بنفقة مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز بمصر وتطلب منها وثمن النسخة ثلاثة غروش واجرة البريد قرش

## البطاطة ( البطاطس )

### وصفها وتاريخ نقلها من اميركا وانتشارها في اوربا

البطاطة نبات نحيف يبس عقب الاثمار يبلغ ساقه ما بين الاربعين والستين سنتيمتراً ذو اوراق مستطيلة خضراء القسم الأعلى قطنية القسم الاسفل

ازهاره بيضاء جميلة قد تكون بيضاء أو زرقاء أو وردية اللون أما اثماره فهي كروية الشكل تنتج عن تضخم الساق السفلى تضخماً يشبه الغدة

ومن خصائصه انهُ يألف الظلمة والرطوبة لملائمتها لهُ ولذلك كان الزراع يجعلون على ساقه كوماً من التراب بغية تحسين المحصول وتكثيره

ولا تنحصر مقطوعيته على الاكل وحده بل ان لهُ موضعاً آخر في العمليات لا يزال يتسع ما اتسع نطاق الصناعة . فاليك محصول فرنسا مثلاً الذي يزيد على المليون هيكتوليتر فقد يذهب منهُ ٨٢ مليوناً طعاماً للانسان وحيواناته الاهلية ويستخدم الباقي من ذلك ومن العشر الذي يحفظ للزرع في بعض متفرقات الصناعة

بعد اكتشاف اميركا وافتتاح بلاد البيرو بواسطة بيزار والمانيو سنة ١٥٣٣ استجلب الاسبانيول برجوعهم الى وطنهم النباتات المفيدة التي كان يألفها الاميركيون فكان من جملة ما احضروه معهم البطاطه . فانهم اتوا بها من منحدرات انهر الكورديلير بعد ان عرفها الوطنيون هناك بمدة مديدة . واختص الاسبانيول من بين العالم القديم بزرعها والتفرد باستثمارها ردحاً من الزمن الى ان انتقلت معرفتها الى الايتاليين بواسطة بعض رهبان الكرمل فلاقت عندهم قبولاً حسناً إذ وجدوا بها طعاماً لذيذاً فاخراً . مع ذلك لم تكن تزرع بكثرة عندهم

وفي سنة ١٥٤٥ احضر جون هاكن قسماً منها الى ايرلاندا لكنها لم تزرع هناك الا في سنة ١٦٢٣ بعد ان كثر تناولها في انكلترا بمساعي ولتر راليه محظي الملكة اليصابات

وفي سنة ١٥٨٨ سافر أحد رجال حاشية البابا مرسلاً الى فلاندر حيث اهدى بثوراً منها الى السنيور دي سيفري . وهذا بعث بكية من تلك البثور الى رجل من

اصحابه يدعى شارل دلسكاوز العالم النباتي الذي اشتهر بعد ذلك في فوزه باستمالة قلوب الاوربين الى البطاطة وبانه الداعي الاكبر لانتشارها وهو الذي قال فيه مورّق ما معناه : ان في عمل دلسكاوز الوحيد أعني ترويجه الاستفادة بخير اثمار العالم الجديد الى العالم القديم ما يستحق من اجله ان يأخذ موضعاً بين المحسنين على البشرية

ولما زرع دلسكاوز تلك البثور المهداة له اعجب بثمرها وشرع يبذل الجهد في ترويج زراعتها فبين لاهل بلاده فوائدها وطيب طعمها نافياً عنها كل ما من شأنه ان يلقي في النفوس الكره لها ·فكان بسعيه الحميد المروج الحقيقي لاستعمالها والمسبب الاول في زرعها بكثرة من سنة ١٥٨٩ الى سنة ١٥٩٣

وبواسطته كان اول دخولها الى البلاد الالمانية حيث قدرت حق قدرها لان عالمنا المذكور أهدى في اواخر القرن السادس عشر بثوراً منها الى جاك كاريه الالماني المشتغل في النباتات فزرعها هذا عنده ثم شاع استعمالها في بلاده ومنها امتد شعاع معرفتها الى فرنسا . وبسعي پرمانتيه الشهير راجت رواجاً باهراً بعد ان لقي في هذا السبيل من وعرة المسالك مايثبط همم الابطال ومن الصعوبات والمعاكسات ما بلغ الغاية وفاق حد الاعتدال وجعل له اسماً بين مشاهير الرجال

ولم تقم تلك المعاكسات في وجه پرمانتيه عن عسر في زرع البطاطه أو عن عدم مناسبة تربة فرنسا لها أو عدم ملائمة مناخها بل كان ذلك عن مجرد توهمهم الضرر فيها وزعمهم انها تجلب البرص والحمى الخبيثة . وهذا الاعتقاد الفاسد لم يكن مقتصراً على الاغبياء بل ان العقلاء كانوا يرون في البطاطه غذاء غليظاً لايليق اكله الا المتوحشين · واليك ماقاله احدهم مؤلف دائرة المعارف سنة ١٧٦٥ « هذا النبات الذي أتانا من فرجينيا يزرع في نواح متعددة من اوربا ولا سيا فرنسا مثل اللورين والالزاس وليونيه وفيفاريه ودوفينه . وسكان تلك البلاد والفلاحون منهم خاصة يتخذون من اصوله غذاء لهم في قسم كبير من السنة فيغلونه قبل اكله في الماء الحار أو يشوونه تحت الرماد الخ — ويشكون . من البطاطه بانها تولد الارياح ولكن ما أهمية الريح لدى اولئك الفلاحين الاقوياء » فاذا كان هذا هو اعتقاد العلماء من القوم

فكيف بالعامة الذين دأبهم التسليم الاعمى والانقياد المطلق لرؤسائهم فلا لوم عليهم اذا علمنا انهم كانوا يقدمون ماعندهم منها طعاماً لمواشيهم استنكافاً من ان يذوقوها أو يمدوا لها يداً

أتى على الافرنسيين حين من الدهر وهم يكرهون البطاطه ويجتنبون اكلها الى ان حصلت المجاعة سنة ١٧٧٠ فعرضت جمهورية بيزانسون على العلماء ان يبحثوا عن مواد تحط من نكبة الجدب تلافياً للخطر المحدق بالبلاد

فعنَّ لبرمانتيه أحد مستخدمي الجيش وقتئذ ان يدرس صنفاً من المأكولات كان قد ذاقه في فرنكفور إحدى البلاد البروسية عند مورن الصيدلي وطاب له اكله لدرجةٍ انه لم يرجع الى وطنه قبل ان تعلم زرعه من رجل فلاح يدعى غريغوار

وبعد الفحص والتدقيق ظهر له ان هذا الصنف المسمى بطاطه افضل نبات يخلف الخبز واحسن التدابير النافعة لتدارك الرزية النازلة بهم فحرض قومه على الاستفادة به ناصحاً لهم في زرعه . ثم انه نشر سنة ١٧٧٩ تحليله الكيماوي مبيناً فيه ان البطاطه فضلاً عن كونها تصلح التربة القاحلة فهي تحتوي على الاغذية النافعة . على ان ما أتاه من الحجج الدامغة والبراهين الساطعة لم تقو على تغيير الرأي العام

فتحير الرجل في امره وكاد يرجع عن قصده لولا ان لاحت له بارقة من الامل فارجعت نشاطه وحسنت له متابعة العمل فاخذ في البحث عن طريقة اخرى تكون اقوى على تحقيق رغائبه ونيل ماربه فوفق باقناع الملك ان يهبه سهولاً من الرمل واسعة جداً بقرب باريس تدعى سابلون كانت الى ذلك الوقت قاحلة

فأصلح برمانتيه تلك السهول على قدر امكانه وزرع فيها البطاطه لم يطل امرها حتى نبتت واثمرت واعطت محصولاً حسناً . وفي تلك الاثناء جمع من زهرها الاول طاقة قدمها للملك لويس السادس عشر فسرَّ بها سروراً فائقاً وظهر في يوم ما ممسكاً لها بيده

فلما رآه كبراء مملكته تشبهوا به . فصار زهر البطاطه (مودة) بيد ان اثمارها لبثت منبوذة مكروهة لا يلتفت اليها ولا ينتفع بها الا باطعامها للخنازير

كل ذلك لم يثبط همة برمانتيه ولا اضعف نشاطه بل انه عند ما رأى حبوط مساعيه وخيبة آماله أخذ يبحث عن طريقة أخرى يتمكن بها من نجاح مشروعه وخدمة وطنه فاشاع في إحدى السنين انهُ عازم على ان لا يبيع محصول حقله الا في برهة صغيرة باسعار عالية وانهُ اناط مراقبة مزروعاته بحراس أشداء مصحوبين بفرقة من رجال الضبط يعاقبون عقاباً صارماً كل من يتجاسر ان يدوس ارضه او يمس منها حبة وقد اخرج القول الى حيز العمل غير انهُ أسرّ لحراسه ان يغضوا الطرف عن الناهبين ويتركوا الحقول ليلاً ليخلو الجو للسالبين . فأثر اعلان برمانتيه في النفوس تأثيراً حسناً وجعل في القلوب ميلاً الى البطاطه ميل الانسان الى الاشياء الممنوعة فانقض القوم ليلاً على الحقول انقضاض الظمآن على الماء وتركوها خالية كان لم تكن في الامس . ولما ان اكل الافرنسيون مما كانوا يستنكفون طعمهُ تبين لهم الغلط من الصواب فتحققوا فساد اعتقادهم ورجعوا عنه مقرين بما للبطاطه من المنافع الجمة . وقد اخذوا من ذلك الوقت في الاعتياد عليها والاعتناء بها فراجت عندهم بعد ذلك رواجاً مهماً في مدة قصيرة وانتقل منها الى الشرق في اواسط القرن الماضي

( بيروت ) محمد جميل بيهم

## ابيات في كتمان السر

قال قيس بن الحطيم :

اجود بمكنون التلاد وانني | بسرّي عمن يسألني لضنينُ
وان ضيع الاقوام سرّي فانني | كتوم لاسرار العشير امين

وقال آخر :

اذا ما غفرت الذنب يوماً لصاحب | فلست معيداً ما حييتُ لهُ ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده | وعندي لهُ سرٌّ مذيعاً لهُ سرّا

وقول الآخر :

ومستودعي سرّا كتمت مكانهُ | عن الحس خوفاً ان ينم به الحسُّ
وخفت عليه من هوى النفس شهوة | فاودعتهُ من حيث لا يبلغ الحسُّ

# فك التقليد في علم الصرف

تأليف جبر افندي ضومط وبولس افندي الخولي من اساتذة المدرسة الكلية في بيروت

الصرف من العلوم اللسانية التي وضعها المسلمون في صدر تمدنهم لضبط كتب الدين وتفسيرها او فهمها بدأوا من تلك العلوم بالنحو لانه اول ما يحتاج اليه في تمييز العوامل فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر فيرفع الالتباس في فهم العبارة • ثم وضعوا الصرف مع ان هذا يبحث في احوال ابنية الالفاظ والنحو موضوعه نسبة تلك الالفاظ بعضها الى بعض في الجملة • ولكنهم احتاجوا الى ضبط معنى الجملة قبل النظر في اشتقاق الفاظها • ومعلوم ان النحو وضعه ابو الاسود الدؤلي في اواسط القرن الاول للهجرة اما الصرف فلم يوضع الا بعد اواسط القرن الثاني وقد اختلفوا في واضعه والارجح انه معاذ ابن مسلم الهراء شيخ الكسائي في النحو • وكان شيعياً توفي سنة ١٨٧ هـ وظن آخرون ان واضعه ابو عثمان المازني المتوفى سنة ٢٤٠ هـ والاغلب انه معاذ وقد الف في النحو كثيراً ولكن مؤلفاته لم تصل الينا • وكتب غيره في الصرف في اثناء الكلام عن النحو ولم يجعلوه علماً مستقلاً الا بعد ذلك

واقدم من وصلت الينا كتبه في الصرف على حدة عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب المتوفى سنة ٦٤٦ هـ الف في الصرف كتاب « الشافية » وقد شرحها احمد بن الحسن فخر الدين المتوفى سنة ٧٤٦ هـ وشرحها ايضاً الخضر اليزدي فرغ من شرحها سنة ٧٢٠ هـ ورضي الدين الاستراباذي الشهير بالنجم الرضي توفي في اواخر القرن السابع للهجرة والسيد عبد الله الحسيني بنقره كار المتوفى سنة ٧٧٦ هـ والشيخ يوسف بن عبد الملك الغفور من علماء القرن التاسع وغيرهم • وبعض هذه الشروح مطبوع وكلها موجودة في المكتبة الخديوية

وابو الفضائل ابراهيم بن عبد الوهاب عماد الدين بن ابراهيم الزنجاني المتوفى سنة ٦٥٥ هـ الف كتاب « التصريف العزي » وقد شرحه كثيرون من علماء اللغة وعلقوا عليه الحواشي منها شرح السعد التفتازاني المتوفى سنة ٧٩٣ هـ وقد شرح هذا الشرح ناصر الدين اللقاني المتوفى سنة ٩٥٨ هـ وشرح شرح اللقاني هذا احمد بن قاسم العبادي المتوفى سنة ٩٩٤ هـ وجميع هذه الشروح موجودة خطاً في كتاب واحد بالكتبخانة الخديوية • وشرحها غير هؤلاء ايضاً • والامام ابن مالك النحوي الف في الصرف لامية سماها لامية الافعال شرحها كثيرون ومن امهات كتب الصرف غير ما تقدم كتاب « المقصود » يقولون ان مؤلفه الامام

الاعظم وكتاب «مراح الارواح» تاليف الامام احمد بن مسعود وكتاب بناء الافعال · وكتاب الامثلة والكافية وهي قصيدة تاليف بعض علماء القرن السابع للهجرة وكلها متون مشهورة ولكل منها شروح او حواش عديدة واكثرها مطبوع متداول

والف في الصرف من اهل هذه النهضة كثيرون يضيق المقام عن ايراد اسمائهم واكثرهم نحوا القدماء في اسلوب التأليف · والحاجة ماسة الى كتاب في الصرف خارج عن قيود التقليد لان هذا العلم على كونه ضروريًا لضبط القراءة ومعرفة صيغ الالفاظ واشتقاقاتها قلما نجد لائمة اللغة عناية في تسهيل تناوله بالعدول عن الاسلوب القديم الى اسلوب حديث يسهل به تفهمه · وقد شعر بهذا النقص وتصدى لسده صديقنا جبر افندي ضومط استاذ اللغة العربية في المدرسة الكلية السورية وزميله بولس افندي الخولي

وقد عرفنا الاستاذ ضومط منذ بضع وعشرين سنة وصادقناه وعاشرناه وتلقينا اللغات السامية معاً · وظهر لنا ونحن ندرس اللغتين السريانية والعبرانية ميله الى حل قيود التقاليد اللغوية والذهاب بقواعدها وآدابها الى نسق حديث · ولم نكد نفرغ من درس هاتين اللغتين حتى الف كتابه «الخواطر» في فلسفة اللغة نظر في قواعدها نظرًا تحليلياً وضمنه آراء لم يسبقه اليها احد · ولما انتدب لتدريس اللغة العربية في المدرسة الكلية جعل همه اخراج عزمه في حل التقاليد الى حيز العمل فالف كتابه الخواطر الحسان في المعاني والبيان وكتاب الخواطر العراب في النحو والاعراب وكتاب فلسفة البلاغة وغيرها من كتب اللغة التي تدل على طول باعه مع نزوعه الى التحليل الفلسفي · وكلها موضوعة على اسلوب حديث خالف فيه من تقدمه من علماء اللغة وعليها المعوَّل لتعليم هذه العلوم في المدرسة الكلية

ولهذا الغرض عمد الى سد حاجة اللغة العربية بتأليف كتاب الصرف الذي نحن في صدده · وقد اشترك في تأليفه مع زميله بولس افندي الخولي من نوابغ اساتذة المدرسة الكلية · فألفاه على نسق حديث وسمياه اسماً يدل على المراد به (فك التقليد) وبسطا الكلام في الصرف بسطاً يقربه من الافهام ويسهل حفظه · وقد جربا تدريسه في صفوف اللغة العربية بالمدرسة الكلية قبل طبعه فوجداه وافياً بالغرض فنشراه خدمة لاهل التربية وارباب التعليم في المدارس الثانوية · ويجدر باساتذة هذه المدارس ان تعول عليه في تعليم هذا الفن لانهم قلما يفونه حقه من العناية وخصوصاً في المدارس المصرية

ومزايا هذا الكتاب كثيرة اهمها انه ينبه علماء اللغة الى ان باب الاجتهاد في هذا الفن لا يزال مفتوحاً فيحلون قيود التقليد ويجعلون ابحاثهم مبنية على الاساليب الحديثة ·

ومنها انهُ يقوي في التلميذ قوتي الادراك والاستنتاج فيتعود ذلك في سائر احكامه فضلاً عن تسهيل تناول هذا العلم عليهِ

فنثني على حضرة المؤلفين ونستحث ارباب الاقلام على الاقتداء بهما في وضع العلوم العربية على الاساليب الحديثة كما فعل الافرنج في علومهم . فان مذهب النشوء والارتقاء غير اساليب العلم لما يلائم نواميس الطبيعة

# باب الاخبار العلمية

## مصل المنجيتس ( التهاب اغشية الدماغ )

دخل الطب باكتشاف العلاج المصلي في دور جديد يكفي دليلاً على ذلك النجاح الباهر الذي لاقاه مصل الدفتيريا فانه حط الوفيات بهذا الداء الى خمسها تقريباً . وكذلك مصل الحمرة وهم يشتغلون باستحضار مصل لكل مرض من الامراض المضالة . وقد نجحوا في استحضار مصل المنجيتس او التهاب اغشية الدماغ وهو مرض شديد الوطأة سريع الخطر . فوصف الدكتور سيمون فلاكستر مدير معمل روكفلر العلمي مصلاً يقاوم به منجيتس الحبل الشوكي اي التهاب اغشيته . وكان هذا الداء كثير الانتشار في نيويورك فدرسوه درساً دقيقاً فوجدوا سببه احياء صغيرة سموها «ديبلوكوكس انتراسلولارس منجيتيدس»

فلما علموا ذلك اخذوا في اصطناع مصل يقاومه فجرب الدكتور فلاكستر اصطناعه وحقن به ثلاثة من القردة بادخال ابرة الحقنة بين الفقرات الظهرية — حقن القرد الاول بمقدار كبير من مستنبت علة المنجيتس يكفي لقتل كثيرين ثم حقنه بكمية قليلة من المصل الجديد فلم يصب القرد باذى في صحته . وحقن القرد الثاني بمقدار من مستنبت ذلك المرض فاصيب بالداء اصابة شديدة فحقنوه بالمصل فاخذت صحته تتحسن حالاً حتى شفي . والثالث حقنوه بالمستنبت المرضي ولم يحقنوه بالمصل فمات

فثبت بهذه التجارب ان المصل يشفي القردة من هذا الداء وهي اقرب مزاجاً الى الانسان من سائر الحيوانات فاصطنعوا المصل من دم الفرس لان دمهُ اقل دماء الحيوانات

اذى للانسان اذا اختلط بدمه . فلقحوا فرساً صحيحاً في معمل روكفلر بمقادير قليلة من علة المنجبس بالتوالي حتى اصبح غير قابل للعدوى بها على الاطلاق فاستخرجوا مصله وحقنوا به ثلاثة مرضى مصابين بهذا الداء فشفوا تماماً واستخدموا هذا المصل في كليفورنيا فافاد فوائد مدهشة وجربوه في ايدنبرج وفرنسا والمانيا فنجح . ومن مزاياه العجيبة ان الذين يشفون به يعودون الى الصحة التامة . وقد بلغ عدد الذين شفوا به ٢٩٥ نفساً وخرجوا كلهم صحاح الابدان الا واحداً اصيب بالخبل وسبعة بالصمم — وهو نجاح باهر

﴿الكهربائية والزراعة﴾ لحظ الاستاذ لمستروم ان النباتات تنمو في القطب الشمالي بخصب كثير فنسب ذلك الى المجاري الكهربائية المتولدة بسبب الشفق القطبي . وشاع هذا التعليل فاخذوا يجربون الكهربائية في الزرع . فجرب المستر نيومان ذلك في حقل قرب ايفشام بان جعل القصبة الواحدة بطارية بغرس قطبيها في الارض وهما عبارة عن سلكان طويلان يوصل بينهما باسلاك رفيعة بين الواحد والآخر عشرة امتار . والكهربائية تتولد بالفرك بآلات تتحرك بالزيت وتحت الضغط الشديد . فلا تزال الكهربائية تجري في الارض وتظهر للناظر ليلاً كانها الحباحب . وقد جرب ذلك في تسميد الارض بها سنة لزراعة القمح فكانت النتيجة ان الغلة تضاعفت في بعض الحبوب وزادت اربعين في المئة في البعض الآخر . وكانت الحبوب في الحالين كبيرة نامية بيعت باثمان اغلى من اثمان الحبوب المستنبتة بدون كهربائية . وجربوا الكهربائية في استنبات الاثمار والخضار فكان مقدار الزيادة ١٧ بالمئة في الخيار و٣٦ بالمئة في كبوش القش و٨٠ في المئة بالاعشاب السنوية و٥٠ بالمئة في الجزر . واما نفقات الكهربائية اللازمة لهذه النتائج فهي اقل كثيراً من النجاح الحاصل بها

﴿اعالي الجو﴾ اشتغل علماء الظواهر الجوية في اميركا بدرس طبقات الجو الى علو ستة اميال من سطح البحر فاستفادوا فوائد كثيرة بالنظر الى التنبوء عن الطقس وقدروا ما ربحته الولايات المتحدة من توقي الانواء وغيرها فبلغ ٥٠٠٠٠٠٠٠ ريال او عشرة ملايين جنيه . واستخدموا في الوصول الى هذه النتائج محطات للرصد اقاموها على قمم الجبال ارسلوا منها طيارات ومناطيد لسبر اعماق الجو بآلات سموها متيوروغراف فيها اسطوانات تدور بزنبلكات حولها اوراق يرتسم عليها خمس حالات من احوال الجو — اعني حالات الرطوبة والضغط والعلو والحرارة وسرعة الريح . واغرب ما فيها ان الآلة التي تدل على الرطوبة عبارة عن دبوس معلق بشعرات من شعر الانسان وهي تطول بالرطوبة وتقصر بالجفاف . ومن اغرب النتائج التي وصلوا اليها بسبر الاعالي ان الجو بعد علو معين ترتفع حرارته والمشهود

ان الانسان كلما صعد في الجو زاد برداً بنسبة درجة واحدة فرنهيت لكل ٣٠٠ قدم ولكن التجارب الآخيرة دلت على ان الطقس زيد حرارته بعد ارتفاع ستة اميال في المنطقة الباردة ووراء ذلك ان كان في خط الاستواء . فان فوق هذا الجو طبقة من الهواء حارة . ووجدوا ايضاً ان ضغط الهواء يتغير مرتين في اليوم — في الساعة العاشرة قبل الظهر وفي الساعة العاشرة بعده . وهذا التغيير يكون واضحاً على الخصوص في المنطقة الحارة . ووجدوا لكلف الشمس تأثيراً كبيراً في المغنطيسية . وقد توصلوا بدرس اعالي الجو الى التنبوء عن احوال الطقس . ولا يمضي زمن حتى يرسموا الخرائط الدقيقة لمجاري الرياح العلوية يتساعدون بها على التنبوء عن الطقس الارضي قبل اوانه ببضعة اشهر

الجرائد والمجلات في القطر المصري

نقلا عن تقرير مصلحة البريد سنة ١٩٠٨

| مبحث الجريدة او المجلة | لغة الجريدة عربية | شرقية غير عربية | افرنجية | المجموع |
|---|---|---|---|---|
| | عدد | عدد | عدد | عدد |
| جرائد سياسية وتجارية | ٣٨ | ٢ | ٤٢ | ٨٢ |
| « هزلية | ٣ | ٠٠ | ١ | ٤ |
| مجلات أدبية وعلمية وصناعية | ١٦ | ٠٠ | ٩ | ٢٥ |
| « دينية | ١٠ | ٠٠ | ٢ | ١٢ |
| « قضائية | ٣ | ٠٠ | ٠٠ | ٣ |
| « طبية | ٣ | ٠٠ | ٠٠ | ٣ |
| « نسائية | ٣ | ٠٠ | ١ | ٤ |
| « تاريخية | ٤ | ٠٠ | ٠٠ | ٤ |
| « ماسونية | ١ | ٠٠ | ٠٠ | ١ |
| اجمالي | ٨١ | ٢ | ٥٥ | ١٣٨ |

ومن هذه الجرائد ٨٤ تصدر في مصر و٤٦ بالاسكندرية و٢ في بور سعيد و ٥ في طنطا و١ في أسيوط

الرحلة الى القطب الجنوبي ✻ اخذ العلماء يهتمون باستكشاف القطب الجنوبي بعد اهتمامهم بالقطب الشمالي وقد كاد الرحالة شكلتون يصل الى القطب المذكور . وتألفت حملة جديدة بادارة بورشكر بفنك الرحالة النروجي وسيبدأ رحلته في آخر يونيو القادم . وقد تعهدت بالنفقات اللازمة لجنة الاكتشافات القطبية الدولية باكتتاب اشتركت فيه اكثر الجمعيات الجغرافية

السفر الى القطب الشمالي بالبالون ✻ عزم الموسيو وللمان على الرحلة الى القطب الشمالي راكباً المنطاد وقد بنى لذلك منطاداً سهل القياد مضبوط الصنع

اعظم تلسكوب ✻ صنعوا عدسية بلورية لمرصد ولسن في كاليفورنيا قطرها متران ونصف متر وهي اكبر عدسة صنعت الى اليوم ولكن ظهر بعد الفراغ من صنعها انها لا تفي بالغرض المطلوب منها وربما عمدوا الى اصطناع غيرها

الجامعة المصرية ودروسها

يسرنا ان لجنة الجامعة المصرية عدلت الخطة التي كانت قد وضعتها في العام الماضي مراعاة لحاجة البلاد فجعلت للعلوم الطبيعية حظاً بين العلوم التي قررت تدريسها وسترسل الى اوربا في هذا العام عشرة من الشبان المصريين لدرس العلوم الآتية وهي : الطبيعيات والكيمياء العضوية والنبات والجيولوجيا (علم طبقات الارض) والبكتريولوجيا والتشريح العمومي والمرضي وعلم طبائع الانسان . واضافت علوماً ادبية تاريخية غير التي قررتها من قبل وهي . علم مقارنة اللغات وعلم الاساليب التاريخية والاديبات الافرنسية . وادخلت تحسينات رأت الحاجة ماسة اليها وفي جملتها انها اقترحت على الكتاب تأليف كتاب في تاريخ آداب اللغة العربية اشترطت الفراغ من تأليفه في نوفمبر القادم وجعلت للمؤلف الذي يحوز الافضلية جائزة مقدارها ١٥٠ جنيهاً والذي يليه ٥٠ جنيهاً . ثم رأت هذه المدة لا تكفي للقيام بهذا المشروع والجائزة قليلة فجعلت المدة سنتين والجائزة ٢٠٠ جنيه للسابق الاول و١٠٠ للذي يليه — وهي تعديلات تبشر باقتراب هذا المشروع من الغرض المقصود ولكننا لم نفهم الحكمة من تقييد الكيمياء بالعضوية واغفال غير العضوية مع انها الاساس الذي تبنى عليه تلك ولا السبب في تدريس علم النبات دون علم الحيوان وكلاهما لازم

# مطبوعات جديدة

نقتصر في هذا الباب على ذكر ما يظهر حديثاً من الكتب او الجرائد او المجلات اعلاناً لظهورها ولا نتعرض لنقدها او تقريظها . واذا دعت الحال الى شيء من ذلك نشرناه في باب آخر

## ١ — كتب التاريخ

١ كتاب مرآة الايام في ملخص التاريخ العام : هو مختصر تاريخي في مجلدين صفحاتهما نحو ٩٠٠ صفحة تأليف خليل افندي مطران الكاتب الشاعر المشهور . جاء في الجزء الأول منه على تاريخ امم الشرق القديم في الهند والصين ومصر وبابل وفينيقية وفارس وجزيرة العرب وبلاد اليونان والرومان وتاريخ الاجيال الوسطى في اوربا وتاريخ الاسلام من الخلفاء الراشدين فالامويين فالعباسيين فالامويين في الاندلس وسائر الدول العربية الاسلامية . ثم الدول التركية وخصوصاً العثمانية وفي الجزء الثاني تاريخ العهد الاقطاعي في فرانسا وتاريخها وتاريخ المانيا والحروب الصليبية ومختصر تواريخ دول اوربا واميركا وغيرها واشهر وقائع التاريخ الحديث واهم ما تخلل ذلك من المعاهدات وغير ذلك . وهو يطلب من مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز بمصر وثمن النسخة ٣٠ قرشاً

٢ معجم الادباء لياقوت الرومي : صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس لمؤلفه ياقوت الرومي وقد سبق وذكرنا صدور الجزء الاول بعناية صديقنا الاستاذ مرجليوث مضبوطاً مصححاً . ولا يزال البحث جارياً عن بقية اجزاء هذا الكتاب وهي كثيرة واكثرها مفقود فنرجو ممن يطلع على هذا من قراء العربية في اطراف الارض اذا كان له علم بوجود نسخ او اجزاء من هذا الكتاب ان يخبرنا بمكان وجودها لمخابرة اصحاب الشأن . وفي ذلك خدمة كبيرة لآداب اللغة العربية . وخوفاً من وقوع الالتباس باسم الكتاب نقول ان اسمه الاصلي « ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء او طبقات الادباء لياقوت الرومي » فالكتاب الذي عليه احد هذه الاسماء وكان موضوعه تراجم المشاهير مطولة كان هو المطلوب فليخابرنا بشأنه

٣ تجارب الامم وتعاقب الهمم : اهدتنا لجنة تذكار جيب الجزء الاول من هذا الكتاب وهو تاريخ مطول لابن مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ وهو يمتاز عما كتبه معاصروه انه لم يجعل همه جمع الحوادث بلا تدبر او نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق المستشرقون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عني الاستاذ

كايتاني المستشرق الايطالي المشهور في البحث عنها . فكلف سنة ١٩٠٦ الدكتور هوروفيتس للبحث عن ذلك في مكاتب الاستانة وفي جامع ايا صوفيا فعثر على نسخة منها هي النسخة الوحيدة الكاملة فاستنسخها بالفوتوغراف . وهي تشتمل على تاريخ الاسلام من اوله الى سنة ٣٦٩ هـ مقسوماً بين الاجزاء الستة . وعنيت لجنة تذكار جيب الشهيرة في نشرها مطبوعة على الاصل اي بان يصور الاصل الخطي كما هو و يطبع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصورة في ٦٠٠ صفحة غير الفهارس والمقدمة . وينتهي الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ هـ وستظهر سائر الاجزاء بالتدريج . فنثني على الاستاذ كايتاني وعلى لجنة جيب لاظهار هذا الاثر الجليل في عالم المطبوعات

٤ محاضرات الاستاذ جويدي : وهي محاضرات في ادبيات الجغرافيا والتاريخ واللغة عند العرب باعتبار علاقتها باوربا وخصوصاً ايطاليا وهي الاربعون محاضرة التي القاها صديقنا الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي في الجامعة المصرية وقد طبعت على حدة بعد نشرها في مجلة الجامعة المصرية وهي تطلب من مكتبة الهلال ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

٥ امة الملايو : هو مبحث علمي كامل في امة شرقية اسلامية في جزائر الهند الشرقية مزين بخريطة ورسوم تأليف صالح افندي جودت الموظف في نظارة الحقانية وهو بحث جديد في اللغة العربية ثمن النسخة ٨ غروش والبريد غرش

ديوان اسعد رستم : يباع هذا الديوان بمكتبة الهلال وثمن النسخة ٢٠ غرشاً والبريد ثلاثة غروش

٢ — الجرائد

١ شمس الحقيقة : هي جريدة سياسية تصدر في مكة مرة في الاسبوع لصاحبها محمد افندي توفيق مكي ورئيس تحريرها عبدالله افندي قاسم بدل اشتراكها ١٢ فرنكاً في الخارج

٢ دليل بيروت : مجموعة احصائية ادبية فكاهية المخابرة بشأنها مع امين افندي الخوري صاحب مطبعة الآداب بدل اشتراكها ريال مجيدي في بيروت وريالان في الخارج

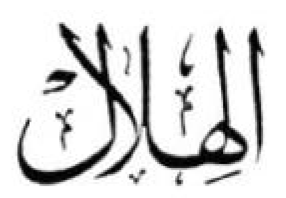
٣ لبنان الرسمية : هي جريدة متصرفية لبنان تصدر في بيت الدين مرة بالاسبوع بدل اشتراكها مجيديان بلبنان يضاف اليها ريال للبريد في الخارج

٤ اللواء المصور : هي جريدة سياسية انتقادية مصورة تصدر في مصر مرة في الاسبوع لصاحبها قاسم حسن شاكر الروسي بدل اشتراكها ١٠٠ غرش بمصر و ١٢٠ بالخارج



# العدد التاسع

أول يونيه سنة ١٩٠٦ م




الجزء التاسع من السنة السابعة عشرة

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٩ و ١٣ جمادى الاولى اول سنة ١٣٢٧

# أشهر الحوادث وأعظم الرجال



عبد الحميد الثاني في اوائل شبابه
قبل توليه الملك

# عبد الحميد الثاني

ولد سنة ١٨٤٢ وتولى سنة ١٨٧٦ وخلع سنة ١٩٠٩

خلع عبد الحميد بالامس عن العرش العثماني بعد ان تولاه بضعاً وثلاثين سنة حدث فيها من الغرائب ما لم يسبق له مثيل في التاريخ · وقد تضاربت الآراء واختلفت الاقوال في هذا السلطان وفي اعماله ومواهبه وحسناته وسيئاته فرأينا ان نترجمه نقلاً عن اوثق المصادر فننصفه وننصف التاريخ على ما يبلغ اليه الامكان · لان ترجمة هذا الرجل محاط بالشكوك لكثرة ما دخل فيها من الاكاذيب من تملق المتزلفين او انتقام الغاضبين بين معدم حسناته او مكبر سيئاته · وسنبذل الجهد في انصافه ونقسم الكلام في ذلك الى (١) تاريخه في نشأته الاولى (٢) كيف تولى العرش (٣) ما جرى في اثناء حكمه (٤) مناقبه واخلاقه

## ١ – نشأته الاولى

هو الرابع والثلاثون من سلاطين آل عثمان ابن السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود الثاني المصلح الكبير · ولد في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٤٢ من سرية ارمنية الاصل · ولا غرابة فان اكثر ابناء السلاطين العثمانيين — مثل اكثر ابناء الخلفاء والسلاطين في ابان التمدن الاسلامي — من ابناء السراري وفيهن الشركسية والرومية والالبانية واليونانية وغيرها لانهم لا يرون للمرأة دخلاً كبيراً في حال الانساب وانما يعدون العصبية من جهة الاب فقط · مع ان للوالدة تاثيراً كبيراً في اخلاق الابناء ومواهبهم بل ربما اكتسب الولد من امه اكثر مما يكتسب من ابيه ولا سيما من حيث الاخلاق والاميال · وجرى الاعيان ووجوه الدولة على خطة ملوكهم فاتخذوا السراري على اختلاف العناصر والاجناس واستولدوهن وانخرط في الاتراك كثيرون من افراد الاجناس الاخرى بتوالي الهجرة او الانتقال للفتح او غيره فنشأ بذلك اجيال من الاتراك تختلف عن اجيالهم الاولى في امزجتهم واخلاقهم · فبعد ان كانت مزية الاتراك محصورة في الشجاعة والحرب وركوب الخيل والفروسية ورمي النشاب مع قلة العناية بالعلوم ولا سيما الفلسفة والعلم الطبيعي — اذ قل اشتغل بها احد منهم في ابان التمدن الاسلامي · اصبحوا في اجيالهم الاخيرة وقد نبغ منهم الفلاسفة والعلماء والشعراء واهل الصحافة والادب — فاتراك هذه الايام يختلفون عن

اجدادهم الاولين كما يختلف حرب هذه الايام عن حرب صدر الاسلام

توفيت والدة عبد الحميد بعلة الصدر سنة ١٨٤٩ وهي في السادسة والعشرين من عمرها . وتوفي والده بتلك العلة سنة ١٨٦١ وهو في التاسعة والثلاثين من عمره وكان البرنس عبد الحميد يومئذ في التاسعة عشرة من عمره . ورغم ما اورثه والداه من جراثيم هذا الداء فقد ادرك الشيخوخة ولم يظهر فيه عرض من اعراضه

لما توفيت والدته وهو في الثامنة من عمره عهد بحضانته الى عجوز من نساء القصر السلطاني . ثم توفيت هذه بعد قليل فاحيل امر العناية به الى رابعة نساء السلطان عبد المجيد واسمها بريستو خانم ولم يكن لها اولاد فتبنته واخذت في تربيته

فلما افضى العرش العثماني الى السلطان عبد العزيز سنة ١٨٦١ اراد هذا السلطان ان يتزوج بريستو خانم لجمالها فابت رغبة في التفرغ لتربية عبد الحميد واخته جميلة سلطانة . وقد عاشت بريستو خانم الى آخر دولة عبد الحميد وكانت تعرف باسم والدة سلطانة وانقطعت عن العالم من اجله . ويقال انه قلما كان يعاملها بما تستحقه من الاكرام وعرفان الجميل بل نسب اليها تهماً بلغت الى السلطان عبد العزيز فغضبت وطلبت الانفصال عن عبد الحميد واصرت ان لا تقيم معه تحت سقف واحد . ثم توسط بعضهم فاصلحوا ما بينهما فعادت الى السكنى معه مكرهة وبقيت الى اواخر ايامها تهيء نفسها للخروج من جواره

قضى عبد الحميد ايام صباه كما كان سائر امراء آل عثمان يقضونها بين الخصيان والعبيد والجواري وكان يمتاز عن سائر اخوته باخلاق وعادات خاصة به منها الميل الى الانفراد قال المستشرق فامبري الشهير وقد شاهد البرنس عبد الحميد في صباه «انه ممتقع اللون سكوت سوداوي المزاج كثير الشكوك ميال الى الحيلة والدهاء . وقلما كان يشترك في الاحاديث التي كانت تدور بين اخوته بل ربما نظر اليهم وهم يتمازحون ويتضاحكون فلا يزيده ذلك الا انقباضاً» وذكروا ان اخويه رشاداً وكمال الدين تعبا مرة من كثرة الركض في الحديقة مع اختهما سنية سلطانة فدخلوا الصالون وتوسدوا المقاعد وناموا من التعب فلما تحقق عبد الحميد استغراقهم في النوم اقترب منهم ونزع ما كان عليهم من الحلى والجواهر وخبأها لنفسه

وكان ينفر من العلم وسائر الاعمال العقلية فكان مؤدبه كمال باشا واساتذته وفي جملتهم عمر افندي وشريف افندي وادهم باشا وفائق باشا والمسيو غاردت وغيرهم يشكون من كسله بخلاف اخيه مراد فقد كان مجتهداً محباً للعلم والادب . فشب عبد الحميد ولم يكتسب من العلم ما يستحق الذكر ولم يتقن لغة حق الاتقان حتى لغته الاصلية ولم يكن والده عبد المجيد

يذكره الأ بالانتقاد وكثيرًا ما شكا بأسهُ من اصلاحه الى بعض الخاصة . وكان يسوؤه منهُ ميله الى اهل الدسائس وكان اخوته لا يحبونه الأ مرادًا فلم يكن يكرهه بل كان يدافع عنه وقد اندفع الى ذلك بطيب عنصره لانه كان رحمه الله اقرب الإخوة الى اخلاق والدم ولم يكن عبد الحميد يزداد بذلك الأ ميلاً الى الانفراد ولا يزداد لونه الا امتقاعاً وتكاثرت ظنونه وشكوكه

على انهُ وفق الى شخص احبه وعطف عليه نعني والدة السلطان عبد العزيز وتسمى بورتوالي قادين وتعرف بوالدة سلطانة . وهي عجوز قوية الخلق شديدة التعصب على غير المسلمين كثيرة التمسك بالخرافات مع الميل الى الدسائس فاحبت عبد الحميد واحبها ودخل بعد تلك الصحبة في دور جديد من الحياة فكان يقضي الليالي ساهرًا عندها وحولها السحرة والمنجمون يضربون المندل و يستطلعون الخفايا . وكان في جملة ما تنبأوا به لعبد الحميد انه سيحكم حكماً طويلاً ارادوا التزلف اليه بذلك لكن نبوّتهم صحت فازداد تمسكاً باصحاب التنجيم

ويحكي من هذا القبيل ان نجيب باشا احد رجال عبد العزيز نفي الى قبرص فلقي هناك شيخاً اسمهُ عبد الرحمن اصله من صيدا وتعارفا فتنبأ الشيخ لنجيب باشا ان الفرج يأتيه قريباً وانهُ يعود الى الاستانة معززًا ولم يمض قليل حتى صحت نبوءة الرجل فاتى اليخت (عز الدين) يحمل الباشا المشار اليه معززًا مكرماً الى الاستانة . فلما وصل اليها اخبر البرنس عبد الحميد بمهارة الشيخ عبد الرحمن في التنجيم فبعث اليه ان يأتي الاستانة يقيم فيها بقربه فجاء الرجل وعليه مسحة التقوى فضلاً عن التنجيم فقال له يوماً « ان شاء الله ستكون سلطاناً عن قريب » فدفع قوله بان عمه عبد العزيز لا يزال حاكماً ويليه في حق الملك اخوه السلطان مراد فاصرَّ الشيخ ان نبوءته ستصح من كل بد . ولم تمض عليها سنتان حتى صحت وكان الشيخ قد عاد الى بلده فبعث اليه فقدمه واكرمه وكان يستشيره في شؤونه . ويقال انهُ اوعز اليه ان يجاهد في نشر الاسلام بالسيف فبعثهُ يبشر بذلك في الحرمين وهو الذي حمل الى عثمان نوري باشا والي الحجاز الامر السري بقتل مدحت باشا وداماد محمود باشا

فلما احبته والدة سلطانة (والدة عبد العزيز) صارت تسعى في سبيل مصلحته لدى ابنها بتقبيح الشهرة التي احرزها اخوه مراد ولي العهد وان عبد الحميد افضل منهُ لسياسة الملك . وكانت تغرس هذا الاعتقاد في ذهن عبد الحميد فاعتقد ذلك في نفسه واصبح ينظر الى المحيطين به اذا لم يقولوا قولها نظره الى اعداء يسعون في احباط مساعيه فصار يراقب

حركاتهم بالتجسس فيتقرب اليه الجواسيس بنقل الاخبار على ما يرضيه أو يشفي ما في نفسه فاصبح منزله ملجأ لمولاه . واما مراد فانما كان همهُ النظر في السياسة الجارية ومجالسة رجال الادارة متى تأتى له ذلك

وكان السلطان عبد العزيز لا ترتاح نفسهُ الى الشهرة التي اكتسبها مراد ابن اخيه فكان يترصد حركاته ويضيق عليه وربما استخدم عبد الحميد لهذه الغاية . ذكروا ان عاكف باشا ناظر العدلية زار مراداً ذات يوم وحادثهُ واعجب بذكائه وادبه . وهم في الحديث دخل الحاجب يعلن ولي العهد ان اخاه البرنس عبد الحميد جاء . فتقدم مراد الى ضيفه ان يختبئ في مكان خوفاً من ان يتخذ وجوده هنا حجة عليه . وما زال في المختبأ حتى انقضت زيارة البرنس عبد الحميد

ولما سافر عبد العزيز الى اوربا ونزل باريس سنة ١٨٦٧ كان معهُ ابنا اخيه مراد وعبد الحميد وكان مراد يعرف الفرنساوية جيداً فيحادث بها من يلقاه من رجال الدولة ولم يكن عبد العزيز يستطيع الحادثة الا بواسطة الترجمان . أما عبد الحميد فكان يومئذ يستطيع التكلم بالفرنساوية ولكنه كان يظهر انه يجهلها بالكلية ليزيد قلق عمه السلطان من احاديث ولي عهده بها . وقد شهد رجال السياسة في تلك الرحلة بالفرق العظيم بين ذينك الاميرين

ورغم ما كان يظهره عبد الحميد من التقرب الى عمه فان عمه لم يخلص النية في محبته لانه كان يشعر ان ابن اخيه هذا لا يحمل ذلك حباً به فكانا يتداجيان . وكان عبد العزيز ينتقد في عبد الحميد فرط تذلله في التماس ما يحتاج اليه . ذكروا انه احتاج مرة الى نقود فلقي عمه في حديقة القصر فاخذ يتضرع اليه حتى كاد يجثو بين يديه فامر له بما طلب لكنهُ انتقد تصرفه على تلك الصورة

وكان شديد الحب للنقود منذ صباه كثير الاقتصاد في النفقة لا يستدين قط خلافاً لسائر البرنسات من الاسرة المالكة . يتولى حساباته بنفسه ويراجع حسابات اراضيه وعقاراته بالتدقيق حتى اثمار حديقته كانت تباع في السوق ويقبض اثمانها . وكان يضارب في البورصة بحذر شديد وتعقل والغالب ان يربح لاتصاله بمصادر الاخبار الصحيحة . واشتهر بالبخل بين معارفه وكان اخوه مراد ينصح له ان يزيل هذه الشهرة عنه . ويقولون مع ذلك فان مراداً اعان مدير جريدة خيال على ترجمة رواية البخيل لموليير الى اللغة التركية وسماها « بنتي حميد » أي حميد البخيل . واصبحت هذه الجملة نعتاً عاماً في التركية لكل بخيل كما يقال في العربية « بخل اشعبي »

ولما علم عبد الحميد بعزم المترجم على تمثيل تلك الرواية اراد منعهُ فابى بحجة انهُ لا يجمد الحظ من قدر احد فسكت عبد الحميد وحقدها عليه كما حقدها على اخيه فلما تولى العرش انتقم منهما شر انتقام

وكان معتدلاً في شبابه خلافاً لما تعوده الامراء من الانغماس في الملذات ولا يذكرون من اسرافه في هذا السبيل الاحوادث نادرة وأما على الاجمال فقد كان متعففاً معتدلاً يليق ان يكون مثالاً لسائر الامراء

## ٣ — كيف تولى العرش

لما خلع عبد العزيز في ٣٠ مايو سنة ١٨٧٦ ونصب السلطان مراد فرح الناس فرحاً شديداً لاشتهار مراد منذ صباه بالعقل والاعتدال في افكاره وآرائه مع حبه العلم وتسامحه وسهولة اخلاقه كما كان والده عبد المجيد ولذلك سموه « مراد المصلح » وكان لتنصيبه وقع حسن عند دول اوربا الا روسيا لانها خسرت بخلع السلطان عبد العزيز نفوذاً كبيراً وعلمت ان دخول الدولة العثمانية في سلك الدول الدستورية في ظل سلطان عاقل يذهب بمنافعها وآمالها ولكنها مالبثت ان ذهب يأسها بانتقال الملك الى عبد الحميد

وقد ذكرنا في ترجمة مدحت باشا في الهلال الرابع من هذه السنة كيف خلع الاحرار عبد العزيز بفتوى شيخ الاسلام خير الله افندي وولوا مكانه السلطان مراداً وكيف سعى مدحت باشا وعوني باشا ورشدي باشا في هذا السبيل بتعقل وحزم لكن المقادير لم تساعدهم لان عوني لحظ من السلطان مراد في الليلة نفسها التي رافقه فيها من قصره انه مضطرب واصابته نوبة عصبية . وفي الاحتفال اثناء رجوعه الى سراي طولمه بغچه زادت فيه الاعراض العصبية وكان معه مدحت باشا فرأى من الحكمة ان لا يفارقه فمكث معه ثلاثة ايام واستشار الاطباء فاشاروا بعلاج وحمية ولم يكبروا العلة فاتفق في اثناء ذلك حادثتان ازعجتا السلطان وزادتا علته

الاولى موت عبد العزيز : وذلك ان هذا السلطان اقام بعد خلعه خمسة ايام . وفي صباح ٥ يونيه طلب من خادمه الخصوصي فخري بك مقراضاً ليقلم اظافره ويصلح لحيته . فتردد حيناً في اجابة طلبه ثم عرض الامر على والدة سلطانه فامرت ان يعطى المقراض الذي يطلبه . واتفق بعد حين ان بعض نساء الحاشية اشرفن من احدى النوافذ على المكان الذي كان عبد العزيز فيه فرأينه جالساً على كرسي وظهره محوّل ورأسه مدلى الى الامام

فاسرعن الى الباب فلم يستطعن فتحه وخفن سوءاً فانبأن والدته فامرت بخلع الباب فدخلوا فرأوا عبد العزيز ميتاً وقد نزف دمه من جرحين في ذراعيه ورأوا المقراض بجانبه الايسر كأنه استخدمه بيمناه لقطع اوعية اليد اليسرى ثم اراد استخدامه باليسرى لقطع اوعية اليد اليمنى فلم تسعفه قواه ان يتم العمل جيداً



عوني باشا

فاستقدموا الاطباء حالاً فاثبتوا انه ميت وخاف الوزراء العاقبة فامروا بلجنة من الاطباء تتولى فحص الجثة فاجتمع ١٧ من اشهر اطباء الاستانة فاقروا بالاجماع ان الموت انما كان بالانتحار ولا يمكن ان يكون بسواه وكتبوا بذلك شهادة مؤرخة في ٤ يونيو سنة ١٨٧٦ ثم دفنت الجثة في مقام السلطان محمود بعد غسلها . فلما بلغ السلطان مراداً خبر هذه الفاجعة اثرت على اعصابه تأثيراً كبيراً

ثم وقعت حادثة حسن الشركسي فانها عليه — وكان حسن هذا من ياوران عبد العزيز واراد عوني ابعاده فامره بالسفر الى بغداد ليلحق بجندها فابى واخذ يشيع اتهام عوني بقتل السلطان كما اتهم بخلعه فامر عوني بالقبض عليه وسجنه . فارسل حسن بعد يومين يقول انه مستعد لاطاعة اوامره بالسفر الى بغداد لكنه يستأذنه في البقاء بضعة ايام بالاستانة ليتاهب للرحيل فاذن له . ففي يوم ١٥ يونيو وهو اليوم المعين لسفره ذهب الى بيت عوني وطلب مقابلته بالحاح فقالوا انه سار الى منزل مدحت باشا للاجتماع بسائر الوزراء

فذهب الى اسطانبول ونزل في مطعم تناول فيه بعض الخمر ثم تحول الى منزل مدحت في طوخان طاش فوصله نحو الساعة العاشرة وقد اجتمع الوزراء وهم عشرة ومعهم شريف مكة وقد هموا بافتتاح الجلسة



حسن الشركسي

دخل حسن الدار كما يدخل صاحب المنزل الى منزله فسأله الحرس عما يريده فقال انه مسافر في الغد الى بغداد وعنده امور هامة يريد عرضها على السرعسكر عوني باشا قبل سفره فاجابه الحارس ان ذلك لا يتأتى الا بعد انفضاض الجلسة · فوقف حسن ريثما غافل الحرس ووثب الى السلم وتسلقه ليدخل الى قاعة الجلسة فمنعه خادم مدحت ونادى خادم عوني باشا ليشكي هذا الشركسي لرئيسه · فصعد الخادم لمقابلة عوني وتبعه حسن ليتحقق مجلس كل من الوزراء ولم ينتظر الاذن · فدخل وسلم سلاماً عسكرياً ثم اشار الى عوني ان لا ينتقل من مكانه واطلق عليه المسدس فاصاب صدره فتنافر الوزراء فراراً من القتل ولجأوا الى غرفة اخرى الا ناظر البحرية فانه حاول ان يقبض على ذراع حسن فافلت منه وجرحه جروحاً كثيرة في يديه ومنكبيه · وكان عوني لا يزال فيه رمق فنهض يطلب السلم فادركه حسن وطعنه طعنات عديدة وعاد الى القاعة وخاطب الصدر الاعظم وهو في الحجرة الاخرى قائلاً « اني احتاج الى قيصرلي سلمه الي فلا أوذيك بشيء » · فلم يجبه فلما يئس ولم يظهر له احد جمع ابسطة القاعة وكراسيها واوقد فيها النار فادركه رجل من رجال مدحت باشا اسمه احمد اغا وطعنه في قفاه طعنة ثمينة فاطلق عليه حسن المسدس

في عينه فاماته واطلق رصاصة أيضاً على ناظر الخارجية . فقضى حسن في هذه المعركة نصف ساعة اجرى فيها مذبحة وهو فرد وهم جماعة وعاش الى اليوم التالي واعترف انه انما جاء لينتقم من عوني باشا وانه يأسف لقتل رشيد وزير الخارجية فحكموا عليه بالاعدام فمات قبل تنفيذ الحكم



رشدي باشا

فلما بلغت هذه الواقعة الى السلطان مراد زاد اضطراب عقله وبعد ان كان الاطباء يرجون قرب شفائه رأوه بعيداً عنه فانقسم رجال الدولة بالنظر الى هذا الحال الى قسمين قسم يرى استبقاء السلطان مراد وانتظار شفائه وهم الصدر الاعظم رشدي باشا ومدحت واكثر زملائهما . والقسم الآخر اشاروا بخلعه وتولية من يخلفه وزعماء هذا الحزب داماد محمود جلال الدين باشا صهر السلطان ورديف باشا مشير فيلق الاستانة ومشيران آخران ممن يرغبون في الرجوع الى الحال القديم فقد كانوا اصحاب النفوذ فيه والدستور لا يوافق مطامعهم ولا هم يفهمون معنى الدولة والامة . وكان هذا الداماد مجرداً من العلم كثير الحب لذاته يكره الاصلاح لانه يرفع اناساً كانوا دونه وانما رفعته عنهم المصاهرة . فهؤلاء وغيرهم سعوا جهدهم في خلع مراد لعلة المرض وقد ساعدهم الشرع على ذلك وتداخل السفراء وألحوا

في تسوية الحالة الحاضرة لانهم لا يامنون على مصالح دولهم والدولة في هذا الاضطراب واشاروا بخلع مراد وتولية عبد الحميد . وسعى الداماد في اثارة خواطر اهل الاستانة لتأييد هذا الطلب وان الحاكم اليوم على الامة ليس السلطان خليفة الرسول وانما هو مدحت باشا ورشدي باشا . فلم يبق بدٌّ من خلع مراد . ولكن مدحت باشا ورفاقه رأوا ان يأخذوا المواثيق على السلطان الجديد قبل مبايعته فقرروا ان يذهب مدحت بنفسه الى موصلو اوغلو حيث يقيم البرنس عبد الحميد افندي ويستطلعه رأيه في الاصلاح الذي اخذوا في ادخاله من حيث الدستور وغيره حتى اذا خالفهم في ذلك عرضوه على اخيه رشاد افندي . وقد قام باستطلاع رأي رشاد في هذا الشان امرأ: مدحت بطريقة سرية

اما الشروط التي عرضوها على البرنس عبد الحميد اذا تولى السلطنة فهي :

(١) ان يعلن الدستور حالاً

(٢) ان لا يستشير في اعمال الدولة الا مشيريه المسؤولين

(٣) ان يعين رضا بك وكمال بك سكرتيرين خصوصيين للسلطان مع سعدالله بك رئيس السكرتيرية (الباشكاتب)

فاجاب مطالبهم بكل رضا ووعد باكثر منها وان يوسع النظام الدستوري الى اكثر مما يطلبون . وقال انه يتخلى عن العرش حالما يشفى اخوه مراد من المرض . فعاد مدحت الى اسطانبول وبلغ الوزراء نتيجة زيارته فاقروا على خلع مراد وتولية عبد الحميد ولم يكن لهم بدٌّ من فتوى الخلع فاستصدروها من خير الله افندي شيخ الاسلام فخلعوا مراداً وولوا السلطان عبد الحميد الحالي في اول سبتمبر سنة ١٨٧٦

واشتغل الاحرار بعد توليته في امر الدستور ونشره وهو يقاومهم ويطاولهم وظهر اول تبدل في مواعيده بالفرمان الذي وعد به ان يعلن الدستور وقد نشرناه في الهلال الاول من هذه السنة مع بيان الجمل التي حذفها بين اقواس . وقامت الحرب بينه وبين الاحرار من ذلك الحين فتمكن بدهائه من نفي مدحت ثم حاكمه بتهمة قتل عبد العزيز ونفاه الى الطائف واوعز الى والي الحجاز بقتله كما فصلنا ذلك في ترجمة مدحت هذه السنة . واصبح خائفاً منهم فاستخدم الجواسيس وقيد المطبوعات في الدفاع عن حياته . وانشأ الاحرار الجمعيات السرية لمقاومة الاستبداد وبث نور الحرية حتى تمكنوا من التغلب عليه بعد ٣٣ عاماً فاعلن الدستور وارادوا استبقاء السلطان على عرشه فاكرموه وصفحوا عما مضى فاظهر مصادقتهم وظل يعمل سرًّا على قلب حكومتهم والتنكيل بها حتى وثب بعض مريديه من اهل الاستبداد



السلطان عبد الحميد سنة توليه الملك

بمجلس المبعوثان في ١٣ افريل الماضي وكادوا يفتكون به لو لم يتداركه الجند بسلانيك فاتى بقيادة شوكت باشا وفتح الاستانة وخلعوا عبد الحميد ونفوه الى سلانيك وولوا اخاه رشاد افندي مكانه وسمي محمد الخامس

وسنأتي على اعمال السلطان عبد الحميد واخلاقه في فرصة اخرى

## اقوال شوقي وحافظ

### في خلع عبد الحميد وتنصيب محمد الخامس

### ١ – عبرة الدهر

سل « يلدزاً » ذات القصورِ　　هل جاءها نبأ البدورِ

لو تستطيع اجابةً　　لبَّتك بالدمع الغزيرِ

اخنى عليها ما انا　　خ على الخورنق والسديرِ

ودها « الجزيرة » بعد اسـ　　ماعيل والملك الكبيرِ

ذهب الجميع فلا القصو ... ر ترى ولا اهل القصورِ
فلك يدورُ سعودهُ ... ونحوسهُ بيد المديرِ
اين الاوانس في ذرا ... ها من ملائكة وحورِ
المترعات من النعيـ ... م الراويات من السرورِ
العاثرات من الدلا ... ل الناهضات من الغرورِ
الآمرات على الولا ... ة الناهيات على «الصدور»
الناعمات الطيبا ... ت العرف أمثال الزهور
الذاهلات عن الزما ... ن بنشوة العيش النضيرِ
المشرفات وما انتقلـ ... ن على المالك والبحور
من كل «بلقيس» على ... كرسيّ عزتها الوثيرِ
امضي نفوذاً من «زبيـ ... دة» في الامارة والاميرِ
بين الزخارف والمشا ... رف والزخارف والحريرِ
والروض في حجم الدنا ... والبحر في حجم الغديرِ
والدرّ مؤتلق السنا ... والمسك فياح العبيرِ
في مسكن فوق السما ... ك وفوق غارات المغيرِ
بين المعاقل والقنا ... والخيل والجم الغفيرِ
سموه «يلدز» والافو ... ل نهاية «النجم» المنيرِ

***

دارت عليهنّ الدوا ... ئر في المخادع والخدورِ
أمسين في رق القيو ... ل وبتنَ في اسر العشيرِ
ما ينتهين من الصلا ... ة ضراعة ومن النذورِ
يطلبنَ نصرة ربهـ ... نّ وربهن بلا نصيرِ
صبغ السواد حبيرهـ ... ن وكان من يقق الحبورِ
أنا ان عجزتُ فان في ... بردي اشعر من «جرير»
خطب «الامام» على النظيـ ... م يعزُّ شرحاً والنثيرِ
عظة الملوك وعبرة الـ ... أيام في الزمن الاخيرِ
شيخ الملوك وان تضعـ ... ضع في الفؤاد وفي الضميرِ

نستغفر المولى له والله يعفو عن كثير
ونراه عند مصابه اولى بياك او عذير
وتصونه ونجله بين الشماتة والنكير
«عبد الحميد» حساب مثـ لك في يد الملك الغفور
سدت «الثلاثين» الطوا ل ولسن بالحكم القصير
تنهى وتأمر ما بدا لك في الكبير وفي الصغير
لا تستشير وفي الحمى عدد الكواكب من «مشير»
كم سبحوا لك في الروا ح والملوك لدى البكور
ورأيتهم لك سجداً كسجود «موسى» في الحضور
خفضوا الرؤوس ووتروا بالذل اقواس الظهور
ماذا دهاك من الامو ر وكنت داهية الامور
ماكنت ان حدثت وجلـ ت بالجزوع ولا الحصور
اين الروية والاناة وحكمة الشيخ الخبير
ان القضاء اذا رمى دك القواعد من «ثبير»
دخلوا السرير عليـ ك يحتكمون في رب السرير
أعظم بهم من آمريـ ن وبالخليفة من اسير
أسد هصور انشب الا ظفار في اسد هصور
قالوا اعتزل ـ قلت اعتزلـ ت ـ الحكم لله القدير
صبروا لدولتك السنيـ ن وما صبرت سوى شهور
أوذيت من دستورهم وحننت للحكم العسير
وغضبت «كالمنصور» او «هارون» في خالي العصور
ضنوا بضائع حقهم وضننت بالدنيا الغرور
هلا احتفظت به احتفا ظ مرحب فرح قرير
هو حلية الملك الرشيـ ـد وعصمة الملك الغرير
وبه يبارك في المما لك والملوك على الدهور

***

يا ايها الجيش الذي لا بالدعي ولا الفخور

يخـفق فان ربع الحمى — لفت البرية بالظهور
كالليث يسرف في القتا — ل وليس يسرف في الزئير
الخاطب العلياء بال — ارواح غالية المهور
عند المهيمن ما جرى — في الحق من دمك الطهور
يتلو الزمان صحيفة — غراء مذهبة السطور
في مدح « انورك » الجري — ء وفي « نيازيك » الجسور
« يا شوكت » الاسلام بل — يا فاتح البلد العسير
وابن الاكارم من بـني — « عمر » الكريم على « البشير »
القابضين على الصليـ — ل كجدهم وعلى الصرير
هل كان جدك في ردا — ئك يوم زحفك والكرور
فقنصت صياد الاسو — د وصدت قناص النسور
واخذت « بلدز » عنوةً — وملكت عنقاء الثغور

***

المؤمنون « بمصر » يهـ — ـدون السلام الى الامير
ويبايعونك يا « محمـ — ـد » في الضمائر والصدور
قد امّلوا لهلالهم — حفظ الاهلة في المسير
فابلغ به اوج الكما — ل بقوة الله النصير
انت الكبير يقلدو — نك سيف « عثمان » الكبير
شيخ الغزاة الفاتحـ — ـين حسامه شيخ الذكور
يمضي ويحمد بالمدى — فكأنه سيف « النذير »
بشرى الامام محمد — بخلافة الله القدير
بشرى الخلافة بالاما — م العادل النزه الجدير
الباعث (الدستور) في الا — سلام من حفر القبور
اودى « معاوية » به — وبعثته قبل النشور
فعلى الخلافة منكما — نور تلألأ فوق نور

احمد شوقي

## ٢ ـ عبد الحميد

لا رعى الله عهدها من جدود — كيف أمسيت يا ابن عبد المجيد
مشبع الحوت من لحوم البرايا — ومجيع الجنود تحت البنود
كنتُ أبكي بالامس منك فاليو — مَ أبكي عليك عبد الحميد
فرح المسلمون قبل النصارى — فيك فرح الدروز قبل اليهود
شمتوا كلهم وليس من الهمـ — ـة ان يشمت الورى في طريد
انت عبد الحميد والتاج معقو — د وعبد الحميد رهن القيود
خالد أنت رغم انف الليالي — في كبار الرجال أهل الخلود
لك في الدهر والكمال معالـ — ـصفحات ما بين بيض وسود
حاولوا طمس ما صنعت وودوا — لو يطيقون طمس خط الحديد
ذاك عبد الحميد ذخرك عند الله — باق ان ضاع عند العبيد
اكرموه وراقبوا الله في الشيخ — ولا ترهقوه بالتهديد
لا تخافوا اذاه فالشيخ هاو — ليس فيه بقية للصعود
ولي الامر ثلث قرن ينادي — باسمه كل مسلم في الوجود
كلما قامت الصلاة دعا الدا — عي لعبد الحميد بالتأييد
فاسم هذا الامير كان مقرو — نًا بذكر الرسول والتوحيد
بت اخشى عليكمو ان يقولوا — ان الأثم من كامنات الحقود
كان عبد الحميد بالامس فردًا — فغدا اليوم الف عبد الحميد
يا اسيرًا في منت هيلين رحّب — باسير في سالنيك جديد
قل له كيف زال ملكك لم يمنعك — اعداد عدة أو عديد
لم تصنك الجنود تفديك بالار — واح والمال يا غرام الجنود
قل له كيف كنت كيف ملكت الا — أرض كيف انفردت بالتحميد
فتلات العروش عرشًا فعرشًا — وصعدت الصعيد بعد الصعيد
كلما نلت غاية لم تنلها — همة الدهر قلتَ هل من مزيد
ضاقت الارض عن مداك فارسلت — بطرفٍ الى السماء عنيد
قل له جل من له الملك لاملك — لغير المهيمن المعبود

انت مهما شقيت ارفه حالاً من اسير الجزيرة المكدود
واسير الاقفاص قد كان اشقى لو سالت الاسفار عن با يزيد
كان عبد الحميد في الغزو اشقى منه في الاسر والبلاء الشديد
كان لا يعرف القرار بليل لا ولا يستلذ طعم الهجود
حذرٌ يرهب الظلام ويخشى خطرة الريح أو بكاء الوليد
نفق تحت طابق الارض اخفى في تدجيه من ضمير الكنود
يعجز الوهم عن تلمس ذاك الا باب باب الخليفة المنكود
اصحيح ما قيل عنك وحق ما سمعنا عن الرواة الشهود
ان عبد الحميد قد هدم الشرع واربى على فعال الوليد
ان بريئاً وان اثيماً ستجزى يوم تجزى امام رب شهيد
اصحيح بكيت لما اتى الوفد ونابتك رعشة الرعديد
ونسيت الاباء والجد والسؤ دد والعز يا كريم الجدود
ما عهدنا الملوك تبكي ولكن علها نزوة الفؤاد الجليد
علها دمعة الوداع لذاك الملك او ذكرة لتلك العهود
غسل الدمع عنك حوبة ماضيك ووقاك شر يوم الوعيد
شفع الدمع فيك عند البرايا ليس ذاك الشفيع بالمردود
دمعك اليوم مثل امرك بالامس مطاع في سيد ومسود
كان عبد العزيز اجمل امراً منك في يوم خلعه المشهود
خاف ماثور قوله فتعالى عن صغار ومات موت الاسود
ضم مقراضه اليه ونادى دون ذل الحياة قطع الوريد
حي عهد الرشاد يا شرق وابلغ ما تمنيت من زمان بعيد
قد تولى محمد الخامس الملك فأعظم بتاجه المعقود
وتحلى في مهرجان تحلى سيف عثمان فيه بالتقليد
وقف الدهر خاشعاً اذ رأى السيفين سيف في قبضة العزيز المجيد
طأطئي للجلال يا امم الارض سجوداً هذا مقام السجود
علم الله ان عهد رشاد خير فأل برد عهد الرشيد

حافظ ابراهيم



السلطان محمد الخامس

آخر رسم له قبل تسنمه العرش العثماني

# سقوط العظماء بالخلع او الفشل

## ومصيرهم بعد سقوطهم

اذا تعود احدنا ان يقيم في بيت أجرته الف غرش وان يلبس ثوباً بخمسمئة غرش ثم أصيب بعسر مالي عجز معه عن هذه النفقة فاضطر الى الاقتناع بنصفها – وما هي الا ان يقيم في منزل اجرته خمسمئة غرش ويلبس ثوباً بثلاثمئة غرش كما يفعل كثيرون من اصدقائه في مثل هذه الحال وقد يرى آخرين اشد منه ضيقاً حتى عجزوا عن القوت الضروري — ومع ذلك فهو يعد نفسه تعساً شقياً وقد يتوارى عن معارفه تخجلاً . فكيف بملك او سلطان او قائد تأتمر باسمه الالوف والملايين يهابه الصديق ويخافه العدو وتحوم حوله القلوب وتشخص الابصار اليه لان الموت والحياة بين شفتيه . اذا ركب مشى الناس في ركابه او نزل وقفوا ببابه وقد بنى القصور له ولابنائه ولسائر اهله وحاشيته واعوانه حتى لافراسه وفهوده وكلابه — فالرجل الذي تبلغ منزلته الى هذا الحد ثم ينكبه الزمان بالخلع اذا كان ملكاً او بالفشل اذا كان قائداً حتى يحبس في قفص او يقيد بالسلاسل او يزج في السجن وقد فارقه الاهل والاعوان وتخلى عنه الاصدقاء والخلان – فكيف يكون شعوره وما الذي يخطر له اذا نفدت حيلته وذهب امله ؟

تلك مسألة تخطر للاكثرين ويحملهم الاعتبار بذلك السقوط الى استطلاع ما يدور في خلد اولئك الساقطين وكيف يكون احساسهم وكيف يكون نظرهم في الدنيا ومصيرها وهل تلذ لهم الحياة فيها ؟ والغالب في اعتقادنا ان شأن كل واحد يختلف عن شؤون الآخرين باختلاف مزاجه عن امزجتهم وطبعه عن طباعهم . فاذا كان كبير النفس عظيم الخلق فضل الموت على الفشل في الحرب او الخلع عن الملك . ولذلك رايت كبار القواد اذا حمي وطيس الوغى وخافوا الفشل ثبتوا في ساحة الحرب حتى يفوزوا او يموتوا . لان النفس التي تبلغ مرتبة القيادة عن عظمة واستحقاق تكون قد خلقت للفخر والحماسة لا للطعام والشراب واللباس من حاجيات الحيوان . فاذا يئست من مطمعها لم تعد تجد للحياة معنى ولا للبقاء لذة . فالقائد الكبير النفس اذا خاف فشل جنده وتحقق انه اذا فرّ نجا بنفسه فهو لا يفر ولا يزال يحارب حتى يموت او يفوز والشواهد على ذلك كثيرة في التاريخ

واعتبر ذلك ايضاً في الملوك اذا ارغموا على التنازل عن الملك او الفرار من وجه العدو فاذا كانوا قد نالوا الملك عن اهلية فيهم بالفتح او الدهاء وكانت نفوسهم كبيرة شق عليهم

التنازل وابوا الا البقاء حتى يقتلوا وقد ينتحرون فرارًا من الذل . واذا كانوا قد تولوا العرش لمجرد حق الارث ولم تكن فيهم الكفاءة اللازمة للسيادة وانما حكموا بناموس الاستمرار فهؤلاء قد يهانون او يساقون الى السجون وهم يخافون على حياتهم فيموتون اذلاء ضعفاء . انظر الى قمبيز ( سنة ٥٢٢ ق م ) بن قورش الفارسي العظيم فقد كان فاتحاً كبيرًا ولكنه نكب بضياع ٥٠٠٠٠ من المقاتلة في صحراء ليبيا بريح السموم ثم بلغه ان بعضهم في بلاده قام يطلب الملك لنفسه والتف حوله رجال اشداء وكاد يغلبه على امره فلما يئس من الفوز انتحر



هنيبال

وهنيبال ( ١٣٨ ق م ) القائد القرطاجي الشهير حارب الرومانيين وكاد يظفر بعاصمتهم ثم دارت عليه الدوائر في وقائع مختلفة حتى فشل واضطر للفرار ليستعين ببعض اعداء الرومان عليهم فلما يئس من الفوز كره الحياة فانتحر . وقس على ذلك ما فعله بروتس وكايوس وانطونيوس وغيرهم من رجال الدولة الرومانية وكليوبطرا آخرة البطالسة ومتروديت صاحب بنطس وغيرهم

وخلع الملوك حكمه حكم الفشل في الحرب من حيث ثقله على النفوس الكبيرة لكنه لا يحدث غالبًا الا في اثناء ضعف الدولة على عهد الملوك الضعفاء لان الامة او رجال الدولة او الجند لا يخلعون ملكاً حكيماً او قويا وانما يخلعون الظالم او الضعيف فهذا يندر ان

تغلب عليه العزة فيقتل نفسه فراراً من الذل او العار

خلع الخلفاء في الاسلام

اما في الاسلام فالتنازل عن الخلافة او خلع الخليفة رغم انفه اصعب مراساً مما في الدول الاخرى لان الخليفة يعدُّ سلطته دينية من عند الله فيتمسك بها ويحافظ عليها والعامة تنصره بدافع الدين . ولذلك قلما رايت خليفة تنازل عن الخلافة من تلقاء نفسه واكثر المخلوعين خلعوا قهراً بالسيف ولم ينتحر احد منهم اما عن ضعف او كرهاً للانتحار ديناً خوف العقاب

والشهر من تنازل عن الخلافة من تلقاء نفسه حسن بن علي تنازل لمعاوية تجنباً للدماء لاعتقاده عجزه عن حربه . ومنهم معاوية الثاني بن يزيد بن معاوية فافضت الخلافة اليه بعد ابيه فتولاها حيناً ثم جمع الناس وقال لهم « قد ضعفت عن امركم ولم أجد لكم مثل عمر بن الخطاب لاستخلفه ولا مثل اهل الشورى فانتم اولى بامركم فاختاروا من احببتم » . وممن خلع نفسه من الخلفاء المستعين بالله العباسي سنة ٢٥٢ هـ ويذكرون ان علياً لما اراد الصحابة مبايعته امتنع في بادىء الرأي فالحوا عليه حتى قبل . وامثلة ذلك قليلة

اما الغالب في الخلفاء ان يخلعوا رغم انوفهم فمن لم يخلع نفسه قتلوه و يندر ان يستبقوا الذي يخلعونه خوف الفتنة لان العامة قد تنحاز اليه . واول من طلبوا خلعه في الاسلام عثمان ابن عفان ثالث الخلفاء الراشدين فاجتمع المسلمون من الاطراف الى المدينة وطلبوا اليه ان يخلع نفسه وهو يعلم ضعفه عن مقاومتهم فأبى وقال « لا اخلع قميصاً البسنيه الله ولكنني اتوب وانزع » فلم يقبلوا منه واخيراً قتلوه فكان اول خليفة قتلته الامة لضعفه عن الاحكام

وتكاثر خلع الخلفاء في الدول الاسلامية بعد ان استبحر عمرانها وتكاثرت جنودها واصبح الحل والعقد الى الجند بعد ذهاب دهشة الخلافة . واحصى بعض المؤرخين حوادث الخلع فوجد كل سادس من الخلفاء او من يقوم بالامر يخلع . فعندهم ان حسناً سادس ولاة الامر من الراشدين باعتبار ان النبي نفسه منهم . وان الامين بن الرشيد خلع وهو سادس الخلفاء العباسيين . وفي تأييد اقوالهم تكلف وتوسع لاحاجة بنا اليه فنذكر من حوادث الخلع اشهر ماذكره التاريخ

خلع الخلفاء في الدولة العباسية

وكان الجند يخلع الخلفاء غالباً او يقتلهم واشهر من فعل ذلك الجند التركي في الدولة العباسية وجند الانكشارية في الدولة العثمانية . واول خليفة خلعه الجند التركي وقتله المتوكل على الله العباسي سنة ٢٤٧ هـ وكان شديداً على الشيعة واهل الذمة وصادر كثيرين من كبار الرجال

فذهب الجند التركي بالسيوف الى داره في خلوته باغاق مع ابنه المنتصر وقتلوه

ثم خلعوا المعتز سنة ٢٥٥ هـ وقتلوه شر قتلة وقد اجمع الجند كله من الاتراك والمغاربة والفراغنة على خلعه . لم يفعلوا ذلك رغبة في مصلحة الدولة وانما كانوا ينظرون الى مصلحتهم يبدلون خليفة يطيعهم بخليفة يعصاهم فاجتمع الجند وذهبوا الى قصره وطلبوا اليه الخروج فاعتذر بالمرض وقال « اذا كان لابد من الاجتماع فليدخل بعضكم » فدخل اليه جماعة منهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه واقاموه في الشمس فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحر . وفي بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده وادخلوه حجرة واشهدوا على خلعه ثم سلموه الى من يعذبه ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة ايام ثم ادخلوه سرداباً فجصصوه عليه حتى مات

وخلعوا المهتدي مع انه من احسن الخلفاء حباً للاصلاح ولما علم بعزمهم على خلعه هرب الى بعض الدور فادركوه وامسكوه وداسوا خصيتيه وصفعوه فمات . وخلعوا المقتدر بالله غير مرة وأخيراً طاردوه وحاربوه حتى قتلوه سنة ٣٢٠ هـ ورفعوا رأسه على خشبة وهم يكبرون ويلعنونه وأخذوا ما عليه حتى سراويله

ثم خلعوا القاهر بالله بسبب ما اظهره من الغدر ببعض رجالهم ونكثه بيمين كان اقسمها بالامان لهم . فقبضوا عليه وسملوا عينيه وحبسوه حتى مات سنة ٣٢٢هـ وبعد ذلك باحدى عشرة سنة خلعوا المتقي لله سنة ٣٣٣هـ وقبضوا عليه وسملوا عينيه وعذبوه بالسجن حتى مات . وفي السنة التالية خلعوا المستكفي فجذبوه عن سريره وقد شدوا عمامته الى عنقه وساقوه ماشياً الى دار معز الدولة فاعتقل بها . ولما بويع المطيع سلموا اليه المستكفي فسمله واعماه وبقي محبوساً الى ان مات

وقس على ذلك سائر الدول الاسلامية فالفاطميون اول من خلع منهم او قتل الحاكم بامر الله سنة ٤١١هـ فقد قتله ركابيان بايعاز اخته او غيرها وهو سادس الخلفاء الفاطميين ويليه السادس بعده واسمه الظافر قتله وزيره عباس الصنهاجي سنة ٥٤٩ هـ لسبب تهمة سافلة . وآخرهم الخليفة العاضد لدين الله الفاطمي ( توفي سنة ٥٦٧ هـ ) فان وزيره صلاح الدين الايوبي حجر عليه واهانه وبايع للخليفة العباسي فعظم ذلك على العاضد فمات قهراً وانتقلت دولة مصر الى صلاح الدين تحت رعاية الدولة العباسية

خلع السلاطين في الدولة العثمانية

واعتبر ذلك في الدولة العثمانية لما استفحل أمر الانكشارية فقد فعلوا كفعل الجند التركي في الدولة العباسية وهم لايستطيعون ذلك الا مع الضعفاء من الخلفاء . واول من

خلعوه لضعفه السلطان مصطفى الاول سنة ١٠٢٧ هـ وولوا مكانه عثمان الثاني ثم خلعوا هذا واعادوا ذاك ثم خلعوا مصطفى ثانية سنة ١٠٣٢ وخلعوا بعده السلطان ابرهيم الاول سنة ١٠٥٨ وولوا مكانه ابنه محمد الرابع وهو في السابعة من عمره فنظر السباه (الفرسان) في ما جرى تخافوا من عاقبة ذلك ورأوا سلطانهم الجديد طفلاً فأحبوا الرجوع الى ابيه وطلبوا ذلك فخشي رؤساء العصابة الذين قاموا بخلعه من تغلب الفرسان وارجاعه رغم انفهم فعزموا على قتله والتخلص منه — وبقتله تذهب الفتنة — فساروا الى قصره ومعهم الجلاد وقتلوه خنقاً كما قتلوا السلطان عثمان الثاني قبله

وخلعوا بعده السلطان مصطفى الثاني سنة ١١١٥ هـ لكنهم لم يقتلوه فبقي مخلوعاً حتى توفي . ثم خلعوا السلطان احمد الثالث وبقي معزولاً حتى مات سنة ١١٤٩ هـ وخلعوا بعده السلطان سليم الثالث واضع الحجر الأول من الاصلاح في الدولة العثمانية وقد ذهب ضحية الرغبة في مصلحتها . وكان قد رأى الدولة لا تقوى على مناوأة الدول الاوربية الا اذا اصلحت جندها ونظمته على النظام الجديد فلما اراد اخراج فكره الى حيز العمل اشاعوا انه يريد الحط من قدر الاسلام بتقليد النصارى بازيائهم وعلومهم فشق الانكشارية عصا الطاعة واخذوا يعيثون فتكاً وقتلاً فاضطر السلطان سليم الى الرجوع عن عزمه في التنظيم . فلم يكفهم ذلك بل اجبروه على التنازل بفتوى من المفتي يومئذ وفحواها « ان كل سلطان يدخل نظامات الافرنج وعاداتهم ويجبر الرعية على اتباعها لا يكون صالحاً للملك » فخلع السلطان سليم سنة ١٢٢٢ وولوا بعده السلطان مصطفى الرابع ولم يحكم الا ١٣ شهراً ثم خلعوه وولوا السلطان محمود الثاني المصلح الشهير ولم يخلع . وخلفه ابنه عبد المجيد فسار على خطة ابيه بالاصلاح ومات حتف انفه . وخلفه عبد العزيز فاسرف وضعف وكانت الامة قد استنارت بالعلم والحرية فخلعته سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) لسبب هو عكس السبب الذي خلع لاجله سليم الثالث وولوا مكانه مراداً ثم خلع لسبب صحي وخلفه عبد الحميد في تلك السنة فحكم ٣٣ سنة حتى خلع بالامس لمقاومته الدستور واهله وحبسوه في سالونيك

ومثل ذلك خلع الملوك في سائر الدول الاسلامية وغير الاسلامية مما يطول شرحه فنكتفي بالاشارة الى المخلوعين من ملوك انكلترا وهم ريكاردوس الثاني خلع سنة ١٣٩٩ م وهنري السادس خلع سنة ١٤٦١ م وادوارد الخامس خلع سنة ١٤٨٣ وكارلوس الاول قتل سنة ١٦٤٩ وجيمس الثاني خلع سنة ١٦٨٨ وقس على ذلك سائر الدول



محمود شوكت باشا

قائد الفيلق الثالث ومدير حركة الجند الدستوري لفتح الاستانة

ومؤيد الدستور بالسيف

كان الناس يتحدثون بقهارمة الاصلاح العثماني من كبار الاحرار اعضاء جمعية الترقي وغيرها واذا برجل ظهر على مرسح السياسة والعسكرية الفت انظارهم وشغلهم عن سواه نعني محمود شوكت باشا الذي قاد الجند من سلانيك لحصار الاستانة وتأييد الدستور بالامس فانهُ تصرف بدهاء ومهارة وحزم دلت على تفننه في الحركات العسكرية وتفانيه في نصرة الدستور فلا غرو اذا تعشقه العثمانيون ومالوا الى معرفة ترجمة حاله وقد اخذنا في البحث عن تفاصيل سيرته ونكتفي الآن بفذلكة صغيرة عن اصله ونشأته الاولى

اما اصله فانه من اسرة عريقة في العروبة والاسلام فهو عربي قرشي من نسل الامام عمر ابن الخطاب اول من اتخذ الشورى في الاسلام . وتعرف عائلته في العراق اليوم ببيت العمري او الفاروقي . واشتهر منهم غير واحد من كبار الرجال في العلم والادب ومنهم عبدالباقي العمري شاعر العراق الشهير في القرن الماضي . وانتظم غير واحد منهم في الجند العثماني ونالوا الرتب الرفيعة ومنهم هادي باشا جعل جمعية الترقي في ايام الاستبداد تحت حمايته . وهذا شوكت باشا نصير الاحرار ومؤيد الدستور

اما نشأته الاولى فانه تلقى الفنون العسكرية في المدرسة الحربية السلطانية بالاستانة واتم دروسه فيها سنة ١٢٩٨ هـ فتعين ملازماً اركان حرب وارسل الى جزيرة كريد مع الفيلق الذي كان في النية ارساله الى مصر لاخماد الثورة العرابية ولم يرسل . ولو أرسل لتخلصت مصر من الاحتلال الانكليزي

فمكث شوكت في كريد سنة وعاد الى الاستانة ونقل الى اركان حرب الجيش العام وتعين في المدرسة الحربية مساعداً لفون دغولتز باشا في التعليم فمضى في ذلك ثلاث سنوات فقال فيه الباشا المذكور من مقالة نشرها في الجرائد الالمانية « انه باسل مدرب مفطور على خلال عسكرية يندر اجتماعها في سواه فضلاً عن امتيازه بالاستقامة والحرية الشخصية » ثم انفذ الى المانيا ( سنة ١٣٠٣ ) وقد رقي الى رتبة بكباشي لاستلام بنادق موزر وذخائر حربية أخرى

اقام في المانيا تسع سنوات استفاد في اثنائها فوائد جمة من الفنون العسكرية لان الالمان من احسن دول الارض في النظام العسكري فضلاً عما استفاده من سائر عوامل المدنية . وعاد الى الاستانة وقد رقي الى رتبة امير لواء وتعين عضواً في لجنة تجارب المدفعية وارتقى حتى صار رئيساً لها واصبح موضع ثقة رجال العسكرية فانفذ منذ ثماني سنوات في مهمة خصوصية الى مكة اقام فيها عاماً ثم عاد الى وظيفته

وتعين منذ اربع سنوات حاكماً عاماً على ولاية قوصوه وما زال هناك حتى اعلن الدستور فتعين قائداً للفيلق الثالث ثم تولى تفتيش ولايات الروملي ولما وثب المستبدون باهل الدستور زحف بالجند لتأييد الدستور . فادى تلك المهمة على احسن ما يرام حتى خلع السلطان عبد الحميد وتولى مكانه السلطان محمد الخامس كما هو معلوم

# هل في الوجود عالم آخر

سيدي صاحب الهلال

اني ارتاح دائماً الى قراءة هلالك وانتظره بشوق لطلاوة مباحثه . وقد قرأت في عدده الاخير مقالاً لك في « هل في الوجود عالم آخر » استرسلت فيه من مقدمة الى أخرى الى وضع هذه الاولية وهي : « ان نظام هذا الكون يدلُّ على حكمة فائقة في وضعه ونرى هذه الحكمة في كل عمل من الاعمال المادية » ثم نظرت الى الاعمال الادبية فقلت « اما الاعمال الادبية فقلما نرى حكمة فيها » . واستنتجت من ذلك ان الحكيم الذي وضع هذا النظام الكامل في العالم المادي لا يعقل ان يدع هذا النظام غير كامل في العالم الادبي فلا بدَّ ان يكون قد جعل لهذا الكون « تتمة تسدُّ هذا النقص » ولما لم تظهر لك هذه التتمة في هذا العالم البادي قلت « ولا يمكن ان يكون ذلك الا في عالم آخر نظامه متمم لهذا . وبما ان ذلك النقص متعلق رأساً بالانسان فلا يسدُّ ذلك الخلل الا اذا وجد الانسان في ذلك العالم وهو لا يكون هناك الا مبعوثاً » . اه

وليس غرضي هنا النظر في النتيجة التي اتصلت اليها كما بدا لك مع ما هو معلوم من ارتباط الاعمال الادبية بالاعمال المادية نفسها وارتباط نظام الكل بالكل مما يجعل مثل هذا القول ضعيفاً . بل توجيه النظر الى ان ما اثبته من الحكمة الفائقة لنظام العالم المادي ليس باقل وهناً مما نفيته عن العالم الادبي . لاسيما وانك نظرت الى الانسان في هذا الكل كانه عالم مستقلٌ

قرأت ذلك في ليلة اشتد حرُّها وكثر بعوضها حتى لم يعد يقي منه واقٍ فحرمت المنام للسع كانه وخز الحراب او لذع النار والفكر لا يهجع فاخذت انتقل من موضوع الى آخر حتى وقفت على سؤالك : « فهل في الحوادث الطبيعية ما ينافي هذا القول » اي الحكمة الفائقة في نظام الاعمال المادية . فنظرت واذا بالمنافي كثير وعجبت كيف انه خفي عليك لا سيما وانك نظرت الى الانسان من خلال ذلك نظرًا خاصاً وهو في نظامه المادي ليس اكثر استقلالاً من سائر الكائنات ولا اكمل منه في نظامه الادبي فخطرت على بالي الابيات الآتية ابث بها شكوى واصدع بها الى بيان حقيقة وهي :

يا برغشاً أرَّقني  من فرط ما حرَّقني
هل انت مخلوق الذي  بحكمة خلقني

وأين هي فلسفتي ... كلٌّ حكيم لقن
هل هي خلقٌ مطلقٍ ... أردى ولما يفني
من زائدٍ او ناقصٍ ... او جالبٍ للمحن
فكل مخلوق به ... زوائدٌ كالدرن
زوائدٌ خاليةٌ ... من كل معنى بين
منقصةٌ للخلق لولا ... انها في الزمن
كان لها معنى دليل ... نفعها للبدن
فضمرت اذ اهملت ... لسنّة في الثمن
وسوف لا تبقي به ... كانها لم تكن
هي حكمة في الشيء لا ... في خلقها ان تفطن
تربطها بما مضى ... مثل بقايا الدمن
والشيءُ مضطربها ... والخلق فوق السنن
نتيجةٌ لا غايةٌ ... من دونها الخلق بني
وغاية الحكمة خلقٌ ... كاملٌ لم يبن

مصر ... الدكتور شميل

﴿ الهلال ﴾ اقتصر صديقنا الدكتور شميل في اعتراضه على جزء من موضوع تلك المقالة فحصر رده في ذلك الجزء وهو اساس بحثنا هناك · انكر الحكمة في نظام العالم المادي وحجته وجود زوائد فيه خالية من المعنى لا يفهم لها غرض كالبرغش الذي ارقه وكالاعضاء الاثرية في الحيوانات التي لم يكن لها معنى لولا انها كانت قبلاً ذات نفع وضمرت بالاهمال · فعنده ان وجود الزوائد التي لا يفهم لها غرض ينافي الحكمة في الخلق

ونزيد القارئ ايضاحاً ان صديقنا يريد بالزوائد المشار اليها انواعاً من الاحياء الدنيئة كالديدان والهوام الحشرية لا يظهر لها نفع في الوجود ومثلها الاعضاء الاثرية في الانسان وغيره من انواع الحيوان مما لا وظيفة له وقد يكون بعضها مضراً لا تسلم الابدان الا باستئصاله كالزائدة الدودية في الامعاء وبعض الغدد وغيرها · ويقول اصحاب مذهب النشوء والارتقاء ان هذه الزوائد بقايا اعضاء كان لها نفع في الادهار الخالية ثم استغني عنها بالانتخاب الطبيعي فاخذت في الضمور لقلة الاستعمال حتى صارت اثرية

فيرى حكيمنا الدكتور شميل ان وجود هذه الزوائد بلا فائدة يخالف الحكمة في الخلق

على انا اذا تدبرنا هذه الزوائد رأيناها تنحصر في عالم الحياة وهو جزء صغير من المخلوقات ونجد الخلق بجملته تام النظام مترابط الاطراف · من حركات الاجرام التي يتألف بها نظام الافلاك الى تجاذب الدقائق الذي تكون به بلورات الاملاح · ومن تحول السدم الى شموس وأقمار الى اتحاد العناصر لتكوين الاجسام · الا تجد حكمة في حركات الكواكب ونظامها الدقيق وفي دورة الارض وما يترتب عليها من الفصول ؟ · وفي حركات الرياح وتساقط الامطار وتسلسل اسبابها منذ كانت بحارًا حتى صارت بخارًا فتكاثفت غيمًا فتساقطت مطرًا ثم سالت انهارًا تصب في البحار ؟

ألا تجد حكمة في تحليل المواد وتركيبها على نسب محدودة واحوال معينة والعناصر لا تزيد على ثمانين عنصرًا فيتكوّن منها مئات الالوف من المواد الآلية وغير الآلية بنواميس مضبوطة ثابتة · الا تجد حكمة في توالد الاحياء من النبات او الحيوان وفي اغتذائها ونموها وانحطاطها وموتها وانحلالها وفي سير ذلك على قواعد ثابتة من التحليل والتركيب ؟ كم من الحكمة في نمو النبات بتحويل المواد الترابية الى مواد حية وفي نمو الحيوان بتحويل المواد النباتية الى حيوانية ثم ترجع تلك المواد بعد الموت الى التراب · انظر في التناسل على اختلاف ضروبه في النبات والحيوان من الانقسام الى التبرعم فالتلقيح فالبيض فالحضانة فالولادة

انظر الى وظائف الاعضاء في الاحياء من الحويصلات النباتية الى ارقى ذوات الازهار والاثمار · ومن الديدان المكروسكوبية المؤلفة من غشاء بسيط يقوم فيها مقام سائر الاعضاء الى ذوات الفقرات التي تتألف من اجهزة عظمية وعضلية ودموية وعصبية وتنفسية وتناسلية وفي تناسب هذه الاجهزة واشتغالها معًا بدقة وملاءمة فضلاً عن تناسب اجزاء كل منها على حدة · ولا اظنك تخالفني بما في ذلك من دقة الصنعة والحكمة لان كلاً منها لا يتحرك او ينتقل او يتحول الا لغرض يراد به بقاء النوع او حفظ الفرد

واعتبر ذلك في سائر النواميس الطبيعية المادية وقس عليها النواميس التي سميناها «ادبية» تجد للاجتماع البشري نواميس في حياته ونموه وضعفه وانحلاله · وتجد للعواطف نواميس فان للحب قواعد يسير عليها سواء كان في حقيقته نوعًا من الجاذبية او قوة قائمة بنفسها او بالاعمال الحيوية · واذا تدبرت سائر العواطف وجدتها لا تخلو من نواميس تجري عليها ولكننا نجهل اكثرها · ولا بد من نواميس لاحكام العقل التي يميز بها بين العدل والظلم · وقد اشرنا اليها في مقالتنا السابقة وقلنا ان ما يظهر من عدم الحكمة في المجريات الادبية في هذا العالم يدلّ على ان تتمتها في عالم آخر

لا اطيل في ايراد الامثلة فانك اعلم بها من سواك · ولكنك انكرت الحكمة فيها لان بعضها لا فائدة منها — اذ ليس من الحكمة ان يخلق شيء عبثاً · ولكن هل يجوز لنا ان نحكم على الطبيعة هذا الحكم وما نعرفه عنها لا يعد شيئاً مذكوراً بالنظر الى ما نجهله · واني اجل عقلك وفضلك عن ان تزعم معرفة كل شيء او اكثر الاشياء · فقد قضى كلفن نصف قرن في تدريس الطبيعيات ولما خطب يوم اليوبيل قال « قضيت هذا العمر في تعليم الطبيعيات وما انا اليوم باعلم مني بالحقائق من يوم ابتدأت بالتعليم » وهذا شأننا في كل علم — فهل يجوز لنا مع هذا الجهل ان نحكم هذا الحكم ? اذا سئلت رأيك في رجل هل يكون حكمك فيه مقبولاً اذا كنت لا تعرفه معرفة جيدة ? ومهما يكن جهلنا مناقب الرجال فهو اقل كثيراً من جهلنا حقيقة هذا الكون

كم من الحقائق التي كان اسلافنا يتفلسفون في تعليلها مع قلة معارفهم · وقد دلتنا الاكتشافات الحديثة انهم كانوا في ضلال · لا يخفى عليك تعليل ابقراط وابن سينا الحميات وغيرها من الامراض ونسبة ذلك الى الاخلاط والرطوبة واليبوسة وغيرها وكيف ظهر لاهل هذا العصر ان اسبابها الميكروبات وقد اخذوا في اصطناع المصل لمعالجتها · ألم يكن اسلافنا المشار اليهم يظنون انفسهم بلغوا الكمال في العلم بالقياس على اسلافهم كما نظن انفسنا بالقياس على اسلافنا ?

فنحن لذلك نجهل فائدة كثير من ظواهر الحياة ولكن جهلنا تلك الفائدة لا يمنع وجودها · كم تحدث الاطباء ببعض الغدد المنتشرة في جسم الانسان التي لا يعرفون لها فائدة ثم اخذوا يكتشفون فوائدها ولا يزالون يشتغلون في ذلك · وقد عرفوا فوائد كثيرة للديدان والهوام وكانوا يظنونها بلا فائدة وسوف يكتشفون فائدة البرغش — ليس بالنظر الى الانسان بل بالنظر الى الوجود على الاجمال اذ لا ينبغي لنا ان نفرد الانسان عنها كما قلت

اسلم معك بعدم فائدة الاعضاء الاثرية الآن ولكنني لا اعتقد ان وجودها يخالف الحكمة بل ارى الحكمة كل الحكمة في الانتخاب الطبيعي القاضي بتكيف الاعضاء لملاءمة البيئة المحدقة بها فيبقى المناسب وينمو بالاستعمال ويدثر غير المناسب بالاهمال ويكون دثوره بالتدريج · ولولا هذا الناموس لكانت الحكمة في الخلق ناقصة

على ان مجرد تصورنا « الحكمة والنظام » يقتضي وجودها · لان الانسان جزء من الوجود لا ينفصل عنه والا فمن اين تأتى لنا ان ننتقد او نميز بين الاعمال فنقول هذا

العمل فيه حكمة او ليس فيه حكمة وهذا الحكم عادل وذاك ظالم · انك من اشد الناس طعناً على القوانين واكثرهم نقمة على نظام الاجتماع انتصاراً للمظلوم على الظالم فعلى اي شيء بنيت احكامك اليس على صورة العدل والظلم في ذهنك قست بها تلك الظواهر فوجدتها تخالفها فحكمت عليها بالعدل او الظلم تبعاً لذلك القياس — هذا هو شأننا في كل احكامنا

ان هذه الاحكام سواء صدرت من « جوهر مستقل » يسمونه العقل او النفس كما يقول الروحيون او من تفاعل العناصر المادية بالتحليل والتركيب كما يقول الماديون او من اي مصدر آخر · فانها موجودة في الانسان · والانسان بعض الكون فتكون هذه القوى العاقلة موجودة في الكون « بالقوة » اي انها مستقرة في مادته مختفية لتظهر عند سنوح الفرصة او متى تهيأت لها الاسباب · كما تظهر من بزرة البرتقان شجرة باوراقها واغصانها واثمارها

ان بزرة البرتقان مهما دققت في فحصها بالميكروسكوب و بالتحليل الكيماوي او غيره لاتجد فيها غير حو يصلات نباتية فيها مواد نشوية وزلالية و زيتية فاذا غرستها نمت وتولدت منها شجرة ذات اغصان واوراق واثمار · فاين كانت هذه الشجرة ؟ انما كانت في البزرة « بالقوة » فلما غرست في التراب ظهرت فيها بالفعل · ومهما دققت النظر في بيضة الدجاج لاتجد فيها غير الزلال والمح وكلاهما مؤلف من حو يصلات حيوانية · و بالتفريخ تنقف البيضة عن ديك او دجاجة فيها عظم وريش ودم ولحم · فمن اين اتى ذلك ؟ انه كان في البيضة « بالقوة » ثم ظهر بالفعل · وقس على ذلك سائر الاحياء المتولدة عن بزور او بيوض · فالبيضة التي يتولد منها الانسان تحتوي على قواه البدنية والعقلية والادبية « بالقوة » بدليل ظهورها فيه عند البلوغ

والبيضة المشار اليها لم تأت من غير هذا العالم فقد استمدت تلك القوة منه' وفي جملتها « الاحكام العقلية » فالاحكام المذكورة طبيعية في الوجود وسواء اعتبرنا هذا الوجود ازلياً او محدثاً او كان مادة أو قوة وسواء خلق الانسان خلقاً مستقلاً أو ارتقى عن حيوان آخر — فان تلك القوى موجودة « بالقوة » في مادة الحياة الاصلية « البروتو بلاسم » على شكل لانعرفه'

واجلك عن ان تنسب شيئاً من ذلك الى الصدفة فانها اسم لغير مسمى وانت تعلم ان كل شيء يجري في الطبيعة على نواميس ثابتة مترابطة متكافئة نعرف بعضها ونجهل معظمها لكننا نرى نتائجها فنقيس مانجهله على ما نعلمه · وشأننا في ذلك شأن رجل في بستان محاط بسور عال يحول بينه و بين ما وراءه وقد اخذ يتساءل عما هنالك فاذا رأى شرراً يتصاعد تصور هناك ناراً أو سمع طلق بندقية تصور قتالاً · واذا سمع انيناً تصور انساناً حزيناً يقيس

ذلك على ما يعرفه من حوادث يومه . وقد يكون مخطئاً ولكنه لا يلام على خطأه لانه استخدم ما بلغ اليه امكانه . والانسان اذا فكر في الخلق ومصيره تصور نفسه محاطاً بمثل هذا السور لان حواسه محدودة لا يرى ولا يسمع ولا يشم ولا يذوق ولا يلمس الا الى درجة محدودة وقواه العاقلة محدودة . فهو محاط بسور من العجز ومع ذلك فانه يشتاق الى معرفة ماوراء ذلك السور فيقيس ما هناك على ما يعرفه هنا

ثم هو اذا خلا بنفسه وتجرد عن كل دافع وجاذب ونظر في هذا الخلق فانه لا يقدر ان يتصور وجوده عبثاً بلا غاية وهذا شعور بديهي لا برهان عليه — ولذلك لا اكلف الدكتور ان يعتقده — وخصوصاً « الوجدان » واذا فرضنا كل القوى العقلية نتيجة تفاعل المادة والقوة فالوجدان اسمى من ذلك — فلعله الرابط بين الانسان والعالم الآخر

وفي كل حال نحن لا ندعي اثبات وجود العالم الآخر بالبرهان العلمي اثباتاً صريحاً وانما قلنا ماقلناه بطريق القياس . وغاية ما نعلمه اننا أعجز من ان نأتي بالبرهان على حقيقته نفياً او اثباتاً . ولكن الاثبات اصعب من النفي لان هذا لا يتكلف صاحبه الى غير الانكار كقوله « لم اقتنع بهذا البرهان او لا اراه سديداً » واذا تعنت المنكر عجزت عن اقناعه حتى بصحة القضايا البديهية واجل صديقي الدكتور شميل عن ذلك . ولكنه مبالغ في التعويل على المحسوسات دون سواها . ولو اعتبر عجزنا عن ادراك حقيقة هذه المحسوسات لعلم اننا نجهل اكثر الحقائق واكثرها لا يقع تحت الحس وانما نتصل اليه بالقياس والاستنتاج

## خواطر نيازي

يحتوي هذا الكتاب على خاتمة مساعي جمعية الاتحاد والترقي في سبيل الدستور كتبه في التركية القول اغاسي احمد نيازي بك الرسنه لي بطل الدستور ضمنه ما بذله بنفسه او لاخوانه في اثناء جهاده ضد الاستبداد منذ اخذ في العمل حتى أعلن الدستور . وقد نقله الى العربية ولي الدين بك يكن الكاتب الشاعر المشهور . فاحببنا تلخيصه تتمة لما كتبناه من تاريخ الانقلاب العثماني في الهلال الاول من هذه السنة فنقول :

ولد احمد نيازي في رسنه من اعمال مناستير في مكدونية سنة ١٢٩٠ هـ وتلقى العلم في مكتب مناستير الاعدادي الملكي ثم في مكتبها العسكري . ويظهر من خلال سطور هذا

الكتاب ان كاتبه من اهل الحماس والاريحية والتصور الشعري بدأ يفكر في المملكة العثمانية وما يعتورها من الظلم والانحطاط قبل خروجه من المدرسة وشعر بما يدعو الى انقاذها . وكان يتأثر بما يقرأه من اشعار كمال بك الشاعر التركي ولا سيما هذا البيت ( معظوماً بالعربية )

لا تحسبن احتقار الشعب يورثه هوناً فليس يهان الدرّ ان سقطا



احمد نيازي بك

وفي سنة ١٣١٠ هـ دخل المكتب السلطاني بالاستانة وذكر ثلاثة من اساتذته هناك كانوا يبثون في تلاميذهم روح الحرية لكن المابين عرف بذلك فنقم فازداد التلامذة تمسكاً بآرائهم . خرج من المدرسة ضابطاً صغيراً وهو يرى الخلل في الدولة والتنافر بين رعاياها ولا علاج لها غير الاتحاد بين عناصرها المختلفة . فلما تألفت جمعية الاتحاد والترقي سنة ١٣١٣ هـ علقت الآمال بها . لكن رجوع مراد بك الداغستاني زعزع اركانها حتى عادت فاستأنفت السعي والحكومة القديمة تعمل على عرقلة مساعيها وبى الله الا ان تفوز

مقدمات الحادثة

فلما جردت الدولة على اليونان كان نيازي في جملة الضباط فابلى بلاء حسناً في يوم إيش يكار فرفعت رتبته الى ملازم اول وعهد اليه ان يسوق الاسرى الذين وقعوا في حوزته الى الاستانة فساقهم وشاهد في سفرته هذه خللاً زاده نقمة على حكومة الاستبداد لانه رأى كبار القواد ورجال الدولة انما دأبهم استنزاف المال ومنح الرتب والاعطيات الى اتباعهم واخصائهم ومما شاهده بعينه ان ابن المشير كاظم باشا رُفعت رتبته درجتين واعطي مئة ليرة جائزة وادخل في الياوران وعمره ١٣ سنة ولم يعمل عملاً يذكر. واما نيازي فمع بلائه وفوزه لم يرقَّ الاَّ درجة واعطي عشر ليرات فتجسم له الخلل وتحقق حاجة هذه الدولة الى الانقلاب

ولما انقضت الحرب اليونانية تعين مأموراً بمخزن طابور « اوخري » من اعمال مناستير قرب بلده « رسنه » وسيرد ذكر هذين البلدين كثيراً في اثناء الكلام . واهل مناستير مكدونيون لكن بينهم كثيرين من الالبانيين والبلغاريين واليونانيين . وكان البلغاريون قد اثارتهم دسائس الروس لمناوأة حكومتهم المسلمة فكرهوا مواطنيهم المسلمين وتزايدت الضغائن بين الامتين بفساد الحكومة . وكان البلغاريون في رسنة يراقبون حركات ابناء ملتهم ليشتركوا معهم بخلع نير العثمانيين . فالفوا جمعية سرية لهذا الغرض واظهروا ثورتهم سنة ١٣١٩ هـ فاضطربت احوال الروملي اي اضطراب وقام الالبانيون لمثل هذا الغرض. فداخلت الدول الاوربية بحجة الدفاع عن النصرانية وطلبت الاصلاح. ورجال المابين وهم رجال النفوذ يومئذ يعدون ويخلفون . فاقرت الدول اخيراً على الاصلاح اللازم وشددت في تنفيذه . فوعد المابين باجرائه ولم يفعل فزادت الاسباب الباعثة على توسط الدول فانتبه العقلاء من العثمانيين الاحرار الى الخطر المحدق بالدولة فرفعوا امرهم الى دول اوربا و بينوا لهن ان العصيان في مكدونية انما سببه فساد الحكومة من اصل ادارتها وانه لا يصلحها الا الحكم الدستوري والمساواة بين المسلمين والمسيحيين فلم يأت تظلمهم بنتيجة فتحولت افكارهم الى التعويل على استنجاد الجيش وتنوير اذهان الامة

اما اوربا فلما رات تباطؤ الدولة العثمانية في اجراء الاصلاحات وضعت مالية مكدونية تحت المراقبة فضلاً عن المفتش العام الذي كانت الدولة قد عينته والبلغاريون يستفيدون من ذلك غير انهم مازالوا في حاجة الى قوة مسلحة تقف في سبيل الجند العثماني اذا داهمهم خطر لهم تشكيل عصابات من اهل القرى يعسر على الحكومة مطاردتها لان العصابة تتألف من الفلاحين وهم يشتغلون في حقولهم فاذا دعت الحالة الى حرب تسلحوا

فكان نيازي وهو في رسنة يراقب هذه الحركات وعينته الحكومة في جملة من عينتهم لمطاردة تلك العصابات فرأى المشقة في تذليلها فخطر له ان المسلمين اذا احبوا مناوأة الحكومة يكفيهم ان يقلدوا البلغاريين في تشكيل العصابات . على انه كان يطارد تلك العصابات ويقبض على رجالها واسلحتهم واوراقهم فاذا سلمهم الى الحكومة اطلقت سراحهم اما بالرشوة او غيرها ونظارة الحربية في الاستانة تكافىء موظفيها الذين يفعلون ذلك وهم الجواسيس والاصهار بالرتب او الرواتب وتذل صغار الضباط ولا تلتفت الى ما يحتاجون اليه من اللباس والطعام ولا تدفع اليهم الرواتب الا نادراً

وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد اذاعت بمنشوراتها وجرائدها وتقاريرها ان فساد الدولة التركية ليس سببه فساد الاشخاص او القواد او المفتشين او الوزراء وانما سببه فساد الادارة . فلما رأت تذمر الجند عطفت على المتذمرين منهم وهم صغار الضباط من اليوزباشية والملازمين وعليهم المعول في انفاذ الاوامر التي هي حياة الجيش . فاخذوا ينتظمون فيها ويتشربون مبادئها من التآخي والاتحاد سراً . وكانت لا تزال محصورة في المدن فساعدها الضباط على الانتشار في القرى ومهدوا الطريق للانقلاب . وكان في جملة كبار العمال في هذا السبيل البكباشي انور بك

بدأ الجند بالاجتماع باسم جمعية الاتحاد بسلانيك من سنة ١٣٢٣ حساباً رومياً يطلبون حقوقهم القانونية والجمعية تنجدهم في نيل بعض تلك الحقوق بما لها من الايدي السرية في المصالح الكبرى فزاد الجيش تعشقاً لها وارتكاناً اليها وزادت هي نفوذاً وسطوة فلم تبق ثمة حاجة الى سترها . فلما سمعت الحكومة بوجودها كان اشد الناس غضباً منها ناظم بك قائد مركز سلانيك فاخذ على نفسه ان يكشف سرها ويفتك باعضائها . فعلمت الجمعية بعزمه فقررت اعدامه وفي جملة الذين وقعوا على القرار رجل من اقاربه واناطوا تنفيذ ذلك الحكم باحد اعضائها وهي اول مرة دعي اعضاء هذه الجمعية الى الموت في نصرة مبادئها واكثرهم من الضباط الذين تعودوا خوض غمرات الموت . والجمعية لا تتخلى عمن يخلفهم المقتول فتتركهم لرحمة الحكومة بل هي تأخذ على عاتقها اعالتهم . فمن يعرض نفسه للخطر في مصلحة الامة يطمئن خاطره على من يخلفهم من الاولاد او الاهل

وكان المكلف بقتل ناظم بك ملازماً من آلاي البياده تركي الجنس فانفذ مهمته ففر ناظم مجروحاً الى الاستانة . واخذت الحكومة تقتص آثار الفاعل عبثاً فلما رأى سائر الضباط هذا النجاح انبعث في قلوبهم حب التنافس في قتل الظالمين . فارسل المابين

الجواسيس للبحث عن الجمعية في سلانيك ومناستير فاخذوا يرسلون التقارير وينالون عليها الرتب . وخافت الجمعية كشف سرها والاستدلال على اعضائها وهم معروفون باستقامتهم وحرية افكارهم وعلمت ان مفتش البوليس واسمه سامي أخذ على نفسه الكشف عن رئيس الجمعية فقررت اعدامه فلما قتل قلقت الحكومة من توفيق الجمعية هذه المرة ايضاً

جمع العناصر

وكان نيازي قد تعين قائداً في رسنة مسقط راسه بامر هادي باشا العمري واشارة الجمعية فبلغت اليه هذه الاخبار كما بلغت الى سائر فروع الجمعية وكان قد حاز شهرة في « رسنة » و « أوخري » واصبح اهلوها يحبونه و يعجبون بشجاعته لما ابداه من البسالة في الحرب اليونانية والهمة في مطاردة العصابات البلغاربة والدفاع عن حقوق المسلمين . وكان له رفيق في هذا الجهاد اسمه ايوب افندي تعين في طابور الرديف في « أوخري » وهو ركن من اركان الجمعية هناك . ونظراً لحسن سياستهما وصدق نيتهما في جمع العناصر احسن الالبانيون الظن بهما فصاروا يتواردون الى رسنة واوخري للانتظام في الجمعية وهي لا تقبل الا من تجد فيه اللياقة — قال نيازي « لولا احتفاظي باسرار الجمعية لاتيت بما يثبت اني لم اقم الا بانفاذ اوامرها ولم انجح الا بتعضيدها »

اشتغل نيازي مدة بمطاردة العصابات البلغارية ومنها الثابتة والسيارة في برسبة وأوخري وكانت قد اتحدت مع عصابات البانية رئيسها اسمه جرجيس واخذت في مناوأة الحكومة والتضييق على المسلمين في رسنة واوخري و برسبة . ومن اشهر رؤساء العصابات بتروش ودهان وقريستو. فعهدت الحكومة الى نيازي الكشف عن اماكن هؤلاء والقبض عليهم فبذل في ذلك جهداً كثيراً واتى بنتائج حسنة لكنه وهو يحارب أولئك العصاة كان يفكر في امرهم فوجد نفسه يحارب رجالاً نهضوا على الظالمين . فجمع بعض المسيحيين وابان لهم ان بقاء تلك العصابات تحارب المسلمين مضرٌ بكليهما وان المسلمين اشد نقمة على الحكومة من نقمة المسيحيين عليها . وحرضهم على التربص للاتحاد والعمل معاً ولم يثمر سعيه هذه المرة لتوسط اهل الاغراض فقضي عليه بالابعاد من رسنة ثم عادت المياه الى مجاريها

وكان نيازي قد قبض على رئيس عصابة بلغاربة اسمه مترو فسلم اليه وطلب ان يخدم الحكومة بوظيفة مخبر بشرط ان يعفى عنهُ فوعده نيازي وطلب له العفو وخدم الدولة خدماً جزيلة فاغتاظت الجمعية البلغارية لان مترو خانها . فسعت حتى زينت للحكومة العثمانية قتل هذا الرئيس فحاكمته غيابياً وحكمت عليه بالاعدام وكان في رسنة فكتبت الى نيازي ان

برسله الى مناستير فغضب نيازي لهذه المعاملة وابت نخوته وحميته ان يخون رجلاً عاهده على العفو فشاور الجمعية بشأنه فقررت على اطلاق سبيله . فساعده على الفرار واصحبه ببعض اعضاء الجمعية ابلغوه مأمنه فكان لذلك العمل وقع حسن عند البلغاريين وتحققوا صدق نية نيازي وبعده عن التعصب الديني . وابان لهم ان غرضه التوفيق بين العناصر المختلفة هناك وهم الاتراك والالبان والبلغار واليونان والفلاخ والصرب فيكونون اخوة يحاربون الظلم معاً — فكان ذلك ضربة قوية على الحكومة

واخذت الجمعية من ذلك الحين تجاهر بدعوة المسيحيين الى الاشتراك معها في طلب الحرية فارسلت اعضاء منها يطوفون القرى والجبال للتبشير بالحرية والاتحاد . وكتبت من مناستير لائحة رفعتها الى وكلاء الدول العظمى تبين فيها ان مساعي اوربا في مكدونية تأول الى سلخها عن المملكة العثمانية بغير وجه حق . وان الحجج التي تتخذها الدول للمداخلة لا حقيقة لها لان العلة الحقيقية ليست تعصب المسلمين وانما هي فساد حكومة المابين . وانهم سيتحدون مع المسيحيين لطلب الدستور واستصروا على الاخذ بيدهم . واللائحة طويلة مفصلة بعثوا بصورة منها الى كل قنصل ولم يكن لها تأثير عند الدول لانهن لم يكن يعرفن جمعية لها هذا الحق

## عصابة نيازي

وكان نيازي يراقب ماجريات السياسة فلما حدثت ملاقاة « روال » وعلم بما قررته انكلترا وروسيا اظلمت الدنيا في عينيه وخطر له ان يؤلف عصابة لمناهضة الحكومة تدعو اهل الروملي الى القيام عليها . وكانت الجمعية تعمل مثل هذه الحركة في الاناطول لم يعد نيازي يستطيع الانتظار حتى تنضج اعمالهم هناك فقضى ثلاثة ايام يفكر في ذلك وفي ما يحتاج اليه من سلاح ورجال . وفي ١٥ حزيران ١٣٢٤ ( ٢٨ يونيو سنة ١٩٠٨ ) كاشف جمال افندي رئيس البلدية وطاهر افندي معاون البوليس وكلاهما من الجمعية بما عزم عليه فوافقاه على تشكيل عصابة واعلان الثورة . فقال « عندي ٥٥٠ ليرة اقتصدتها من تعبي ويمكننا ان نجمع ١٥٠ الى ٢٠٠ رجل من اعضاء الجمعية والعساكر والقرويين ونهيء لهم السلاح . وستشاركنا أوخري ويرسبة ايضاً فتشغل الحكومة في هذه الآجام اشهراً »

ثم عرضوا ذلك على الجمعية فوافقتهم بناء على ان مضبطة روال تقضي بتقسيم مكدونية واعطائها الى الاجانب فيجب ان تمحى هذه المضبطة بالدم وقال نيازي « ان رسنة ينبغي ان تبدأ بهذه الثورة لان البلغاريين بدأوا منها وجلبوا لنا هذا البلاء . وينبغي لنا ان نحب

المسيحيين كاخواننا ونساوي بيننا و بينهم ونعتبر اعراضهم اعراضنا وارواحهم ارواحنا واموالهم اموالنا لان نهضتنا انما هي ضد اصول الادارة الفاسدة لاعلان الحرية والمساواة والاخاء . واني مرسل اخواتي واختيهن وامرأتي «الا معيين الى مناستير وموحعهم وداعاً ابدياً » فوافقوه على رأيه وعانقوه وارسلوا جمال افندي الى مناستير ليخبر الجمعية واخذ نيازي في اعداد العصابة واشترك معه بعض اخوانه الذين يعلم انهم يشاركونه في الاحساس وتواطأوا على الالتقاء في « لا حجة » بضاحية رسنة ورتبوا ارقاماً ( شفره ) للمخابرة السرية

ولما آن الفراق ذهب نيازي الى امرأته وهو عرس ٩ اشهر ليخبرها بعزمه فلما شعرت بالمهمة التي هو سائر فيها فداء للوطن شجعته واعترفت له « ان لا وظيفة له سوى الموت » فارسلها مع عديله حقي بك الى والديها . وعاد جمال افندي من مناستير بان الجمعية تصادق على ذلك العمل . وطلب الانضمام اليهم قريستو القائد البلغاري فقبلوه فاكتسبوا بذلك ثقة البلغاريين . وقبل سفرهم كتب نيازي اعلانات بعث بها الى المابين والمفتش العام وقومندان الجاندرمة في مناستير وبكباشي الطابور في رسنة ومدير رسنة . وجاء في كتابه الى المابين « ان الامة تطلب الدستور والجمعية صاحبة هذا المشروع مستعدة لخدمة الذات السلطانية ولا تحاسبها عما سلف من السيئات فنحن نريد تنفيذ القانون الاساسي هذا اليوم فان كانت الحكومة لاتمنحه طوعاً فالامة تأخذه عنوة »

ولما آن السفر اخذوا يهتمون بصرف انظار الحكومة عنهم لئلا تشعر بفرارهم فارتأى نيازي ان يصرف اهتمامها الى مكان خارج المدينة زعم ان عصابة بلغارية هاجمته . فخرج الجند الى ذلك المكان فخلت الثكنة فدخل هو ورجاله اليها وفتحوا صناديق الاسلحة واخذوا ما وجدوه من النقود وكتب نيازي صكاً بذلك حفظ في صندوق الطابور

خرجوا وهم ١٥٠ رجلاً نحو لاحجة يوم الجمعة في ٢٠ حزيران فالتقوا بمن وافاهم الى هناك وشرح لهم نيازي خطته فقال « ان خطتي الجهاد في سبيل الحرية الى الممات فمن لا يرضى فليرجع » فوافقوه وساروا معه وجعلوا يطوفون القرى يدعون اهلها الى الاتحاد معهم في طلب الحرية والدستور ويحلفونهم على الثبات . وبذلوا الجهد في محاسنة غير المسلمين ومعاملة الاهالي بالرفق والعدل وادخلوا عدداً كبيراً من الاهالي في الجمعية وفيهم النصارى والمسلمون على اختلاف الطوائف في استاورة وأوخري وغيرها . وكتب نيازي الى جرجيس رئيس عصابة الالبانيين يدعوه الى الانضمام اليه لمناهضة الحكومة الظالمة وكتب بذلك الى غيره ايضاً

فلما علمت الحكومة في رسنة بخروج نيازي ورجاله بعثت جنداً للقبض عليهم فخالفوم

في الطرق . وساعدهم على الفوز ان الجمعية كان نفوذها قد تمكن في اهم المدن هناك مثل أوخري وديره وفروشيشنه وغيرها . وانضم اليهم كثيرون من المغضوب عليهم الفارين من كل الطوائف . وكان نيازي يصرف الرواتب الى رجاله مما جاء به معه' واذا احتاج الى المال اخذ من البلد الذي يكون فيه واعطى شيوخه صكاً على الحكومة تقتطع قيمته' من الضرائب

وفي اليوم الثالث من خروجه كتب الى الجمعية في مناستير بما فعله' و بشرهم بنجاحه . وبعث منشوراً الى نصارى مكدونية ترجمه الى لغاتهم يطلب اليهم نبذ الضغائن القديمة والاتحاد مع المسلمين لطلب الدستور وان هذا هو الغرض الاصلي لجمعية الاتحاد والترقي . واهتم بتحليف القرى الاسلامية المتقاربة وتشكيل هيئات ادارتها واحكام الصلح والوفاق بينها . وجمع اليه الفارين من الجنود والمسجونين ممن كانوا يضرون بالاهالي واجهل لهم النصح ودبر ما يمنع مضارهم واجتذب قلوبهم بالعفو والملاطفة وحسن الاسلوب واتباع الحق والعدل ودبروا طريقة لخابرة رسنة وأوخري واتخذوا بريداً وعينوا منازله

شمسي باشا

وفي ٢٤ حزيران جاءه الجواب من الجمعية في مناستير تثني على همته وتستحثه' على تفهيم الاهالي حقيقة الدستور وانه « لا يخالف الشرع لان المفسدين من اهل المابين بعثوا اناساً يشيعون بان الدستور يقتضي خروج النساء حاسرات الوجوه كنساء المسيحيين » ونصحوه واوصوه وحذروه و بشروه ان انور بك سيظهر قريباً فنرح نيازي بهذا الكتاب وخصوصاً بقرب ظهور انور وهو يعده' اهم ناشر لافكار الجمعية ويحترمه على الخصوص لانه' هو الذي ادخله في هذه الجمعية منذ تأسيسها يوم كان في مناستير وادخل فيها كثيرين سواه من الضباط . فكان نيازي ينشىء في القرى التي يمرّ بها نوعاً من الحكومة الدستورية على ما يوافق نظام الجمعية والناس ينضمون اليه و يوازرونه' . ولحق به عدة عصابات وطنية وهو يخفق قلبه' فرحاً لهذا النجاح الباهر

واشتد ازر الجمعية بذلك فكتبت انذاراً الى والي مناستير تقول في جملته « ان حكومتكم الحاضرة غير شرعية لانها خالفت الدستور وان الجمعية تعمل على استرداد الحق الصريح ( الدستور ) الخ » وكتبت الى نيازي كتاباً ضمنته الاوامر والنصائح والاخبار وفي جملة ذلك « ان شمسي باشا اعدم هنا عقاً ونجا قاتله » — وكان شمسي باشا مثيراً شديد الوطأة اوسل لمقاومة الاحرار في مناستير وفي حال وصوله اليها اخبره' صهره قائمقام الجندرمة وهو من اعضاء الجمعية « ان عساكر مناستير ورسنة وما جاورها لا تطيعه » فدارت

الحارات بينه وبين المابين بالوعد والتطمين فارادت الجمعية اتقاء شره فقررت قتله وتبرع بذلك ملازم من اعضائها فقتله جهاراً بين ١٥٠٠ من رجاله وغيرهم ونجا بحياته

فلما قرأ نيازي خبر مقتل شمسي باشا مع سلامة قاتله دهش وزاد تفاؤله بالخير ومال الى معرفة اسم ذلك المجاهد وهم يلقبونه «فدائي» وفي ٣٠ منه جاءه كتاب آخر يقولون فيه ان ذلك الفدائي لا يجوز كتابة اسمه . وان الهيأة الادارية البلغارية كتبت الى القرى ان يبالغوا في الاحتفاء بالمسلمين وان القناصل يوصونهم ان يستمروا باعمالهم بالعدل والانصاف ليستفيدوا الفوائد المطلوبة . وانهم قتلوا في سلانيك مصطفى افندي امام آلاي الطوبجية بجانب الاوتيل . واخيراً الحوا عليه ان يعامل الاهالي بالرفق والعدل

واقتضت الاحوال رجوع نيازي الى أوخري فالتقى هناك بالفدائي الذي قتل شمسي باشا اجتمع به سراً في منزل اخيه مرتضى افندي (اخي نيازي) لم يدر ما ذا يقبل منه لشدة فرحه به واخيراً تعانقا وقص عليه الفدائي كيف انفذ مهمته بشجاعة وخفة فشكره نيازي فاجابه ذلك «ان الفضل في هذه الحركة لك» الى ان قال «مع انك لست تركياً فقد اعلنت الحرب باسم العثمانيين»

فنوى نيازي في تنقله هذا ايام يجمع كلمة الناس باسم الجمعية ويستحلفهم على الثبات ضد الظلم بلا تفريق بين المذاهب او الطوائف . فدخل في محالفته البلغار والصرب والارناؤوط والاروام وصار الرهبان يحتفلون بقدومه ويتوسلون الى الله ان يأخذ بيده . وهم يعدون الجمعية حكومة دستورية شرعية خفية . فطاف كثيراً من بلاد مناستير والبانيا وعزم على المسير الى يانيا والاخبار متواصلة بينه وبين الجمعية المركزية بمناستير — وهو في ذلك اتاه كتاب من الجمعية تستعجل قدومه الى رسنة بغاية السرعة فاسرع برجاله ولما وصل رسنة اخبروه ان المطلوب ذهابه الى أوخري حالاً فتحول اليها فوصل وهو في لهفة لمعرفة السبب الذي استدعوه من اجله فلقي اخاه مرتضى افندي فسأله فقال «ان امراً جاءنا من مناستير يدعو الى ذهابك اليها حالاً مع الفين من الرجال»

عثمان باشا المشير

فاخذ في اعداد الرجال من رسنة واوخري وغيرهما وقاسى في ذلك عذاباً شديداً ثم سافر بهم قاصداً مناستير طوعاً لاوامر الجمعية . وفي ١٠ تموز (٢٣ يوليو) قبل دخولهم البلد خرج اليهم رسول من اعضاء الجمعية ومعه مظروف فتحه نيازي واذا فيه الامر بالقبض على عثمان باشا المشير وكان المابين قد ارسله بدلاً من شمسي باشا لمحاربة الجمعية . وكانت الجمعية

قد عينت من يقبض عليه من الامراء العسكريين واستقدمت نيازي ورجاله للمحافظة • فاول شيء عمله المفوضون بالقبض أنهم حاصروا عثمان باشا في مركز القومندانية وقطعوا الاسلاك التلغرافية وجردوا الحراس من الاسلحة وكان الباشا نائماً فايقظوه وامسكوه من ذراعيه وافهموه ان لاعمل للغضب او الاضطراب • فتقدم اليه نيازي وايوب واحفيا يقنعانه انهم لا يريدون اذاه وافهمه ايوب ان مقصدهم شريف وان المراد حمله ضيفاً الى رسنة • وسلم اليه كتاباً من الجمعية قرأه فاذا عبارته لطيفة وفيه ثناء على قدرته العسكرية وشجاعته وانها لا تنوي قتله كما قتلت شمسي باشا بل هي تأسف اذا أصيبت شعرة من شعره باذى • فسكت فاخذوه الى رسنة

اعلان الدستور

وكان رجال المابين بعد ان انفذوا عثمان باشا الى مناستير قد خابروه مخابرات كثيرة يحرضونه فيها على الفتك بالجمعية (اهل الفساد والخيانة !) ثم ظهر لهم انحياز جند مكدونية الى الجمعية فوعدوا الباشا انه لا يلبث ان تأتي لنجدته طوابير رديف الاناطول وان الحكومة بعثت تستقدم تلك الجنود بسرعة • ولكن لحسن الحظ ان جنود الاناطول حال وصولها الى سلانيك ومناستير انحازت الى الجمعية لتنصرها في جهادها • فلم يبق للجمعية الا ان تصرح بمطاليبها وتنذر انذارها الاخير • فكتبت من مناستير في ٩ تموز ( ٢٢ يوليو ) الى السلطان عبد الحميد تطلب اعادة مجلس المبعوثان وتتوعده بالحملة على الاستانة • فاضطر الى التسليم كما هو مشهور فاعلنت الحرية في مناستير في ١٠ تموز ( ٢٣ يوليو ) وعم ذلك في اليوم التالي بين كل الطوائف والملل وتقاطرت التهاني على نيازي من الاطراف يهنئونه لانه المباشر لهذه الحركة وانما اهتم بتلغراف جاءه من انور بك في سلانيك وقال ان انور كان سبب فوزه بارشاده

وانصرف هم نيازي بعد نيل الدستور الى معرفة اللجنة العاملة من جمعية الاتحاد والترقي في مناستير التي كانت تصدر له الاوامر فيعمل بها وهو لا يعرف مصدريها وكان كثير الاعجاب بأولئك الرجال وبكبر عقولهم وحسن سياستهم • فلما اتى مناستير ما زال يبحث حتى عرف بعضهم وزارهم في محل اجتماعهم فوجدهم اقل الناس فرحاً لاهتمامهم في تثبيت مشروعهم وهم صادق بك وفخري بك ويوسف ضيا افندي وحبيب افندي ورمزي بك وتوفيق افندي وكلهم من ضباط الجيش الا فخري بك فقد كان مترجم الولاية

# المربعات السحرية المفردة

اذا قسمت سطحاً مربعاً الى مربعات ( عيون ) صغيرة ووضعت في كل منها عدداً صحيحاً من سلسلة الاعداد الطبيعية المفروضة بحيث لو كان مجموع كل صف وكل عمود وكل قطر متساوياً فالمربع يقال له مربع سحري

واسهل الطرق لتشكيل المربعات السحرية المفردة طريقة وضعها احد علماء الافرنسيس في اوائل القرن السابع عشر وهي :

ارسم على كل جانب من جوانب المربع المطلوب صفوفاً يقل كل صف منها عينين عن الصف الذى تحته ثم ضع الارقام مبتدئاً بالواحد في العين الخارجة المفردة ومنها بانحراف موازٍ لاحد اقطار المربع وحينما تفرغ من ذلك الصف انتقل الى الصف المنحرف الثاني وتتبع عيونه الى آخرها وهكذا الثالث وهكذا والرابع حتى تنتهي بآخر صف وفي آخر عيونه آخر رقم من السلسلة · فاذا فرغت من ذلك انقل ما في العيون الخارجة الى ابعد ما يقابلها من العيون الخالية الموجودة في ذات الصف والتي هي داخل المربع ولزيادة الايضاح نرسم مربعاً في جوانبه خمس عيون بالطرقة التي ذكرناها

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | ٢٥ | | | | |
| | | | ٢٠ | | ٢٤ | | | |
| | | ١٥ | | ١٩ | | ٢٣ | | |
| | ١٠ | | ١٤ | | ١٨ | | ٢٢ | |
| ٥ | | ٩ | | ١٣ | | ١٧ | | ٢١ |
| | ٤ | | ٨ | | ١٢ | | ١٦ | |
| | | ٣ | | ٧ | | ١١ | | |
| | | | ٢ | | ٦ | | | |
| | | | | ١ | | | | |

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١٥ | ٢ | ١٩ | ٦ | ٢٣ |
| ٢٢ | ١٤ | ١ | ١٨ | ١٠ |
| ٩ | ٢١ | ١٣ | ٥ | ١٧ |
| ١٦ | ٨ | ٢٥ | ١٢ | ٤ |
| ٣ | ٢٠ | ٧ | ٢٤ | ١١ |

وبما ان هذه الطريقة خالية من البحث الرياضي ولا لذة للعقل بها فاعمد الى غيرهـا وقبل ان ابتدىء اذكر شيئاً عن سلسلة الاعداد الطبيعية :

سلسلة الاعداد الطبيعية من ١ — م٢ ( م عدد صحيح ) مركبة من سلاسل اصولية ( Subordinate ) كل منها مؤلف من م اعداد وكل عدد في السلسلة التالية يزيد عما يقابله في السلسلة السابقة بـ «م» . وبكلام آخر السلسلة ١ — م٢ مؤلفة من السلسلة ١ — م مكررة م مرات وكل عدد عند تكراره يضاف اليه كمية ثابتة ( Constant ) وهذه الكميات الثابتة تزداد بالقيمة م بدائتها الصفر ونهايتها م ( م — ١ ) ولاجل زيادة الفائدة نرقم ذلك البيان في الجدول الآتي :

١ + ٠ ، ٢ + ٠ ، ٣ + ٠ ، ...... م + ٠ = م

١ + م ، ٢ + م ، ٣ + م ، ...... م + م = ٢ م

١ + ٢ م ، ٢ + ٢ م ، ٣ + ٢ م ، ...... م + ٢ م = ٣ م

١ + ٣ م ، ٢ + ٣ م ، ٣ + ٣ م ، ...... م + ٣ م = ٤ م

وهكذا حتى تصل الى :

١ + م (م — ١) ، ٢ + م (م — ١) ، ٣ + م (م — ١) .... م + م (م — ١) = م٢

فنا مرى ان سلسلة الاعداد الطبيعية ١ — ٥٢ ( ١ — ٢٥ ) هي كما يأتي :

١ + ٠ ، ٢ + ٠ ، ٣ + ٠ ، ٤ + ، ٥ + ٠

١ + ٥ ، ٢ + ٥ ، ٣ + ٥ ، ٤ + ٥ ، ٥ + ٥

١ + ١٠ ، ٢ + ١٠ ، ٣ + ١٠ ، ٤ + ١٠ ، ٥ + ١٠

١ + ١٥ ، ٢ + ١٥ ، ٣ + ١٥ ، ٤ + ١٥ ، ٥ + ١٥

١ + ٢٠ ، ٢ + ٢٠ ، ٣ + ٢٠ ، ٤ + ٢ ، ٥ + ٢٠

وباقل نظر يرى ان سلسلة كهذه ليست الا سلسلة حسابية ومجموعها $\frac{م^{٢}(١+م^{٢})}{٢}$

وقد ذكرنا ما يهمنا من خصائص السلسلة اما كيفية كتابتها في المربع المفروض كما طلب فسيأتي الكلام عليه

كل من امعن النظر واعمل الفكرة في الجدول السابق يرى جليًا انه لو تيسر كتابة كل رقم من ارقام السلسلة الاولية ١ — م بحيث يظهر مرة واحدة في كل صف وعمود وقطر وجرى ذات الامر على سلسلة الثوابت لحصل المطلوب

الحل

من المقرر ان ادراك الجزئيات وفهمها اسهل من ادراك الكليات ولذلك نبتدىء برسم مربع ذي خمسة اضلاع

ب

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١ | ٢ | ٣ | ٤ | ٥ |
| ٣ | ٤ | ٥ | ١ | ٢ |
| ٥ | ١ | ٢ | ٣ | ٤ |
| ٢ | ٣ | ٤ | ٥ | ١ |
| ٤ | ٥ | ١ | ٢ | ٣ |

ت

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ٠ | ٥ | ١٠ | ١٥ | ٢٠ |
| ١٥ | ٢٠ | ٠ | ٥ | ١٠ |
| ٥ | ١٠ | ١٥ | ٢٠ | ٠ |
| ٢٠ | ٠ | ٥ | ١٠ | ١٥ |
| ١٠ | ١٥ | ٢٠ | ٠ | ٥ |

ك

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ١ | ٧ | ١٣ | ١٩ | ٢٥ |
| ١٨ | ٢٤ | ٥ | ٦ | ١٢ |
| ١٠ | ١١ | ١٧ | ٢٣ | ٤ |
| ٢٢ | ٣ | ٩ | ١٥ | ١٦ |
| ١٤ | ٢٠ | ٢١ | ٢ | ٨ |

نرسم اولاً مربعين ب وت ونضع في ب الاعداد ١ و٢ و٣ و٤ و٥ خمس مرات ونضع في ت خمس مرات الكميات الثابتة ٠ و٥ و١٠ و١٥ و٢٠ فترى انه اذا اضيف كل عدد من ١ — ٥ الى كل من ٠ و٥ و١٠ و١٥ و٢٠ يحصل الاعداد الطبيعية المطلوب رسمها في المربع المفروض فيجب اذًا ان تكتب تلك الاعداد في المربعين المذكورين بحيث انه اذا

اضيفت الاعداد في العيون المتقابلة ( المتماثلة Corresponding ) ينتج عدد ما مرة واحدة فقط وان يكتب كل عدد في كل صف وعمود وقطر في كل مربع من المربعين مرة واحدة فقط . ثم نرسم مربعاً ثالثاً ك ونضع في عيونه مجموع العددين الموجودين في ما يقابلها من المربعين ب و ت فيحصل المربع المطلوب . لان مجموع كل صف وكل قطر في ب يعدل ١٥ وفي ت يعدل ٥٠ فتكون نتيجة جمع كل من الصفوف المتقابلة ٦٥ وذلك يصدق على الاعمدة ( والاقطار ) وقد فرض ان مجموع العيون المتقابلة تنتج الاعداد ١ — ٢٥ بحيث يظهر كل عدد مرة واحدة فقط فاذا المربع ك هو المربع المطلوب

اما كيفية كتابة الاعداد في المربعين كما فرض فيتم بما هو معروف بالتتابع او التعاقب الدوري ( Cyclical Succession ) وهو ان ١ دائماً يعقب ٥ و ٠ يعقب ٢٠ فتكتب الارقام في الصف الاعلى مبتدئين بالواحد او بغيره لكن في كل تتابع الترتيب حسب ورودها . فاذا ابتدأنا بـ ٤ مثلاً في العين الاولى كانت الخمسة في العين الثانية والواحد في الثالثة . ثم نبدأ في الصف الثاني اما بالرقم الذي ورد في العين الثانية ونعمل كما فعلنا في الصف الاول واما بغيره تاركين عيناً واحدة او اثنتين او ثلاثاً الخ . حافظين ذات النظام في ما يليه

هذا هو التعاقب الدوري كما سميته لكن يجب ان نجري بموجبه فقط في ما لا يخالف القوانين التي ذكرت سابقاً ولهذا لا نبتدئ مثلاً بـ ٢ في العين الاولى من الصف الثاني ( اذا كنا كتبنا الاعداد في الصف الاول حسب ورودها الطبيعي ) لان ذلك يسبب وجود الخمسة خمس مرات في القطر ووجودها مرتين كافٍ لفساد العملية لان الخمسة ليست العدد الاوسط في السلسلة . وعليه يجب ان نبتدئ بما بعدها ولزيادة الايضاح اشرح كتابة الارقام في المربعين ب و ت بالتفصيل :

اولاً نكتب الاعداد ١و٢و٣و٤و٥ مبتدئين بالواحد في العين الاولى من الصف الاعلى كما ترى ثم نبدأ في الصف الثاني رقمين ٣ في العين الاولى ( وذلك بترك عين واحدة ) و٤ في الثانية الخ . وفي الصف الثالث نبدأ ب ٥ وفي الخامس ب ٤

ثم نكتب في المربع ت في الصف الاول الاعداد ٠ و٥ و١٠ و١٥ و٢٠ واضعين في الصف الثاني في العين الاولى رقم العين الرابعة اي ١٥ ( بترك عينين ) وهكذا نبدأ ب ٥ في الصف الثالث و٢٠ في الرابع و١٠ في الخامس . اما السبب في العدول عن ترك عين واحدة كما فعلنا في المربع ب الى ترك عينين في ت فهو انه اذا جرينا على النظام الاول

يحدث ان العددين في العينين المتقابلتين في الصف الاول من ب وت يقعان في عينين متقابلتين في كل الصفوف الباقية وهذا ضد ما نتوخاه . فاذا عدلنا كما مر نرى ان كل عدد من السلسلة الاولية يقع مقابلاً لكل عدد من اعداد سلسلة الثوابت مرة واحدة فقط ثم باضافة المربع ب الى ت يحصل المربع ك المطلوب رسمه

ان ما ذكر عن المربع ذي الخمسة الاضلاع ينطبق و يصدق على كل مربع جذره عدد فرد لكن توجد احوال خاصة لمربعات التي تكون الثلاثة ضلعاً من اضلاع جذورها كالمربعات ذوات الجذور ٣ و٩ و١٥ و٢١ و٢٧ و٣٣ الخ . وليس من غرضنا الآن ان نبين الاسباب التي توجب ذلك بل نقول ان من خاصياتها ان يتكرر عدد ما من اعداد كل من السلسلتين واذ ذاك فالحل يكون فاسداً لكن يمكن تلافي هذا الامر باجراء بعض التغييرات ضمن قوانين النظام الدوري وها كما :

(١) بما انه لا بد ان يتكرر عدد في احد القطرين فليكن ذلك العدد عدد السلسلة الاوسط

(٢) ليكن القطران المكرر فيهما العددان متناطعين

(٣) نكتب السلسلة حسب نظامها الطبيعي في بداءة الصف المتوسط بحيث يقع العدد الاوسط في العين الوسطى ولسهولة ادراك هذه القضايا الثلاث نرسم المربع الذى جذره تسعة

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٤ | ٣ | ٢ | ١ | ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ |
| ٣ | ٢ | ١ | ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ |
| ٢ | ١ | ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ |
| ١ | ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ |
| ٩ | ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ |
| ٨ | ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | ٩ |
| ٧ | ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | ٩ | ٨ |
| ٦ | ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | ٩ | ٨ | ٧ |
| ٥ | ٤ | ٣ | ٢ | ١ | ٩ | ٨ | ٧ | ٦ |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٣٦ | ٢٧ | ١٨ | ٩ | ٠ | ٧٢ | ٦٣ | ٥٤ | ٤٥ |
| ٤٥ | ٣٦ | ٢٧ | ١٨ | ٩ | ٠ | ٧٢ | ٦٣ | ٥٤ |
| ٥٤ | ٤٥ | ٣٦ | ٢٧ | ١٨ | ٩ | ٠ | ٧٢ | ٦٣ |
| ٦٣ | ٥٤ | ٤٥ | ٣٦ | ٢٧ | ١٨ | ٩ | ٠ | ٧٢ |
| ٧٢ | ٦٣ | ٥٤ | ٤٥ | ٣٦ | ٢٧ | ١٨ | ٩ | ٠ |
| ٠ | ٧٢ | ٦٣ | ٥٤ | ٤٥ | ٣٦ | ٢٧ | ١٨ | ٩ |
| ٩ | ٠ | ٧٢ | ٦٣ | ٥٤ | ٤٥ | ٣٦ | ٢٧ | ١٨ |
| ١٨ | ٩ | ٠ | ٧٢ | ٦٣ | ٥٤ | ٤٥ | ٣٦ | ٢٧ |
| ٢٧ | ١٨ | ٩ | ٠ | ٧٢ | ٦٣ | ٥٤ | ٤٥ | ٣٦ |

| | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٤٠ | ٣٠ | ٢٠ | ١٠ | ٩ | ٨٠ | ٧٠ | ٦٠ | ٥٠ |
| ٤٨ | ٣٨ | ٢٨ | ٢٧ | ١٧ | ٧ | ٧٨ | ٦٨ | ٥٨ |
| ٥٦ | ٤٦ | ٤٥ | ٣٥ | ٢٥ | ١٥ | ٥ | ٧٦ | ٦٦ |
| ٦٤ | ٦٣ | ٥٣ | ٤٣ | ٣٣ | ٢٣ | ١٣ | ٣ | ٧٤ |
| ٨١ | ٧١ | ٦١ | ٥١ | ٤١ | ٣١ | ٢١ | ١١ | ١ |
| ٨ | ٧٩ | ٦٩ | ٥٩ | ٤٩ | ٣٩ | ٢٩ | ١٩ | ١٨ |
| ١٦ | ٦ | ٧٧ | ٦٧ | ٥٧ | ٤٧ | ٣٧ | ٣٦ | ٢٦ |
| ٢٤ | ١٤ | ٤ | ٧٥ | ٦٥ | ٥٥ | ٥٤ | ٤٤ | ٣٤ |
| ٣٢ | ٢٢ | ١٢ | ٢ | ٧٣ | ٧٢ | ٦٢ | ٥٢ | ٤٢ |

بيروت منصور حنا جرداق م٠ع
نائب استاذ الرياضيات في الكلية السورية الانجيلية

# صحة العائلة

## علاج السمن

للدكتور سعيد ابو جمرا مفتش الابكار في سان باولو

ليس صحة الجسم وجماله في سمنه أو نحوله وانما هما وسط بين الحالتين . فاذا زاد السمن اصبحت هيئة الجسم بعيدة عن الجمال المرغوب لتراكم الدهن في الوجه والجذع والبطن فيفقد القوام رشاقته ويختلُّ التناسب بين اعضاء البدن ويصعب التحرك والانحناء . والسمن إما طبيعي في الانسان أو وراثي . والوراثي يظهر غالباً في سن الـ٣٥ من العمر وقد وجد الدكتور شامبرس بين ٣٨ رجلاً سميناً ٢٢ منهم ورثوا هذه «المصيبة» عن آبائهم أو امهاتهم . والسمان بالوراثة يغلب فيهم المزاج اللمفاوي فيعيشون في البطالة والخمول غافلين عن تمرين البدن ورياضته . وتكاثر الدهن في الانسجة يكون على الخصوص بين سن الثلاثين والاربعين ويكون في المرأة اكثر منه في الرجل لاختلاف معيشتها لانها تقضي يومها جالسة في بيتها . والتمرين الذي تستعمله بعض الاحيان في قضاء واجباتها الضرورية لا يكفي لازالة السمن في المرأة وعلى الخصوص بعد انقطاع الادوار الشهرية . واكثار الطعام اكبر معين للسمن عند الاشخاص المستعدين له خصوصاً اذا كانت الاطعمة دهنية أو نشوية وسكرية بل ان الاقتصار على الاطعمة الالبومينية المحضة التي يكثر فيها الزلال والليفين والجبنين ( كاللحوم والبيض واللبن ) تزيد السمن اذا اكثر منها لانها تتحوَّل الى دهن في الجسم

وقد وصفوا ادوية كثيرة لازالة السمن ولكنها لا تجدي نفعاً . أما العلاج الوحيد فهو المبني على القواعد الصحية . ويزعم البعض ان الحمام التركي وافراز العرق من الجسم من الوسائل المنحفة له وهو زعم باطل وخيم العاقبة لان الاكثار منه يسبب احتقانات باطنية والافضل استعمال الماء البارد لتنبيه عمل الانسجة واصلاح التغذية

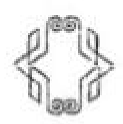
المخللة والدلك والتكيس يزيدان فائدة الماء البارد . وحمام البحر له تأثير حسن لازالة السمن وخصوصاً اذا كان السمين يحسن السباحة . أما الحمام السخن فيلزم اجتنابه لانه يرخي النسيج الخلوي ويتراكم بسببه الدهن . ويفيد استنشاق الهواء المضغوط أو الاوزون ( الاكسيجين المكهرب ) لانه ينبه التأكسدات العضوية في الجسم ويقوي التغذية الضعيفة . واحسن من هذا وذاك التيارات الكهربائية السريعة التقطع وقد اشار بعضهم بتعاطي اليودور والغدة الدرقية ولكن لا يجوز استعمال هذا العلاج في جميع الاحوال وبدون أمر الطبيب إذ قد تنشأ عنه اضرار خطرة . ويجب على السمين مقاومة الامساك وتعاطي مسهل ملحي مرة أو مرتين في الاسبوع في اول علاج السمن فقط لئلا يضعف الجسم من تكرار المسهلات . واذا صحب السمن كبر البطن فيمكن استعمال الدلك على البطن وشرب مياه فيشي اوكارلسباد أو غيرها من المياه المعدنية

وهنا ننصح للمصاب بالسمن ان لا ينخدع بما يراه في الجرائد من الاعلانات عن الادوية والمركبات المزيلة للسمن فان اكثرها يدخلها اليود واستعمالها الطويل يضرُّ بالصحة . ويشير بعض الاطباء بتعاطي بعض النقط من صبغة اليود بقليل من الماء قبل الأكل فالافضل الامتناع عن تعاطي هذا الدواء وعن جميع الادوية التي تشهد لنفسها بأنها مزيلة السمن والاوفق اتباع الطرق الصحية المحضة . ويجب على السمين ان يسكن محلاً جافاً مرتفعاً ويمرن جسمه كثيراً بالمشي في الصباح قبل الأكل مسافات يزيد طولها يوماً عن يوم وان يشتغل بالاشغال اليدوية كالنجارة والسباحة واللعب بالسبق والرياضة بالجمناستيك وركوب الخيل وما اشبه . والسمان يميلون الى النوم الطويل ويجدون فيه لذة عظيمة وراحة كبيرة والنساء الشرقيات على العموم يمتزن بالسمن لانهن لا يكثرن من الحركة بل اعتدن الجلوس على المقاعد الوثيرة طول النهار والخروج في العربات بدل المشي على الاقدام . اذاً وجب على السمين ان لاينام الا الوقت الضروري لراحة الجسم وان يجتنب النوم بعد تناول الطعام

أما تدبير معيشة السمين فيكون بالاكتفاء بالقليل من الطعام بحيث يقوم عن

المائدة وهو لا يزال يشتهي الأكل. وهذه الشهية تزول بمرور الايام اذا تعوّد الجسم قلة الطعام . ويلزم الاقلال من شرب الماء خصوصاً بين طعام وآخر واجتناب الاطعمة الكثيرة الملوحة لانها تجلب العطش . والتقليل من شرب الجعة (البيرة) واجب . ولكن لا بأس من شرب النبيذ الخفيف وخصوصاً النبيذ الابيض لانه يفيد في استدرار البول . ويجب أيضاً على السمين ان يمتنع عن الاطعمة الدهنية كالزبدة والزيت والجوز والزيتون . وأيضاً عن المواد النشوية كالرز والبطاطا والتابيوكا والفاصوليا والسحلب . أما المواد الدقيقية فاشدها ضرراً الذرة . ويجتنب اكل الملبس والشكولاته والفواكه المسكرة المجففة كالمشمش والاجاص والدراقن والكرز والخوخ وما شاكل ويجتنب اكل الكبد والمخ والكلى المطبوخة والوز والبط . ولا بأس من اكل لحم البقر والضأن المشوي أو المقلي . أما الخبز فالافضل ان يكون مختلطاً بالنخالة . ويجب ان يكون طعام المساء خفيفاً واكثره نباتيًا ويجوز شرب قليل من القهوة والشاي

والسمين على الغالب اذا فاز بالعلاج وازال اكثر ما في جسمه من الدهن وجد نفسه خفيفاً رشيقاً سريع الحركة قليل العرق يهضم الاكل بسهولة فيعود الى ما كان باصله قبل العلاج ويهمل التدابير التي اتخذها لازالة السمن فيعود جسمه الى ما كان عليه . ولذلك يلزمه ان يبقى مداوماً على اتباع الطريقة التي يشير عليه بها الطبيب لينجو من الوقوع في السمن ثانية . والطرق البطيئة الاكيدة لازالة السمن افضل من الطرق السريعة الفعّالة واسلم عاقبة واقل خطراً وعلى السمين ان يفحص بوله من وقت الى آخر اثناء العلاج لمعرفة قوة تبادل المواد الازوتية في الجسم . هذا ولا يخفى ان وضع قانون عام يصلح لجميع المصابين بالسمن من الامور الصعبه نظراً لتعدد انواع السمن واعراضه واسبابه . وانما العلاج يكون بحسب كل شخص وحالة جنسه . وما قد ذكرناه آنفاً يصح ان يكون القاعدة الاساسية



## مسيح الهند

ذكرنا كثيراً من اخبار هذا الرجل الذي ظهر في الهند. يزعم انه المسيح او المهدي المنتظر وقد كتب الكتب ونشر الرسائل والمجلات فالتف حوله الوف من الناس ونصره بعض رجال العلم في بلده قاديان وجاءنا منه ومن اعوانه كتب في اثبات صحة دعواه اشرنا الى ذلك كله في اهلة السنة الحادية عشرة وعلمنا اليوم انه مات في مايو من السنة الماضية (١٩٠٨)

وكان اسمه مرزا غلام احمد القادياني نسبة الى قرية في البنجاب من اعمال الهند ادعى نزول الوحي عليه. ونشر تعاليمه باللغات الاوردية والعربية والانكليزية والفارسية يبلغ عدد مؤلفاته ٧٥ مؤلفاً منها خمسة بالعربية فقط وعشرة بالعربية والاوردية و٣ بالعربية والفارسية وواحد بالفارسية و٣ بالانكليزية والباقي باللغة الاوردية (الهندستانية) لم نطلع من هذه الكتب الا على خمسة هذا بيانها

(١) اعجاز المسيح: وهو عبارة عن تفسير الفاتحة في ٢٠٠ صفحة كبيرة بالعربية و بين السطور ترجمتها في اللغة الاوردية

(٢) سر الخلافة: حكم فيه بين الشيعة واهل السنة في مئة صفحة

مسيح الهند

(٣) مواهب الرحمن: الفه بالعربية وشرحه بين السطور باللغة الاوردية في ١٤٠ صفحة. (٤) مجلة الاديان: كانت تصدر بالانكليزية شهريا في قاديان بقطع الهلال تبحث في تعاليم هذا الرجل وآرائه من حيث المسيح والمهدي وغيرهما

(٥) رسالة انكليزية في الجهاد واحكامه

وقد رد عليه غير واحد من علماء الهند على اختلاف اعتقاداتهم و بين يدينا من ردودهم كتاب لمولاي محمد حيدر الله خان النقشبندي سماه درة الدراني في ردة القادياني باللغة الاوردية في ٣٠٠ صفحة كبيرة وكان يرد على مناظريه بقوة وصبر

# تاريخ التمدن الحديث

## ملحق هذه السنة

كان في العزم ان نجعل ملحق هذه السنة الجزء الثاني من « العرب قبل الاسلام » وهو يبحث في آداب العرب قبل الاسلام وادیانهم وعاداتهم واخلاقهم وغير ذلك تتمة للكتاب الذي اصدرنا جزءه الاول ملحقاً للسنة الماضية في تاريخ تلك الامة وقد اخذنا في اعداد مواد ذلك الجزء ودرس مواضيعه وهي تفتقر الى تنقيب ومراجعة لم يتسع لها الوقت في هذه السنة . ثم حدث الانقلاب العثماني وعلقت الآمال بارتياد اواسط بلاد العرب واستخراج ما فيها من الاحافير والآثار ودرسها فخطر لنا ان نؤجل اصدار الجزء الثاني ريثما يتم ذلك التنقيب لعل في ما يكشف من تلك الآثار ما يدعو الى استدراك او اصلاح فيكون عملنا اقرب الى الصواب

وقد بدلنا به ملحقاً لهذه السنة كتاباً جزيل الفائدة لا يخرج عن خطة الهلال نعني « تاريخ التمدن الحديث » وهو الجزء الثالث من تاريخ التمدن للدكتور سينوبس العالم الاجتماعي الفرنساوي بعد تعريبه تعريباً خصوصياً لادارة الهلال . وهو يبحث في نشوء الدول الحديثة باوروبا في القرن الثامن عشر وفي نظام الاستعمار في ذلك القرن وحركات الاصلاح فيه والثورة الفرنساوية واسبابها ونتائجها وعلاقتها باوروبا والنزاع بين اوروبا ونابوليون ورجعة الملكية اليها . وتاريخ الحكومات الدستورية وحكومة فرنسا في سنة ١٨٤٨ الى سنة ١٨٧٥ وتغير اوروبا بعد سنة ١٨٤٨ واضمحلال الدولة العثمانية والعالم الجديد . والاوروبيون خارج اوروبا . وفصول في الصناعة والزراعة والتجارة وفي الاصلاح الاقتصادي والديمقراطية والتعاليم الاشتراكية . وكل ذلك باسلوب فلسفي اجتماعي سياسي يلذ ويفيد . وسيصدر هذا الملحق في اول يوليو القادم في نيف و٣٠٠ صفحة مزيناً بالرسوم ويرسل مع الهلال الاخير من هذه السنة للذين سددوا ما عليهم من بدلات الاشتراك

## تاريخ آداب اللغة العربية

### ملحق السنة القادمة

لا يخفى على حضرات القراء اننا نشرنا فصولاً في تاريخ آداب اللغة العربية في السنتين الثانية والثالثة من الهلال اي منذ بضع عشرة سنة . ونحن اول من فعل ذلك في اللغة العربية

واول من سمى هذا العلم بهذا الاسم . وقد استحسن بعضهم هذه التسمية فجارانا فيها وعدل البعض الآخر الى تسميته « تاريخ ادبيات اللغة » ونرى الاسم الاول اقرب الى المراد منه . ورأينا ارتياح القراء يومئذ الى تلك الفصول فعزمنا على تأليف كتاب مستقل في هذا الموضوع ووعدنا القراء به من ذلك الحين واخذنا نعد المواد اللازمة له . وهو عمل شاق يفتقر الى بحث وتنقيب ومراجعة

ولبثنا نترقب الفرص لتأليفه ونشره فاعترض ذلك اشتغالنا بالهلال وملحقاته حتى اخذنا في تاليف تاريخ التمدن الاسلامي وجزءه الثالث يبحث في تاريخ العلم والادب في عهد ذلك التمدن وهو شديد الارتباط بتاريخ اداب اللغة . فكنا اذا ذكرنا تاريخ علم وعدنا ان نوفيه حقه في كتاب تاريخ اداب اللغة وكررنا وعدنا بتاليف هذا الكتاب . فلما مضت سنتان بعد الفراغ من تاريخ التمدن الاسلامي ولم نصدر تاريخ اداب اللغة كتب الينا جمهور من الادباء يطالبوننا به . وتوالت الطلبات على الخصوص بعد تحدث الناس بتدريس هذا العلم في الجامعة المصرية فلم يبق لنا مندوحة عن الاقدام على العمل فاستخرنا الله في مباشرة ذلك بالسنة القادمة على ان يكون الكتاب ملحقاً لهلال تلك السنة وبالله التوفيق

---

## القضاء المصري الاهلي

### لابراهيم افندي الجمال المحامي

من الكتب ما يكتب للفكاهة فقط ومنها ما يكتب للفائدة فقط ومنها ما يكتب لكليهما وكتب الفكاهة كالقصص والاشعار ونحوها هي اكثر المؤلفات رواجاً . تليها الكتب الجامعة بين الفائدة والفكاهة كالتواريخ وما يلحقها من الابحاث الاجتماعية والادبية . واقل الكتب رواجاً ما كان للفائدة فقط وهذه تكون غالباً في المواضيع الفنية كالطب والصيدلية والقضاء والهندسة والزراعة . فهذه المواضيع لا يصبر على مطالعتها الا طلاب هذه العلوم وهم قليلون بالنظر الى مجموع القراء فالمؤلفون فيها انما يكتبون لطائفة قليلة من القراء فهم طبعاً لا يتوقعون رواجاً كبيرا ويكون غرضهم بالاكثر التلذذ باظهار بنات افكارهم وخدمة العلم

ومن اصعب هذه الفنون واكثرها افتقاراً الى قوة العقل وصحة الحكم « القضاء » لتداخل مواضيعه وتفرعها واختلاطها وتعدد اوجه النظر فيها مع تقيد احكامه بنصوص مدونة لا بد من الرجوع اليها وهي القوانين . فضلاً عن الاحكام التي تصدر من المحاكم

قائمة من المراجع التي يصح القياس عليها في ما يعرض من امثالها . فهذه القوانين وهذه الاحكام هي اساس اعمال المحامين والقضاة ولكنها كثيرة ومتداخلة بحيث يشق على المحامي او القاضي احياناً الاهتداء الى المادة المتعلقة بالموضوع المطلوب او الوقوف على الاحكام التي ترشده الى الحكم في مسألة . ولذلك كان ترتيب هذه المواد وهذه الاحكام وتبويبها لتسهيل الوقوف عليها من اهم حاجيات القضاء وهو عمل شاق يحتاج الى سعة علم ودقة نظر وذوق في الترتيب والتبويب

وقد وفق الى ذلك كله رصيفنا القانوني ابراهيم افندي الجمال صاحب مجلة الحقوق فخدم القضاء بالكتاب الذي نحن في صدده « القضاء المصري الاهلي » خدمة نفيسة لانه يشتمل على خلاصة القواعد القانونية المستخرجة من احكام المحاكم الاهلية المصرية في اثناء خمس وعشرين سنة منذ تاسيس هذه المحاكم سنة ١٨٨٣ الى الآن . فهو عبارة عن مجموع آراء المحاكم المصرية الاهلية في المسائل القانونية التي حكمت فيها سواء كان ذلك في الامور المدنية او الجنائية . ويتالف من هذا المجموع شرح ما وجز من احكام القوانين وتفسير ما أُبهم من نصوصه . وهو اول كتاب صدر في العربية من هذا النوع وقد رتبهُ على حروف المعجم ترتيباً يسهل معهُ الوقوف على المادة المطلوبة وذيله بفهرسين احدهما لمواد القانون رتب فيه تلك المواد متسلسلة وبجانب كل مادة ارقام الفقرات الواردة في الكتاب في ما يدخل تحت حكم تلك المادة . والفهرس الثاني للمراجعات على حروف الهجاء

والكتاب جزءان صدر الجزء الاول منهما وثمن الجزءين معاً جنيهان فنثني على حضرة المؤلف ونحث المشتغلين في القضاء واصحاب القضايا على اقتنائه لانه خير معين لهم

# اخبار علمية

**سرعة المناطيد** تختلف سرعة المناطيد باختلاف احجامها وحال الطقس ودقة الصنع ولعل اسرع ما اطلقوه منها البالون الذي طار في ٢٧ سبتمبر الماضي من ستراسبورج فانه قطع في اول طيرانه ٢٤ كيلومتراً في الساعة ثم تزايدت الى ٤٠ كيلو ثم ٧٠ حتى بلغت ١٥٠ كيلومتراً في الساعة

**التليفون في اميركا** في نيويورك ٣١٠,٠٠٠ تلفون لها ٥٣ مكتباً اي شركات تتولى امرها . و بلغ عدد ما تتبادله من الحادثات ١,٢٥٠,٠٠٠ محادثة وفي شيكاغو

١٥٦,٠٠٠ مركز تلفوني وفي فيلادلفيا ١٠٤,٥٠٠ مركز

❋ سفينة بلا حديد ❋ اصطنع معمل كرنجي في وشنطون سفينة شراعية ليس فيها شيء من الحديد مطلقاً والغرض من صنعها استخدامها في الرحلات المتعلقة بالمغنطيسية

❋ خبز اللوز في الديابيت السكري ❋ الديابيت السكري أو المرض الحلو يشكو اصحابه غالباً من صعوبة الوقاية لانه يقتضي الاحتماء عن المواد النشوية وهي اشهى المأكولات والذها وخصوصاً الخبز والرز والبطاطس ونحوها فالامساك عنها يضيق على المريض عيشه . وقد فكر الاطباء في حيلة تخفف عنهم ثقل هذا الاحتماء فوجدوا ان المادة التي يخشى منها في المرض السكري المذكور انما هي هيدرات الكربون وهي توجد بالاكثر في المركبات النشوية على نسب متفاوتة فمنها نحو ٦٠ في المئة في القمح الاعتيادي و٣٥ في الحنطة السمراء او قشر القمح ( السن ) و٢٠ بالمئة في البطاطس ولكنها ٧ بالمئة في اللوز الحلو فهو اقلها ضرراً . فاشاروا باصطناع خبز من اللوز بتقشيره ودقه ومزجه بالزبدة وعجنه وخبزه كما تخبز الحلويات الافرنجية

---

# مطبوعات جديدة

نقتصر في هذا الباب على ذكر ما يظهر حديثاً من الكتب او الجرائد او المجلات اعلاناً لظهورها ولا نتعرض لنقدها اوتقريظها . واذا دعت الحال الى شيء من ذلك نشرناه في باب آخر

١ كتب تاريخية

١ خواطر نيازي : او صحيفة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير تشتمل على ماعاناه احمد بك نيازي بطل الدستور بنفسه في هذا الانقلاب بما دونه في مذكراته ونشره بالتركية وقد نقله الى العربية ولي الدين بك يكن وطبع في ٢٦٠ صفحة كبيرة لخصناها في هذا الهلال والكتاب يشتمل على رسوم كثيرة ويباع في مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وثمن النسخة عشرون غرشاً غير اجرة البريد

٢ تاريخ اسلاميت : هو ترجمة تركية لكتاب تاريخ الاسلام الذي الفه الدكتور دوزي العالم المستشرق الشهير في الفرنساوية وقد ترجمه الى التركية رصيفنا الدكتور عبد الله جودت بك صاحب مجلة اجتهاد التركية التي تصدر بالقاهرة ونشره في مجلدين كبيرين صفحاتهما ٧٤٠ صفحة وعلق عليه حواشي مفيدة . والدكتور جودت آثار حسنة في خدمة

الآداب التركية بما الفه او نقله او نشره من الكتب المفيدة · ويطلب تاريخ اسلاميت من مكتبة التأليف بشارع عبدالعزيز وثمن النسخة ٢٤ غرشاً واجرة البريد خمسة غروش

٣ تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار : هو كتاب كبير في وقائع قازان والبلغار وملوك التتار تاليف م · م · الرمزي ظاهر مطبوعاً في روسيا في جزئين صفحاتهما معاً نحو ١٣٠٠ صفحة وهو فريد في بابه · ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة خمسون غرش والبريد ٧ غروش

٤ Palestine, Helenisme et Clericalisme هو كتاب بالفرنساوية الفه فريد افندي جورج كساب على اثر حوادث فلسطين الاخيرة · وفيه فصول في علائق اليونان بفلسطين من التاريخ القديم الى الآن وتاريخ اخوية القبر المقدس واسباب الخلاف الاخير ونتائجه والكتاب يطلب من مؤلفه بالاستانة

٢ كتب ادبية وشعرية

١ ديوان عبد الرحمن شكري : صدر الجزء الاول من هذا الديوان لناظمه عبد الرحمن افندي شكري وقد حوى مختارات تدلُّ على خيال شعري عال في حضرة الناظم مع صغر سنه

٢ شرح المعلقات السبع : هو شرح الامام الزوزني طبع عن نسخة مضبوطة كانت عند المرحوم الشيخ الشنقيطي وذيلها الناشر بمعلقة للنابغة الذبياني ومعلقة لاعشى بكر وغيرهما ويطلب من مكتبة الشيخ مصطفى الحلبي بمصر

٣ ديوان السموأل : نشرت مجلة المشرق اشعار السموأل رواية ابي عبدالله نفطويه ثم طبعتها على حدة بعناية الاب لويس شيخو اليسوعي · وقد علق عليها ملاحظات عديدة ويطلب الديوان المذكور من مكتبة الهلال وثمن النسخة ٨ غروش صاغ

٤ ايدا او شهداء الشرف : هي رواية غرامية تهذيبية تأليف هنري كونسيانس الكاتب الفرنساوي وقد نقلتها الى العربية السيدة عفيفة اظن وهي تطلب من مكتبة الهلال

٥ سلسلة الروايات العثمانية : هي مجلة روائية ادبية تاريخية لصاحبها جورج افندي سعادة وقد صدرت اعدادها الاخيرة من ١٢ — ١٥ من السنة الاولى وهي عبارة عن الاجزاء الاربعة الاولى من رواية فتاة البوسفور ثمن الجزء ثلاثة غروش وتطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

٦ سكروج : هي رواية اخلاقية اجتماعية تأليف الروائي الانكليزي الشهير شارلس

ديكنس وقد نقلها الى العربية جرجس افندي عبد الملك أحد تلامذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت وتطلب من حضرته

٧ حديقة الروايات : هي مجلة روائية تاريخية مصورة تصدرها شركة نشر الروايات والكتب الادبية . وبين يدينا الجزء الاول منها موضوعه رواية غرام نابليون بمصر تأليف ليون فيال دي رفيير وتعريب جورج افندي مطران وثمن الجزء ثلاثة غروش وتطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

٣ جرائد ومجلات

١ الحكيم : هي جريدة حرة تبحث في كل شيء تصدر في كوردوبا بارجنتين مرة في الاسبوع لصاحبها ومحررها عزيز افندي حكيم بدل اشتراكها ٨ ريالات بالارجنتين و٢٠ فرنكاً في الخارج . وقد صدرها حضرته بقول سليمان الحكيم « اذا دخلت الحكمة بقلبك ولذت المعرفة لنفسك فالعقل يحفظك والفهم ينصرك »

٢ الثريا : هي مجلة علمية ادبية سياسية تصدر في تونس مرة بالشهر لمديرها يعيسى ابن الشيخ احمد بدل اشتراكها ٨ فرنكات بتونس و١٢ في الخارج . وهي غير مجلة الثريا لصاحبها ادوار افندي جدي بمصر

٣ الخرطوم : جريدة ادبية فكاهية اخبارية زراعية تصدر في الخرطوم مرة في الاسبوع لصاحبها ومديرها اسعد افندي يحيى المساح بدل اشتراكها خمسة غروش في الشهر بالخرطوم وثمانية في الخارج

٤ الفوائد : جريدة سياسية ادبية اخبارية تصدر في بورتو الاكري بالبرازيل لمحررها سليمان افندي الزغبي بدل اشتراكها ٢٠٠ غرش برازيلي

٤ كتب لغوية

١ معجم حبشي وايطالي : هو معجم يفسر الالفاظ الامحرية ( الحبشية ) بالفاظ ايطالية تأليف الاستاذ جويدي المستشرق الايطالي الذي اتينا بلقائه في الشتاء الماضي لالقاء الدروس في الجامعة المصرية . والكتاب كبير يدل على طول باع حضرة المؤلف في هذه اللغة ولحضرته عدة مؤلفات في اللغة الامحرية وآدابها اهدى الينا بعضها فدلتنا على اجتهاد الاستاذ المشار اليه في خدمة هذه اللغة

٢ الكتب الخطية اليمنية في ميلان : هو فهرس مفصل لكتب خطية حملت من اليمن الى مكتبة ميلان وقد عني بوضعها الاستاذ جريفيني في رومة ونشرت في كراريس اجزاء

متتابعة مشروحة باللغة الايطالية

٣ الروضة البهية في الدروس الاسبانيولية : هو كتاب لتعليم اللغة الاسبانية لاهل اللسان العربي تأليف حمدي افندي حريز البناني و يشتمل على الالفاظ المستعملة في البيع والشراء والمرض والصحة وكل ما يحتاج اليه في المعاملات اليومية ويطلب من مكتبة الهلال

٥ كتب علمية ومدرسية وغيرها

١ التراب : هو القسم الاول من مكتبة الزراعة التي يحررها احمد افندي مدحت القلبه لي بالتركية وينقلها جودت افندي حلقي الى العربية وتنشر في حيفا كراريس جاءنا منها الكراس الاول في تحليل التراب فاذا توالى نشرها كانت خدمة كبيرة للزراعة وهي تطلب من الناشر في حيفا ( سوريا ) وثمن الكراس ٣٠ بارة

٢ الثروة العقارية : هو كتاب الفه الدكتور الفريد عيد بالفرنساوية عن الثروة العقارية للقطر المصري وديونه المعقودة على رهن عقاري وضمنه بحثاً اقتصادياً في قيمة الاطيان والاملاك المبنية واراضي البناء في القطر المصري ومقدار الديون المطلوبة عليها وقد نقله الى العربية جورج افندي عطاالله وكيل قلم بنظارة المالية . وفيه ابحاث ذات بال بالنظر الى الازمة المالية الحاضرة

٣ رفيق التلميذ : هو كتاب مدرسي وضع على اسلوب يفيد تلامذة المدارس فوائد ادبية وعلمية واقتصادية ولغوية في فصول عقد كل منها لباب او موضوع تأليف نسيم افندي الحلو ويطلب من مكاتب الاميركان وثمن النسخة ٩ غروش

٤ الحرية في الاسلام : محاضرة القاها الشيخ محمد الخضر بنادي جمعية قدماء تلامذة الصادقية بتونس بحث بها في الحرية بالنظر الى الاسلام

٥ تاج العروس : هو كتاب تهذيبي تأليف ابن عطا الله الاسكندري رتبه وانشأ مطالبه وفسر بعض كلماته صالح افندي حمدي حماد ويليه مختارات من حكم المؤلف ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة قرشان

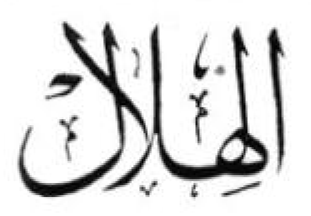
٦ اعظم تذكار للعثمانيين الاحرار : هو كتاب في الحرية ومجلس المبعوثان من تعاليم القرآن لمؤلفه عبدالله افندي العلمي في بيروت وقد طبع بالمطبعة الاهلية ويطلب منها

فاتحة الفتوحات العثمانية : هو رسالة اجتماعية لمؤلفها المرحوم نامق كمال بك بالتركية وقد نقلها الى العربية عبدالله افندي مخلص وفيها ابحاث انتقادية عن الفتوحات العثمانية



# العدد العاشر

أول يوليه سنة ١٩٠٩ م



الجزء العاشر من السنة السابعة عشرة

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٩ و١٣ جمادى الثانية سنة ١٣٢٧

# أشهر الحوادث وأعظم الرجال



عبد الحميد الثاني

يستقبل وفداً من المهنئين بعد الدستور سنة ١٩٠٨

# عبد الحميد الثاني

## حياته السياسية

تكلمنا في الهلال الماضي عن نشأة عبد الحميد الاول حتى تسنم الاريكة العثمانية ، ونحن ناظرون الآن في حياته السياسية وماذا جرى على يده أو في ايامه من الاحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية ثم نصف اخلاقه ومناقبه وحاشيته واعوانه وخطته السياسية وعواملها . ونقسم ما جريات حكمه الى ثلاثة اقسام نبدأ بذكر ما خرج من الولايات عن طاعة الدولة في ايامه ثم الجامعة العربية فالجامعة الاسلامية حتى انتهى حكمه باعلان الدستور :

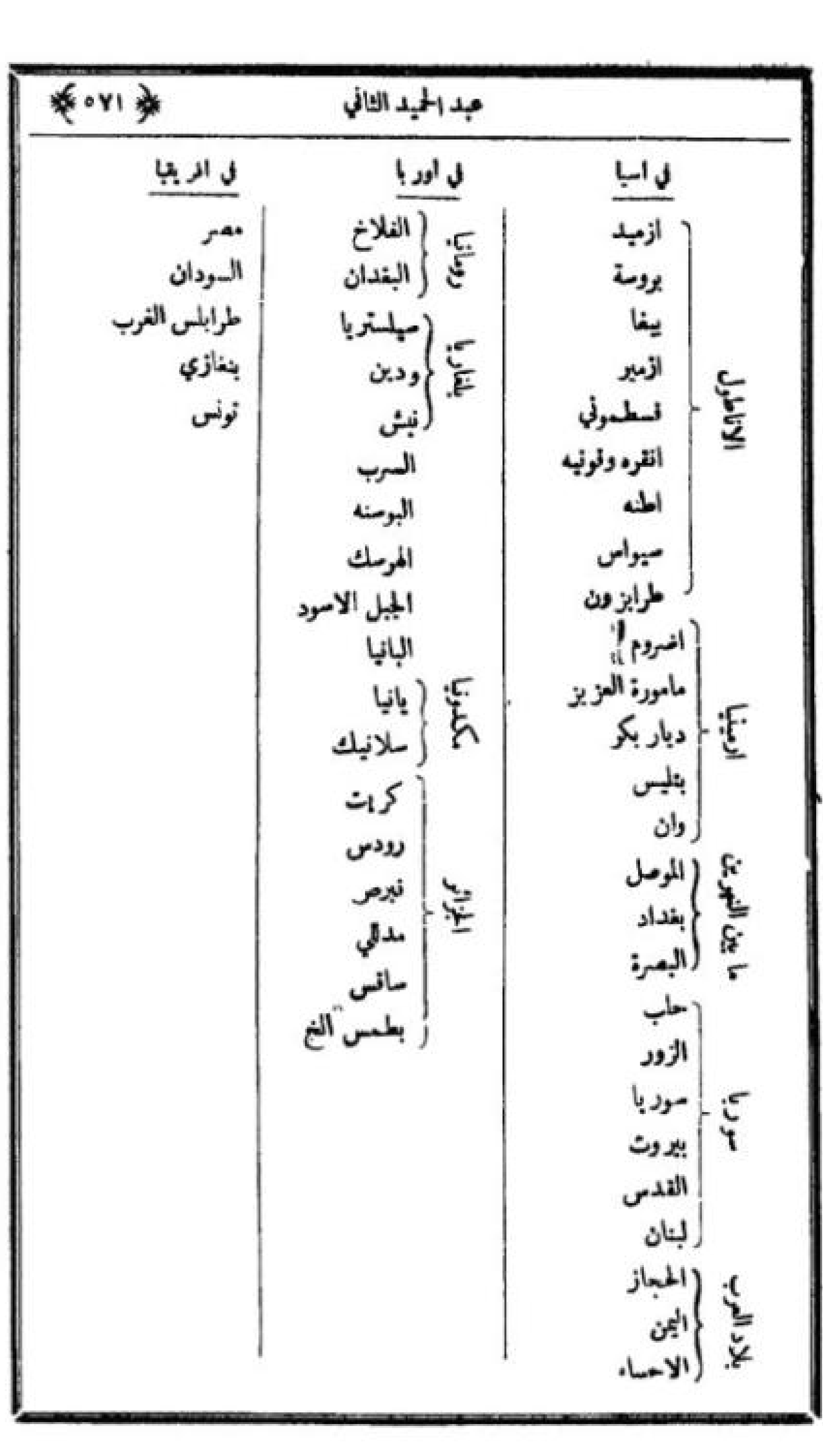
### ماذا جرى في اثناء حكمه

#### ١ — خروج بعض الولايات من سيادة الدولة

بلغت المملكة العثمانية معظم اتساعها في اواسط القرن السابع عشر للميلاد فكانت حدودها الشمالية آخر حدود المجر في اوربا . وكانت املاكها في تلك القارة تشمل بلاد اليونان والروملي وبوسنة والهرسك والصرب والجبل الاسود والبانيا وبلغاريا والمجر والفلاخ والبغدان وكانت املاكها في الشمال بلاد المجر ومايليها شرقاً من تراانسلفانيا وما بعدها من شواطىء البحر الاسود الى بلاد القوقاس . ويدخل في تلك الحدود بلاد بديسان والقرم وسواحل بحر ازوف وقسم من بلاد القوقاس . وفي حدودها الشرقية ولاية جورجيا الى حدود داغستان ويلي ذلك بالشرق والجنوب والغرب ارمينيا وكردستان والاناطول وما بين النهرين وبلاد العرب وسوريا ومصر والسودان وبرقة وطرابلس الغرب وتونس

ثم ضعف شأنها وطمع جيرانها بها فاستقلت اليونان ودخلت المجر في حوزة النمسا وجورجيا في حوزة الروس ثم استولت روسيا على القرم وغيرها

فلما افضت السلطنة الى عبد الحميد سنة ١٨٧٦ كانت المملكة العثمانية مؤلفة من الولايات الآتية :



**في آسيا**

الاناطول:
- ازميد
- بروسة
- بيغا
- ازمير
- قسطموني
- انقره وقونيه
- اطنه
- سيواس
- طرابزون

ارمينيا:
- اضروم (١)
- معمورة العزيز
- ديار بكر
- بتليس
- وان

ما بين النهرين:
- الموصل
- بغداد
- البصرة

سوريا:
- حلب
- الزور
- سوريا
- بيروت
- القدس
- لبنان

بلاد العرب:
- الحجاز
- اليمن
- الاحساء

**في اوربا**

رومانيا:
- الفلاخ
- البغدان

بلغاريا:
- سلستريا
- ودين
- نيش

- السرب
- البوسنه
- الهرسك
- الجبل الاسود
- البانيا

مكدونيا:
- يانيا
- سلانيك

الجزائر:
- كريت
- رودس
- قبرص
- مدللي
- ساقس
- بطمس الخ

**في افريقيا**

- مصر
- السودان
- طرابلس الغرب
- بنغازي
- تونس

هذه هي البلاد التي كانت تتألف منها المملكة العثمانية لما تولاها السلطان عبد الحميد فخرج بعضها بالاستقلال ودخل البعض الاخر في حوزة بعض الدول او تحت سيطرتها بالاحتلال . وهذه هي اسماء البلاد التي خرجت من سلطتها وعدد سكانها يزيد على ٣٢ مليوناً :

| | | عدد السكان |
|---|---|---|
| ١ | الفلاخ والبغدان استقلتا سنة ١٨٧٨ وسميتا رومانيا | ٦,٠٠٠,٠٠٠ |
| ٢ | سيليستريا وودين ونيش سنة ١٨٧٨ سميت بلغاريا | ٣,٠٠٠,٠٠٠ |
| ٣ | الروملي الشرقي استقلت سنة ١٨٧٨ ( جنوبي بلغاريا) | ١,٠٠٠,٠٠٠ |
| ٤ | البوسنة والهرسك دخلتا في حوزة النمسا | ١,٥٠٠,٠٠٠ |
| ٥ | الجبل الاسود استقل سنة ١٨٧٨ | ٢٤٠,٠٠٠ |
| ٦ | الصرب استقلت سنة ١٨٧٨ | ٢,٥٠٠,٠٠٠ |
| ٧ | قبرص احتلها الانكليز سنة ١٨٧٨ | ٣٠٠,٠٠٠ |
| ٨ | اردهان وقارص وباطوم من ارمينيا دخلت في حوزة الروس | ٠٠٠٠٠ |
| ٩ | تونس الغرب دخلت في سلطة فرنسا سنة ١٨٨١ | ٢,٠٠٠,٠٠٠ |
| ١٠ | تساليا اضيفت الى بلاد اليونان سنة ١٨٨١ | ٤٠ ,٠٠٠ |
| ١١ | مصر احتلها الانكليز سنة ١٨٨٢ | ١٢,٠٠٠,٠٠٠ |
| ١٢ | السودان فتحها الانكليز والمصريون | ٤,٠٠٠,٠٠٠ |

خرجت هذه البلاد من حوزة الدولة العثمانية في ايام عبد الحميد خروجاً تاماً الا مصر والسودان فانهما لا تزالان تحت سيادة الدولة بالاسم واما السيادة الفعلية فانها للمحتلين . على ان القسم الاعظم من هذه الولايات كان عند تسنمه العرش في ثورة يطلب الاستقلال ولكن العثمانيين الاحرار انما خلعوا عبد العزيز للنجاة من فساد الاحكام الذي آل الى قيام اهل تلك الولايات ومساعدة الدول الاوربية لهن بحجة الدفاع عن النصرانية . فخلعوه التماساً للاصلاح بانتقال الدولة الى الحكم الدستوري فيكون انتظام الاحوال حجة على الدول اذ يطمئن النصارى ويرضون بحكم الدولة . وقد اشترط الاحرار ذلك على عبد الحميد قبل المبايعة فلما بويع اخلف . ثم حل مجلس المبعوثان كما بينا ذلك في تاريخ الانقلاب العثماني في اول هذه السنة . فانتشبت الحرب بين الدولة والروس وآلت الى معاهدة سان ستفانوس ثم عقد مؤتمر برلين وحكم باستقلال تلك الامارات سنة ١٨٧٨ كما هو مشهور . فلو

اخلص عبد الحميد النية في اصلاح حكومته وابقى على الدستور لرجعت الدول عن مطالبها كما رجعت بالامس عند اعادة الدستور بعد القرار الذي قررته في ملاقاة روال ولم ترجع الا لانها تحققت اتحاد العناصر بالدستور في مكدونية وابطال المنازعات كما ذكرناه في خلاصة خواطر نيازي بالهلال الماضي . فعدلت الدول عن قرارها بل كانت عوناً للاحرار على تدبير شؤونهم . فلو اخلصت الحكومة العثمانية في الاصلاحات المطلوبة لما تولى عبد الحميد وابقت على الدستور لما بقي للدول حجة للمداخلة في شؤونها وبقيت تلك الولايات في حوزتها . ولكنها لم تفعل وسلطانها مسئول عنها لانه مطلق التصرف

وقد اساء السلطان عبد الحميد لمصر على الخصوص فجرَّ عليها الاحتلال الانكليزي بترّدده وفساد مشيريه في اثناء الحوادث العرابية لان الدول كلفته ارسال مندوب ينظر في اخماد الثورة فانفذ درويش باشا وهو غير كفء ولم يتصرف بما يجب فعاد وقد زادت المسألة ارتباكاً واستفحل الامر فخافت الدول على مصالحها بمصر وقررت عقد مؤتمر في الاستانة للنظر في اخماد الثورة اما بجند عثماني او مختلط فابى الباب العالي عقد المؤتمر ولو فعل لأيد سيطرته على مصر بارسال جنوده لمقاتلة عرابي وقمع العصاة ولكنه لم يفعل . ويقال ان بهرام آغا كبير خصيانه اشار عليه بذلك بدعوى ان ارسال الجند يقلل العساكر التي تحافظ على سراي يلدز ! ولو ارسل السلطان الجند لم يكن ثمت باعث على مداخلة الانكليز او سواهم في شؤون مصر على الاقل . ولم يقتصر الضرر على عدم ارسال الجند ولكنه اظهر رضاه عن عرابي بنيشان انعم به عليه فاشتد ساعد العصاة وزاد تمردهم . فاضطر الانكليز الى ضرب الاسكندرية ثم الاحتلال

واعتبر ذلك ايضاً في السودان فان المهدي لما اشتد ساعده واباد جيش هيكس باشا سنة ١٨٨٣ اشارت انكلترا باخلاء السودان وفتحت للسلطان سبيلاً لارسال جيش عثماني لاخماد الثورة هناك بشرط ان يجعل طريقه من سواكن فابى ولو فعل لاستبقى السودان وربما فتحه بلا حرب بما للخليفة من النفوذ الديني

وذكروا في خروج تونس من سيادة الدولة ان السلطان لما اراد ان يقبض على مدحت باشا وهو والٍ في ازمير التجأ الى قنصل فرنسا فطلبته الدولة فتوقفت فرنسا عن تسليمه وتخابرتا فانتهت المخابرة بان تسلم فرنسا مدحت بالشمال وتستلم تونس باليمين فاشترت مملكة برجل وانت تعلم الغرض من القبض على مدحت باشا — وكم صاح الباي واستغاث بالدولة او بالسلطان يلتمس رجوع تونس لسيادة الدولة وما من مجيب

## ٢ ــ نهوض العرب والجامعة العربية

لما وافقت الدولة على استقلال الجبل الاسود وبلغاريا والسرب وغيرها من ولاياتها باوربا تنبه سائر رعاياها لحقوقهم واستضعفوها وقاموا يسعون في الاستقلال ولاسيا العرب والارمن . أما العرب فجعلوا يتحدثون بالجامعة العربية وهي تشمل سوريا والعراق ومصر وبلاد العرب . ووافق ذلك تولي مدحت باشا سوريا على اثر فشله بالدستور فنشط ذلك الشعور في السوريين فانشأوا الجمعيات السرية ونشروا المنشورات التحريضية ونظموا القصائد الثورورية يحثون بها العرب على التشبه بالامم التي استقلت في الروملي واحسنها القصيدة السينية للمرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي ومما جاء فيها بهذا المعنى قوله :

او لستم العرب الكرام ومن هم الشم المعاطس
فاستوقدوا لقتالهم ناراً تروع كل قابس
وتشبهوا بفعال غيركم من القوم الاحامس

يريد التشبه بالجبل الاسود والسرب وغيرهما في القيام على الاتراك . ناهيك بمن قام في جزيرة العرب من طلاب الاستقلال باليمن ونجد وغيرهما وفيهم الامراء والقواد هذا يدعي الامارة وذاك النبوة وآخر الخلافة فظهر ابن عروق في تدمر وثارت المنتفق في البصرة وشمر في بغداد والدروز في حوران وجرد السلطان لحربهم بلافائدة . فقلق خاطره وتولاه الخوف فعمد الى الحيلة فاخذ في التفريق بين العرب بغضب بعضهم على بعض . فقرب جماعة منهم استعان بهم على آخرين وعمد الى الفتك والقتل على التهمة سرًّا وجهراً وبث ارصاده من المشائخ في البلاد يبشرون به وشعر في تلك الساعة بحرج مركزه فصرف اهتمامه الى حماية شخصه بالحرس ولم يعول في ذلك على جند الاستانة فاستقدم شراذم من رعاياه الابعدين على اختلاف عناصرهم واجناسهم بحيث لايخاف اتفاقهم عليه فجعل بينهم فرقة من العرب وأخرى من الالبان وأخرى من الاكراد وغيرهم

واتخذ اعواناً من العرب قربهم اليه وقدمهم على اعوانه من سائر الملل . فقد كان الاتراك والالبان والاكراد والشراكسة كثيرين في مصالح الدولة والباب العالي اما رجال المابين فالنفوذ فيه للعرب واكثرهم من المشائخ اهل الطرق وفيهم ابو الهدى والشيخ ظافر وغيرهما كما سيأتي وكان يعول على هؤلاء في استكشاف الغيب ويستشيرهم في مهامه . فانقذه ذلك من الجامعة العربية التي كان يخافها على حياته وملكه وساعده على مقاومة الاتراك الاحرار المطالبين بالدستور . على انه لم يكن يحسن الظن باحد فتدارك ما يخافه من نهضة العرب



الحرس الالباني في يلدز

بترغيب الاكراد والشركس في المهاجرة الى سوريا وحوران وغيرهما لعلهم ينجدونه اذا تعاون العرب عليه

٣ ـ الجامعة الاسلامية

على ان استسلامه لاولئك المشائخ وامثالهم نبهه الى التمسك بالجامعة الاسلامية وهي تشمل كل مسلم في المملكة العثمانية وفي غيرها . فارسل دعاته في الانحاء لنشر نفوذه باسم الدين بحجة انه خليفة النبي وانشأ لهذا الغرض مدرسة خاصة لتخريج الدعاة وبثهم في هذا السبيل كما يفعل المبشرون المسيحيون في نشر النصرانية فانتشرت دعاة الخلافة الاسلامية في اطراف العالم الاسلامي الى الهند والصين وجزائر المحيط وحيثما وجد المسلمون . فلم يبق مسلم لم يعترف بخلافته كما يعترف الكاثوليك بخلافة البابا حتى زاد المعترفون بسلطته الدينية على ٢٥٠ مليون نفس منتشرين في انحاء العالم تحت سيطرة الدول المتمدنة على هذه الصورة :

| عدد | |
|---|---|
| ٨٢,٠٠٠,٠٠٠ | تحت سيطرة الانكليز في الهند ومصر وغيرهما |
| ٣٤,٠٠٠,٠٠٠ | في مملكة الصين |
| ٣٠,٠٠٠,٠٠٠ | تحت سيطرة هولندا |
| ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ | « « فرنسا في افريقيا |
| ١٨,٠٠٠,٠٠٠ | « « الروس في تركستان وغيرها |

| | |
|---|---|
| ١٦,٠٠٠,٠٠٠ | في المملكة العثمانية |
| ١٠,٠٠٠,٠٠٠ | « مملكة الفرس (؟) |
| ٦,٠٠٠,٠٠٠ | « مراكش |
| ٥,٠٠٠,٠٠٠ | « افغانستان |
| ٤,٠٠٠,٠٠٠ | بلاد العرب |
| ٢,٠٠٠,٠٠٠ | تحت سيطرة الالمان |

وقد بذل في نشر نفوذه الديني كل مرتخص وغال . واجتذب قلوب امراء المسلمين في العالم الاسلامي بالرتب والاوسمة والهدايا فاصبح الامير من هؤلاء وان كان في الهند او الصين يتبرك بهدية الخليفة و يخلص النية في مبايعته و يفاخر اقرانه بالوسام اذا حصل عليه وعرفنا جماعة كانوا يتجرون بالتوسط في منح الاوسمة العثمانية الى ملوك الهند وغيرهم

واتفق ظهور جمال الدين الافغاني في تلك الاثناء وغضبه من شاه الفرس وذهابه الى اوربا فاستقدمه عبد الحميد اليه سنة ١٨٩٢ فكان افضل وسيلة لنشر تلك الجامعة بماله من الشهرة الواسعة في الاطراف البعيدة . وكان عبد الحميد يفعل ذلك سرًّا فلما ترجمنا جمال الدين بالسنة الخامسة من الهلال اشرنا الى ذلك بقولنا « ان المحور الذي كانت تدور عليه آماله توحيد كلمة المسلمين وجمع شتاتهم في سائر قطار العالم تحت ظل الخلافة العظمى » وكان الهلال يدخل المملكة العثمانية بلا معارض فلما ظهرت فيه هذه الترجمة اهتم به المابين وامر تلغرافيًّا بالقبض على اعداده الواردة الى المملكة العثمانية وارسالها الى الاستانة فاضطررنا لاعادة طبعه واصبح الهلال تحت المراقبة من ذلك الحين

وكان للجامعة الاسلامية تأثير في اوربا فقلقت لها روسيا وانكلترا وفرنسا لكثرة من في حوزتهم من المسلمين واصبح المسيحيون في المملكة العثمانية ينظرون الى اخوانهم المسلمين بعين الحذر والحكومة تنصر المسلم على غير المسلم والمسيحيون يرجون نصرة الدول المسيحية فيزداد المسلمون كرهاً لهم وتعصباً عليهم . وظهر ذلك التعصب في اقبح مظاهره في المذابح الارمنية . والسبب المحرك لهذه المذابح ان اعوان السلطان وهم الذين يسمونهم الكارلا كانوا يحسدون الارمن على نجاحهم في الاعمال التي كانوا يتعاطونها في التجارة او السياسة او غيرهما وصاروا يعدون حسناتهم سيئات واخذ حسادهم يتقدونهم ويتهمونهم بالنظائع ويحرضون الحكومة على مناوأتهم . واتهموا عبد الحميد بالتغاضي عنهم لان والدته منهم فاراد ان يدفع هذه التهمة عنه فاثار جيرانهم الاكراد عليهم فابتدات المذابح

الارمنية سنة ١٨٩٤ وهي اشهر من ان تذكر ٠ ويقدَّر الذين قتلوا فيها بمئات الالوف في طرابزون وارضروم وكيغي وارزنجان وبتليس وبيوزت وملاطية وديار بكر وماردين واربكير ووان وغيرها وعقب ذلك مذبحة الاستانة سنة ١٨٩٥



عزت باشا العابد في ابان نفوذه

فهاجت خواطر الدول واخذت تهدد السلطان وتلقي عليه تبعة ذلك وخصوصاً انكلترا فانها ارسلت اسطولها الى مياه القسطنطينية فخاف عبد الحميد خوفاً شديداً ولم يكن يصغي الا الى اعوانه من اهل المابين فسنحت الفرصة اذ ذاك لعزت العابد بالظهور وهو من اهل الذكاء والدها فدخل على السلطان وهو في ابان الاضطراب فخفف عنه واقنعه ان لا بأس عليه من الدول لانهن متباينات في اغراضهن ولا خوف من اجتماعهن عليه ٠ وتعهد له ان يستميل منهن دولة اوغير دولة تأخذ بناصره سرًّا ٠ فاصغى السلطان لرأيه وعدّ وجوده عنده نعمة كبرى وسماه صديقه الوحيد ٠ وقد افلح عزت في نصرته وانقذه من ذلك الخطر فخرج عبد الحميد من تلك الذائع وهو ينفض ثوبه من اثمها واتفق نهوض اليونان للحرب لجرد عليهم فانتصر جيشه فعوض شيئاً من الفشل الذي

كان قد لحق به لكن تلك الحرب آلت الى ذهاب كريت فضلاً عن تساليا و بعض ابيروس·
فاراد توجيه انظار العالم عنه والاشتغال عن سيئاته فاشار عليه عزت بمد السكة الحديدية
الحجازية من الشام الى مكة · واعطى الرخصة بانشاء السكة الحديدية في الروملي
فاشتغل العالم الاسلامي بامر السكة الحجازية مدة طويلة ولهوا بها عن كل شيء وقد جاء
ذكرها في الهلال مرارًا وهي حسنة اذا تمت سيذكرها التاريخ لعبد الحميد

وما انفك الارمن في اثناء ذلك يسعون في الانتقام من السلطان فالقى بعضهم القنبلة
سنة ١٩٠٥ في الجامع فانفجرت وقتلت كثيرين ولم يمس هو بسوء ولكنه اشتد خوفه على
حياته فاخذ يستكثر من الحرس والجواسيس ويبذل الاموال بلا حساب · واراد اخيرًا ان
ينقل ولاية العهد الى ابنه برهان الدين افندي فلم يوفق الى ذلك ثم اتيح للاحرار نيل
الدستور فانتهت حياته السياسية

## صفاته وعاداته واخلاقه

### ١ - صفاته الشخصية

هو نحيف الجسم ربعة او تحت الربعة لا يزيد طوله على خمسة اقدام عصبي المزاج
قوي العارضة متوقد الذهن · وقد تغيرت سحنته في كهولته عما كانت عليه في شبابه لفرط ما
قاساه من بواعث الحذر والخوف على حياته فمن عرفه في شبابه قد ينكره لو رآه اليوم · وترى
ذلك الفرق واضحاً بين رسمه قبل توليه الملك ورسمه اليوم فقد برز فكاه ووجنتاه وخفت
لحيته وتساقط شعر رأسه فصار يغطي صلعته بطربوش كبير ينزله الى اذنيه · ونظرًا لشدة
احمرار الطربوش وكبره يظهر ضعفه وامتقاع لونه ظهورًا واضحاً

وهو يخضب شعره وله انف اعقف ارمني الشكل · وكانت عيناه في شبابه كبيرتين
بارزتين فاصبحتا الآن غائرتين لارتخاء الجفن العلوي من الشيخوخة · و يغلب في سحنته
المظهر السوداوي اذا رأيته تحسبه مثقلاً بالهموم وترى الحذر والخوف باديين في عينيه
وجبينه · ومع ذلك فانه من اقوى الناس على كظم الغيظ واظهار اللطف والاخلاص وفي
عينيه ملامح خفية لا يستطاع السكون اليها الا بالعادة · وفي مجمل سحنته نفوذ واقناع وهو
شديد التأثير على محادثيه فلا يخرج احد من عنده الا راضياً · على ان ملامحه كثيرة
التقلب يظهر فيها الذكاء تارة والبلاهة اخرى والاخلاص تارة والرياء اخرى · وقد قال احد
معاشريه من اعوانه « لا اعلم الى الآن اذا كان السلطان عبد الحميد ذكياً او بليدًا جسورًا
او جباناً حكيماً او معتوهاً » وهو لا يعرف من اللغات الا التركية والفاظاً قليلة من العربية



عبد الحميد في اواخر ايامه

على لهجة اهل الحجاز اخذها عن افواه الخصيان السود في الحرم السلطاني · وكان في صباه يعرف شيئاً من الفرنسوية ولكنه نسي اكثره

وعنايته بالمطاعم والمشارب لا تزيد على ما تقوم به الحياة وليس في حياته زهو او تلذذ بالخيال وانما يقتصر في اعماله على الجد فيندر ان يضحك ولا يحب المضحكين ويتجافى عن سماع النكت · واذا تجاسر احد جلسائه على سرد حكاية من هذا القبيل حول وجهه عنه · وهو لا يشرب الخمر ولا ينام في حجرة مرتين متواليتين · يصب الماء على جسده ثلاث مرات في اليوم ولا يستغرق في النوم ولا يطيله فربما لا ينام من الليل اكثر من اربع ساعات

٢ ـ اعماله اليومية

كان ينهض باكرًا بين الساعة الرابعة والخامسة صباحاً وعليه قميص ( عنتري ) وقفطان طويل من الموصلين ويهرع على قدميه بالبنطوفلي السوداء الى الحمام ولا يكثر من صب الماء في حمامه او هو عبارة عن الوضوء · ثم يتعاطى بعض الحركات الرياضية وينصرف الى قاعة العمل حيث يتناول القهوة يصنعها القهوجي باشي بين يديه · ثم يدخن السيكارة ويكثر من ذلك حتى يكاد لا يقطع التدخين الا وقت الرقاد · وبعد القهوة يتناول فطورًا خفيفاً من البيض واللبن ثم يعمد الى قراءة التقارير التي تأتيه من جواسيسه المنتشرين في اطراف

الارض وقد يساعده في فض الرسائل كبير الخصيان او احد الياوران المقربين . ويأمر بترجمة ما كتب عنه او عن دولته في الجرائد الاجنبية ويتصفحها ويعلق عليها

ونحو الساعة العاشرة يتناول الغداء وهو على الغالب بسيط ثم يأتيه الباشكاتب ويعرض عليه ما حدث فيامر بما يلزم . ثم يعمد الى النظر في شؤون الدولة ويامر الباشكاتب تبليغ ذلك الى الوزراء واشهر من فعل ذلك من باشكتابه وآخرهم تحسين باشا . اما الوزراء فيندر ان يمثلوا بين يديه وانما اعتماده على الباشكاتب

وبعد الاشتغال بضع ساعات في ما تقدم وهو جالس على كرسي طويل يخرج للنزهة في حدائق يلدز . وقد اخذت مساحة ذلك المنتزه تتقلص بتوالي الاعوام وتعاظم الخوف حتى اصبحت في اواخر ايامه قطعة صغيرة من تلك الحدائق يسير فيها على فرسه وبين يديه اثنان من ياورانه وهما مفوضان بقتل كل من يجدانه في ذلك الطريق . واذا احب ان تطول نزهته اصطحب القهوجي باشي ومعه ادوات القهوة ومعداتها ليطبخها عند الطلب . ومن الالعاب الرياضية التي تعودها من صغره اطلاق الرصاص . وقد برع بالاصابة حتى ذكروا انه يكتب اسمه على الحائط برصاص المسدس وهو على بعد ٢٥ خطوة وقد يرمي البرتقالة في الهواء ويصيبها بمسدسه . ومن ملاهيه في ساعات الفراغ انه يدخل دار الحريم فيتناول قدحاً من العرقي لتنبيه شهوة الطعام ويسمع الانغام الموسيقية الشرقية . وكثيراً ما يتلاهى بالصياغة او النجارة او الرسم او التحليل الكيمي ولكل ذلك معدات وادوات في يلدز

وكان يتناول العشاء نحو الساعة السادسة مساء وعشاؤه بسيط ايضاً . وفي تحضير طعامه على بساطته مشقة كبرى لشدة خوفه على حياته وسوء ظنه بمن حوله . ومن الاحتياطات التي اتخذها لوقاية نفسه انه ابعد الطاهي الذي يصنع له الطعام عن كل علاقة باهل الدولة وامره ان يقيم في حجرة مضبوطة النوافذ بابها من الحديد على يسار باب القصر الكبير المسمى باب السلطنة « سلطنه قبوسي » فيصنع الطعام تحت مراقبة الكلارجي باشي وكان لعبد الحميد ثقة شديدة فيه . فمتى نضج الطعام حمله الى غرفة المائدة اثنان من الخدم بلباس اسود على مائدة اشبه بصندوق مقفل طوله ٨٠ سنتيمتراً عليه كساء من السجاد برسم السلطان وراءهما خادم يحمل طبقاً مغطى بكساء اسود وقد ضمت اطرافه وختم عليها بختم الكلارجي باشي ويأتي بعد ذلك خادم يحمل وعاء الخبز ثم خامس يحمل زجاجة الماء مختومة ايضاً . يسير هذا « الوفد » من المطبخ الى غرفة المائدة باحترام فاذا لقيهم احد في اثناء الطريق انحنى احتراماً لصاحب الطعام . حتى اذا بلغوا المائدة ادخل الكلارجي باشي الطعام وفض الاختام عنه

بين يدي السلطان وقدم له الاطباق وعليها الالوان فيتناول ما شاء · وهو لا يتناول الطعام الامنفرداً على غيرنهم او شراهة واذا دعا احداً ليتناول الطعام معه تعد دعوته اكراماً خاصاً

فاذا تناول العشاء عاد الى مطالعة تقارير الجواسيس ثم يذهب الى الفراش متاخراً ولا ينام الا والانوار مضيئة في كل القصر ويقفل الابواب بيده ويذهب الى الفراش والمفاتيح معه · و يطالع قبل النوم بعض الكتب يقراها بنفسه او يقراها له بعض خاصته · والمواضيع التي يميل الى مطالعتها ماعدا التقارير التي يرفعها اليه الجواسيس كتبٌ في القصص الخيالية الحماسية التي يكثر فيها القتل والغدر والنهب والدسيسة وخطف الاولاد والنساء كرواية روكمبول ونحوها والحوادث التاريخية الشهيرة التي فيها حوادث الموت الفظيع على الاساليب الغريبة · واهم كتاب سياسي فلسفي يطالعه انما هو كتاب « لابرنس » تاليف ماكيافالي ونحوه · يقرأ هذه الكتب عليه القارئ وبينهما حاجز حتى اذا غلب عليه النعاس نام نوماً قلقاً يستيقظ لاقل حركة فضلاً عن الاحلام المزعجة التي تتولاه ، وينهض بين الساعة الرابعة والخامسة الى الحمام كما تقدم · وهو يحب من الوان الالبسة غير الزاهية ولا سيما الكحلي والكستنائي والاسود



عبد الرحيم افندي بن عبد الحميد

وله اولاد كثيرون ذكرنا اسماءهم وسني ولادتهم في الهلال السادس من هذه السنة

احبهم اليه البرنس عبد الرحيم لصغر سنه وهو الذي اصطحبه الى منفاه في سلانيك

### ٣ ـ اخلاقه

نشأ عبد الحميد من صغره على الحذر وسوء الظن مع الحرص على حياته والاحتفاظ بها لاسباب التي ذكرناها في كلامنا عن نشأته الاولى قبل توليه الملك • فلما أفضت اليه السلطنة توالت عليه المخاوف ـ بدأت بتضييق عمه عبد العزيز عليه وعلى اخيه مراد بعد رجوعهم من اوربا • اضف الى ذلك ما رآه بعينه من خلع عمه ثم موته ومقتل عوني بجرأة حسن الشركسي ثم خلع اخيه مراد • فرأى حياة السلطان ليست اكثر صيانة من حياة العامة او هي اكثر تعرضاً للخطر منها • فزاد تعلقاً بالبقاء واشتد خوفه على نفسه حتى بلغ الى درجة الهوس او الجنون الحساس فاصبح لا يسمع حديثاً او يرى مشهداً او يقول قولاً او يعمل عملاً الا وهو ينظر من وراء ذلك الى علاقته ببقائه • واضطرَّ للمحافظة على نفوذه واستبداده في اول سلطنته ان يسيء الى بعض الاحرار بالابعاد او القتل بدسائس اشترك بها بعض خاصته فاصبح يخاف نقمة اهل القتل ويخاف دسائس أولئك الخاصة • وازداد ظنه سوءاً بالناس وصار مدار افكاره ومعاملاته على التحذر فاستعان على ذلك بالتجسس وزاده الجواسيس خوفاً على حياته استدراراً لماله فازداد تعلقاً بهم وتجسساً عليهم • فلم يكن يستقرُّ له قرار في ليل ولا نهار ولا يخلو مجلسه أو فراشه أو جيوبه من المسدسات المحشوة يطلقها على المتهم بين يديه لاقل شبهة تخطر له • واصبح لا يثق باحد فاضطره ذلك الى الاطلاع على ما جريات الاحوال بنفسه يقضي الساعات والايام في مطالعة التقارير والاوراق ـ وفي ذلك من الجهد ما لو بذله في مصلحة بلاده لم يصبها سوء • على ان ما كان يبذله في مصلحة الدولة انما كان ينظر من ورائه الى حفظ حياته وبقاء استبداده كأنه وقف حياته على حفظ حياته

واشتدت هواجسه حتى صار يخاف اقرب اقربائه • ذكروا ان جارية شركسية عمرها تسع سنوات كانت تخدمهُ فوقف يصلي بعض الاوقات وامامه مرآة رأى منها ان الجارية خطت خطوة من مكانها وكان قبل الصلاة وقد وضع مسدسه في بعض اطراف الغرفة فظنها ذاهبة نحوه فنهض من الصلاة وهم بقتل الفتاة واخذ باستنطاقها فقامت السراي وقعدت وانتهى الامر بنفي الجارية وعشرات من الجواري — ومثل هذه الحوادث كثير • ورأى مرة من نافذة قصره احد القائمين على تربية نجله سليم افندي يكلم عسكرياً فامر بالقبض عليهما واشتغل بالاستنطاق اسبوعاً

وهو كثير التردد لكنه اذا عقد العزيمة على امر كان حكمه قضاء مبرماً لا يبالي مايبذل في سبيل انفاذه من المال او يقتل لاجله من النفوس ولا سيما اذا كان ذلك في سبيل حفظ حياته

وهو يصدق المنجمين واصحاب المندل و يعتقد الكرامة في المشائخ و يتوهم اقتدارهم على استطلاع الغيب · وفي مزاجهِ غرابة فانه عصبي والعصبي حاد المزاج وهو حادٌ اذا غضب لا يبالي ما يقول او من يضرب او بماذا يضرب · فقد غضب مرة على سعيد باشا فضربه بالدواة · ولهُ مع ذلك قدرة غريبة على الكظم والتظاهر بما ليس فيه بلاطف جليسه و يبتسم له وهو يكاد يتميز غيظاً منه · وقد ظهر ذلك باكبر مظاهره عند اعادة الدستور بالامس · ليس من ينكر انه قاوم الدستور من اول حكمهِ وبذل في سبيل ابطاله كل قواه واموالهِ وقتل الوفاً من الابرياء الاحرار خوفاً من رجوعه · فلما اقرت جمعية الاتحاد والترقي في سلانيك على انذاره باعادة الدستور وبلغ الانذار الى المابين تباحثوا في من يبلغه الى السلطان وهم يتوقعون الخطر على حامل تلك البشرى اليه · فتباعدوا وتقدم اشجعهم ورفع الخبر الى مولاه وقلبه يختلج خوفاً فاذا بالسلطان ابتسم وقال « هذه هي النعمة التي قضيت عمري في انتظارها » ولما التقى الاحرار به بعد نزولهم الاستانة شكا لهم ما كان يقاسيه من العذاب وان الدستور نعمة له كما هو لهم · ولما أدب المادبة لمجلس المبعوثان اظهر سروراً لا مزيد عليه حتى بكى فرحاً · ولم تمض اشهر قليلة حتى ظهر انه كان يدبر الوسائل لقلب الحكومة وخراب المملكة

وفي فطرته ميل الى الحرص اشرنا اليه في كلامنا عن صباه لكنه تغير في كهولته فاصبح يسخى أو يحرص تبعاً للاحوال فربما امسك عن عطية قليلة مرة واعطى عطية كبيرة مرة اخرى لشخص واحد حسب غرضه او ما يتراءى له · وهو شديد التعويل على المال في تنفيذ اغراضه حتى صار يعتقد بالقياس على مايراه من المتملقين حوله انه يقدر ان يرشو غلادستون وبسمارك وملك الانكليز عند الحاجة · وكان المال سلاحه الاعظم في مشروعاته · اما الاوسمة والرتب فكانت من وسائل الاسترضاء او الاغراء ــ ذكروا ان المذابح الارمنية كلفت الخزينة ٦٤٠ وساماً و ٢٣٥٠٠٠ ليرة انفقت على الجرائد الافرنجية لتحويل الانظار عنه فقد ابتاع اقلام كثير من الجرائد واراد ان يرشو التيمس فلم يفلح

وهو يقوم بالفرائض الدينية الاسلامية لكن يظهر من مجمل اعماله انه ضعيف الايمان ولكنه كان يلجأ الى الدين متى اراد به التعصب على المسيحيين او غيرهم او جمع كلمة المسلمين في نصرتهِ

## خطته السياسية

قد علمت مما تقدم من اخلاق عبد الحميد ان اعظمها واهمها حرصه على السيادة وخوفه على حياته وسوء ظنه بمن حوله . فماذا تتوقع ان تكون خطته السياسة غير التمسك بمنصبه والسعي في استبقاء حياته ؟ وهو الواقع فقد كانت وجهته في اول سلطنته مطاردة الذين يظنهم يقاومون نفوذه او يريدون غل ايديه وهم الاحرار . فنفى بعضهم وقتل بعضهم وكسر شوكة آخرين . ثم علم انه اساء الى قوم اقوياء صاروا يترصدون فرصة يثبون بها عليه فزاد خوفه على حياته وهان عليه الفتك في سبيل حمايتها فقامت الحرب بينه وبين الاحرار وهم منتشرون في اطراف المملكة مبثوثون في الامة كالخمير في العجين فاصبح يخاف اجماع الامة عليه فجعل همه التفريق بينها وهي سياسة التقسيم

### ١ — سياسة التقسيم

ان سياسة التقسيم ويراد بها معنى قولهم « قسّم تملك » ليست من مخترعات عبد الحميد فقد اتخذها قبله العباسيون في اول دولتهم اذ خافوا اجماع العرب عليهم لاخراج الملك من ايديهم فاشار كبيرهم على المنصور بالتفريق بين القبائل بالمنافسة بين اليمنية والمضرية ففعل واستتب له الملك [١]

وعبد الحميد لما خاف اجماع الامة عليه وهو يعلم انه اساء اليها اخذ في التفريق بين عناصرها بايغار صدور بعضها على بعض: اما بالتعصب الديني بين المسلمين والمسيحيين بالجامعة الاسلامية او بين الطوائف النصرانية بالتحاسد فيهب هذه الطائفة امتيازات يحرم منها تلك ويقدم هذا البطريرك ويبعد ذاك ويسرّ الى هذا تفضيله على ذاك مما يثير الضغائن والاحقاد ويباعد ما بين القلوب . او يلجأ الى التعصب الجنسي بين الاتراك والعرب والارمن والاكراد والشركس وغيرهم فيقدم البعداء ويبعد الاقرباء ولذلك قدم العرب يستعين بهم على الاتراك واحسن الى الاكراد والالبان وهم اهل حرب وشدة فاوهمهم انهم اقرب اليه من سواهم فاصبحوا يفتدونه بارواحهم في المحافظة على حياته واشتد كرههم للاجناس الاخرى التي هي اقرب منهم الى المدنية كالاتراك والارمن

وقد اتبع هذه السياسة في علاقاته مع الدول فكان يوهم كل دولة انهُ لا يعوّل على

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي ج ٤ ص ١٣١

سواها . يصرّ ذلك الى وكلائها في الاستانة فيقوم التنافس بين الوكلاء وكثيرًا ما كان يؤثر ذلك في علائقهم السياسية . واما في الشعوب العثمانية فقد أدت تلك السياسة الى المنازعات والفتن والمذابح وآخرها حدث بالامس في اطنه

واتخذ اسلوبًا آخر من التقسيم بين اهل البلد الواحد فهو بالاجمال ينصر المسلمين على غيرهم لكنه كان يزيدهم تفريقًا بنصرة الضعيف على القوي فيجعل الحكومة تاخذ جانب الفئة القليلة . فالبلد الذي يزيد فيه المسيحيون على المسلمين تاخذ الحكومة فيه جانب المسلمين كما كانت تفعل في بيروت لحفظ الموازنة — وكان ذلك من اكبر اسباب النزاع الذي اشتهرت به بيروت في العهد السابق — لانها اذا نصرت القوي اذعن له الضعيف واتحدا . ولهذا الغرض كانت تاخذ جانب المسيحيين في دمشق لانهم اقل عددًا من المسلمين فيها . وقس على ذلك سائر الولايات

وخوفًا من ان تونق احدى الولايات الى والٍ حكيم يجمع كلمتها كان يختار الولاة من خاصته ويقيد اعمالهم بارادته و يفرق بينهم و بين الجند الذين هم في ولايتهم . فلم يكن يتفق الوالي والمشير في ولاية الا نادرًا بل كان كل منهما عينًا على الآخر . واعتبر ذلك ايضًا في نفس الاستانة فانه القى الضغائن بين وزرائه وكتابه وشيوخه وعلمائه بتقديم بعضهم على بعض . فابعد عن الاستانة من اهل الحل والعقد الذين يخاف اجتماعهم وابقى فيها من يعلم انهم لا يجتمعون . وجرت عادته ان يعد كل وزير في الوزارة بالصدارة حتى لا يعيش الصدر منهم مستريحًا وحتى لا يجد فرصة من مكائدهم ليفكر في خلع السلطان

وكثيرًا ما كان يستدعي الصدور المعزولين ويختلي بهم على علم من الصدر المنصوب ليكون عينًا عليهم لاتنام . وقد استدعى في احدى الليالي المرحوم خير الدين باشا الى المابين ودخل به الى حجرة بعد حجرة بعد اخرى وامر الحاشية ان يغلقوا جميع الابواب فاخذ الصدر المعزول يعظم في نفسه ما سيلقيه عليه السلطان من الاسرار المهمة . فجلس معه مدة طويلة والحديث كله عن الطيور والعصافير وخرج وهو لا يدري على اي شيء بنى عبد الحميد هذه الخلوة بتلك الصورة العجيبة

ولا يخفى ما يدعو اليه ذلك التقسيم من الخراب والفساد وكم في غل ايدي الولاة عن العمل من اسباب الانحطاط لكنه لم يكن يهمه الا بقاء نفوذه ولو خربت المملكة وذبح اهلها

## ٢ — تقييد العقول

و بديهي ان يسعى عبد الحميد في تقييد العقول وقد شاهد بنفسه ان الذين خلعوا عمه عبد العزيز واخاه مرادًا وولوه هذا المنصب انما هم الاحرار المستنيرون بالعلم والسياسة بنصرهم

رجال العلم والادب . وان اعداءه يكثر عددهم بزيادة المدنية وانتشار الافكار الحرة فجعل همه تقييد الافكار فضيق على المطبوعات ومنع الاجتماعات ووقف في سبيل المدارس

اما المطبوعات ولاسيما الصحافة فقد انشأ لها قلماً خاصاً للمراقبة والتضييق عليها وغل ايدي الكتاب وقد فصلنا ذلك في كلامنا عن الانقلاب العثماني في الهلال الاول من هذه السنة تحت عنوان « المراقبة على المطبوعات »

اما المدارس فان التضييق عليها اقرب نتيجة الى ما كان يريده لانها تضيق العقول منذ الصغر فلو استطاع اقفالها جميعاً لفعل ولكن التعليم كان قد بدأ في المملكة العثمانية وانشئت له المدارس الاميرية الاعدادية والرشدية في الولايات وبعض المدارس العالية في الاستانة من زمن عبد العزيز . فلما تولى عبد الحميد اوهم الناس انه سائر على خطة عبد العزيز فانشأ بعض المدارس لكنه تسيطر على طرق التعليم فيها وشدد المراقبة عليها فمنع العلوم الفلسفية والاجتماعية وحظر على الاساتذة القاء الشروح المفيدة للتلامذة وابعد المعلمين العقلاء في جملة من ابعدهم من الاحرار الى فزان وغيرها واصبحت العلوم في تلك المدارس ناقصة حتى علم التاريخ فانه اصبح ضعيفاً وشوهت الجغرافية لما احدثوه من التغيير في خريطة البلاد العثمانية حتى يوهموا الناس انها غير ما هي ! فلم يكن الاساتذة يلقون من العلم الا ما يؤمرون بالقائه وعلى الكيفية التي يوحى اليهم القاؤه بها . فكان احدهم يخاف ان تبدر منه بادرة وهو يلقي درساً في النحو تأول الى وقوع الشبهة عليه

واعتبركم يكون ذلك التضييق شاقاً في المدارس العليا كالمكتب الطبي والمدرسة الحربية ومدرسة الحقوق فهذه العلوم لاتستغني عن الفلسفة باختلاف مواضيعها فانظر مقدار ما كان يقاسيه الاساتذة وتلامذتهم في تجنب الوقوع تحت غضب السلطان اذ لم يكن يؤذن لهم في ذكر « الحرية الشخصية » او « الحكم الدستوري » او « الجمهورية » او ما شاكل من انواع الحكومات

فلو تركت الناشئة العثمانية لرحمة المدارس الاميرية لكانت في ظلام دامس لا يرجى معه الخروج الى النور . ولكن الفضل في ما انتشر بين العثمانيين من انوار العلم وروح الحرية مرجعه الى المدارس الاجنبية التي انشأها اهل البر من اغنياء اوربا واميركا كالمرسلين الاميركان والانكليز واليسوعيين والعازاريين والابروسيانيين وغيرهم — فهذه المدارس كانت متمتعة بالحرية في بث العلوم تحت رعاية دولها واكثرها جنوحاً الى استقلال الفكر المدارس الاميركانية

والجمعيات على اختلاف غاياتها تدعو الى اتحاد القلوب فهي تخالف سياسة عبد الحميد فلما تولى العرش كانت الجمعيات قد اخذت بالظهور في المملكة العثمانية ولا سيما في زمن مدحت واعوانه فتشكلت الجمعيات تلقى فيها الخطب وتدور المناقشات وفيها الجمعيات السياسية والعلمية والادبية والخيرية والدينية فجعل همه محاربتها ومنع تشكيلها حتى الخيرية منها فكثيراً ما حلوها بحجة انها تنطوي على غرض سياسي . وقد تكون التهمة في محلها لان الشعب المستنير كان يميل الى الاجتماع والتضافر على قلب الحكومة الظالمة فينتحل اسم الجمعية الخيرية للغرض السياسي . وكان للماسونية فضل كبير في هذا السبيل

٣ ـ مطاردة الاحرار والتجسس

وعجز عبد الحميد مع ذلك عن مقاومة تيار التمدن فانتشرت مبادىء الحرية في المدن القريبة من بلاد الحرية بما تلقاه اهلها في المدارس الاجنبية او ما كانوا يطالعونه من الكتب بظل الحمايات الاجنبية او بالمهاجرة الى تلك البلاد بمصر واميركا واوربا ـ فتكاثر الاحرار المطالبون بالدستور والقائمون على الحكومة الظالمة فاصبح همّ السلطان مطاردتهم والفتك بهم سراً او جهراً فقتل بعضهم بالسم والقى جماعة في مياه البوسفور فذهبوا طعاماً للاسماك والى ذلك اشار حافظ بقوله يصف عبد الحميد :

مشبع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنود

وكم ابعد من الاحرار الى اطراف البلاد شرقاً وغرباً وجنوباً ليموتوا جوعاً وقهراً . وقد فصلنا ذلك في كلامنا عن الانقلاب العثماني في الهلال الاول من هذه السنة تحت عنوان « العثمانيون الاحرار » ويقدرون جملة الذين قتلوا في اثناء تلك المطاردة في مدة حكم عبد الحميد بنحو ١٠٠٠٠ نفس معظمهم من الادباء الاحرار غير مئات الالوف من قتلى المذابح

وانشأ عبد الحميد لمطاردة الاحرار وعرقلة مساعيهم طغمة الجواسيس ينفق عليها الاموال ويذعن لما تقوله فكم قتل من الابرياء اعتماداً على قول الجواسيس فكان يقتل على التهمة اتبع بها سياسة العباسيين كما اتبعها في سياسة التقسيم . وقد فصلنا تاريخ الجاسوسية بالمملكة العثمانية في الهلال الاول من هذه السنة ايضاً

٤ ـ تبديد الاموال

ان انشاء طغمة الجواسيس لمطاردة الاحرار اقتضت بذل المال الكثير وقدروا ما كان ينفقه في هذا السبيل بملايين الجنيهات تقل بها الوفاً من الناس ـ على ان الحكومة

كانت في ايامه تدفع رواتب لجماعات عليهم اسم الموظفين وما هم الا خدمته في اغراضه او محبوسون بامره في الاستانة تصرف اليهم تمتعاتهم ثمن السكوت والاغضاء . وقد انعم على بعضهم بالرتب العالية وفيهم عشرات من المشيرين ولا يزيد عدد أصحاب هذه الرتبة في الدول الاخرى على عدد اصابع اليد الواحدة . وانما منحهم هذه الرتب ليحق لهم تقاضي الرواتب استرضاء لهم وزاد رواتب الوزراء وفرض الرواتب لاناس لاوظيفة لهم . وهذه اسماء بعض المصالح التي وجدت لقبض الرواتب ومقدار رواتبهم الشهرية :

| جنيه | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| ٦,٠٠٠ | رواتب اعضاء شورى الدولة | | | | | | | | |
| ٦٥٠ | » | » مجلس المعارف | | | | | | | |
| ٥٠٠ | » | » الجمية الرسومية | | | | | | | |
| ٤٥٠ | » | » مجلس البلدية | | | | | | | |
| ١٠,٠٠٠ | » | القواد الحائزين على رتبة المشيرية وهم ٤٠ مشيراً | | | | | | | |
| ١٠,٩٢٠ | » | » | » | » | » | فريق | » | ١٥٦ | فريقاً |
| ٩,٠٠٠ | » | » | » | » | » | لواء | » | ٣٠٠ | لواء |
| ١,٠٢٤ | » | الياوران الخصوصيين | | | | | | ٢٥٧ | ياوراً |
| ٣٥,٥٤٤ | | | | | | | | | |

هذه رواتب شهرية تبلغ في السنة نحو نصف مليون جنيه . اضف اليها الزيادات التي كان يسترضي بها السلطان صنائعه من الوزراء وغيرهم وهي كثيرة ايضاً . كان راتب الصدر الاعظم ٣٠٠ جنيه عثماني فجعله ١,٢٠٠ جنيه . ورواتب سائر الوزراء جعلها ٥٠٠ جنيه بعد ان كانت ٢٥٠ جنيهاً . وجعل راتب شيخ الاسلام ٦٠٠ جنيه وفرض الرواتب للمشائخ كابي الهدى والشيخ ظافر ونحوهما غير ما كان يسلبه هؤلاء وغيرهم من الاموال بغير وجه الحق

والحكومة من الجهة الاخرى في ضيق مالي تعجز معه عن اداء رواتب العساكر وصغار المأمورين فلا يقبض احدهم راتبه الا نادراً وانما تفرق الاموال في رجال المابين حاشية السلطان عبد الحميد وهم اهل الدولة واصحاب النفوذ

## حاشيته واعوانه

يراد بحاشية عبد الحميد واعوانه اهل المابين . والمابين يطلق في اللغة التركية على حجرة في القصر لها بابان باب يؤدي الى جهة الحرم وباب الى جهة الخدم . واطلقت في الدولة العثمانية على السراي السلطانية كما يطلق لفظ عابدين على السراي الخديوية

والسراي السلطانية ويطلق عليها ايضاً اسم « يلدز » مؤلفة من دوائر عديدة نقتصر على ما يختص منها بالحاشية اي الدوائر التي كان يقيم فيها اعوان عبد الحميد وهي : دائرة الجيب الهمايوني ودائرة الباشكاتب ودائرة المابينجية ودائرة الباش اغا ودائرة الجواسيس . وقد عولنا في تحقيق ذلك على ما كتبه المرحوم ابراهيم بك المويلحي في ابان سلطة عبد الحميد

والداخل على السراي السلطانية يمرُّ اولاً بالباب الخارجي وهو العتبة ويسمونها « عتبه فلك مرتبة » اي التي في مرتبة الفلك فيجد الداخل نحو ١٥ من البوابين ثم يستطرق الى حجرة لها اربع نوافذ فيها كاتب معه دفتر يكتب فيه اسماء الداخلين والخارجين . فاذا جاءهم مجهول سالوه عن اسمه وعمن يريد مقابلته ثم يوقفونه ريثما يذهب احدهم فيسأل من يريد الرجل مقابلته فان رضي بدخوله ادخلوه بعد ان يأخذوا ما معه من عصا او مظلة ويكتبوا اسمه واسم من دخل عنده ثم يقابلون في آخر اليوم اسماء الخارجين بالداخلين وبعدها يقدمون الدفتر الى مكلف غير دائم بقراءته فان راى فيه غريباً عرض اسمه واسم من دخل عنده الى السلطان وهو ينظر في الطريقة التي يختارها من طرقه المختلفة لاكتشاف حال الداخل والعلاقة مع مدخله — اما الدوائر فهي :

١ دائرة الجيب الهمايوني : — هي عند باب السراي كانت تحتوي على رئيس ومترجمين عليهم غير وظيفة التجسس ان يترجموا ما يأمر السلطان بترجمته من الجرائد الاوروبية على اختلاف لغاتها ومن اللغة العربية . ولا يخفى ما يستطيعون دسه من المغامز والدسائس . وكان في تلك الدائرة قاعة للاضياف الاجانب الذين يقصدون رؤية الموكب السلطاني يوم الجمعة فيجتمع فيها احياناً نحو ٥٠ شخصاً من السفراء والامراء الاجنبيين بنسائهم واولادهم لمشاهدة ما لا مثيل له في بلادهم من الابهة والزينة ويشاهدون الخيول العربية بعساكرها الشاهانية صفوفاً والرعية على اختلافها وقوفاً والقواد بملابسهم الذهبية ونياشينهم المجوهرة يحيطون بالمركبة المذهبة وفيها السلطان عبد الحميد . ويرسل السلطان

رجلاً من خاصته يبلغ سلامه الى الضيوف

٢ دائرة الباشكاتب : — كانت اجل الدوائر قدراً واهمها عملاً تحتوي على الباشكاتب وعلى عشرين كاتباً من ذوي الرتبة الثانية الى رتبة بالا وهم من الشبان الناشئين على الاخلاق الجديدة وكلهم عيون على الباشكاتب وهو عين عليهم . وقد باعد الشك في بينهم فتراهم جميعاً وقلوبهم شتى . وكان الباشكاتب الواسطة العظمى بين السلطان والحكومة اي يبلغ ارادته واوامره الى الصدر الاعظم او شيخ الاسلام . واشهر اولئك الباشكتاب واقربهم عهداً منا تحسين باشا . وقد نال هذا المنصب بالدالة والوساطة



تحسين باشا في ابان نفوذه

وعلى الباشكاتب ترد جميع الاوراق الرسمية من الباب العالي ومن المشيخة الاسلامية ومن سائر النظارات وسائر الولايات وتصدر عنه الى الباب العالي وجميع الجهات . وهو

يبعث بملخصاتها لتوضع على المكتبة السلطانية فيتلقى عنها الارادات بتبليغ المابينجية او من يأمره السلطان بالتبليغ من الذين في الحضرة الشاهانية • والباشكاتب يبعث بالارادات السنية بامضائه في اوراق صغيرة الى الصدر الاعظم اوالى من تخصهم من الوكلاء والوزراء

وحين يستلم الصدر الاعظم او غيره تلك الارادات يكتب على ورقة المرسل بها ساعة الاستلام و الدقيقة • ولدى الباشكاتب دفتر يكتب فيه المبلغ للارادة وصورتها ودقيقة صدورها ويمضي ما يكتبه بامضائه • وهذه عادة جديدة لم تكن من قبل احدثها ارتكاب بعض المبلغين تبليغ ارادات لا اصل لها

وكان الباشكاتب ركناً عظيماً من اركان الجواسيس في السراي وهو يعرض فوق وظيفته الرسمية العليا اوراق الخفيات التي ترد عليه منهم • ولها النصيب الاوفر من عنايته واهتمامه فلاتلبث في يده الا ريثما يتناولها فيبعث بها الى الحجرة الشاهانية فتذهب اسرع من منحدر سائل ليتلقى عنها الارادة في الحال سواء كانت ارادة استنطاق او استيضاح او التفات او احسان على من قدمها • بخلاف الاوراق الرسمية او اوراق ذوي الحاجات فان لها طريقاً في العرض لايتغير وربما تأخرت شهوراً او جاء عليها تيار الاوراق الاخرى ولاينفع البحث عنها

٣ دائرة المابينجية : — المابينجي نسبة الى المابين ويراد بالمابينجية جماعة اختصهم عبد الحميد بالاقتراب منه جعلهم وسيلة بينه و بين الناس • ولذلك كان لهم من النفوذ والتاثير شيء كثير ويطلق عليهم اسم القرناء وقد وصفهم المويلحي بقوله « وهم القابضون على الارواح والاموال والاعراض في ما بقي للدولة في الآفاق من يلدز الى العراق المتصرفون فيها بما ارادوا فلا يسكن لصدر خفقان الا اذا اتصل بسبب من خدمة لم يخدمها وطاعة لاوامرهم يظهرها ومظلمة لاجلهم يحتملها وخيانة لمولاه في هوام يرتكبها »

والمابينجية ستة عليهم رئيس كان في ذلك العهد الحاج علي بك • وهم من اهل الثروة الواسعة قدر بعضهم ثروة احدهم راغب بك بثمانمائة الف جنيه و بعد ان كان فقيراً لا يملك نقيراً • والمابينجية يتناوبون الخدمة فيجلس صاحب النوبة على باب الحجرة التي يجلس فيها السلطان ينتظر الامر لتبليغ الارادات الى الباشكاتب اوغيره • وكان للحاج علي بك حجرة خاصة يرد عليه فيها الوافدون واصحاب الحاجات فيتوسط بينهم وبين السلطان في التبليغ • وهو تابع للطريقة الكيلانية وله ولع بالكلام عن الطرق وتفضيل بعضها على بعض وكثيراً ما تشاجر مع ابي الهدى لان طريقة هذا رفاعية

٤ دائرة الباش آغا : — الباش آغا رئيس الخصيان ولكن بلغ من منزلة بعض الاغوات

في المابين مالم يبلغه كبار القواد والفاتحين او رجال السياسة المحنكون · وممن اشتهر من رؤساء الخصيان بالنفوذ بهرام آغا — ذكروا مثالاً لذلك ان زكي باشا الذي اتهم باضرام نار الحوادث الارمنية دخل على بهرام آغا في مجلس حافل بالوزراء والكبراء حين ارادت الدولة ان تبعثه قائداً على عساكرها في طرابلس الغرب فوقف بين يدي الاغا وقال «يامولاي ان الدولة عينت عبدكم قائداً على عساكرها في طرابلس الغرب ولي أمنية ألتمس من عنايتكم تحقيقها لتكون لي حرزاً من ريب الدهر وهي تقبيل يدكم الشريفة» فقهقه الاغا وقال له «متى وصل قدركم ان يتعدى رجلي الى يدي ؟»

ومن هذا القبيل ان امبراطور المانيا ارسل الى السلطان عبد الحميد نشان النسر الاسود مع برنس الماني فانزله ضيفاً في السراي وقيل لبهرام آغا ان اللائق ان تذهب لزيارته فقال «كيف ازوره وانا التس وهو التس Altesse» ويقال انه هو الذي اشار على السلطان ان لايرسل الجند الى مصر كما تقدم ولما مات خلفه شرف الدين آغا ثم نادر آغا وغيره



عبد الحميد نازلاً من مركبته في يلدز بعد الدستور سنة ١٩٠٨

ومن جماعة الخصيان طائفة المصاحبين وهم يشبهون المابينجية من حيث تبليغ الارادات وقد يلقب بالمصاحب غير الخصيان · وللمصاحبين رئيس كان في ذلك العهد جوهر آغا يليه مظفر آغا وعبد الغني آغا ولكل خصي من اولئك الخصيان طريقة من الطرق كالشاذلية والكيلانية والقادرية والرفاعية فيقادون لمشائخهم و ينفذون اغراضهم

٥ دائرة الياوران : — وهي تحتوي على فحول القواد وقروم الابطال الا انهم غلبوا

على امرهم فكسروا جفونهم للمطامع . والياوران ثلاث طبقات : ياور . وياور اكرم . وياور فخري . وعليهم رئيس يسمى سر ياور . وكان في ذلك العهد محمد باشا صهر السلطان . وعدد الياوران ١٢٠ والياوران الاكارم نحو ٢٠ كلهم من اعاظم المشيرين . والياوران الفخريون ١٣٠ تتفاوت رتبهم من رتبة الملازم الى المشير مما لم يسبق له مثيل

والياور الاكرم فوق كل المراتب قدراً فكان الصدر الاعظم جواد باشا يوقع على اوامر الدولة بقوله « صدر اعظم وياور اكرم » افتخاراً بالياورية . ومن الياوران الاكرم عثمان باشا الغازي بطل بلافنا وكان السلطان التفات خاص اليه فزوج بنتيه من ابنيه . ومنهم مختار باشا الغازي وهو من اعظم القواد فضيلة واعزهم نفساً وكان مع تقربه من عبد الحميد شديد المحافظة على عزة نفسه وحرية ضميره . ودرويش باشا وهو البني الاصل انفذه السلطان الى مصر لاخماد الفتنة العرابية فعاد وقد زادت اضطراماً . واسماعيل باشا الكردي وله منزلة في بلاد الاكراد كما كانت منزلة درويش في البانيا . ولعل السلطان قربهما ليستعين بنفوذهما عند الحاجة . ومنهم شاكر باشا وكان سفيراً للدولة في روسيا . وفواد باشا المصري وتفتخر مصر بعزة نفسه وغيرهم . اما الجواسيس فقد كان لهم دائرة خاصة في السراي السلطانية ولما تكاثروا بطل ذلك الاختصاص

## المشايخ

بقي ان نقول كلمة عن المشايخ الذين اختصهم عبد الحميد بقربه وهم اربعة ابو الهدى الحلبي واحمد اسعد القيصرلي المدني والسيد فضل باشا المليباري المكي والشيخ محمد ظافر المدني المغربي وكلهم عربي او تعرب . واختلف الناس في سبب تقديمهم والغالب انه اراد اكتساب قلوب العرب بهم لاعتقاده نفوذهم في بلادهم وقد رأيت ان كل واحد منهم جاء من قطر عربي . وظن آخرون انه قدمهم لاستطلاع الغيب بما يزعمونه من الكرامة والولاية

وفد ابو الهدى على الاستانة في اواخر حكم عبد العزيز في زي اهل الطرق فاخذ ينشد الذكر في احدى التكايا ويضرب على الدف على رسم الطريقة الرفاعية وله شعر موصل كالرفاعية .. وهو حسن الصوت صبيح الوجه ذكي الفواد فجذب اليه نفوس بعض الامراء المتصوفين من اهل الاستانة ويقولون ان السلطان عبد الحميد رأى رؤيا قصها على حالت باشا وهو من اصحاب ابي الهدى فدله عليه ففسر الرؤيا تفسيراً اعجب السلطان فاحسن اليه فانصرف

وعاد بعد ايام الى المابين وقال ان النبي جاءه في الرؤيا وامره ان يبلغ السلطان كلاماً بلا واسطة فاذن له السلطان بمقابلة خصوصية وهو لا يعرف التركية والسلطان لا يعرف العربية . واراد السلطان ان يكون بهرام آغا المترجم بينهما فابى ابو الهدى وقال انه يبلغه الرسالة بالتركية كما لقنه النبي اياها . فخلا به فبلغه رسالة لا يعلم احد ما هي الى اليوم ونال بها الحظوة عند السلطان من ذلك الحين

والشيخ احمد اسعد القيصرلي المدني تركي الاصل لكنه ولد في المدينة بعد ان تعربت اسرته وكان من الذين يطوفون على الامراء في البلاد للنيابة عمن له حصة منهم في الفراشة النبوية فيقوم مقامه في خدمة الروضة الشريفة . فقدم الاستانة وتردد على السلطان عبد العزيز مراراً وناب عنه في تلك الخدمة . ولما جلس عبد الحميد نال السيد اسعد مكافأة الخادم الامين لانه بشره بالخلافة وما زال يزداد قرباً وبسطة حتى صارت له دائرة خاصة . ولعبد الحميد ثقة بكرامته في شفاء الامراض وهو عامي لا يعرف شيئاً من العلوم والمعارف ولكنه يوقر نفسه بالصمت . وكان يزعم انه من السلالة النبوية في نسبه فتداركه ابو الهدى ووهبه نسبه الرفاعي فجعله عمه بالنسب فذهب ما كان في نفس السيد اسعد من الموجدة لابي الهدى وتصالحا واتحدا على خلاف القاعدة المتبعة في سياسة المابين . ولهذين الرجلين تأثير كبير في سياسة عبد الحميد يطول بنا ذكرها

والشيخ فضل باشا اصله من اهل مليبار واختاره اهل ظفار اميراً فتولى امرهم واراد ان يعاملهم بالاستبداد فقاموا عليه واعانهم الانكليز على اخراجه فجاء الاستانة في زمن عبد العزيز يستصرخ الدولة لتعطيه قوة يدخل بها ظفار فلم تعطه . وكانت له صداقة مع شريف مكة يومئذ فتوسط له لدى عبد الحميد لما تولى فاحسن اليه برتبة الوزارة فاحضر اولاده واستقر في الاستانة وتقرب من السلطان

والشيخ محمد ظافر المغربي من جهة طرابلس الغرب وسكن المدينة فانتسب اليها وله طريقة انتزعها من الطريقة الشاذلية يدعو اليها وتردد على مصر مراراً واتصل بالسلطان بواسطة اخيه الشيخ حمزة وكان في الاستانة في زمن عبد العزيز وله معرفة بعبد الحميد افندي وهو يعلم رغبته في استطلاع الغيب فاخبره ان اخاه الشيخ ظافراً يعرف الغيب فطلب اليه ان يستقدمه فاتى وبشره انه يتولى العرش العثماني سنة ١٢٩٣ هـ فاستغرب قوله لوجود عمه واخيه مراد في قيد الحياة . ولما صدق قوله قربه عبد الحميد اليه كثيراً . وكان كل من هولاء المشايخ يتسابق الى النفوذ عند السلطان بالطعن في رفاقه والسلطان يسره تنازعهم لئلا يجتمعوا عليه

## عواقب تلك السياسة

ماذا ترجو ان تكون عاقبة تلك السياسة الخرقاء غير الانحطاط والتقهقر وذهاب الامن وضياع الحقوق واهمال الزراعة والصناعة والتجارة وفساد الاخلاق والفقر والذل — يقال في الحكم المأثورة « ان الناس على دين ملوكهم » ويقول « ان الناس يكونون كما يكون ملوكهم » حتى في البلاد الدستورية لان الانسان ميالٌ بفطرته الى تقليد الكبراء في اخلاقهم وعاداتهم وسائر احوالهم — وهل في الارض اكبر من الملك ؟ فاذا كان تقياً عمت التقوى بلاده او كان معطلاً انتشر التعطيل بين رعاياه واذا كان مكبراً كثر المكبرون في ايامه او كان مقتصداً اقتصدوا او مسرفاً اسرفوا او صادقاً صدقوا او كاذباً كذبوا . وهم يقلدونه بلباسه وهندامه فاذا ارسل شعره ارسلوا شعورهم او فتل شاربيه فتلوهما او اطال قبعته اطالوها — يفعلون ذلك من تلقاء انفسهم وانى ثمت من يكرههم عليه — فكيف اذا كان الملك مطلقاً مستبداً وقد قبض على الحكومة بيد من حديد واقتضت مطامعه واهواؤه او اغراه مشيروه ان يتخذ مسلكاً خاصاً ؟ هل يجد رعاياه مندوحة عن الذهاب معه في ذلك المسلك ؟ الا من عصمهم الله بقوة الارادة وكبر النفس فانهم يقاومون ما استطاعوا للمقاومة سبيلا او يخرجون من بلده فراراً من الذل — ذلك كان شأن عبد الحميد مع رعاياه في ابان سلطانه . وايضاحاً لذلك نقسم النتائج التي نتجت عن خطته السياسية الى اربعة اقسام :

### ١ — انحطاط البلاد في عوامل المدنية

تقدمت المدنية في الربع الاخير من القرن التاسع عشر تقدماً سريعاً في العالم المتمدن فتضاعفت الثروة وتكاثرت الاختراعات واتسعت التجارة والصناعة والمملكة العثمانية واقفة جامدة ان لم نقل انها رجعت الى الوراء . وراجع الاحصاآت الرسمية لاية دولة من دول اوربا من سنة ١٨٧٦ — ١٩٠٨ تجد النمو ظاهراً في كل فرع من فروعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية . فقد تضاعفت وارداتها وصادراتها ودخل الحكومة وخرجها . وتضاعف عدد السكان ومساحات الارضين المزروعة وانشئت فيها المعامل والمدارس وتفجرت ينابيع الثروة وتفرقت بين الاهلين فشبع الفلاح . وانشئت الملاجئ لاهل العوز وتحسن حال الناس على الاجمال — تجد هذا التقدم ظاهراً في كل مملكة من ممالك اوربا واميركا الا المملكة العثمانية فانك تجدها تقهقرت الى الوراء في اكثر عوامل المدنية في

التجارة والصناعة والزراعة والعلم والادب وفي عدد السكان . اما الثروة فبدلاً من توزيعها بين العمال واهل الاستقامة والاجتهاد انحصرت في خزائن اهل المطامع والفساد

دعنا من المقابلة بين المملكة العثمانية وممالك اوربا وقابل بينها وبين الولايات التي انسلخت عنها بالامس او خرجت من سيطرتها بالاحتلال او الاستقلال وانظر الى الفرق بين الام وابنائها — هذه مصر وما هي الا جزء من المملكة العثمانية قابل بينها وبين الشام جارتها واختها فانهما متشابهتان اقليماً ولغة وديناً — فمع ما توخاه محمد علي وابناؤه من ادخال الاصلاح الاوربي الى وادي النيل ورغم ما انتاب سوريا من النكبات والمذابح في اواسط القرن الماضي كانت سوريا يوم تولى عبد الحميد العرش العثماني لا تقل عن اختها مصر في اسباب الارتقاء وكانت الصحافة فيها على قرب عهدها قد تقدمت وازدهت وكانت حرة تنتقد الحكام وغيرهم . وانظر الى ما صارت اليه في سلطة عبد الحميد وقابل ذلك بحال اختها مصر في اثناء تلك المدة

مرّ على الصحافة السورية اعوام في عهد المراقبة واكثر ما يظهر فيها تزلف وتملق ورياء اذ تحامى ارباب الاقلام عن طرق المواضيع المفيدة خوف العقاب فالفوا الذل واصبحوا اذا ارادوا الكتابة الحرة تعثرت اقلامهم وجمدت قرائحهم . فلما اتاهم النبأ برجوع الدستور بالامس وتحققوا ذهاب المراقبة ظلوا حيناً كانهم في بحران او كالناهض من رقاد عميق او الخارج من الظلمة الشديدة الى النور الباهر لا يعلمون كيف يكتبون . ولا غرابة في ذلك بل الغرابة كيف لم تمت نفوسهم وتجمد قرائحهم وهم رازحون تحت نير الاستبداد يرسفون بتلك الاغلال . فانهم كانوا يماشون مجاري التمدن لا يفوتهم الاطلاع على شيء من محدثات المدنية — يفعلون ذلك خلسة تحت خطر القتل او النفي

وقل مثل ذلك في سائر الوسائل الادبية والعلمية فانها ارتقت في مصر عما في سوريا رغم تسابق الافرنج الى انشاء المدارس والكليات في سوريا . ومع ما ننتقده من تقصير مدارس مصر في التعليم فقد تقدمت مصر شوطاً بعيداً في الصحافة والكتابة ونبغ فيها الكتاب والشعراء والصحافيون والعلماء ووقفت سوريا حيث كانت وربما تقهقرت . ولولا ما في السوريين من النشاط الفطري والاستعداد للتقدم مع التجائهم الى المدارس الاجنبية لذهبت حياتهم الادبية

كان سكان سوريا لما تولى عبد الحميد مليوني نفس فصاروا مليون ونصف؟ وكان سكان مصر ٦٠٠٠٠٠٠ فصاروا ١٢٠٠٠٠٠٠ وكان احصاء بيروت منذ ثلاثين سنة ١٢٠٠٠٠

نقص فرجع الآن الى ١٠٠٫٠٠٠ أو بقي على حاله . اما القاهرة فكان احصاؤها ٣٥٠٫٠٠٠ فصار ٨٠٠٫٠٠٠ وكانت مساحة الارض الزراعية بمصر ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ فصارت ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ فدان . ولو استطعنا احصاء الارض الزراعية في سوريا لرأيناها نقصت عما كانت عليه في اول حكمه . واعتبر ذلك في التجارة من مراجعة دخل الجمارك في البلدين فان واردات مصر التجارية كانت سنة ١٨٧٦ نحو خمسة ملايين جنيه فصارت ٢٥ مليوناً . واما في سوريا فلولا ميل اهلها الغريزي الى التجارة لتعطلت تجارتها . ويضيق المقام عن استيفاء الكلام في هذا الموضوع . واعتبر ذلك في كل بلد انسلخ عن المملكة العثمانية او استقل عنها بادارته في بلغاريا ورومانيا والرومللي وغيرها — فهل من سبب لهذا التفاوت غير الحكومة ؟ وكانت في العهد الماضي محصورة في عبد الحميد

٢ — مهاجرة السكان

ان المهاجرة من نتائج الاستبداد والظلم فلا غرو اذا هاجر العثمانيون في العهد الماضي بالمئات والالوف . واكثر العثمانيين هجرة الارمن والسوريون واليونان وقد ملأوا العالم بهجرتهم واكثرها الى اميركا وهم يعدون هنالك بمئات الالوف . والمهاجرون تخسرهم بلادهم وتخسر ثمار مواهبهم ويغلب ان يكون المهاجرون من اهل النشاط والعمل فالأولى ان تحتفظ بلادهم بهم للاستفادة من ثمار قرائحهم وهممهم

ويعسر علينا تقدير عدد المهاجرين العثمانيين ومقدار ماخسرته المملكة بنزوحهم فنقتصر على مثل قريب مما بين اظهرنا — هذه بلاد مصر وفيها من المهاجرين العثمانيين السوريون والارمن والاتراك واليونان واكثرهم هاجروا في زمن عبد الحميد ولكل طائفة من هؤلاء متاجر ومزارع ومصارف ومعامل تقدر اثمانها بالملايين . ونقدر ثروة السوريين في القطر المصري بنحو ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه فقس عليها ثروة سائر العثمانيين بمصر وثروة سائر المهاجرين منهم في اوربا واميركا والبرازيل وغيرها واعتبر كيف كان حال المملكة العثمانية لو كانت حكومتها عادلة واهلها مطمئنون في ديارهم عاملون على احياء تجارتهم وتنشيط زراعتهم

٣ — التفريق بين العناصر والمذاهب

قد رأيت من اعمال عبد الحميد انه اتبع سياسة التقسيم فاحيا التعصب الجنسي والتعصب الديني وايدهما بالجهل فكان من نتائجهما فضلاً عن النزاع الدائم نمو الضغائن بين الرعايا . فينظر العربي الى أخيه التركي بعين الغيرة وينظر التركي الى العربي بعين الاحتقار . ناهيك بالتعصب الديني الذي اقامه بين المسلمين والمسيحيين فقامت به الفتن وتمكنت

الشنآن فاشتغل بها الناس عن اسباب المدنية • وقام في اذهان الامم المتمدنة ان التعصب طبيعي في الشرق فهو لا يرجى قيامه من سقطته • وانحى بعض سياسي اوربا وعلمائها على الاسلام فاتهموه بمخالفته لمبادىء المدنية وزعموا ان المسلمين لا يفلحون لانهم متعصبون وقال المسلمون مثل ذلك في المسيحيين وغيرهم واصبح العثمانيون انفسهم ضعيفي الامل بنهوضهم • فتراهم بعد اعادة الدستور هذه المرة ينظرون الى تعدد العناصر العثمانية واختلاف المذاهب واللغات وقلوبهم تخفق خوفاً منها على الدستور وفيهم من لا يرجو للدولة العثمانية بقاء بسبب تلك الانقسامات

والحقيقة ان التعصب والانقسام ليسا من طبيعة الشرقيين اكثر مما هما من طبائع اهل الغرب ولكنهما تمكنا فينا بتوالي الحكومات الظالمة وبكثرة الجهل وآخرها حكومة العهد الماضي • فاذا خيم علينا العدل والحرية وانتشر التعليم ذهب التعصب وقلت اسباب الانقسام • والامة العثمانية على اجمالها لم تبلغ من العلم والتربية ما يؤهلها تماماً للدستور كما قلنا في الهلال غير مرة • لانها تحتاج من ذلك الى اكثر مما تحتاج اليه الامم الاخرى بحيث يكون كافياً للتغلب على الانقسامات الدينية والجنسية الخاصة بهذه الامة • وانما نالت الدستور بتعقل الاحرار العثمانيين وحكمتهم وعلو همتهم

وقد طالما أبدينا اعجابنا بما أتاه اولئك الاحرار من قلب الحكومة على هذا الشكل والامة لم يتم استعدادها له وقلنا ان « العقبات في تأييد الدستور اكثر من العقبات في نيله » وقد تأيد خوفنا بالحركة الارتجاعية التي حدثت بالامس فانها من أدلة الجهل المتمكن من نفوس الامة • ففضل الاحرار بنيل الدستور اقل كثيراً من فضلهم بالاحتفاظ به لما يحول دون ذلك من فساد الاخلاق والانقسامات المؤسسة على الجهل من عهد الاستبداد كما تقدم ولا سبيل لازالتها بغير العلم والتربية • اعتبر ذلك في مدينة بيروت فقد ضربت الامثال بتعصب اهلها ومنازعاتهم الدينية فلما تعلموا وذهب المحرض على الفتنة والمثير للتعصب باعلان الدستور اتحدوا اتحاد الاخوة ونبذوا التعصب الديني والجنسي • فكل بلد عثماني ينالها من اسباب التعليم والتهذيب ما نال بيروت يتحد اهله مثل اتحاد اهلها

## ٤ — فساد الاخلاق

العجب اذا قلنا ان حكومة عبد الحميد افسدت اخلاق الناس ؟ لا نستغرب ذلك لان اكثر الخلق ضعفاء يستهويهم العوز الى ما يكرهون • وقليل من الناس من يثبت في مقاومة الرذيلة اذا عضه الجوع او جاشت فيه جائشة الطمع • والاكثرون اذا غالبهم

الفقر ارتكبوا في سبيل النجاة منه ما لا يرتكبونه لو ايسروا · فهم يفعلون الشر عن ضعف في نفوسهم لا عن شرّ في طبيعتهم واكثر الناس من هذا النوع · اما الذين يولدون اشراراً ويفعلون الشر رغبة في الشر فانهم قليلون · واقل منهم من يتمسك بالفضيلة من اجل الفضيلة لا يبالي بما يقاسيه في سبيل ذلك من جوع او اضطهاد — على تفاوت بين هؤلاء لا يمكن تحديده

فاذا كان اكثر الناس عرضة الوقوع في الرذيلة من تلقاء انفسهم التماساً للنفع فكيف اذا شجعهم على ذلك ملكهم او امامهم بان جعل الثروة والجاه جزاء للخيانة والغدر والكذب · وهل فات عبد الحميد باب من ابواب التغرير لم يفسد به اخلاق الامة ؟ ألم يجعل الجاسوسية من اوسع ابواب الرزق وهي من اقبح الرذائل لما تقتضيه من الوشاية والنميمة وما تجر اليه من خراب البيوت وقتل النفوس · وكم حمل الناس على قتل الناس اغراء بالمال او الجاه ؟ وكم كافأ المفسدين ورقى الخائنين وضرب على ايدي الامناء الصادقين وابعد الاحرار المخلصين ؟ فالتف حوله اهل المطامع وقبضوا على ازمة الدولة وساروا في معاملة موظفيهم واتباعهم على الخطة التي ساروا عليها هم · فانتشر الفساد في رجال الحكومة وتفشت الرشوة بين اظهرهم وتطرق ذلك الى الامة فصار التاجر يفتخر انه غش الحكومة بتهريب بضاعته بلا جمرك والصانع يستسهل هضم ما عليه من ضريبة او مال · وتفشى الكذب وذهبت الحرية الشخصية واصبح معول الناس في معاملاتهم بالاكثر على المداجاة — او اصبحت المداجاة على الاقل من السلع الرائجة لان رجال الحكومة يتقاضونها مع رواتبهم !

ففسدت احكام الدولة وتصدر فيها اهل التملق واسندت المناصب الى الذين ينفذون ارادة السلطان وفيهم جماعة كبيرة من المغلوبين على امرهم ساروا مع التيار التماساً الرزق لانهم لا يعرفون باباً للارتزاق غير الخدمة الاميرية · ومنهم من فطر على الشر فزاد في اسباب الفساد من عند نفسه · والامة في خلال ذلك مسوقة بمجاري الاحوال الى مجاراة رجال الحل والعقد

فانتشر الرياء والتملق والنميمة في صغار النفوس وقاسى الاحرار كبار النفوس الامور العظام في مقاومة ذلك التيار العظيم ومات منهم الوف كمداً ويأساً واضطر بعضهم الى الرجوع عن جهادهم فلازموا السكوت فراراً من القتل او مرارة الفقر ولذلك كان بين اصحاب العهد القديم كثيرون يستحقون الاغضاء عن ماضيهم للانتفاع بمواهبهم · ولا نظن رجال الدستور يغفلون عن ذلك لما فيه من الاستقواء وجمع الكلمة ومنع القيل والقال

وسنصف يلدز ومواكب السلطان في فرصة اخرى

# هل في الوجود عالم آخر

حضرة صاحب الهلال

لما كتبت اليك موجزاً ومشيراً لم يكن قصدي ان افتح معك باب المساجلة في مسألة اعتقادية خلافية تتعلق بالمبدإ والمعاد خشية ان يجرنا الدخول في ذلك الى اخذ ورد لا ينتهيان لاختلاف نظر كل واحد فيهما بحسب مواقفه واهوائه و يوقعنا والجمهور معنا في مغالطات اجتهادية عقلية لا يكون معها تهافت الفلاسفة وتهافت التهافت شيئاً مذكوراً

وانما كان قصدي التنبيه الى مسألة علمية بسيطة لا يصح ان يجاز علينا فيها ما قد يجاز في المسائل النظرية العقلية البحتة . وهي نسبة العالم المادي الذي قلت ان نظامه التام يدل على حكمة فائقة — الى العالم الادبي الذي لم تجد فيه هذه الحكمة . وما قلت قولك هذا الغريب في العلم الا لتستخرج منه هذه النتيجة الاغرب في الحكم « من ان الصانع الحكيم لا يعقل ان يتم شيئاً ويدع الآخر ناقصاً فلا بد ان يكون قد أعد الكمال الناقص هنا في عالم آخر هو عالم البعث »

ولا يخفى ما في هذا القول من الاضطراب مع مخالفته للمقرر في العلم الطبيعي من تلازم العالمين الواحد للآخر وتوقف احدهما على الآخر . ولو لم تجعل سندك هذا العلم لتقرير مقدمتك ونتيجتك لما جاز لي الاعتراض عليك

ولقد اشرت في ما كتبت اليك بكلام صريح الى ان فقد الحكمة من العالم الادبي كما تقول والذي قلت انه نقص في الخلق كائن هو نفسه ايضاً في العالم المادي نفسه اذا نظرنا اليه نظرك اي بالنسبة الى غاية الخلق وهو واضح جيداً في عالم الاحياء الذي منه الانسان المقصود بالذات من البعث . وكلامي هناك على ما فيه من الاقتضاب كافٍ لان ينبه من ذهب عليه ذلك لا لنقص في العلم بل لباعث آخر غلبه فيه فصرفه عنه لعله يراجع نفسه فيصحح حكمه في ما بناه على مثل هذه المسألة العلمية المنافية لغرضه لئلا يكون التشبث بذلك أدعى الى الوقوع في مغالطات علمية أيضاً تكون الجناية فيها مزدوجة على العلم والاعتقاد معاً

على ان بيانك الذي اتيت به بعد ذلك دلني على انك لم تعبأ باهمية هذه الاعضاء الأثرية فلم تعتبرها آثاراً منافية لغاية الخلق الاستقلالي ومنقصة لتلك الحكمة الفائقة في الخلق بل صرفت النظر عنها واخذت تدلني على تلك الحكم الفائقة في نظام العوالم وتوجه

نظري اليها تارة في الافلاك وطوراً في الارض من نظام الاجرام السماوية الى نظام الاجسام الارضية من الانسان فالحيوان فالنبات حتى الجماد

والحق اقول اني غير صعب المراس وان كنت غير متساهل في القياس فجاريتك الى ابعد من مبتغاك ونظرت معك في نظام الافلاك وتحوّل السدم الى شموس واقمار وزدت عليك باني نظرت وحدي الى انحلال هذه الشموس والاقمار ورجوعها الى السدم. ونظرت في حركات الرياح وتساقط الامطار وأعجبني منك قولك فيها « وتسلسل اسبابها ». ونظرت الى تحليل المواد وتركيبها على نسب محدودة وقلت في نفسي هل كان يمكن يا ترى غير ذلك. ثم نظرت الى توالد الاحياء من بيضة أو جرثومة ثم قلت ما الحكمة من وجود هذه الاعضاء الاثرية التي لا معنى لها في محفظة هذه البيضة او الجرثومة التي اختصر فيها هذا الخلق البديع المستقل. نظرت في كل ذلك فلم اجد في بعض ما ادركته مما أوسعت له مجال الاسهاب تلك الحكمة المقصودة ولا تلك الغاية المرغوبة. وانما وجدت في سردها من الاطناب ما هو أدعى في بعض المواقف الى الاعجاب. على انك لم تقصد بذلك الا اكثار الادلة لبيان الحكمة الفائقة في الخلق لا بديع ما في قوله ويسألونك عن الاهلة. ولكنهُ بيان لو تدبرناه جيداً لوجدناه يرمي الى ضد ما تقصد فانك قمت تؤيدني من حيث قصدت ان تناقضني. اقول ذلك لا عن تعنت كما ربما تظن بل عن برهان واليك البيان

الذين يقولون بالمعاد في غير هذا العالم هم اصحاب الخلق. وهم اصحاب الخلق الاستقلالي اولاً — قلت اولاً لان بعض هؤلاء يميلون اليوم الى القول بالخلق الكلي — فهؤلاء يجعلون كل جنس مخلوق من المخلوقات التي يتألف منها العالم اجمع خلقاً خاصاً. واخص هذه المخلوقات عندهم الانسان الذي خلق كل شيء من منظور وغير منظور لاجله. فهو عالم مستقل بنفسه علاقتهُ بهذا العالم المنظور عارضة لايلبث ان ينفك عنها الى العالم الآتي غير المنظور الذي هو مقرّهُ الدائم والذي علاقته به جوهرية. اليس هذا هو الاعتقاد الشائع الذي تعلم به الكتب الدينية والذي هو اساس اوليتك ؟

ولنحصر كلامنا في هذا الانسان الذي هو محور هذا الاجتهاد من كل هذا البحث بالنظر الى معاده لنرى اولاً ما اذا كانت علاقته بهذا العالم عارضة أم جوهرية. وثانياً لنعلم ما اذا كان الذي يطلق على كل الطبيعة يطلق عليه أيضاً ام هو ممتاز عنها يجوز له الانفراد وحده بامتيازات تجعله فوق الطبيعة فتجرّد عنها

لا يجوز لي في هذا المقام بالنسبة اليكم ان ادخل معكم في بيان كون الانسان في تكوينه

حيوانًا في أعلى درجة من سلم الحيوان تربطه به روابط تدل على انه مرتقٍ عنه وانه كان في بعض العصور غيره الآن . فاني لا ارتكب مثل هذا الخطأ مع من اعده يعلم ذلك جيدًا كما هو مقرّر اليوم في العلم والذي هو نفسه يقول لي « كم من الحكمة في نمو النبات بتحويل المواد الترابية الى مواد حية وفي نمو الحيوان بتحويل المواد النباتية الى حيوانية ثم ترجع تلك المواد بعد الموت الى التراب » فانتم تعلمون جيدًا ان في الاحياء وخصوصًا في الانسان اعضاء اثرية أي زوائد لا معنى لها في خلقه كما هو الآن . وان كنتم تقولون مع ذلك « على اننا اذا تدبرنا هذه الزوائد رأيناها تنحصر في عالم الحياة وهو جزء صغير من المخلوقات »

ولا اقف عند هذا القول لاردّ عليه بقولي : اما كون عالم الحياة جزءًا صغيرًا من المخلوقات ففيه نظر سواء نظرنا اليه بالنسبة الى ارضنا أو بالنسبة الى العوالم الاخرى التي لا نعلم عنها شيئًا من هذا القبيل . وهو في ارضنا ليس صغيرًا بالقدر الذي يستفاد من هذا الكلام . وصغيره يكاد يكون مالئًا الارض كلها ومتخللًا كل اجزاء الجماد وله في تحليله وتركيبه وتحولاته شأن عظيم ـ فان هذا البحث ليس من غرضنا هنا . بل اقول انه مهما يكن من ذلك فعالم الاحياء جزء مهمٌ جدًا في بحثنا لانه يشتمل على الانسان الذي هو موضوع البحث في العالم الآخر

وانتم تعلمون ان هذه الاعضاء الاثرية التي ليس لها معنى في تكوين الانسان كما هو الآن كان لها معنى في الماضي يوم كان تكوينه غيره اليوم . وهي كثيرة جدًا وليس المقام مقام بيان وجودها واثبات عدم نفعها فيه ونفعها في سواه كما هو مبسوط في محله وكما تعلمونه جيدًا . بل انتم تعلمون ان هذه الآثار اقوى دليل على تسلسل الخلق وترابطه وعلى ان الانسان مشتق من الحيوان بالارتقاء . ولكن بعد هذا العلم ما ذا يكون مقامها في الخلق الاستقلالي واين الحكمة فيها حينئذ ؟ . ولا اخالك تعمد هنا الى القول بان الحكمة التي لا تبدو لنا فيها دليلٌ على جهلنا لا على عدم وجودها . وربما كان يجوز مثل هذا التخلص لولا انك تعلم ان العلم عرف فائدتها لاكتشافه حقيقتها في الاحياء الاخرى الادنى واثبت بذلك ارتباط الانسان بالحيوان بل نشوءه عنه واقر ذلك على أساس علمي متين . فهل لنا بعد ذلك مناص من انكار مذهب الخلق الجزئي الاستقلالي والا فكيف يمكن لنا حينئذ ان نوفق بين هذا الوصل في المبدإ وذلك الفصل في المعاد وان نسند ذلك الى العلم نفسه ؟ بل كيف يمكن لنا ان نوفق بين الحكمة الفائقة في الخلق ووجود مثل هذا العبث في المخلوقات لان وجود مثل هذه الزوائد غير النافعة فيها والضارة بها احيانًا ليس الا عبثًا بالنسبة الى المخلوق نفسه

بل كيف يمكن لنا ان توفق بين هذا النشوء المتسلسل الذي يثبت لنا ان العوالم بطلقها التي تبدو لنا اليوم كما هي لم تكن كذلك في الماضي القديم و ( بين ) مذهب الخلق الكامل الذي يقول ان العوالم ومنها الانسان وجدت بصورتها الحاضرة كما هي الآن — فلم يبق امامك الا القول بالخلق الكلي - وهو احسن ما يعتصم به المستمسكون بالخلق اذ ينسبون حينئذٍ كل تحولات الطبيعة الى نواميس عامة مخلوقة هي نفسها وهي العامل الثاني في نشوئها المتسلسل . وانما يبقى عليهم حينئذٍ ان يوفقوا بين ذلك ومبدإ الاديان القائل بان المعاد في غير هذا المكان للانسان وحده وهو لم يكن انساناً كما هو اليوم في اطوار نشوئه ولا هو مستقل عن سواه في مبدئه حتى يجوز له هذا الاستقلال في معاده . وانهم يطلقون البعث حينئذٍ على العالم كله لا باعتبار انتقال موادهِ فيه بتغير صورها بل باعتبار انتقال الطبيعة كلها باعيانها من مكان منظور الى مكان آخر غير منظور ؟ ! — هذا ولا يخفى عليك حينئذ ما يرد على الخلق الكلي نفسه من الاعتراض المعقول من ان الخالق والمخلوق لا يجوز ان يكونا منفصلين والا وجب ان يكون فعل الخَلْق الصادر من الخالق منفصلاً عن الخالق نفسهِ وهو خلف وان كان متصلاً به فكيف يكون هو نفسه غيره وهو خلف ايضاً

على ان هذه الامور المقررة اليوم في العلم والتي تنفي الحكمة من الخلق تصبح ذات شأن عظيم في مذهب النشوء اذ تبين حقيقة هذا الترابط الذى تشير اليه في قولك « ونجد الخلق بجملته تام النظام مترابط الاطراف » لتوقف كل تغير فيه على تغير في سواه او لاحداث كل تغير فيه تغيراً مناسباً في سواه . وعليه فالعالم في مذهب النشوء لم يكن ولا هو كائن ولن يكون الا منتظماً لناموس عظيم فيه هو ناموس التناسب او المطابقة

وكما ان العالم المادي مترابط ومن هذه الحيثية هو تام النظام في كل العصور فالعالم الادبي اذا نظرنا اليه نظراً علمياً وجدناه لا يخرج عن هذا الحكم فهو مترابط تام النظام ايضاً ولا يجوز ان يكون غير ذلك . لاسيما وان كل الاعمال الادبية متوقفة على نظام المادة نفسها . فقوى الطبيعة من حركة الى حرارة الى نور الى كهربائية الى قوى حيوية الى غير ذلك من تحولات القوى مترابط بعضها ببعض ومترابطة بالمادة نفسها . ووظائف الاعضاء في الاحياء متوقفة على حال هذه الاعضاء كوظيفة التغذية عموماً ووظيفة عضو عضو منها . فكما ان افراز اللعاب عمل من اعمال الغدد اللعابية فالعقل نفسه ليس الا عملاً من اعمال الدماغ بحيث لو انحلت مادة الدماغ الى بسائطها انحل العقل الى القوى المودعة في تلك البسائط ولم يتطاير منه شيء الى الخارج . حتى الوجدان نفسه

الذي يتوهم البعض انه مزية يمتاز بها الانسان على سواه والذي ذكرتموه على صورة تؤيد هذا الامتياز اذا تدبرناه كما ينبغي يظهر لنا انه عام على العوالم كلها مع حفظ النسبة بينها من الانسان الى الحيوان الى النبات الى الجماد • فكلٌ من هذه العوالم يدافع عن نفسه حفظاً لكيانه بحسب مرتبته مما يدل على انه شاعر بذاتيته ولو لم يكن له هذه الشعور لم يكن له ذلك

وما اتيت بهذا البيان لاعارض اياً كان في ايمانه بل لادفع عن القضايا العلمية المغالطات التي قد تجيزها بها على انفسنا وعلى سوانا فنقطع بها تارة ما يوصل ونصل بها اخرى ما يقطع لغاية في النفس لنا سابقة لنشوئها فينا معلوم لو تحريناها الى اصولها • وفي اللاهوت النظري ما يغنينا عن ذلك كله للغرض الذي تدفعنا اليه امانينا ويرتاح له وجداننا لا سيما وان المسألة مسألة اعتقادية بحتة

اما قولكم ان كثيرين من العلماء الاعلام لم يستطيعوا النفي البات في مثل هذا المقام فما ذلك بالبرهان على ثبوت دعوى خصوم النفي الذين لا يستطيعون ان يجدوا في العلم دليلاً واحداً للاثبات • وما مقام اللورد كلفن باعظم من مقام اغاسيز نفسه في العلوم الطبيعية فقد كان فيها اعلم من دروين ومع ان دروين بنى مذهبه وايده بابحاث كثيرة مأخوذة عنه فقد كان اغاسيز نفسه من الد خصومه • ولايثبت ذلك الا امراً واحداً وهو شدة وطأة ناموس الوراثة وخصوصاً ناموس الرجعة كما دلتنا اليوم تصريحات لمبروزو نفسه على ما جاء في المقتطف من انقياده لشعوذة المشعوذين ووهم الواهمين واعتبار ذلك من مرجحات الاعتقاد وبالارواح وما شاكل مع انه كان من اشد انصار الفلسفة العقلية المادية

فالعالم مخلوقاً يحملنا على اعتقاد وجود العبث في الحكمة وهي غير مضطرة وهو خلف وناشئاً يدلنا على ان هذا العبث ليس بالحقيقة عبثاً بل رابطة ضرورية التسلسل في النشوء والعالم مخلوقاً يحملنا على ان نقطع حيث يجب ان نصل او نصل الى نتيجة كلية لا تنطبق على غاياتنا الجزئية ولا على شيء من العلم • والعالم ناشئاً يدلنا على ان كل ما في الطبيعة منها وبها واليها

وعليه فالذي نقول انه خلق لا ينطبق على الواقع المقرر في العلم الا اذا قلنا انه نشوء والذي نقول انهُ غاية مقصودة لا يصح الا اذا قلنا انهُ نتيجة لازمة • والذي نقول أنه حكمة فائقة هو عبث الا اذا قلنا تناسب ضروري لنشوء مترابط • والذي تذهب الى انه

معاد خاص في غير هذا المكان لا يجوز الا اذا قلنا انهُ عود على بدءٍ في هذا المكان . وهذا ما يقوله العلم وان تلجلج في بعض القضايا العلمية المادية فلا يقول سواه كما في هذا القول :

هو الكل في كلٍّ معيدًا ومبديًا ... وما نحن الا فيه من صور الفنا
وليس فناءُ ما نراه وانما ... هو العود للاولى هو البعث للأُولى
قضوا فحيينا وانقضينا بعودنا ... اليهم وغير الكل ليس لهُ البقا

أما الايمان الذي ترتاح اليه نفوس الاكثرين لاسباب تعليلها واضح في مذهب النشوء لا يضيق به مثل هذا العصر . وهو قائم حتى الآن على غير العلم وفي امكانه ان يبقى في غنًى عنه زمانًا طويلًا أيضًا . وليس من الحكمة ان نحاول الباسه حلة علمية لا تناسبهُ تنم عن ضعفه أو تكون به كطيلسان ابن حرب — وفي الختام اني معجب بك لسعة فضلك وغزارة علمك وان خالفتك في مثل نتيجتك التي اتصلت اليها والتي كنت اود ان لا أُحرج لمعارضتها ولكنك توافقني على ان لا محاباة في العلم كما أنه لا حياء في الدين . وان سألت ما الذي احرجني قلت مقامك عندي

(مصر) الدكتور شبلي شميل

❊ الهلال ❊ لم يقصد صديقنا الحكيم فتح باب الجدال معنا ولا كان ذلك قصدنا فاننا من ابعد الناس عن المناظرة في المسائل الدينية اذ يستحيل في اعتقادنا ان ينتهي الجدال باقتناع احد المناظرين . ولكن منزلة الدكتور شميل من العلم والفضل دعتنا الى نشر اعتراضه والرد عليه التماسًا لحقيقة باستحثاث قريحته الوقادة واستدرار علمه الواسع لنرى ادلته العلمية التي يبني عليها انكاره الخلق والمعاد وقد اصبنا المراد فجاءنا ردُّهُ هذا الدال على سعة علمه وكمال ادبه فطالعناه بامعان وروية وهذه خلاصته :

ان قولنا بوجود العالم الآخر يخالف المقرر في العلم الطبيعي وانا قد بنينا هذا القول على وجود النقص في العالم الادبي والعلم ينكر وجود هذا النقص الا اذا اعتبرنا الانسان خلقًا مستقلًا كما تعتبره الاديان الالهية . فيعترض حينئذ على خالقه المستقل بوجود الزوائد او الاعضاء الاثرية فيه فان وجودها وهو خلقٌ مستقلٌ يخالف الحكمة لان الحكمة تقتضي ان لا يخلق عضو لا عمل له ولا فائدة منه . فلا يبقى الا ان الانسان مرتق عن حيوان آخر كان لهذه الزوائد فائدة فيه وهو القول بالخلق الكلي او مذهب النشوء والارتقاء القائل برجوع هذه الموجودات على اختلاف طبائعها الى اصل واحد تفرعت هي عنه بالتنوع

والتحول والتفرع وان الانسان بعض تلك الفروع . وعند ذلك تكون الحكمة تامة في النواميس المادية والادبية . ويراد بالمادية حركات الافلاك والظواهر الجوية ونواميس التحليل والتركيب واحوال الحياة من النمو والتناسل والموت ونحوها . ويراد بالادبية نواميس المعنويات كنظام الاجتماع وتفرع اللغات ونواميس الشرائع والعادات والاقتصاد السياسي - فهذه النواميس الادبية مبنية على تلك النواميس المادية فهي تامة النظام مثلها لانها من جملة مظاهرها . وكما ان الغدة اللعابية تفرز اللعاب فالدماغ « يفرز » العقل وكما ان انحلال الغدة يبطل اللعاب فانحلال الدماغ يبطل العقل . فاذا كانت الحكمة شاملة العالمين المادي والادبي لم تبق حاجة الى عالم آخر لاتمام النقص . وان هذا العالم جارٍ في حركاته وسكناته مضطرًّا فلا تجري حركة الا نتيجة حركة سابقة . فظاهر الوجود اضطرارية لا يمكن ان تكون على كيفية أخرى وهي نتيجة لا غاية . وان لا معاد الا ما يجري في الطبيعة في تحول المواد بالتحليل والتركيب وانه يجري في هذا العالم فليس في الوجود عالم آخر

هذه خلاصة ما جاء في رده . ولو رأينا فيه سدادًا لم يمنعنا من التسليم بعز « باحث آخر » اذ لا نعرف باعثًا يصرفنا عن الاعتراف بالحق بل نحن نستحيي من الحق اذا عرفناه ان لا نرجع اليه . وخصوصًا لان المسألة التي نحن في صددها عظيمة الشأن لارتباطها بمصير الانسان . وما من منكر الا وخطر له النظر فيها وخصوصًا اذا استنار عقله بالعلم الطبيعي وكثيرًا ما يسرع الى انكار ما وراء الطبيعة لانهُ يرى الحوادث نتائج طبيعية لاسباب طبيعية لا يظهر لسلطة فوق الطبيعة دخل فيها فيقيس سائر الامور عليها . وقد وقعنا في ذلك ونحن نقرأ الطبيعيات حتى اصبحنا اذا رأينا اساتذتنا يذكرون الخالق او الحشر اتهمناهم بالرياء لانهم في نظرنا يعتقدون مثل اعتقادنا ولكنهم ينافقون . ثم وجدنا بعد اعمال الفكرة طويلاً ان العلم الطبيعي اذا خالف بعض ظواهر الدين فانه لا يخالف حقيقته او جوهره - ولذلك فنحن لا نقول ما نقوله عن باعث او غرض

والقول بالخلق والمعاد والخلود من العقائد القديمة التي اعتقدها الناس بالبديهة من اقدم الازمنة التاريخية الى الآن على تفاوت في التصور واختلاف في التعبير . وقد ايد عقلاؤهم ذلك بالنظر والاعتبار . فما زالوا منذ كانوا لا يعرفون من ظواهر الطبيعة الا شروق الشمس وطلوع الكواكب وسقوط الامطار حتى اخترقوا الافلاك وعرفوا الثوابت والسيارات والسدم والقنوان . ومنذ كانوا يحسبون الماء اصل كل شيء حتى عرفوا العناصر ومركباتها وفحصوا الصغائر فشاهدوا غرائب التبلور وتركيب الانسجة الحية واكتشفوا عوالم الميكروب --- كانوا في كل

هذه الاحوال مدفوعين بالاعجاب من هذا النظام الى الاعتقاد بخالق عاقل حكيم وبوجود عالم آخر

وقد سئلنا بالامس هل في العلم ما ينافي الاعتقاد بالعالم الآخر فاجبنا ان العلم اذا لم يستطع اثبات وجود ذلك العالم فهو لاينافيه . وقلنا هناك كما نقول هنا اننا لاندعي الوصول بالعلم الى برهان صريح يثبت ذلك وانما نرجو الاشراف عليه بالاستنتاج والقياس وهما جائزان في العلوم الطبيعية فان الطبيعيين يعتقدون وجود الجواهر الفردة ويعينون خصائصها واحجامها وحركاتها ويبنون على ذلك العلالي والقصور مع ان رأيهم فيها يخالف النواميس الطبيعية من بعض الوجوه كاعتقادهم بوجود « الايثير » يملأ الفراغ بين الجواهر وهو مادة وكل مادة مؤلفة من جواهر بينها فراغ فماذا يملأ هذا الفراغ ؟ فاذا قلنا انه بلا فراغ فهو غير مادة فما هو ؟ وانما عمدوا الى الرأي الجوهري لتعليل الظواهر الكيماوية — واعتبر ذلك في كثير من آرائهم — فلا حرج علينا اذا جعلنا الاستنتاج معولنا

ونتقدم الى صديقنا الدكتور ان لا يسيء الظن في الذين يخالفون رأيه في هذه المسألة من اهل العلم فينسب اليهم الرياء او يتهمهم بالرجوع الى الاصل فاذا جاز لنا ذلك اصبح الكل متهمين . ولكن المنكر اذا اخلص النية في البحث قد يرجع الى الصواب بعد الانغماس في الخطأ اعواماً . وقد يكون سبب رجوعه تغيراً في دماغه — واكثر اسباب الاختلاف بين الاعتقادات يرجع الى اختلاف في الادمغة آلات الفكر . ولكن اقرب الاراء الى الصواب اكثرها مطابقة للواقع

لا احتج عليك باجماع الناس على هذا الاعتقاد وانه من البديهيات الوجدانية التي يشعر بها الانسان من تلقاء نفسه وانما اخاطبك بالنشوء والارتقاء وهما عمدتك في ردك . وقد افضت في الاستدلال على ان القول بالخلق المستقل مناف للعلم وانا لم اقل بهذا الخلق ولكنك رايت قولي بوجود العالم الآخر يشابه قولهم فيه فظننتني منهم لاعتقادك ان القول بالخلق الكلي او النشوء والارتقاء لا يلتحم مع العالم الآخر وهذا ما اخالفك فيه لاني لا ارى منافاة بينهما واليك البيان :

اسلم معك بالنشوء على اجماله وان هذه الموجودات على اختلاف طبائعها تولدت من اصل واحد بالتفرع والتحول اي انها كانت سديماً فصارت اجراماً تولدت فيها الحياة وتفرعت الى انواع الحيوان والنبات . فلنتدبر تاريخ هذا النشوء في عالمنا ونحصر الكلام في ارضنا هذه وما يصح عليها نطلقه على سواها — يقول اصحاب النشوء كانت هذه الارض سديماً اي

كتلة من الغاز شديدة الحرارة الى درجة تكفي لتحويل جميع الصخور والمعادن الى غاز . وطبيعي ان السديم لم يكن فيه اجسام حية لاننا لا نعرف حياً يعيش على تلك الحرارة العالية . ثم اخذت تلك الكتلة تشع حرارتها وتبرد حتى جمدت وتكونت طبقاتها شيئاً فشيئاً في ادهار متطاولة . فلما صارت صالحة للحياة ظهرت فيها الاحياء الدنيئة من النبات والحيوان وتقلبت عليها احوال شتى من النشوء والارتقاء فتفرعت الى انواع الحيوان والنبات المعروفة . ثم تولد الانسان بالارتقاء من حيوان ادنى منه — او ارقى لان النشوء لا يقتضي الصعود في التحول دائماً . وكان للحيوان الذي ارتقى الانسان عنه اعمال استغنى الانسان عنها فاهملت الاعضاء التي كانت تجري تلك الاعمال فضمرت بالاهمال وهي الاعضاء الاثرية او الزوائد — هذا هو الانسان على رأي اهل النشوء والارتقاء او الخلق الكلي . فعندهم ان ما في الانسان من المواهب العقلية والنفسية لم يختصه بها الخالق عند خلقه كما يقول اصحاب الخلق المستقل وانما تولدت فيه بالانتخاب الطبيعي

وعندهم ان الموجودات بما فيها من الجماد والنبات والحيوان على اختلاف طبائعها ترجع الى اصلين رئيسيين : المادة والقوة . ويريدون بالمادة اصل العناصر التي تتركب منها المواد على اختلاف اشكالها . وان هذه العناصر ترجع الى عنصر واحد يعبرون عنه بالمادة الاصلية . ويريدون بالقوة ان القوى المعروفة كالنور والحرارة والكهربائية والجاذبية ترجع باصلها الى قوة واحدة هي القوة الاصلية او القوة العامة . فعندهم ان كل ما نراه من حركات الافلاك وظواهر الجو الى ادق الاعمال المادية والاعمال الحيوية كنمو النبات والحيوان وتناسلهما الى سائر اعمال الحياة والعقل — كل ما يظهر لنا من ذلك انما هو نتيجة تفاعل المادة والقوة الاصليتين . فكما ان الفرك يولد حرارة والعمل الكيماوي يولد كهربائية او نوراً فالاعمال الحيوية كالتغذية والتناسل انما هي من جملة مظاهر تلك القوى . وما الاعمال العقلية عندهم الا من جملة تلك المظاهر تظهر في الدماغ مثل ظهور الكهربائية بالبطارية . وكما تبطل الكهربائية متى فسدت البطارية فالعقل يبطل متى فسد الدماغ والحياة تبطل عند انحلال الجسم اي لا يبقى شيء من ذلك مستقلاً بنفسه وانما يندمج في القوة العامة

فاذا اتضح ذلك اعد النظر معي في تاريخ هذا النشوء من اول عهده : ان الارض وهي سديم لم تكن فيها حياة ثم وجدت الحياة فيها ولا يخفى عليك ان الحي لا يتولد من غير الحي فمن اين اتت جرثومة الحياة الاولى ؟ لا اقول لك ان الخالق اودعها في المادة بنفخة من روحه او انها وجدت اعتباطاً فان كلا القولين يخالف مذهب النشوء كما هو معروف

حتى الآن . فلم يبق الا انها كانت في المادة الاصلية « بالقوة » ثم ظهرت بالفعل . اي انها كانت مستقرة فيها متهيئة للظهور عند سنوح الفرصة المناسبة فلما سنحت تلك الفرصة ظهرت ـ كما تستقر الشجرة في البذرة وتظهر بالنمو . فالحياة في اعتبارهم مظهر من مظاهر القوة العامة ومع ذلك فان عالم الحياة اصبح بها عالماً مستقلاً عن عالم الجماد وليس بينهما موصل

ان وجود الحياة خطوة مهمة جداً في تاريخ النشوء تليها خطوة أخرى ذات اهمية نعني انفصال الحيوان عن النبات والحيوان . ارقاها ويمتاز بطبائع اهمها الحس والحركة واعمال الفكرة ـ فمن اين اتت هذه الطبائع ؟ يقول اصحاب مذهب النشوء انها من جملة تنوعات القوة الاصلية ظهرت في الحيوان لما سنحت لها الفرصة المناسبة ـ ومع ذلك اصبح الحيوان بها مملكة مستقلة كانه خلق مستقلاً

واعتبر هذا في الانسان ايضاً فقد كان قبل ارتقائه في جملة عالم الحيوان فلما ارتقى وظهرت فيه قوى العقل والنفس اصبح مستقلاً عن سواه لامتيازه بها عن سائر انواع الحيوان كما يمتاز الحيوان عن النبات بالحس والحركة . فهو بهذا الاعتبار مستقل بنفسه مثل استقلال الحيوان عن النبات او استقلال الحي عن غير الحي . فالتسليم بارتقاء الانسان عن الحيوان لا يمنع ان يكون له استقلال ذاتي اكتسبه لما تم تكونه وظهرت فيه القوى الخاصة به كالوجدان والعقل والضمير والشعور الادبي أو الانتقادي كانه خلق خلقاً مستقلاً فصارت له احكام خصوصية دون سائر الاحياء

فلنقف عند هذا الانسان لانه مدار بحثنا . انه ارقى ما انتجته الطبيعة لكنها غادرته في حيرة يفكر في اصلها ومصيرها فاخذ يتخبط في غياهب الظنون كالسابح في بحر يلتمس الشاطىء وقد صمت اذناه واغلقت عيناه لا يسعفه نظره فيرى نوراً يهتدي به او صخراً يرتكن اليه ولا يسعده سمعه بصوت يناديه فيرشده . وانما اعتماده على اللمس فربما اقترب من الشاطىء حتى كاد يدركه ثم تحول عنه وهو لا يدري . ارأيت تخبط ذلك السابح ؟ انه اقدر كثيراً على بلوغ الشاطىء من ادراك الانسان حقيقة الوجود

ولا ينبغي لنا الاستخفاف بطبائع الانسان واعماله العقلية وان كانت مرتقية عن الحيوان فانها دليلنا الوحيد في هذا الموضوع ولا ارى حكيمنا الدكتور شميل اكترث بها وقد ضربت له الامثال بالبذرة والبيضة واستقرار القوى فيهما بالقوة . وقلت « ان مجرد تصورنا الحكمة والنظام يقتضي وجودها لان الانسان جزء من الوجود لا ينفصل عنه ووجودها فيه يدل على انهما اصليان في الوجود العام . . » واعود الآن الى ايضاح ذلك

يشعر كل منا بقوىً فيه ـ غير قوى العقل والنطق ـ لا يرى مثلها في سائر انواع الحيوان يهمنا منها في هذا المقام اولاً الوجدان او الشعور بالوجود : وهو غير العقل لان الانسان يعمل فكرته و يستخدم عقله و يشعر وهو يفكر انه موجودٌ وانه يفكر . ولا استدلُّ كما استدل صديقي الدكتور من دفاع الحيوان عن نفسه على وجود الوجدان فيه فان الدفاع عن النفس في اصله من قبيل الاعمال المحكمة . ثانياً التماس الغاية : وذلك ان الانسان لا يعمل عملاً الا لغرض مقصود مهما تكن وجهته ولا يتصور شيئاً وجد عبثاً بلا غاية . ثالثاً صورة الكمال : فان في ذهن الانسان صورة للكمال يقيس بها تفاوت الاشياء في النقص ولا يرى شيئاً منها يطابق الصورة التي في ذهنه اي لا يرى شيئاً كاملاً . و يصح ذلك بالاكثر على المعنويات القائمة بالنواميس الادبية كما سيأتي . رابعاً الشعور الادبي او الانتقادي : ونريد به حكم الانسان على ما يعرض له من حيث الحق والباطل والعدل والظلم ولعل هذا ما يعبرون عنه بالضمير — من منا اذا رأى قوياً يستبدُّ في ضعيف فيسلبه ماله او متاعه ولا يشعر ان ذلك العمل ظلمٌ ويتقم على الظالم ؟ وقد يقع لنا ذلك ونحن نطالع قصة خيالية نعلم انها موضوعة ومع ذلك لا نتمالك عن الانتصار للمظلوم فيها . وبهذه القوة نميز بين الحق والباطل و بين الكامل والناقص وهي خاصة بالانسان — وبها رأيناك تشدد الوطأة على القوانين والشرائع ونظام الاجتماع وتنتقدها أمرَّ الانتقاد

فهذه القوى وامثالها سواء كانت نسمة من روح الخالق او بلغ اليها الانسان بالارتقاء فانها موجودة فيه . ولا يقال انها وجدت عبثاً بلا فائدة او غرض فان ذلك يخالف الحكمة في الخلق الكلي الذي نعترف انه تام النظام مترابط الاطراف . وتولدها بالنشوء والارتقاء يقتضي انها من مظاهر القوة العامة فهي طبيعية في الوجود كانت فيه « بالقوة » منذ كانت الارض سديماً ولا ينبغي ان يكون حكمها مخالفاً للحكمة العامة . والشعور الادبي او الانتقادي يدلنا على نقص في الحوادث الادبية او المعنوية او النفسية كما فصلنا ذلك في مقالتنا الاولى عن وجود العالم الآخر في الهلال الثامن من هذه السنة

ونزيد على ذلك الآن ان علاقة النواميس الادبية بالنواميس المادية او « توقف الاعمال الادبية على نظام المادة نفسها » كما قلتم — يقتضي ان تكون هذه الاعمال تامة النظام يرتاح اليها العقل مثل ارتياحه الى حركات الافلاك وناموس الجاذبية والالفة الكيماوية . اي ان يكون للسبب الواحد منها نتيجة واحدة دائماً . فمن نواميس الاجتماع مثلاً ان ينال الانسان من دنياه على قدر سعيه واجتهاده جرياً على ناموس التناسب بين السبب

والنتيجة . وان يفلح الامين الصادق ويفشل الكاذب المنافق عملاً بناموس بقاء الاصلح . ومن الاحكام البديهية ان يسعد الصالح ويشقى الشرير — وهذا هو الغالب في ما نراه من احوال الاجتماع وان اختلف الناس في تعليله بين من ينسبه الى عمل العناية – فاذا رأى شريرًا يشقى قال ان الله عاقبه . ومن ينسب ذلك الى نواميس الاجتماع فيقول انه اساء العمل فوقع في شر اعماله بحكم الطبع . ومن هذا القبيل اذا اصيب بعض اهل المنكرات بالآفات البدنية او العقلية فيقولون انه نال جزاء فعلته . ولذلك شاع على الالسنة قولهم « بشر القاتل بالقتل والزاني بالفقر ولو بعد حين »

فهذا وامثاله من الحوادث يقول اصحاب النشوء انها تجري على قواعد اجتماعية وشرائع طبيعية لأنها متوقفة على نواميس مادية تامة النظام فينبغي ان تكون تامة النظام مثلها . فهل هي كذلك ؟ هل يسعد الصالح دائمًا و يشقى الشرير ؟ هل ينال الانسان دائمًا من دنياه على قدر سعيه واجتهاده ؟ وهل ينجح الصادق الامين دائمًا و يفشل الكاذب الخائن ؟ وقد بينا في غير هذا المكان انها ليست كذلك — من منا لا يعرف اناسًا يقضون حياتهم بالسعي والاجتهاد باخلاص وصدق نية ويموتون تعساء ؟ وكم من فاضل يبذل ما في وسعه لخدمة الناس ومعالجة امراضهم وهو يشقى و يعذب . كم من والدة ربت غلامها بتعب يديها ودموع عينيها حتى اذا كبر وآن استثمار غرسها مات وتركها تبكيه وترثيه . . وكم وكم . .

وليست هذه المظالم من قبيل الصدفة فانها ناتجة عن نواميس اجتماعية ثابتة . ومن اثقل تلك النواميس وطأةً على الانسانية ناموس الوراثة الذي يخص هذا بنعمة وذاك بنقمة بلا قياس ولا وجه حق . كم من وارث يورثه والداه ثروة طائلة وصحة جيدة ولا فضل له فيبددها بارتكاب الموبقات والافساد في الارض ؟ ووارث يرث عن والديه المرض فيقضي حياته عليلاً سقيماً ولا ذنب له . ومن شرور الوراثة توريث الملك للظالمين فيشقى بهم ملايين من الناس وذنبهم انهم وجدوا في عصر ذلك الملك . ومن تلك النواميس أيضاً تغلب القوي على الضعيف فكم يتأتى عنهُ ظلم الضعفاء ولا منجد لهم ؟

ان امثال هذه الحوادث كثيرة وقد شعر المصلحون ( اطباء الاجتماع ) بثقلها وارادوا معالجتها فانشأوا الملاجئ والمستشفيات والمدارس والجمعيات وسنوا القوانين فاشبعوا الجائع وعالجوا المريض وعاقبوا الجاني . ولكنهم قلما انصفوا المظلومين ولم يستطيعوا التعويض على الثاكل أو التخفيف عن الارملة واليتيم — انها قروح في جسم الحياة الاجتماعية لا تعالج بغير الدين تأسياً بالعالم الآخر . وهي التي استدللنا بها على نقص

في الماجريات الادبية وقلنا بوجود العالم الآخر لاتمامه قياساً على صورة الكمال التي في ذهننا فذلك ما وصلنا اليه بالاستدلال والقياس وهو لا يعدّ برهاناً صريحاً وانما هو ترجيحي يؤيد الاعتقاد البديهي في الدين . أما اثبات ذلك أو انكاره بالعلم وحده فنعترف بعجزنا عنه حتى الآن . ولذلك فنحن نستغرب انكار صديقنا القطعي في هذا الشأن مع ما يعلمه من غموض اسرار هذا الكون الذي لا نعلم حتى الان اذا كان محدوداً أو غير محدود وهل هو ازلي أو محدث وهل هو محصور في ما نستدل عليه بحواسنا — أي هل يجوز لنا انكار وجود ما لم نره أو نلمسه أو نسمع صوته أو نشمه أو نذوقه أو نستدل عليه باحدى هذه الحواس . وهل الحواس الخمس هي كل ما يمكن وجوده من المشاعر ؟ (وفي بعض الحيوان حواس يعرف بها ما لا نقوى نحن على معرفته بحواسنا) وقد اكتشف العلماء في الاعوام الاخيرة ضروباً من الاشعة العجيبة والنواميس الجديدة تشير الى ما هنالك من الاسرار الغامضة — ناهيك بخصائص الراديوم التي كادت تغير نظر العلماء في أصل المادة . وغرائب المانيتزم والهبنوتزم والتليباثي ونحوها مما يحير العقول — فاذا كان هذا مقدار جهلنا حقائق الكون فكيف يجوز لنا الحكم القطعي في حقيقته أو مصيره ؟

بقي ان يعترض على اعتبارنا الانسان خلقاً مستقلاً فيكون حكمه عند ذلك مثل حكم سائر الموجودات وان ما يصيبه من الظلم بالنظر الى استقلاله ليس ظلماً بالنظر الى المجموع لانه واقع عليها كلها بالاضطرار المتسلسل او الاسباب المترابطة . فاذا صح ذلك اقتضى ان لا يكون للخلق غاية يسير اليها . ونحن مع شعورنا بالعجز عن الحكم القطعي في هذا الشأن بالنظر الى العلم وحده لا نقدر ان نتصور هذا الكون الذي لا يعرف له حدٌّ في الكبر ولا في الصغر — وقد زاد عدد كواكبه التي عرفوا وجودها الى الآن على بضعة وعشرين مليوناً يبعد بعضها عنا نحو ٣٣,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميل فلا يصل نورها الينا الا بعد ٥,٠٠٠ سنة !! واكثرها اكبر حجماً من ارضنا بالوف من المرات . ولا نزال كلما كبرنا التلسكوب اكتشفنا اجراماً جديدة وسدماً جديدة وكلما تعمقنا في درس طبائع الاشياء زاد اعجابنا باسرار الحياة واعمال العقل والخيال — لا نقدر نتصور ان هذا الكون الهائل وجد عبثاً بلا قصد ولا غاية . وان النواميس الطبيعية لا يراد بها غير سباحة الاجرام في الفضاء وتصاعد زفرات البراكين من باطن الارض وتناوب حالات الماء من البحار الى البخار فالامطار فالانهار ! وان عالم الحياة لا يراد به غير تحويل التراب الى نبات ثم الى حيوان . وتناوب التحليل والتركيب بين الاكسجين والكربون في تنفس الحيوان

والنبات • واشتغال الميكروبات ببقايا الاحياء حتى تعيدها الى تراب ؛ ولا ان يكون المراد بالاعمال العقلية والظواهر النفسية مجرد احراق الفصفور أو توليد بعض الحوامض والاملاح — لا تقدر نتصور ان هذا الخلق انما وجد لهذا التفاعل الاصم بلا غاية متصلة باعماله • فن لم تتضح له هذه الغاية جليًّا او عسر عليه تصورها فالجنوح الى « اللاأدرية » اولى به من الحكم القطعي بانكارها

## مطبوعات جديدة

نظراً لرغبتنا في ختم رواية احمد بن طولون في هذا الهلال مع استيفاء ترجمة عبد الحميد والرد على مقالة « هل في الوجود عالم آخر » لم يبق مكان فيه لسائر الابواب مع اننا زدناه اربع صفحات عن رفاقه • فاكتفينا بذكر المطبوعات الجديدة لئلا يذهب على القراء خبر ظهورها او يطول الى السنة القادمة وهي :

١ـ الجرائد والمجلات

١ — البرنسيس : مجلة شهرية تبحث في شؤون الجنس اللطيف لمنشئتها « فطنت هانم افندي» ناظرة مدرسة البرنسيس تصدر بالمنصورة بدل اشتراكها عشرون غرشاً بمصر و ٣٠ بالخارج

٢ — التهذيب : جريدة سياسية علمية تصدر في البصرة مرة في الاسبوع لصاحبها باش اعيان زاده محمد امين عالي بدل اشتراكها في الخارج ١٢ فرنكاً

٣ — النفير : هي جريدة سياسية عمرانية لصاحبها رشيد افندي الحداد وايليا افندي زكا تصدر في حيفا مرة في الاسبوع بدل اشتراكها في الخارج مجيديان

٤ — البريد : جريدة سياسية تصدر في ريوجنايرو بالبرازيل مرة في الاسبوع لصاحبها يوسف افندي ناصيف ضاهر بدل اشتراكها ٢٠ الف ريس

٥ — الكوثر : اعلن بشير افندي رمضان في بيروت انه عزم على انشاء مجلة علمية فنية سياسية سماها الكوثر ومتى صدرت نذكرها

٦ — الايام : جريدة يومية جامعة تصدر في بيروت لصاحبيها فائق بك غرغور

وطانيوس افندي عبده ثم استقل بها غرغور بك . بدل اشتراكها ٤ ريالات في بيروت و٢٠ فرنكا في الخارج

٧ — اللاذقية : صحيفة سياسية ادبية تصدر في اللاذقية مرة في الاسبوع لصاحبها مح. افندي سعيد حسن سعيد ومديرها محمد افندي مواهب الازهري بدل اشتراكها مجيديان باللاذقية وثلاثة مجيديات في الخارج

٨ — الحسناء : اعلن جرجي افندي نقولا باز في بيروت انه عزم على انشاء مجلة نسائية سماها الحسناء تبحث في العلم والادب والتاريخ والاخلاق وسنذكرها متى صدرت

٩ — الاصلاح الحجازي : هي جريدة سياسية ادبية تجارية تصدر في جدة مرة في الاسبوع لصاحبها راغب افندي مصطفى توكل ومحررها اديب افندي داود حراوي بدل اشتراكها نصف ليرة عثمانية في جدة ونصف ليرة انكليزية في الخارج

١٠ — الاصلاح : جريدة اسبوعية سياسية اخبارية تصدر في سنغافورا لصاحبها كرامه افندي يهدوم بدل اشتراكها ٣ ريالات ونصف في سنغافورا و٤ في الخارج

٢ــ الكتب والرسائل

١ — تاريخ اديات اللغة العربية : هو تقرير قدمه صالح بك علي بصاحبة الري الى البرنس احمد فؤاد رئيس مجلس الجامعة المصرية بيّن فيه اهمية تدريس تاريخ الاديات العربية وشدة حاجة البلاد اليها فكان له وقع حسن وقررت الجامعة تدريس هذا العلم فيها واقترحت على الادباء تأليف كتاب فيه

٢ — وقاية العين : هو كتاب صحي تأليف الدكتور اسكندر بك جريديني الرمدي الشهير بطنطا ونقله الى الفرنساوية الدكتور كروسار وقد طبعت الترجمة المذكورة في نحو ٢٠٠ صفحة مزينة بالرسوم

٣ ــ نسمات الاوراق : هو ديوان المرحوم الشيخ خليل اليازجي يحتوي على ما نظمه من القصائد والمقاطيع في المقاصد المختلفة وقد صدرت الطبعة الثانية منه وتطلب من مكتبة المعارف ومكتبة الهلال وثمن النسخة خمسة غروش صاغ

٤ ــ ام الدنيا وابوها : هما كتابان في تاريخ الكون والانسان والمرأة لمؤلفهما علي افندي احمد الشهيدي بنظارة الحربية وبين يدينا الطبعة الثانية منهما وقد ذكر في ذلالاف ان السيد محمد حليم الانصاري احد كتاب الهند اخذ في ترجمتهما الى اللغة الهندستانية واخذ

السيد عثمان زاده الكاتب التركي في نقلهما الى التركية ثمن كل منهما خمسة غروش ويطلبان من مكتبة الهلال

٥ — مفاتيح الغيب : هو سبع رسائل في علم النجوم والزايرجة ونحوهما من العلوم القديمة التي ابان العلم فسادها ولا تزال العامة تعتقد صحتها تأليف الشيخ احمد موسى الزرقاوي ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً غير اجرة البريد

٦ — السموأل او وفاء العرب : هي رواية تمثيلية ذات اربعة فصول تأليف انطون افندي الجميل المحرر في الاهرام وهي من الروايات القليلة التي الفها كتاب العربية في هذا العصر وحازت استحسان الجمهور

٧ — اصول الالفاظ السامية : هي نبذة في اصول الالفاظ العربية والسريانية التي دخلت اللغات الايطالية والاسبانية والافرنسية والانكليزية واليونانية واللاتينية . والفاظ هذه اللغات التي دخلت تينك اللغتين . وملاحق في الكلمات اليونانية في اللغة السريانية وتفسير اعلام اعجمية مستعملة في العربية ونحو ذلك . تأليف القس طوبيا العنيسي الحلبي وهو كتاب فريد في بابه وثمنه ثلاثة فرنكات

٨ — بدائع الشعر في الحماسة والفخر : ديوان جمعه بشير افندي رمضان وطبعه في ٢٠٠ صفحة علق في ذيلها شروحاً وتفاسير مفيدة وهو يباع في مكتبة التاليف بشارع عبد العزيز بمصر وثمن النسخة ثمانية غروش غير اجرة البريد

٩ — زهرة الصبا في روضة الحياة : هو كتاب جمع فوائد ادبية وقصصاً تهذيبية ونظرًا في الخلق تاليف عبد العزيز افندي صبري نجل عمدة الجياربة دقهلية و يطلب منهُ

١٠ — ادب النفس : كتاب حوى حكماً وامثالاً تهذيبية لمؤلفه الشيخ علي فواد المنوفي من متخرجي الازهر و يطلب منهُ وثمن النسخة ٥ غروش

١١ — تاريخ التمدن الحديث : هو ملحق هذه السنة من الهلال ويرسل الى مشتركيه مجاناً و يباع لسواهم بعشرين غرشاً واجرة البريد ثلاثة غروش . و يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التاليف بشارع عبد العزيز بمصر

١٢ — احمد بن طولون : هي الحلقة الثالثة عشرة من روايات تاريخ الاسلام تأليف منشيء الهلال وقد تم طبعها . وتطلب من مكتبة الهلال ومكتبة التاليف وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرش ونصف

١٣ — قائمة مكتبة التأليف : صدرت قائمة هذه المكتبة وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

٣ ـ تقارير وقوانين وغيرها

جاءنا عدة تقارير وقوانين ولوائح نكتفي بذكر اسمائها وهي (١) تقرير الجمعية الخيرية الاسلامية وحسابها لسنة ١٩٠٨ (٢) القانون الاساسي لنادي الفنون الجميلة المصرية (٣) خلاصة اعمال جمعية الاتحاد السوري الخيرية في طنطا لسنة ١٩٠٨ (٤) تقرير جمعية رعاية الاطفال المصرية وقانونها (٥) تقرير جمعية الخدمة الوطنية الانجيلية في صيدا (٦) قانون جمعية السيدات القبطية بالفيوم (٧) قانون شركة التمدن الصناعية بمصر

اهم المؤلفات العربية

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما الف في العربية من صدر الاسلام الى الآن اي غير منقول عن لغة اخرى على ان تكون في اعتباره افيد سائر الكتب العربية وانفعها . ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر اسماء الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك

وكيل الهلال في يافا

نرجو من مشتركي الهلال في يافا ان يعتمدوا الخواجه بطرس كليس وكيلاً له بدلاً من سليم افندي دباس لسبب انحراف صحته . وان يدفعوا اليه بدلات الاشتراك بموجب وصولات بتوقيع مدير الهلال أو منشئه

---

خاتمة السنة السابعة عشرة

تمتاز هذه السنة عن سائر سني الهلال بخوضها في الشؤون العثمانية على اثر اعلان الدستور ولم ندخر وسعاً في طرق المواضيع التي نعتقد فائدتها وارتياح القراء الى مطالعتها وسنجري على ذلك في المستقبل ان شاء الله

ونظراً لما آنسناه من زيادة الاقبال في هذا العام حتى اضطررنا الى اعادة طبع بعض اعدادها قد عقدنا النية على ان نبذل الجهد في تحسين الهلال عملاً بالقاعدة التي وضعناها لنفسنا « ان نزيد الهلال تحسيناً كما زادنا القراء اقبالاً » فمن جملة التحسين الذي سندخله على الهلال في السنة القادمة ابدال حروفه بحروف جديدة واضحة واتقان صوره وزيادة العناية في طبعه . فضلاً عن التحسين في المواضيع وانتقاء ما جمع بين الفائدة واللذة . وسنجعل ملحقها كتاب تاريخ آداب اللغة العربية للاسباب التي ذكرناها في الهلال الماضي . والله الموفق في كل حال





مجلة [illegible]

سنتها عشرة أشهر

وعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

---

# AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN M. R. A. S.

SUBSCRIPTION: 25 Frs. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

## Vol. XVIII, No 1

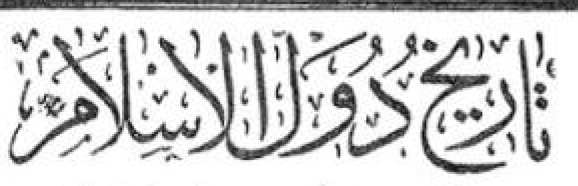
1 October 1909

AL-HILAL Printing Office, Cairo

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر

ان ادارة الهلال غير مسؤولة عما يدفعه المشتركون ولا يأخذون به وصلا من وصولات الادارة بامضاء مدير الهلال او منشئه

ديوان ابن الفارض ثمنه مجلداً ٦ غروش والبريد غرش بمكتبة الهلال بمصر



# تاريخ دول الاسلام

( تأليف رزق الله منقريوس الصدفي بالمنيا )

اجابة لطلب الكثيرين قد خفضنا ثمن هذا السفر النفيس من ٧٥ غرشاً ٥ النسخة الكاملة ( ثلاثة اجزاء في ١٢٢٨ صفحة ٥٧ رسماً ) واجرة البريد ٤ غروش والكتاب يطلب من المؤلف بالمنيا ومكاتب الهلال وهندية والتاليف بمصر وجورجي افندي غرزوزي والمؤيد بالاسكندرية والعمومية والجامعة ببيروت

## مدارس انشويفات الداخلية الانكليزية

للصبيان والبنات

تفتح هذه المدارس ابوابها لقبول الطلبة حسب عادتها في ٥ ات ٢ وهي تعتني عناية خصوصية بالاولاد الصغار من سن سبعة فصاعداً اذ يوجد سيدات انكليزيات وسوريات لهذه الغاية فعلي كل طالب قديماً كان ام حديثاً ان يخابر اما صاحب هذه الجريدة اورئيس المدارس المذكورة القس طانيوس سعد

## اكسير ومسحوق الاسنان

تركيب

# الدكتور محمد سامح

الحائز على ديبلوم الدكتوريه في طب الاسنان والجراحة الفمية من كلية نيو يورك باميركا وياطان بمحل عيادته بميدان باب الخلق بمصر بعشرين غرشاً صاغاً

وهو الذي وفق بعد البحث الدقيق الى ايجاد هذين التركيبين النافعين جداً لامراض اللثة والاسنان المنتشرة ببلادنا وزوال الرسوبات الحجرية المتولدة عليها المضرة بها وباللثة وحفظ نظافتها مع اكتساب الفم رائحة زكية صحية

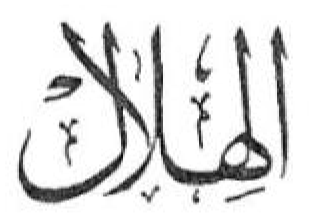
ويعالج امراض اللثة والاسنان بأنواعها المتعددة وتشوهات الفم وتعديل الاسنان المعوجة والبارزة المشوهة ويعمل الاسنان الصناعية بكل دقة وخصوصاً التيجان والاسنان الذهبية وكل ذلك على احدث الطرق الاميركانية الحقيقية الناجحة ونمرة التلفون ١٩١٤ والعيادة من الساعة ٩ الى ١٢ صباحاً ومن ٣ الى ٥ مساء

(الفاكهة الفكر) ثمن النسخة ١٠ غروش والبريد ١ بمكتبة الهلال بمصر

(نوادر الكرام في الجاهلية والاسلام) ثمنه ٥ غروش والبريد غرش

كتاب مرآة العصر في سير ورسوم مشاهير مصر ثمنه مجلداً ٥٠ غرشاً والبريد ٤

خريطة الآستانة




الجزء الاول من السنة الثامنة عشرة

اول اكتوبر ( ت ٢ ) سنة ١٩٠٩ و ١٧ رمضان سنة ١٣٢٧

# الاستانة العلية

## موقعها ومناظرها وآثارها وقصورها ومتاحفها

### واحوالها الاجتماعية والعلمية والادبية والسياسية

كثر اهتمام الناس بالاستانة واحوالها على اثر الانقلاب العثماني وافاضت الصحف في ذلك على اختلاف اغراضها واحوالها وكان للهلال نصيب من ذلك في سنته الماضية فذكرنا تاريخ ذلك الانقلاب وما تقدمه وما نتج عنه . ثم رأينا القول في ذلك لا يكون وافياً ان لم نر مقر ذلك الانقلاب ونشاهد رجاله وندرس احوالهم فرحلنا الى الاستانة في اثناء عطلة الهلال قضينا فيها بضعة اسابيع تفقدنا بها آثارها وتعرفنا الى خيرة رجالها ودرسنا أحوالها الاجتماعية والادبية والسياسية . ونحن باسطون في ما يلي خلاصة ما علمناه بعد الدرس والاختبار

ونقسم الكلام في ذلك الى اقسام ١ موقع الاستانة الجغرافي ٢ مناظرها الطبيعية ٣ آثارها التاريخية ٤ مشاهدها وقصورها ٥ متاحفها ومعارضها ٦ حالتها الاجتماعية ٧ حالتها العلمية والادبية ٨ حالتها السياسية . فنقول

## ١ — موقعها الجغرافي

الاستانة وهي القسطنطينية مدينة قسطنطين الكبير وكانت قبله تسمى بيزانطية فسماها باسمه وجعلها سنة ٣٣٠ م كرسي المملكة الرومانية الشرقية او مملكة الروم في اصطلاح العرب . وقد خصها الله بموقع طبيعي لا مثيل له على سطح هذه الكرة لانها موصلة بين القارتين ووسط بين البحرين تمنعها المضائق وتصونها البواغيز . وتقسم الى الاستانة المدينة الكبرى والى الضواحي

والاستانة ثلاثة اقسام اثنان في أوربا والثالث في اسيا كلها تتجاذب للمعانقة فتحول بينها المياه . او هي ثلاث مدن برية تفصل بينها ثلاثة ابحر (كما ترى في الخارطة) فالاقسام البرية هي استامبول في الجنوب وبك اوغلي او بيرا في الشمال وكلاهما في أوربا واسكودار في الشرق وهي في اسيا يفصل بينها البوسفور في الشمال الشرقي ومرمرا أو الدردنيل في الجنوب وقرن الذهب في الغرب الشمالي — تلك هي اقسامها اليوم . أما في زمن الروم فلم يكن عامراً منها الا استامبول وهي البلد الذي فتحه العثمانيون وجعلوه مقر حكومتهم ولا تزال الى الآن مقر رجال الدولة وفيها ابنية الحكومة والجوامع والمساجد والمدارس وهي تعد اسلامية لان أكثر سكانها من المسلمين . ولذلك فا كثر الآثار التاريخية فيها . وكانت بيرا عند الفتح ضاحية يقيم فيها بعض الاجانب اذا نزلوا الاستانة ثم عمرت فصارت بلداً أكثر سكانه من الافرنج ونحوهم . ويوصل بين استامبول وبيرا جسران أحدهما جسر غلطه القديم وهو اقربهما الى البوسفور وثانيهما الجسر الجديد الى غربيه . اما اسكودار فانها بلد اسلامي تركي يتفاءل به الاتراك خيراً لانهم نزلوه قبل الفتح ومنهُ انتقلوا الى أوربا ومدوا سلطانهم فيها . ونختص استامبول بالوصف هنا لانها تشتمل على اهم المشاهد والآثار التي سيدور الكلام عليها في ما يلي

### استامبول

هي مثلثة الشكل رأسها في الشرق وقاعدتها في الغرب يحدها قرن الذهب من الشمال الشرقي وبحر مرمرا من الجنوب وقاعدتها سورٌ موصل بين المائين بما يشبه مدينة الخرطوم . ومما يهمنا ذكره من اجزائها السور القديم فانه يبتدئ في الشمال بايوان سراي وينتهي في الجنوب بالابراج السبعة وسياتي ذكره . وترى في طرف استامبول

من الشرق بناء يسمى ضربخانة وبجانبه كانت سراي امبراطور الروم والى غربيها جامع ايا صوفيا وكان قبل الفتح كنيسة على اسم القديسة صوفيا . وترى خارج السور في الشمال الغربي مكاناً اسمه ايوب اصله قبر ايوب الانصاري الذي قتل في حصار القسطنطينية على عهد بني أمية . لان العرب مافتئوا منذ الاسلام يحاولون اخراج الروم من القسطنطينية كما اخرجوهم من العراق والشام ومصر واول من باشر ذلك منهم معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان بن عفان ثم حاصرها يزيد بن معاوية وكان في جملة المحاصرين ابو ايوب الانصاري كما سيأتي . ثم حاصرها غيره وغيره من قواد المسلمين ولم يفز بفتحها الا العثمانيون ففتحها السلطان محمد الثاني سنة ١٤٥٣ م وقد فصلنا ذلك في السنة السادسة من الهلال

ضواحي الاستانة

اهم ضواحيها واقع على شاطئ البحر وهي قسمان شمالي وجنوبي والشمالي على ضفاف البوسفور والجنوبي في جنوبيها مما يطول شرحه فنقدم اهمها وهو البوسفور

« البوسفور » يمتد من الاستانة شمالا الى البحر الاسود على مسافة ٢٧ كيلومتراً فهو موصل بين البحر الاسود في الشمال وبحر الدردنيل في الجنوب وعرضه عند مدخله نحو كيلو متر ونصف واضيق المسافات فيه عند روملي حصار واناطول حصار نحو ٥٠٠ متر واوسعها عند بيوك دره فان المسافة بين الشاطئين هناك ٣,٥٠٠ متر . وهو عبارة عن قرى متقاربة تمتد على ضفتي البوسفور شرقاً وغرباً . وهذه اسماء اشهر القرى بعد الاستانة شمالاً الى البحر الاسود على الشاطئين :

| على شاطئ اوربا | على شاطئ اسيا |
| --- | --- |
| قباطاش | كوسكنجق |
| بشكطاش | كرشلك جاملجه |
| اورته كوي | بكلربكي كوي |
| كورو جشمه | جنكل كوي |
| ارناوط كوي | واني كوي |
| بيبك | قنديللي |

| على شاطىء اوروبا | على شاطىء اسيا |
|---|---|
| روملي حصار | اناطول حصار |
| بويلجي كوي | قانلجه |
| اميرجيان | چبوقلي |
| ستانيا | باشا بغچه |
| بكي كوي | انجير كوي |
| طرابيا — كيريج بورنو | بيكوس |
| بيوك دره | بالي كوي |
| مزار بورنو اوصاري ير | بك قوز |
| بكي محله | اناطول قواق |
| روملي قواق | |

أما في الجنوب فهناك عدة قرى بعضها على شاطىء اوروبا وراء سور استامبول والبعض الآخر على شاطىء اسيا بعد اسكودار وهذه اشهرها على شاطىء استامبول وعلى شاطىء اسيا بعد اسكودار

| على شاطىء اوربا | على شاطىء اسيا |
|---|---|
| قوم قبو | حيدر باشا |
| بكي قبو | قاضي كوي |
| بساماتا | مودا |
| ماقري كوي | فنربورنو |
| سان ستفانو | مال تبه |

ووراء هذه القرى بضع جزر تعرف بجزر الامراء اشهرها برنكبو وخالكي

وهناك خط آخر بحري تكتنفه القرى على الجانبين نعني خليج قرن الذهب وهو يعدُّ من الاستانة نفسها وليس من ضواحيها . طول هذا الخليج نحو ١١ كيلو متراً ومتوسط عرضه نحو ٤٠٠ متر ويختلف عمقه بين مترين و٤٠ متراً والمحطات على ضفتيه متقاربة بعضها من جهة بيرا والبعض الآخر من جهة استامبول وهذه اهمها :


بوغاز البوسفور
رسمت لمجلة الهلال بمصر

| من جهة بيرا | من جهة استامبول |
|---|---|
| غلطة | جوبالي |
| قاسم باشا | ايا قبو |
| اينالي قواق | الفنار |
| خاص كوي | بلاطه |
| بيري باشا | ايوان سراي |
| خليجي اوغلو | ايوب |

وينتهي قرن الذهب في طرفه الغربي بمحلة تعرف بالكاغدخانة هي من اجمل متنزهات الاستانة . ويقدرون سكان الاستانة وضواحيها بنحو ١,٢٠٠,٠٠٠ نفس ونظنهم اكثر من ذلك

## ٢ — مناظرها الطبيعية

يعلم القارئ مما تقدم ان الاستانة كثيرة الشواطئ وربما زاد طول هذه الشواطئ فيها على مئة وخمسين كيلو متراً يدخل فيها ضفاف البوسفور وشواطئ قرن الذهب والدردنيل والجزائر . وجميع هذه الشواطئ عامرة بالقصور والبساتين والفنادق لأنها عبارة عن قرى متواصلة العمارة — وان البلد يكون فيه كيلو متران أو بضعة كيلومترات من الشاطئ فيقيم اهله عليه الابنية الفخيمة ويعدون ذلك نعمة عليهم فكيف ببلد فيه ١٥٠ كيلومتراً من الشواطئ الآهلة؟

ثم ان هذه الشواطئ عبارة عن سلسلة تلال أو هضاب بينها الأودية . حتى الاستانة نفسها فانها مؤلفة من هضاب تكسوها القصور والجوامع والشوارع اذا اطل عليها القادم بالبحر رأى تلك الابنية تتدرج صعوداً من الشاطئ الى قمم الهضاب وتتخللها الحدائق . فاستامبول مثلاً مؤلفة من سبع هضاب متصلة العمارة ممتدة على شاطئ قرن الذهب لا تظهر جليًا الا للمتأمل : أولها تشرف على الدردنيل وعليها الآن بناية الطوبخانه والسراي القديمة ( طوب قبو ) وجامع أيا صوفيا وجامع السلطان احمد . وعلى الهضبة الثانية جامع نوري عثمانية . وعلى الثالثة سراي السرعسكرية وجامع السلطان سليمان أو السليمانية . وعلى الرابعة جامع السلطان محمد الفاتح أو المحمدية . وعلى الخامسة جامع

السلطان سليم أو السليمية وحي الاروام المعروف بالفنار وفيه بطركخانة الروم . وعلى السادسة ابنية سراي تكفور عند محطة بلاطه و بعدها على السابعة جامع ايوب وغيره . ( انظر الخارطة ) و بين هذه الابنية البارزة القصور والمنازل والأسواق والبساتين وغيرها متلاصقة أو متقاربة تظهر للناظر اليها من البحر كأنها معرض منضد بعضه فوق بعض بشكل امفيتياتر

واعتبر ذلك بيرا تجاه استامبول على قرن الذهب فانها مؤلفة من تلال متقاربة . وهكذا أيضاً ضفتا البوسفور وشواطئ الدردنيل فانها عبارة عن تلال متحاذية على الشاطئ يختلف طول قاعدة كل منها من نصف كيلومتر الى كيلو مترين أو اكثر أو اقل . وعلوها من مئة متر الى الف متر . اجملها على ضفاف البوسفور فانك ترى القرية من قراها اشبه بمعرض من الخمائل والقصور تتدرَّج بعضها وراء بعض من الشاطئ الى قمة التل و بينها بساتين بعضها من الشجر القديم كالسنديان والصنوبر والدلب ونحوها تقادم عهدها واهملها الانسان فنمت على الفطرة بلا تعهد ولا تقليم فتشبكت اغصانها وتعانقت افنانها ثم جاء الانسان فابتنى بينها قصوراً متفرقة أو بيوتاً صغيرة من الخشب سقوفها من القرميد — وانما عمدوا الى الخشب دون الحجر لانهُ أقل كلفة وابعد عن خطر الزلازل فوقعوا بذلك في خطر الحريق

فالمتوغل في البوسفور على الباخرة يرى انه في بحيرة تحيط بها الهضاب المكسوة بالخمائل والحدائق بينها الابنية مختلفة الالوان والأشكال مما يشرح الصدر ويطلق عنان الخيال . واجمل ماشاهدناه من مناظرها قبيل الغروب انعكاس اشعة الشمس عن زجاج النوافذ من منازل الشاطئ الاسيوي لامعة تبهر النظر كأنها منعكسة عن الماس ترصعت به تلك المنازل . ثم احمرت فخيل لنا ان النار شبت في الغرف حتى كاد لسان لهيبها يندلع من الشبابيك مما يستوقف النظر . فاذا غربت الشمس وخيم الظلام ارتسمت السماء على صفحات الماء . والجالس في أي منزل من منازل تلك القرى سواء كان على الشاطئ قرب الماء أو في سفح الهضبة أو على قمتها فانه يشرف على المياه والبواخر تسبح فيها ويرى وراءها التلال المكسوة بالاشجار والابنية

ذلك شأن ضفاف البوسفور وغيرها من شواطئ الاستانة وضواحيها . واذا

أوغلت في البر وراءها لا يقع نظرك الا على وادٍ خصيب أو غابة غضة أو جبل مكسوّ بالاشجار الكثيفة بينها ينابيع باردة مثل ينابيع لبنان تجري صافية كالزلال . وقد اقيمت هناك اماكن النزهة يقصدها الناس يقضون عندها الساعات والايام كما يفعل المصطافون بلبنان في خروجهم الى الينابيع المشهورة كعين الرمانة وعين حمانا ونبع العسل ونبع اللبن وغيرها وان كانت هذه اشد برودة من ينابيع الاستانة الا ان هذه اجمل منظراً واكثر خضرة لان معظمها يجري في جبال تكسوها اشجار هائلة الكبر قد تعانقت اغصانها وتكاثفت اوراقها حتى تحجب أشعة الشمس لكنها لا تضيق الصدر لانها عالية وبين جذوعها منفرجات . وقد تعاظم جرمها لقدم عهدها ويندر ان تكون للانسان يد في اصلاحها . وهذه الينابيع كثيرة بعضها في شاطىء الاناطول والبعض الآخر في جهات الروملي . واشهر المياه في الروملي نبع الكاغدخانة في آخر قرن الذهب وهو منتزه جميل عبارة عن عشرات من الافدنة مكسوة بالاشجار والاعشاب وتجري فيها المياه فيقصدها الناس زرافات ووحدانا في فصل الربيع . وجرجر صو نبع كثير الشبه بموقعه وبرودته بعين الرمانة بلبنان . وبالقرب منه نبع خونكار ( خونكار صو ) وهو اعلى كثيراً من جرجر لا يمكن الصعود اليه بالمركبات ويصعب تسلقه على الدواب . ماؤه بارد ولذيذ اذكرنا بعين حمانا في عيناب لكنه اكثر خضرة وشجراً وقس عليه نبع كستنه صو في ذلك الجوار وماء فلوريا ووراء سان ستفانو وغيرها

ومن الينابيع المشهورة في شاطىء اسيا « كوك صو » وقد وصفها شوقي بقصيدته التي مطلعها « تحية شاعر يا ماء جا كسو » ومنها عين وراء اسكودار يحملون منها الماء بالبراميل الى الاطراف يبيعونها — وهم يحملون الماء على هذه الصورة من سائر الينابيع

وتسهيلاً للتمتع بالطبيعة والانتقال بين الشواطىء تألفت في الاستانة شركتان للبواخر احداهما الشركة الخيرية تنقل الناس بين الاستانة وضفاف البوسفور والاخرى اسمها الشركة المخصوصة تمخر في قرن الذهب والدردنيل الى جزائر الامراء . تحمل السفينة مئة انسان او اكثر تنقلهم بين المدينة والقرى او بين القرى بعضها الى بعض . وبينها سفن تنقل المركبات بخيولها فتقترب من الشاطىء ولها باب واسع تدخل فيه المركبة وقد تسع ثلاث مركبات أو اكثر بخيولها وتنقلها بين الشواطىء . تخترق

تلك السفن البحرهادئة والهواء يهب عليلاً والعين تتمتع بمنظر الشواطىء على ما قدمناه ومهما يكن من حرارة الطقس في اشد ايام الحر فان البوسفور لا يبرح هواءه منعشاً وتفضل الصيفية فيه على معظم مصائف العالم

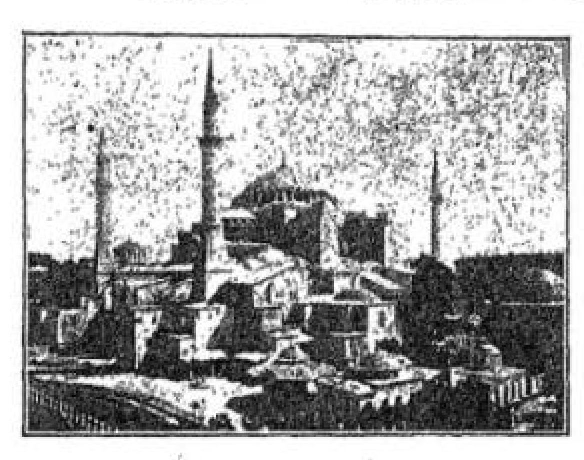
فترى ان الطبيعة وهبت الاستانة وضواحيها هبات يعز مثالها في مشارق الارض ومغاربها ولكن الانسان لم يحسن استخدام تلك الهبة ــ فبين ترى منازل الاستانة متراصة بعضها وراء بعض تشرف على البحر وعلى ما جاورها من المنازل ترى شوارع المدينة ودروبها تكاد تكون خراباً لتقلقل بلاطها وقلة العناية في اصلاحها فضلاً عن ضيقها . كأن حكام العصر الماضي لم يكن يهمهم الاَّ ما يخصهم أو يأول الى منافعهم الشخصية لانك ترى منازلهم على أتم نظام وحدائقهم على اجمل ترتيب يتعهدون اشجارها بالمقراض على احسن هندام ويرصفون الطرق بين المساكب بالحصى الملوَّنة على شكل الفسيفساء . وكانوا ينفقون الملايين على بناء منازلهم ومتنزهاتهم ويضنون بالقروش على الاماكن العمومية . ولكن الامال معقودة بالحكومة الدستورية ان تعوض مافات

## ٣ - آثارها التاريخية

ان اكثر آثار الاستانة التاريخية في استامبول وأهمها المساجد وهي عديدة يزيد عددها على ٤٨٠ جامعاً منها ٨٩ كانت كنائس حولها العثمانيون بعد الفتح الى مساجد اشهرها جامع ايا صوفيا الواقع على الهضبة الاولى من هضاب استامبول

كان هذا الجامع قبل الفتح كنيسة باسم القديسة صوفيا بناها قسطنطين الكبير سنة ٣٦٠ م ووسعها ابنه قونستانس واحترق بعضها سنة ٤٠٤ م على عهد اركاديوس ورممها ثيودسيوس ثم احترقت برمتها على زمن يوستنيان الاول فاعاد بناءها ثانية على الشكل الباقي الى اليوم . وبذل يوستنيان جهده في جعلها اجمل كنيسة في عصره فلم يدخر وسعاً في تذهيبها وانتقاء احسن الاساطين من الرخام وغيره حملوا اليه بعضها من رومية والبعض الآخر من افسس وغيرهما وفيها اساطين من انقاض الهياكل الوثنية القديمة في اثينا و بعلبك وديلوس ومصر . وقد تولى يوستنيان مراقبة البناء بنفسه وكان يكافئ العملة بما ينهض هممهم ويستحث قرائحهم . واصطنع قراميد القبة في رودس

من تراب خفيف جداً فلم تكن تزن القرميدة منه عشر قرميدة من سواه وقد طبع على كل قرميدة هذه العبارة باليونانية « الله اسسها وهو يعينها »

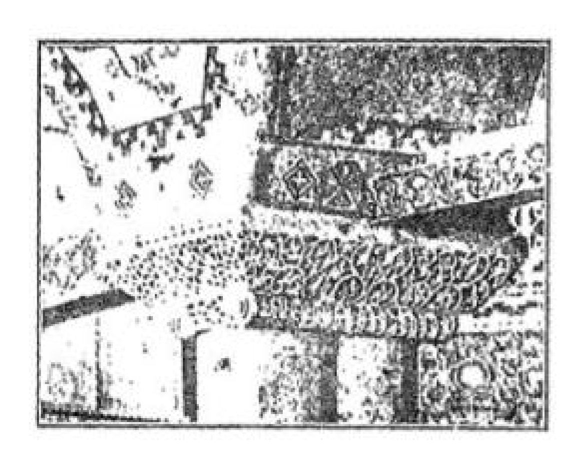


جامع ايا صوفيا

وبلغت النفقات عليها قبل ان يرتفع البناء متراً واحداً عن الارض ٤٥٢ قنطاراً من الذهب . وفرغ من البناء سنة ٥٤٨ م بعد قضاء ١٦ سنة في اتمامه فاحتفل الامبراطور بتدشينه احتفالاً شائقاً فرّق فيه الاعطية والحسنات اربعة عشر يوماً وقال يومئذ « الحمد لله لانهُ جعلني اهلاً لاتمام هذا العمل العظيم فقد غلبتك يا سليمان »

فلما فتح العثمانيون الاستانة سنة ١٤٥٣ دخلها محمد الفاتح على جواده حتى اذا بلغ هذه الكنيسة وطئ صحنها ووحّد فصارت معبداً للمسلمين من ذلك الحين . وبنى فيها منارة وبنى غيره بعده سائر المنائر فصارت اربعاً. ولو أردنا وصف هذا الجامع لاستغرق ذلك شرحاً كبيراً يضيق هذا المكان عنه فنقتصر على خلاصته — وذلك ان مساحته ٧٦ متراً في ٧٠ فهو مربع تقريباً وعلى قمته قبة عالية قطر دائرتها ٣٢ متراً وارتفاعها عن الارض ٦٥ متراً وفيها ٤٠ نافذة والقبة قائمة على اربع اقواس كبيرة مرتكزة على اعمدة ضخمة بعضها مطوق بالحديد خوفاً من تشققه بينها اربعة اعمدة مجلوبة في الاصل من افسس وثمانية اخرى من معبد الشمس واخرى من مصر وجملة الاعمدة نحو ١٠٧ اعمدة من الرخام الملوّن عليها تيجانها مزخرفة بالنقوش

وكان على جدران هذا المسجد وهو كنيسة صورٌ لبعض القديسين أو الملائكة



تاج احد اعمدة جامع ايا صوفيا

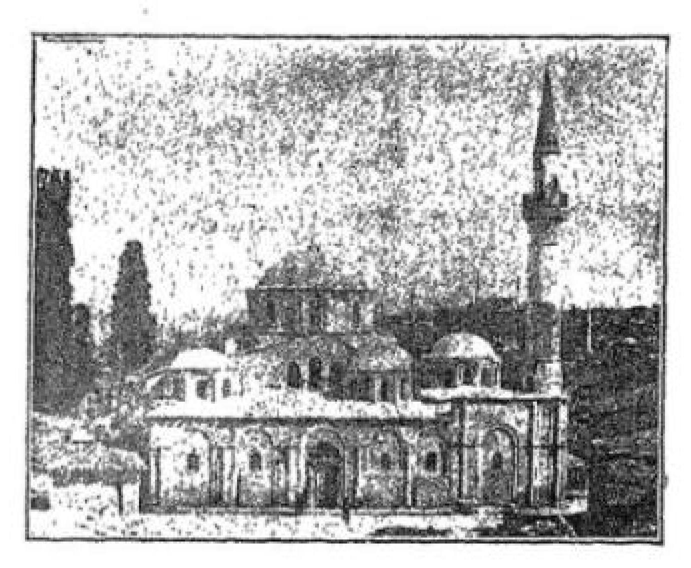
وقد محوا بعضها وغطوا البعض الآخر بستائر عليها آيات مطرزة . وهناك صورة كروبيم لم يبق ظاهراً منها الا الاجنحة وقد تغطت الرؤوس بالستارة . وجدران الجامع مصفحة بالمرمر والرخام وعلى باطن القبة الكبرى كتابة بالذهب طول الحرف منها تسعة امتار تبدأ بالآية « بسم الله الرحمن الرحيم الله نورُ السموات والارض » الخ ويتدلى من القبة ثريا كبيرة فيها المصابيح الكثيرة . وفي صدر الجامع المحراب وقد نقش بالذهب في اعلاه ايات تنقش في اكثر المساجد مع تغيير قليل في المحراب « كلما دخل عليها زكريا المحراب » وتحته « لا إله الا الله محمد رسول الله . وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً » ثم « وليطوفوا بالبيت العتيق » ثم « ونادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب » وبين يدي المحراب شمعتان ضخمتان على قواعد ثابتة . والى جانبي المحراب من الاعلى « الله » « محمد » ووراء ذلك ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين والى يسار المحراب المقصورة التي كان السلاطين يقفون فيها للصلاة والى اليمين المنبر يصعد اليه بسلم مذهب . وبالجامع مكتبة نفيسة

وبجواره مدفن السلطان سليم الثاني واولاده قتلهم مراد الثاني لما تولى الملك . وقبور مراد هذا و ١٩ من اولاده قتلهم اخوهم محمد الثالث لما تولى

جامع [illegible]

موقعه عند باب أدرنة من ابواب السور في طرف استامبول الغربي ويسميه

الافرنج جامع القهرية أو القاهرية لكن الاتراك يضبطون لفظه بالعين (القعرية). وكان في اصل بنائه كنيسة هي اقدم كنائس القسطنطينية فقد ذكرت سنة ٢٩٠م ثم تهدمت غير مرة واعيد بناؤها اخيراً في القرن الحادي عشر للميلاد ولما دخل الاتراك القسطنطينية بعد الفتح جعلوها جامعاً عرف بجامع القعرية وهو بناء صغير لا أهمية له الا من حيث قدمه وبما على سقوفه وجدرانه من الصور النصرانية المتقنة مرسومة بالفسيفساء الملوّنة وهي عديدة اكثرها في سقوف رواقه لا يزال معظمها محفوظاً باشكاله والوانه كأنه رسم بالامس الاّ ما أفسده الحريق



جامع القعرية

دخلنا هذا الجامع من بابه الخارجي الى الرواق وهممنا بالدخول الى صحنه إذ لم يبدُ لنا في الرواق لاول وهلة ما يستلفت النظر لان بناءه في غاية البساطة فاستوقفنا قيمه واشار باصبعه الى السقف فبهرنا ما شاهدناه هناك من الصور المدهشة بالوانها الزاهية ورسومها المتقنة . والسقف عبارة عن قبب اقواسها متداخلة في كل قبة صورة أو غير صورة بالحجم الطبيعي تمثل السيد المسيح أو بعض أعماله أو بعض حوادث الكتاب المقدس منها صورة ولادة المسيح في بيت لحم . وصورة تمثل ظهور ملاك الرب ليوسف . واحصاء سكان بيت لحم . ووقوف مريم بين يدي اليصابات . وأخذ يوسف مريم العذراء الى بيت لحم

ووقوف المجوس بين يدي هيرودس . وهيرودس يخاطب رئيس الكهنة والكتبة . وأمر هيرودوس بقتل الاولاد . وسجود المجوس للمسيح . وبكاء الامهات . وفرار اليصابات الى المغارة يتبعها جندي . ورجوع المسيح الى الناصرة . ورحلتهُ الى اورشليم والمسيح



ثيودورس يقدم مثال الكنيسة للمسيح

بين الكهنة . ويوحنا يعمّد . ومجيء المسيح ليتعمد . وتجربة الشيطان له . والعرس في



مريم العذراء والمسيح في حجرها

قانا الجليل . وكسر الخبز . ويسوع والسامرية . وشفاء المفلوج . وشفاء الابرص . وصور كثيرين من القديسين والانبياء في دوائر حول المسيح والعذراء . وصورة المسيح جالسا وبين يديه ثيودوروس المتوخي ساجداً يقدم له الكنيسة أو مثالاً منها كما ترى في الشكل . وشفاء اليد اليابسة وغيره وشفاء الاعمى والاطرش . وشفاء حماة بطرس . وبشارة الملاك لحنة . والتقاء يواكيم وحنة بباب الهيكل . وولادة العذراء . والعذراء بين والديها . والعذراء باركها الكهنة . ومجيء العذراء الى الهيكل ونحو ذلك . واكثر هذه الصور لا يزال واضحاً وما فسد منها لم يفسده المسلمون وانما أضرَّ به الحريق أو الزلزال — حتى داخل المسجد فقد رأينا صوراً على جدرانه غطاها المسلمون بما يشبه أجنحة النوافذ تفادياً من ظهورها وقت الصلاة ولم يمحوها مما يدلُّ على رغبتهم في تجنب أذاها

جامع السليمانية

بناه السلطان سليمان القانوني واقع بجانب السرعسكرية ويشغل معظم الهضبة الثالثة من هضاب استامبول كما تقدم وله ملحقات من المدارس والمنائر والتكيات والاضرحة والمكاتب والحمامات . وهو من اتقن ابنية الاستانة وافخمها هندسهُ سنان الشهير سنة ١٥٥٠ — ١٥٦٦ ونقلت أهم احجاره من كنيسة خلكيدونية وكنيسة السراي الكبرى وهو افخم ابنية العاصمة ويظهر لاهلها من كل ناحية لعلوه واشرافه وهو نحو جامع اياصوفيا في السعة . دخلناه وتهيبنا من ضخامته وعلوه وعظم عضائده فان قبته قطرها ٢٦ متراً قائمة على اربع عضائد سماقية اللون مربعة الشكل طول كل ضلع منها ٩ امتار وعلوها ٢٠ متراً وبين كل عضادتين في الجانبين عمودان مستديران من الجرانيت تيجانها مذهبة وداخل الجامع لونهُ سماوي

محرابه منحوت من الرخام في اعلاه الآية « وكلما دخل عليها زكريا المحراب » وقد تدلى الى كل من جانبيه طبق شبه الجرس الكبير مذهب وتحت الطبقين على الارض شمعتان طول الواحدة خمسة امتار ومحيطها متر ونصف قائمتان على مشمعتين مشدودتين الى الحائط بامراس . والى جانبي المحراب اسطوانتان من الجرانيت المجزع فيها نقش كالميازيب . والى يمين المحراب المنبر منحوت من الرخام هو ودرابزينه وبابه قطعة واحدة وقد طليت افاريزه بالذهب ونقش على عتبة بابه بالذهب نقشاً من الطرز العربي

المعروف بالمقرنص تحته آية التوحيد . والحائط حول المحراب مبطن بالقيشاني الثمين وقد كتبت فيه بالقيشاني الملون دائرتان هما معاً سورة الفاتحة . وفوق ذلك النوافذ عليها الزجاج الملون قطعاً صغيرة بغاية الاتقان والزخرفة وفيها كتابات دينية . وفوق المنبر قبة مستطيلة مذهبة تشبه منبر المدينة . وفوق المحراب من اليمين اسم الجلالة منقوش بالذهب والى اليسار اسم محمد والى كل من الجانبين وراء ذلك اسماء الصحابة كالعادة وآيات عديدة . ويتدلى من القبة في وسط الجامع ثريا كثرية الشكل حولها دائرة تتعلق بها المصابيح

وبالجملة فان جامع السليمانية هذا آية في الضخامة والاتقان وقد استوقفت فخامته نظرنا اكثر من سائر المساجد وبجانبه ضريح السلطان سليمان القانوني بانيه

جامع ابي ايوب

ويسميه بعضهم السلطان أيوب غلطاً فانه مقام ابي ايوب الانصاري احد كبار الصحابة نزل النبي في داره يوم جاء المدينة وكان قد دخلها على ناقته فامسك بها بعضهم وطلب اليه النزول عند اهله او غيرهم فقال « دعوا الناقة فانها مأمورة » فبركت على باب أبي ايوب ونزل النبي عنده حتى بنى المسجد . والمشهور ان ابا ايوب جاء لغزو القسطنطينية مع يزيد بن معاوية سنة ٥١ هـ فمات خارج سورها ودفن هناك . وما زال قبره مهملاً حتى كان الفتح العثماني فبنى محمد الفاتح على قبره مقاماً وبجانبه جامعاً وجعل ان لا يتولى سلطان عثماني الا تقلد سيف عثمان رسمياً في جامع ابي ايوب

وهو واقع في اواخر قرن الذهب لا يظهر من بعيد لانه قائم في بقعة منبسطة تحدق به الاشجار والمنازل فلا يراه الزائر حتى يصل اليه

دخلنا من بابه الخارجي الى ساحة مكشوفة في وسطها بركة او ميضة وفي بعض جوانبها شجرة دلب مات جذعها لقدم عهدها ونما بجانبه شجرة أخرى توكأت على ذلك الجذع وافترش جذعها عليه واتخذ شكله . وقرأنا على عتبة هذا الباب من الداخل « وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احداً » فمشينا في تلك الساحة خطوات فاصبنا الى يميننا باباً يؤدي الى صحن المسجد فولجناه وقد كتب على بابه « سلام عليكم طبتم فادخلوها » وفي يمين ذلك الصحن باب الجامع وعليه « سلام عليكم ادخلوا الجنة

بما كنتم تعملون » وفي وسط الصحن شجرتان من الدلب هائلتا الكبر والى اليسار شبابيك محدبة من نحاس قد نقش في وسط أحدها « لا اله الا الله الملك الحق المبين محمد رسول الله صادق الوعد الامين » وهـذا الشباك من شبابيك مقام أبي ايوب . ومدخل المقام من باب خاص في الساحة الخارجية سنعود اليه

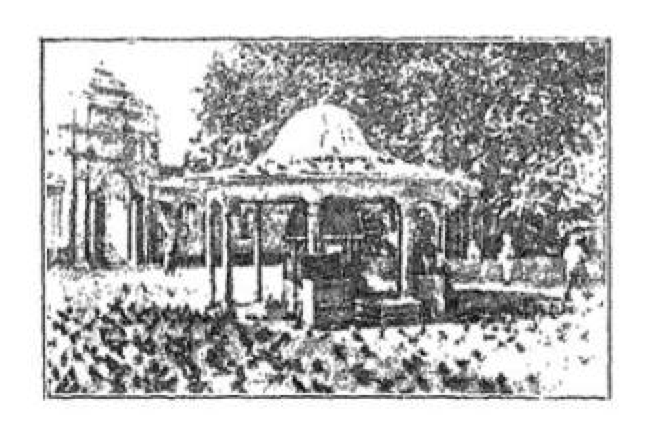
أما الجامع فبابه الى يمين الداخل كما تقدم في صدره محراب قد نقش فوقه بشكل دائرهذه الآية «فول وجهك شطر المسجد الحرام » وتحتها مربع مستطيل فيه قوله « كلما دخل عليها زكريا المحراب » والى يمين المحراب المنبر يصعد اليه بسلم مثل سائر المنابر وهو مصنوع من رخام مذهب وقبة الجامع قائمة على ستة اعمدة محيط كل منها ٤ امتار بينها اربعة اعمدة صغار وفي هذا المسجد يتقلد السلاطين سيف عثمان

مقام ابي ايوب

وأما المقام فبابه الخاص في آخر الساحة الخارجية الى اليمين أي بعد باب الجامع الخارجي . دخلنا منه الى دهليز طويل مبطن بالقيشاني الجميل وله نوافذ عليها ستائر من الحرير ينتهي الدهليز بغرفة مبطنة بالقيشاني . وعلى جدرانها اطارات فيها الواح عليها آيات قرآنية واحاديث بخطوط جميلة . وفي هذه الغرفة حجرة هي جزء منها فيها مقام ابي ايوب أي قبره دخلناها من باب في الغرفة بجانبه شباك مذهب . وقد نقش على عتبة الباب من الخارج بحرف كبير « دعوا الناقة فانها مأمورة فبركت على باب ابي ايوب » فرأينا في وسطها الضريح يحف به سور من شبك الفضة اعلى من قامة الانسان فيه نقوش يقرأ في أحدها « السلطان سليم الثالث سنة ١٢٠٧» ويجلل الضريح غطاء من المخمل الاسود المطرز بالذهب وعليه آيات وادعية . وحول الضريح وراء الشبك الفضة وعند قاعدته مساند من الخشب عليها مصاحف خطية كل منها ملفوف بجوخ أخضر . وفي بعض جوانب الحجرة المذكورة بئر يستقى منها . وجدران هذه الحجرة مبطنة بالقيشاني ايضاً وعليها الواح فيها آيات واحاديث

ورأينا في الغرفة الخارجية المؤدية الى الحجرة آثاراً تستحق الذكر غير الآيات والاحاديث منها أثر قدم النبي على بلاطة محفوظة في كوة خصوصية . وبجانبها اطار صغير مذهب يشتمل على صفيحة من زجاج تحتها ورقة شجر مجففة وقد كتب فوقها

بالتركية انها من شجرة في مكة غرسها النبي بيده

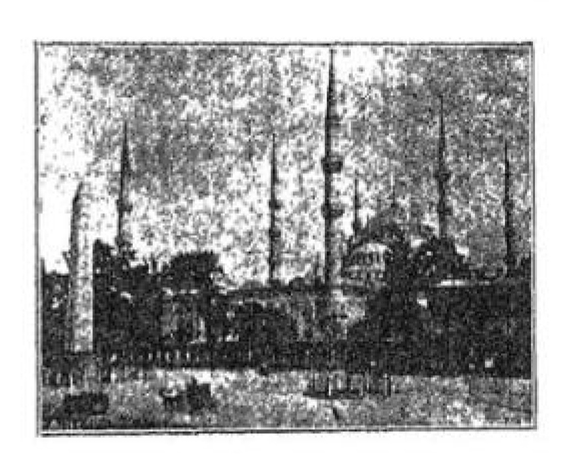


صحن جامع بايزيد فيه الحمام يربونه فيتكاثر حتى يعد بالالوف وهناك رجل يبيع الحبوب لمن يريد ان يطعم الحمام ولا يكاد المطعم يقف بجانب البائع حتى يتساقط عليه الحمام بالمئات

جامع السلطان احمد

بناه السلطان احمد المتوفى سنة ١٠٢٦ هـ بالقرب من اتميدان الذي قتل فيه الانكشارية ويمتاز عن سائر المساجد بكثرة مآذنه فانها ست وسائر المساجد لا تزيد مآذنها على اربع . دخلنا اليه بعد المرور بخلاء يحيط بثلاث من جهاته ثم صعدنا على سلم كالهرم المدرج الى صحن في احدى جهاته الى اليمين مصطبة من الرخام الكبير بينها رخامات يزيد طول بعضها على خمسة امتار او ستة . في وسط ذلك الصحن حنفية او ميضة ويحف به من الجهات الثلاث الباقية قناطر كالقباب الصغيرة قائمة على ٢٦ عموداً . ثم دخلنا الى المسجد من باب يخترق المصطبة قرأنا على عتبته في الاعلى اسم السلطان احمد واجداده منقوشة بالذهب . وفوق الباب قبة من الرخام على الشكل المقرنص مثل اكثر ابواب مساجد الاستانة . والمسجد من الداخل قبة واحدة مثل سائر جوامع الاستانة قائمة على اربعة اعمدة او عضائد مستديرة من رخام ابيض محيط كل عضادة منها ٣٢ متراً وحول تيجان هذه العضائد في الاعلى كتابة منقوشة بالذهب هي واحدة فوق كل عضادة تبدأ بقوله « قال الله تبارك وتعالى « لمسجد اسس على التقوى » الخ والمسافة بين كل عضادتين ٢٤ متراً ومساحة الجامع كله نحو مساحة

السليمانية . واذا امتاز جامع السليمانية بالفخامة والمتانة فان هذا يمتاز بالزخرفة واللطافة وجمال الهندسة لان محيطه من الاسفل عبارة عن رواق من قباب صغيرة قائمة على اساطين لطيفة من الرخام المجزع بينها أعمدة رخام ابيض ضخمة وقد تبطن هذا الرواق بالقيشاني الازرق وكذلك أعلاه بين الشبابيك الى حدود السقف تحت القبة . وفوق ذلك الى أعلى القبة مدهون بالوان تشبه القيشاني فيظهر باطن الجامع لاول وهلة انه مبطن بالقيشاني الازرق كله أعلاه وأسفله



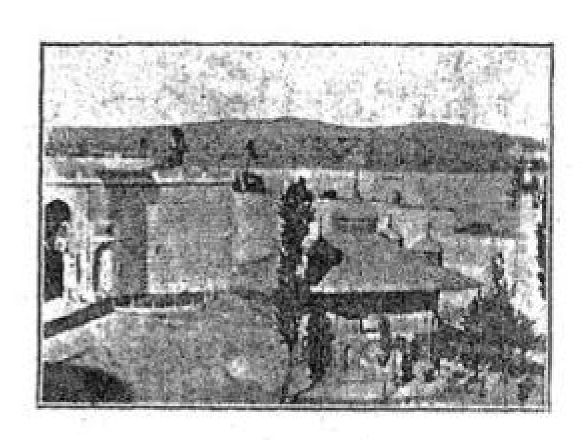
جامع السلطان احمد وبجانبه مسلة ثيودسيوس

والمحراب في الصدر رخام مذهب وبجانبه شمعتان اقل ضخامة من شمعتي محراب السليمانية وابواب الجامع وشبابيكه كلها من الرخام الابيض والمنبر رخام مذهب بابه قطعة واحدة عليها سورة التوحيد وهو يشبه منبر مكة . وفي اعلى المحراب الآية « كلما دخل عليها زكريا المحراب » تحتها الآية « فنادته الملائكة وهو يصلي في المحراب » وبجانب المحراب في الحائط قطعة من حجر مجزع يتوهم الناظر اليها لاول وهلة انها صورة ملونة تشبه مقطوع جزع الشجرة فاذا تفرس فيها وجدها حجراً مصقولاً وهو نادر المثال . وفوقه شكل مسدس هو كتابة كوفية فيها اسماء الصحابة . وبجانبه صورة كبيرة بالزيت تمثل الكعبة ضمن اطار مذهب وقد كتب في اسفلها انها رسم معمار زاده سنة ١٣٢١ وهي في غاية الاتقان . ولايدرك مقدار ما انفق في تزيين باطن هذا الجامع الا من يعرف قيمة القيشاني الثمين فضلاً عن الرخام والذهب وغيره

وهناك جوامع أخرى أغضينا عن وصفها فراراً من التطويل واكتفاء بما تقدم على سبيل المثال . انما نذكر انا رأينا بباب جامع نوري عثمانية الخارجي مدخل يؤدي الى طلعة تنتهي باعلى الجامع الى المقصورة التي يجلس فيها السلاطين لحضور الصلاة قال مخبرنا ان السلاطين كانوا يدخلون من هناك على خيولهم حتى يبلغوا الى الطبقة العليا فيتحولون ويسيرون على اقدامهم الى المقصورة

سبيل السلطان احمد

في الاستانة سبل كثيرة اختصصنا هذا بالذكر لانه افخمها . بناه السلطان احمد في ساحة بين جامع ايا صوفيا وباب سراي طوب قبو. وهو مبني بشكل مربع من الرخام الابيض وفوقه قبة مستديرة الاركان تستطيل حافاتها حوله على شكل الطنف في غاية الزخرفة والاتقان وعلى جهاتها الاربع نقوش مذهبة في وسطها اشعار منقوشة بالذهب بخط جميل هي قصيدة باللغة التركية نظمها شاعر السلطان احمد في جملتها بيت التاريخ جاء فيه اسم هذا السلطان ويقال انه هو نفسه وضعه وهو :



سبيل السلطان احمد

تاريخي سلطان احمدك جاري زبان لوله دن    آج بسمليه ايج صولي خان احمد ايله دعا

وهذه خاتمة القصيدة بالتركية نقلناها عن احد جدران السبيل حرفياً واكثر الفاظها عربي بحيث يمكن للعربي فهمها بتفسير بعض الالفاظ التركية وهي

هم بادشاهدرم ولي ذاتنده اولمش منجلي
عدل عمر جود علي خلق محمد مصطفى
دستنده دولت خاتمي قلمش مسخّر عالمي
حق رسم اسم اعظمي نقش جبين آتمش أكا
سيرت دررصد قيصره غالب هزار اسكندرا
حكمي روان هر كشوره فرمانبري شاه وكدا
هم حامئ بيت الحرم هم خادمي شاه أمم
روم وعرب ملك عجم محكوميدر سر تا بپا
اولدر امام المسلمين ظل خداوند معين
بانصر قرآن مبين امرينه واجب اقتدا

كنيسة الفنار وغلاتاريا

ومن قبيل المعابد التي تستحق الذكر في الاستانة كنيسة الفنار في حي الفنار باستامبول تطل على قرن الذهب وهي قائمة في دير الكرسي القسطنطيني الارثوذكسي والدير كبير فيه عدة أقسام من جملتها هذه الكنيسة . لاحظنا في أثناء دخولنا اليها ان احد ابواب الدير موصد فسألنا عن سبب ذلك فقيل لنا ان البطريرك يواكيم (الحالي) لما هددته الحكومة العثمانية منذ بضع عشرة سنة بذهاب الامتيازات البطريركية اقفل الباب وعزم ان لا يفتحه الا اذا أعيدت اليه وقد نالها كما لا يخفى ولكن الباب لا يزال موصداً

وتفقدنا غرف هذا الدير واحدة واحدة فاذا هي متقنة وفيها من الآثار التي تستحق الذكر صورة زيتية كبيرة تمثل السلطان محمد الفاتح يسلم صولجان البطريركية للبطريرك القسطنطيني وصور أخرى كثيرة . وقد زرنا الكنيسة وهي قديمة ومزخرفة باتقان شاهدنا فيها ثلاثة توابيت اثنان من نحاس اصفر وواحد أبيض لعله مطلي بالفضة . قالوا ان فيها جثثاً محنطة لثلاث قديسات هن فوميا وثيوفانو وسولوموني . وفي الهيكل صورة مريم العذراء وابنها قديمة العهد جداً وقد زينت بالفضة

وشاهدنا في حي الفنار كنيسة للبلغار لم نر مثلها من قبل . اقامها البلغاريون هنالك

في اثناء اختلافهم مع اليونان ساعدتهم روسيا على انشائها . وهي مصنوعة من الحديد الخالص على شكل القبر المقدس في القدس . حملت قطعاً وركبت هناك فلاخوف عليها من الزلازل ولا الحريق . وقد ذكروا انها كلفت ١٢٠,٠٠٠ جنيه . طولها نحو ٣٠ متراً هيكلها مذهب وكتبها باللغة البلغارية وجدرانها قد نزل فيها قطع من الرخام المرمر او الجزع الثمين يختلف حجمها بين متر واكثر او أقل . وللكنيسة طبقة عليا لجلوس النساء وفوق ذلك قبة الجرس

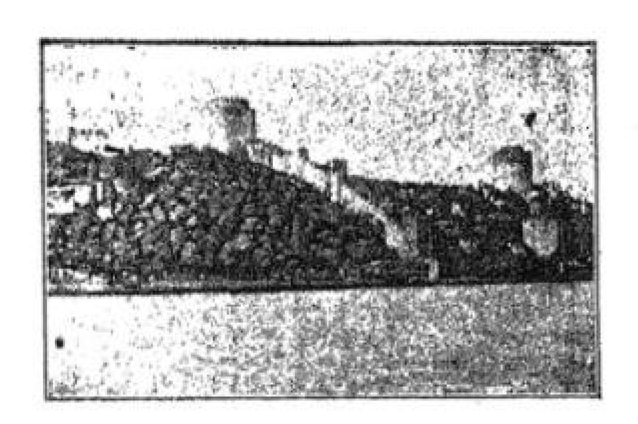
ومن هذا القبيل مقام للروس بجوار فلوريا وراء محطة سان ستفانو يسمونه غلاتاريا بنوه هناك منذ عشرين سنه باذن من الدولة العثمانية ودفنوا فيه عظام قتلاهم في ادرنة سنة ١٨٧٧ وهو عبارة عن بناء له عقود سفلية دفنوا فيها العظام وأقاموا فوقها كنيسة او ديراً تعلوه قبة فوقها شبه المنارة تظهر عن بعد فيراها الماخر في البحر والمسافر في البر . ويحيط بالمقام حديقة حولها سور مربع من الحجر الصلد طول كل ضلع منه ١٢٠ متراً فيه منافذ تشبه ان تكون مرامي للبنادق او مواقف للمدافع فهو اشبه بالحصون منه بالمزارات

## الاسوار والحصون

في الاستانة كثير من الاسوار والحصون لكن اكثرها قديم لايزال باقياً من قبل الفتح واكبرها السور الذي يحد استامبول من الغرب ويكون ضلع المثلث بين قرن الذهب في الشمال وبحر مرمرا أو الدردنيل في الجنوب طوله ستة كيلو مترات ونصف وهو عبارة عن حائط من الحجر مزدوج يبدأ بنقطة تسمى ايوان سراي على قرن الذهب وينتهي بنقطة اسمايدي قله على بحر مرمرا وقد تهدم بعضه بالزلازل . ثخانته بضعة امتار وعليه ابراج مربعة الشكل وبعضها مستدير بينها مسافات قصيرة . وللسور سبعة ابواب وهي من الشمال الى الجنوب ١ باب أغري ٢ باب ادرنه ٣ باب طوب قبو (باب المدفع) ٤ باب المولوي خانة ٥ باب سيليبري ٦ باب بساماتيا ٧ باب يدي قله ( السبعة الابراج) وحول السور من الخارج خندق لا تزال آثاره باقية عرضه نحو ثلاثين خطوة . وقد حاصر العثمانيون استامبول من هذه الجهة مدة طويلة حتى كادت تمتنع عليهم . وكان مثل هذا السور حول استامبول من جهة البحر على مرمرا وقرن الذهب لا تزال آثاره

باقية بالابراج وقطع الاسوار . ووضع الروم عند مدخل قرن الذهب سلسلة ضخمة من الحديد قطعوا بها مدخل ذلك البوغاز فتعسر على محمد الفاتح دخولها واضطر لحمل السفن من البوغاز في البر الى داخل قرن الذهب . وقد كنا في ريب من حديث هذه السلسلة حتى رأيناها بجملتها في كنيسة ريني كما سيأتي في الكلام عن سراي طوب قبو

ومن الحصون التي تستحق الذكر حصنا روملي حصار واناطول حصار على البوسفور وهما نقطتان متقابلتان احداهما على شاطىء اسيا والاخرى على شاطىء اوربا وهما أقرب نقطتين على البوسفور لا تزيد المسافة بينهما على ٥٠٠ متر . ومن هذه النقطة عبر داريوس بجيشه العرمرم منذ نيف والفي سنة ومنها عبر الصليبيون في مسيرهم لفتح بيت المقدس واخيراً قطعها الاتراك . وهناك بنى السلطان محمد الفاتح حصنين متقابلين احدهما على شاطىء اسيا سماه اناطول حصار والآخر على شاطىء اوربا سماه



حصن روملي حصار على البوسفور

روملي حصار وجعل فيها المدافع الضخمة سلطها على البوغاز ليمنع مسير سفن الاعداء فيه وقد سماها ايضاً « بوغاز كسن » أي قاطع البوغاز

ولا تزال هذه الحصون باقية الى الآن أهمها حصون روملي حصار وهي عبارة عن ثلاثة ابراج كبيرة شكلها مستدير وعدة ابراج صغيرة مربعة الشكل في خطين من السور شبه مثلث ويقابلها ابراج مثلها أو اقل منها على بر الاناطول

فهذه الاستحكامات تمنع الاستانة من الشمال . وهناك استحكامات بحرية تمنعها

من الجنوب نعني بوغاز الدردنيل فانه يبعد عن الاستانة جنوباً مسير بضع ساعات لكن لا بد للقادم على الاستانة بحراً من المرور فيه وهو ضيق وعلى شاطئيه قلاع وحصون من الجانبين تعرف بشنا قلعة اذا احسن استحكامها يستحيل مرور سفن الاعداء بينها

ومن الحصون العامرة الى الآن وفيهـا الحامية طوابي وقلاع في آخر حدود البوسفور في محطة سودجة على البرين يسمى القائم منها في بر الروملي روملي قواق والذي في بر الاناطول اناطول قواق

الاعمدة والمسلات

ومن الآثار التاريخية في الاستانة مسلة مصرية منصوبة في اتميدان بقرب جامع السلطان احمد تعرف بمسلة ثيودسيوس يؤخذ من الهيروغليف الذي عليها ان تحوتمس ملك مصر نصبها في هيليو بوليس في القرن السادس عشر قبل الميلاد وقد اشتغل بنقلها الى القسطنطينية ثلاثة قياصرة آخرهم ثيودسيوس في القرن الرابع للميلاد ولم يتمكن من نقلها الا اركاديوس وهي من الحجر الاسواني علوها ٣٠ متراً وعرض قاعدتها اربعة امتار وفي مصر كثير مثلها فلا نطيل في وصفها

وفي ساحة اتميدان أيضاً عمود الحية أقامه الروم في القرن الخامس قبل الميلاد تذكاراً لانتصارهم على الفرس في معركة بلاتا اتفقوا عليه من اسلاب الجيش وسمي بذلك لانه عبارة عن ثلاث حيات من النحاس الاصفر المذهب ملتفة على شكل الضفيرة وقد كسرت رؤوسها الآن ولا تزال اجسادها قائمة في وسط تلك الساحة

ومن الآثار التاريخيـة أيضاً صهريج الالف عمود يقال انه حفر في اوائل عهد الدولة الرومانية الشرقية ولعل الذي شرع ببنائه قسطنطين الكبير ويظن القصد منهُ جمع مياه الامطار واختزانها لحين الحاجة . وهو عبارة عن صهريج هائل السعة كان قائماً على الف عمود لم يبقَ منها الا نحو مئتين على كل منها رسم الصليب . وهناك صهاريج اخرى قليلة الاهمية

ومنها العمود المطوق ويسميه الاتراك ( چمبرلي طاش ) أي الحجر المطوق قائم في شارع ديوان يولي علوه اربعون متراً ومؤلف من تسع قطع اسطوانية الشكل عليها عند اتصالها بعضها ببعض بروز من النقش على شكل اكاليل الغار لاخفاء الاتصال .

وكان على العمود تمثال من البرونز لابولون ثم ابدل بتمثال قسطنطين وفي ايام الكيس انقضت عليه صاعقة صدعته وكسرت تاجه فرمموه ولكنه لم يرجع الى اصله . ومن الاعمدة التاريخيــة عمود اركاديوس وعمود مارسيان وعمود تيودسيوس اغضينا عن وصفها

ومن الآثار التاريخية سراي طوب قبو على المضبة الاولى من هضاب استامبول وكانت قصراً لامبراطور الروم ثم جعلها السلاطين العثمانيون مقراً لهم الى عهد غير بعيد وسيأتي الكلام عليها بفصل خاص بين المتاحف لان فيها تحف آل عثمان ومجوهراتهم

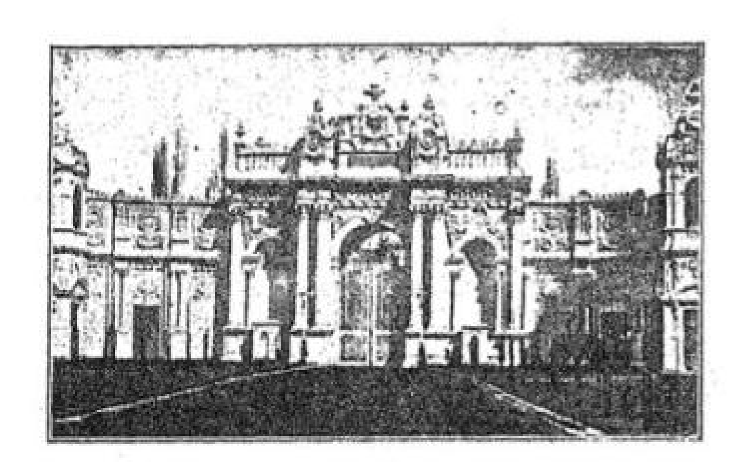
## ٤ - مشاهدها

أهم مشاهد الاستانة القصور السلطانية وهي كثيرة نكتفي باشهرها :

### قصر طولمه بغجه

واقع في محلة بشكطاش على ضفة البوسفور وهو مقرُّ جلالة السلطان الآن بناه السلطان عبد المجيد سنة ١٨٥٣ واتمه السلطان عبد العزيز انفق في ذلك بضعة ملايين من الجنيهات وهو عدة اقسام مبنية بالرخام الابيض المجلوب من مرمرا وقد نزل الذهب في نوافذه وابوابه

ويعدُّ قصر طولمه بغجه من عجائب الابنية في العالم بما يحويه من الاساطين المنقوشة والرخام المحفور والنقوش الجميلة المزخرفة بما يشبه قصر فنيس القديم . وبين يدي هذا القصر من ناحية البوسفور رصيف من الرخام طولهُ نحو ٦٠٠ متر تتخلله مماش تؤدي الى الشاطىء ويحدُّ الرصيف اساطين ضخمة عليها اقواس مذهبة بنقوش بديعة وابواب القصر بيضاء مذهبة . في بعض اطرافه برج للساعة يبدو للناظر عن بعد وبجانبه مسجد خاص يسمى جامع الوالدة يصلي فيه السلطان . وفي سقوف طولمه بغجه نقوش مذهبة تدل على ما انفق في سبيلها من الاموال يقال ان الذي تولى نقشها ساشان الفرنساوي . وفيها من الثريات أو منائر البلور عدد كبير شمعات الواحدة منها ٢٥٠ شمعة والواح من البلور مساحة الواحد ٣٠ متراً مربعاً ومواقد الاستدفاء من البروسلين المذهب وفيه معرض للصور القديمة جميل وثمين . واما الصالون فانه من الفخم ما جادت



باب قصر طولمة بغجة

به قرائح البشر وفيه يحتفل العثمانيون كل عام بتقبيل يدي جلالة السلطان في عيد الاضحى فضلاً عن قاعة الرقص وغيرها من القاعات الواسعه والحمام ومعرض الصور الحديثة والمصنوعات الجميلة

ويقال على الجملة ان الناقد يرى في بناء هذا القصر بذخاً وسخاء اكثر مما يرى نحافة ودقة بخلاف قصر جراغان

قصر جراغان

هو اجمل قصور السلطنة بناه السلطان عبد العزيز سنة ١٨٧٤ بين بشكطاش واورته كوي على ضفة البوسفور ويمتاز بجماله ودقة الصناعة في نقشه وهندسته وفيه كان يقيم السلطان مراد محجوراً عليه في زمن السلطان عبد الحميد ولم يكن يجرا احد على المرور بجانبه والتطلع اليه خوفاً من التهمة . وقد جعلته الحكومة الان مجتمعاً لمجلس النواب وسيجتمع به للمرة الاولى في اول جلساته للعام المقبل

وهنالك قصور سلطانية اشهرها قصر بكلر بك على شاطىء البوسفور من جهة اسيا بناه عبد العزيز سنة ١٨٦٥ وسراي تكفور في استمبول وغيرها . وقد آن لنا ان نتقدم الى وصف سراي يلدز فانها اشهرها جميعاً واصبح الناس يتشوقون لمعرفة مخبآتها ومخفيها بعد هذا الانقلاب

## سراي يلدز

ليست هذه السراي قصراً واحداً فخماً كما يتبادر الى الذهن وانما هي عدة قصور قد لا يرى في احدها فخامة ما يراه في قصر طولمه بغجه او الجمال الذي يراه في قصر جراغان . وانما هي هضبة كبيرة واقعة وراء محطه اورته كوي فوق قصر جراغان تكتنفها الاودية وقد انشئت فيها الحدائق والبساتين والبحيرات و بنيت فيها قصور تتفاوت قدراً وجمالاً وهي عديدة ومتفرقة بين الخمائل والغابات على غير نظام وليس في وصف هذه القصور كثير مما يدهش القارىء ولكن العبرة بما هنالك من المخبآت الغريبة التي تواترت الاقوال بشأنها واختلفت الروايات عنها وقد اتيح لنا دخول تلك القصور في فرصة مناسبة فاستطلعنا احوالها واليك خلاصة ذلك :



باب يلدز الخارجي وبجانبه المابين الكبير

ان البقعة التي اقاموا فيها قصور يلدز واسعة تزيد سعتها على مساحة بلد كبير اكثرها غابات كثيفة الاشجار بينها حدائق غناء وبحيرات تجري فيها القوارب وتقسم بجملتها الى قسمين كبيرين (١) الحديقة الداخلية (٢) الحديقة الخارجية . وليلدز باب خارجي كبير تدخله المركبات الى بقعة فيها طريقان أحدهما الى اليسار يؤدي الى باب الحديقة الداخلية والآخر الى اليمين يؤدي الى طريق الحديقة الخارجية وفي كل من الحديقتين قصور وابنية سيأتي ذكرها

الحديقة الداخلية ومسارح الطير

فالحديقة الداخلية عبارة عن بستان كبير محاط بسور عال اشبه باسوار الحصون منه بالحدائق يفصله عن الحديقة الخارجية . يدخل الى الحديقة الداخلية من باب كبير مذهب هو باب السراي المؤدي الى اهم القصور الداخلية . وهي قصر المابين الصغير مسكن السلطان المخلوع وقصر جيب وقصر مالطة وقصر جهان نما ومعرض الحيوان . فهذه القصور متقاربة كل منها يستطرق الى الحديقة الداخلية . وفي الحديقة المذكورة بحيرات تجري فيها القوارب . ومسارح للطير هي عشرات من الغرف المتقنة مصنوعة من الخشب المزخرف ملاصقة لجدار الحديقة الشرقي . ولها واجهات من الزجاج وشبابيك من الاسلاك و بعض الغرف كلها من الزجاج . يسرح فيها الحمام كل نوع في غرفة او بضع غرف متقاربة و بينها الحمام الابيض والاسود والمرقط وذات العرف الطويل او الذيل العريض على اختلاف الاجناس . ولها في مسارحها مجالس تأوي اليها وتبيض او تفقس فيها على ابدع نظام . ويلي مسارح الحمام غرف لتربية الازهار الشتوية التي يضرُّ بها البرد مصنوعة من الزجاج المضبوط التماساً للدفء . ويلي ذلك اقفاص فيها بنات آوى أو بعض الكلاب الضخمة . وفي بعض جوانب هذه الحديقة اسطبلات فيها مواقف للخيل في كل موقف اسم الجواد الذي كان يقف فيه

وفي وسط هذه الحديقة مسارح للحمام غير ما في اطرافها كأن السلطان المخلوع كان مولعاً بمباشرة هذا الطير الوديع ولعاً كثيراً — وذلك من جملة غرائب اطواره وتناقضها . واكثر اشجار هذه الحديقة الصفصاف والدلب والسرو والخروع والحور والتوت . وفي غربيها اقفاص للعصافير من الكنار والحسون ونحوهما وفي جنوبيها مسارح الطاووس وامثاله من الطيور الجميلة وأخرى لطيور الماء تسبح في بحيرات صغيرة وفي الحديقة بالقرب من القصور طرقات مرصفة بالاسفلت عليها نقوش بشكل حدوة الفرس التي يتفاءل الناس بها

قصر جهان نما

وفي هذه الحديقة قصر جهان نما وهو صغير لكنه في غاية الاتقان يشرف على البوسفور اشرافاً واسعاً . يصعد اليه بسلم من الرخام الى دار مفروشة بالبسط تستطرق الى غرفتين جانبيتين وعلى الجدران صور زيتية متقنة بها صورة الجامع الحميدي وصور

بعض اجزاء الحديقة الداخلية من جملتها صورة جزء من البحيرة على ضفتها الانوار والاشجار . وجدران الغرف وسقوفها ملونة الواناً زاهيــة اكثرها الاحمر . وقد طليت الابواب والافاريز بالذهب وأرخيت عليها الستائر الحريرية من كرانيش مذهبة . وخرجنا من باب في صدر الدار الى شرفة اشرفنا منها على البوسفور وما يحف به من الخمائل والمنازل . وفوق هــذه الطبقة طبقة أخرى في مثل تفصيلها فرشها من المخمل العنابي وفي دارها نظارتان مقربتان ( تلسكوب ) كل منهما مرتكزة على طاولة ينظر بهما الى البوسفور وما يليه

وفوق هذه الطبقة السقف القرميدي بشكل الزاوية واكثر سقوف الاستانة بهذا الشكل يستطرق اليه بسلم سري وفيــه غرف صغيرة مقفلة كأنها مخابئ سرية

قصر جيت

سمي بذلك لانه مبطن بالانسجة بابه خارج باب الحديقة الداخلية لكنه يعدُّ منها لان بناءه من جملة ابنيتها وقد يدخل اليه منها بباب آخر سيأتي ذكره . والقصر المذكور مؤلف من عدة غرف كبيرة مبطنة جدرانهــا بالاطلس كل غرفة بلون خاص ونقش خاص . فيمتاز هذا القصر بذلك وبما علق على جدرانه من الخرائط الجغرافية البارزة تمثل فيها البلاد تمثيلاً مجسماً بما بها من الجبال والاودية والبحور . وكلها من صنع مهندسين عثمانيــين اسم كل منهم على الخريطة التي رسمها . وفي كل غرفة بضع خرائط موضوعة في اطارات ثمينة ومعلقة على الجدران وبما زاد عددها كلها على خمسين خريطة في جملتهاخريطة البوسفور وخرائط الروملي والاناطول والاستانة والبحرالاسود . واهمها خريطة تمثل الكعبة وما جاورها بغاية الاتقان موضوعة في القاعة الكبرى ( الصالون ) . ولهذه القاعة مزية فضلاً عن كبرها وكثرة ما فيها من الخرائط المتقنة والثريات ان في جدارها الايسر باباً سريًّا اذا أقفل اختفى وهو يستطرق الى المابين الصغير كان السلطان المخلوع اذا أراد مقابلة احد هناك خرج اليه من ذلك الباب بدلاً من مروره بباب الحديقة الداخلية الى الخارج حتى يدخل من باب هذا القصر . ورأينا في بعض الغرف خزائن من خشب اسود منزلة بالذهب

ومن جملة ابنية يلدز معرض الحيوانات فيه انواع من الطيور وغيرها محنطة لاشي

من الغرابة فيها . وكذلك قصر چادر وقصر مالطه فنكتفي بالاشارة اليها ونعمد الى تفصيل ما شاهدناهُ في المابين الصغير مسكن السلطان المخلوع فانهُ ادعى الى الاهتمام

المابين الصغير او مسكن عبد الحميد

هو اول قصر يستقبله الداخل من باب الحديقة الداخلية الى يمينهِ . وليس هو بالقصر الفخيم . يرقى اليهِ على بضع درجات بسيطة ومدخله باب اعتيادي يؤدي الى فسحة صغيرة ومنها الى الدهاليز والغرف على غير نظام . ولم نستطع تمييز هندسة ذلك البناء لكثرة ما فيه من الدهاليز والمماشي والغرف المستطرقة بعضها الى بعض . ولذلك فلا نقدر ان نرسمهُ للقارئ فنكتفي بذكر اهم ما شاهدناهُ فيهِ

اول شيء استلفت انتباهنا عند دخولنا منضدة صغيرة من الرخام في الفسحة عليها زجاجة فيها ماء كالدواء قال الرجل الموكل بشرح ما نراهُ ان الذين اتوا لتبليغ عبد الحميد الخلع وجدوا هذهِ الزجاجة هناك . وعلموا بعد ذلك انها تحوي عقاراً مقوياً للقلب لانه اصيب بصدمة عصبية في ذلك اليوم على اثر ما اصابهُ من الفشل والخوف فوصفوه لهُ

وهناك غرفة واسعة فيها مائدة كبيرة هي غرفة الطعام في ارضها سجادة واحدة نقشها مثل نقش السقف تماما وفيها خزائن ( بوفيه ) وموقد للتدفئة . وهذهِ المواقد لا تخلو منها غرفة في الاستانة لشدة البرد في فصل الشتاء ولكنها تختلف قيمةً باختلاف المادة المصنوعة منها وهي هنا من البروسلين الابيض المذهب وعليها حرف H ومن جميل ما في هذهِ الغرفة ان احد البوفيين آلة موسيقية كالبيانو دقيق الصنعة اهداها الامبراطور غليوم لصديقه السلطان عبد الحميد . ولما بلغوه خبر الخلع كان جالساً على كرسي في هذه الغرفة

ومن جملة ذلك القصر غرفة فيها طاولة للكتابة عليها اوراق ومحابر واقلام كأنها محل الشغل أو المكتب شاهدنا فيها خزانة قصيرة اشار دليلنا اليها وقال « في هذهِ الخزانة وجدوا اوراق علي كمال » وهي التقارير التي قدمها الى عبد الحميد ضد جمعية الاتحاد والترقي . ورأينا هناك كرسياً وطاولة من زجاج خالص قال « ان عبد الحميد كان يجلس على هذا الكرسي اذا اشتدت كهربائية الجو وتكاثرت الصواعق لعلمه ان الزجاج

موصل رديء للكهربائية فيأمن ان يصاب بالصاعقة ! »

ورأينا في غرفة اخرى خزانة وجهها من بلور صاف وهي مملوءة بالاسلحة النارية بينها انواع من المسدسات المتقنة وفيها المذهب والمرصع على اختلاف الاحجام من الكبير الذي لا تحيط به اليد الى الصغير الذي يسعه الجيب . وفيها بعض الخناجر ونحوها وقد ترتبت هذه الاسلحة في تلك الخزانة ترتيباً هندسيًّا جميلاً

ورأينا كثيراً من خزائن الحديد لوضع النقود وكثيراً من اصناف البيانو وفي كل غرفة ترمومتر وبارومتر وساعة . والساعات كثيرة جدًّا كأن عبد الحميد كان مولعاً باقتنائها الى حد الهوس . فانك لا تجد طاولة أو موقفاً أو موقداً أو كونسولاً الا وعليهِ ساعة دقاقة ومنها الفضة والذهب والبروسلين . وفي هذا البناء حمام من الرخام كثير الاتقان جرنه وحنفياته مذهبة

وقد ادهشنا بنوع خاص كثرة الخزائن في الدهاليز وغيرها فانها تعدُّ بالعشرات من الخشب أو المعدن وفيها البسيط والمذهب والمطعم وكلها مقفلة . وفي هذهِ الخزائن كان عبد الحميد يحفظ تقارير الجواسيس وقد استخرجها رجال الدستور بعد خلعه واخذوا يتفحصونها

وكثيراً ما كنا نسمع ان عبد الحميد لاينام يومين متواليين في غرفة واحدة أو هو يخفي محل نومه عن كل انسان ولم نكن نتصور ذلك فتبين لنا بعد مشاهدة هذا البناء انهُ لم يكن ينام على الاسرة وانما كان رقادهُ على مقاعد مستطيلة ( كنابيه ) في كل غرفة واحدة منها . وهي من نوع المقاعد التي يستخدمها الافرنج في غرف النوم ويسمونها ( شيزلون ) فكان يتوسد احد هذه المقاعد ويتغطى بحرام أو نحوه فلا يمكن الاهتداء الى مكانه

ورأينا غرفة كبيرة مقطوعة بحاجز من زجاج بحيث يتكوّن بذلك القطع حجرة صغيرة داخل تلك الغرفة الكبيرة بابها من زجاج . وفي هذهِ الحجرة آلات التجارة وادواتها من البنك الى الفارة فالمنشار فالشاكوش فالازميل . بل هناك اصناف من المناشير والازاميل والشواكيش والمناقير على اختلاف الاحجام والاشكال بين ماقبضتهُ من الخشب او العاج أو الابنوس أو نحوه . وعلى البنك قطع من الخشب

كأنهُ كان قد بدأ بحفرها • ويظهر من مجمل هذه الحجرة انهُ كان يشتغل فيها بالحفر واصطناع الادوات الصغيرة كالعلب والبراويز ونحوها . وفي هذه الغرفة وجدوا اوراق مالية قيمتها ٥٠٠٠٠٠ جنيه

وكان المتواتر على الالسنة ان عبد الحميد اذا خرج للسلاملك او الصلاة تدرَّع خوفاً على حياته وكنا نستبعد ذلك حتى شاهدنا دوعه في بعض الغرف وهي عبارة عن دراعة ( صدرية ) لها صدر وظهر كلاهما من فولاذ بشكل صفيحة مقوسة وقد كسيتا بنسيج من الكتان الابيض كان يلبسهما تحت أثوابه

واغرب ما رأيناهُ في بعض الغرف صورة زيتية معلقة بالحائط طولها نحو متر وعرضها ٧٠ سنتمتراً قد أرخي عليها سترٌ ازحناه فاذا هي تمثل قارباً بجانب الشاطئ قد وقف فيه نحو عشرة رجال عليهم البسة سوداء وقبعات سوداء يقرب شكلها مما يلبسه الرهبان اليسوعيون • وفي يدي كل منهم آلة موسيقية من الناي أو العود أو المزمار يضربون ويعزفون وهم في حال عربدة أو سكر • وبين ايديهم على الشاطئ نحو عشر نساء عاريات يرقصن أو يتخالعن مما يخل بالادب — قال الدليل : ان هذه الصورة اهداها بعض المتملقين الى عبد الحميد يمثل فيها مدحت باشا ورجاله الاحرار تمثيلاً يحقر دعواهم — يريد انهم انما يتظاهرون بطلب الحرية والدستور تمويهاً على العقول وهم بالحقيقة يريدون الخروج عن الآداب الدينية والاقتداء بالنصارى في خلاعتهم وسكرهم • وياحبذا لو عرفنا صاحب هذهِ الهدية النفيسة !

ولم نشاهد في هذا المابين شيئاً من التحف أو الجوهرات لانهم نقلوها في جملة ما نقلوه من النقود التي وجدوها • لكننا رأينا تمثالاً طوله نصف متر يمثل سفينة بخارية تدور بدولابين جانبين وهو مصنوع من الذهب ومرصع بالاحجار الكريمة • فوقهُ علم عثماني هلاله من الماس وارضهُ من الميناء الحمراء • وحبال السفينة مرصعة باحجار مختلفة الالوان والاقدار

وارشدنا الدليل الى الغرفة التي كان يستقبل بها تحسين باشا الباشكاتب او غيره من الخاصة وهي بسيطة وفي صدرها لوحة عليها كتابة بالذهب هذا نصها « انا فتحنا لك فتحاً مبيناً » وبجانبها لوحة أخرى عليها « امان يارسول الله »

وبالجملة ان غرف المابين الصغير كلها مفروشة بالسجاد الثمين وسقوفها مزخرفة ومذهبة . ومنه يستطرق الى دار الحريم وهي مقفلة لا يؤذن في الدخول اليها ولكنهم أرونا الباب الموصل اليها فاذا هو مرآة واحدة جعله عبد الحميد كذلك حتى اذا اراد الدخول فيه كان على بينة ممن قد يكون وراءه من لص او غيره

المابين الكبير

أما الحديقة الخارجية ففيها قصور أهمها قصر المابين الكبير وقصر مراسم والقصر الجديد (يكي كوشك) . فالمابين الكبير واقع خارج باب الحديقة الداخلية بالقرب من مدخل يلدز الخارجي ويشرف على الجامع الحميدي وهو مؤلف من قاعات كبيرة لاجتماع الوكلاء أو الوزراء أو السفراء في وسطه اكبر القاعات ربما زادت مساحتها على ٣٠ متراً أو ٢٥ متراً في ٢٥ وفي وسطها ساعة كبيرة من الفضة قائمة على قاعدة مربعة ولها اربع مين واحدة للساعات وأخرى للترمومتر والثالثة للبارومتر والرابعة لأوجه القمر. ارضها مكسوة بسجادة واحدة . وهي تستطرق الى سائر غرف القصر ولكل غرفة فرش خاص بلون خاص . احداها تسمى سرداب فاخرة الرياش وفيها سجاد ثمين واعمدة من المرمر المذهب . واحدى الغرف مرصعة بالخشب المطعم بالعاج وفي احدها موقد أعمدته من زجاج احمر . ويصعد الى الطبقة العليا بسلم اعمدة درابيزينه من الزجاج ودرجات السلم من الخشب المطعم

وفي الطبقة العليا عدة كونسولات كبيرة رخامها من المرمر المجزع وفي صدر القاعة الكبرى الى كل من جانبي الباب المستطرق الى الغرف الاخرى صورة زيتية على طول الحائط وفي قفا هذا الحائط من الجانب الآخر صورتان اخريان وهذه الصور زيتية جميلة احداها تمثل عبد العزيز والاخرى السلطان محمود والاثنتان الباقيتان تمثلان السلطان عبد المجيد راكباً وراجلاً . وهناك غرفة المائدة فيها بوفيان مذهبان ضخمان وحنفية من رخام مذهب للغسل على شكل جميل . ولهذا المابين نوافذ تشرف على الجامع الحميدي وعلى الطريق المؤدي اليه من المابين الصغير . فكان الاعيان والسفراء يجلسون يوم السلاملك في القاعات المطلة على ذلك الطريق ليتمكنوا من رؤية الموكب الشاهاني واكثرهم يقفون في حديقة هذا القصر بالجهة المطلة على الطريق او صحن الجامع

قصر مراسم

هو افخم قصور يلدز بناه عبد الحميد احتفاء بزيارة امبراطورالمانيا منذ بضع عشرة سنة وانفق عليهِ نحو مليوني جنيه وهو واقع في الحديقة الخارجية يتصل اليه من وراء سورالحديقة الداخلية مسافة طويلة تمرُّ في اثنائها والى يسارك السور والى يمينك شبه غابة من الاشجار الباسقة المتعانقة تمثل الطبيعة في ابسط احوالها كانها نامية في برية لا يد للانسان فيها . فاذا بلغت الى القصر رأيت بين يديه حديقة منظمة الطرقات اشجارها هندسية الاشكال كأن البستاني يتعهدها بالمقراض صباح مساء . فسرنا في هذا الحديقة الى باب مراسم وهو فخيم صعدنا اليه على درجات من الرخام الى فسحة ومنها الى سلم اعمدة درابيزينه مذهبة يؤدي الى فسحة يمتد منها الى كل من الجانبين دهليز الى جانبيه غرف ربما بلغ عددها ٤٠ غرفة واهمها الى اليمين . وفي هذه الغرف الرياش الثمين من السجاد الجميل والستائر المزركشة والمواقد المذهبة والمرايات الكبيرة والساعات على اختلاف اشكالها واقدارها بينها ساعة على شكل الطير موضوعة على خزانة من الخشب الاسود مُنزَّل بالذهب . وفي بعض الغرف خزائن صغيرة أو هي مواقف للكتب في بعضها كتاب الجغرافية العمومية لاليزه ركلي في اللغة الفرنساوية ١٩ مجلداً ضخماً تجليدها احمر مذهب جميل . وفي غرفة أخرى كتاب تاريخ تمدن اوربا للعالم الفرنساوي جيزو وفي غرفة أخرى مؤلفات بلوتارخس . غير ما على الجدران من الرسوم في جملتها صور بعض الجوامع أو بعض اجزائها . وفي احدى الغرف تمثال غليوم الثاني

وافخم غرف قصر مراسم الصالون فان مساحته ٣٠ متراً في ١٥ في ارضه سجادة جميلة كلها قطعة واحدة لونها ذهبي فاتح وسقفها منقوش نقشاً مذهباً في غاية الجمال . وعلى النوافذ ستائرمن الحريرالثقيل تتدلى من (كرانيش) مقوسة الشكل ومذهبة الحواشي . اقبلنا على هذا الصالون من بابه الاصلي فرأينا الحائط الى يسارنا عليه المواقد بعضها داخل في الحائط والبعض الآخر بارز وهو من البورسلين الجميل . وبين هذه المواقد ابواب يستطرق بها الى غرف أخرى من ذلك القصر . وعلى المواقد شمعدانات من الذهب وبجانب كل شمعدان ساعة وبين الابواب وفوقها صور زيتية جميلة مرسومة على الحائط . ورأينا الى اليمين الجدار المطل على الحديقة وفيه الستائر وفوقها الكرانيش

المذهبة كما تقدم . واستقبلنا في صدر القاعة ثلاث نوافذ ورأينا زاويتي القاعة امامنا خارجتين يتألف من كل منهما غرفة صغيرة مستديرة في وسطها طاولة وعلى نوافذها الستائر

وفي ارض القاعة المذكورة الى كل من طرفيها طاولة مفضضة عليها سن فيل وهي اكبرسن معروفة الى اليوم والسنان تقدمتا هدية لعبد الحميد من راتب باشا والي الحجاز. طول كل منهما متران الاَّ ربع وقد زركشتا بالفضة باشكال الافيال ووضعتا في طرفي القاعة متقابلتين يتدلى من رأس كل منهما شبه الطبق من الفضة او كالقنديل . ويتدلى من السقف ثلاث ثريات كبيرة الوسطى اكبرها

## الجامع الحميدي

بناه عبد الحميد ليصلي فيه وهو على مقربة من المابين الكبير الى يسار باب يلدز الخارجي . وهو محاط بسور من الدرابزين الحديد يحيط بساحة مكشوفة فيها اطلق الارمني قنبلته وبجانب باب الدرابزين الخارجي برج فيه ساعة كبيرة ذات اربعة اوجه . فقطعنا الساحة المكشوفة الى باب الجامع وقد كتب عليه بماء الذهب « ان الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً » فدخلنا الى دهليز اوصلنا الى باب آخر يطل على المسجد وفوق هذا الباب منقوش « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » والداخل من هذا الباب يستقبل المحراب الى يمينه وقد كتب بجانبه « كلما دخل عليها زكريا المحراب » وسقف الجامع قبة قائمة على أربعة اساطين مكسوة بالخشب وفي دائر الجدران من الاعلى اسماء الجلالة والنبي والصحابة هكذا : الله ومحمد في الصدر وابو بكر وعثمان وحسن وسعد الى اليمين وعمر وعلي وحسين الى اليسار . وفوق الباب مقصورتان عليها الشعريات وهما مذهبتان وفي الجدارين الى الجانبين شعريات للنساء وفي اعلى القبة كتابة بالكوفي فيها « بسم الله الرحمن الرحيم » وحول الجدار قرب السقف آيات مذهبة

وكان عبد الحميد يركب يوم الجمعة للصلاة في موكبه الحافل بين باب المابين وباب الجامع والمسافة لا تزيد على كيلومتر فيمشي بين يديه الوزراء والمشيرون ينكصون رؤوسهم تخشعاً وتهيباً وهو وراءهم يسوق مركبته بيده . ويمشي الى جانبي المركبة جماعة الياوران والسرياور فيقبض بعضهم على عجلات المركبة يوازنون حركتها

خوفاً من ان يجمح الجوادان فيلحق الخليفة اذى . اوهم يتبركون بتسيير الخليفة الى الجامع او يتملقون اليه نفاقاً ورياء

سرايات الحكومة

ومن قبيل القصور الفخيمة في الاستانة سرايات الحكومة واجملها سراي السر عسكرية قرب جامع بايزيد وبينها ساحة إتميدان (غير أتميدان) كانوا يشنقون فيها الارنجاعيين . والسراي قائمة في ميدان واسع يستعرض فيه الجند قد كتب على بابه في الوسط « دائرة أمور عسكرية » والى اليسار « انا فتحنا لك فتحاً مبيناً » والى اليمين « وينصرك الله نصراً عزيزاً » وفي بعض جوانب ميدان السر عسكرية برج شاهق كالمنارة الكبيرة يرصدون منه الاستانة وينتبهون منه للحريق اذا وقع . والسراي واسعة الاطراف طولها ٤٣٠ متراً وعرضها ٢٨٠ متراً وهي قائمة على هضبة تشرف على سائر اجزاء الاستانة



باب همايوني (او الباب العالي)

ومنها الباب العالي ويراد به اهم نظارات الحكومة دخلنا اليه من باب كبير مصنوع من الرخام وفوقه الطغراء يقال لهُ باب همايون

وفي الباب العالي سراي الصدارة العظمى ونظارة الداخلية والخارجية والنافعة (الاشغال العمومية) . واما سائر النظارات فنظارة الخاصة بقرب سراي طوله بغجه

ونظارة البحرية في قرن الذهب وهناك الترسانة لتصليح السفن وهي كبيرة جدًّا. ونظارة الحربية في السرعسكرية ونظارة العدلية في ميدان اياصوفيا وقد صارت لمجلس النواب ونظارة المالية في ميدان بيازيد ونظارة المعارف بالقرب من جامع محمود باشا

وسنأتي على وصف متاحف الاستانة ومعارضها وسائر احوالها في الهلال القادم

# الدستور الفارسي

## والشاه الجديد

لخصنا في الهلال السابع من السنة الماضية تاريخ الدستور الفارسي منذ تنبُّه الفارسيون لهُ على أثر اعلان الدستور العثماني سنة ١٨٧٦ الى ان طلبوه على عهد مظفر الدين شاه ثم رضي به ابنهُ محمد علي شاه وكيف غدر هذا بالاحرار وقاومهم وهدم مجلس الامة وفتك بالنواب واشياعهم . وما كان من تفاصيل ذلك حتى غلب الظلم وصارت القوة في قبضة الشاه فاخذ يناوئ الاحرار وهم نخبة رجال العلم والحرية . وكتب الى الولايات ان يقاوموا طلاب الدستور فاطاعه بعضهم وظل البعض الآخر اميناً للدستور ان لم يكن ظاهراً فباطناً . وبعضهم جاهر بنصرة الحرية مجاهرة عرَّض بها نفسه للخطر واكثر الولايات مقاومة للظلم ونصرة الدستور تبريز قصبة اذربيجان فقد ثبتت في طلب الحرية ثبوت الجبال ولكن القوة العسكرية كانت في قبضة محمد علي شاه في طهران

واتفق على أثر ذلك حدوث الحركة الارتجاعية في الاستانة حتى كاد الارتجاعيون يقلبون الدستور رأساً على عقب وينكلون باصحابه أعضاء جمعية الاتحاد والترقي . ثم رأوا فوز الاحرار وقد دخلوا الاستانة بالقوة وخلعوا السلطان عبد الحميد وولوا أخاه مكانه ولم يعانوا في ذلك مشقة فتحمس الايرانيون وعادت اليهم آمالهم على ان يجعلوا العثمانيين قدوتهم بل هم تحملوا في سبيل ذلك اكثر مما تحمله العثمانيون . ومما ثبتهم في مطالبهم تنشيط جمعية الاتحاد والترقي لهم فقد خابرها علماؤُهم في النجف واستنصروها فانفذت الجمعية مندوباً من قبلها اسمه ثريا بك اجتمع بهم في النجف فخطبوا وتعاقدوا وتنشطوا وتسمت جمعية الاحرار الايرانيين « جمعية الاتحاد والترقي الايرانية »



اجتماع علماء النجف بتريا باك

وقد نشطهم غير العثمانيين وحمسوهم وانما الفضل لما في قلوبهم من حب الحرية وما في نفوسهم من الشمم واباء الضيم . وما في صدورهم من الشجاعة الادبية . فانهم قاوموا ظلم الشاه ودسائس الاجانب وصبروا على القتل والنهب . وخصوصاً التبريزيون فقد برهنوا للعالم انهم رجال اشداء — ولا غرو فان هذه المدينة احرز سائر مدائن فارس لوسائل التمدن واكثرها حرية واحراراً وفيها ابتدأت هذه النهضة بانشاء المدارس على النسق الحديث مع طهران . وفيها مدرسة كبرى اساتذتها من متخرجي مدارس فرنسا وانكلترا . وفي تبريز انشئت أول مطبعة فارسية سنة ١٨٢٥ ثم اقتدت بها طهران وفي تبريز صدرت اول جريدة فارسية اسمها « روزنامه » في اواسط القرن الماضي . ثم كانت هي في مقدمة سائر مدائن فارس باسباب هذه النهضة وعواملها فلا عجب ان اظهر اهلها ما اظهروه من الثبات في طريق الحق وجاهدوا في سبيل الحرية فان العلم شقيق الحرية وعدو الاستبداد . ولذلك كان نصراء الدستور العثماني من العلماء والادباء وكان فوزهم على رجال العصر السابق فوز العلم على الجهل

صبر الايرانيون الاحرار على ظلم الشاه ورجاله صبر الاحرار ورأوا بعد ملازمة خطة الدفاع انهم قادرون على مهاجمة الظالمين في ديارهم فحملوا على طهران بجيش

متحمس متحالف ينصرهم العلماء والمجتهدون وهم فقهاء الفرس ولهم تأثير كبير على شعائر الامة . وكبيرهم اليوم ملا محمد كاظم خراساني في النجف . وحاصروها وجرت مناوشات



ملا محمد كاظم خراساني كبير المجتهدين

انتهت بهجوم الاحرار على طهران في ١٣ يوليو الماضي وعددهم لا يزيد على بضعة آلاف حتى دخلوها من بابها الشمالي الغربي ولم يلقوا مقاومة من الاهالي فاستبدلوا خفر الابواب والضابطة برجال منهم واجتمع رؤساؤهم في بهارستان (مجتمع النواب السابق) وهو لا يزال خراباً فاتخذوه مركزاً لجيوشهم وحكومتهم وأخذوا يصدرون منه الاوامر والمنشورات الى الجهات



احمد شاه ملك الفرس الجديد

وكان الشاه في معسكره بسلطان اباد وحوله جنده يشدون ازره ويشجعونه وهو يرجو ان يخرجوا الاحرار من العاصمة وقد جرت بين الفريقين مناوشات عديدة كان للقوزاق فيها شأن كبير وجاهد البختيارية الاحرار جهاداً حسناً وكان القوزاق اكثر ما يطلقون بنادقهم ومدافعهم من الثكنة على بهارستان فاصبح هم الاحرار الاستيلاء على الثكنة وقد عبر بعضهم عنها بالباستيل — قضوا في ذلك يومين وكان الاهالي على اختلاف عناصرهم واديانهم وفيهم الاتراك والارمن والافرنج وغيرهم ينصرون الاحرار ولم يبق

مع الشاه الا الجند وقد ساءهم انحياز الاهلين للاحرار فجعلوا يمنعون الوارد على طهران من الاطعمة ونحوها ويقفون في سبيل الفلاحين حملة الخضر وغيرها فزادت نقمة الناس على الشاه ورجاله

وفي ١٦ يوليو لجأ الشاه واهله الى وكالة روسيا في زركنده يطلب ان تحميه فنشروا على الوكالة العلمين الروسي والانكليزي وبثوا الحرس حولها. فالتجاء الشاه قوّى عزائم الاحرار لاعتقادهم انه لم يفعل ذلك الا لشعوره بالضعف عن مقاومتهم فزاد تحمسهم واخذوا يهنئون بعضهم بعضاً ويتواصون بالثبات واعلنوا خلع الشاه محمد علي وجرت المخابرة بينهم وبينه على يد سفارة روسيا وانتهت في ١٧ منه بخلعه وتولية ابنه احمد ميرزا مكانه وعمره ١٢ سنة فصار احمد شاه ملك الفرس من ذلك اليوم. وان يخرج الشاه المخلوع من ايران ليعيش في روسيا براتب عينوه له

هكذا فاز احرار الفرس بالدستور وقد بذلوا في سبيله اكثر مما بذله العثمانيون من الانفس او قاسوه من العذاب فعاد مجلس الامة الى العمل واخذ الايرانيون يهتمون في تثبيت دستورهم وقد عاد المهاربون وتكاتفوا على نصرة الحرية ولابد لتأييد ذلك الدستور من نشر العلم بين العامة وجهل هذه الطبقة هو العقبة الوحيدة التي يخشى منها على الدستور الايراني لان الايرانيين أمة واحدة لغتها واحدة ومذهبها واحد وعاداتها واحدة بخلاف الدستور العثماني فان العقبات في سبيله عديدة يكفيك منها اختلاف العناصر وتفرق اللغات وتعدد المذاهب والله ولي التوفيق

---

الهلال الثاني من السنتين ١٦ و ١٧

صدرت الطبعة الثانية من الهلال الثاني للسنة السابعة عشرة الماضية فمن كان في حاجة اليه فليطلبه من ادارة الهلال

وكذلك الهلال الثاني من السنة السادسة عشرة فقد تم طبعه ونرسله لمن لم يصل اليه من المشتركين

يلزم ادارة الهلال

يلزم ادارة الهلال الاعداد ٩ من السنة الرابعة و١ و٥ من السنة ١٧ للهلال بالثمن فمن يعثر عليها او بعضها يتكرم بها وله الفضل

# الميزانية العثمانية

صدرت الميزانية العثمانية لعام ١٣٢٥ رومي الحالية وقد ناقش النواب فيها قبل ان أقروا عليها لانها أول ميزانية صدرت بعد الدستور بل هي أول ميزانية قانونية للدولة العثمانية فان الميزانيات التي كانت تصدر قبلاً على قلتها لم تكن الاَّ حبرًا على ورق على أن الحكومة العثمانية لم تصدر ميزانيتها منذ ١١ سنة وآخر ميزانية اصدرتها سنة ١٨٩٨ على عهد عبد الحميد هذه خلاصتها :

| مصادر الايراد | جنيه عثماني | ابواب النفقة | جنيه عثماني |
|---|---|---|---|
| العشور | ٤١٠٠٠٠٠ | للمابين | ٨٨٢٥٥٠ |
| الويركو (الخراج) | ٢٥١١٩٢٤ | للدين العمومي | ٦٤٥٩٣٠٦ |
| التمتع | ٥٠٠٠٠٠ | التأسيسات الخيرية | ٧٤٩٤٨٤ |
| البدل العسكري | ٨٨٦٢١٠ | العسكرية | ٤٤٨٩٦٩٨ |
| ضرائب الاغنام | ١٩٣٧٨٤٩ | الجندرمة | ١٠١٣٩٤٤ |
| ايرادات اخرى | ٣٢١٢٧٣ | البحرية | ٥٤٦٣٠٩ |
| عوائد الجمارك | ٢٠٠٠٠٠٠ | الطوبجية | ٤٦٢١٧٧ |
| « التبغ والملح والمشروبات الخ | ٢٠٧١١٤٦ | الصدارة العظمى والداخلية | ٩٨٩٣٢٢ |
| الايرادات العسكرية | ٥٣٢٧٩٣ | المالية | ٦٦٨٠١١ |
| « الملكية | ١٩٦٢٠٣٦ | العدلية | ٤٦١٤٤١ |
| من الرجى | ٥١٧٧٥ | سائر المصالح | ١٧٠٧٢٦٩ |
| اموال الجزية | ١١٣٦٣١٦ | | |
| (جملة الايراد) | ١٨٥١١٣٢٢ | (جملة النفقات) | ١٨٤٢٩٤١١ |

فترى هذه الميزانية لم يبلغ مقدارها ١٩ مليونا مع ان ميزانية هذا العام زادت ثلاثين مليونا وهاك خلاصتها :

| ابواب النفقة | جنيه عثماني | ابواب النفقة | جنيه عثماني |
|---|---|---|---|
| الديون العمومية | ٨٢٩٤٢٦٢ | الصدارة | ٣٤٤٩٤ |
| الخزينة الخاصة | ٥٢٢٥٧٠ | شورى الدولة | ٥١٥٢٢ |
| المجلس العمومي اعيان ومبعوثان | ٢١٥٣٤٦ | الداخلية | ٨٥١١٢ |

| ابواب النفقة | جنيه عثماني | ابواب النفقة | جنيه عثماني |
| --- | --- | --- | --- |
| الامن العام | ٤٠٣٦٣٠ | البحرية | ١٢٢٨٨٤٠ |
| الخارجية | ٢١٨٣١٠ | العلمية ( المشيخة ) | ٤٨٥٤٣٣ |
| المالية | ٢٧٢٣٢٣٤ | العدلية والمذاهب | ٦٥١٩١٧ |
| ديوان المحاسبات | ١٦٢٨٤ | المعارف | ٦٦٠٥٢٧ |
| الرسومات ( الجمارك ) | ٥١٤٨٣٨ | الخراج والمعادن والزراعة | ٣٣٤٢٦٢ |
| البوستة والتلغراف | ٦٩٢٨٩٩ | التجارة والنافعة ( الاشغال ) | ١٠٦٤١٢٣ |
| الحربية | ٨٢٨٠٥٤٢ | السكة الحديدية الحجازية | ٦٩٣٢٥١ |
| الطوبخانة | ٤٣١٤٥١ | الدفتر الخاقاني ( قادستر ) | ١١٣٨٢٠ |
| الجندرمة | ١٨٠٠٧١٤ | الصحة | ١٠٩٢٠ |
| ( مجموع النفقات ) | | | ٣٠٥٢٨٣١١ |

| مصادر الايراد | جنيه عثماني | مصادر الايراد | جنيه عثماني |
| --- | --- | --- | --- |
| الويركو ( الخراج ) | ٢٤٣٥٧٦٤ | رسوم البحرية | ١٦١٥٥٤ |
| ضريبة التمتع | ٤٧٢١٧٥ | رسوم صحة الحيوانات | ١٩٣٢٨ |
| البدل النقدي | ١٢٨٩٦١٢ | الصيد البري والبحري | ١٣٥٣٤١ |
| التكاليف الشخصية | ٢٨٣٤٤٤ | الملح | ١١٦٤٨١٨ |
| رسوم الاغنام الجمال والجواميس | ١٦٦٩٣٤٩ | الريجي وحصة الديون والخزينة | ٩٥٠٩٧٣ |
| الاعشار | ٥٣٨٣١٠٢ | ريجي التنبك | ٤٠٠٠٠ |
| رسوم الغابات الخصوصية | ١٢٦٨٦١ | البارود | ٧٢٦٣٤ |
| رسوم المعادن | ٥٥٥٥٨ | المسكوكات | ١١٠١٣ |
| اثمان تذاكر الضرائب | ٥٦٦٠١ | البوستة والتلغراف | ٧٩٢٥٨٩ |
| حاصلات الاملاك الاميرية | ٦٢٠٣٣٣ | حاصلات السكة الحجازية | ٧٦٠٠٠ |
| اعانة المنافع والمعارف | ٧٧٠٢٣١ | معمل الحراد الغازي بطولمه بغجه | ٥٧٢٠٦ |
| رسوم التمغة | ٤٢٥١٦٠ | حاصلات مكتب الصنائع | ٩٢٠٠ |
| الخرج | ٣٧٠١٢٨ | واردات كباري الخليج | ٥٩٣٦٥ |
| القيديات | ٢٦٨٨٥٨ | حاصلات المعادن | ١٢٤١٣٤ |
| رسوم المسكر وبيع التنباك | ٢٨٥٢٤٣ | الايرادات من بيع الاملاك | ٨٦٢٦٠ |
| رسوم الكمرك | ٣٩٤٦٢٤٤ | اثمان الاشياء التي تباع | ٢٤٣٧١ |

| مصادر الايراد | جنيه عثماني |
|---|---|
| حاصلات الخراج الاميرية | ١٥٤٨٠٠ |
| ويركو مصر وزيلع وقبرس | |
| وابنه روز وسيام | ٨٨١٣١٦ |
| واردات معاملات الخزينة | ٨٩٤٦٧ |
| تمتعات بنوك الزراعة | ٧٧٠٩٨ |
| حاصلات المكتب الطبي | ٣٠٧٧ |
| براءات الاختراع | ١٩٣١ |
| الجزاء النقدي ( الغرامات ) | ١٧٢٥٧ |
| من حاصلات الشركات ذات | |
| الامتيازات | ١١٩٣٥ |
| من السكة الحديدية | ١٧٣٢٤ |
| من القومبانيات ذات الامتياز | ١٧٦٨٠ |
| اعانات السكة الحديدية الحجازية | ٢٤٩٥٤٠ |
| التجهيزات العسكرية | ٥٨٦٣٤٣ |
| الحاصلات المتفرقة | ٣٩٠٠١٦ |
| ( مجموع الايرادات ) | ٢٥٠٧٨٩٦٢ |

فمن المقابلة بين خلاصة الميزانيتين يتبين لك ان فرق الايراد اكثره في دخل الجمارك والاعشار والبدل العسكري وأما النفقات فاكثر الزيادات في نفقات الحربية فانها تضاعفت هذا العام عما كانت عليه قبله وزاد المدفوع للديون العمومية نحو مليوني جنيه وزادت نفقات المالية نحو مليونين ايضاً . ولذلك فالعجز على المالية العثمانية هذا العام نحو خمسة ملايين جنيه عثماني سيعقدون لها قرضاً

# القطب الشمالي

## تاريخ اكتشافه

### ١ — معرفة بقاع الارض

يظهر مما عرفناه من تاريخ الانسان المتمدن انه تكاثر أولاً حول البحر المتوسط وقضى اجيالاً طوالاً لا يعرف غير البلاد المحدقة بذلك البحر مبعث التمدن القديم بمصر وبابل واشور وفينيقية وقبرص واثينا رطروادة ونحوها . ثم اخذت معرفة الناس تمتد الى كل ناحية بتوالي الاسفار للارتزاق او الغزو اوالتماساً للاكتشاف حتى عرفوا القارات وحدودها واكتشفوا العالم الجديد وجزائر المحيط وأخذوا يسعون في اكتشاف القطبين وكانت معرفتهم بقاع الارض تختلف باختلاف الامم والاعصر فاليهود على زمن

موسى لم يكونوا يعرفون من الارض الا البحر المتوسط ومصر والشام والعراق و بلاد العرب واسيا الصغرى و بعض بلاد فارس واليونان . واما اليونان فلم يكونوا يعرفون من العالم على عهد هوميروس الا أسيا الصغرى و بلاد اليونان ومصر وسوريا وسائر شواطىء البحر المتوسط . ثم اتسعت معرفتهم على زمن هيرودوتس في القرن الخامس قبل الميلاد فعرفوا بلاد العرب وما بين النهرين و بلاد فارس و بعض الهند وتركستان وشمالي افريقيا و بعض السودان وجنوبي أوربا الى بوغاز جبل طارق . وزادوا على زمن سترابون في القرن الاول قبل الميلاد معرفة خليج فارس وشواطئه و بلاد الحبشة و بوغاز باب المندب . واتسعت المعرفة في الدولة الرومانية بسبب الفتوح فعرفوا شواطىء افريقيا من كل جهاتها الا الجنوب وشواطىء اسيا الى اطراف الهند ومن الشمال اعالي تركستان واما أوربا فعرفوها الى شمالي المانيا وطافوا حول شواطئها الغربية

ثم كان الاسلام وفتوحه الواسعة فطرق المسلمون بلاداً لم يطرقها سواهم فاخترقوا اسيا وافريقيا ووصفوا كثيرًا من اواسطها ويظن البعض انهم داروا حول افريقيا وانهم اكتشفوا اميركا مما لا محل لتحقيقهِ هنا . ولكنهم اكتشفوا كثيرًا من جزائر المحيط وجزائر الاتلانتيك وعرفوا من اصقاع الارض اكثر من سائر الامم التي تقدمتهم ولكنهم لم يعرفوا شيئاً عن قطبيها . وكانوا يعدون القطب الشمالي من جملة مجهولات الارض وهو عندهم من الاقليم السابع وفيه بلاد ياجوج وماجوج والبحر المحيط الغامر

وما زالت معرفة الناس عن الارض محصورة في ما يجمع من اسيا واوربا وافريقيا حول البحر المتوسط والبحر الاحمر والبحر الاسود وخليج فارس وعلى شواطىء البحر الهندي والاتلانتيكي حتى بزغ فجر التمدن الحديث واخذ الاوروبيون بالنهوض من سباتهم . فكان في مقدمة مساعيهم نحو هذا التمدن الرحلة لاكتشاف الطرق التجارية المختصرة الى الهند . واول من سعى في ذلك البرتوغاليون في اواخر القرن الخامس عشر وكانوا اهل تجارة وملاحة وقد علموا بما في الهند من المحصولات والمعادن الثمينة وكانت الطريق اليها شاقة بالبر فعمدوا الى اكتشافها بالبحر فاكتشفوا في اثناء مسيرهم بالاتلانتيكي سواحل غينيا ثم رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٦ و بلغ هذا الخبر خريستوفوروس كولمبوس فلاح لهُ ان الطريق الى الهند أقرب من جهة الغرب لان الارض كروية فسار في عرض

الاتلانتيكي غرباً فعثر على اميركا . وقس على ذلك سائر الاكتشافات فقد كان الغرض الاصلي من السعي فيها تقريب المواصلات التجارية ولمثل هذا السبب رحل الناس الى الاقصاع المتجمدة الشمالية

٢ — الطور الاول في البحث عن طريق الهند

وكان الناس قبل هذه التمدن يطلبون الرحلة نحو الشمال للبحث عن جزيرة ذكر بيتياس اليوناني انها توجد في تلك الاقصاع سماها « طولي » فاكتشفوا غرينلايد وغيرها ولم يعثروا عليها . فلما كانت نهضة اوربا في القرن السادس عشر وبعده لتقريب المواصلات دخلت تلك الرحلات في طور جديد وصار الغرض منها اكتشاف طريق مختصرة الى الهند واول من باشر ذلك الانكليز . ومن اقدم بعثاتهم اليها بعثة السير ويلوبي سنة ١٥٥٣ ولم يكن غرضه محصوراً في اكتشاف طريق الهند




خريطة القطب الشمالي وما اكتشف حوله الى سنة ١٩٠٧

فاكتشف نوفا زمبلا واقتدى به سواه حتى قام فوربشر سنة ١٥٧٦ وجهز بعثة جعل غرضها الاصلي اكتشاف طريق الهند من جهة الشمال فاكتشف اماكن سماها باسمه . وجاء بعده جون دافس اشهر ملاحي ذلك العصر فرحل في هذا الغرض سنة ١٥٨٥ بطريق غرينلاند وباسمه يعرف بوغاز دافس ( راجع الخارطة )

ثم اهتم الهولنديون باكتشاف الطريق الى الهند والصين براً فالف احدهم

بلانشيوس سنة ١٥٩٤ حملة بنى لها مركباً من مئة طن عهد بقيادته الى وليم بارنتس فتوصلوا بعد رحلتين الى بحر كارا وفي الرحلة الثالثة سافروا من امستردام وبعد مشقات واخطار اكتشفوا جزيرة يار وما زالوا حتى اشرفوا على جزائر سبتزبرجن عن بعد وكادوا يدركونها فاعاقهم الجليد فعادوا ولكنهم سموا ذلك المكان البلاد الجديد . وكانوا يظنونه جزءا من غرينلاند .واتت رحلة بارنتس هذه بنتائج مالية حسنة لانها اكتشفت مصائد للاسماك اكتسب منها الهولنديون اموالاً طائلة

ومن مشاهير اهل الرحلة في الاقصاع الشمالية هنري هدسن رحل رحلته الاولى سنة ١٦٠٧ فاكتشف آخر حدود غرينلاند شمالاً وتفحص الحدود بينها و بين جزائر سبتزبرجن فوصل الى الدرجة الثمانين و٢٣ دقيقة وتفحص في رحلته الثانية الجليد بين سبتزبرجن ونوفا زمبلا . وفي رحلته الثالثة اكتشف نهرًا في شمالي اميركا سماه باسمه واكتشف مصائد الحيتان في سبتزبرجن . وتبعه في البحث عن الحيتان بافن فاكتشف خليجاً سمي باسمه واقتفى اثرهما كبتن ادج سنة ١٦١٧ وغيره

وفي نحو ذلك الزمن اهتم ملك الدنمارك بارسال البعثات من عنده والانكليز لا يزالون يشتغلون في هذا السبيل فلم ينقض القرن السابع عشر حتى كان اهل النشاط والهمة من الملاحين قد اكتشفوا بلاداً كثيرة اهمها بوغاز هدسن وخليجه و بوغاز دافس وخليج بافن وبحور الجليد من غرينلاند الى سبتزبرجن ومن هذه الى نوفا زمبلا وعمدوا في القرن الثامن عشر الى استثمار تلك الاكتشافات اكثر من السعي في اكتشاف غيرها . فاستفاد الانكليز من مصائد الاسماك في ذلك القرن مالاً كثيرًا وصارت تجارة الاسماك ذات شان كبير عندهم . واخذت الحكومة تنشط اهل الهمم لمواصلة الاكتشاف لهذا الغرض

والروسيون بدأوا بعد استيلائهم على سيبيريا يرتادون اصقاعها الشمالية واول من فعل ذلك منهم سيمون دشنيف ركب سفينته سنة ١٦٤٨ في نهر كوليما فوصل الى خليج انادير واقتدى به روسي آخر سنة ١٧٣٨ تعب في هذا السبيل ولم يوفق الى مراده . واهتم بطرس الاكبر قيصر الروس سنة ١٧٢٥ فاوعز الى الكبتن بيرين الدنماركي ان يشكل بعثة للرحلة الى الشمال فابتنى سفينتين وخرج بهما فوفق سنة ١٧٢٦

الى اكتشاف البوغاز بين اسيا واميركا و يعرف باسمه الى اليوم وتالفت بعثات اخرى على عهد خلفاء بطرس اكتشفت جزرًا و بقاعاً في سيبيريا

٣ــ الطور الثاني في البحث من باب العلم

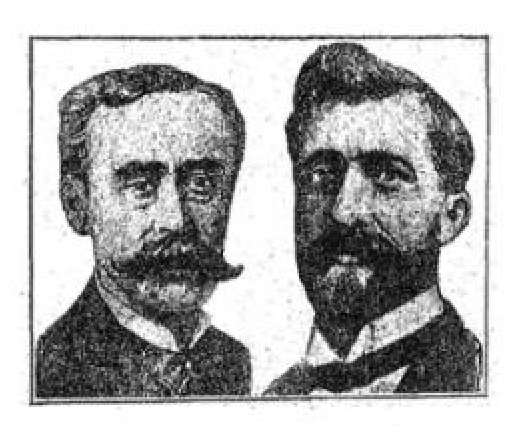
قد رأيت ان القصد الاول من هذه الرحلات اكتشاف طريق قريب الى الهند ثم تحول الى اكتشاف المصائد ونحوها واخيرًا اصبح الغرض مجرد حب الاطلاع وتحقيق المسائل العلمية وكان اكثر الامم اهتماماً به من هذا الوجه الانكليز فانهم حملوا حكومتهم على استئناف السعي في الاكتشاف باواخر القرن الثامن عشر . فتالفت الجمعيات لهذا الغرض وانفذوا رجالاً للبحث والتنقيب وفي جملتهم الكبتن كوك الرحالة الشهير (غير الدكتور كوك) فانه امر سنة ١٧٧٨ ان يذهب من كمشتكا شمالاً شرقياً او شمالاً غربياً للبحث عن طريق موصل بين الاوقيانوس المحيط والاوقيانوس الاتلانتيكي فتوصل بذلك الى رأس البرنس اوف ويلس أبعد اطراف اميركا الشمالية من جهة الغرب بعد ان قطع بوغاز بيرين

ثم طرأت حروب الانقلاب في فرنسا وظهر بونابرت فشغل اوربا عن كل عمل . حتى اذا غلب سنة ١٨١٥ عادت انكلترا الى البحث عن القطب الشمالي ــ استحثها على ذلك السيرجون بارو فاستصدر قراراً سنة ١٨١٨ ان تدفع الحكومة ٢٥,٠٠٠ جنيه لمن يكتشف الطريق الشمالي الغربي و٥٠٠٠ جنيه لمن يصل الى الدرجة ٨٩° من العرض الشمالي فانفذ بارو في تلك السنة بعثتين تسير احداهما بطريق سبتزبرجن والأخرى بطريق خليج بافن فالاولى اضطرت للرجوع خوفاً من جبال الجليد الساحقة عليها والاخرى كانت بقيادة الدكتور روس وادوارد بري ووفقت الى تحقيق اكتشاف بافن وعثرت هناك على مصائد للحيتان . وذهب بري بعد ذلك في بعثة أخرى . ثم خرج راي سميث فاكتشف بوغازاً عرف باسمه (بوغاز سميث) وذهب غيره وغيره مما يطول شرحه ولا يسعه المقام

وتألفت الجمعيات في اهم ممالك أوربا واهتمت بجمع المال لانفاذ البعثات العلمية للاكتشاف واصبح الغرض الرئيسي منها اكتشاف القطب الشمالي نفسه وصار سنة ١٨٨٢ لكل دولة منها نقطة انتهت اليها بالاكتشاف على يد احد رجالها على هذه الصورة

| اسم الدولة | محطتها في البحر المتجمد الشمالي |
|---|---|
| نروج | بوسكوب والتن فيورد |
| اسوج | جزاير سبتزبرجن |
| هولندا | مينا دكسن من جهة سيبريا |
| روسيا | جزيرة ساغستير نوفا زمبلا |
| اميركا | نقطة بارو في شمالي اميركا |
| الانكليز | بحيرة العبيد في كندا |
| الالمان | خليج كمبرلاند جنوبي بوغاز دافس |
| الدانمارك | كودهاب في غرينلاند |
| النمسا | جان ماين في الاتلانتيك الشمالي |

ولم يقف الناس عند هذا الحد فما زالوا يشكلون الجمعيات ويبعثون البعثات ويرحلون في طلب القطب. وابعد ما وصلوا اليه من تلك الاصقاع الى آخر القرن الماضي ان نانسن الرحالة وصل سنة ١٨٩٥ الى الدرجة ١٤ ٨٦° والملازم كاني وصل سنة ١٩٠٠ الى درجة ٣٤ ٨٦° وبلغ نحو ذلك ايضاً في تلك السنة دوق بروتزي ابن عم ملك ايطاليا فاصبح على ٢٥٧ كيلو متراً من القطب



كوك بيري

وآخر اهل الرحلة منهم بيري وكوك الاميركيان اللذان اكتشفا القطب بالامس وكل منهما يدعي الفضل لنفسه واليك خبرهما :

بيري مهندس اميركاني له شغف بالطبيعيات ولا سيا طبيعة الارض وشكلها وحركاتها فوجه فكره الى مسألة القطب الشمالي واكتشافه لتحقيق القضايا الطبيعية المتعلقة به . فانبأ المجامع العلمية في اميركا انه قادر على حل هذ المشكلة اذا أعانته في تجهيز ما يلزم للسفر الى تلك الاصقاع . فتشكلت لجنة لهذا الغرض اصطنعت سفينة بخارية خاصة بهذه الاسفار اسمها « النسر » بمساعدة نظارة البحرية الاميركانية فركب سفينته سنة ١٨٨٦ وهو لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره وأخذ يرتاد الاصقاع المتجمدة ثم عاد ورحل اليها ثانية بعد خمس سنوات سنة ١٨٩١ على الباخرة « كايت » من بروكلين وقد صمم ان يجعل وجهته القطب رأساً وأخذ معه امرأته وكانت عوناً كبيراً له في تقوية عزيمته وتجديد آماله بحكمتها وشجاعتها . وبعد تقلبات شتى كسر احدى فخذيه وقاسى بسبب ذلك عذاباً عظيماً حتى وصل سنة ١٨٩٢ الى الدرجة °٨٢ واكتشف محلاً اسمه ملفيل عند رأس كليفلاند وعاد الى اميركا وأخذ في اعداد بعثة ثالثة على الباخرة « فلكون » فسافر مع امرأته في ٢٣ يونيو سنة ١٨٩٣ وهي حامل فوضعت بنتاً في ١٢ سبتمبر على شواطئ غرينلاد الغربية في درجة ٧٧ من العرض الشمالي

وواصل بيري السعي والهمة من سنة ١٨٩٦ ـ ١٩٠٢ فبلغ الى الدرجة °٨٤ ١٧ من ذلك العرض . وفي سنة ١٩٠٦ اكتشف طريقه الى القطب فخرج على الباخرة « روزفلت » مع ٢١ من الاسكيمو سكان تلك الاصقاع في طريق تجنب بها مجاري الجليد فوصل في افريل سنة ١٩٠٧ الى عرض °٨٧ ٦ وآخراً في ٦ افريل سنة ١٩٠٨ وصل الى درجة °٩٠ وهو القطب الشمالي ورفع عليه العلم وقد فرح بذلك فرحاً عظيماً لكنه لم يكد يعود الى العالم المتمدن ليبشره بهذا الاكتشاف حتى قرأ ان الدكتور كوك ارسل تلغرافاً من غرينلاند في اول سبتمبر الماضي سنة ١٩٠٩ عن طريق الدنمارك انه اكتشف القطب في ٢١ افريل من السنة الماضية (١٩٠٨) فانكر بيري عليه ذلك وأخذت الجرائد تبحث وتناقش ولا تزال

أما الدكتور كوك فقد بدأ رحلته لاكتشاف القطب بنفسه في اوغسطس سنة ١٩٠٧ على الباخرة برادلي وجعل طريقه اليه من بوغاز سميث وقد مرّ من هناك ولم يعلم به أحد وظنه الناس ضاع اومات . واشتهر الدكتور كوك برغبته في اكتشاف القطب

منذ اعوام وكان قد تعين سنة ١٨٩١ ـ ١٨٩٢ طبيباً في حملة بيري ورافقها في رحلتها تلك واظهر جسارة وثباتاً عظيمين . وهو يقول الآن انه ادرك القطب في ٢١ افريل سنة ١٩٠٨ وستظهر الحقيقة قريباً

٤ ــ عدد الذين ذهبوا ضحية هذا الاكتشاف

فاكتشاف القطب الشمالي كلف العالم اموالاً طائلة ومشقات جسيمة لا يمكن احصاؤها . وقد احصوا الارواح التي ذهبت ضياعاً في هذا السبيل في اثناء البعثات الكثيرة الى القطب فبلغت ٧٥٣ نفساً من أمم مختلفة . وهذا جدول يتضمن عدد الذين ذهبوا ضحية طلب القطب الشمالي من البعثات اوالافراد وكثيراً ما كانت البعثة المؤلفة من خمسين او ستين او مئة او اكثر تفقد دفعة واحدة كما ترى :

| سنة | بعثة | عدد الوفيات | سنة | بعثة | عدد الوفيات |
|---|---|---|---|---|---|
| ١٥٥٣ | السير ويلوبي | ٦٢ | ١٧٧٣ | ملكريف | ٣ |
| ١٥٥٤ | ريشارد كانسلر | ٨ | ١٧٧٦ | كبتن كوك | ٤ |
| ١٥٧٨ | فور بشر | ٤٠ | ١٨١٨ | بري في رحلتين | ٨ |
| ١٥٨٥ | كبتن دافس | ١٤ | ١٨٢٩ | جون روس في رحلتين | ٥ |
| ١٥٩٤ | بارنتس | ٣٥ | ١٨٣٩ | بيز وشمشون | ٥ |
| ١٦٠٧ | هنري هدسن ونايت | ١٣ | ١٨٤٥ | فرنكلين في ٣ رحلات | ١٤١ |
| ١٦١٢ | توماس بتن | ١٤ | ١٨٤٩ | النجم الشمالي | ١٥ |
| ١٦١٩ | جنس مونك | ٦٢ | ١٨٤٩ | لوفر وهرالد | ٣ |
| ١٦٣١ | توماس جيمس | ١٤ | ١٨٥٣ | راي وكين | ٩ |
| ١٦٣٤ | جان ستارس | ١٤ | ١٨٦٠ | هول في ثلاث رحلات | ٧ |
| ١٦٤٨ | دشنف | ٧٠ | ١٨٧٢ | بيكتوف وسميث | ٤ |
| ١٧١٩ | جيمس نايت | ٥٠ | ١٨٧٥ | بعثة انكليزية | ٤ |
| ١٧٣٥ | لاسينيوس وبرونشستن | ٥٥ | ١٨٧٩ | جانت ديلون | ٢٣ |
| ١٧٣٩ | شارلتن لابتير | ١٢ | ١٨٨١ | غريلي | ٢٠ |
| ١٧٤٢ | بيرين في رحلتين | ٤١ | ١٨٩٦ | اندريا ( بالبالون ) | ٣ |

# صحة العائلة

## داء السل

### سبب انتشاره في بلادنا

قد انتشر هذا الداء الوبيل في كل اقطار المعمور انتشاراً عظيماً واخذ يفتك بالناس على اختلاف احوالهم في المدنية والغنى فتكاً ذريعاً . ولذلك عدوه العدو الاعظم للجنس البشري واصبحت الامم الراقية في المدنية تخشى على بنيها من فتكه . واخذت تدبر كل الوسائل الممكنة لمقاومته وتخفيف وطأته حفظاً لكيانها . وآخر ما اجرته امم العالم الراقية من هذا القبيل اجتماع موتمر طبي في مدينة واشنطون عاصمة البلاد المتحدة استمر من ٢١ ستمبر لغاية ١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٨ اشترك فيه كل دول العالم وارسلوا وفوداً من الاطباء وحضره الحكام والعلماء والمحسنون وكثير من رجال الانسانية والفضل حتى بلغ عدد الحضور نيفاً وخمسة آلاف نفس وتبارى الجميع بالرأي والعمل لاتخاذ افضل الطرق الجارية الآن والتي يمكن اجراؤها في المستقبل لمقاومة هذا الداء فلم يتركوا شاردة ولا واردة حتى كشفوا القناع بابحاثهم عن مزايا هذا الداء واهمية تشخيصه في بدء الاصابة وطرق المعالجة والوقاية منه واليك اهم المواضيع التي تكلموا فيها

(١) وجوب اتخاذ الطرق الفعالة لاجل اطلاع العموم على معرفة حقيقة هذا المرض وانتشار عدواه بالمكروب

(٢) ضرورة ايجاد شرائع للاعتناء بالمصابين

(٣) ضرورة ايجاد مستشفيات خصوصية لاجل معالجة هذا المرض

(٥) و(٦) و (٧) مواضيع تتعلق بطرق المعالجة وزد على هذا كله انهم عرضوا كل الاختراعات والاكتشافات الحديثة للمعالجة ولطرق بناء المستشفيات وللوسائل التي تتخذ لاجل انتشار المعرفة بين العموم للوقاية من المرض . هذه هي أهم المواضيع التي بحث بها المؤتمر واهمها كلها هو البحث عن الطرق التي يجب اتخاذها لاستنارة العموم ليتمكنوا من الوقاية لان المعرفة قوة تدفع الامراض كما تدفع الاعداء واليك الاسباب

التي دعت لانتشار هذا الداء في بلادنا فأقول :

ان هذه الاسباب تقسم الى قسمين مهمين أولا اسباب خارجية وثانياً اسباب داخلية فالاسباب الخارجية هي أولا المهاجرة وثانياً فساد الآداب . وهذا الفساد وان يكن موجوداً بالشرق فقد ازداد أيضاً بالمهاجرة — فالمهاجرة اذاً مطالبة بفساد الآداب ومسببة انتشار السل ولو امعنا بالبحث أيضاً لوجدنا ان فقدان التربية الحقيقية والتهذيب الحقيقي في بلادنا هما أساس بلائنا وسبب فساد ادابنا وانتشار السل بيننا سواء كان ذلك في المهجر أو في بلادنا . فيتضح اذاً ان الاسباب الرئيسية التي دعت لانتشار السل عائدة بالاولى الى الاسباب الداخلية . وعليه نضرب صفحاً عن الاسباب التي تحدث في المهجر ونأتي على ذكر الاسباب الداخلية لاننا احوج الى ذكرها اذ باصلاحها تعم الفائدة

( الاسباب الداخلية ) تقسم الى قسمين عظيمين : أسباب عمومية وأسباب خصوصية — فالاسباب العمومية هي أولا الجهل الفاضح المستولي على عقول كثيرين لا يعتقدون بضرورة الوقاية من الامراض المعدية فيخالطون المسلولين و يعصون نصائح الطبيب ولا يعملون الا بموجب اعتقاداتهم وخرافاتهم

ثانياً ان مدارسنا ومنازلنا مفتقرة جداً الى ايجاد دروس خصوصية لاجل تعليم قواعد حفظ الصحة والنظافة في المعيشة . ويا حبذا لو ان مجلاتنا وجرائدنا تساعد على نشر هذا المبدأ فتكتب من وقت الى آخر في المواضيع الصحية كما تفعل جرائد العالم المتمدن لان المواضيع الصحية هي اكثر فائدة من المواضيع الفلسفية التي تنشرها أحياناً

والاسباب الخصوصية ١ الاطباء والدجالون ٢ المصابون بالمرض ٣ الحكومة والاغنياء ٤ طرق المعيشة

١ قد يستغرب الكثيرون من نسبة سبب انتشار السل الى الاطباء والدجالين ولكن هي الحقيقة نقولها واليك الايضاح . لقد كان الطب بالماضي مقصراً عن تشخيص المرض في بدء الاصابة وقد بقي هذا التقصير او العجز معلقاً باذهان البعض فلو دعوا في البداية لتشخيص المرض نسبوا ذلك الى برد او زكام في شعب الرئة وقالوا ان المسألة بسيطة فيعالجون مريضهم بطريقة الاهمال حتى تتحول حالة المريض الى الدرجة الثانية

ويستفحل الامر · ولا تسل عن الاضرار التي تنجم عن هـذا التقصير لان المريض يكون حينئذ مطلق الارادة ولا رادع من الطبيب يردعـه فيخالط ويؤاكل من شاء وينقل مكروب مرضه القتال الى الكثيرين · وقد يوجد أيضاً قسم آخر من الاطباء الذين يعتقدون بضرورة اخفاء معرفة المرض عن المريض فيكذبون عليـه ويطمئنون خاطره خشية من ان يخاف . والبعض يطلعون أهل المريض على حقيقة المرض ويوصونهم بالوقاية وكلا الحالتين خطأ عظيم لا يغتفر لان كذب هؤلاء وجهل أولئك مضرّان على السواء · ومن الواجب ان يقال الصدق للمريض ذاته بطريقـة لطيفة ويبرهن له عن حقيقة المرض واهميته وكيف ان الانسانية والشفاء أيضاً يوجبان عليه وقاية الناس ونفسـه من العدوى · ويجب على الطبيب المعالج ان يعطي للمريض ولاهل بيته التعليمات اللازمة للوقاية وان يكتب له طريقة ترتيب معيشته ليسير بموجبها وعليه ان يؤكد للمريض تأكيداً صادقاً انه اذا أطاع هـذه الاوامر يكون قابلاً للشفاء وان اهمل فلا امل له بالصحة

٢ المصابون بالمرض : فعلى ما لاحظته على الغالب انهم لا يصدقون الطبيب ان مرضهم السل فيحملهم الجهل على تغييره بطبيب يخفي الحقيقة عنهم او ان الحقيقة تخفى على الطبيب فيثقون به ويتعالجون عنده مدة الى ان يستفحل الامر ولعدم الوقاية تنتقل العدوى الى الكثيرين من الاهل والاصدقاء . فالى مثل هؤلاء الدجالين والى مثل هؤلاء المصابين تصرخ الانسانية باعلى صوتهـا قائلة « اشفقوا على اخوانكم بالانسانيـة واعتبروا كم من عيال انقرضت بسبب انتشار هـذا الداء الوخيم » فعلى الاطباء ان لا يخفوا حقيقـة المرض عن المريض وعلى المريض ان لا يعصى اوامر طبيبه

٣ الحكومة والاغنياء : لو نظرنا الى اعمال الرحمة والانسانية التي تصدر على يد حكومة اميركا وأوربا وعلى ايدي الاغنياء والمحسنين في تلك البلاد وقابلناها بما يجري في بلادنا من هذا القبيل لوجب علينا ان نقول اننا عبيدٌ بطالون فالبلاد مفتقرة الى جمعيات يتكاتف اعضاؤها على اغاثة الفقراء المصابين بهذا الداء . والامل من حكومتنا الدستورية واغنيائنا ان يشيدوا المستشفيات الخصوصية ليداووا بهـا المسلولين من

الفقراء مجاناً وان يتخذوا الطرق اللازمة لاجـل تحسين حالة الفقراء

٤ طرق المعيشة : لقد تقدم ان عيالنا في افتقار الى تعلم طرق المعيشة الصحية ولا يتم هذا الا متى استنارت العقول بتعليم المدارس الوطنية وازدياد الثروة بالبلاد من احياء الزراعة والصناعة والتجارة وكل هذه المسائل منوطة بحكمة رجال دولتنا فنسأل الله ان يلهمهم ما فيه نجاح البلاد وخير العباد آمين

( البترون . سوريا ) الدكتور جرجي نور

---

## الزواج ورجال العلم

نشرت مجلة القرن التاسع عشر الانكليزية مقالة للمستر سدني لو في « الزواج ورجال العلم » بحث فيها بحثاً احصائياً تاريخياً عن العلماء الذين تزوجوا وعن حالهم مع نسائهم من حيث الراحة او التعب وكيف حال الذين لم يتزوجوا منهم . وبنى احكامه على احوال ٦٨ من مشاهير كتاب الانكليز . وخلاصة ذلك ان ٢٥ كاتباً من هؤلاء لم يتزوجوا والباقون تزوجوا ولم يتمتع بسعادة الزيجة منهم الا عشرون واما الباقون وهم ٢٣ كاتباً فقد كانوا في اتعس حالات العيش في بيوتهم . وجرى على نحو هذه الخطة في البحث عن علاقة الزواج بنساء العلم فوصل الى مثل تلك النتيجة

وهذه اسماء الذين سعدوا بالزواج من علماء الانكليز وكتابهم : بنيـان . دفو . ستيل . فيلدن . سمولت . جونس . شريدان . كراب . وردسوورث . سكوت . لاي هونت . مور . دي كونسـي . داروين . فرود . ارنولد . كنسلي . تنيسن . بروننج . وليم مورس .

وهذه اسماء الذين تعسوا بالزواج : شكسبير . ملتن . دريدن . ييبس . سويفت أديسن . ستيرن . بوسويل . بيرنس . كلوردج . شلي . بيرون . هزلت . ليتن . كارليل . رسكن . لاندر . ديكنس . ثكري . روستي . فيتزجرالد

وأما الذين لم يتزوجوا فهم : هوبس . نيوتن . لوك . كسونغريف . اوتوي . بوب . بريور . ريتشاردسن . جيمس طمسن . غراي . هيوم . ادم سميث . غولد سميث . جين بركو . بنتام . كيتس . شارلس لامب . ما كولي . نيومن . جون

ستيورات مل . هربرت سبنسر . شارلس ريد . جيمس طمسن . وولتر بيتر

ويرى صاحب المقالة ان من اسباب انخصام الذي يقع بين الكتاب ونسائهم اكثر مما يقع لسواهم اولاً ان الكاتب يقضي معظم يومه في البيت فتكون اسباب الاختلاف بينه وبين امرأته اكثر مما لو كان يفارقها في الصباح ويعود اليها في المساء. ثانياً ان الكاتب اكثر نقداً وادق ملاحظة من سواه فيرى في زوجته من مواضع الانتقاد اكثر مما يراه الآخرون. ونزيد على ذلك ان الاعمال العقلية تتعب الدماغ وتعرضه لسرعة التأثير فيكون في حال التعب اسرع الى الغضب فيساعد ذلك على اسباب التنافر

## مكتب مخابرة الارواح

انشأ المستر وليم ستيد المشهور منشئ مجلة المجلات الانكليزية مكتباً لمخابرة الارواح سماهُ « مكتب جوليا » نسبة الى فتاة انكليزية زعم انها كانت تخاطبه من عالم الارواح منذ ١٥ سنة وتلح عليه بانشاء ذلك المكتب لانها شفوقة على بني الانسان تحب ان تتوسط بينهم وبين عالم الارواح فيتخابر العالمان ويطلع كل منهما على احوال الآخر كما يتخابر اهل أوربا واميركا مثلاً بواسطة التلغراف بلا سلك !! وان المستر ستيد تردد كثيراً قبل الاجابة على اقتراح روح صديقته جوليا. ولما كثر الحاحها اجاب طلبها فانشأ مكتباً سماه باسمها في شارع نورفولك بلندن. ولجوليا هذه شروط في مخابراتها فلا تخاطب اياً شاء مخاطبتها بل تختار من تجد فيه الشروط المؤهلة للحصول على ذلك الحظ. وانما هي اقدمت على هذا التوسط رغبة في تبادل المودة بين الاموات والاحياء ! ويزعم المستر ستيد ان المخابرة جارية الان بين العالمين. وترى على جدران ذلك المكتب صوراً فتوغرافية لكثيرمن الارواح المجسمة واصبح النساء والرجال يتوافدون الى المكان بين ثاكل تسأل عن ولدها وارملة تريد ان تخاطب زوجها ويتيم يحب ان يخابر اباه ولا يعود احدهم الا بجواب يرضيه على مقتضى عقله وحاله..

لو كان صاحب هذا المشروع من عامة الناس ما اعرناه اهتماماً ولكنه وليم ستيد الكاتب الانكليزي الذي طبقت شهرته الخافقين. وقد عرفنا فيه ميلاً الى الاعتقاد

بالارواح منذ بضع عشرة سنة • رأينا ذلك ظاهراً من خلال كتاباته وكثيراً ما كتب المقالات الضافية في اثبات وجود الارواح والف الجمعيات للبحث عنها وجمع الحوادث المؤيدة لهذا الزعم . وقد قامت عليه قيامة الكتاب وانتقدوه وهو لم يتحول عن اعتقاده ولا يزال الى الآن • وقد كنا نحسبه يكتفي بالوقوف عند مسألة الارواح وقفة المتردد اذ قد يكون بين ما نجهله من احوال الكون ما يثبت وجودها — لا ان يسلم بها كما يسلم بوجود اميركا أو استراليا وينشيء مكتباً للمخابرة مع اهلها . ولا نشك ان مكتبه سيلاقي اقبالاً وسيتحدث به العامة اجيالاً يذكرون ما كان من غرائبه المدهشة بين من شاهد امه عياناً ومن خابر امرأته فاخذ منها جواباً على كتاب اطلعته به على اسرار ومخبآت

ولا ينحصر ذلك في العامة فقد رأينا بعض الاطباء والكتاب يعتقدونه ويقولون انهم شاهدوا امواتهم شهادة عين على يد بعض الوسطاء . ونستبعد انهم يكذبون فنعلل اقوالهم باوهام استولت على رؤوسهم فأرتهم بالعين ما توهموه بالخيال • على ان مسألة الارواح لا تزال من الغوامض التي لم يبت الحكم فيها وانها لتوقفها على التصور والخيال ينخدع الناس بها فيجوز عليهم بها ما لا يجوز في سواها



باب الاخبار العلمية

﴿لا خوف من المجاعة﴾ : ذهب بعض العلماء الى ان الارض لا تلبث ان تقل غلتها عما يحتاج اليه الناس من الحنطة وغيرها من الحبوب اذ يتكاثرون وبقعة الارض الزراعية لا تزيد عما هي عليه الا قليلاً . فردَّ عليه عالم آخر ان لا خوف من المجاعة بدليل ان كثيراً من البقاع الزراعية يمكن تخصيصها للحنطة وان وسائل الزراعة آخذة بالتقدم بحيث صارت الغلة ضعفي ما كانت عليه • وقد ظهر هذا الفرق خصوصاً في الولايات المتحدة فقد زاد فيها عدد المشتغلين في الزراعة ٤٠ في المئة • وزادت الغلة في بعض الارضين ٢٠٠ في المئة وزاد مجموع المحصول نحو ٨٩ في المئة وقس على

ذلك سائر الممالك المتمدنة

﴿ مهاجرة الطير ﴾ لاحظ بعض العلماء ان اسراباً من الطيور ربما زاد عددها على ٣٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٤ تسرح في جو اميركا الشمالية اذا جاء الخريف نزحت نحو الجنوب فاذا عاد الربيع عادت الى الشمال ولم يستطيعوا تعليل ذلك تعليلاً مقبولاً

﴿ جمعيات الاقتصاد في انكلترا ﴾ في البلاد المتمدنة جمعيات للشبان يجمعون في صناديقها ما يستطيعون الاستغناء عنه من رواتبهم لينتفعوا به عند الحاجة على سبيل التعاون . وقد ظهرت فوائد هذه الجمعيات وتراكمت الاموال في صناديقها حتى صارت تعد بالملايين فاذا أضيفت اليها بنوك الاقتصاد وصناديق التوفير بالبوسطة وغيرها تضاعفت كثيرًا . واليك مقادير الاموال المجتمعة في اماكن الاقتصاد في انكلترا :

| جنيه | |
|---|---|
| ١٦٥ ٧٥٠ ٠٠٠ | صناديق الاقتصاد في مصلحة البريد |
| ٦٨ ٠٠٠ ٠٠٠ | جمعيات البناء |
| ٥٩ ٥٠٠ ٠٠٠ | بنوك الاقتصاد |
| ٥٠ ٥٠٠ ٠٠٠ | الجمعيات الاخوية |
| ٤٧ ٢٥٠ ٠٠٠ | جمعيات التعاون |
| ٥ ٢٥٠ ٠٠٠ | الشركات التجارية |
| ٥ ٢٥٠ ٠٠٠ | بنوك الاقتصاد في مصالح السكك الحديدية |
| ٧ ٥٠٠ ٠٠٠ | اماكن أخرى |
| ٤٠٢ ٥٠٠ ٠٠٠ | |

﴿ الاعتماد في العلاج على الاعصاب ﴾ ذكرنا في غير هذا المكان ان بعضهم يرى قوة البدن تتوقف على حال الاعصاب وان الانسان يكون كما يشاء . وقد قضى الدكتور بونيه الفرنساوي عدة اعوام وهو يعوّل في تطبيب الاعضاء على معالجة اعصابها رأساً بواسطة الكي بالكهربائية . وكان اكثر علاجه على العصب الثالث الوجهي لانه يتوزع في اهم الاعضاء الرئيسية . فيتوصل الى كيه من تجويف الانف فاتت تجاربه بنتائج صادقة . وهو يرى ان العلاج لا يأتي بفائدة ان لم يمكن ايصاله الى العصب . وقد

وضع شروطاً للعلاج المذكور اهمها ان يكون الكي خفيفاً وتدريجياً فاذا اشتد الكي عاد بالضرر الجسيم . وعدد الدكتور بونيه الامراض التي شفيت بهذا العلاج فكان في جملتها الدسبسيا وسائر امراض المعدة والنورستينيا والماليخوليا والهيبوخندريا والربو والصرع والنفرالجيا والشياتيكا والشقيقة والدوار وغيرها . وقد ذكر حادثة شفي الدوار فيها بالكي مرة واحدة . واكثر الامراض افتقاراً الى طول العلاج ما كان سببها الضعف العصبي ولكنه عالج ٨٠٠ حادثة لم يحتج الى اكثر من عشر كيات الا في عشر منها . وشفى رجلاً كان المظنون انه مصاب بسرطان في الامعاء يقاسي منه آلاماً مبرحة فكواه مرتين فشفي شفاء تاماً . واذا فرض انه لم يشف فانه لم يعد يشعر بشيء من الالم . ومع ذلك فان المعالجة على طريقة بونيه ميسورة لكل طبيب لانها لا تحتاج الى علم خصوصي سوى الدقة في فحص تجويف الانف ومعرفة استخدام البطارية الكهربائية

﴿ الاموال الانكليزية خارج انكلترا ﴾ لكل أمة من أمم اوربا اموال يوظفونها خارج بلادهم على شكل شركات او بنوك أو مشروعات وغيرها . وقد وجد بالاحصاآت الدقيقة ان انكلترا اكثر الامم توظيفاً لنقودها في الخارج . واكثر ما يكون ذلك في اميركا الشمالية ثم افريقيا فاسيا فاوستراليا فاوربا فاميركا الجنوبية . وهاك مقادير الاموال الانكليزية الموظفة في كل من هذه القارات :

| جنيه | |
|---|---|
| ١،١٧٠،٠٠٠،٠٠٠ | في الولايات المتحدة وكندا |
| ٥٣٥،٠٠٠،٠٠٠ | « افريقيا |
| ٤٥١،٠٠٠،٠٠٠ | « اسيا |
| ٣٤٧،٠٠٠،٠٠٠ | « اوستراليا |
| ٢٠٥،٠٠٠،٠٠٠ | « اوربا ( الاّ انكلترا ) |
| ١٥٠،٠٠٠،٠٠٠ | « اميركا الجنوبية |
| ٢،٧٥٨،٠٠٠،٠٠٠ | الجملة |

والمظنون ان ذلك يساوي نصف اموال العالم الموظفة خارج ممالك اصحابها

﴿ اغنى امم اوربا ﴾ كتب بعضهم في مجلة المجلات الاميركية مقالة في

ثروات امم اوربا وجه الانظار فيها الى التقدم السريع الذي تقدمته ثروة المانيا في الاعوام الاخيرة حتى صارت تضاهي اغنى الامم المتمدنة بل هي فاقت انكلترا . وقد كان المشهور ان انكلترا وفرنسا اغنى امم اوربا واختلفوا في ايهما اغنى فصارت المانيا الآن تسابقهما فان ثروة انكلترا تقدر اليوم بمبلغ ١٥٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه والالمان تبلغ ثروتهم ١٧٥٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠ جنيه . وأيد صحة ثروة الالمان بان الضرائب فيها اخف مما في انكلترا وفرنسا وغيرهما . واسند قوله الى ما يلحق الواحد من الضرائب في تلك الممالك فوجد الانكليزي يلحقه نحو ٩٦ شليناً والفرنساوي يلحقه ٨٢ ½ شلين والاميركاني ٨ شليناً والايطالي ٤٨ ½ شليناً والالماني ٨٤ ½ شلين فهي اقل ضرائب حتى من ايطاليا

﴿ هل ينفد سماد الارض ﴾ لا يخفى ان المطر اذا سقط على الارض تحول الى جداول ثم انهر تصب في البحار بما تحمله من الاتربة والمواد المخصبة وفي جملتها الاملاح وغيرها . وهذا العمل متواصل كل شتاء . ولا يعود شيء من تلك المواد الى اليابسة لان البخار الذي يتصاعد عن سطوح البحار ويتحول بعد ذلك مطراً انما يتصاعد نقيّاً لا املاح فيه ولا اتربة . وهذه حقيقة لا جدال فيها فبحث بعضهم في نتيجة هذا التفاعل بتوالي الاجيال واستدرك ان الطبيعة نفسها تهيء الاسمدة لكنها تفعل ذلك ببطء كلي . فيقدرون انها تولد طبقة سمكها قدم من السماد كل ١٠٠٠٠٠ سنة . وانتبه ايضاً لتأثير جذور الاشجار في امساك الاتربة عن الجري مع الماء . ومع ذلك فانه يرى الارض ذاهبة الى الجدب ولا بد لملافاة ذلك من العناية في الزراعة على الطرق الكيماوية الحديثة

## نهضة جديدة في صناعة الخط

للخط العربي قواعد يتوقف جماله على مراعاتها . واساسها النقطة (٠) وبها يقدَّر طول الحرف وعلوه وانحرافه . فالالف مثلاً طولها بالقاعدة الرقعة ثلاث نقط والباء طولها اربع نقط ورأسها من اليمين نقطة وانحرافها هناك نقطة وقس على ذلك سائر الحروف . على ان هذه القواعد لا تكفي معرفتها لاتقان الخط ولا بد من ممارسة الكتابة

طويلاً على يد استاذ ماهر . وهذا ما كان يقعد بالناس عن تحسين خطوطهم . فوفق نجيب بك هواويني الخطاط الشهير الى اختصار صور حروف الرقعة الى أربعة احرف (الالف والباء والغين والنون) ويجمعها قولك « نابغ » اذا تعلم الطالب كتابتها هان عليه ضبط سائر الحروف . فالباء مثلاً اذا قطع آخرها صارت دالاً كما ترى في هذا الشكل | واذا أدير رأسها صارت فاء | واذا نزعت رأس الدال صارت راء | واذا أضيفت مدة الباء الى أول النون صارت سيناً او شيناً وهكذا . وقد وضع لهذه القواعد تمارين في دفاتر للخط سماها « السلاسل الذهبية » يجدر بالمدارس التعويل عليها في تعليم هذا الفن . وقد يتعلم بها من يريد اتقان خطه من غير التلامذة بمدة قصيرة . وجربنا ذلك باحد اولادنا فتحسن خطه تحسناً بيناً بجلسات قليلة فنشكر لهواويني بك على هذا الاختراع ونرجو الانتفاع به

## مطبوعات جديدة

### ١ — الروايات

﴿ ١٧ رمضان ﴾ صدرت الطبعة الثانية من هذه الرواية لمؤلفها منشئ الهلال وهي تاريخية غرامية تتضمن مقتل الامام علي ثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ فتاة غسان ﴾ صدرت الطبعة الثالثة من الجزء الثاني لفتاة غسان تأليف منشئ الهلال وهي غرامية تاريخية يتضمن ظهور الاسلام وفتح الشام والعراق وقد ترجمت هذه الرواية الى اللغات الانكليزية والاوردية ( الهندستانية ) والدراويدية ( التاميل ) لغة سنغافورا وهي جزءان ثمن الجزء عشرة غروش واجرة البريد غرشان

﴿ غادة كربلاء ﴾ صدرت الطبعة الثانية من هذه الرواية تأليف منشئ الهلال وهي غرامية تاريخية تتضمن مقتل الحسين في كربلاء وقد نقلت الى اللغة الفارسية وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ جهاد المحبين ﴾ وصدرت الطبعة الثانية لهذه الرواية لمنشئ الهلال وهي ادبية

غرامية تمثل عواطف المحبين وجهادهم ثمنها ستة غروش والبريد غرش ونصف وجميع هذه الروايات تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز

《 اسرار الاستانة 》 صدرت ثلاثة اجزاء من هذه الرواية تأليف سعادة بك مورلي من ضمن سلسلة الروايات العثمانية وتطلب من صاحبها ومن مكتبتي الهلال والتأليف

《 شرلوك هولمز 》 صدرت أربع قصص من هذه الروايات في كتاب واحد تعريب نسيب افندي المشعلاني وهي تباع في مكتبة التأليف ومكتبة الهلال وثمن الكتاب أربعة غروش وأجرة البريد غرش

《 خاتمة عقد بني سراج 》 هي رواية تاريخية جغرافية يتقدمها نقد حياة مؤلفها شاطوبريان ونبذة تاريخية تتعلق ببني سراج . وتشتمل على بسط احوال الاندلس وبلاد المغرب في أواخر دولة العرب تأليف وترجمة محمد افندي المشيرقي المترجم بالحكومة التونسية وتطلب من حضرته بتونس وثمن النسخة فرنك وربع .

《 وردة البوبرية 》 هي رواية تاريخية تتضمن سياحة في بلاد الزولولاند تأليف اوجين باريس ونقلها الى العربية حبيب افندي سالم بالمحكمة المختلطة بالمنصورة . وتطلب من مكتبتي التأليف والهلال وثمن النسخة ٤ غروش والبريد غرش

《 دواوين جديدة 》 هي خمسة دواوين لخمسة من نوابغ شعراء الجاهلية وصدر الاسلام — اولاً : ديوان الفرزدق طبعة جديدة منقحة ثمنها ٤ غروش والبريد غرش . ثانياً ديوان النابغة الذبياني عليه شرح البطليوسي ثمن النسخة ٤ غروش والبريد غرش . ثالثاً ديوان علقمة الفحل طبعة جديدة منقحة ثمنها ٣ غروش والبريد نصف غرش . رابعاً حاتم الطائي طبعة جديدة ثمنها ٣ غروش والبريد نصف غرش . خامساً ديوان عروة ابن الورد عليه شرح ابن السكيت طبعة جديدة مصححة ثمن النسخة ٣ غروش والبريد نصف غرش وجميع هذه الدواوين تطلب من مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز بمصر

٢ — مجلات وجرائد

١ — الحسناء : هي المجلة النسائية التي اعلنا قرب ظهورها وقد صدرت الآن وهي علمية ادبية تاريخية اخلاقية لمنشئها جرجي افندي نقولا باز ويساعد في تحريرها نخبة كاتبات سوريا تصدر في بيروت مرة في الشهر وقيمة اشتراكها عشرة فرنكات

في بيروت و١٢ فرنكاً بالخارج ٢ — الكوثر : مجلة علمية فنية سياسية تصدر في بيروت مرة في الشهر لصاحبها ومحررها بشير افندي رمضان بدل اشتراكها مجيديان في بيروت ومجيديان ونصف في الولايات العثمانية و١٥ فرنكاً في الخارج ٣ — النعمة : مجلة دينية علمية اخبارية تصدرها البطريركية الانطاكية الارثوذكسية في دمشق مرتين في الشهر بدل اشتراكها مجيدي ونصف في دمشق ومجيديان في الولايات العثمانية و١٥ فرنكاً بالخارج ٤ — الخواطر : هي جريدة سياسية تصدر في المكسيك مرتين في الاسبوع لمنشئها ورئيس تحريرها يوسف افندي صالح الحلو قيمة اشتراكها عشرة ريالات مكسيكية ٥ — الروضة : هي جريدة سياسية تصدر في بغداد باللغتين العربية والتركية مرة في الاسبوع لصاحبها عبد الحسين افندي الازري بدل اشتراكها في السنة ثلاثون غرشاً في بغداد و٤٠ في الولايات العثمانية وعشرة فرنكات في الخارج ٦ — الحرية : جريدة سياسية ادبية اخبارية لصاحبها ورئيس تحريرها داود افندي مجاعص تصدر في بيروت كل سبت بدل اشتراكها ٥ فرنكات في المملكة العثمانية و٨ في الخارج ٧ — نينوى : جريدة ادبية سياسية تصدر في الموصل كل اسبوع بالعربية والتركية لصاحبها فتح الله افندي سرسم ومديرها فخري زاده محمد امين بدل اشتراكها ٣٥ غرشاً و١٠ فرنكات في الخارج

# قائمة مكتبة الهلال

صدرت قائمة مكتبة الهلال لسنة ١٩١٠ وهي ترسل مجاناً لمن يطلبها

## وكلاء الهلال في البرازيل

نرجو من مشتركينا الكرام في ريوجنايرو اعتماد الخواجات عقل شديد واخوانه وكلاء عن الهلال وان يدفعوا اليهم البدل بوصولات ممضاة من الادارة وهذا عنوانهم:

Rua da alfandega, 358 rio de Janeiro

ونرجو من مشتركينا في ماناوس اعتماد فيليب افندي ضو وكيلا عنا وعنوانه

Rua das romedias No 1, Caixa Postal 201

وان يسلموا اليه بدلات الاشتراك بوصولات ممضاة من الادارة


الهلال
AL-HILAL
ARABIC
Typewriter
PATENTED BY
STEINEMANN, MABARDI & C° (Alexandria)
& WAKED (Cairo)
آلة الكتابة العربية
لاصحاب امتيازها
ستينمان ومباردي وشركاهم (بالاسكندرية)
وواكد (بمصر)



مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية
سنتها عشرة اشهر
وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة
لمنشئها
جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

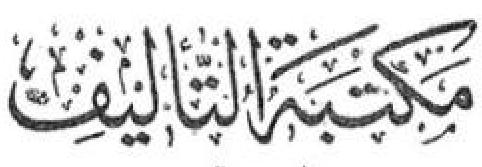
AL-HILAL
Social, Historical, Scientific & Literary Review
EDITED BY
GEORGE ZAIDAN *M. R. A. S.*
SUBSCRIPTION: 26 F^cs. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XVIII, No 2

1 November 1909

AL-HILAL Printing Office, Cairo

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر




بشارع عبد العزيز بمصر

اصدرت مكتبة التأليف قائمة مطولة تنوف عن المائة والخمسين صفحة فيها كافة انواع الكتب العربية من علمية وأدبية وانشائية وتاريخية وشعرية وتحتوي خصوصاً على كافة انواع الروايات العربية قديمة وحديثة وترسل هذه القائمة مجاناً لمن يطلبها وللمكتبة معمل تجليد لكافة الاشكال ومطبعة لطبع مايلزم التجار والعموم من اوراق الزيارات وملاحق الافراح الخ والمخابرة مع الياس افندي دياب مدير مكتبة التأليف

---

**The Gresham Life**

Assurance Society Limited

## شركة جريشام ليمتد لضمانة الحياة

تأسست في لندره عام ١٨٤٨

حالة الشركة في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٤

| | | |
|---|---|---|
| راس مالها الاحتياطي | ٢٢٣,٩٧٢,٥٨٤ | فرنك |
| مدخولها السنوي | ٣٤,٠١٣,٩٢٣ | « |
| المدفوع للمؤمنين | ٣٦,١٦٥,٨٧٥ | « |

مجلس الادارة في القطر المصري

رئيس السيرجون روجرس ك . م . م . ج .

ف . ه . رسل من محل الخواجات رسل وكر وقهات

الدكتور هربرت ملتن . ج هيوم . نائب حاكم البنك الاهلي المصري

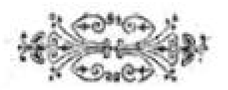
اذا دفعت مبلغاً جزئياً كل سنة لهذه الشركة فهي تضمن لك ذخيرة لشيخوختك أو مهراً لابنتك او رأس مال لابنك .

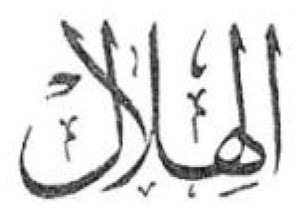
وهي تعطي أيضاً سلفيات على رهن عقارات بفوائد مهاودة جداً .

وجميع الاستعلامات تطلب من فرع الشركة القطر المصري وفلسطين والشام الكائن بشارع قصر النيل القاهرة ٧ — ١٢ — ١٠

ناووس الاسكندر

في المتحف العثماني بالاستانة





الجزء الثاني من السنة الثامنة عشرة

اول نوفمبر (ت ٢) سنة ١٩٠٩ و ١٨ شوال سنة ١٣٢٧

# الاستانة العلية

## موقعها ومناظرها وآثارها وقصورها ومتاحفها

### وأحوالها الاجتماعية والعلمية والادبية والسياسية

### ٥ - متاحفها ومعارضها

ليس في الاستانة متاحف تستحق الذكر بالقياس على متاحف العالم المتمدن لحداثة عهدها بالتنقيب عن الآثار والاحتفاظ بها ولكنها تمتاز بآثار فيها لا وجود لها في سواها. وبمخزن في سراي طوب قبو فيه تحف وجواهر لامثيل لها في العالم — وليس هو من قبيل المتاحف المعروضة للناس لكننا وقفنا الى رؤيته فاحببنا نشرهُ للقراء. فاذا عددناه متحفاً كانت المتاحف والمعارض في الاستانة خمسة وهي: ١ المتحف العثماني ٢ متحف جينلي ٣ متحف طوب قبو ٤ معرض السلاح ٥ معرض الانكشارية

#### ١ — المتحف العثماني

واقع في مكان السراي القديمة قرب سوق جشمه انشأوه سنة ١٨٨٥ وزادوا عليه قاعتين فرغوا من بنائهما في العام الماضي. وقد عرضوا فيه ما اجتمع عندهم من الآثار التي عثروا عليها في صيدا وسائر فينيقية والاناطول وغيرها من آثار الحثيين والاشوريين والمصريين واليونانيين وفيها قطع لامثيل لها في العالم اهمها ناووس كبير من الرخام يسمونه

ناووس الاسكندر او قبره . وجدوه في صيدا سنة ١٨٨٥ وحملوه الى الاستانة وعيون العالم شاخصة اليه لما فيه من دقة الصناعة ( انظر رسمهُ في صدر هذا الهلال )

يسمونه ناووس الاسكندر لان على ظاهره نقوشاً تمثل معركة الاسكندر الكبير مع داريوس في اربلا. وليس هو قبره لان الاسكندر لم يدفن في صيدا . فلعله مدفن احد قواده او رجال دولته . وقفنا عند هذا الناووس طويلاً وقد اخذ جماله بعقلنا ولو وقفنا اياماً ونحن نتأمل نقشه ما مللنا الوقوف ولا اكتفينا من التأمل. وهو قطعة واحدة من الرخام الابيض طولها نحو ثلاثة امتار فوقها غطاء من الرخام وكلاهما منقوش بدقة ولباقة

وقد ادهشنا فيه على الخصوص النقش الممثل لواقعة اربلاء فان فيه عشرات من الفرسان والافراس لكل منها موقف خاص وهيأة خاصة يراد بها حالة من الاحوال التي يقتضيها النزال من الهجوم والدفاع والغضب. والخوف والرجاء وغيرها . ويمتاز رجال الاسكندر بالبستهم وقياقاتهم عن رجال داريوس . فاليونانيون على روُّوسهم الخوذ والفرس عليهم شبه الخمار والبستهم كالدراعات القصيرة . وانك ليبهرك ما تراه من الملامح الواضحة في كل رجل وفي كل فرس مع صغر تلك الصور . فترى الظافر وقد شهر الحسام بيده وبدت امارات الظفر على وجهه ويكاد الشرر يتطاير من عينيه . وبين يديه المغلوب على امره وقد بان الفشل في سحنته وتجد المصاب بنبل في صدره اوجنبه قد تجعدت اسرته وبانت علامات التألم في جبينه وعينيه . والظفر في مجمل الصورة بجانب الاسكندر فترى بعض رجال داريوس قد وقعوا عن افراسهم وداستهم سنابك الخيل وآخرون طعنوا وهم على خيولهم وقد استفرس اليونان وما فيهم الا من شهر الحسام او اوتر القوس . ويظهر لك وهو يصوب السهم انه يسدده تسديداً واضحاً

ناهيك بمواقف الافراس بين قائم على رجليه وقد انتفخ منخراه وحملقت عيناه حتى لتتوهم انك تسمع صهيله وتخاف ان يزل حافره فيقع فارسه عنه . على انك تتحقق ثبوت ذلك الفارس مما تتوسمه في ساقهِ من الجهد الظاهر بانقباض عضلاتها حتى توترت العروق وبرزت

ورأينا في بعض جوانب الناووس صورة تمثل خروج القوم للصيد وقد اطلقوا كلابهم وفهودهم وارسلوا أفراسهم . فوثب اسدٌ على احد الفرسان حتى انشب براثنه بكتف

الفرس واغرس نابيه بصدره — وقفنا عند هذا المنظر ساعة ونحن نتفرس بما على وجه الفرس من مظاهر الألم والغضب وكأنهُ يحاول النهوض على قدميه لعله يفلت من براثن الاسد . والاسد قد كشر حتى بانت أنيابه وقد انشبت في صدر الفرس فزقت الجلد و بان اللحم من تحته . وفي وجه الاسد وعينيه ملامح الظافر الكاسر وترى أظافره قد مزقت كتف الجواد . وكانك ترى اللحم يقطر دماً من خلال الجلد الممزق

ورأينا على جانب آخر من الناووس صوراً أخرى بعضها يمثل امرأة حزينة ضاع ابنها او قتل زوجها وتكاد تسمع صوت نحيبها . والظاهر ان تلك النقوش كانت في اول امرها أقرب الى تمثيل الطبيعة بقدر او أسلاك من ذهب او نحوها مثلوا بها ازمة الخيل وأوتار الاقواس وقنا الرماح وقد ذهبت لطول عهدها . ويظهر أيضاً ان بعض تلك الصور كان ملونا بالوان يقربه من الطبيعة كالاحمر يمثل الدم في الجروح ونحو ذلك . و بالجملة ان هذا الناووس اعجوبة من اعاجيب الاتقان الفني ولا نظن الصناعة بلغت الى اتقن من ذلك من اقدم ازمانها الى الآن

وفي المتحف ماعدا ذلك كثير من الآثار البيزنتية والفارسية والفينيقية والرومانية لاباس بها لكنها لاتذكر في جانب ناووس الاسكندر . وهناك تماثيل حثية وجدوها في زنجرلي وناووس من رخام اسود فينيقي عليه كتابة هيروغليفية يقال انه كان فيه جثة مدفونة سنة ٢٠٠٦ ق م . وفي الطبقة العليا من المتحف صور دينية مسيحية مرسومة بالفسيفساء ( موزايك ) بينها صور قديسين عليها كتابة يونانية . ورأينا في احدى الغرف العليا عالماً أثريا يحل رموز بعض القرميدات الاشورية وعليها كتابة بالحرف المسماري قرأ لنا بعضها فاذا هي صكوك وعقود وقوائم حساب

٢ — متحف چينلي

هو تجاه المتحف العثماني واقدم منه واجهته مغطاة بالفسيفساء الزرقاء وقد كتب عليه ان محمد الفاتح بناه بعد الفتح سنة ( ٨٦٠ هـ ) ثم اصلحه مراد الثالث . ولعله كان مبنياً وادخل الفاتح تغييراً في بنائه . وهو مؤلف من طبقتين ويحتوي على آثار اسلامية اكثرها عثماني في جملتها صورة خير الدين باشا ( بربروسا ) على حجر . وكثير من اجنحة الابواب الاسلامية والسجاد الثمين والادوات التاريخية بينها كرسي كان يجلس عليه

السلطان سليم الثالث كثير الشبه بكراسي هذه الايام الاعتيادية ظهره مكسو بالمخمل الاحمر. وكرسي آخر لمحمد الفاتح اكبر من ذاك مكسو بالمخمل وحول قوائمه شراريب القصب وله ذراعان يستند الجالس عليهما

ورأينا كثيراً من الادوات الفلكية كالاسطرلاب والكرة وفيها كرة من نحاس عليها رسم الارض يقال انها من عهد السلاجقة . وركاب للخيل من الذهب وصورة السلطان سليم الثالث بالزيت . وهي في اعتبارنا اول صورة حقيقية لسلاطين آل عثمان لانهم لم يكونوا يأذنون بتصويرهم من قبل . ومصباح من البلور عليه اشعار منقوشة بالمينا من زمن السلطان محمود الثاني

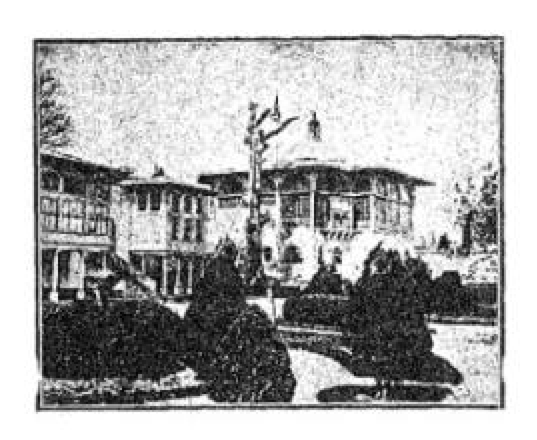
## ٣ – متحف طوب قبو

ونريد به مستودع التحف والجواهر المخزونة في سراي طوب قبو . وهي عبارة عما بقي من تحف الفرس والعرب والروم والاتراك تجمعت بتوالي الاجيال من الغنائم والهدايا . وكانت هذه التحف محفوظة في صناديق بسراي طوب قبو فامر السلطان عبد العزيز باخراجها وترتيبها فوضعوها في واجهات من زجاج بالبناء الذي كان يقيم فيه امبراطور الروم قبل الفتح العثماني وهو من جملة تلك السراي — حبسوها هناك واقفلوا عليها بالاختام فلا يسمح برؤيتها ولا دخول تلك السراي الا باذن خاص من جلالة السلطان . وقد صدرت لنا الارادة السنية بذلك بناء على التماس رئيس مجلس المبعوثان فتفرغنا لدرسها يوماً مخصوصاً واليك خلاصة ذلك الدرس :

### سراي طوب قبو

واقعة بجانب جامع اياصوفيا والضربخانة على المضبة الاولى من هضاب استامبول وهي عدة ابنية وقصور يتصل اليها من جهات مختلفة ونحن واصفوها كما دخلناها . دخلناها من الباب المواجه لسبيل السلطان احمد واذا أعدت النظر على صورة ذلك السبيل في الهلال الماضي رأيت الباب في طرفها الى اليسار وهو أول ابوابها من هذه الجهة ويقال له «باب همايون» . دخلنا فيه الى بقعة مسورة اشبه بطريق خربة فيها اشجار ضخمة من السرو . والى يسار المدخل بلصق السور بضعة قبور حجارتها حمراء بينها قبر قسطنطين الذي غلبه العثمانيون . ووراء ذلك الى اليسار باب متحف السلاح — وسنعود اليه

اجتزنا تلك البقعة وطولها نحو ٤٠٠ متر الى باب آخر هو الاوسط ويسمى داورته قبو» قد كتب على عتبته العليا « لا اله الا الله محمد رسول الله » وعلى جدرانه



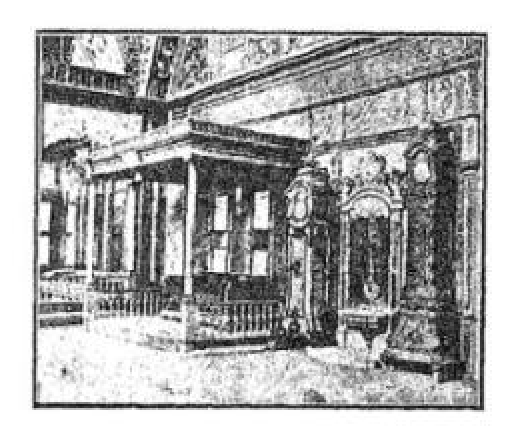
سراي طوب قبو - داخل الباب الثالث

من الداخل اسلحة عثمانية قديمة بينها بلطات و نادو قد نزل فيها الذهب على اشكال مختلفة منها على البلطات « هوالفتاح» - دخلنا هذا الباب الى ساحة أخرى اشبه بستان مهمل فيه أشجار ضخمة أكثرها من السرو طولها الى الباب الثالث نحو ٣٠٠ متر . في آخرها الى اليسار بناء يممنا نحوه فوجدناه غرفة كبيرة مملوءة بالاوراق المتراكمة هي سجلات الحكومة متروكة بلا نظام تشبه الدفترخانة لكن بدون ترتيب . وقد اصاب الحريق بعض اطرافها . ولايظهر ان الحكومة تحتاج الى شيء منها . وتأملنا هذه القاعة فاذا هي قبة كبيرة اسمها « قبة التي» كان يجتمع فيها الوزراء . وفي اعلى الحائط المقابل شبه شباك بارز من النحاس كان يجلس السلطان فيه ليشرف على اعمال الوزراء وهم مجتمعون

ومن ادلة احترام هذه القاعة في عهد السلاطين القدماء ان الوزير كان بعد دخوله باب اورته قبو يتجه نحو هذه القبة وقبل الوصول اليها بمئة متر يسجد عند مسطبة مستديرة في وسطها سروة ضخمة سجود الاحترام . ثم يمشي خمسين متراً ويسجد عند مسطبة أخرى مثلها ويسجد المرة الثالثة عند بابها ثم يدخل

وتنتهي هذه الساحة بالباب الثالث واسمه « اقا ر قبو سي » أي باب الخصيان

البيض . وبين يديه مدرس العلم في حجرة خاصة بذلك . وهو باب فخيم نقش فوقه « انه من سليمان وانهُ بسم الله الرحمن الرحيم » وفي قفا هذا الباب من الداخل اسماء السلاطين مكتوبة بالذهب وبينها طرتان . ويتصل من هذا الباب الى ابنية كثيرة وقصور جميلة . اولها مما يلي الباب بناية يسمونها «العرض» كان السلطان يجلس في قاعة منها كبيرة لمقابلة من يأتيه لعرض شيء . صعدنا الى تلك القاعة فوجدنا في صدرها مجلساً كالسرير طولهُ نحو اربعة امتار كان يجلس السلطان في صدره على مقعد ثمين ويجلس



قاعة العرض

في سراي طوب قبو

العارضون بين يديه جثوًّا . وفي الحائط بجانب السرير حنفية ينطلق منها الماء بشدة وله خرير قوي فكانوا يطلقونه وهم يجتمعون حتى يمنع من بالباب من الخدم أو غيرهم من سماع المداولة

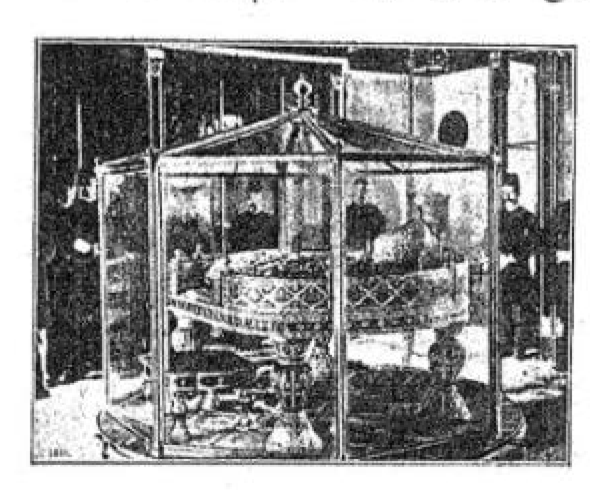
وقد ابدلوا هذه الطريقة من التكتم بعدئذ باحتياط آخر . وذلك انهم استخدموا في امثال هذه الاحوال خدماً صماً

وبالقرب من هذا البناء بناء آخر فيه مكتبة نفيسه كتبها مرتبة في خزائن وكلها خطية ومجلدة تجليداً عربيًّا وعلى كل كتاب اسمه واسم مؤلفه وهي مقسمة حسب الفنون والمواضيع وعدد مجلداتها نحو ٣,٠٠٠ مجلد

تحف آل عثمان

وبعد هذا البناء نحو اليمين قصر قسطنطين وهو السراي القديمة التي كان امبراطور الروم يسكنها وفيها التحف التي نحن في صددها . فلما اشرفنا عليها تقدم رئيس الخصيان المنوط بهِ امرها ففضَّ ختماً كان على بابها بعد ان تفرَّس فيهِ وتحقق سلامتهُ واذن بدخولنا فاستوقف نظرنا لاول وهلة لمعان الجواهر وبهرنا ما لقيناهُ في ذلك المكان من التحف التي لا مثيل لها في العالم . ولا يسع المقام شرح كل ما حواه ذلك المعرض فنأتي بأهم ما فيهِ كما رأيناه

فالمعرض المذكور مؤلف من ثلاث غرف كبيرة فوقها ثلاث غرف مثلها حول جدرانها وفي وسطها الخزائن والمواقف مسيجة بصفائح الزجاج وفيها التحف متراكة أو متراصة لكثرتها وضيق المكان عنها . ولو أريد عرضها كما يفعل الافرنج في متاحفهم لاقتضى لها بضع عشرة غرفة مثل هذه — وأهم تلك التحف : —



عرش اسماعيل شاه

١ عرش اسماعيل شاه : انه اول ما استلفت انتباهنا عند دخولنا المعرض وهو كرسيٌّ يتألق بالجواهر قائم في وسط الغرفة الاولى ضمن خزانة من الزجاج كما ترى في الشكل . هو عرش اسماعيل شاه ملك الفرس غنمهُ منه السلطان سليم الفاتح سنه ١٥١٤م وكان قد حمل عليهِ حتى حصره في تبريز ففرَّ منها اسماعيل شاه وغادر معسكره بما فيهِ من

النساء والجوهرات والتحف والاموال فاستولى عليها السلطان سليم والعرش المذكور في جملتها . واستعاض الفرس بعده بعرش فتح علي شاه ثم عرش الطاووس وكلاهما مرصع بالجواهر الثمينة

وعرش اسماعيل هذا كرسي من الذهب الخالص له اربع قوائم وقد رصع هو وقوائمه باللؤلؤ والالماس والزمرد . شكله اهليلجي طوله نحو متر ونصف وعرضه نصف ذلك . وظهره بشكل المثلث في وسطه ثم يمتد الى الجانبين ويلتف قليلاً نحو الامام بحيث لا يبقى من المحيط إلا مكان يدخل منه الشاه . وكان يصعد اليه فوق كرسي صغير له اربع قوائم محجرة ايضاً ( انظر الشكل ) فاذا صعد الشاه اليه قعد الاربعاء . وهو يسع رجلا آخر يجلس معه

كنار هذا العرش وقوائمه مصنوعة من الذهب وقد رصعت باللؤلؤ صفوفاً اللؤلؤة بازاء اللؤلؤة في حبال متعددة واللؤلؤة بحجم العدسة الكبيرة لكنها كروية . فاللؤلؤ المذكور مصوغ على الذهب في صفوف مزدوجة الزوج الاول منها عند حافة الكرسي من الاعلى يظهر في الصورة عند التأمل . والزوجان الآخران في الاسفل حول القاعدة . وبين هذين الزوجين صف من الالماس والزمرد والياقوت . وبين القاعدة والحافة العليا مربعات منحرفة من حبال اللؤلؤ او هي شبكة من تلك الحبال . وفي المربعات المذكورة بالوسط والمثلثات على الجانبين حجارة كبيرة من الياقوت والزمرد والالماس . وبين الشبكة المذكورة والصفين حول القاعدة زوج رابع من حبال اللؤلؤ يتصل بالزوج العلوي عند طرف هذا الكنار بالامام . غير ما على الطراحة من التطريز على دائرها . واعتبر ذلك بالقوائم فانها مرصعة بحبال من اللؤلؤ بينها حجارة الالماس والياقوت والزمرد . فاذا حسبنا طول هذه الحبال على الكرسيين الكبير والصغير ربما بلغ طولها خمسين متراً او ستين

فاعتبر كم في المتر الواحد من هذا الحب وهو متلاصق الواحدة بازاء الاخرى وكم قيمة اللؤلؤة بحجم العدسة الكبيرة اذا تكورت . واضف الى ذلك الاحجار الاخرى في الاخلية بين اللؤلؤ والذهب المصنوع الكرسي منه يتضح لك قيمة هذا الكرسي المالية فضلاً عن قيمته التاريخية

٢ً الابسطة المرصعة : ذكر المؤرخون في جملة ماغنمه العرب من المدائن بعد فتحها « بساطاً طوله ستون ذراعاً وعرضه ستون ذراعاً فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار ارضها مذهبة وخلال ذلك فصوص كالدر الخ» وذكروا لام الخليفة المستعين بساطاً « عليه صورة كل حيوان من جميع الاجناس كل طائر من ذهب وأعينها يواقيت وجواهر » وكنا اذا قرأنا ذلك وقفنا ننظر في ما يشتمل عليه من المبالغة . فاصبحنا بعد ان شاهدنا أبسطة آل عثمان في سراي طوب قبو لانستغرب شيئاً من هذا القبيل

رأينا ثلاثة أبسطة من الحرير معلقة بالحائط داخل خزائن من الزجاج اثنان منها سكريا اللون والثالث زهريةُ ( بمبه ) طول كل منها متران وأكبرها عرضه متر ونصف وهي مطرزة باللؤلؤ تطريزًا جميلاً على أشكال هندسية او طبيعية كما تطرز الستائر بالزوايا والمربعات والمثمنات او الدوائر والاقواس . لما وقع نظرنا على هذا التطريز حسبناه لاول وهلة زركشة بالحرير على شكل الاغباني . ولما تفرسناه وجدناه تطريزًا باللؤلؤ الجميل المتناسب بحجم اللؤلؤ على عرش اسماعيل شاه وفي البساط الاكبر عدة صفائح من ذهب بحجم الكف بينها صفائح اصغر منها بشكل الكواكب متفرقة وكل منها مرصع بالزمرد والياقوت والالماس بينها زمردات بحجم اللوزة . وفي وسط البساط الزهري اللون بقعة مستديرة قطرها ٢٥ سنتيمترًا وقد طرزت على شكل جميل بلؤلؤ كبير حجم اللؤلؤة منه نحو البندقة وعدد اللؤلؤ الداخل في هذه البقعة ٦٩ لؤلؤة

٣ً درع مرصعة : هي درع مراد الرابع كاملة بالخوذة والصدرة والزندين والركبتين والكفين والكتفين والساقين . مصنوعة من الفولاذ المذهب صنعاً متقناً وقد رصع كتفاها وكماها وساعداها ومنطقتها بالالماس . وفي وسط المنطقة الماسة كبيرة تختطف البصر . وهناك ادراع كثيرة مرصعة لسلاطين لانعرف اسماءهم

٤ً البسة السلاطين . رأينا في احدى الغرف العليا أثواب السلاطين الرسمية من محمد الفاتح الى السلطان محمود الثاني ملبسة على اعمدة قائمة فتظهر كأنها على السلاطين وفوقها العمائم بدون رؤوس . وعلى كل عمامة ما كان عليها من الحلي والمجوهرات التي كان صاحبها يزينها به في حياته يختلف شكلها باختلاف السلاطين . وحول خصر كل سلطان المنطقة التي كان يتمنطق بها وفيها خنجره . فالسلاطين المعروضة ثيابهم هناك ٢٤ سلطاناً هذه اسماؤهم :

| | | | |
|---|---|---|---|
| محمد الفاتح (الثاني) | محمد الثالث | محمد الرابع | عثمان الثالث |
| بايزيد | احمد الاول | سليمان الثاني | مصطفى الثالث |
| سليم الاول | مصطفى الاول | احمد الثاني | عبد الحميد الاول |
| سليمان الاول | عثمان الثاني | مصطفى الثاني | سليم الثالث |
| سليم الثاني | مراد الرابع | احمد الثالث | مصطفى الرابع |
| مراد الثالث | ابراهيم الاول | محمود الاول | محمود الثاني |

ولا يخفى ما في عرض أثواب هؤلاء السلاطين على هذه الصورة من الفائدة التاريخية فيخيل الواقف انه يرى جنداً من السلاطين . واذا قابل بين أشكالها ظهرت الفروق التي حدثت بين الملابس بتوالي الاجيال . على ان الفرق كان قليلاً الا في الازمنة الاخيرة فثوب كل سلطان جبة تحتها فراجية او قفطان من نسيج الاسطوفا وحول الخصر منطقة وعلى الاكتاف فوق الجبة العباءة . وكانت العمامة في أكثر هذه المدة كروية الشكل كما ترى في ثياب السلطان سليمان


السلطان سليمان القانوني

وانما يختلف السلاطين بالوان البستهم وبما على عمائمهم او على خناجرهم من الحلي . فالسلطان محمد الثاني اولهم كان ثوبه زهري اللون مخططه بلا فاصل واضح بين الالوان وعلى قبضة خنجره ثلاث زمردات في غاية الصفاء والجمال بيضية الشكل طول الواحدة ٤ سنتيمترات مصفوفة صفاً واحداً على طول القبضة مما يبهر الناظر . وعلى عمامته حلي يشبه الريشة مرصع بالالماس والزمرد وفي جملة ذلك زمردة اكبر من زمردات الخنجر . وعلى عمامة بايزيد طرة محجرة وعلى عمامة السلطان سليم ريشة محجرة وكذلك السلطان سليمان كما ترى في الصورة . وبدأ شكل العمامة يتغير من السلطان محمد الرابع . وفي وسط طرة هذا السلطان زمردة كبيرة . وفي طرة سليمان الثاني زمردتان

كبيرتان اكبر من زمردات خنجر السلطان محمد وياقوتة حمراء مساحتها ثمانية سنتيمترات في سبعة وفوقها لؤلؤتان كل منهما بقدر اللوزة . واليك صورة عبد الحميد الاول وصورة سليم الثالث وعلى عمامتيهما ما يقرب من ذلك


عبد الحميد الاول

٥ً تمثالان من اللؤلؤ : رأينا على أحد الرفوف تمثالين صغيرين من الذهب يمثلان ملكاً من ملوك فاس وخادمه طول الواحد نحو ١٢ سنتيمتراً صدر احدهما لؤلؤة واحدة كبيرة وفخذا الآخر لؤلؤتان — واللؤلؤ اذا كبر تضاعفت قيمته كثيراً كما لا يخفى


سليم الثالث

٦ً تواليت محجرة : التواليت في اصطلاح الافرنج مرآة تتحرك بين ذراعين قائمين على قاعدة لها ادراج . ويضعونها على طاولة لترى المرأة وجهها فيها وهي واقفة . فشاهدنا مثل هذه التواليت بين تحف آل عثمان قطر مرآتها ٤٠ سنتمتراً وطول الطاولة الموضوعة عليها نحو متر . والطاولة بما عليها مرصعة بالالماس في كل اجزائها . على اطار المرآة والقائمتين والقاعدة وفي وجوه الادراج وسطح الطاولة وقوائمها . وكل ما يظهر من هذه التواليت مرصع بالالماس مما يبهر النظر وهي

هدية الامبراطورة كاترينة لبلطجي باشا في أثناء حرب الدولة العلية والروس على عهد السلطان أحمد الثالث المتوفى سنة ١٧٠٢

٧َ عرش السلطان احمد الثالث : مصنوع من الباغة وهو مخصوص ليوم عرفة ومرصع بالزمرد والصدف وفي صدره زمردتان كبيرتان بينهما ياقوتة وزمردة فوقها دائرة من ذهب منقوش

٨ ثلاث زمردات : احـداها بحجم الكف وزنها كيلو غرام ونصف ولكنها ليست تامة الصفاء . والزمردة الثانية كروية الشكل اصغر من هذه . والثالثة اهليلجية الشكل وهما كبيرتان ايضاً وليس فيهما صفاء زمردات خنجر محمد الفاتح

٩ً ادوات مختلفة : شاهدنا هناك طشتاً وابريقاً من الذهب منزل فيهما مينا ازرق ومرصعين بالالماس والياقوت والزمرد ومواعين كبيرة (سلطانيات) بعضها مملوء زمرداً والبعض الآخر ياقوتاً . وصحوناً فيها معالق محجرة وأباريق محجرة ولؤلؤة مفردة بقدر البيضة الصغيرة . وشيشة (نرجيلة) مصنوعة صنعاً متقناً بحركة مكانيكية سرية . حول قرصها تحت الرأس صفيحة عليها تماثيل من الذهب والفضة اذا دخن بها مدخن تحركت التماثيل حركات رقص او نحوها . ورأينا مراوح محجرة وسرج فرس ركاباه من الذهب محجران بالالماس والياقوت والسرج نفسه محجر بالزمرد والمرجان . وسرجاً آخر من الذهب مرصعاً وچكمجة (علبة) مصفحة بالكهرباء باجمل صنع . وصورتي السلطان محمود الثاني والسلطان عبد المجيد بالحجم الطبيعي . وسيف السلطان بايزيد وسيف محمد الفاتح مرصعين ومنزلين بالذهب . وعشرات من الصحون الصينية قالوا لنا انها من صحون الدولة العباسية عليها نقوش عربية . وهي من الآثار الثمينة بالنظر الى مادتها فضلاً عن قيمتها التاريخية . واستلفت انتباهنا بنوع خاص امواس وصوانٍ لكل سلطان صينية وموسى هو الموسى الذي اختتن به وكلها من الذهب مرصعة بالالماس . ناهيك بما هنالك من الطاسات المرصعة والمنزلة بالميناء . وكرة من الذهب مرصعة بالالماس . وساعة شمسية جديثة . وشاهدنا سيف قسطنطين صاحب القسطنطينية لم يبق منه الا النصل مجرداً . وعدة مفاتيح مذهبة هي مفاتيح القلاع شكلها جميل

ورأينا بين المعروضات طاسة صغيرة (سلطانية) فيها سبحة السلطان عبد الحميد

التي رددت ذكرها الصحف وقدروها بمبلغ ٧٥،٠٠٠ جنيه وهي من اللؤلؤ النظيف حباتها بحجم بزرة الزيتون لكنها لاتذكر بجانب ما تقدم ذكره من التحف . وشاهدنا عدة ساعات مختلفة الاحجام من آثار عبد الحميد . ونيشان الشفقة من زمن عبد العزيز مرصع ومروحة مرصعة . وطاقم فناجين قهوة من الذهب كسرچفت مرصع بالالماس . وعدداً كبيراً من البنادق المنزلة بالذهب والعاج وأعلاماً من اذناب الخيل كان يمتاز بها الوزراء في القديم . ومن أغرب ما رأيناه هناك صورٌ زيتية يزيد عددها على عشرين صورة بحجم النصف او الى الكتفين فقط – قالوا انها صور خلفاء بني العباس وهي مرسومة بالالوان الزيتية ولكنها طبعاً مبنية على الخيال . وهناك أصناف من الصيني لا تعدُّ ولا تحصى . وبين هذه التحف مجموعتان من النقود الذهبية العثمانية مرتبتين في خزانتين منصوبتين في وسط غرفتين . على ان لذلك البناء نفسه قيمة تاريخية خصوصية لانه مسكن امبراطور القسطنطينية ومنه أخذ

ويقال بالاجمال ان تحف آل عثمان لامثيل لها في دولة من الدول المتمدنة على مانعلم . ولعل الحكومة العثمانية تعنى بترتيبها وعرضها وتجعل لها دليلاً يذكر فيه تفصيل كل قطعة وأصلها وتاريخها ورسمها وتتقاضى على رؤيتها رسماً فتكون الفائدة مزدوجة . وبلغنا انها تهتم بذلك الآن

الآثار النبوية

دلنا الخبراء هناك على مكانين في طوب قبو يحتويان عن الآثار النبوية الشريفة أحدهما بجانب المكتبة التي تقدم ذكرها كان مقفلاً والآخر في قاعة كبيرة يقدسونها كالمساجد ويسمونها « خزنه همايون » يحيط بها رواق مفروش بالحصر . جدارها مبطن من خارج ومن داخل بالقيشاني الثمين وقد علقوا على ظاهرها مئات من البنادق مكسوة بالنسيج الاحمر ومرتبة صفوفاً أفقية بينها مسافات متناسبة . ويقال ان السلطان سليما حملها الى هناك من حروبه في الآفاق

دخلنا تلك القاعة باحترام وتهيب فرأينا مساحتها تزيد على عشرين متراً في عشرة أمتار أرضها مفروشة بالسجاد وفي أكثر أطرافها مقاعد ثمينة . وفي سقفها مصابيح مذهبة . مشينا الى منتصفها فاومأ الينا القيم ان نتحول نحو اليسار فتحولنا الى باب

عليه ستارتان كثيفتان وبجانبه علم اخضر ملفوف قبّله الجميع . ثم أشار الرجل بهدوء وسكينة ان ندخل فدخلنا من ذلك الباب الى الغرفة التي فيها الآثار النبوية . وهي مربعة الشكل مساحتها نحو عشرة أمتار بعشرة وقد قسمت الى ثلاثة أقسام الواحد داخل الآخر




تصوّر غرفة مربعة بابها في الجزء الجنوبي من جدارها الغربي اذا دخلتها كان الجدار الشرقي امامك والزاوية الغربية الشمالية الى يسارك . فهذه الزاوية قد اغلقت بحائطين من الفضة المخرمة يقابلان جانبيها بحيث يتكون من ذلك حجرة مسقوفة بقبة من الفضة . والحجرة المذكورة مساحتها ثلاثة امتار في مثلها . جداراها الشرقي والجنوبي من الفضة كما تقدم علوها ثلاثة امتار او اكثر . وقد تدلى عليهما من الظاهر ستارتان قصيرتان من الاطلس المطرز لا تحجبان نظر الواقف . وقد طرز على احداهما « شفاعتي لاهل الكبائر من امتي وكفى بالله شهيداً محمد رسول الله »

وفي هذه الحجرة ثلاث دكك اثنتان ملاصقتان للجدار الغربي طول الواحدة منهما متر وبعض المتر وفوق كل منهما صندوق مجلل بمخمل اخضر مزركش . في احدهما العلم

النبوي وفي الآخر البردة لا يفتحان الا بحضور جلالة السلطان مرة في السنة والدكة الثالثة ملاصقة لجدار الفضة الجنوبي ليس عليها شيء . وباب الحجرة في جدارها الشرقي اذا وقفت به وقفة الداخل استقبلت الدكتين امامك وعليهما الصندوقان المذكوران . فالسلطان يدخل من هذا الباب للتبرك من ذينك الاثرين . أما باقي الآثار النبوية ففي المكان الذي تقدم ذكره بجوار المكتبة

ويقطع الغرفة وراء الجدارين الفضة وعلى بضعة امتار منهما ستارتان على موازاة ذينك الجدارين . اذا ارخيتا تألف منهما ومن الجدارين حجرة خارجية بشكل الزاوية تشتمل على الحجرة الداخلية المربعة الحاوية للآثار النبوية . والستارتان المشار اليهما من الاطلس الاخضر عليهما طراز من الذهب فيه آيات واحاديث في اجمل ما يكون . وهما تتدليان من عارضتين افقيتين يتكون عند ملتقاهما زاوية مرتكزة على عمود من الفضة . والقسم الباقي من الغرفة الكبرى بين هاتين الستارتين والجدارين الشرقي والجنوبي فراغ بشكل الزاوية . فتكون الغرفة مقسومة على الصورة التي رسمناها في الصفحة المقابلة كما علقت بذهنتا

وقد شاهدنا على بعض جدران الغرفة وجدران الحجرة قطعاً من ستارة الكعبة مختلفة الحجم معلقة هنا وهناك وعليها طرازها المعلوم . وفي جدار الغرفة الشمالي بين الستارة والحجرة الداخلية خزانة رأيناها مقفلة وعلى قفلها ختم احمر لايجوز فضه . واخبرنا حارس الآثار ان في هذه الخزانة مخلفات السيدة فاطمة الزهراء بنت النبي وفيها مشطها وسواكها ومكحلتها ومرآتها وقد اقفلها السلطان عبد المجيد وختم عليها منذ نصف قرن ولا تزال مقفلة من ذلك الحين

وفي الجدار الشرقي خزانتان فتحوهما لنا . في احداهما مخلفات بعض الصحابة والأئمة موضوعة في علب او صرر على رفوف وكل علبة أو صرة مكسوة بالجوخ الاخضر وفي كل منها أثر من الآثار بينها علبة فيها فراجية أبي حنيفة النعمان وأخرى مخلفات الامام علي او غيره من كبار الصحابة ونصوص اصلية لأهم العقود والعهود الاسلامية

وفي الخزانة الأخرى آثار أخرى شاهدنا بينها رفاعليه علبة من الذهب الخالص يأخذ لمعانها بالبصر مفتوحة وفي داخلها رسم قدم النبي منقوش في رخامة من المرمر بالحجم

الطبيعي . وبين الخزانتين لوحة معلقة على الحائط وقد كتب فيها القرآن على اشكال هندسية بخط دقيق لكنه واضح جميل

وهناك خزانة أخرى فيها كتب قديمة من رقوق أو جلود في جملتها قرآن اخرجوه لنا باحترام ووقار وهو مكتوب بالكوفية على رقوق قد تهرأت من تقادم عهدها وحجم هذا المصحف نحو ٣٥ سانتمتراً في ٢٥ قلبه لنا الحارس وأرانا صفحاته حتى أتى الى صحيفة عليها أثر الدم فقال « هذا مصحف عثمان الذي كتبه بيده وكان يوم قتل يقرأ في هذه الصحيفة فلما شجوا رأسه سقط الدم عليها كما ترونه » وقال « ان عثمان كتب بيده أربعة مصاحف ثلاثة منها موجودة هنا والرابع ضائع » وهذا الاعتقاد شائع هناك لكنه يفتقر الى اثبات وليس هذا محل تحقيقه

وقرأنا على جدران الغرفة نقوشاً من آيات واحاديث واشعار في جملتها بيت منقوش فوق عتبة الباب هو مطلع البردة :

امن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

ورأينا في الحائط الغربي بجانب الباب بين الستارة والحجرة موقداً تشعل فيه النار للاستدفاء في الشتاء وهو مصنوع من البورسلين المذهب . وفي الزاوية الشرقية الشمالية عمود العلم النبوي مشدود الى الحائط . ومن الآثار الثمينة هناك ميزاب الكعبة من خشب الصندل او العود ومنزل بالذهب . نقله الى هنا السلطان مراد الرابع وجدد ميزاباً سواه وهو الذي بنى هذه الغرفة وما يجاورها

وبجانب هذه الغرفة مكتبة دخلنا اليها من باب قريب فاذا هي صغيرة وفيها كتب في الخزائن على غير نظام . ولكنها مبطنة بالقيشاني مثل سائر ذلك البناء وسطحها قبة مبطنة برقوق الغزلان عليها رسوم ونقوش مذهبة وآيات وقد تهرأ بعضها فتقطع وازيح من مكانه فتحقق لنا انه رق

وأرونا بجانب خزنة همايون عند مدخلها الخارجي غرفة فيها مجالس قالوا انهم يسمونها « سنة اوطه سي » كانوا يختنون فيها اولاد السلاطين . وفي احدى نوافذها شبه مغطس من رخام كانوا يغسلون به الاطفال بعد الختان

قصر بغداد

هو اجمل قصور سراي طوب قبو واقربها الى البحر بجانب البناء الذي فيه خزنه همايون . سمّي قصر بغداد لان السلطان مراد نقله من بغداد - ولعله نقل اجزاءه او التحف التي زخرفه بها . وانما المتواتر انه نقله برمته بعد النصر الذي اوتيه هناك . وهو بناء جمع بين اتقان الصناعة وجمال الشكل وحسن الموقع . اجمل ما فيه قاعة كبيرة مكسوة بالقيشاني من الظاهر والداخـــل لها رواق قائم على اساطين مزخرفة والقاعة المذكورة كثيرة النوافذ والمجالس تعلوها قبة مبطنة برقوق الغزلان عليها رسوم مذهبة . وشاهدنا فيها مقعداً قديم العهد يشبه المقاعد الافرنجية عليه كساء من الاطلس المطرز وقد تهرأ من طول المكث . ويقال انه من جملة بقايا امبراطور الروم

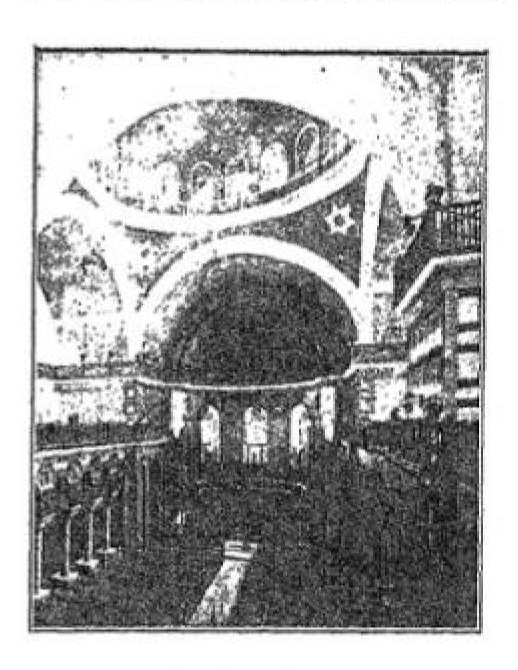
وفي هذا القصر كان يجلس السلطان عبد الحميد اذا جاء لزيارة الخرقة الشريفة وربما جلس في الرواق واطل منه على البوسفور — فانه منظر يستوقف الخاطر ويشرح الصدر

٤ — معرض السلاح في كنيسة ايريني

ايريني امبرطورة رومانية تولت عرش القسطنطينية في اواخر القرن الثامن للميلاد واليها تنسب هذه الكنيسة . ويقال ان قسطنطين الكبير بناها قرب القصر الامبراطوري في ذلك الجوار فاحترقت في ايام يوستنيان فاعاد بناءها ثم تهدمت بزلزال في القرن الثامن فاعيد بناؤها . ولما فتح العثمانيون القسطنطينية لم يحولوها الى جامع لكنهم جعلوها مخزناً للسلاح . وهي الان الى يسار الداخل في الباب الخارجي من ابواب سراي طوب قبو

دخلناها من باب كبير الى دهليز منحدر ارضه مرصفة ببلاط ضخم متداخل . طوله نحو خمسين متراً ينتهي الى صحن الكنيسة في اليسار وهي هائلة السعة ربما بلغ طولها مئة متر في خمسين . في صدرها مكان الهيكل بشكل نصف قبة في اعلاه رسم الصليب وفيه مقاعد تتدرج علوّاً من الارض على شكل افيتياتر علقوا عليه الادراع والاتراس . والكنيسة ملأى بالقوائم والمواقف في ارضها وقد وضعوا عليها البنادق وضعاً متناسقاً فضلاً عما علقوه من البنادق والبلطات في جدرانها . وهناك كثير من الخوذ والادراع على اختلاف الاشكال

وقد استلفت انتباهنا في هذه الكنيسة دهليز في صدرها مبني وراء الهيكل بشكل



داخل كنيسة ايريني

نصف دائرة له بابان احدهما الى يمين الهيكل والاخر الى يساره وقد بني بشكل هندسي يسهل به انتقال الصوت وتجمعه . فالواقف في احد هذين البابين اذا تكلم همساً سمعه الواقف بالباب الاخر واضحاً كانه يتكلم في اذنه وبين البابين نحو ٢٥ متراً ويساعد ذلك على مخابرة الكهنة في اثناء خدمة القداس اذا احتاجوا الى شيء بدون ان يستلفتوا سمع الحاضرين . وفي كنيسة القديس بولس في لندن اليوم حيلة مثل هذه

سلسلة قرن الذهب

ووراء صحن الكنيسة غرباً الى يمين المنحدر من الدهليز خلاء الكنيسة الخارجي وفيه بعض الانصاب والقبور واهم ماشاهدناه فيها السلسلة التي نصبها الروم في عرض قرن الذهب عند مدخله ليمنعوا سفن الاعداء من دخوله . وقد ذكرنا خبر هذه السلسلة في تاريخ فتح القسطنطينية على يد السلطان محمد الفاتح في الهلال ١٧ و١٨ من السنة السادسة بعد ان فصلنا حصون هذه المدينة براً وبحراً وجهاد العثمانيين في فتحها عبثاً قلنا « ومما زاد المدينة امتناعاً اقفال ميناها عند قرن الذهب بالسلسلة الضخمة مع سهر سفن الروم هناك ليمنعوا دوارع العثمانيين من الدخول فايقن السلطان ان المدينة لا

تؤخذ الا اذا هوجمت من البر والبحر معاً وكاد العثمانيون ييأسون من الفتح . فارتأى السلطان محمد الفاتح رأياً يكاد يعد تنفيذه من المعجزات وذلك انه لما رأى المدينة ممتنعة باسوارها من جهة البر وبدوارعها من جهة البحر وانها لا تؤخذ الا اذا هوجمت من البر والبحر معاً وان دوارعه ممنوعة عن قرن الذهب بالسلسلة الحديدية تخفرها الحامية من السفن القوية عمد الى نقل عمارته من البوسفور الى قرن الذهب عن طريق البر الى غلطة . ولا يخفى ما يحتاج اليه هذا المشروع من الهمة والاقدام لان المسافة بين مرسى سفنهم في البوسفور والمكان الذي عزموا على نقلها اليه في قرن الذهب لا يقل طولها عن ستة اميال على ما رواه همر ( وقال جبن عشرة ) فضلاً عن وعورة الطريق وفيها المرتفعات والمنخفضات والغابات من الشجر الغض مما لا يتيسر جر السفن عليه والناس يحملونها . فاقتضت همة هذا الرجل العظيم ان يبني في تلك المسافة رصيفاً من الواح الخشب متحاذية يدهن سطحها بالشحم تسهيلاً لانزلاق السفن عليها وشرعوا في العمل في اول الليل فرفعوا السفن الى الشاطىء فوق ذلك الرصيف وجروها فوق الاخشاب على محادل من الخشب اذا تدحرجت بينها و بين الرصيف سهلت انزلاقها فقضوا تلك الليلة في جهاد وهم يحذرون ان تعلم بهم حامية المينا فلم يصبح الصباح الا وقد سبحت العمارة العثمانية في قرن الذهب ورجال الحامية لا يعلمون »

فهذه السلسلة رأيناها في حجرة بجوار كنيسة ايريني وقد تراكمت مثل التل الكبير وهي من الحديد المطرق . حلقاتها مستطيلة اهليلجية الشكل ربما بلغ طول الحلقة منها نصف متر وثخن حديدها مثل زند الشاب النحيف . واثر التطريق ظاهر في الحديد رغم ما يكسوه من الصدإ . وطول هذه السلسلة نحو خمسماية متر فاذا اعتبرنا طول الحلقة ٥٠ سنتيمتراً غير ما يضيع في تداخلها كان عدد الحلقات جميعاً ١,٠٠٠ حلقة . وقد وقفنا عند هذه السلسلة حيناً ونحن نتذكر ونعتبر . وشاهدنا هناك اسلاباً بحرية اكتسبها العثمانيون في حروبهم

وارونا في غرفة أخرى طبولاً عثمانية تختلف عن طبول هذه الايام كانت الدولة تستخدمها في ادوارها الاولى والطبل شبه الحلة من النحاس مكسو بالجلد وقد شد

الى فتحته جلد او رق يضرب عليه نحو الطبول السودانية التي استعملها الدراويش في زمن المهدي . رأينا عشرات من هذه الطبول هناك تختلف احجامها من قدر الحلة الاعتيادية الى ما يبلغ ارتفاعه الى اعلى صدر الرجل ولهذه الاحجام المختلفة معنى في اصطلاحهم . فقد كان لكل قائد طبل يختلف حجمه باختلاف رتبته ومنصبه وكلما علت رتبته كبر طبله

وخارج هذه الكنيسة وبالقرب من بابها بضعة اضرحة عليها رخام احمر قالوا ان أحدها قبر ملك الروم الذي فتحت القسطنطينية في أيامه وقد اشرنا الى ذلك قبلاً . وهو الامبراطور باليولوغس وكانوا قد وجدوا جثته يوم الفتح بين القتلى وعرفوها من رسم النسر المزركش بالقصب على درع القدم فامر السلطان محمد بدفنها بالاكرام فدفنوها في ذلك الجوار .

وقبل الخروج من سراي طوب قبو تعرفنا الى كبار حفظتها من الخصيان وهم طائفتان البيض والسود ويسمون البيض منهم « اقار » والسود « طواشية » وهم رتب وطبقات منهم البلطجي والزلفلي وغيرهم . وقد وعوا في صدورهم اسرار السلاطين ودخائل القصور . وهم على جانب عظيم من دماثة الخلق ولين الجانب

٥ — معرض الانكشارية

لهُ بناء خاص يطل على اتميدان صعدنا فيه الى قاعة كبيرة هي المعرض كله . وما هو الا اصنام مثلوا بها الانكشارية وغيرهم من رجال الدولة الذين عاصروهم على اختلاف رتبهم واحوالهم من العسكري الصغير الى الآغا الكبير ومن القاضي الى الوزير وغيرهم بملابسهم واشكالهم . فاصطنعوا لهم وجوهاً طلوها بالالوان حتى تشبه اوجه الآدميين والبسوها العمامة او القاووق وزينوها بالشعر على الشاربين او الذقن حسب الاقتضاء . واصطنعوا الايدي ايضاً على هذا الشكل لانها تظهر لا يكسوها اللباس . وأما سائر البدن فكسو بالثياب على اختلاف الانسجة والالوان وفيها الجبة والقفطان والعمامة والسراويل كل واحد حسب رتبته وموقفه

ورتبوا اولئك الاشخاص جماعات تتألف كل منها من بضعة رجال يمثلون جلسة من جلسات الانكشارية أو الوزراء أو القضاة او غيرهم فلايشك الناظر لاول وهلة انه

رى أناساً حقيقيين وربما أجفل من رؤية بعضهم لعظم هيئتهم وضخامتهم . ويقال بالاجمال ان تماثيل هؤلاء الناس اكبر من الحجم الطبيعي قليلاً وربما تعمدوا تكبيرها يراها الناظر عن بعد فتبدو بالحجم الطبيعي – والجماعات ١٥ كل منها يمثل مجلساً وهي :

١ : سبعة اشخاص بينهم خادم الحرم وقزم بعمامة المستديرة المضحكة وجماعة من كبار الموظفين

٢ : ضابط ورئيس فرقة وطباخ وسقا

٣ : ناظر البحرية والتشريفاتي والقبطان باشي وبضعة من البحرية على اختلاف الفرق

٤ : آغا الانكشارية ونائبه وصاحب الحجل ورئيس الحرس وغيرهم

٥ : ناظر النافعة وكاتب السياسة وسكرتير الباب العالي وساع وقواص وخادم وجاويش

٦ : ناظر الداخلية والباشكاتب وضابط يمشي امام الصدر الاعظم وسائر الوزراء وضابط يتقدم الاحتفال وصاحب البريد

٧ : رئيس العلماء وقاضي الرومي وشيخ الاسلام وقاضي استامبول وقاضي مكة ورئيس المدرسة وكبير الفقهاء والمؤذن ورئيس الفراشين

٨ : الصدر الاعظم وقيم القصر ورئيس حرس القصر ورئيس المنفذين لاوامر الصدر

٩ : ناظر الرسائل السلطانية ومدير الاسطبل ورئيس التشريفات وبعض اتباعهم

١٠ : موظفون مختلفون فيهم صاحب الفلق وكاشف السرقات

١١ : معاون رئيس مخازن الاسلحة وقائد بعض فرق الحرس ودار السلاح وجاويش وملازم

١٢ : مراقب بيت المال وصاحب الاوراق وصاحب دار الضرب وغيرهم

١٣ : ملازم رئيس الحرس ووكيل الخراج وانفار من حملة البنادق

١٤ : قارئ الحكم بالاعدام ورئيس مكتب

١٥ : رئيس بلوك وغيره من الضباط على زمن السلطان سليم الثالث وقد ادخل في ملابسهم بعض التغيير

وجملة الاشخاص الممثلين في ذلك المعرض ٩١ شخصاً على اختلاف الرتب والاحوال وكل واحد منهم بلبسه الخاص برتبته ووظيفته على اختلاف الالوان والانسجة فترى اشكالاً من العمائم والسراويل والنعال والجبب والقواويق والفرو وغيره

## ٦ — حالتها الاجتماعية

### سكانها

زارت لادي وورتلي مونتاغ الاستانة ثم كتبت تصف تعدد الامم فيها فقالت « اني اقيم في بلد كأنه برج بابل لكثرة اللغات الشائعة فيه . فان اهل بيرا يتكلمون التركية واليونانية والعبرانية والارمنية والعربية والفارسية والروسية والفلاخية والالمانية والنمساويةوالايطالية والفرنساوية والمجرية والانكليزية . واغرب من ذلك انعشرا من هذه اللغات يتكلمها اهل منزلي لان سياسي عرب وخدمي فرنساويون وانكليز والمان وحاضنتي ارمنية وجواريَّ روسيات وبعض خدمي يونان وخادم مائدتي ايطالي وحرسي اتراك »

ذلك ما قاله لادي مونتاغ منذ قرن وبعض القرن وهو ينطبق على حال الاستانة اليوم ولعلها اكثر طوائف ولغات مما كانت عليه يومئذ لتزايد الموصلات بتعدد وسائل النقل في القرن الماضي . ونحن لا نستغرب هذا الاختلاط كما استغربته الكاتبة المشار اليها لان مصر اكثر اممًا واجناسًا من سائر البلاد . وقد رأينا اللادي مونتاغ اغفلت ذكر اللغة الاسبانية وهي كثيرة الشيوع اليوم بين اليهود هناك لان اكثرهم نازحون من اسبانيا ويتفاهمون بلغتها فضلاً عن اللغة العبرانية

على ان تعدد الأجناس في الاستانة طبيعي فيها لوقوعها بين قارتين وبحرين يقصدها الناس للارتزاق او السياحة من اقدم ازمانها . فقد كان سكانها القدماء من اليونان ولما دخلت في حوزة الدولة الرومانية وصارت عاصمة احد شطريها نزح اليها الرومان ومن دخل في سلطانهم من الامم في اسيا وافريقيا واوربا . ثم دخلت في حوزة الاتراك فاتوا اليها بمن دخل في جندهم من اصناف الناس ومن كان في حوزتهم من الامم الشرقية وغيرها

فالنظر في سكان الاستانة على اختلاف عناصرهم يضيق عنه المقام فنقتصر على اهمها وهم الاتراك واليونان والارمن واليهود والعرب والالبان والافرنج . وكل امة تختص بعمل من الاعمال ويغلب ان تنفرد بحي من احياء المدينة تتجاور فيه . فالاتراك يقيمون على الغالب في استامبول وهم سواد سكانها . واليونان يقيم اكثرهم في محلة الفنار من

احياء استامبول على قرن الذهب ومنهم جماعات متفرقة في سائر احيائها بجوار الكنائس وفي بيرا . وللارمن حيان خاصان بهم احدهما على بحر مرمرا والاخر على الميناء . وكانوا كثاراً قبل ان يذبحهم عبد الحميد منذ بضع عشرة سنة . واليهود اكثرهم من الاسبان ويسكنون بلاطة وخاص كوي وغيرهما على قرن الذهب . والافرنج ونريد بهم الاوروبيين على الاجمال يقيمون في بيرا ويقيم معهم العرب وغيرهم من الاجانب

واما تعداد هذه الامم بالنسبة بعضها الى بعض فيصعب تحقيقه لانهم لم يحصوا سكان الاستانة من عهد بعيد . ولكن يقال بالاجمال ان خمسي سكانها من الاتراك والخمس الثالث من اليونان والخمس الرابع اكثره من الارمن والباقي من سائر الملل

الاتراك في الاستانة

الاتراك كلهم مسلمون واذا قالوا « تركي » يعنون « مسلم » الا نادراً فكل تركي مسلم ولا يعكس . والاتراك من اهل الاستانة هم اهل الدولة وموظفو الحكومة يوجهون آمالهم الى خدمة الحكومة من نعومة اظفارهم وقلما يشتغلون بعمل آخر من تجارة او صناعة . فالولد وهو في المدرسة يعدُّ نفسهُ لبعض الوظائف على نسبة اقتداره ووسائطه . وهو يفضل الانتظام في سلك كتاب الديوان بدون راتب على ان يكون كاتباً في محل تجاري براتب حسن . ورواتب صغار الكتاب في الحكومة العثمانية تختلف عن مثلها في مصر فان الكاتب المصري لا يقلُّ راتبه عن اربعة جنيهات ولكنه في الاستانة يبدأ راتبهُ باربعين غرشاً في الشهر . وربما كان طالب هذه الوظيفة من ابناء الاعيان وهم في غنى عن خدمة الحكومة . وتعلق الاتراك بوظائف الحكومة العثمانية يشبه تعلق المصريين بوظائف حكومتهم . وقد تركوا التجارة وسائر الاعمال للنازحين اليهم ولا يزيد الموظفون الاجانب في الحكومة العثمانية عن واحد في المئة

والطبقة الراقية من الاتراك مثل ارقى طبقات الهيأة الاجتماعية في أوربا ومعظمهم من الاحرار وقد تثقفوا في الغالب على الطرز الفرنساوي واكثرهم يحسنون التكلم بالفرنساوية ويعرفون آداب الفرنساويين ويقلدونهم باخلاقهم وآدابهم وعاداتهم . واللغة الفرنساوية اكثر اللغات الاجنبية شيوعاً في الطبقة الراقية هناك على نحو ما نعلمه من احوال تلك الطبقة في سوريا ومصر وخصوصاً قبل الاحتلال الانكليزي

وفي الاستانة طائفة من الاتراك النازحين اليها من الاناطول قد يتعاطون التجارة او الصناعة وفيهم جماعة كبيرة من الشيالين والنوتية وكبار الاتراك اهل ثروة وجاه وترف وتوسع في العيش يقيمون في المنازل الفسيحة ينفقون في رياشها الاموال الطائلة ويكثرون من الخدم والجواري . لان منزل التركي المسلم عبارة عن منزلين احدهما للرجال والآخر للحريم ولكل منهما خدمة خاصة . ومن عادة وجهاء الاتراك ان يتناسل الخدم في منازلهم ويعنون في تربية ابنائهم وان لم يكن لهم نفع منهم . وربما ارتقى الخادم فاتخذ من يخدمه وكلهم في منزل ذلك الوجيه . وهذه العادة من بقايا ازمنة الرخاء الشرقي القديم

سائر العناصر فيها

واليونان (ويسمونهم اروام) يتعاطون كل عمل وخصوصاً التجارة وفيهم التاجر الكبير والبائع الصغير مثل شأنهم في مصر . فمنهم تجار الجوهرات والالبسة ونحوها ومنهم اصحاب البقالة والخمارة والسمانة ولهم القهوات والبارات ولا مطمع لهم بخدمة الحكومة

واليهود يشتغلون في الاستانة مثل اشغالهم حيثما حلُّوا فمنهم الصيارف وباعة الخرداوات قليلها وكثيرها وقلما يتعاطون صناعة

والارمن جمعوا بين اعمال الاروام واليهود . يشبهون الاروام في تنوع اعمالهم ويشبهون اليهود باقتدارهم المالي وهم اهل نشاط وسعي وذكاء ومنهم كبار الصيارف واصحاب البنوك وكبار التجار ويتعاطون سائر التجارات . ومنهم تجار الحنطة ومضمرو الخيل وباعتها . وفيهم اهل الصنائع الدقيقة والمهن العلمية كالصياغة والطبابة والصيدلة والهندسة والنجارة والخبازة والحدادة . وفيهم كثيرون من اهل الصناعات الدنيا . وقد كانت تجارة الاستانة وأموالها في قبضة أيديهم حتى نكبهم عبد الحميد فتضعضعوا ولكنهم عائدون الى ما كانوا عليه

وأما العرب وفيهم السوريون فاكثر اشتغالهم الاتجار بالبضائع السورية وبعضهم يطلبون الخدمة في الحكومة وفيهم جماعة من الكتاب ورجال الصحافة واهل الوجاهة وقد اثرى كثيرون منهم بالتجارة واصبح بعضهم من كبار المتمولين

وأما سائر الاجناس فربما اشتهرت كل أمة بصناعة فالبلغار مثلاً اكثرهم من باعة اللبن والالبانيون بعضهم في خدمة الحكومة ورجال السياسة ومنهم طائفة من باعة الخضار

المرأة التركية

اختلفت اقوال الكتاب في المرأة التركية ولكن لا خلاف في انها من ارق نساء الشرق . وهي اليوم متعلمة متهذبة تقرأ كتب الادب والجرائد وتجالس الرجال وتبحث معهم وتجادلهم وتستحث قرائحهم وتستنهض هممهم . وللعائلات الراقيه عناية خصوصية في تربية البنات فيأتون اليهن بالمعلمات الافرنجيات يلقنهن العلم والادب . فتشبُّ الفتاة التركية على الشجاعة الادبية فلا تستنكف من مخاطبة الرجال ولا ترى للرجل مزية عليها . والعائلات الراقية من الاتراك يأكل فيها الرجال والنساء معاً على مائدة واحدة وقد يفعلون ذلك ولو كان على المائدة ضيوف من غير اهلهم . وظهر بعد عودة الدستور ان المرأة التركية كان لها دخل كبير في اعادته لما كانت تبثه في الرجل من الحمية وتوحيه اليه من الثبات والصبر . وكثيراً ما كانت تعمل معهُ جنباً لجنب بالمكاتبة أو المراسلة أو الخطابة — وهي تتكلم افصح اللغات التركية

على انها ما زالت تحترم العادات الشرقية التي يعدونها احياناً من قبيل الدين فلا تخرج في الاسواق الاَّ بالحبرة وترسل على وجهها منديلاً اسود او تتقنع باليشمك وهو شاش ابيض مكوي يعصب به الرأس الى اسفل الجبين ثم يدار حول العنق والفم فلا يبقى ظاهراً غير العينين و بعض الانف . اما في البساتين و بين المنازل خارج المدينة فتكتسي فوق اثوابها المنزلية رداء من الحرير كالعباءة اوكالبرنس باكمام وتغطي الرأس بمنديل او خمار وتترك وجهها مكشوفاً . ولا يقلل ذلك شيئاً من المراد بالحجاب لان الطرف يرتد عنها تهيباً لتجافيها عن الخلاعة . والى ذلك اشار شوقي في قصيدته التي يصف بها خروج نساء الاستانة سافرات الوجوه — نعني قولهُ :

قــل للجانحين الى حجابٍ   أتحجب عن صنيع الله نفس
اذا لم يستر الادب الغواني   فلا يغني الحرير ولا الدمقسُ
تأمل هل ترى الأ جلالاً   تحسُّ النفس منه ما تحسُّ
كأن الخود (مريم) في سفور   ووراءيهـا حواريٌّ وقسٌّ
تهيبها الرجـال فــلا ضميرٌ   يهمُّ بها ولا عينٌ تجسُّ

ومنازل الاعيان لا يستغنى فيها عن الخصيان لخدمة الحريم فضلاً عن سائر الخدم

وهم عديدون بعضهم للحريم والبعض الاخر للرجال اذ لكل منهما مائدة خاصة في مكان خاص . والخادمات اكثرهن من الجواري المشتريات وكانت لهن سوق رائجة حتى في زمن عبد الحميد فتباع الواحدة بخمسين جنيهاً الى خمسماية جنيه بين ان يراد بها الخدمة او غيرها . وذكروا ان اسماعيل باشا الخديوي اشترى من الاستانة جارية بالف جنيه . واكثر اولئك الجواري من الجركس والقوقاس . واما الخدم فاكثرهم من اهل الاناطول رجالاً ونساء ومعظمهم مسلمون وفيهم بعض الارمن واليونان للخدمة على المائدة او في المطبخ . ولا تخلو بيوت الوجهاء من المعلمات الافرنجيات لتربية الاولاد واكثرهن من الالمانيات والفرنساويات وبعض الانكليزيات . والبوابون والحراس والحمالون من المسلمين

الآداب العمومية

والآداب العمومية اذا نظرنا اليها من حيث اهل الاستانة انفسهم وجدناها من اقرب الهيئات الاجتماعية الخالية الى الحشمة والتعفف . واما في الاحياء الافرنجية فلا تخلو الشوارع العمومية من بنات الهوى نحو ما في القاهرة والاسكندرية . ورأينا للحكومة عناية في المحافظة على الآداب العمومية بالاحياء التركية لم نجد مثلها في مصر مع شدة الحاجة اليها . وذلك انها جعلت حداً لاختلاط الرجال بالنساء في المتنزهات العمومية بالبساتين او على شواطئ البوسفور . فخصصت لكل متنزه يوماً من الاسبوع لا يأتيه غير النساء ولا يؤذن للرجال دخوله في ذلك اليوم . واذا كان المتنزه على شاطئ البحر بجانب الطريق وقف بعض الضابطة يمنع الرجال من الوقوف هناك

وقد لاحظنا ان المسكرات اقل شيوعاً في الاستانة مما في سائر البلاد المتمدنة واهلها ابعد من سواهم عنها . ولا تجد قهوات او بارات تبيع المسكر الاَّ في الاحياء الافرنجية . فالقهوات او اماكن النزهة او المطاعم في الاحياء التركية لا يباع فيها المسكر ويسمون تلك القهوات « قراءت خانة » يريدون بذلك خلوها من المسكرات . واكثر قهوات الاستانة الوطنية من هذا النوع

وفي اهل الاستانة على الاجمال تأدبٌ في خطابهم وظرف في عشرتهم ورقةٌ في كلامهم ودماثة في اخلاقهم ولين في طباعهم — سواء في ذلك الباشا والتاجر والصانع والكاتب والشيخ والشاب . حتى الحمَّار وسائق المركبة والنوتي والحمال رغم ما عليه

هؤلاء في البلاد الاخرى من جفاء الطبع والخشونة والطمع باهل اليسار فيطلبون اكثر من حقهم ولا ينفكون حتى ينالوه بالصياح والخصام . أما في الاستانة فان هذه الطبقة من العامة لا تقل دماثة ولطفاً عن الخاصة . وقد جربنا ذلك بنفسنا مراراً فالعربجي يقنع منك بالتعريفة ودونها . ولا يحاسب الراكب على وقفة في اثناء الطريق لمخاطبة صديق او ابتياع شيء . واذا طمع به الراكب واعطاه اقل من حقه لا يزيد على ان يستعطفه بلطف وصوت خافت فاذا لم ينل منه شيئاً سكت وانصرف . وهكذا النوتية وهم كثيرون على الخصوص عند جسر غلطة للتعدية الى استامبول . وكذلك الحمالون وغيرهم فانهم على جانب عظيم من دماثة الخلق

## ٧ - حالتها الادبية والعلمية

لما كانت الاستانة بلداً تركيًّا ولغتها تركية واكثر اهلها من الاتراك فالبحث في حالتها الادبية والعلمية يتناول بالاكثر البحث في آداب اللغة التركية اليوم ويدخل في ذلك الكلام عن الصحافة والمدارس والمطابع والمكاتب والكتاب والشعراء . وهو موضوع واسع لا يمكن استيفاؤه في هذا المقام فنكتفي بخلاصته . ونقدم الكلام بتاريخ آداب اللغة التركية لزيادة الايضاح

### الاتراك امس واليوم

لا بدَّ للكاتب عن الاتراك العثمانيين من ان يميزهم عن الاتراك الذين عرفهم العرب في صدر الاسلام وعن سائر معاصريهم من اهل تركستان واذربيجان فانهم يختلفون عنهم اخلاقاً وامزجة وآداباً

كان التركي في عصر العباسيين ممتازاً بقوة البدن والشجاعة والمهارة في رمي النشاب والصبر على الاسفار الشاقة فوق ظهور الخيل والثبات في ساحة الوغى مع قلة العناية بالعلوم ولا سيما الفلسفة والعلم الطبيعي وقلما اشتغل احد منهم بدرسها في ابان التمدن الاسلامي . واشتهر ذلك عنهم حتى اصبحوا اذا سمعوا بتركي يشتغل بالعلم الطبيعي ذكروه مع الاستغراب كما فعل ابن الاثير لما اشار الى معرفة قتلمش علم النجوم فقال « ومن العجب ان هذا قتلمش كان يعلم علم النجوم وقد اتقنه مع انه تركي ويعلم غيره

من علوم القوم » فاتخذ اعداء الاتراك العثمانيين ذلك حجة للطعن في علمهم وانهم غير اهل للتمدن . ولكن هؤلاء الاتراك الآن يختلفون عن اسلافهم اختلافاً بعيداً واليك البيان :

نزح سليمان بك جد العثمانيين بقبيلته من اواسط تركستان في القرن السادس للهجرة وهم بادية رحل يعيشون فوق خيولهم يرمون بالنشاب ويصبرون على الاسفار ويثبتون في ساحة الحرب ولم تكن لهم عناية في العلم ولا كان للغتهم أدب او شعر . فلما تسلطوا على أسيا الصغرى ثم فتحوا الاستانة وتحضروا واحتكوا بالامم الاخرى وخالطوهم بالمزاوجة والمعاشرة تغيرت امزجتهم وتلطفت طباعهم كما اصاب العرب بعد تحضرهم

فالاتراك العثمانيون يمتازون عن الاتراك القدماء بتغيير طرأ على دمائهم بالتزاوج فاصبحت خليطاً من دماء كثيرة بما في أمهاتهم من الامزجة المختلفة باختلاف الاجناس وفيهن الشركسيه والرومية والارمنية والالبانية والفارسية فضلاً عن التركية. واندمج في الاتراك بعض رعاياهم من اصول مختلفة وكثيرون من النازحين الى بلادهم من الامم الاخرى وفيهم الفرنساوي والالماني والعربي والالباني والمجري والفارسي والرومي وغيرهم . وقد تأصل هذا التنويع على الخصوص في اهل الاستانة . فلما احتكوا بالعالم المتمدن اقتبسوا تمدنه وآدابه ونبغ منهم الشعراء والادباء والكتاب والصحافيون وغيرهم كما سيأتي

### آداب اللغة التركية قبل هذه النهضة

ليس الاتراك من الامم المستنبطة للعلم والفلسفة ولا في لغتهم آداب قديمة تدل على تمدن قديم كاليونان والفرس . وانما هم مقلدون في آدابهم مقتبسون في علومهم كالرومان والعرب ولكن هاتين الامتين زادتا على ما اقتبستاه فاصبح لكل منهما تمدن عرف بها وله شأن خاص في تاريخ العالم وأما الاتراك فلم يستطيعوا تحسيناً يستحق الذكر

لم يكن للاتراك العثمانيين آداب قبل القرن السابع للهجرة أي قبل تأسيس دولتهم واقدم آدابهم اقتبسوها من الفرس او هي فارسية معنى ومبنى . والسبب في اقتباسهم آداب الفرس دون العرب ان العثمانيين اقاموا دولتهم على انقاض دولة السلاجقة في أسيا الصغرى. وهؤلاء كانوا قد اختلطوا بالفرس في خراسان وتأدبوا بأدابهم واصبحت

اللغة الفارسية لغة العلم والادب عندهم فضلاً عن السياسة وانتقلوا الى اسيا الصغرى وحملوا تلك الآداب معهم. فلما جاء العثمانيون الى تلك الاصقاع وأسسوا دولتهم على انقاض تلك الدولة ورثوا ما خلفوه لهم من الادب والادباء والعلم والعلماء. فانتقل ذلك التمدن من دولة الى دولة وهو سائر في طريقه الطبيعي. فسمّي عثمانيًا بعد ان كان سلجوقيًا

ولا يراد بذلك ان الاتراك لم يتحدوا العرب او لم يأخذوا شيئاً من آدابهم فان العلوم الاسلامية وسائر الاداب الدينية كان المسلمون على اختلاف لغاتهم يتفهمونها بالعربية. ولذلك كثرت الالفاظ العربية في اللغات الاسلامية وخصوصاً الفارسية والتركية. واذا قلنا ان الاتراك اقتبسوا آدابهم من الفرس فقد اقتبسوا معها كثيراً من آثار اللغة العربية وآدابها التي كان الفرس قد اقتبسوها قبلهم — غير الذي اقتبسه الاتراك من اللغة العربية رأساً من الالفاظ والآداب الدينية. ولذلك كانت الالفاظ العربية في اللغة التركية اضعاف الالفاظ الفارسية فيها وانما يقتصر بحثنا في تاريخ آداب اللغة التركية هنا على الادب والشعر وهما مأخوذان عن الفرس

وأقدم الآداب التركية العثمانية الشعر وأقدم ما حفظ منه للشيخ بهاء الدين احمد المعروف بسلطان ولد ابن جلال الدين الرومي صاحب منظومات «المثنوي» الفارسية الشهيرة. وكان هذا الشاعر معاصراً للسلطان عثمان الاول. ثم ظهر شاعر آخر اسمه عاشق باشا نظم قصيدة طويلة تعرف بديوان عاشق باشا. ثم نبغ شعراء آخرون منهم الغازي فاضل وشيخ كرميان وكان معاصراً لمراد الثاني ونظم مثنويًا بناه على القصة المشهورة عند الفرس عن كسرى وشيرين. وعاصر هذا ايضاً شاعر اسمه يازجي اوغلو فنظم السيرة النبوية وسماها «محمدية» ثم ظهرت قصة الاربعين وزيراً لشيخ زاده كل ذلك قبل استيلائهم على القسطنطينية

فلما فتحوها تنبهت القرائح وظهر بعد قليل شاعر تتري اسمه مير علي شير ويعرف باسمه القلمي «نوايي» نظم شعراً اعظم الاتراك قدره وقلده احمد باشا أحد وزراء محمد الفاتح واشاعه بين قومه فاحدث نهضة في قرائحهم. وتبعه سنان باشا الوزير وكان ناثراً بليغاً حبب النثر الى الاتراك وخلف كتابا له سمي «التضرعات». وعاصر محمد

الفاتح الشاعران الموسيقيان نجاتي وذاتي والشاعرتان زينب ومهري . وكان محمد الفاتح محبًا للادب مثل اكثر سلاطين آل عثمان فقرب الادباء اليه ونشطهم . ولا يستغرب القارئ رغبة أولئك السلاطين في اهل الادب فقد كانوا هم انفسهم من اهله فعددهم ٣٥ سلطانًا كان فيهم ٢١ شاعرًا لكل منهم شعر محفوظ . واشعرهم السلطان سليم الفاتح فانه اضاف الى سبقه في الفتح تقدمه في الشعر والادب . ولكن اكثر منظوماته في اللغة الفارسية ويظهر مما نظمه في التركية انه كان نابغة الشعراء

نبغ في زمن السلطان سليم هذا كمال باشا زاده ويعرف بابن كمال واجاد في النظم والنثر . ومن شعره رواية موضوعها يوسف وزليخة وأخرى اسمها نيكارستان تحدى فيها السعدي الفارسي صاحب « كلستان »

ولما تسنم سليمان الاول بن سليم العرش العثماني حدث في آداب اللغة التركية نهضة أخرى فتلطف اسلوبها واشتغل الادباء في انتقاء الالفاظ الفصيحة مع توخي السهولة والرشاقة . وأشعر الشعراء في ايامه « فضولي » أحد أئمة الشعر في العصر التركي القديم واصلهُ من بغداد وكانت لغته خليطًا من التركية العثمانية والاذربيجانية . ولكنه اتخذ لنفسهِ اسلوبًا لم يسبقه اليه أحد . ومن آثاره ديوان يعرف باسمه وكتاب في ليلى ومجنونها . وقد عاصره شاعر آخر اسمه « باقي » كان في الاستانة وله قصيدة نفيسة في السلطان سليمان . وعاصرهما آخرون أشهرهم روحي ولمعي ويحيى بك الانكشاري وأبو السعود المفتي وغيرهم

وفي عهد السلطان احمد الاول ظهر كبير شعراء عصره « نفعي الارضرومي » وامتاز باسلوب خاص به كما امتاز فضولي قبله . وتوالى ظهور الشعراء مما يطول وصفه . واشهرهم في ذلك العصر صبري شاكر والنائلي وجوري وفهيم ونابي والسيد وهبي وراغب باشا ورحمي القريمي وكليم وسامي . ومن الكتاب المشاهير في ذلك العصر ثابت وراسخ وطالب لكل منهم اسلوب خاص . ونبغ في عهد السلطان احمد الثالث نديم اشعر شعراء العصر القديم على الاطلاق توفي سنة ١٠٩٢ هـ لم يقلد نديم احدًا من أسلافه ولا قلده أحد من خلفائه . ويمتاز شعره بالزهو وهو آخر اصحاب الطريقة القديمة التي بلغت اباتها من تولي السلطان احمد الاول سنة ١٦٠٣ (١٠١١ هـ) الى خلع السلطان

احمد الثالث سنة ١٧٣٠ ( ١١٤٢ ﻫ )

ومن ادباء ذلك العهد الذين اشتغلوا بالنثر علي شلبي فانه نقل كتاب انوار سهيلي من الفارسية الى العربية للسلطان سليمان الاول وسماه « همايون نامه » ومنهم سعد الدين احد رجال مراد الثالث كتب تاريخاً نفيساً للدولة العثمانية من اقدم أزمانها الى موت السلطان سليم سماه « تاج التواريخ » ثم جاء بعده نعيما المؤرخ المشهور وتاريخه يمتد من سنة ١٥٩١ الى سنة ١٦٥٩ ونبغ غيرهم من المؤرخين مثل طاش كوبري زاده وعطاءالله وحاجي خليفه صاحب كشف الظنون وغيرهم

وتعدُّ الفترة بين آخر الطريقة القديمة وأول الحديثة اي من خلع السلطان احمد الثالث الى زمن محمود الثاني عصراً قائماً بنفسه ظهر فيه من الشعراء بليغ ونورس وحشمت وسنبلي زاده وهبي وبرتو باشا والشيخ غالب . وهذا الاخير من قهارمة الشعر التركي وله قصيدة سماها « حسن وعشق » ضمنها كثيراً من بدائع الوصف ودقائق الشعور. ومن اشهر الكتبة المنشئين في هذا العصر راشد مؤرخ الدولة . وعاصم مترجم القاموس العربي والبرهان القاطع الفارسي الى اللغة التركية . وكاني الكاتب الظريف وغيرهم

النهضة العلمية الاخيرة

واما النهضة الاخيرة فتبدأ بسلطنة محمود الثاني اذ اخذ الناس بعوامل التمدن الحديث وجعل الكتاب يقتبسون آداب الافرنج وعلومهم ويتعلمون اللغة الفرنساوية ويطالعون آداب الفرنساويين وغيرهم من الافرنج . ويعدُّ الجزء الاول من هذا العصر زمن انتقال حصل فيه نزاع بين الطريقتين القديمة والحديثة وهو زمن جهاد وتنازع . ومن اشهر المجاهدين في هذا السبيل لتمهيد الطريق للاسلوب الحديث الشعراء فاضل بك وواصف وعزت ملا وبرتو باشا وعاكف باشا والشاعرتان فتنت وليلى . وتمتاز اقوال هؤلاء جميعاً بشيء من الطرز الجديد وان كان الاساس فيها الطرز القديم

والفضل الاول في القضاء على الاسلوب القديم بالاجادة في الاسلوب الحديث نظماً ونثراً لشناسي افندي المتوفى سنة ١٢٨٨ ﻫ وقد لاقى مشقة ومقاومة قبل فوزه . وأصبح الانشاء التركي بعده سهلاً عدل فيه ارباب القرائح عن الاسلوب القديم المعقد الى الاسلوب الجديد السهل فكثر الكتاب والشعراء ونقلة الافكار الاوربية الى اللغة

التركية في العلم والأدب والشعر . ومن متقدمي هذا العصر ضيا باشا وجودت باشا وسعد الله باشا ونامق كمال بك . ولهذا الاخير شأن خاص في آداب اللغة التركية وقد فصلنا تاريخ حياته في الجزء الثاني من «تراجم مشاهير الشرق»

هذه فذلكة في تاريخ آداب اللغة التركية واسماء الادباء والشعراء الذين توفوا . وقد رأيت ان اكثرهم من أهل المناصب الرفيعة والرتب العالية وفيهم بضع شاعرات يشهدن بذكاء المرأة التركية واقتدارها . ويعدّ من الادباء أيضاً بعض مشاهير الوزراء مثل مصطفى رشيد باشا وفؤاد باشا وغيرهما

وهذه أسماء أشهر ادباء الاتراك الذين توفوا من آخر القرن التاسع للهجرة الى أوائل القرن الرابع عشر وخلفوا آثاراً مدونة في اللغة التركية :

| | توفي سنة | | توفي سنة |
|---|---|---|---|
| سنان باشا | ٨٩١ هـ | عاكف باشا | ١٢٦٤ هـ |
| فضولي بغدادي | ٩١٠ » | مصطفى رشيد باشا | ١٢٧٤ » |
| نعيما المؤرخ | ١٠٦٥ » | فؤاد باشا | ١٢٨٥ » |
| نديم | ١٠٩٢ » | ادهم برتو باشا | ١٢٨٩ » |
| كاني | ١١٢٤ » | شناسي | ١٢٨٨ » |
| حقي باشا | ٠٠٠٠ » | ضيا باشا | ١٢٩٧ » |
| قوجه سكبان باشي | ١١٥٠ » | سعد الله باشا | ٠٠٠٠ » |
| عاصم المترجم | ١١٦٩ » | نامق كمال بك | ١٣٠٥ » |

شعراء هذا العصر وكتابه

بقي علينا ان نأتي على ذكر الشعراء والكتاب الذين لايزالون على قيد الحياة وهم أصحاب الحركة الفكرية في الاستانة اليوم . ولو شئنا تفصيل اعمالهم لاستغرق ذلك مجلداً ضخماً فنكتفي بكلام اجمالي :

الشعراء

١ : رجائي زاده اكرم المشهور باكرم بك وهو الآن من الاعيان

٢ : عبد الحق حامد بك سفير الدولة العلية في مدريد

٣ : توفيق فكرت بك وهو شاب مدير المدرسة السلطانية في بيره

٤ : اشرف افندي هو هجاء بليغ وقد تولى ولاية اطنه
٥ : مستجابي زاده

المنشئون والمؤلفون

١ : سعيد بك له مؤلفات كثيرة في كل موضوع ومحرر في الجرائد
٢ : ابو الضيا توفيق بك صاحب جريدة بكي تصوير افكار وهو كاتب رشيق
٣ : احمد مدحت افندي مؤلفاته كثيرة في التاريخ والادب
٤ : احمد راسم مؤلف ومحرر جرائد
٥ : حسين جاهد بك صاحب جريدة طنين ومحررها وعضو في مجلس المبعوثان
٦ : عشاقي زاده خالد ضيا بك باشكاتب المابين
٧ : علي كمال بك كاتب ومؤلف اسلوبه سهل ممتنع وهو الآن هارب في باريس
٨ : بابان زاده اسماعيل حقي كاتب ومحرر
٩ : محمود اسعد افندي ناظر الدفتر الخاقاني أكثر مؤلفاته حقوقية
١٠ : سليمان نظيف بك محرر جرائد
١١ : احمد جودت بك صاحب جريدة اقدام
١٢ : عبد الله زهدي بك صاحب بكي غزته
١٣ : محمود صادق بك محرر
١٤ : عبيد الله افندي مبعوث ايدين
١٥ : احمد احسان افندي صاحب ثروت فنون
١٦ : الدكتور عارف عصمت مبعوث بيره
١٧ : سامح بك شاعر ومحرر هو متصرف بيره
١٨ : ديران كليكيان ( ارمني ) محرر صباح
١٩ : اسماعيل مشتاق باشكاتب مجلس الاعيان
٢٠ : سعيد باشا رئيس مجلس الاعيان هو اكبر الكتاب الاتراك
٢١ : علي شفيق بك محرر وشاعر هجاء هو مفتش المعارف في بتليس
٢٢ : جاويد بك ناظر المالية له مؤلفات هامة في فن الاقتصاد
٢٣ : موسى كاظم افندي من الاعيان كاتب في المواضيع الشرعية
٢٤ : اسماعيل حقي افندي » » » » »
٢٥ : مصطفى عاصم افندي مبعوث استانبول أكثر آثاره دينية

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| ٣٦ : محمود شوكت باشا حامي الدستور | له مؤلفات عسكرية | | | |
| ٢٧ : احمد مختار باشا (الغازي) من الاعيان | « | « | « | |
| ٢٨ : « « « ناظر المهندسخانة | « | « | « | |
| ٢٩ : عثمان ثنائي بك قائمقام | « | « | « | |
| ٣٠ : نجيب عاصم بك | « | « | « | « |
| ٣١ : احمد رشيد بك يوزباشي | « | « | « | |
| ٣٢ : علي رشاد بك مدير مكتب وفا الاعدادي | كاتب ومترجم | | | |

هؤلاء اشهر ادباء الاتراك المعاصرين . وهناك ادباء من ابناء العرب يحسنون الانشاء التركي نعرف منهم زكي مغامز بك من رؤساء تحرير «صباح» فانه منشئ مجيد في اللغة التركية فضلاً عن العربية . ويلاحظ على الانشاء العصري عند الاتراك ان ابلغهم فيه اكثرهم اطلاعاً على آداب اللسان العربي

الصحافة في الاستانة

الصحافة قديمة في الاستانة واول صحفها جريدة مونيتور دوريان صدرت بالفرنساوية سنة ١٨٣١ ثم ظهرت بالتركية وسميت تقويم وقائع ثم ظهرت جريدة حوادث وغيرها وتكاثرت الصحف في زمن عبد المجيد وعبد العزيز فبلغت ٣٦ صحيفة سنة ١٨٦٦ بالتركية غير الجرائد الافرنجية . وما زالت تتزايد حتى بلغ عددها في آخر حكم عبد العزيز ٤٦ صحيفة فصلناها في الهلال الاول من السنة الماضية . وتكاثرت في زمن عبدالحميد الجرائد الحرة واكثرها ظهر خارج الاستانة فرارًا من المراقبة وخوفاً من الظلم مما يطول بنا شرحه وقد ذكرنا تاريخه في الهلال المذكور . انما نقتصر في هذا المقام على الصحف الحية التي تصدر اليوم في الاستانة مع اسماء اصحابها ومناهجها وعدد ما يطبع منها على وجه التقريب . وقد عولنا في ذلك على اعرف الناس بها

١ ـ الجرائد التركية اليومية

| اسم الجريدة | اسم صاحبها | خطتها | عدد النسخ التي تطبع منها |
|---|---|---|---|
| اقدام | احمد جودت | (تعطلت) | ٢٠ . . . |
| صباح | مهران افندي | معتدلة | ١٥ . . . |
| طنين | حسين جاهد بك | حرة | ١٥ . . . |
| بكي تصوير افكار | ابو الضا توفيق بك | متطرفة | ١٠ . . . |

| | | | |
|---|---|---|---|
| اتحاد | نسيم مزلياح افندي | معتدلة | ١٢٠٠٠ |
| ترجمان حقيقت | كانت لمدحت افندي | | ٣٠٠٠ |
| سعادت | احمد فهمي | | ٣٠٠٠ |
| تقويم وقائع | الحكومة | رسمية | ٨٠٠ |
| يكي غزته | عبد الله زهدي | | ١٢٠٠٠ |
| مر صاعقه حربة | لجمعية الترقي | | ٣٠٠٠ |

٢ ـ الجرائد التركية الاسبوعية

| | | | |
|---|---|---|---|
| ثروت فنون ( مصورة ) | احمد احسان | ادبية | ٤٠٠٠ |
| استشارت | تحررها لجنة | حقوقية | ١٠٠٠ |
| مصور محيط ( مصورة ) | | ادبية | ٢٥٠٠ |
| صراط مستقيم | تحررها لجنة | دينية | ٢٠٠٠ |
| بيان الحق | | علمية | ١٠٠٠ |
| شهبال ( مصورة ) | | ادبية | ٠٠٠ |
| مجموعة علوم اقتصادية | كانت لجاويد بك | اقتصادية | ٠٠٠ |
| قلم ( مصورة ) | صالح جمجوز | | ١٠٠٠٠ |
| قره كوز | فؤاد بك | هزلية شتامة | ١٠٠٠٠ |
| لقلق (مصورة) | | هزلية | ٥٠٠٠ |
| القاووق » | محمود كنعان | هزلية | ٥٠٠٠ |
| دوارل | | هزلية | ١٠٠٠ |
| عالم ( مصورة) | | هزلية | ٢٠٠٠ |
| قادين | | نسائية | ١٠٠٠ |
| محاسن | | نسائية | ١٠٠٠ |
| جريدة عسكرية | الحكومة | رسمية | ٠٠٠ |
| جريدة بحرية | » | » | ٠٠٠ |
| جريدة التجارة | » | » | ٠٠٠ |
| جريدة بيطرية | » | » | ٠٠٠ |
| رسملي كتاب ( مجلة شهرية ) | | » | ٢٠٠٠ |

٣ ـ الجرائد العربية التي ظهرت بعد الدستور وكلها اسبوعية

| | | |
|---|---|---|
| الدستور | احمد باشا الزهير | تعطلت |
| شمس العدالة | السلاوي | » |
| شمس الحقيقة | » | » |
| القسطاس | | » |
| المساواة | لمخزومي باشا | » |
| الاخاء العربي | للجمعية العربية | » |
| العدل | صفا بك | » ثم ظهرت |
| كلمة الحق | لابراهيم افندي النجار | لا تزال تصدر |

٤ ـ الصحف الاجنبية

اكثر الصحف الاجنبية عدداً في الاستانة اليونانية (او الرومية) أشهرها قونستانتينوبوليس وتاخدروموس و بروذوس . ثم الارمنية فالفرنساوية اشهرها اسطمبول ولاتركي ولفانت هرالد والمونيتور اورينتال وفيها جرائد المانية. اما الانكليزية فلا يصدر منها من الصحف الا اللفانت هرالد مع الفرنساوية . وهناك جرائد حرفها ارمني ولغتها تركية وجرائد رومية حرفها يوناني ولفظها تركي وجرائد اسبانية حرفها عبراني

ويقال على الاجمال ان معول ارباب الصحف في الاستانة على بيع جرائدها في الاسواق نقداً وليس على الاشتراك كما هو الحال عندنا . وقد رأيت عدد ما يطبع منها في اليوم اضعاف ما يطبع من جرائدنا ولكن يظهر ان الجرائد الافرنجية عندنا اضعاف ما عندهم مما يدل على تغلب العنصر الاجنبي بمصر عما هو في الاستانة

المطابع

الاستانة أسبق مدن الشرق الى استخدام حروف الطباعة العربية . فقد ظهرت فيها الطباعة في اوائل القرن الثامن عشر وكانت حروفها في اول الامر على شكل الحرف الباريسي لان مؤسس المطبعة الاولى في الاستانة محمد سعيد افندي اقتبس الرغبة في انشائها من باريس وكان قد اقام فيها وشاهد مطابعها العربية . ثم عني عبدالرحيم افندي بصب حروف جديدة هي أساس قاعدة الحرف الاسلامبولي المشهور . ثم اتقنت هذه القاعدة نحو سنة ١٨٧٣ وعنها نقلت القاعدة الاسلامبولية الشائعة الآن في سوريا ومصر وهي التي تقرأ بها هذه المقالة . فقابل بينها و بين اقدم حروف الطباعة العربية في هذا الرسم

## التعليم الاول وهو فصلا

الفصل الاول من التعليم الاول من الفن الاول من الكتاب
الاول من كتاب القانون في حد الطب
الفصل الثاني في موضوعات الطب

## التعليم الثاني فصل واحد

اقدم حروف الطباعة العربية

والطباعة في الاستانة تاريخ طويل لامحل له هنا ويقال بالاجمال انها أرقى من الطباعة عندنا من حيث الاتقان والجمال فانها تقرب من اتقان مطابع أوربا . واشهر مطابع الاستانة الان « المطبعة العثمانية» وانفسها واتقنها «مطبعة ابي الضياء» ثم مطبعة صباح . ومطبعة طاهر صاحب جريدة معلومات المحجوبة وتعرف الان بمطبعة الوطن . ثم مطبعة احمد احسان التي تطبع فيها ثروت فنون ومعظم هـذه المطابع اسلامية وهناك مطابع كثيرة اصحابها من الارمن

وكان للحكومة العثمانية مطبعة اسمها « المطبعة العامرة » كان حرفها من خط التعليق في غاية الجمال وقد اقفلت في عهد عبد الحميد وستفتتح قريباً . ومن المطابع الاميرية ايضاً مطبعة للبحرية وأخرى للسر عسكرية تطبع فيها الجريدة العسكرية وجريدة البحرية ومطبعة كانت في المدرسة الحربية لطبع كتب التدريس

المدارس

المدارس في الاستانة اما اميرية تابعة للحكومة او اجنبية . والمدارس الاميرية اما ملكية او عسكرية . والملكية اربع درجات ١ً ابتدائية ٢ً رشدية ٣ً اعدادية ٤ً عالية والمدارس العسكرية اربع درجات ١ً رشدية ٢ً اعدادية ٣ً اعدادية طبية ٤ً عالية . ولكل من هـذه الدرجات مدرسة او غير مدرسة حسب الاقتضاء . ومن المدارس العالية مدرسة طبية ملكية ومدرسة طبية عسكرية ومدرسة للحقوق لها فروع في بغداد وسلانيك ومدرسة للهندسة ( مهندسخانه ) ملكية ومدرسة هندسية عسكرية ومدرسة بحرية . ومن قوانين هذه المدارس ان الحكومة مطالبة بتوظيف تلامذة المدارس الملكية العالية والعسكرية والبحرية والطبية الملكية والمهندسخانة

وفي الاستانة دارالمعلمين ودار للمعلمات يتخرج فيهما المعلمون والمعلمات . وهناك مدارس للبنات من درجة الرشدية . ومدرسة صنائع للاولاد اسمها « صبيان صنائع مكتبي » يخرج تلامذتها جنداً . ومدرسة للتجارة وأخرى للبيطرة وأخرى للموسيقى العسكرية اسمها « موسيقى همايون »

والتعليم في هذه المدارس باللغة التركية اي انها قاعدة التدريس فيها ولكن تعليم اللغتين العربية والفرنساوية اجباري . ويعلمون في المدارس الحربية أيضاً اللغة الالمانية واللغة الروسية . وفي المدرسة الملكية العالية يعلمون الرومية والارمنية . ويعلمون اللغة البلغارية لمن يريد بلا اجبار

وهناك مدارس في الجوامع لتعليم مبادىء القراءة والكتابة وحفظ القرآن ويلقنون فيه مبادىء اللسان العربي

والتعليم في المملكة العثمانية اجباري بالاسم اقتداء بالأمم المتمدنة لكنهم لم يكونوا يجبرون احداً عليه ولعلهم يفعلون ذلك بعد الدستور وقد زادوا ميزانية المعارف واصحاب هذا الانقلاب اعلم الناس بفائدة التعليم وشدة الحاجة اليه في تثبيت الحكومة الدستورية لانه الوسيلة الوحيدة لرفع التعصب الضار

اما المدارس الاجنبية فهي قليلة واكثرها ابتدائي . ولكل امة مدارس ابتدائية لتعليم ابنائها فمنها مدارس ارمنية ورومية وفرنساوية وغيرها . وقد ساعدت فرنسا على انشاء المكتب السلطاني وهو من الدرجة الاعدادية لاتقان اللغة الفرنساوية

اما المدارس الاجنبية العالية فاهمها ثلاث :

اولاً : مدرسة روبرت الاميركية وهي كلية على نمط المدرسة الكلية السورية في بيروت قائمة على ضفة البوسفور بجوار محطة بيك وهي بضع ابنية كبيرة . وكان لها شأن كبير في بث روح الحرية والشجاعة الادبية في ابناء المملكة العثمانية فكانت عوناً على نيل الدستور

ثانياً : مدرسة الثالوث اليونانية في جزيرة خالكي من جزائر الامراء يتخرج فيها تلامذة اللاهوت في العلوم العالية وقد ظهر من تلامذتها عدد كبير

ثالثاً : مدرسة الفنار في حي الفنار باستامبول وهي علمية تجارية

المكاتب

قد تقدم في الكلام عن الجوامع ان عددها نحو ٤٨٠ جامعاً وأكثرها لايخلو من مكتبة فيها بعض الكتب المفيدة ولكن في الاستانة مكاتب عمومية بعضها في الجوامع والبعض الآخر في غيرها وقفها أهل الفضل على المنفعة العامة لكل منها فهرست يستدل الطالب به على مواضيع الكتب فيطلب ماشاء للمطالعة او النسخ . اشهرها واكبرها الكتبخانة العمومية بجانب جامع بيازيد فانها تشبه الكتبخانة الخديوية من حيث ترتيب الكتب في الخزائن ووجود الطاولات للمطالعة او النسخ . واما سائر المكاتب فمع وجود الفهارس لها يصعب الحصول على الكتاب المطلوب لانها مرتبة على نسق قديم ويبلغ عدد المكاتب العامة في الاستانة ٢٩ مكتبة فيها من الكتب نيف وسبعون الف مجلد وهذه اسماء المكاتب وعدد المجلدات فيها:

| | | | |
|---|---|---|---|
| كتبخانة عمومية | ١٣ ٤٦٤ | « قليج علي باشا | ١٠٦٣ |
| « لا له لي | ٣ ٧٩٠ | « ولي الدين جار الله | ٢ ١٣٢ |
| « محمد الفاتح | ٥ ٤٠٠ | « محمد مراد افندي | ١ ٩٢٧ |
| « شهيد علي | ٢ ٨٧٨ | « مصطفى افندي بروسوي | ٢٦٢ |
| « ايا صوفيا | ٥ ٠٧٢ | « يكي جامع | ١ ٥٣٤ |
| « نور عثمانية | ٥ ٠٦٠ | « سليمانية | ١ ٠٧٧ |
| « السلطان بيازيد | ٣ ٢٨٥ | « داماد ابراهيم باشا | ١ ١٥٢ |
| « محمد باشا كوبريلي | ٢ ٧٧٩ | « سليمية | ٦٥٥ |
| « عاشر افندي شيخ الاسلام | ٢ ٢٧٩ | « توفيق يحيى | ٤٦٢ |
| « اسعد افندي نقيب الاشراف | ٣٩١٩ | « خسرو باشا | ١ ١٧٧ |
| « عاطف افندي | ٢ ٨٦٣ | « محمد افندي كتخدا | ٢٢٠ |
| « فيض الله افندي | ٢ ١٨٩ | « سلطان مرحوم وقاضي زاده | ٥٦٦ |
| « حميدية | ١ ٤٨٢ | « مهر شاه والدة سلطان | ٤٥٤ |
| « حميدية أخرى | ٧٦٢ | « راغب باشا | ١ ٤٩١ |
| « حكيم اوغلي باشا | ٢ ٠٧٣ | ( الجملة ) | ٧١ ٤٦٧ |

واذا أحصيت هذه المجلدات بالنظر الى مواضيعها رأيت اكثرها في الفقه ثم اللغة فالحديث فالتفسير فالادب فالتصوف فالتاريخ على هذه الصورة :

| اسم المكتبة | كتب التفسير | كتب الحديث | كتب الفقه | كتب التصوف | كتب التاريخ | كتب الادب | كتب اللغة | الفنون الاخرى |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| عمومية | ٤٥٣ | ٤١٧ | ٧٨٤ | ٥٧٠ | ٤٠٥ | ٤٥٠ | ١,٠٠٠ | ٩,٣٨٥ |
| لاله لي | ٢٨٥ | ٤٢٨ | ٧٨٤ | ١٨٨ | ١٢٣ | ٢٩٩ | ٧٦٠ | ٩٢٣ |
| محمد الفاتح | ٥٨٨ | ٥٧٥ | ١,٠٥٠ | ٣٥٠ | ٣٥١ | ٥٠٣ | ٦٣٠ | ١,٣٥٣ |
| شهيد علي باشا | ٢٩٦ | ٢٦٤ | ٤٢٢ | ٣٤٤ | ١٣٢ | ٤٢ | ٣٢٩ | ١,٠٤٩ |
| ايا صوفيا | ٣٧١ | ٥٢٠ | ٥٩٢ | ٥٤٠ | ٦٠٤ | ٥٩٤ | ٢٩٦ | ١,٥٥٥ |
| نور عثمانية | ٥٠٧ | ٦٨٤ | ٦٣٥ | ٤٣٧ | ٤١٥ | ٧٥٩ | ٣٢١ | ١,٣١٣ |
| سلطان بايزيد | ٤٠٩ | ٤١٥ | ٥١٨ | ٢٤٥ | ٢٢١ | ١٤١ | ٤٠٠ | ٩٣٦ |
| كوبرلي باشا | ٢٣٤ | ٣٠٠ | ٢٤٠ | ٢٠٠ | ٣٠٠ | ٣٥٠ | ٤٠٠ | ٧٥٥ |
| اسعد افندي | ١٩٦ | ٥٦٢ | ٢٧٠ | ٥٠٣ | ٣٩٤ | ٤٥٨ | ١٨٣ | ١,٣٥٣ |
| عاطف افندي | ٣١٨ | ٢٨٤ | ٤٤٩ | ١٤٠ | ١٥٤ | ٣٠٠ | ٤٠٠ | ٩١٨ |
| فيض الله افندي | ٢٣٠ | ٣١١ | ٥٤٠ | ٦٦ | ١٨٧ | ٢٢٠ | ٢٥٠ | ٣٨٥ |
| حميدية | ١٨٨ | ٢٥٥ | ١١٢ | ٢٢٥ | ٢١٠ | ٣١٠ | ٢١٠ | ٦٦٤ |
| حكيم اوغلي | ٢٠٤ | ٢٤٧ | ٢٦٧ | ٢٦١ | ١٧٥ | ١٨٥ | ٢٢٠ | ٥١٤ |
| قيلج | ١٤٤ | ١٠٤ | ١٩١ | ٦٣ | ٤٣ | ٧٤ | ١٨٣ | ٢٦١ |
| ولي الدين | ٢٢٨ | ١٨٢ | ٤٨٥ | ١٣٥ | ٦٣ | ١١٨ | ٢٨٥ | ٦٣٧ |
| محمد مراد | ٣٠٢ | ٢٩٥ | ٣٤٦ | ٧٦ | ٤٩ | ١٦ | ٢٤٢ | ٦٢١ |
| يكي جامع | ١٩٩ | ١٧٧ | ٣٨٠ | ٥٧ | ١٣٢ | ١٠٥ | ١٦٠ | ٣٢٤ |
| السليمانية | ١٣٧ | ١٦٢ | ٣٠٥ | ٥٥ | ٢٩ | ٣٠ | ١٤٠ | ٢١٥ |
| داماد ابراهيم | ٢٢٤ | ١٩٣ | ٢٤٩ | ٢٤ | ٦٤ | ٤٣ | ١٨٨ | ١٦٧ |
| السليمية وتوفيق | ٨٨ | ١٦٠ | ١٣٦ | ١٤٤ | ٩٣ | ١١٧ | ١٦٣ | ٢١٦ |
| خسرو باشا | ٢٢ | ٤٥ | ٤٧ | ٥٤ | ١٤٠ | ١٧٧ | ٧٨ | ٦١٤ |
| كتخدا وسلطان محمد | ٩٥ | ٧٣ | ١٩١ | ٣٢ | ٢٩ | ٧١ | ١٢٤ | ١٧١ |
| مهرشاه | ٤٤ | ٤٥ | ٦١ | ٧٠ | ٢٥ | ٦٣ | ٤٣ | ١٠٣ |
| راغب باشا | ٢١٦ | ٢٩ | ٢٣٧ | ٧٦ | ٨٨ | ١٥٦ | ٢٠٠ | ٤٨٩ |
| عاشر بروسوي | ١٢١ | ٨٧ | ١٥٢ | ٤١ | ٧٤ | ٢٠٧ | ١٣٢ | ١,٧٢٧ |
| ( المجموع ) | ٦,٠٩٩ | ٦,٨١٤ | ٩,٤٣٨ | ٤,٨٨٦ | ٤,٧٩٩ | ٥,٧٨٧ | ٧,١٠٧ | ٣٦,٧٤٨ |

بقي ان ننظر في لغة تلك الكتب فهي اما عربية او تركية او فارسية ويختلف ذلك باختلاف المواضيع . فالمصاحف كلها عربية طبعاً والتفاسير عربية الا خمسة في المئة تركي وخمسة فارسي . والحديث عربي الا عشرة في المئة تركي او فارسي . وكذلك الفقه والفتاوي وغيرها . اما كتب التصوف فثلثها عربي والثلث الآخر تركي والآخر فارسي وكذلك الرياضيات وكتب التاريخ يغلب فيها التركي ثم العربي فالفارسي . والادب اكثره عربي واقله فارسي واكثر الفارسي من الدواوين . وكتب اللغة كلها عربي الا النادر . فترى من ذلك ان معظم الكتب في مكاتب الاستانة عربي

والكتب المذكورة اكثرها خطي وربما وجد من الكتاب الواحد عدة نسخ في المكتبة الواحدة فكيف اذا جمعت كتب الموضوع الواحد في سائر المكاتب . فمع كون مجموع مجلدات هذه المكاتب يقارب مجموع مجلدات المكتبة الخديوية فان هذه تحتوي من المواضيع اضعاف ما تحويه تلك . لانها يندر ان يكون فيها من الكتاب اكثر من ثلاث نسخ واما تلك فربما وجد من الكتاب الواحد عشر نسخ او عشرون او اكثر وانما اهمية مكاتب الاستانة بالكتب الخطية القديمة وبينها بعض النسخ النادرة وسنشير الى ذلك في تاريخ آداب اللغة العربية الذي سيصدر ملحقاً لهذه السنة . وفي عزم الحكومة العثمانية ضم هذه المكاتب في مكتبة واحدة ترتب ترتيباً يسهل الانتفاع بها

وسنأتي على بسط حالة الاستانة السياسية في الهلال القادم ان شاء الله

## رواية عبد الرحمن الناصر

هو اسم الرواية التي ننشرها ملحقة بهذه السنة من الهلال وهي الحلقة الرابعة عشرة من روايات تاريخ الاسلام تتضمن وصف قرطبة وقصورها وما بلغت اليه دولة الامويين في الاندلس في أبان حضارتها وارقى مدنيتها على عهد الخليفة الناصر لدين الله الاموي في أوائل القرن الرابع للهجرة

# الروغي المراكشي

## وعبرة التاريخ لاهل السياسة

كثر تحدث الناس منذ بضعة أعوام برجل ظهر في مراكش على زمن مولاي عبدالعزيز يدعو الى نفسه دون سلطانها ويزعم انه مولاي محمد بن الحسن من اصحاب الحق بالسيادة هناك . فالتفت حوله عصابة لم تكن في بادىء الرأي بالامر الهام وسماه الناس « ابا حمارة ». وقد يستغرب القارىء هذا اللقب لصاحب هذه الدعوة ولكن يظهر ان المغاربة تعودوا تسمية امثاله بهذا الاسم او ما يشبهه قبل الآن — من هؤلاء رجل ظهر في أوائل دولة الفاطمية التي تولت مصر نحو مائتي سنة . وكان ظهوره في المغرب قبل انتقال هذه الدولة الى مصر وخليفتها يومئذ عبيدالله المهدي . وكان الناس يهددون الخليفة المذكور بظهور رجل يلقب « صاحب الحمار » وهو ابو زيد النكاري . فبنى المهدي مدينة سماها المهدية وجعل لها أبواباً زنة كل مصراع منها مئة قنطار من الحديد . وبنى المصلى بظاهرها وقال : « الى هنا يصل صاحب الحمار » يعني ابا زيد . وفي سنة ٣٣٣ هـ خرج ابوزيد على القائم بامرالله خليفة المهدي بافريقية واشتدت شوكته وكثرت اتباعه وهزم جيوش القائم بامرالله غير مرة . وكان مذهبه تكفير اهل الملة واراقة دمائهم ديانة . فملك باجة وحرقها وقتل الاطفال وسبى النسوان ثم ملك القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس . وقوي امر أبي زيد (صاحب الحمار) حتى نازل المهدية وحصر القائم فيها وكاد يغلب عليها ولكنه لم يكد يبلغ المصلى حتى هزمه اصحاب القائم وقتلوا كثيراً من اصحابه فابتعد عن المهدية وظل على تأهبه وتمرده حتى توفي القائم بأمر الله وخلفه المنصور بنصر الله سنة ٣٣٤ هـ فجد في طلب ابي زيد وحربه حتى ظفر به وحملوه اليه فمات من جراحه سنة ٣٣٦ هـ وانتهى امره

وقد اصاب أبا حمارة في هذا العصر كما اصاب صاحب الحمار في الدولة الفاطمية منذ الف سنة والتاريخ يعيد نفسه . والسبب في استفحال امر ابي حمارة هذا ان الحكومة المراكشية استخفت بدعوته . فارسلت في طلبه جنداً ضعيفاً فهزمه فاشتدّ ساعده وزاد اقبال الناس اليه والاشتراك في نصرته . كما اصاب المتمهدي السوداني منذ بضع وعشرين

سنة فانه ظهر في جزيرة أبا قرب الخرطوم بعصابة قليلة فاستخف به حكمدار الخرطوم فارسل اليه شرذمة غلبها المهدي فعد اصحابه ذلك كرامة له وتفاءلوا خيراً فزاد تجمهرهم حوله فبعثت الحكومة اليه جنداً اكثر من السابق ولكنه اضعف من جند المتمهدي فعاد مهزوماً وزاد المهدي قوة حتى كان من امره ما كان . ولو اهتمت الحكومة بشأنه من اول الامر فباغتته بجند قوي لاستغنت عن سفك الدماء بضعة عشر عاماً

والتاريخ اكبر عبرة لرجال السياسة فكان على صاحب مراكش ان يناهض صاحب هذه الدعوة بالحزم والشدة من اول الامر وهو ضعيف . وهكذا يقال في كل دولة يظهر فيها ادعياء السلطة وهم كثار في هذا العصر باليمن والصومال والسودان وغيرها فما على اصحاب الدولة اذا ارادوا اخماد الثورة الا ان يحملوا على القائم باضعاف قوته و يستعملوا في اذلاله منتهى الشدة فيكفوا الناس شره

واتخذ ابوحمارة في دعوته سياسة أبي مسلم الخراساني فكان يقتل على التهمة كل من شك فيه ولو كان من اقرب اقربائه فقتل اخته وعمه وكثيرين من أصحابه فخافته القبائل والتفت حوله . وكان قيامه في تازا من بلاد مراكش فلما اشتد ساعده بتغلبه على جند الدولة بعث عماله الى القبائل واخذ ينظم أموره كانه السلطان . وجاءته حملة أخرى اقوى من الاولى لكنها أضعف مما صار اليه امره فبددها . وتوالت نصراته وهو يزداد قوة وبطشاً فاهتمت الدولة بشأنه فاوفدت اليه جنداً قويًّا بقيادة صدر وزرائها الحاج المهدي المنابهي فاخترق تلك القبائل وغلب عليها ففر ابوحمارة الى نواحي الريف

ثم اصاب حكومة مراكش تغييرات داخلية اهمها التنازع بين سلطانها عبد العزيز واخيه عبد الحفيظ شغلتها عن مناهضة أبي حمارة حيناً فاستفحل امره وصار صاحب الامر والنهي في الارياف . حتى اذا أفضت الدولة الى مولاي عبد الحفيظ واستتب له الامر في فاس اعاد ابو حمارة الكرة وحمل برجاله على فاس نفسها بزعم انه داخلها عنوة . وانما اشتد ساعده الى هذا الحد بمواطأة بعض الغاضبين من التغيير الذي اصاب الدولة لانه اضاع اسباب رزقهم . فاصبحوا يواطئون ايًّا كان على استرجاع الحالة القديمة كما اصاب الدولة العثمانية بعد نيل الدستور فان اصحاب السيادة في العصر السابق يريدون خراب الدولة وتمزيقها على حد قول الشاعر « اذا مت ظمآناً فلا

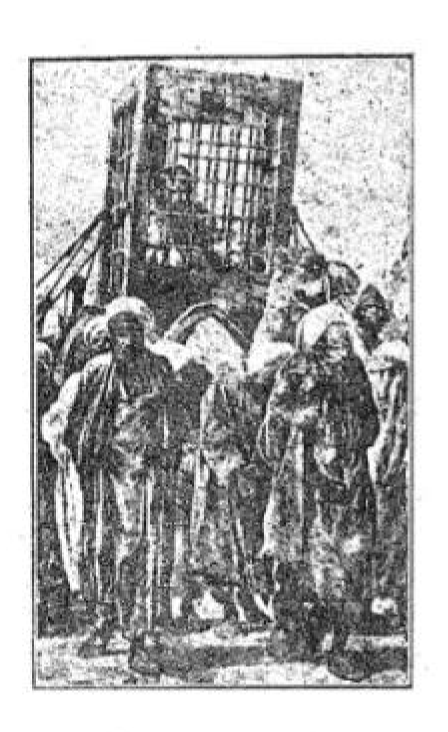
نزل القطر » . فوفق ابو حمارة الى مخابرة بعض الناقمين من وجهاء فاس فشجعوه على الهجوم فجاء بجند منظم سلحه بعدة استجلبها من بلاد الروم

على ان المراكشيين حتى القائمين معه لم يكونوا يعرفون حقيقته فقد سموه الروغي ولقبوه ابا حمارة لكنهم اختلفوا في حقيقته فمنهم من زعم انه الجلالي الزرهوني وهو مشهور عند اهل المغرب وكان قد قدم طنجة في بعض رحلاته واستقر بها حيناً ثم سافر الى الجزائر وطاف انحاءها وهو يزعم انه من الشرفاء الوزانيين فبذلوا له النقود فجمع مالاً كثيراً — فالحكومة تظن هذا الرجل هو الذي نزل تازا بعد ذلك وادعى انه محمد ابن الحسن وهو ابو حمارة الذي نحن في صدده . اما اتباعه فيعتقدون انه محمد بن الحسن نفسه . على ان جماعة زعموا انه رجل غريب محتال سحار

ويدل ذلك على ضعف الحكومة المراكشية عن استطلاع احوال عدوها ولو كان عندها ادارة مخابرات كما في الدول المنظمة لم تخفها الحقيقة . لان الحكومة المصرية كانت بعد استفحال أمر المتمهدي وخليفته على بينة من أحوال كل منهما بالتدقيق تعرف كل شيء عنه وعن قواده وعدد رجالهم وكل حركة من حركاتهم وكل خاطر يخطر لهم — كانت تستطلع ذلك بواسطة الجواسيس المأجورين وهذا هو شأن الدول المتمدنة في كل مكان . ولا نظن دولتنا العثمانية مع كثرة جواسيسها في الماضي كانت تهتم بالتجسس على أعدائها وانما كان همها التجسس على رعاياها . فعسى ان يهتم رجال الدستور في تنظيم ادارة للمخابرات يستطلع حقيقة أحوال القائمين عليها في اليمن وغيرها فتكون على بينة من امرهم وتعرف كيف تخضعهم

فجعل ابو حمارة يتنقل في القبائل ينهب ويقتل حتى اقترب من فاس فخافته الحكومة فبعثت جنداً لمحاربته فانهزم الجند ووقع الرعب في قلوب الفاسيين . فارسلت الحكومة جنداً آخر فانهزم فاتخذت الحزم هذه المرة فبعثت الى القبائل الموالية له ووعدت رؤساءها بالاموال والرتب فتواطأوا على الخديعة وأظهروا لابي حمارة الولاء واضمروا الغدر فاطمأن باله وزحف برجاله فبعثوا الى رجال السلطان بخطة سيره فهاجموه على غرة فحاربهم بقلب لا يهاب الموت . ثم تكاثروا عليه ففر الى الجبال فتعقبوه حتى قبضوا عليه في اوغسطس الماضي وساقوه الى فاس في قفص على جمل واذاقوه

السلطان عبد الحفيظ مرّ العذاب حتى مات في ١٠ سبتمبر الماضي وتشتت رجاله ودالت دولته



ابو حارة في القفص

## اهم المؤلفات العربية في نظر القراء

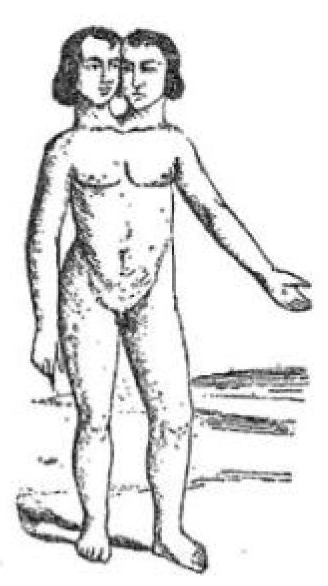
### اقتراح

نرجو من حضرات القراء ان يذكر كل منهم اسماء عشرين كتاباً مما الف في العربية من صدر الاسلام الى الآن اي غير منقول عن لغة أخرى على ان تكون في اعتباره أفيد سائر الكتب العربية والذها ومتى تمت الاجوبة على ذلك نجمع اصوات كل مؤلف وننشر الكتب التي حازت الاكثرية مرتبة بحسب ذلك




## الهول ذوات الرأسين (١)

تقسم الهول ذوات الرأسين الى هولٍ لها رأسان فوق جسم ذي جذع واحد . والى هولٍ برأسين فوق جسم ذي جذعين لها ذراعان اوثلاث أو اربع اذرع وساقان فقط ليس الا



ولدت في اسبانيا سنة ١٧٧٥ ابنةٌ لم يكن في جسمها عضوٌ مزدوج سوى الراس فقط فكان لها رأسان مسبوكان معاً نظير ما يمثلون لنا الاله يانوس وكان الفمان اللذان في رأسيها يرضع كل منهما على حدة ثديا من ثديي الام . وكان يسمع صراخهما وبكاؤهما في وقت واحد . ولما كانت قناة الهضم واحدة في هذه الابنة فقد لاحظت

(١) تلاعنه تاريخ الانسان الطبيعي » تعريب الياس افندي الغضبان

الام انه عند ما كانت تكتفي المعدة كان يرفض الفمان الثديين في وقت واحد . هذا وقد كانت خلقة هذه الابنة من اغرب الخلقات التي شاهدوها على وجه الغبراء قضوا جلة سنوات يسيحون بها من مدينة الى سواها ويعرضونها على الناس لقاء بعض دريهمات يتقاضونها من المشاهدين

جاء تاريخ ذي الرأسين الذي نقله لنا العالم بشاتان بمكان من الدهش والاهمية وقد تحقق علماء ذلك العصر امره وتحرير الخبر هو هذا :

ولد في ايكوسيا في ابتداء حكم جاك الرابع مولودٌ برأسين وصدرين واربع ايد وبطن واحد وساقين . وكأن اتحاد صدريه يبدا فوق السرة وقد امر الملك المشار اليه ان يعتنوا بتربيته ويسهروا على ملاحظته ويهتموا بتعليمه وتثقيفه . فتعلم هذا الفتى عدة لغات وكان يحسن التكلم بها بكل طلاقة وفصاحة . اما رأساه فكانت رغائبهما ونواياهما متخالفة متعاكسة حتى كان ذلك سبباً لوجود الخصام والنزاع بينهما . ولما ادركته الوفاة كان قد بلغ من العمر ثمانية وعشرين حولاً . وكان في الامكان ان يدرسوا تركيب جسمه فيزيولوجياً وبسيكولوجياً . الا ان التعصب الديني الذي كان سائداً في ذلك الوقت وضارباً اطنابه على تلك الارجاء لم يسمح لعلماء ذلك العصر ان تعطى لهم الجثث للبحث التشريحي واستقراء تراكيبه

ومن اغرب المخلوقات ذوات الرأسين واعجبها خلقاً المولة المولود في سردينيا وقد احضروه الى المتحف الباريسي وكانت وفاته في باريس في اواخر سنة ١٨٢٨ فقد كان له رأسان وصدران واربع ايد كل ذلك كان قائماً على ساقين فقط . اما انسباك هذين الجذعين واتحادهما فكان مبدأه في اعلى السرة . وقد لقبوا الجذع الواحد منهما باسم ريتا والثاني باسم كريستيانا لانهما كانتا اثاوين . ولما توفيت احداهما لحقت الاخرى بها على الفور واجرى لهما الاستاذ جوفروى سانت هيلر الكشف التشريحي وقدم عنهما التفصيلات الآتية وهي : قلبان في شغاف واحد وكبد واحدة وامعاء مزدوجة الى المعى المعروف بالاعور وسلسلتان فقاريتان تتحدان عند العصعص

اما المولة الذي يسمونه تيرابود فهو مخلوقٌ شاذ الخلق ذو اربع ارجل وليس

له الأ رأس واحد وصدر وسرة ويدين . بعكس ريتا وكريستيانا المذكورتين اللتين كانتا مزدوجتين في القسم الاعلى من هيكل بدنهما . اما الازدواج فيأخذ مبدأه في جسمه من تحت السرة بحيث يشاهد فيه عضوان للتناسل واربعة سيقان قوية العضل ممتلئة الربالات . وكان يمشي بسهولة فائقة ينقل رجليه اثنين اثنين . وكان مولده في مدينة بال سنة ١٤٧٥ وبلغ السنة الخامسة عشرة من عمره ولم تكن وفاته طبيعية بل تسببت عن حادث فجائي اصابه صدفةً فقضى عليه

# فرنسيسكو فرر

## والاشتراكية في اسبانيا

قامت قيامة العالم المتمدن على حكومة اسبانيا لانها حكمت بالامس على فرنسيسكو فرر الاشتراكي الشهير بالاعدام حكماً عرفيًا مستعجلاً ولم تترك له وقتاً للدفاع عن نفسه مع انها حكومة دستورية فاخذ الناس يتساءلون عن سبب ذلك واليك بيانه

### الاشتراكية او الاجتماعية

الاشتراكية قديمة جدًا لكنها لم تتكيف وتظهرجلية الا في التمدن الحديث . لانها تتعلق بمصلحة العامة والتمدن القديم لم يكن يبالي بهم . فلما استنار الناس بالعلم وانتشرت الحرية الشخصية في عصر الاصلاح وتعلم العامة كيف يجتمعون وكيف يطالبون وتشكلت الاحزاب الديموقراطية والجمهورية أصبحت مبادىء الاشتراكية مذهبا قائماً بنفسه له أنصار واعداء . ورافق ذلك كثرة الاختراعات الصناعية التي اغنت أصحاب المعامل عن العمال فانحصرت المكاسب في اصحاب الاموال وتضايق الصناع والعمال والناس يومئذ خارجون من استقلال اميركا والانقلاب الفرنساوي وقد تنبهت الاذهان وارتفع شأن العامة وتحررت الاقلام فنبغ غير واحد من كبار المفكرين في انكلترا وفرنسا والمانيا وغيرها ونظروا في التفاوت بين ما يكتسبه العمال وأصحاب الاموال والفوا الكتب والرسائل والصحف ولكنهم اختلفوا في الطرق المؤدية الى ملافاة ذلك الخلل باصلاح النظام الاجتماعي او وضع نظام جديد تتكافأ فيه القوى وتتضامن المصالح بحيث لا يقع

الحيف على طائفة ولا تستأثر بالنفع طبقة دون أخرى

واختلفوا في تبديل هذا النظام فذهب جماعة الى تبديله بالتؤدة والتربية ونشر العلم وترقية الصناعة جرياً على ناموس الارتقاء العام وهم « الاجتماعيون » . وذهب آخرون الى تبديله سريعاً بالقوة وهؤلاء اعداء النمو الافرادي ولا يرون للحكومات فائدة فيشبهون الفوضويين من هذا القبيل لكنهم يذهبون الى اعتزال الحكومات والاقامة في المنازل جماعات كالعائلة الواحدة في بيت كبير او بلد صغير تحت شروط وأحوال اختلفوا في تفصيلها واتفقوا في مجملها وهم « الاشتراكيون »

واقدم من قال بالاشتراكية على هذه الصورة افلاطون وجاء بعده آخرون فوضعوا نظامات مختلفة مرجعها الى قلب النظام الحالي وان اختلفوا في كيفية ذلك القلب . وسبب هذه الرغبة انهم يرون اصحاب الاموال مستأثرين بالمكاسب التجارية والصناعية لانفسهم مع ان العمال وهم علة تلك التجارة لاينالون ما يستحقونه من ثمارها . وقد زادت نقمة العمال على اصحاب الاعمال بعد ان تضاعفت اموال هؤلاء على اثر الاختراعات الصناعية والاكتشافات المعدنية اذ قلت حاجتهم الى الايدي لاستغنائهم عنها بالآلات البخارية والكهربائية فاصبحت الثروة محصورة في فئة قليلة من افراد الامة . ولا يخفى ان ملوك المال اشد امراً من ملوك السياسة والانسان اذا ملك ولم يردعه رادع من نفسه طغى وتجبر

وللاشتراكية تاريخ طويل فصلناه في الهلال الخامس من السنة ١٦ فالناظر الى مطالبهم يرى اكثرها بعيد المنال يخالف نواميس الاجتماع ولكن قيامهم على الحكومات يفيد في تنبيه رجال الحكم للوقوف عند حدهم والسعي في انصاف المظلوم من الظالم . ولذلك لاتسمع اصوات الاشتراكيين غالباً الا في الدفاع عن مظلمة او الاحتجاج على استبداد او ضعف كما فعلوا بالامس عند مقتل فرنسيسكو فرر باسبانيا

وهو رجل اسباني فطر على الحرية واستقلال الفكر وكان في بادىء امره من اهل الزراعة فغادرها وقد شغف بالمبادىء الجمهورية واهله لا يريدون ذلك . فغادر المنزل وسافر الى فرنسا ثم عاد الى اسبانيا وقد اخذ على عاتقه تعليم اهل وطنه ونشر المبادىء الحرة بين العامة ولكن المال ينقصه . فسافر الى فرنسا واشتغل بالتدريس للقيام باود الحياة



فرنسيسكو فرر

فتعرف الى سيدة غنية اعجبت بفصاحته وحميته ووافق حماسها حماسه فوهبته مالاً ينفقه في نشر تلك المبادىء ومؤداها النقمة على اصحاب السلطة ورجال الاكليروس . فعاد الى اسبانيا وانشأ مدرسة على نمط حديث لبث روح الحرية ومبادىء الاشتراكية فجرت حوادث سياسية منذ ثلاث سنوات قضت عليه بالحبس ثلاثة عشر شهراً تأخرت مدرسته في اثنائها . ثم حكمت الحكومة باقفالها فاراد اعادتها فلم يستطع لان القوة غالبة فانشأ مكاناً لطبع الكتب العلمية والفلسفية والتاريخية وانشأ عشرات من المدارس في اطراف اسبانيا . وقد شهر حرباً قلمية على الدولة انفق فيها نحو ٢,٠٠٠,٠٠٠ فرنك

وكانت الحكومة لما حكمت عليه المرة الاولى قد طلبت مصادرة امواله وكان اكثرها مرهوناً في فرنسا على اموال اقترضها للانفاق على نشر الاشتراكية ومبادىء الجمهورية فلم تقدر على مصادرتها فاخذت تتحين الفرص للقضاء عليه والتخلص منه حتى جرت الحوادث الاخيرة في اسبانيا وقام الاشتراكيون على رجال الدين واهل السلطة

وسبب قيامهم ضعف سياسة الحكومة . ابتدأت الثورة في برشلونة من اعمال كتالونيا بمظاهرة قام بها بعض الافراد ضد اعمال الحكومة في حربها بافريقيا . فعظم ذلك على

رجال السيادة وعمدوا الى اسكات الشعب بالعنف — وتمتاز اسبانيا عن اكثر ممالك اوربا بسيادة الاكليروس فيها واستبدادهم وذلك من بقايا عهد التفتيش . والحكومة الاسبانية مع انها دستورية فان روح الاستبداد لا تزال متأصلة برجال الحكم فيها . خصوصاً ان قانونها الدستوري يحصر قوة التنفيذ بالملك كما في ايطاليا وهولندا وغيرهما لا تشاركه فيها الوزارة كما في دولتي انكلترا والدنمارك . فلما تظاهر الشعب ضد اعمال الحكومة في افريقيا تعاونت السلطتان السياسية والدينية على اسكات الشعب بالقوة فصدرت الاوامر باقفال الاندية وتعطيل الجرائد الحرة ومنع الخطب العمومية

فزاد هياج الشعب واكثر الهائجين من الفوضويين غلاة الاشتراكية ووافقهم العامة من العمال والصناع وهؤلاء من طبيعتهم اعداء اهل السيادة والثروة . وقد غلب على اعتقادهم ان سبب ذلك الضغط رجال الاكليروس فهجموا على الاديار والكنائس فاحرقوا ٥٤ ديراً او كنيسة وقتلوا ٨٥ نفساً وجرحوا ١٩٨ ويظن بعضهم ان سبب هذه النقمة في اهل كاتالونيا ان اسبانيا تنتفع من اعمالهم ولا تنفعهم حتى اصبحوا لها كالبقرة الحلوب يعملون ويتعبون ويدفعون الاموال لحكومة يكرهونها . وهم اقرب الاسبان الى المبادىء الحرة مثل اهل تبريز في ايران لكنهم لم يتفقوا على مبادىء جمهورية واحدة فلذلك لم يقدروا على جمع كلمة الاسبان تحت قيادتهم لقلب الحكومة الملكية . والحكومة من الجهة الثانية لم تظهر الحزم اللازم في مثل هذا الحال ومجلس النواب كثير التردد والملك قليل النفوذ ضعيف السطوة والدستور لم يبق منه غير الاسم وزاد الطين بلة قلة رواتب مستخدمي الحكومة فشاركوا الناس بالنقمة على الدولة

وأما الاكليروس فسبب نقمة الشعب عليهم كثرة الرهبان واستئثارهم بالاديار وريعها فيقال ان عدد الرهبان في أسبانيا بلغ سنة ١٩٠٤ نحو ٦٠٠٠٠ راهب غير من نزح اليها من رهبان فرنسا في الاعوام الاخيرة فلو كان غنى اسبانيا ضعفي ماهو عليه لم يكن كافياً للقيام باود اقوام ينزلون فيها ويعيشون من مالها ولا يعملون عمل اهلها

فلما ثار الاسبانيون واحرقوا الكنائس كما تقدم نسبت الحكومة سببها الى تعاليم فرر او زعمت انه حرض على الثورة رأساً فقبضت عليه بهذه التهمة . ويقال انه كان يخشى توجيه هذه التهمة اليه فعزم على تسليم نفسه للحكومة يتبرأ من ذلك جهاراً فالقي عليه

القبض وهو في الطريق . فسجن أياماً ثم حوكم فجأة وحكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم سريعاً فهاج الشعب ونسب ذلك الحكم الى دسائس الاكليروس والوزير وضعف الملك واشترك مع الاسبان في شعورهم سائر العالم الاشتراكي في اوربا . فتظاهروا ضد هذا العمل في سائر مملكة اسبانيا وفي فرنسا وايطاليا وانكلترا والارجنتين ومصر . والقى بعضهم قنبلة أمام دار اسقف برشلونه فجرح بها اربعة والقيت عدة قنابل أخرى لم تأت بضرر يذكر لكنها تدل على مبلغ نقمة الناس هناك

واما الحكومة فتعتبر الحكم على فرر عدلاً لاسباب تقول انها تبينتها والشعب لا يعرفها . وفي كل حال فانها عمدت الى الفتك بفرر لانه عدوٌ عامل على مقاومة سلطتها جهاراً . فعملت عمل رجال الحزم في عصر الاستبداد فعمدت الى قطع رأس الحية ولو كان في قطعهِ خروجٌ عن العدل الصريح فانها تعده من حسن السياسة للتخلص من الفتنة « والفتنة أشد من القتل » فقتلت ذلك الزعيم النذير الذي ضحى نفسه في بث روح الاشتراكية ومقاومة السلطة الاستبدادية . واقفلت مدارسه ومطابعه فتخلصت من عدو شديد الوطأة ولن تعدم وسيلة في تخفيف غضب أشياعه مع الزمن الا اذا وفقوا الى رجل مثله ينقطع لهذا العمل . واذا لم يقم من يخلفه عدَّ قتل فرر فشلاً لحزب الاشتراكيين . ولكن الفائدة حصلت بتنبيه الحكومة الى واجباتها فعلمت ان الشعب حي لا يحمل الضيم ولا يصبر على الظلم طويلاً فلعلها تعمد الى الاصلاح ريثما تعتدل مطالب الاشتراكيين وتخف مطامع اهل السياسة والدين

---

## كيفية ارسال بدل الاشتراك

ان افضل الطرق لارسال بدلات الاشتراك من البلاد التي ليس لنا وكلاء فيها ان ترسل حوالة على البوسطة وذلك ميسور بكل مدينة في العالم المتمدن

ونرجو ممن يرسل نقوداً الى ادارة الهلال ان يجعل عنوان الارسال الى مكتب بوسطة الفجالة بمصر

## يلزم ادارة الهلال

يلزم ادارة الهلال الاعداد ٩ من السنة الرابعة و٥ من السنة ١٧ للهلال بالثمن فمن يعثر عليها او بعضها يتكرم بها وله الفضل

# باب السؤال والاقتراح

## العباسة اخت الرشيد

﴿ غزه هاشم ﴾ حسني افندي خيال

كنت اقلب صفحات مقدمة ابن خلدون فعثرت على ما قاله من المدافعة عن العباسة مما نسبه اليها بعض المؤرخين من حكايتها مع جعفر وهو يجلّ مقامها عن ارتكاب ما تدنس شرفها ويلوث مجدها. وحاشا ان تصبو لمولى من مواليها اعجام الفرس وهيهات ذلك من منصب العباسة في دينها وابويها وجلالها. وانها بنت عبدالله بن عباس ليس بينها و بينه الا اربعة رجال هم اشراف الدين وعظماء الملة كما قال المؤرخ. وانه يسمو شرفها الرفيع عن تلك التهمة الباطلة. ولقدقال المؤرخ المومى اليه بدحض اقوال المؤرخين الذين تصدوا للخوض في سيرة العباسة وقد ايد قوله بما اتى به من البراهين والادلة الساطعة على صحة دعواه من نفيه تلك المزاعم بشواهد معقولة. ولا بد وان يكون مصيباً في رأيه لعلمنا بما كان يتحراه من الحقائق. ولذلك فقد استغربنا اخذكم باقوال احد المؤرخين وتدوينكم روايتكم المشهورة بالعباسة اخت الرشيد بذاك الموضوع دون ان تعتمدوا ما قاله ابن خلدون بمقدمته صفحة ١٥ فاخذكم بغير ما اعتمده ذلك المؤرخ الجليل لا بد وان يكون لحجة اعتمدتم عليها في روايتكم. فحرصاً على الحقائق وازهاقاً للباطل ارجو التفضل بدواعي المخالفة لما اعتمده ذلك المؤرخ وانتم اولى من يرجى في هذا الباب

﴿ الهلال ﴾ ان حكاية العباسية أخت الرشيد وعلاقتها بجعفر البرمكي يكاد يتفق المؤرخون على وقوعها. فلم يقم مؤرخ ثقة الا ذكرها. وقد يختلفون بالرواية ولكنهم أجمعوا تقريباً على تبادل الحب بين العباسية وجعفر وان ذلك كان من أسباب نكبة البرامكة او سببها الوحيد. فنحن لم نعول في ماذكرناه من خبرها على رواية ضعيفة او

قول نادر كما ظننتم وانما عولنا على ثقات المؤرخين كالطبري والمسعودي وابن الاثير وابن خلكان والفخري وابن الساعي وأبي الفداء وغيرهم. فقد اتفقوا جميعاً على ما خلاصته «ان الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي وكان يحضرهما اذا جلس للشرب فقال لجعفر ازوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها فاني لا اطيق الصبر عنها فاجابه الى ذلك فزوجها منه وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملت منه فولدت غلاماً فخافت الرشيد فسيرته مع حواضن له الى مكة فاعطته الجواهر والنفقات . ثم ان عباسة وقع بينها وبين بعض جواريها شر فانهت الى الرشيد فحج هرون هذه السنة (١٨٧هـ) وبحث عن الامر فعلمه وكان جعفر يصنع للرشيد طعاماً بعسفان اذا حج فصنع ذلك ودعاه فلم يحضر عنده فكان ذلك اول تغير امرهم »

هذه عبارة ابن الاثير حرفياً وهو يذكرها كحقيقة مقررة ولم يصدرها بما يضعفها كقولهم « قيل » او « يقال » بل بدأ كلامه بقوله «وفي هذه السنة قتل جعفر بن يحيى وكان سبب ذلك ان الرشيد الخ » وروى هذه الرواية سائر من تقدم ذكرهم من المؤرخين الثقات مع اختلاف في اللفظ . فضلاً عما جاء من هذا القبيل في كتب الادب وليست هي مما يستخف به في ايراد الحقائق التاريخية وفيها توسع . فالاتليدي اورد هذه الحكاية بتفصيل كثير استغرق بضع صفحات من كتابة أعلام الناس وهو يسمي الفتاة هناك « ميمونة » لكنه يعني بها أخت الرشيد وبنت المهدي فهي صاحبة القصة نفسها . فلما بنينا عليها رواية « العباسية أخت الرشيد » من سلسلة روايات تاريخ الاسلام زدنا توسعاً في القصة على ما يقتضيه المقام — فاذا انكرنا رواية اولئك الثقات فعلى من يكون معولنا في التاريخ الاسلامي ؟ وعليهم عوّل ابن خلدون في وضع تاريخه المشهور

اما سبب انكاره قصة العباسة فهو اعتقاده ان صدق هذه القصة يحط من قدر العباسيين فجعل همهُ اجلال العباسة عن هذا المنكر لانها من سلالة العباس عم النبي. كما أراد اجلال العباسيين في صدر دولتهم عن الترف والبذخ واتخاذ آنية الذهب والفضة — مع ان كتب المؤرخين والادباء مشحونة باخبار بذخهم وأسرافهم . ولا ندري كيف يذهب عن هذا الفيلسوف ان بني العباس بشرٌ والعصمة لله وحده . وهو يعلم انه ظهر من هذه الاسرة أناس أخطأوا وسقطوا مما لا يتيسر انكاره . هذه أخبار الامين بن الرشيد أشهر

من ان تذكر وقد عاصر العباسة وهي عمته ناهيك بما اقتضته سياستهم في صدر دولتهم من الغدر والقتل على التهمة ونحو ذلك . والمقام يضيق عن ايراد الادلة . وانما يجوز للمؤرخ الناقد انكار ما يغاير الطبيعة اويخالف أحكام العقل . وهل في حب امرأة لرجل ما يغاير الطبيعة او يخالف أحكام العقل ؟ فكيف ننكره مع اجماع المؤرخين على صحته

على اننا لا نعتقد ان هذه الحادثة وحدها السبب في نكبة البرامكة بل نرى لتلك النكبة أسباباً سياسية أخرى لها المقام الاول في هذا الشأن . ويعتقد ابن خلدون ان سببها « استبداد البرامكة على الدولة واحتجابهم أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على أمره وشاركوه في سلطانه الخ ... فكثرت سعايات الناس بهم » ولكنه أغفل سبباً هو أهم تلك الاسباب واساسها نعني انحياز جعفر للشيعة وعزمه على نقل الخلافة من العباسيين الى العلويين والرشيد مشهور بكره الشيعة . وقد فصلنا ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . ولم نذكر خبر العباسة هناك الا ذكراً ضعيفاً . فبعد ان بينا الاسباب السياسية لتلك النكبة وان الرشيد جاء امرأته زبيدة يستشيرها في امر البرامكة لانه خائف اذا تمكن هؤلاء من خراسان ان يخرج الامر من يده قلنا « فحرضته على سرعة الفتك بجعفر ويقال انها ذكرت له أموراً ارتكبها جعفر في بيت الرشيد تتعلق بالعباسة أخته »

فترى من عبارتنا في معرض التحقيق التاريخي هنا اننا نستضعف تلك الرواية — ليس لبعدها عن المألوف اوالمعقول ولكننا رأينا في اقوال بعض الثقات ما يضعفها . من ذلك ما ذكره ياقوت في معجم البلدان « ان العباسة بنت المهدي تزوجها محمد بن سليمان ابن علي فمات عنها ثم تزوجها ابراهيم بن صالح بن المنصور فمات عنها ثم تزوجها محمد ابن علي بن داود فمات عنها ثم اراد ان يخطبها عيسى بن جعفر فسمع شعراً قاله ابو نواس بها تشاءم منه وتحامى الرجال تزويجها حتى ماتت » ولم يذكر صاحب المعجم عمن اخذ هذه الرواية. ومهما يكن من ثقته فانه لاينقض روايات من تقدم من المؤرخين ولكنه يبعث على النظر في سبب هذا التخالف . ولا بد من خطأ تطرق الى احدى الروايتين ويجوز ان يكون الخطأ وقع في تحريف الاسم وان اخت الرشيد التي جرت لها الحادثة مع جعفر كان اسمها ميمونة كما قال الاتليدي . او ان هذه لم يكن اسمها العباسة . أو ان

الرشيد لم يقتل العباسة بعد اطلاعه على أمرها كما ذكر بعضهم فبقيت حية وتزوجت من تقدم ذكرهم وماتوا عنها في أيام الامين وفي ذلك يقول أبو نواس :

الا قل لامــين الا ه وابن السادة الساسه
اذا ما خالف سرّ ك ان تفقده رأسه
فلا تقتله بالسيف وزوجه بعباسه

فرواية ياقوت هذه اضعفت حديث العباسة عندنا . فلما ذكرناه في معرض التحقيق التاريخي في تاريخ التمدن الاسلامي دللنا على استضعافنا اياه بقولنا « ويقال » وأما في الرواية فابقيناه على ما ذكره الرواة

ويدلك على ان فيلسوف المؤرخين انما ساقه الى انكار ذلك رغبته في اجلال العباسيين عن الرذائل في صدر دولتهم انه ناقض نفسه في هذا الشأن غير مرة . من ذلك قوله في صدر مقدمته « ولقد كان اولئك القوم كلهم (العباسيون) بمنجاة من ارتكاب السرف والترف في ملابسهم وزينتهم وسائر متناولاتهم لما كانوا عليه من خشونة البداوة وسذاجة الدين .. وان جميع من سلف من خلفاء بني أمية وبني العباس انما كانوا يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة في المناطق والسيوف واللجم والسروج وان أول خليفة احدث الركوب بحلية الذهب هو المعتز بن المتوكل ثامن الخلفاء بعد الرشيد وهكذا كان حالهم أيضاً في ملابسهم »

فلما جاء الى كلامه عن انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة في تلك المقدمة ذكر ما اهداه المأمون لعروسه بوران مهراً ليلة زفافها فقال « ان المأمون أعطاها في مهرها ليلة زفافها الف حصاة من الياقوت وأوقد شموع العنبر في كل واحدة مائة منّ وهو رطل وثلثان وبسط لها فرشاً كان الحصير منها منسوجا بالذهب مكللاً بالدر والياقوت وقال المأمون حين رآه قاتل الله أبا نواس كانه أبصر هذا حيث يقول في صفة الخمر :

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء درٍ على أرض من الذهب »

أليس هذا من السرف في الزينة ؟ والمأمون ثاني الخلفاء بعد الرشيد وليس ثامنهم

## باب كنيسة الفنار

﴿ القدس الشريف ﴾ ن . ط .

قرأت في هلالكم الاغر العدد الاول من السنة الثامنة عشرة صفحة ٢٢ عند كلامكم عن الباب المغلق في بطريركية الفنار ان سبب اغلاقه هو طلب البطريرك يواكيم الامتيازات الخ ... والذي أعرفه أنا من سبب أغلاقه هو هذا : في اول افريل «نيسان» سنة ١٨٢١ مسيحية نهار أحد الشعانين لما تأكدت الحكومة العثمانية ان اليونان رفعوا علم الحرية في باتراس استدعى السلطان محمود قسطنطين موروزي ترجمان البطريركية المسكونية الاول في ذلك الوقت وقطع رأسه . وثاني يوم الاثنين من جمعة الآلام كان البطريرك غريغوريوس الخامس البطريرك المسكوني مع باقي المطارنة يقيمون القداس الالهي في كنيسة الفنار فورد امر السلطان محمود بشنق البطريرك المذكور على باب الكنيسة التي كان يصلي فيها . فبقي هذا البطريرك معلقاً على ذلك الباب الذي رأيتموه حضرتكم مغلقاً ثلاثة ايام ثم سحب جسمه في الاسواق ورمي في البحر ولكن بعض المراكب المسيحية اخذت الجثة وذهبت بها لاوديسا حيث دفنت في مقرها الاخير بكل اكرام — وما زال هذا الباب مغلقاً من ذلك الحين

﴿ الهلال ﴾ ان تعليق البطريرك على باب كنيسة الفنار في اثناء ثورة اليونان حقيقة تاريخية اما بقاء ذلك الباب مغلقاً من ذلك الحين فانه يحتاج الى اثبات . وقد نشرنا رأي حضرتكم في هذا الشأن عملاً بحرية البحث. واما ما رويناه نحن فقد اخذناه عن اديب نثق باطلاعه على تاريخ تلك البطريركية وهو من اقرب المقربين اليها وسنتحرى الحقيقة من البطريركية على يده وننشر ذلك في الهلال خدمة للتاريخ

---

## اصل لفظ خان

﴿ ابو كبير شرقية ﴾ الشيخ ابو هاشم علي قريط قبيلة اولاد علي

ما هو معنى لفظ خان الذي يلقب به سلاطين آل عثمان

﴿ الهلال ﴾ وهو ايضاً من القاب الفرس يقابل رتبة الباشا عندنا . اما اصله فهو لفظ قديم عند التتار وقد استخدموه لقباً لملوكهم كجنكيز خان وغيره . ولكننا نرى بينه

وبين لفظ الملك في اللغات الهندية القديمة واخواتها او فروعها كاللغات التيوتونية والجرمانية مشابهــة كلية ترجح وحدة اصلها . فانها في السنسكريتية كانكا Ganaka ومعناهــا الاب وهو الملك والرئيس في ابسط ادوار الانسان . ومثلهــا في اليونانية γενος يقــابل ذلك في اللغات التيوتونية Cyning وفي الجرمانية König وفي الانكليزية King . ومــا يحسن سوقه في هذا المقام ان لفظ ملك الشائعة في الفرنساوية والايطالية وغيرهما من فروع اللغة اللاتينية ترجع الى ( Rex ) اللاتينية وهذه آرية ايضــاً يقابلها في اللغة السنسكريتية راجا Rajah واصل معناها ربان السفينة أو مدير لدفة . وهي الآن تستخدم في الهند لقباً لملوكها كما هو مشهور

# باب الأخبار العلمية

﴿ آلة تصوير اللصوص وهم يسرقون ﴾ اخترع المسيو كاموسو مدير بنك الاقتصاد في بنزولو بيامون في فرنسا آلة فوتوغرافية سماهــا كليتوغراف تصور اللص وهو يسرق وتدل على كل حركة من حركاته مصورةً كما وقعت . فتوضع في الغرفة التي يخشى السطو عليها او في خزائن النقود الحديدية او على النوافذ او الابواب وتمد منها اسلاك خفية الى كل الامكنة التي يخشى سرقتها والى الاماكن التي لا بد للسارق من ان يمسها بقدميه او يديه ماشياً اومتلمساً . وحالما يمسهــا تتجه الالة نحوه وتصوره . وكيفما انتقل دارت نحوه وصورت كل حركة من حركاته كانها بوليس سري يقتفي أثر اللص ويقيد خطواته وحركاته . وقد جربوها فاتت حسب المرام وهي لا تحتاج الى نفقة كبيرة في اقتنائها ولا مهارة دقيقة في استخدامها

﴿ خليج بناما ﴾ بلغت نفقات العمل في بناء خليج بناما الى مايو الماضي ٢٠٥٠٠٠٠٠٠ جنيه منها نصف مليون على الادارة ومليون ونصف على الوسائل الصحية وعشرة ملايين على البناء وسبعة ملايين ثمن المواد والباقي على نفقات اخرى

﴿ احصاء المركبات الهوائية ﴾ وضع بعضهم احصاء للمركبات الهوائية الموجودة في العالم الى اخر سبتمبر الماضي فبلغ عددها ١١٢ منها ٣٦ تدار كما يشاء راكبها و٧٦ طيارات اعتيادية . واستخرج عددها بالنسبة الى الامم فكانت احرزهن لها فرنسا ثم اميركا ثم انكلترا ولكن هذه الاخيرة اكثرهن مركبات تدار . وذلك ان فرنسا فيها ٣٦ مركبة منها ٩ تدار فقط والولايات المتحدة فيها ٢٤ منها ٧ تدار. واما انكلترا ففيها ١٦ مركبة منها عشر تدار

﴿ اقدم صحف العالم ﴾ ان الصين اسبق امم الارض الى الصحافة . واقدم صحفها اسمها « كنغ باو » اي جريدة العاصمة صدرت في القرن الثالث للميلاد منذ الف وسبعماية سنة ولا تزال تصدر الى الان وتعرف باسم « غزتة بكين » وهي بشكل كراس من عشر صفحات مغلف بغلاف اصفر اللون . اكثر منشوراتها عن احوال الامبراطور ورجال دولته و بعض ما يهم الناس وهي تفرق مجاناً على مستخدمي الحكومة ويمكن لسواهم ابتياع نسخ منها

﴿ آلة تسجيل المراسلات ﴾ لا يفتر اصحاب القرائح عن استنباط الوسائل لتخفيف المشقة عن الناس وتسهيل المعاملات والاقتصاد في الوقت . ومن جملة ما وفقوا اليه من هذا القبيل الالات التي تشتغل لنفسها بمجرد ما تضع فيها الثمن المطلوب . وهي كثيرة في مدائن اوربا لبيع السلع او الاطعمة او الاشربة والانارة ووزن الاجسام ومسح الاحذية و بيع طوابع البريد وتذاكره وغير ذلك . وقد وفق مخترع اسمه المسيو انتال فودور الى اختراع آلة لتسجيل المراسلات ( سوكرتاه ) تخفيفاً عن المسجلين . ظاهرها صندوق فيه شق توضع فيه الرسالة المطلوب تسجيلها وشق آخر ترمى فيه قطعة النقود . وأما داخله فمركب من العجلات والاقواس والانابيب تركيباً يضمن القيام بالعمل . ويطلب من طالب التسجيل ان يلصق على رسالته من طوابع البريد ما يكفي للتخليص عليها لو كان المراد ارسالها بدون تسجيل . ثم يأتي بها الى الصندوق المشار اليه فيرمي في الشق الخاص بالنقود ما يساوي اجرة التسجيل وهي في فرنسا ٢٥ سنتيماً . ثم يدخل الرسالة في الشق الخاص بالرسائل و يوجه عنوانها نحو علامة موضوعة هناك . ثم يدير ساعداً خارجاً من الصندوق فتدار الالة في الداخل ولا تمضي بضع ثوان حتى يخرج الوصل

اللازم وعليه الثمرة المطلوبة

﴿ التطهير باشعة النور المظلمة ﴾ اذا حلَّ النور بالموشور الى الوانه السبعة ظهر وراء اللون البنفسجي بقعة مظلمة يعبرون عنها بالطبيعيات بالاشعة وراء البنفسجي قد اكتشفوا لها خصائص كياوية هامة ذكرناها في غير هذا المكان. والان وجدوا لها فعلاً جميلاً في تطهير المشروبات من الميكروبات السامة اذا ارسلت هذه الاشعة على سائل فيه مكروبات اماتتها حالاً

﴿ المناجم وعمالها ﴾ اصبح العمل في المناجم من اهم الاعمال واكبرها وقد احصوا عدد عمالها في العالم فبلغ العام الماضي ستة ملايين شخص منهم مليون في المملكة الانكليزية ومليون في مستعمراتها والباقي في سائر ممالك العالم . واكثر ما يستخرج من المناجم الفحم والبترول والملح من غير المعادن. والحديد والذهب والفضة والنحاس والرصاص وغيرها من المعادن

﴿ اعلى ما وصل اليه متسلقو الجبال ﴾ عاد دوق ابروز من سياحته في جبال حمالايا وقال انه صعد فيها الى نقطة ارتفاعها ٧٤٠٠ متر عن سطح البحر وهي اعلى نقطة وصلوا اليها

﴿ اعلى فندق في الارض ﴾ في جبل ازنال في التيرول من جبال الالب فندق افتتحوه في يوليو الماضي ارتفاعه ٣٢٧٧ متراً عن سطح البحر وهو اعلى الفنادق وله منظر مدهش يمتد النظر فيه الى مسافات بعيدة

﴿ البيض الصناعي في اميركا ﴾ ما برح الانسان يقلد الطبيعة منذ وجوده واكثر اختراعاته من قبيل تقليد ما يراه في الطبيعة من بديع الخلق. ووجه العلماء عنايتهم في هذا العصر الى تقليد المواد النباتية والحيوانية كالنشاء والسكر والزيت والسمن والبيض ونحوها فكان نجاحهم قليلاً في اكثرها . ولكن الاميركان يظهر انهم افلحوا في اصطناع البيض وكانوا يحاولون اصطناعه في بادىء الرأي على سبيل الفكاهة فلما نجحوا صاروا يتجرون به ويحملونهُ الى سائر اقطار العالم وهم يصنعونه بلباقة واتقان بحيث تقرب البيضة الصناعية من البيضة الطبيعية منظراً وطعماً اما كيفية اصطناعه فهي :

كل بيضة مؤلفة من اربعة اجزاء الصفار والبياض والغلاف الرقيق والقشرة . فهم

يصطنعون كل جزء على حدة فيبدأون بالصفار وهو مزيج من دقيق الذرة والاميدون المستخرج من القمح يضاف اليها الزيت ومواد أخرى بحيث يقرب قوامه وطعمه من الصفار الطبيعي ويصب في قوالب كروية ثم ينقل الى آلة فيها الزلال وهو مثل بياض البيض تماماً وتدار الآلة فيتخذ الزلال حول الصفار شكل البيضة وينقل من هناك الى آلة أخرى تكسبه غلافاً رقيقاً زلالياً واخيراً ينقل الى آلة تكسبه قشرة من المواد الكلسية ويجعلونها أكثف من قشرة البيضة الطبيعية واصلب منها فتكون اصبر على طوارق الطبيعة فلا يتطرق اليها الفساد عاجلاً — ولا يقال ان هذا البيض الصناعي يغني عن الطبيعي ولكنه يباع ويؤكل

---

## مطبوعات جديدة

كتب علميه وغيرها

﴿ دليل لبنان ﴾ تاليف وديع افندي ابي فاضل فيه خلاصات في وصف لبنان جغرافياً وطبيعياً واداريا وسياسياً واجتماعياً ويدخل في ذلك اقسام لبنان واقضيته واقليمه ونباته واشجاره وحيواناته ومعادنه وتجارته وصناعته وتاريخه واهله واديانهم وعناصرهم . وطرق لبنان ووسائل النقل ومواعيد السفر والبوسطة واسعار النقود وطرق الانتقال ووسائلها من بيروت الى لبنان ومن قرى لبنان بعضها الى بعض واشهر المصائف وغير ذلك مما يعز العثور عليه الا بمطالعة المجلدات الكثيرة وبالسؤال من اهل الذكر ومعه خريطة لبنان لزيادة الايضاح وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة قروش

﴿ اداب السلوك ﴾ صدرت الطبعة الثالثة من هذا الكتاب لمؤلفه يوسف افندي بشتلي واسمه يدل على موضوعه وتكرار طبعه يدل على رواجه وحاجة البلاد اليه . صفحاته ٥٢٠ صفحة ويطلب من مكتبة الهلال وسائر المكاتب وثمن النسخة عشرة غروش واجرة البريد غرشان .

﴿ مجموعة الرسوم البسيطة ﴾ هي تسع خرائط رسم احمد افندي حافظ الموظف بعموم البوسطة المصرية تعليمها مقرر للسنتين الثالثة والرابعة الابتدائيتين طبقاً لبروغرام

نظارة المعارف ثمن المجموعة ثلاثة غروش وتطلب من راسمها

﴿ لمحة تاريخية في الرهبانية الباسيلية المخلصية ﴾ تأليف الخوري قسطنطين الباشا اسمها يدل على موضوعها وتطلب من حضرته في بيروت

﴿ خلع السلطان عبد الحميد ﴾ كتاب تأليف خليل افندي الخوري طالب طب في المدرسة الكلية السورية ضمنه ابحاثاً في الحكم المطلق والدستور وعبد الحميد واسباب سقوطه وامثال ذلك على اسلوب انتقادي و يطلب من حضرته

﴿ مرزبان نامه ﴾ هو كتاب فارسي تأليف مرزبان بن رستم بن شروين طبع بنفقة لجنة تذكار جيب الشهيرة في نيف و٣٠٠ صفحة كبيرة ووقف على تصحيحه الشيخ محمد بن عبد الوهاب قزويني ويطلب من مكتبة بريل في لايدن

﴿ تاريخ الانسان الطبيعي ﴾ تأليف الياس افندي الغضبان يبحث في نشوء الانسان وترقيه منذ اصبحت الكرة الارضية صالحة لظهوره عليها حتى عصرنا الحاضر. مع بيان الاحوال التي تغلب عليها وتاريخ الخلقات الشاذة وأمثلة منها . وقد نشرنا مثالاً منه في هذا الهلال. ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٥ غرشاً واجرة البريد ٣ غروش

﴿ نهضة الامة وحياتها ﴾ هو كتاب اجتماعي تهذيبي للشيخ طنطاوي جوهري صاحب المؤلفات الاسلامية الفلسفية في جواهر العلوم وميزان الجواهر والنظام والاسلام وجمال العالم ونظام العالم والامم . وقد نحا في هذا الكتاب منحى الانتقاد والارشاد باسلوب المراسلة والمباحثة . فاشتمل على ابحاث في المدنية وعلومها واختص النظر في علوم الاسلام والازهر ورجال الدين وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفجالة ومكتبة التأليف بشارع عبد العزيز وثمن النسخة عشرة غروش والبريد غرشان

﴿ دروس الجبر ﴾ تأليف حسن افندي صديق الله لتلامذة السنة الاولى الثانوية في المدارس المصرية وفيه ١٠١٨ تمريناً تطبيقيًا ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ستة غروش ونصف والبريد نصف غرش

﴿ Leçons de passé ﴾ هو كتاب سياسي انتقادي الفه بالفرنساوية نجيب بك الحاج بحث فيه بحثاً انتقادياً في اسباب ضعف الدولة العثمانية والعلاج لملافاة ذلك الضعف. وهو يطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة فرنك واجرة البريد ٢٥ سنتيماً




مجلة تاريخية اجتماعية علمية ادبية صحية
ستها عشرة اشهر
وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب تهديه الى المشتركين في آخر السنة
لمنشئها
جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ٨٠ غرشاً في القطر المصري و ١٠٠ غرش في الخارج تدفع سلفاً

# AL-HILAL

Social, Historical, Scientific & Literary Review

EDITED BY

GEORGE ZAIDAN *M. R. A. S.*

SUBSCRIPTION: 26 Prs. OR 5 DOLLARS PER ANNUM

Vol. XVIII, No 3

1 December 1909

AL-HILAL Printing Office, Cairo

طبع بمطبعة الهلال بالفجالة بمصر

{ الهديه السنيه لطلاب اللغة الانجليزية } ثمن النسخه مجلدة ١٠ والبريد ٢ بمكتبة الهلال

# مكتبة التأليف

بشارع عبد العزيز بمصر

اصدرت مكتبة التأليف قائمة مطولة تنوف عن المائة والخمسين صفحة فيها كافة انواع الكتب العربية من علمية وأدبية وانشائية وتاريخية وشعرية وتحتوي خصوصاً على كافة انواع الروايات العربية قديمة وحديثة وترسل هذه القائمة مجاناً لمن يطلبها وللمكتبة معمل تجليد لكافة الاشكال ومطبعة لطبع مايلزم التجار والعموم من اوراق الزيارات وملاحق الافراح الخ والمخابرة مع الياس افندي دياب مدير مكتبة التأليف

## The Gresham Life
### Assurance Society Limited

## شركة جريشام ليمتد لضمانة الحياة

تأسست في لندره عام ١٨٤٨

حالة الشركة في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٤

| | | |
|---|---|---|
| راس مالها الاحتياطي | ٣٢٣,٩٧٢,٥٨٤ | فرنك |
| مدخولها السنوي | ٤٤,٠١٣,٩٢٣ | « |
| المدفوع للمؤمنين | ٣٦,١٦٥,٨٧٥ | « |

مجلس الادارة في القطر المصري

رئيس السير جون روجرس ك . س . م . ج .

ف . ه . رسل من محل الخواجات رسل وكر وفهات

الدكتور هربرت ملتن . ج هبوم . نائب حاكم البنك الاهلي المصري

اذا دفعت مبلغاً جزئياً كل سنة لهذه الشركة فهي تضمن لك ذخيرة لشيخوختك أو مهراً لابنتك او رأس مال لابنك .

وهي تعطي أيضاً سلفيات على رهن عقارات بفوائد متهاودة جداً .

وجميع الاستعلامات تطلب من فرع الشركة للقطر المصري وفلسطين والشام الكائن بشارع قصر النيل بالقاهرة ٧ — ١٢ — ١٠

( تومار ناشا وما تم عن يده ) ثمن النسخة مجلدة ١٠ غروش والبريد غرشين

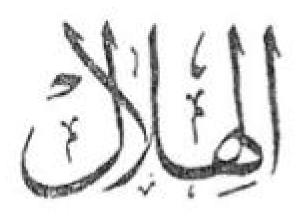
(صور قرآنية بالحد) هو كتاب مخبر الفتح من احدث ماظهر حتى الآن عن اللغات الاجنبية في ٢٠٠ صفحة و ٣٩ رسماً بورق جيد ثمنه ١٠ مجلداً

(تذكار الصبا) للشيخ محمد غنيم الصفحات ثمنه ٦ غروش والبريد غرشين ويطلب من مكتبة الهلال بمصر



شوکت پاشا





الجزء الثالث من السنة الثامنة عشرة

اول دسمبر ( ك ١ ) سنة ١٩٠٩ و ١٨ ذي القعدة سنة ١٣٢٧

# الاستانة العلية

## موقعها ومناظرها وآثارها وقصورها ومتاحفها

## وأحوالها الاجتماعية والعلمية والادبية والسياسية

## ٨ - حالتها السياسية

ان النظر في حال الاستانة السياسية اهم من النظر في سائر احوالها لاننا في اوائل الانقلاب السياسي . وقد اختلفت الاقوال في حقيقة حالها وتضاربت الآراء في مصيرها بين متفائل يرى الامور قد استقرت وان النفوس قد اشربت بالدستور فلا خوف على الدولة من رجعة او ثورة • ومتشائم يرى الخطر محدقاً بها من كل ناحية فيخاف عليها انقسام العناصر وتفرق الاديان ومطامع بقايا العهد الماضي · أو يخشى نقمة الذين قضي عليهم بالعقاب نفياً او عزلاً وغير ذلك من التغييرات التي اقتضاها هـذا الانقلاب . وهناك طائفة توسطوا في آرائهم ومخاوفهم

ونظر محبو الدولة العثمانيـة في الوسائل اللازمة للمحافظة على الدستور وملافاة ما يخشى منه عليه فاختلفوا في وصف الدواء وفي تعاطيه كما اختلفوا في تشخيص العلة وتعيين موضعها · فلما رحلنا الى الاستانة في الصيف الماضي جعلنا همنا البحث في حالتها السياسية لم ندخر وسعاً في التنقيب عن الاسباب والنتائج واستخراج الحقائق من مظانها والسؤال

عن الاختلافات من اصحابها على اختلاف العناصر والاحزاب والمذاهب . وتعرفنا الى خيرة ارباب الحل والعقد ودرسنا اميالهم وتبطنّا اغراضهم وحقيقة مقاصدهم ثم نظرنا في ذلك كله نظر الناقد المعتدل فوصلنا الى نتيجة نحن باسطوها في ما يلي :

الحكومة العثمانية وسائر الحكومات

الحكومة العثمانية اليوم دستورية ولكنها تختلف عن سائر الحكومات الدستورية من حيث القوى التي تتنازعها او تدير شؤونها . فالحكومة في الممالك الدستورية على الاجمال يدبر شؤونها قوتان نواب الامة والوزراء . واما الدولة العثمانية فيتنازع حكومتها ثلاث قوى النواب والوزراء وجمعية الاتحاد والترقي . وليست مداخلة هذه الجمعية في شؤون الدولة بدعة من بدع الدستور العثماني كما يتبادر الى الاذهان ولكنه طبيعي في اوائل الانقلاب وقد وقع مثله في سائر الدول العظمى عند انقلابها . ولكن جمعية الاتحاد والترقي تمتاز عن سواها من الجمعيات السياسية والانقلابية انها شديدة الميل الى المسالمة وحجب الدماء فقد احدثت هذا الانقلاب وفي عزمها ان تخالف سنة الاجتماع فتبقي على رجال العهد القديم وتحاسنهم

فلما اعلنت الدستور في ٢٤ يوليو سنة ١٩٠٨ اغمدت السيف واطلقت الحرية . ثم ما لبثت ان ادركت خطأها وان للاجتماع سنة لا تتبدل — بعد ان جرت حادثة ١٣ افريل التي كادت تذهب بالدستور واهله لو لم يتداركه شوكت باشا وجنده فدخلوا الاستانة فاتحين وخلعوا السلطان وبايعوا اخاه . ومع ذلك لم يقتل في هذا السبيل الا الف وبعض الالف . وما من دستور الا كلف اهله الوفاً من الانفس في جملتهم الملوك والشرفاء والكهنة وغيرهم بين نزاع ونطهير . ولنا في الانقلاب الفرنساوي اكبر شاهد : اعلن الفرنساويون الدستور او الحرية سنة ١٧٨٩ ولكن السيوف لم تستقر في اغمادها الا بعد بضع سنين وهم يطاردون الاشراف وغيرهم من رجال العهد القديم . وقد صادروهم باموالهم واملاكهم وما زالوا حتى ابادوهم وساقوا الملك نفسه الى الذبح كما تساق الاغنام

فاين ذلك من الانقلاب العثماني السلمي الذي بدأ بالمحبة والتآلف ولو لم يفتر اهل العهد القديم على الاحرار لم يسفك في سبيله دم رجل واحد . والفضل في ذلك لاصحاب

هذا الانقلاب نعني اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين ادهشوا العالم بتعقلهم وحكمتهم واعترف لهم القريب والبعيد انهم اتوا عملاً لم يسبقهم اليه احد كما بينا ذلك في ما كتبناه في العام الماضي عن تاريخ هذا الانقلاب . وقد ذكرنا هناك تاريخ هذه الجمعية على ما بلغ اليه علمنا يومئذ ونظراً لكثرة تكتمها ما زلنا في شوق للاطلاع على تفاصيلها حتى اتينا الاستانة فاستقصينا اصلها وتاريخها من اعرف الناس بها :

## جمعية الاتحاد والترقي

ذكرنا في الهلال الاول من السنة الماضية ان هذه الجمعية تأسست سنة ١٨٩٤ في الاستانة ثم انتقلت الى باريس . وفصلنا كيفية الانتظام في سلكها وتاريخ تفرعها وما مر عليها من الادوار حتى تضعضعت برجوع مراد بك الى الاستانة . ثم نهوضها على يد الداماد محمود باشا وابنه البرنس صباح الدين الى ان تمَّ الانقلاب على يد فرعها في سلانيك ومن اعضائه نيازي وانور . ويؤخذ من مجمل القول هناك ان لجنة سلانيك المشار اليها هي نفس جمعية الاتحاد والترقي التي كان مركزها في باريس . لكننا علمنا بعد البحث الاخير ان لجنة سلانيك التي تمَّ الدستور على يدها نشأت مستقلة في سلانيك نحو سنة ١٩٠٦ لكنها تنظمت على مثال الجمعية الاولى من حيث طرق الدخول والغرض الاساسي واعضاؤها من احرار الاتراك . وان الجمعية الاولى كان اسمها « جمعية الترقي » ولما صارت في باريس سميت « جمعية النظام والترقي » وكان اهم اعضائها أحمد رضا بك وخليل غانم والدكتور ناظم بك

وكأن الاحرار استبطأوا النجاح هناك فنهض جماعة منهم في سلانيك وفيهم طلعت بك ورحمي بك ومدحت بك وكاراسو وميناسي والفوا جمعية على مثال تلك سموها « جمعية الاتحاد والترقي » وهي أول جمعية من جمعيات الاحرار سميت بهذا الاسم واخذت تسعى في طلب الدستور من اقرب الطرق واعجلها على يد الجيش . فانتظم في سلكها صغار الضباط من الملازم فما فوق الى البكباشي وهم قوام الجند واهل القوة. فبلغ خبر هذه الجمعية الى « جمعية النظام والترقي » بباريس ورئيسها أحمد رضا بك فتباحثوا في الاسم . وأرادت لجنة باريس بقاء اسم « النظام والترقي » فلم تقبل جمعية سلانيك

وسعى بعضهم في ضم الجمعيتين . فلم تقبل جمعية سلانيك في عضويتها الا الذين تحققت ثباتهم في الغرض الاصلي ولم تغوهم أموال عبد الحميد ولا مواعيده . وأخذت تعمل بجد واجتهاد حتى فازت بالدستور كما هو مشهور وقبضت على ازمة الامور وهي صاحبة الكلمة النافذة والرأي الاعلى واكثر اعضائها مجهولون . وأما الذين ظهروا من أعضائها وعرفهم الناس فمنهم جماعة من كبار الموظفين فيهم ثلاثة من الوزراء وهم طلعت بك ناظر الداخلية وجاويد بك ناظر المالية ونائل بك ناظر المعارف وهي أهم وزارات الدولة واليك ما عرفناه من احوال اشهر اعضاء هذه الجمعية :

## اعضاء جمعية الاتحاد والترقي



طلعت بك ناظر الداخلية

١ – طلعت بك ناظر الداخلية : اصله من ادرنه سنه ٣٨ سنة وكان في العصر الماضي من مستخدمي التلغراف . وهو ربعة مع ميل الى السمن جميل الطلعة دمث الاخلاق ذكاؤه يزيد على علمه وفيه اقتدار على الاقناع . اذا جالسه رجل توهم من لطفه ولين عريكته انه طوع ارادته ولكنه لا يلبث ان ينقاد له صاغراً . وهو عازب وفقير

٢ ـ رحمي بك : اصله من سلانيك عمره ٣٩ سنة وهوطويل القامة رقيق العضل اشقر الشعر تزوج وولد له غلام . انتظم في الجمعية وهو غني فبذل ما له في سبيل نصرتها فنسبته الى هذه الجمعية كنسبة ابي بكر الصديق الى الصحابة . وكان مع ذلك يتجسس على جواسيس عبد الحميد . وكان عبد الحميد يستاء من نصرته للاحرار ويعدُّه من اهل الفوضى وجرى ذكره مرة بين يديه فقال « ان رحمي الفوضوي حامل علم الفوضوية »

٣ ـ كاراسو : هو يهودي أصله من سلانيك ويحترف مهنة المحاماة . ليس له ثروة لكنه ذكي الفؤاد عمره ٥٣ سنة طويل القامة خفيف العضل اسمر اللون ذو لحية شمطاء ويمتاز عن رفاقه بانه ماسوني وادخل كثيرين من شبان الاتراك في الجمعية الماسونية . وهو الآن مبعوث سلانيك وله إقتدار في فن الاقتصاد وأراد مجاراة جاويد بك في مجلس المبعوثان بالمسائل المالية فلم ينجح فعهدت نظارة المالية الى جاويد

٤ ـ رفيق منلاسي بك : هو من اهل الاستانة يحترف المحاماة وكان في جملة المحامين عن مدحت باشا في محاكمته المشهورة فنقم عليه عبد الحميد واخرجه من زمرة المحامين وحرم من المرافعة في محاكم الاستانة فالتجأ الى سلانيك وأخذ في العمل مع الاحرار توفي عن ٥٢ سنة قضى ٣٥ منها في بث روح الحرية سرًّا بين الشبان العثمانيين ممن كان يلتف حوله من الناشئة الادباء . ولما دنا وقت الفوز كان للاحرار من خيرة اصحاب الرأي لما هو عليه من طول الاختبار والتوسع في القوانين وكان أسمر اللون كبير اللحية مربعها نزيهاً نشيطاً وتولى نظارة العدلية

٥ ـ جاويد بك : اصله من سلانيك وقد عرف بالذكاء وحدة الذهن من صباه واشتهر بميله الى العلوم مع الاجتهاد في تحصيلها . وقد فطر على حب العمل فلا تجدهُ الا مشتغلا ولا يشتغل الا بالمواضيع الجدية . عمره نحو ٣٥ سنة قضى معظمها في الدرس والتدريس واكثر تدريسه في العلوم الاقتصادية واشتغل حيناً بتحرير الجرائد والمجلات وله مؤلفات في الاقتصاد . وهو خطيب مصقع ويعدونه اخطب رجال الدولة العثمانية واعلمهم بفن الاقتصاد شهد له بذلك علماء اوربا وقد تزوج وماتت امرأته ولم تترك له ولداً . وهو ناظر المالية العثمانية الان يرتزق من راتبه وليس له مرتزق سواه . وهو ربع القامة مع ميل الى القصر حليق اللحية لطيف الحديث دمث الخلق



جاويد بك ناظر المالية

٦ ــ الدكتور ناظم بك : من اقدم المجاهدين في سبيل الحرية من عهد لجنة النظام والترقي في باريز مع احمد رضا بك . وهو طبيب اصله من سلانيك تعلم الطب في الاستانة ثم ارسل للتبحر في هذا العلم باوربا فتعرف الى احمد رضا بك في باريس ولازمه وثبت معه في نصرة الحرية الى النهاية خلافاً لكثيرين غيرهما اغراهم عبدالحميد بالمال او الوظائف ورجعوا عن جهادهم . أما الدكتور ناظم فثبت مثل ثبات احمد رضا وخدم جمعية الاتحاد والترقي خدماً ذات بال فتولى كتابتها أي انه كان كاتب سرها والمبشر بمبادئها ورسولها الى الاطراف . فكان يخرج في المهمات الصعاب متنكراً تحت خطر القتل فاظهر في اعماله دهاء وذكاء اعترف له بهما القاصي والداني . فكثيراً ما كان يتنكر بثوب شيخ او قسيس او بائع تبغ او جندي والبوليس يعلم بخروجه ويتفقده فلا يعثر عليه ولا يستطيع كشفه . وكان اكثر تخفيه في الروملي الاناطول وخصوصاً في

ازمير. وهو اسمر اللون قصير القامة ممتلئ الجسم طلق اللسان قوي الحجة يفوق رحمي بك بحرية الفكر . لم يتزوج وسنه الان ٣٥ سنة



احمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثان

٧ — احمد رضا بك : عمره الان نحو ٤٩ سنة وهو رئيس مجلس المبعوثان وكان في شبابه مديراً للمعارف العمومية في ولاية خداوندكار ثم فرَّ منها ومن سائر تركيا على أثر اصلاحات اشار باتخاذها ويمم باريس وتفرغ لدرس الفلسفة واختار تعاليم اوغست كنت (Positivism) وتعمق فيها واشتدت ثقة اعضاء جمعية الترقي في الاستانة به فولوه نيابتها في أوربا فأنشأ في باريس جريدة سماها «مشورت» ينشئها بالتركية مع ملحق بالفرنساوية ١٨٩٦ فصار للجمعية من ذلك الحين نائبان أحدهما احمد رضا بك صاحب مشورت في باريس والاخر مراد بك صاحب ميزان بمصر . وكان المرحوم خليل غانم

سكرتير لجنة باريس ومن اكبر محرري مشورت الفرنساوية . واشتهر احمد رضا بك على الخصوص بنزاهته وثباته فقد قاسى مر العذاب وهو في باريس يشتغل للتعيش بدون الكفاف واهل المابين يسترضونه بالاموال والرتب وهو يأبى

٨ ــ محمد عارف بك : اصله من الروملي وهو الآن في الرابعة والثلاثين من عمره اسمر اللون ربع القامة ممتلئ الجسم وقد انتخب نائباً عن الروملي في مجلس المبعوثان وكان قبل ذلك يشتغل بالمحاماة ويحرر مجلة قانونية شرعية . وكان من اكثر الساعين في نشر مبادئ الحرية في الروملي وهو فقير عازب

٩ ــ حبيب بك : هو قائم مقام في العسكرية عمره ٤٢ سنة اسمر اللون ربع القامة وكان من المجاهدين في نشر مبادئ الجمعية وتاييدها

١٠ ــ الدكتور بهاء شاكر بك : من اهل الاستانة جميل الصورة ربع القامة اسمر اللون ممتلئ البدن عمره ٣٤ سنة . كان في العصر السابق طبيب البرنس يوسف عز الدين ولي العهد الحالي . فكان البرنس المشار اليه يستخدمه في تنشيط الاحرار وبث افكاره فيهم ويبذل لهم الاموال على يده

١١ ــ اسماعيل جان بلاط : هو شاب في التاسعة والعشرين من عمره واحد ضباط الجيش العثماني برتبة صاغ قول اغاسي رقيق البدن اشقر اللون خفيف الروح ذكي الفؤاد واسع الاطلاع . استخدمته الجمعية في مهمات ذات بال من جملتها مهمة سار بها مع مصطفى نجيب بك للفتك بناظم بك صهر انور بك وكان من كبار الجواسيس في عهد عبد الحميد . وقد اشرنا الى ذلك في كلامنا عن خواطر نيازي بك واصيب برصاصة شفي منها

١٢ ــ حسين جاهد بك : من اهل الاستانة وعمره الآن ٣٢ سنة قضى معظمها في الدرس والتدريس والتحرير والتحبير . وهو من نواب استامبول في مجلس المبعوثان ومحرر جريدة طنين لسان حال جمعية الاتحاد والترقي ويعدُّ اكتب رجال الصحافة التركية واقدرهم على استنباط المواضيع وتوليد الافكار واشدهم لهجة . اذا قرأت ما يكتبه في طنين توهمت فيه العنف والجفاء لشدة وطأته وقوة عبارته وما يتخلل ذلك من التهديد والوعيد فاذا خاطبته رأيته يكاد يذوب رقة ولطفاً . وهو جميل الصورة اسمر

اللون حليق اللحية . لا يضارع صديقه جاويداً في الاقتدار على العمل الطويل الا هو مع جسارة وقوة عزيمة واقدام ونشاط . وهو فقير جداً وقد تزوج وله ولدان



حسين جاهد بك محرر طنين

١٣ ـ حافظ حقي بك : قائمقـام في الجندية العثمانية وظيفته ملحق عسكري اركان حرب في سفارة فينا . وهو من اوسع الاتراك علمـاً ومن اكثرهم ذكاء وجرأة عمره ٣٢ سنة قصير القامة اسمر اللون ممتلئ الجسم فصيح اللهجة

١٤ ـ نايل بك : ناظر المعارف العمومية من اوسع الاتراك علماً ومعرفة وهو يرسل لحيته وفيه رغبة في نشر العلم ويعتقد ان العلم الوسيلة المثلى في تأييد الدستور

فترى من مجمل ما تقدم ان اعضاء هذه الجمعية الظاهرين الان اكثرهم من اهل الاستانة وسلانيك وهم أتراك مسلمون الا واحداً . واكثرهم من الادباء والكتاب ورجال الحقوق والاقتصاد وهم طبعاً يحسنون التركية لانها لغتهم ويحسنون ايضاً



نائل بك وزير المعارف

الفرنساوية . ولهم اطلاع على الاداب الاوربية وخصوصاً اداب الفرنساويين واكثرهم يعرف العربية الفصحى . وادباء اللسان التركي لا يستغنون عن معرفتها لترقية الانشاء في لسانهم . ومعظمهم من الشبان تتراوح اعمارهم بين ٣٠ سنة و ٤٠

اما سائر اعضاء الجمعية فانهم منتشرون في المملكة العثمانية واهمهم في سلانيك والاستانة ومركز الجمعية الاكبر في سلانيك . لا يعلم احد اين يجتمعون . وهؤلاء على الاجمال مثل اكثر ادباء الاتراك من الناشئة الجديدة قد تثقفوا على النسق الحديث وتبحروا بالعلوم الحديثة واختلطوا بالامم المتمدنة وتفهموا اسباب الارتقاء والتقهقر فضعفت حاسة التعصب الديني في قلوبهم واصبح مذهبهم الاتحاد . وهم اهل حرية وشجاعة ادبية وصدق طوية لا كذب ولا رياء ولا دعوة باطلة ولا جدال في غير الحق ولا عداء للاجانب . وانما شيمهم التواضع وصدق النية في خدمة الدولة والامة . ولا عجب وفيهم نخبة الادباء والمحامين والاطباء ورجال العلم — واحرِ بامثال هؤلاء ان

ينبذوا التعصب الديني . واذا جالستهم او عاشرتهم لا تجد فرقاً بينهم و بين ارق اهل اوربا في شيء . ونظراً لتكتم الجمعية في اعمالها وأخفاء أسماء أعضائها قد ادعاها غير أهلها ورأى الناس من بعض فروعها بالاطراف ما يخالف ظنهم بها فانتقدوها.وقد تكون براء من ذلك أو أنها تجيزه لحكمة تراها ولا يراها الناس وأن كانت لا تدعي العصمة عن الخطأ

والجمعية سطوة يخافها الكبير والصغير وكل مجهول مخيف ونصير الحق اعداؤه كثيرون ولذلك فان اعضاءها المعروفين بالاستانة في خطر على حياتهم لا يخرج احدهم الا مسلحاً بالمسدسات تحت اثوابه ولا ينام او يمشي الا على حذر . وهي صاحبة السيطرة الفعلية الان على الوزارة ومجلس المبعوثان تنفذ أراءها واغراضها بواسطة اعضائها ومنهم جماعة في مجلس المبعوثان . وقد اخذت على ١٦٠ عضواً من اعضاء المجلس عهداً موءيداً باليمين بصيغة خصوصية ان يوافقوها في مساعيها العائدة على حفظ الدستور وتأييده والتأليف بين العناصر . وقد علمت مما تقدم ان من اعضائها ثلاثة وزراء ومنهم جماعة من اصحاب الوظائف الاخرى ناهيك بمن انتظم في سلكها من ضباط الجيش . وهم ساعدها الاقوى وسيفها القاطع وقضاؤها المبرم . واما ما تناقلته الجرائد بالامس عن كف ايدي الجيش عن المداخلة في السياسة فيراد به ان لا يتصدى الضباط لشؤون الحكومة أو يتعرضوا لاعمال الولاة وغيرهم من موظفيها في اثناء تأدية وظائفهم . لكنهم ما زالوا اعضاء عاملين في الجمعية يحضرون اجتماعاتها و يقولون بقولها و ينصرونها عند الحاجة

على ان هذا ليس وحده سبب ما لها من الرهبة في قلوب رجال الدولة حتى من اعضائها ولكن هناك سبباً آخر لعله اهمها — نعني فتكها بمن يحيد عن الخطة المرسومة لحفظ الدستور وتأييده كما كانت تفتك بمن تخافه على نفسها من رجال عبد الحميد . وقد ذكرنا في مكان آخر فتكها بناظم بك صهر انور بك و بشمسي باشا وغيرهما . وهي تفعل ذلك سراً على يد بعض اعضائها الجسورين الذين يعبر عنهم بالفدائيين لانهم يفتدون الدستور بارواحهم . فاذا آنست باحد رجال الدولة او غيرهم انحرافاً وخافت منه على الدستور مع اليأس من اصلاحه او ارجاعه قررت في اجتماعها السري قتله لا تبالي كان من اعضائها او غيرهم . فيتبرع احد الفدائيين بقتله على الاسلوب الذي يختاره

## مجلس المبعوثان

هو القوة الدستورية الكبرى لانه مؤلف من نواب الامة فهو المسيطر على اعمال الحكومة . ويتألف من ٢٦٠ عضواً يقسمون بالنظر الى الاجناس على هذه الصورة

| | عدد | |
|---|---|---|
| اتراك | ١١٩ | عضواً كلهم مسلمون |
| عرب | ٧٢ | كلهم مسلمون الا واحداً مسيحياً ( البستاني ) |
| يونان | ٢٣ | كلهم مسيحيون ارثوذكسيون |
| البانيون | ١٥ | « مسلمون |
| ارمن | ١٠ | « مسيحيون غريغوريون |
| أكراد | ٨ | « مسلمون |
| اسبانيول | ٤ | « يهود |
| بلغار | ٤ | « مسيحيون ارثوذكس |
| صرب | ٣ | » » » |
| فلاخ | ٢ | » » » |
| الجملة | ٢٦٠ | |

وأما النسبة من حيث الاديان فعلى هذه الصورة

| | | |
|---|---|---|
| مسلمون | ٢١٤ | |
| مسيحيون | ٤٢ | كلهم روم ارثوذكس وارمن الا واحداً كاثوليكياً ( البستاني ) |
| يهود | ٤ | |

وقد ترددنا اليه مراراً وتعرفنا الى خيرة اعضائه من ابناء العرب وهمنا الوقوف على حقيقته لاعتقادنا انه محط آمال الامة في ما ترجوه من الاصلاح . فرأينا العمل جارياً فيه بنشاط وهمة . يقضي اعضاؤه معظم النهار مجتمعين يتباحثون ويتداولون . ورغم ما اعترضهم من المشاكل في السنة الماضية وهي الاولى من سني الدستور العثماني قد انجزوا أعمالاً لا يتأتى لغيرهم انجازها في مثل هذه الاحوال . ومجلس الامة في الدول الاخرى لاينتظر منه عمل كبير في السنة الاولى لانه لا يكاد يفرغ من تنظيم داخليته . اما مجلسنا

فقد اتم النظر في ٥٣ مشروعاً من ٧٣ أي انه عرض عليه ٧٣ مشروعاً درس ٥٣ منها وقرر اللازم بشأنها واكثرها مشاريع مهمة في جملتها الميزانية وهي وحدها يستغرق النظر فيها بضعة اشهر لانها اول الميزانيات . ويروون عن مجلس المبعوثان الاول في ايام عبدالحميد انهم عرضوا فيه ١٨ مشروعاً لم يقرر منها الا مشروع واحد . ولو راجعت سجلات مجالس الدول الاخرى لما وجدت بينها مجلساً عمل في سنته الاولى مثل عمل مجلسنا

على اننا لا ننكر ما ينتقده الواقف على دخائل الامور من اختلاف القلوب بين النواب باختلاف عناصرهم . والاكثر ناقمون على الاتراك من اعضائه بدعوى انهم مستأثرون بالنفوذ لا يمضون الا ما يريدونه . وقد سمعنا هذه الشكوى من بعض النواب ابناء العرب حتى توسمنا في أحدهم الرغبة في الاستعفاء لانه لا يرى فائدة من وجوده اذا كان صوته لا يسمع . وبعد التحري تبين لنا صدقه من الجهة التي هو ناظر فيها وذلك ان ابن العرب او غيره من نواب العناصر الاخرى قد يقترح اقتراحاً فلا يجد من يعضده أو انه لا يستطيع تأييده بالحجج فيسقط فيغضب . ولكن البحث في هذا المجلس حرٌّ والاقرار لا يكون الا بالاكثرية . والعرب اكثر سائر العناصر بعد الاتراك فاذا اقترح أحدهم اقتراحاً ولم يجد من يعضده من زملائه العرب فالذنب ذنبهم . واذا كان الاقتراح نفسه ضعيفاً فسقوطه طبيعي لان الغرض من أعمال المجلس النظر في مصلحة الامة العثمانية بقطع النظر عن العناصر والمذاهب

لا خلاف في ان النفوذ الحقيقي في مجلس المبعوثان لجمعية الاتحاد والترقي ورأيها هو السائد وارادتها هي النافذة ومنها عدد كبير من أعضاء المجلس تشكلت منهم لجنة تعرف بلجنة الاتحاد والترقي اكثرها من الاتراك . وقد أيدت هذا النفوذ عند افتتاح المجلس بانها استحلفت ١٦٠ عضواً منهم يميناً تقضي بمناصرتها والاخذ بآرائها كما تقدم . فلا عجب اذا كان المجلس طوع ارادتها أو صدى افكارها — ولا ضرر من ذلك لانها أشد العثمانيين غيرة على الدستور وتفانياً في نصرته فاصبح الرأي الغالب في مجلس المبعوثان لهذه الجمعية او للاتراك . فاستدلت سائر العناصر من ذلك ان الاتراك انما يفعلون ذلك استئثاراً بالسلطة تعصباً للاتراك على غيرهم . فنشأ سوء التفاهم بين الاتراك وسائر العناصر

والحقيقة ان بعض الاعضاء وخصوصاً ابناء العرب حديثو عهد في النيابة لم يألفوا المناظرات السياسية فاذا اقترحوا اقتراحاً لم يجابوا عليه عدوا ذلك حطة بمقامهم او استبداداً من زملائهم. فيتذمرون وينسبون ذلك الى تعصب الاتراك عليهم. واذا لحظ التركي تذمرهم توهم سوء القصد فيهم. والبعض الاخر توسموا في النيابة جر المغانم لانفسهم فاخذوا منذ توسدهم منصتها يطلبون المناصب لهم او لذويهم فلما لم يجدوا ما أملوا غضبوا وقالوا «ان الحكومة لا تسند الوظائف لابناء العرب تعصباً للجنس» نعم ان العرب لم ينالوا من المناصب ما يستحق الذكر بالنسبة الى عددهم ولكننا لا نعتقد انهم حرموا منها لتعصب الاتراك او جمعية الاتحاد والترقي على العرب. لان هذه الجمعية — على ما ظهر منها الى اليوم — من ابعد الجماعات عن التعصب وانما هي تتعصب للدستور وتحارب كل ما تظنه يقف في سبيله. فلا تختار للوظائف الا الاكفاء لا تراعي في ذلك خليلاً — ولا ينبغي لنا ان نتجاهل عن حقيقة مقدرتنا على الاعمال السياسية بالقياس على الاتراك فان هؤلاء اكثر بلاء لها واوسع اختبارًا فيها بعد ان تعودوها اجيالاً متوالية وهم اصحاب الدولة. وقد نسي العرب السياسة لطول التقاعد عنها. فضلاً عن ان اختلاط احرار الاتراك باهل اوربا في اثناء جهادهم كان اكثر من اختلاط احرار العرب

على اننا نعرف بين النواب العرب جماعة من اهل الحكمة والرأي والانصاف لم تفتهم هذه الحقيقة فكانوا وسيلة التقارب بين العنصرين. ولم تنقض السنة الاولى حتى زاد التفاهم بين النواب فتقدم كل من العناصر خطوة نحو صاحبه. والظاهر انهم تقدموا خطوة اخرى في هذا العام بدليل انهم انتخبوا صديقنا سليمان افندي البستاني نائب بيروت وكيلاً لرئيس مجلس المبعوثان. وهو العربي المسيحي الوحيد في ذلك المجلس فدل انتخابه على بعد القوم عن التعصب الجنسي والديني معاً. وصرنا نرجو ان يزول سوء التفاهم بالكلية ويعمل النواب يداً واحدة لغرض واحد هو تأييد الدستور. واذا لم يفعلوا فالعاقبة وبيلة لا سمح الله لان حسن التفاهم بين النواب يتوقف عليه الائتلاف بين العناصر في سائر اطراف المملكة. وعلى هذا الائتلاف يتوقف بقاء الدولة وعلى الانقسام يتوقف خرابها — وليس بين الحالين وسط. لان الدولة العثمانية اذا حافظت

على الدستور عاشت وضارعت ارقى الدول المتمدنة واذا عجزت عن حفظه تمزقت وذهبت نهباً مقسماً . فليتكاتف النواب على ازالة العقبات القائمة في طريق الدستور ولا بد من تبادل حسن الظن فيما بينهم ولو بالاغضاء عما يظهر على غير المرام — فان اتهامك صاحبك بسيئة يريدها بك يهوّن عليه ارتكاب تلك السيئة — ولا يتفق اثنان الاّ كان احدهما مغلوباً و يغلب ان يكون اعقلهما

فنحن في حاجة الى نبذ التنافس والانقسام حتى في الاحزاب السياسية مع كثرتها في بارلمانات اوربا وهم يجدون فيها فائدة لهم في تمحيص الاراء . واما نحن فالاحزاب المذكورة لا تفيدنا الان وقد تضرنا لانها تشغلنا عن الاتفاق في الامور الاساسية اللازمة لتأييد دستورنا . دعونا من البحث في المركزية واللامركزية ان امامنا عقبات لم تكن لدساتير الامم الاخرى لان احوالنا تختلف عن احوالهم فطريقنا في تأييده غير طريقهم . واذا جاز لنا ابداء رأينا في حالنا الحاضرة تقدم الكلام في العقبات التي نخافها على الدستور والوسائل المثلى للافاتها فنقول :

## العقبات في طريق الدستور

### ١ — اختلاف العناصر

ليس في الممالك المعاصرة في مشرق الارض ومغربها مملكة تحوي من العناصر المختلفة ما تحويه المملكة العثمانية . فهي تتألف من بضعة عشر عنصرًا يختلفون في لغاتهم وعاداتهم وآدابهم واديانهم . واهم هذه العناصر الاتراك والعرب واليونان والالبان والارمن والاكراد والبلغار والسرب والفلاخ . واكثرهم اهل تاريخ ومجد قديم وفيهم نزوع الى الاستقلال بتذكر سابق سؤددهم . ويغلب في بقايا الدول الكبرى التفاخر باسلافها اكثر من تفاخر اسلافها بمجدهم — كابناء الاسر الكبرى لا يفتخر بشرف الاسرة منهم الا الضعيف الذي ليس له من عمله ما يفتخر به

واكثر الامم العثمانية افتخاراً بسالف المجد العرب فانهم ابناء امة نشرت الاسلام وقلبت التاريخ وانشأت تمدناً غير وجه البسيطة . وهم مع ذلك اكثر العثمانيين عدداً وفي اهل الجزيرة منهم جنوحٌ الى الخيال الشعري قد يرون الامور خلاف

ما هي ويتوهمون في انفسهم المقدرة على كل شي ، وربما تذكروا سابق مجدهم يوم التفاخر بالنسب اذ كانوا يسمون غير العرب موالي . وان الاتراك حكموهم ظلماً في الدور السابق وقد آن وقت الاستقلال . فيدلون بعروبتهم واسلامهم ويطلبون فوق ما يحق لهم وربما اغراهم البعض على التحدث بالخلافة وهل تجوز لغير العربي او لا تجوز . واذا لم يتحدثوا فهم متهمون بالجنوح الى الاستقلال كما اشاعت الصحف بالامس عن أحد ملوك جزيرة العرب انه كاتب زملاءه رؤساء القبائل بالاتحاد للاستقلال ولم يفلح . فهذه الاشاعة وان كانت كاذبة فانها تبعث على الحذر وسوء الظن وتشوش على الدولة اعمالها

واعتبر ذلك باليونان فانهم من بقايا دولة الروم اصحاب القسطنطينية ويفاخرون العالم بفلاسفتهم وعلمائهم وخطبائهم فقد انشأوا تمدناً خاصاً بهم منذ ثلاثين قرناً وسنوا لاهل الاجيال التالية سنة مشوا عليها وعنهم اخذ الرومان والفرس والعرب عوامل المدنية والعلم والفلسفة . فهؤلاء ما زالوا منذ غلبهم الاتراك وهم يجنحون الى الاستقلال فلما نالوه اخذوا يتطاولون باعناقهم نحو القسطنطينية يرجون استرجاعها بما اصاب الدولة العثمانية في القرون الاخيرة من الضعف حتى كادت تنحل او تتطاير شعاعاً او تتفتت قطعاً ينال كل دولة من جيرانها قطعة ـ فكانت ابصارهم شاخصة الى الاستانة بلد قسطنطين وكانوا يجاهرون بذلك على منابرهم . ومن لطيف ما يروى من هذا القبيل ان ولي عهد اليونان سئل في حفلة الامتحان الكبرى بالمدرسة التي كان يتخرج فيها عن حدود مملكة اليونان فذكر حدودها من الشرق والغرب والجنوب ولم يذكر حدودها الشمالية . فسأله الاستاذ عن سبب اغفاله الحد الشمالي فقال « لانه غير معروف » يشير الى الامل في امتداده الى الاستانة او ما وراءها . فالروم الداخلون في رعاية الدولة العثمانية هم من اولئك اليونان اصحاب هذا المجد القديم وحكمهم من حيث جسم المملكة العثمانية مثل حكم العرب

والالبان اهل تاريخ وفيهم نزوع الى الاستقلال ونبغ منهم قواد اشتهروا بالشجاعة والنجدة . دخلوا في حوزة الدولة العثمانية سنة ١٤٧٨ قهراً وما زالوا من ذلك الحين يتذمرون ويتمردون فيكلفونها تجنيد الجند لقمع عصيانهم حتى لقد كان خيراً لها

لو تخلت عنهم . على انهم تمكنوا من الاستقلال مدة في اول القرن التاسع عشر على يد قائدهم الشهير علي باشا تبهدلنلي ثم عادوا الى حكم الدولة صاغرين وفي قلوبهم رغبة في الاستقلال وقد جاهروا به بعد ظهور الدستور

والارمن اذا لم يفاخروا بمجدهم القديم اذ لم يكن لهم دولة كبرى ولا تمدن خاص فهم يفاخرون اهل الدستور بانهم اول من سفكت دماؤهم في سبيله وانشأوا جمعياتهم السرية جمعوا فيها الاموال لمحاربة الدور الماضي قبل انشاء جمعية الاتحاد والترقي وقد ذبح منهم في هذا السبيل مئات الالوف

واعتبر ذلك في السرب والبلغار والفلاخ ولكل منهم دولة جديدة حية فما ايسر عليهم من الدخول في سلطان ابناء جنسهم ولغتهم ودينهم — فالخوف على الدستور العثماني ليس من تعدد العناصر في المملكة العثمانية فان في مملكة النمسا اجناساً كثيرة وانما الخوف من اختلاف اغراضها ومن التحدث بسابق مجدها فيصعب اذلالها بالقوة او جمع كلمتها بالحسنى . فهي لا يهمها اذا انحل عقد الدولة اذ ربما عاد ذلك الى استقلالها او دخولها في سلطة دولة من مذهبها او لسانها

فاكثر الامم العثمانية رغبة في بقاء هذه الدولة الاتراك لانهم يشعرون انها دولتهم وفي بقائها بقاء مجدهم . فهم حريصون على الاحتفاظ بها جهد طاقتهم ولذلك رأيناهم شديدي الغيرة على الدستور وربما اغضبوا سائر العناصر ضناً به ورغبة في استبقائه لان في بقائه بقاءهم

وقد جرأ العناصر الاخرى على التطلع الى الاستقلال ما صرح به البرنس صباح الدين جهاراً من ميله الى الاستقلال الاداري « اللامركزية » بين الولايات وهو رأي خطير كان ينبغي حفظه في طي الكتمان حتى ترسخ قدم الدولة في الحكم الدستوري وتتفرغ من مشاكلها الخارجية والداخلية — لا ان يقوله والدولة لا تزال ناهضة من تحت اثقال الاستبداد اجيالاً متوالية وقد نخر الفساد عظمها وليس فيها عضو سليم يستطيع البقاء منفرداً وانما هي تتساند في سيرها وتتعاون في قيامها وقعودها . فكيف تتفرق تلك الاعضاء وتعيش مستقلة ؟ فهي الى التعاون والتكاتف احوج ريثما يشتد ساعدها . فاذا رأت بعد ذلك ان تتفرع بالاستقلال الاداري فهي وشأنها

## ٢ ـ اختلاف المذاهب الدينية

في المملكة العثمانية مذاهب متعددة فمن رعاياها المسلم السني والشيعي والوهابي ثم المسيحي على اختلاف الطوائف من الارثوذكسي والنسطوري والماروني والكاثوليكي واللاتيني واليعقوبي والانجيلي . غير اهل الاديان الاخرى كاليهود والدروز والنصيرية وغيرهم — ولكن اختلاف المذاهب لم يكن ليخشى منه لو لم يفرق عبد الحميد بين القلوب بسياسة التقسيم كما بينا ذلك في ترجمة حاله بالسنة الماضية . فان سياسته الخرقاء اقتضت التفريق بين المذاهب وخصوصاً بين المسلمين والمسيحيين فاصبحت كل طائفة تنظر الى اهل الطائفة الاخرى نظر العدو الى عدوه . وكانت الحكومة تنتصر للمسلمين فاضطر النصارى الى الاحتماء بالدول الاخرى واقتسموا بالحماية فرقاً دينية حسب مذاهب الدول التي تحميهم واصبح لكل فرقة من النصارى دولة تدافع عن حقوقها فالكاثوليك والموارنة تحميهم فرنسا والروم الارثوذكس تحميهم روسيا والبروتستانت تحميهم انكلترا او اميركا عند مسيس الحاجة . وقد دخل بعضهم في رعوية تلك الدول فصاروا يعدون من رعاياها

فتحوّلت قلوب المسيحيين بذلك عن دولتهم . واصبحوا يعدُّون انفسهم غرباء فيها ويودون التخلص منها والدخول في حوزة سواها من الدول النصرانية . وقد جاءهم الدستور العثماني وهم لم يتعودوا الاجتماع فيما بينهم فكيف يجتمعون مع الطوائف الاخرى . وزد على ذلك ان بعضهم لم يشعروا حتى الآن ان الدولة دولتهم وانهم مطالبون بالدفاع عنها والسعي في استبقائها . واذا اصيبت الدولة بسوء قلما يشعرون بالاصابة واذا شعروا بها فكاللطمة على الجلد . وأما التركي فيشعر بها في قلبه . وربما توهم بعض غلاة التعصب من المسيحيين ان ذهاب الدولة لا يهمهم فيلتجئون الى إحدى الدول النصرانية . وهذا سبب نفورهم حتى الآن من الجندية . وسمعنا أحد كبار النصارى الذين يحبون الدستور وقد شبَّ على الحرية من صغره لما وثب الارتجاعيون باهل الدستور في ١٣ افريل الماضي يقول « ان بقاء الدولة العثمانية بعد الدستور اصبح يهمنا لكن اذا غلب الارتجاعيون فلا يضرنا ذلك ونحن خارجها » لانهُ يقيم بمصر ولو لم يكن فيها فانه يلجأُ اليها أو الى غيرها

وهو قول يدلُّ على ما تأصل في عروق بعض المسيحيين من الاحتماء بالاجانب واعتبار انفسهم غرباء عن الدولة العثمانية . فهؤلاء لم يدركوا معنى الجامعة العثمانية أو لم يصدقوا ان المسلمين نزعوا الضغائن من قلوبهم كما لم يصدق العرب المسلمون اخلاص الاتراك في تنازلهم عن امتيازهم . فما زالوا يخافونهم على الاستئثار بالسيادة ويتهمونهم بالتعصب لجنسهم . فاعتبر اسباب التفريق بين العناصر والمذاهب فانها من اكبر العقبات في طريق الدستور العثماني

٣ — بقايا الدور الماضي

لم يخلع عبد الحميد عن العرش العثماني الا بعد ان افسد اخلاق الامة العثمانية بسوء سياسته لان الناس معرضون للرذيلة بضعف طبيعتهم فكيف اذا شجعهم عليها ملكهم أو امامهم وجعل الثروة والجاه جزاء للخيانة والغدر . جعل الجاسوسية من اوسع ابواب الرزق وحمل الناس على قتل الناس اغراء بالمال أو الجاه . فسدت احكام الدولة وتصدر فيها أهل التملق . وأُسندت المناصب الى الذين ينفذون ارادته . وفيهم جماعة كبيرة من المغلوبين على أمرهم ساروا مع التيار التماساً للرزق — غير الذين شجعوا عبد الحميد على التوسع في الشر

قبض الدستوريون على أزمة الدولة وهم لا يريدون باحد سوءا لكنهم اضطروا بعد ١٣ افريل الى اعلان الحكم العرفي ومحاكمة الجانين فقتلوا جماعة ونفوا آخرين . وفي جملة المحكوم عليهم جماعة من كبار رجال الدولة في الدور الماضي كانوا اصحاب الحول والطول فيها . يهابهم الناس ويتزلفون اليهم طمعاً في خدمةٍ أو رزق أو يتملقونهم فراراً من الاذى فاصبحوا بعد الحكم العرفي مبعدين اذلاء . فهؤلاء مهما احسنا الظن بهم وتخيلنا التعقل وحسن النية فيهم لا نشك في انهم اذا لم يستطيعوا سعياً في افساد أمر الدستور فانهم يعينون على افساده أو يفرحون بسقوطه . وهم جماعة كبيرة ولكل منهم اعوان واتباع ذهب رزقهم بذهاب الدولة فهم يتمنون رجوعها من صميم افئدتهم . فوجود هؤلاء غاضبين من جملة العقبات في سبيل الدستور . وخصوصاً اذا بالغ رجاله في إحسان الظن ولم يدققوا المراقبة

ويدخل في بقايا الدور الماضي بعض أعيان البلاد الذين كانوا يستفيدون من

فساد الاحكام ويستبدون بالضعفاء من الفلاحين وغيرهم وقد وضعوا ايديهم على أطيان ليست لهم وشاركوا ولاة السوء بابتزاز الاموال وسلب الحقوق . فلما جاء الدستور بالحرية والمساواة والعدالة ذهب نفوذهم وأصبحوا في خطر على أموالهم وأطيانهم بين يدي القضاء . فهم طبعاً ناقمون على الدستور

٤ ـ المعزولون

كان في الدولة العثمانية كثير من المناصب التي أوجدتها سياسة عبد الحميد وليس لاصحابها عمل غير الاستيلاء على رواتبهم والبقاء في الاستانة إما حذراً من شرهم أو أملاً في استخدامهم في اهوئه . وألف لذلك دوائر خاصة تظهر لاول وهلة من أهم الدوائر كدائرة شورى الدولة ومجلس المعارف والجمعية الرسومية ومجلس البلدية . غير من رقاهم في الرتب العسكرية كالمشيرين والفرقاء والياوران ورجال المابين وغيرهم . وما هم بالحقيقية الا خدمة اغراضه فبمجرد خلعه اصبح هؤلاء لاعمل لهم . فعزلوا وهم يعدون بالمئات وفيهم جماعة من الاذكياء أهل المطامع . وقد تعودوا الدسائس والمفاسد من اسلوب الحكم الماضي

ولما اهتمت الحكومة في وضع الميزانية الجديدة وجدت انها في غنى عن الوف من مستخدميها في الاستانة والولايات غير الذين تريد ابدالهم لانهم من بقايا الدور الماضي — لانعلم عدد الذين سيعزلون ولكنهم كثيرون . فقد قال لنا جاويد بك ناظر المالية نفسه ان الذين تستغني عنهم نظارة المالية وحدها يزيد عددهم على سبعمائة . فقس عليها سائر النظارات والولايات في الاطراف فربما بلغ عدد المعزولين عشرة آلاف نفس واكثر هؤلاء لارزق لهم من غير الخدمة . وقد ظهر لنا مما دار بيننا وبين جاويد بك بهذا الشأن ان الحكومة عازمة على بذل الجهد في تخفيف وطأة الضيق عن المعزولين بقدر الامكان . ولا نظنها تقدر أن تخفف عنهم كثيراً . فهذه الالوف من الناس انما نكبوا من الدستور فلا غرو اذا نقموا على اصحابه

وقد انقطعت ارزاق عائلات كثيرة كانت تعيش من المابين واهله وهم من العامة كانت تحمل اليهم اطباق الطعام مجاناً أو يشترونها باثمان بخسة . ولما ضيق على المابين وانحصرت مطابخه وموائده . جاع كثيرون ممن لا يفهمون معنى الدستور

٥ ـ الضباط الذين انحطت رتبهم

لما أخذت الحكومة العثمانية تنظر في تنظيم شؤونها وجدت كثيرين من ضباط الجيش ترقوا بغير استحقاق وانما رقاهم عبد الحميد لاغراض له بقطع النظر عن قواعد الترقي المسنونة في النظام العسكري . فقررت تنزيل رتب كثيرين منهم طبقاً لذلك النظام بعد ملاحظة مدة خدمة كل منهم وسنه . فاصاب ذلك التعديل جماعة من كبار الضباط وفيهم من كان مشيراً فاصبح أميرالاي أو كان فريقاً فرجع لواء وهكذا

وتنزيل الرتبة العسكرية يقتضي تنزيل راتبها فالفريق الذي كان راتبه عشرة الاف غرش في الشهر لما صار اميرالاي صار ٢,٥٠٠ غرش فبعد ان كان ينفق على اقتناء المركبات والفرش الثمين اصبح مضطراً الى الاقتصار على الضروري . وقد رقوا كثيرين من الضباط الصغار لانهم حرموا من الترقي في زمن عبد الحميد وهم يستحقونه

وفي الرتب العسكرية اعتبارات كثيرة يثقل بها هذا التغيير كالتفاوت بين أصحاب الرتب بالعلامات والتقدم في المسير أو السلام أو غير ذلك . وكلها توغر الصدور وتثير النقمة — فهي من جملة العقبات

٦ ـ الجهل

الجهل اكبر ادوائنا بل هو علة العلل في تقهقرنا . لان الامة العثمانية على اجمالها لم تتهيأ للدستور ولكنها نالته بفضل طائفة الاحرار وهم طبقة العلماء والادباء والعقلاء الذين تثقفوا بالتمدن الحديث وفهموا حقائق الامور فنبذوا التعصب الديني والجنسي والتفتوا الى المصلحة العامة وايدهم أهل المدن المرتقية . واما الامة على اجمالها فلا تزال غارقة في الجهل وهو علة ما شكوناه من تعصبها الجنسي والديني — ولا نعني بالعلم مجرد حفظ العلوم والاداب كالشعر والنحو والحساب وانما نريد به ترقية شعور الناس بالتربية الصحيحة التي تعلم الانسان ما له وما عليه . وهي ضعيفة في بلادنا وخصوصاً في الداخلية فان الجهل هناك هو علة المذابح التي تتألم منها الانسانية . أيقدم الانسان على قتل أخيه بمجرد كونه يعبد الله على اسلوب غير اسلوبه الا وهو جاهل أعمى ؟

فالجهل علة انقسامنا والباعث الاكبر على تشتت شملنا . اعتبر ذلك في ماظهر من الفرق في استقبال الدستور بين البلاد العثمانية . فقد رأينا اكثر البلاد تعلماً اكثرها فرحاً بالدستور وأثبتها قدماً فيه . هذه الاستانة وسلانيك وبيروت فانها اكثر المدائن

العثمانية تعلقاً بالدستور ودفاعاً عنه لانها ارقاها بالعلم والتربية . واعتبر حال أهل القرى فان أكثرهم لم يفهموا معنى الحرية أو الدستور وفيهم من يعتقد هذا النوع من الحكومة مخالفاً للدين . وان كان لايفهم معنى ذلك أولا يقدر ان يبرهنهُ ولكنه يقوله انصياعاً لبعض المفسدين الناقمين ممن تقدمت الاشارة اليهم اذ يأتيه من حيث يشعر ويتأثر وهو الدين فيغريه على أهل الدستور بالكذب والحيلة . فاذا كان مسلماً أكد له أن الدستور يساوي المسيحي واليهودي بالمسلم وهذا يخالف الشرع الاسلامي . واذا كان مسيحيًا ضرب لها على وتر الجنس فاذا كان عربيًا قال لهُ لا أن أصحاب هذا الدستور أتراك وهم يظهرون التوحيد بين العناصر ريثما تتمكن قدمهم في الدولة فيستأثرون بالسيادة لانفسهم . أو يقول له أن هذا الدستور حركة أسلامية يراد بها تأييد الجامعة الاسلامية وهي ضد النصرانية وقس على ذلك . فيصدق العامة هذه الاقوال ويداخل قلوبهم غلٌ على الدستور وأهله وهل من سبب لذلك غير الجهل ؟ نعوذ بالله منه

٧ ــ فقر الدولة بالمال والرجال

ظهرت الميزانية الاولى بالامس وقد نقص دخلها عن خرجها نحو اربعة ملايين جنيه ستستدينها الدولة وسيتوالى هذا النقص عدة أعوام ريثما تنتظم شؤونها وتظهر ثمار الاصلاح فيها — أن بلاد الدولة غنية وفيها موارد كثيرة وأنما تحتاج الى من يستدرُّها وقد تهافت أصحاب الاموال على الباب العالي منذ أعلان الدستور يطلبون الرخص لانشاء المشاريع الصناعية أو الزراعية أو الاقتصادية ــ و بلغت الرخص التي اعطتها الحكومة الى الآن لاجل استخراج المعادن من باطن الارض نحو ٣٠ رخصة . غير الرخص لمد السكك الحديدية أو التلفون أو الري أو غير ذلك مما لا تزال المخابرة جارية فيه . ولا بد من أتمامه عاجلاً أو آجلاً فتزيد الحركة المالية في المملكة العثمانية وتتألف الشركات وترتفع أثمان الارضين وتحدث نهضة مالية مثل التي حدثت بمصر منذ بضع سنين

لكن هذه الاثمار المرجوة لا يتيسر الوصول اليها الا بعد نشر الاصلاح واستتباب الامن وتوفر الحقوق لاصحابها بحيث يأمن كل انسان على ماله وأهله ونفسه وهي العقبة الكؤود في طريق ناظر الداخلية ( طلعت بك ) فقد علمنا أنهُ حالما عهدت النظارة اليه وهو راجع من مهمته في لندن كان أول فكر خطر له أن يعهد بحكومة الولايات الى ولاة

ومتصرفين اكفاء ينظمون شؤونها وينشرون العدل بين أهلها ويثون روح الاصلاح فيها لكنه ما لبث أن عزم على أخراج ذلك الى حيز العمل حتى تبينت له الصعوبة الكبرى في الوصول الى المطلوب الا بمرور السنين والصبر الطويل — وذلك أنه لم يجد بين يديه الرجال الاكفاء من الاحرار ليبدلهم من العمال السابقين

ان الولاة ومن يلحقهم من الحكام في أطراف المملكة يعدون بالالوف وكلهم كانوا في مراكزهم من زمن عبد الحميد واكثرهم من الطرز القديم الذين أفسدهم رجال العهد الماضي . فاذا ارادت الحكومة أبدالهم لاتجد بين الشبان الاحرار عدداً يكفي للقيام بذلك العمل . والموجودون يندر فيهم أهل الكفاءة للحكومة لقلة الاختبار أو اذا وجد الكفء استقل الراتب بالنسبة الى حاجياته . فالدولة فقيرة بالمال والرجال معاً ولا بدّ لها من استبقاء بعض رجال العهد الماضي ريثما تنشأ طبقة من الاحرار الاكفاء

. ويقال نحو ذلك في سائر الوظائف من الوزارة فما دون . فهي تشترط في العمال المطلوبين ان تكون فيهم النزاهة والاخلاص للدستور فضلاً عن الكفاءة وهولاء قليلون أو انها لم توفق الى معرفة الاكفاء منهم وهي تبحث وتنتقي واذا وجدت الكفء وتأكدت صدق نيته عهدت اليه بالمنصب لا تبالي ان يكون تركيًا او عربيًا او البانيًا او كرديًا وقد ردّت كثيرين من طلاب المناصب لعدم لياقتهم أو لانها لم تتفق معهم على الشروط وكان بينهم جماعة من غير الاتراك فاتخذت العناصر الاخرى ذلك ذريعة للطعن في الاتراك (اصحاب الحل والعقد) واتهامهم بالتعصب لجنسهم على سائر الاجناس

### ٩ — سوء التفاهم بين الترك والعرب

خصصنا العرب في هذا البحث دون سواهم من العناصر الأخرى لان الامر يعنينا اكثر مما يعني سوانا . ولان الاختلاف بين هذين العنصرين أهم من الاختلاف بين سائر العناصر واذا تفاهم الترك والعرب وتعاونوا لا يبالون بمن خالفهم من الامم الأخرى . على ان هذه العناصر اذا تحققت اتحاد العرب والترك لا تجسر على الخلاف . فسوء التفاهم بين هذين العنصرين من اكبر العقبات في طريق الدولة العثمانية وقد اختلف الناس في سببه واسبابهُ كثيرة ترجع الى التباعد والاصغاء الى المفسدين

فالاتراك هم أهل الدولة ورجال الحكومة من عهد عثمان الاول ولا يزالون الى الان لا يرتزقون بغير الخدمة الاميرية — مضى عليهم عدة اجيال وهم اهل السيادة

يخافهم العربي والارمني والرومي والالباني ولا يذعن الرعايا للحاكم العثماني الا اذا كان تركيًا لقوة بطشه وشدة وطأته حتى أصبح لفظ تركي في بعض البلاد مرادفاً للفظ الحاكم فالسودانيون يريدون بالاتراك اهل الوجاهة والسيادة . ولما رأوا الانكليز لاول مرة وحاربوهم سموهم الاتراك

ما زال ذلك شأن الاتراك مع سواهم حتى أخذت الدولة في التسوية بين رعاياها في أواسط القرن الماضي فنشر السلطان عبد المجيد خط كلخانة القاضي بالتسوية بين المذاهب والعناصر ولكن العادة تغلبت فلا المسلمون أو الاتراك اذعنوا لتلك التسوية ولا رعاياهم أدركوا حقهم فيها ولا طالبوا بها لتغلب الجهل والجبن على طباعهم . وكان الشرق قد هب من رقدته وأخذ في اقتباس عوامل التمدن الحديث فنبغ الادباء والشعراء ورجال السياسة والحكمة من الاتراك واكثرهم اطلعوا على آداب الافرنج وخالطوهم في بلادهم وعلموا اسباب تقدمهم ورأوا دولتهم آخذة في التقهقر وعلموا انها لا تنهض الا بنقلها من الحكم الاستبدادي الى الدستوري والتسوية بين الرعايا في الحقوق والواجبات وجمع كلمة العناصر المختلفة باسم العثمانيين . فاخذوا يبثون هذه الروح في الامة فلم تختمر الا في آخر حكم عبد العزيز فخلعوه وولوا مراداً وهو دستوري فلم يطل حكمه فولوا عبد الحميد مكانهُ على أن يؤيد الدستور فلم يفعل لناهضهم وحاربهم بالتفريق والتجسس والفتك على ما فصلناه في ترجمة حاله

وكانت نقمته موجهة الى الاتراك بنوع خاص فكان في جملة مساعيه ضدهم انه استعان عليهم بالعرب واختلق الجامعة العربية وقرب اليه جماعة من العرب جعل الحل والعقد اليهم فاوغر صدور الاتراك عليهم . ثم حولها الى الجامعة الاسلامية فسعى في جمع كلمة المسلمين تحت خلافته الى الهند والصين وآل ذلك الى التباغض بين المسلمين وغيرهم في المملكة العثمانية . والاتراك الاحرار يجاهدون في طلب الدستور ينفقون في سبيله الاموال والارواح وأخذ يناصرهم جماعة من أدباء العرب . فلما تأتى لهم نيله في أواسط العام الماضي نادوا بالوحدة العثمانية وجاهروا بالتنازل عن امتيازاتهم لاعتقادهم انهم لا يفلحون الا بذلك . وتقربوا على الخصوص الى العرب وقد غضوا عمن أخذ منهم يد عبد الحميد لعلمهم ان آخرين منهم نصروهم في جهادهم على الحكومة الظالمة

أعلن الدستور وتصافح العربي والتركي والارمني والرومي وغيرهم وتعانق الشيخ والقسيس وعمّ الفرح كل عثماني الا انصار العهد الماضي لان الدستور اسقطهم وأضاع نفوذهم واصبحوا في خطر على حياتهم — والانسان يضحي كل شيء في سبيل حياته أو كرامته . فاخذوا يسعون في التفريق بين العناصر والمذاهب يغرون كل قوم أو عنصر على تشكيل الجمعيات القومية . وربما كان العرب أسبق الجميع الى الاغترار فانشأوا جمعية الاخاء العربي وقام عربي في باريس دعا السوريين الى الاستقلال الاداري عملاً برأي صباح الدين ولا تزال جريدة نهضة العرب تصدر في باريس تطالب بحقوق العرب وتبين فضل العرب على سواهم

وجعل الساعون من الجهة الأخرى يعظمون هذا الامر على الاتراك ويوغرون صدورهم على العرب فتغيرت القلوب وأصبحت كل طائفة تفسر اعمال الطائفة الاخرى بسوء القصد . وساء الاتراك الظن في العرب لما رأوه من تباعدهم وظهر ذلك في بعض اجراآت الحكومة وأصبحت تصدق الوشاية بهم وتصغي الى الدسيسة فغضب العرب لذلك لانهم يعتقدون اخلاصهم للدستور وأكثرهم مخلصون له ولكنهم تعجلوا الانتفاع به ولم يصبروا

فلما اجتمع النواب من اطراف المملكة في العام الماضي كان سوء التفاهم قد بدأ بين العرب والترك وكل منهما عاتب على صاحبه على تفاوت في الاعتقاد . فكان نواب العرب في ذلك ثلاث درجات بعضهم سيء الظن بالاتراك يعتقد انهم يظهرون المساواة ويضمرون الاستئثار . والبعض الآخر يعتقد سوء التفاهم متبادلاً ولكنه يرى الاتراك اولى بازالته وعليهم أن يبدأوا هم بالتقرب والمجاسنة والبعض الاخر وهم الاقلية كانوا يعتقدون الخطأ بجانب العرب ويحسنون الظن في الاتراك فتقربوا منهم وكانوا واسطة الاتصال بين الطائفتين

والواقع ان الامة العربية وسائر العناصر العثمانية اذا كانت غير راضية عن الاتراك فلانها لم تتحقق صدق نيتهم في تنازلهم عن امتيازهم ولا يلبثون ان يتحققوه حتى يصيروا اكثر تعلقاً بالدستور واشد تمسكاً به من الاتراك انفسهم لانه رفع شأنهم وحفظ حقوقهم وأمنهم على ارواحهم واموالهم . ولو فرضنا المستحيل وأن الاتراك يريدون الاستئثار بالسيادة دون سواهم فيكفينا الخروج من الظلم الى العدل

**﴿ مسالة الخلافة العربية ﴾** ومما اوغر صدور الاتراك على العرب اتهامهم بالسعي في انشاء خلافة عربية وهي اضحوكة قديمة العهد احياها بعض المرتزقين بالدسائس في زمن عبد الحميد لاستدرار امواله وكانوا يصنعون المنشورات السرية باسم الاحرار العثمانيين او تركيا الفتاة بلا توقيع يطعنون فيها على خلافة آل عثمان ويدعون المسلمين الى خلافة عربية . ويبعثون بنسخ من تلك المنشورات مع تقارير يرفعونها الى المابين ويزعمون انهم اكتشفوا على جمعية سرية تسعى في هذا السبيل . فيرسل اليهم المابين الاموال للمكافأة او لمواصلة السعي وكانت تأتينا منشورات اولئك الدساسين فنضرب بها عرض الحائط لعلمنا باغراض اصحابها . ولكن بعض الجرائد كانت تذكرها على سبيل الاستغراب

ولما ذهب الاستبداد وأخرج اهله من ديارهم هاربين أو مطرودين اصبح همهم الانتقام من أهل الدستور فاخذوا يختلقون الاشاعات للتفريق بين العرب والترك لعلمهم انهم اذا استطاعوا ذلك فقد عرقلوا مساعي الدولة و بينوا للملأ ان حكومتهم كانت أفضل من هذه . أو انهم أقدر على العمل من هؤلاء الشبان المتهورين . وكان في جملة مساعيهم التحدث بالخلافة العربية فاشاعوا عنها الاشاعات الكاذبة . وأغرب تلك الاشاعات ما تداولته الجرائد بالامس من ان في نية ابن صباح صاحب الكويت وابن فيصل أمير الوهابين وغيرهم من أمراء العرب ان يزوروا مكة والمدينة في هذا الحج ويقابلوا هناك سمو الخديوي ويتآمرون على نزع الخلافة من الاتراك وارجاعها الى العرب!

وهي اشاعة كذبها ظاهر لاول وهلة لان أولئك الامراء اذا فرضنا اتحادهم لمبايعة خليفة عربي انما تكون حجتهم انكار الخلافة على غير العرب اعتماداً على الحديث المشهور « الامامة في قريش » فلمن يعترفون بالقرشية ليبايعوه وهل يتنازلون لاحدهم بهذا الشرف العظيم ويخضعون له وهم مشهورون بالانقسام والتنافس واذا قيل انهم يبايعون سمو الخديوي لانهُ اوسع ملكاً وارفع منزلة فهو غير عربي واذا فرضنا انه اكتسب العروبة بالتوليد فما هو قرشي — ناهيك بما يكذب هذه الاشاعة من الاعتبارات السياسية الاخرى فضلاً عن ان حكمة سمو الامير تقتضي رفضها بتاتاً — لا نزعم استحالة من يقول بالخلافة العربية من العرب فان الناس لا يخلون من ضعاف الرأي ولكننا على يقين انهم اذا قالوا بها فلا يلقون ملبياً

بهذه الاشاعات وامثالها يسعى أهل الدسائس في التفريق وايغار الصدور بين الترك والعرب فاصبح كل من الفريقين يسيء الظن بصاحبه فاذا نقلت الحكومة بعض الضباط العرب مثلا من الشام أو العراق الى الاستانة قالوا انها فعلت ذلك خوفاً من العرب واذا ارسلت وفداً من التلامذة للدرس في اوربا وكان اكثرهم من الاتراك قالوا انها تفضل الاتراك على العرب. وعند التحري لا نجد لها ذنباً. والذي علمناه بالاختبار ان الاتراك الاحرار يعلمون علم اليقين ان الدولة لا تقوم الا بتوحيد عناصرها وهذا ما نادوا به في سرهم وجهرهم ولا يزالون يفعلون ذلك. وأذا تباطأوا في اسناد الوظائف الى بعض العرب فليس لانهم عرب ولكن لاسباب أخرى يراد من ورائها المصلحة العامة

والا فالاتراك اصحاب هذه الدولة يعدون العرب اخوانهم ويعولون عليهم في تأييد دولتهم ولم نجد في اعمالهم عند التحقيق ما يخالف ذلك بل نراهم يهتمون بالعرب ومصالحهم ويعدونهم اهم العناصر العثمانية. ولما اجتمعنا بفخامة الصدر الاعظم في الصيف الماضي كان معظم حديثه معنا عن العثمانيين بمصر والسوريين في اميركا وأظهر لنا رغبته في رجوع السوريين من ديار هجرتهم الى بلادهم واثنى على نشاطهم وذكائهم

فسوء ظننا في الاتراك في غير محله فعلى نوابنا العقلاء بيان الحقيقة حتى لا يقف هذا وامثاله في سبيل التآلف للعمل معاً في مصلحة الدستور. وينتظر من رجال الدستور الاحرار ان يفتحوا صدورهم للعرب ويراعوا جانبهم فانهم اقوى ساعد لهم في عملهم المجيد — فالتباعد بين العرب والترك من أعظم عقبات الدستور

## كيف نحفظ الدستور

لنا في حكمة رجال الحل والعقد ودهائهم ما يغني عن الارشاد أو النصيحة في الوسائل المؤدية الى حفظ الدستور ولكننا نقول كلمة على سبيل الذكرى — تقسم تلك الوسائل الى اجرآات وقتية مستعجلة يجب المبادرة اليها حالاً والى قواعد ثابتة ينبغي الجري عليها دائماً:

### الوسائل المستعجلة

اول هذه الوسائل ان يسعى النواب في ازالة سوء التفاهم بين العناصر والمذاهب أي ان يتفاهموا فيما بينهم ويتفقوا بالحسنى والبرهان وعلى اتفاقهم يتوقف اتفاق الذين

اتابوهم وهم رعايا الدولة العثمانية كافة على اختلاف عناصرهم ومذاهبهم . فعلى مجلس المبعوثان واجب مقدس هو اهم واجباتهم لانه اساسي في تأييد الدستور للاسباب التي قدمناها . فاذا فعلوا ذلك وهم فاعلون ان شاء الله يبقى على الحكومة تتمة العمل

واهم الوسائل المستعجلة على ما نرى هي :

اولا ـ الحكم العرفي

لما اعلن الدستور في ٢٤ يوليو في السنة الماضية اعلنت معه الحرية الشخصية واطلقت حرية الصحافة والخطابة والكتابة . وصفح اصحابه عما مضى واضربوا عما قاسوه في جهادهم من المحن والشدائد كالقتل والنفي وتشبهوا بالفلاسفة فعذروا ضعف الطبيعة البشرية فلم ينتقموا ولا فتكوا ولا ارادوا باحد سوءا ولكن ناموس الاجتماع غلب على ما ارادوه فتمكن اهل الاستبداد من الوثوب باهل الدستور ثم رجعوا خاسرين. فعلم الدستوريون انهم ارادوا عملاً يخالف قواعد الاجتماع وان الدولة لا بدَّ لها في اول الانقلاب من الشدة في تطهير الامة من زعماء العهد الماضي فاعلنوا الحكم العرفي واخذوا في محاكمة المتهمين وقيدوا المطبوعات بقانون يوقف الكتاب عند حدهم

وقد رأينا بعض ارباب الاقلام ينتقدون الحكم العرفي او يستطيلون بقاءه وفيهم من يبني انتقاده على القواعد الفلسفية النظرية كقولهم « الحرية والسيف لا يتفقان او الدستور والاستبداد لا يجتمعان » اي كيف تكون الحكومة دستورية ويكون حكمها عرفيًا — وهو اعتراض وجيه في نظر الفلاسفة وعلماء الكلام وأما في نظر اهل السياسة وعلماء الاجتماع فهو سفسطة او مغالطة — لان السيف لا بد منه لحفظ الدستور وتقييد الاقلام ضروري في اول الامر وفي دولة مثل دولتنا تولى عامتها الجهل وتضاربت فيها الاغراض لاختلاف العناصر والمذاهب . فلا يوقف الناس عند حدهم غير الخوف من السيف — وشأننا في دولتنا ودستورنا شأن محموم استشار طبيباً فنظر الى ظاهر المرض وعمل بالتقاليد الطبية فوصف الكينا لانها تقاوم الحمى فلم تفده لان الحمى في هذا المريض عرض ولا بد من معالجة السبب الاصلي فاستشار طبيباً اخر فحص المريض فوجد سبب الحمى خراجاً في الاحشاء فحكم بشقه فذهبت الحمى وشفي المريض

ولو تأتى لك ان تطلع على ما يجول في خواطر اصحاب الاغراض من دعاة

الفريق الذين ذهب الدستور بنفوذهم فسعوا في الناس فساداً حتى أوغروا صدور العرب على الاتراك وهاجوا غضب الاتراك على العرب وغيرهم — لو اطلعت على ما يخطر في اذهانهم لتحققت ان الحكم العرفي لا يستغنى عنه في حفظ هذا الدستور لان اسباب الفساد كالدمل يجب استئصالها بالسلاح

كيف ترفع السيف وتطلق الحرية و بين العثمانيين من يجاهر على صفحات الجرائد انه لا يعرف غير عبد الحميد خليفة وانت تعلم ان بيعة السلطان محمد الخامس قانونية شرعية . كيف تطلق حرية القول لهؤلاء وقد رأينا نتيجة ذلك الاطلاق في أول الدستور اذ لم تمض بضعة اشهر حتى وثب الجهال باهله . كيف يطل الحكم العرفي من بلاد لا يزال فيها من يسمي أحرار الاتراك خوارج وان عبد الحميد كان باذلاً جهده في ترقية شؤون الدولة وهم شوشوا عمله بتمردهم وخروجهم — نحن نعتقد يقيناً ان الدستور لم يبق الى اليوم الا بالحكم العرفي ولولاه لتمزقت المملكة العثمانية ارباً وتفرقت ايدي سبا — ان الامة الجاهلة اذا بليت باهل الدسائس لا يحفظ دستورها بغير الارهاب . فاذا كنا مع سطوة الحكومة بالحكم العرفي ورهبة جمعية الاتحاد والترقي فوقها لا نزال نرى في العثمانيين من يحاول هدم الدستور في ظل الدستور بالمغالطة والسفسطة وفيهم من يجسر على انكار بيعة السلطان الدستوري فكيف لو أطلقت الحرية والقي الحبل على الغارب ؟

فالحكم العرفي لا بد منه في حفظ الدستور العثماني حتى يرسخ وتتمكن قواعده ويذهب بقايا اهل الفساد وتتألف القلوب . وفي اعتقادنا ان الدستور العثماني ينبغي ان يختلف عن دساتير الدول الاخرى ما اختلفت أحوالنا عن احوالهم — ينبغي ان يكيف بحيث يتغلب على تفرق العناصر والمذاهب والمشارب بان يمازجه شيء من الرهبة او نحوها حسب الاحوال — أما الدستور الحر المطلق كما نراهُ في الدول المرتقية فلا نستحقهُ الا بعد زوال الأسباب التي قدمناها

ثانياً — مراقبة حركات الارتجاعيين

من أهم شروط الانقلاب السياسي ان تتطهر الدولة من نصرا العهد السابق بالقتل أو النفي أو الحجر او بوسائل أخرى تكفل بغل أيديهم عن الاذى . لان تلك البقية المغلوبة على أمرها يندر ان تخلص النية في الطاعة فتتربص للوثوب او تسعى في القاء

الفتن . وقد جرى اهل الدستور العثماني بعد ١٣ افريل الماضي على هذه القاعدة بواسطة الحكم العرفي وجعلت معوّلها على النفي . وكان النفي في الزمن القديم كالقتل لضعف المواصلات وقلة وسائل المخابرة . أما الآن فالنفي لا يمنع أصحابه من مخابرة أحزابهم ونشر مبادئهم ودس الدسائس بالمخابرات البريدية أو على صفحات الجرائد وانشاء الجمعيات السرية للوثوب عند الحاجة . وقد أصبح الاجتماع السري داء من ادواء الشرق . لاسيما بعد ان نجحت جمعية الاتحاد والترقي في عملها فكثرت الجمعيات السرية ولا مراقب عليها بحجة الحرية الشخصية ولكننا نخاف ان يتخذها بعضهم وسيلة فيبثون دسائسهم في العساكر وهم سيف الدولة لكنهم من العامة يغويهم التحريض باسم الدين أو الجنس كما حصل في حادثة ١٣ افريل . فعلى الحكومة العاقلة مراقبة حركات أولئك الارتجاعيين . وقد يعترض بعض أصحاب الاوهام الفلسفية كما اعترضوا على الحكم العرفي فيعدون هذه المراقبة تجسساً فيقولون « التجسس من بقايا زمن عبد الحميد فكيف يتفق مع الحرية والدستور » والجواب اننا انما نتجسس على الذين نشأوا في الجاسوسية خوفاً من دسائسهم . واذا فعل أهل الدستور العثماني ذلك فما هم أول من فعله وهو من القواعد المتبعة في أوائل الانقلاب . فالفرنساويون الاحرار مع امعانهم بالفتك والقتل على التهمة في اثناء انقلابهم الفوا جمعية سموها « لجنة النجاة أو الامان » لمراقبة بقايا العهد الماضي لكنهم تطرفوا في الاتهام وساؤا الاستعمال وركبوا في عملهم شططاً لا يجوز للعثمانيين ركوبه . وانما نريد ان لا يغلب على حكومتنا حسن الظن بالقوم فتتركهم ريثما يدبرن ما يدبرونه . وقد يكون حسن ظنها في محله لكن الحذر واجب قبل فوات الوقت وضياع الفرصة . والضرر اذا وقع هذه المرة كان فيه القضاء على الدولة واهلها لا يستفيد منه الارتجاعيون ولا الاحرار

الوسائل الدائمة

أما الوسائل الدائمة لحفظ الدستور فهي كثيرة يعرفها ارباب الدستور في كل أمة وأحرارنا اعلم الناس بذلك لكننا نذكر بعض الوسائل التي يقتضيها حال الامة العثمانية مما بيناه في ماتقدم من حيث اختلاف العناصر والمذاهب وهو الفرق الاكبر بيننا وبين سائر الامم — فالوسائل الفعالة لملافاة ذلك :

اولا — توحيد اللغة الرسمية

لا يخفى ان اللغة عنوان الامة فاذا قلنا الامة الفرنساوية فاننا نتصور امة تتكلم لغة واحدة هي اللغة الفرنساوية واذا قلنا الامة الانكليزية نعني امة تجمعها اللغة الانكليزية فاللغة اول جوامع الامة فاذا قلنا الامة العثمانية وجب ان يكون المراد الامة التي تتكلم اللغة العثمانية . ولو حتمت الدولة العثمانية في ابان سطوتها ان تعمم لغتها بين رعاياها لكنا اليوم اتراكاً وذهب الباعث على التفريق الجنسي . لان العناصر التي تتألف منها الامة العثمانية انما نسبت الى هذا العنصر او ذاك باعتبار لغتها . فالعرب سموا عرباً لان العربية لسانهم وقس عليهم سائر العناصر . على ان العرب مثلاً ليسو جميعاً من نسل العرب الاصليين وفيهم المولدون من اصول سريانية وتركية ورومية وقبطية وغيرها ولكنهم تكلموا اللغة العربية

فلو عمم الاتراك لسانهم في ابان دولتهم كما فعل العرب بلسانهم لكنا في غنى عن هذا التعب في جمع كلمة العناصر ولكنهم لم يفعلوا لانهم لم يكونوا يهتمون لرعاياهم بل كانوا يترفعون عنهم ويملكونهم بالقوة ويعدون من لا يعرف التركية لا يخاف الله . ولا يبالون بامر الجامعة العثمانية ولا التسوية بين الرعايا . بل كانوا يجعلون اللغة التركية فاصلاً بين الحاكم والمحكوم او هي شعار السيادة . فلما اعلن الدستور كان من مقتضيات القانون الاساسي توحيد العناصر العثمانية ليكون العثمانيون امة واحدة تشارك الحكومة في اعمالها واللغة اكبر وسائل التوحيد . فقررت الحكومة جعل اللغة التركية رسمية لا تقبل المخاطبة الا بها لان اللغة تجمع الطوائف والعناصر وتحسن التفاهم بينهم فيزول سوء الظن

فصادف هذا الاقرار استحسان الشعوب العثمانية لان اكثر هذه الشعوب تتكلم اللغة التركية فضلاً عن لغتها الا العرب فان عارفي اللسان التركي بينهم قليلون فشق هذا الاقرار على بعضهم لانهم توهموا فيه ضياع اللغة العربية قياساً على ضياع اللغات التي كانت في الشام ومصر والعراق قبل الاسلام وهي القبطية والسريانية والعبرانية والرومية وذهبت جنسيات اهلها فصاروا عرباً يتكلمون العربية

وهو اعتراض جدير بالاعتبار ويحق للعرب ان يضنوا بلغتهم دون سائر الامم لانها لغة المسلمين في اربعة اقطار المسكونة وما من موحد الا وهو يعرف اللغة العربية . ناهيك بما فيها من العلوم والاداب والفنون فانها بحر واسع وخصوصاً في العلوم الاسلامية كالفقه

والحديث والتفسير وغيرها مما لا يستغني عنه مسلم ـ هذه مكاتب الاستانة بلغ عدد ما فيها من الكتب نيفاً وسبعين الف مجلد وجدنا نحو ثمانين في المئة منها كتباً عربية . ولذلك فالدول الاسلامية التي ظهرت في اثناء التمدن الاسلامي كانت تجعل اللغة العربية لغتها الرسمية . هكذا فعل السلاجقة الاتراك والايوبيون الأكراد والسلاطين المماليك الاتراك والشراكسة فانهم كانوا يصدرون اوامرهم ويتخاطبون ويحاكمون باللغة العربية وكانت أيضاً لغة العلم في المدارس ولغة الصلاة في المساجد

ولذلك اقترح بعضهم ان يقتدي العثمانيون بالدول التركية التي تقدمتهم فيجعلون اللسان العربي لسان الدولة الرسمي ـــ يا حبذا ذلك ولكن اذا جاز لنا هذا الاقتراح فهو يجوز لسوانا من اهل اللغات الاخرى كالارمن والروم والالبان والبلغار وغيرهم ولا يحتج بان اللغة العربية لغة الدين الاسلامي فان القانون الاساسي لا يميز ديناً عن سواه

بقي النظر في هل جعل اللغة التركية رسمية يضيع اللغات الاخرى من المملكة العثمانية والجواب على ذلك ان شيوعها بتوالي الاجيال قد يضيع كل اللغات المتداولة في هذه المملكة الا العربية لانها لغة الدين والعلم الاسلامي فهي باقية ما بقي الاسلام . حتى لغات المسلمين ( غير العربية ) في الممالك الاخرى قد تضيع بمقتضيات السياسة وتبقى اللغة العربية وحدها . فاللغة الاوردية (الهندستانية) مثلاً وهي لغة مسلمي الهند قد يخطر لانكلترا اماتتها بجعل اللغة الانكليزية لغة العلم والسياسة هناك فتضيع اللغة الاوردية بتوالي الادهار وتبقى اللغة العربية عندهم كما هي الآن وقس على ذلك سائر الامم

فاللغة العربية لا يخشى عليها الموت من تعميم اللغة التركية وخصوصاً لان التركية نفسها اكثر الفاظها عربية ـــ ولكن بقاء اللغة العربية « غير مائتة » لا يرضي ابناءها فهم يريدون بقاءها « حية » وحياتها الان قائمة بكونها لغة التكلم ولغة العلم ولغة الدين . اما السياسة اي المخاطبات الرسمية فالمقرر في نظام الحكومة العثمانية قبل الآن ان تكون في اللغة التركية . فاذا اقتصر قرارها على ذلك اي اذا انحصر تعميم اللغة التركية في المخاطبات الرسمية فاللغة العربية تبقى حية بالعلم والدين والتكلم . وتحصل الفائدة المطلوبة من تعميم اللسان التركي . واما اذا تجاوزت الى ما وراء ذلك فالمسألة فيها نظر

نحن نوافق الحكومة على تعميم اللغة التركية وان يكون تعليمها اجبارياً في المدارس

بحيث لا يعطى التلامذة شهادة العلم ما لم يحسنوا هذه اللغة جيداً كما يحسنون لغتهم وكما يتعلمون اللغات الاجنبية اليوم . فاذا اقتصرت على ذلك نالت مرادها ولم تصب العرب بلسانهم . لكنها اذا قررت ان تكون اللغة التركية لغة العلم في المدارس اي ان يتلقى التلامذة العلوم بها كان ذلك ضربة قوية على اللسان العربي . وتكون عاقبته مثل عاقبة سائر اللغات الدينية القديمة التي لم تبق الا في الكنائس او على السنة بعض العامة . وهناك خطوة اخرى تقضي على اللغة قضاء مبرماً نعني جعلها لغة القضاء مع اجبار العامة على التكلم بها اذا دعوا الى المحاكمة او تأدية الشهادة — فقل عند ذلك على العرب والعربية السلام

فالمرجو من احرارنا الذين لا نشك في حسن قصدهم ان يلتفتوا الى هذه المسألة بعين الانصاف . فنحن نرى تعميم اللغة التركية واجباً لتوحيد الامة العثمانية ولكن يكفي من القلادة ما يحيط بالعنق فاذا جعلوا تعليم اللغة التركية وآدابها اجبارياً في المدارس بحيث لا ينال الشهادة الا من اتقنها تعلماً وانشاء وتركوا لكل امة ان تتلقى العلوم والاداب في لغتها حسب استحسانها كان عملهم هذا اقرب الى ما يرجى منهم وادعى الى حفظ كرامة الآخرين ولم يفتهم ما ارادوه من تعميم لسانهم . واذا فعلوا ذلك فقد فعله النمساويون من قبلهم والشعب النمساوي مؤلف من تسع امم لكل منها لسان خاص ولهم نواب في البرلمان فراعت الدولة حقوق هذه الامم واجازت المداولة بثمانية من تلك الالسنة في برلمانها لمن لا يعرف النمساوية واغفلت التاسع لان اصحابه جهلاء . واذا كان غرضهم توحيد اللغة والجنس معاً بحيث يصير العثمانيون عنصراً واحداً فليس من الحكمة الشروع بذلك الان

ثانياً — تعميم التعليم

لا نريد تعداد فوائد العلم في ترقية شؤون الامة فان ذلك من قبيل تحصيل الحاصل وقد أخذت الحكومة الدستورية في تنشيط العلم . ولكننا ننظر فيه من حيث حال المملكة العثمانية على الخصوص وما تمتاز به عن سواها من بواعث التفريق . فالمطلوب جمع هذه العناصر وتوحيدها وأول ما يكون ذلك في المدارس . فاذا شب التركي والعربي والمسلم والمسيحي في مدرسة واحدة وصف واحد يقرأون كتاباً واحداً ويتلقون أدباً واحداً يأتلفون ويتحدون . ويجب ترقية التعليم وتعميمه : اما ترقيته فلكي يفهم الشبان حقيقة الوجود وتتسع صدورهم ويذهب التعصب الديني من قلوبهم فيشبون ذلك بين

أهلهم وذويهم — ولا يذهب التعصب الا بتوسيع المعرفة وترقية الافكار وكسر قيود التقاليد . بدليل انك تجد أقل العثمانيين تباغضاً اكثرهم ارتقاء في أفكارهم وتصوراتهم

وأما تعميم التعليم فواجب لاستنارة الشعب فيتعود العامة قراءة الصحف والكتب ويطلعون على شيء من احوال الامم فيذهب كره الاديان الاخرى أو الامم الاخرى من قلوبهم . وترق عواطفهم ويستنكرون ذبح جيرانهم او رفقائهم اذا كانوا من دين آخر أو جنس آخر كما حصل في أماكن مختلفة من المملكة العثمانية وأقربها عهداً منا حوادث اطنه

ثالثاً — تجنيد غير المسلمين

مهما قيل في صعوبة التجنيد على المسيحيين اليوم فهو في محله لكنهم بوغتوا بالدستور وشروطه وهم لم يألفوا الجندية وهي في بلادنا ثقيلة حتى على المسلمين الذين الفوها وسبب ثقلها على الناس ما اشتهر من فساد الحكم السابق وضعف حال الحكومة عن رفع شأن الجندي واكفائه بما يحتاج اليه من الكساء والطعام ونحو ذلك . وهذا لا بد من تغييره في ظل الدستور ولا يمضي كثير حتى يهون التجند على المسيحيين وللحكومة الرأي في الانتظار ريثما يألف المسيحيون ذلك أو تباشره الآن . وانما المراد ان تجنيد غير المسلمين في الجندية العثمانية لامندوحة عنه لتوحيد الامة العثمانية اذ يجتمع المسلم والمسيحي واليهودي وغيرهم في فرقة واحدة يتعاشرون ويتمازجون ويتعاونون على السراء والضراء فتتقارب قلوبهم ويشعر كل منهم ان الدولة دولته والحكومة حكومته . له سيف في جندها كما له صوت في مجلس نوابها فيشق عليه ان يلحقها أذى فيحارب عنها ويناضل عن حقوقها

أما ما يهون التجنيد على المسيحيين فهو اختلاطهم في المدارس مع المسلمين وخصوصاً في المدارس الحربية فانهم يتآلفون وتتحد قلوبهم — وعشرة المدرسة من اقوى روابط الصداقة . فعلى زعماء النصرانية تهوين التجنيد على الشبان وعلى الحكومة تسهيل ذلك بما تبديه من حسن المعاملة

**الخلاصة** : وخلاصة القول ان في طريق الدستور العثماني عقبات وعرة اذا تمكن الاحرار من التغلب عليها وتأييد الحكومة الدستورية عددنا ذلك من قبيل المعجزات . لان كل عقبة منها تكفي وحدها للوقوف في سبيل العمل فكيف باجتماعها جميعاً ؟ واكبر تلك العقبات التنافر بين العناصر فاذا اتحدت تغلبت على كل عقبة

فالقوة الغالبة الآن في أيدي الاتراك وهم يقولون لنا انهم اخواننا وهذا القانون الاساسي يؤكد لنا المساواة بيننا وبينهم . وانما نخطئ بتعجل تلك المساواة في كل شيء فطلب ان يولونا الوزارة والولاية والقضاء وغيرها ولو فرضنا استعدادنا الكافي لهذه المناصب فلم يئن لنا ان نستبطئ حصولنا عليها . ورجال الدستور في شاغل عن تفريق المناصب بتأييد الحكومة ولو أردنا اكراههم على شيء نريده لم نجد سبيلا الى ذلك لانهم القابضون على ازمة الامور فما علينا الا التخلية بينهم وبين العمل . ومتى استقرت الدولة وتوطدت دعائم الدستور فالقانون الاساسي ينيل كل عنصر حقه فاذا ظهر لنا اجحاف حق لنا المطالبة كما يحق لكل فرد من افراد العثمانيين . وأما سوء الظن اليوم وتغيير القلوب فانه يبعث على ابطاء النجاح ان لم يدع الى انحلال الدولة والعياذ بالله

# قناة السويس

كثر تحدث الناس في اثناء الشهر الماضي عن قناة السويس لان المستشار المالي رفع مذكرة يعرض بها مد أجل امتيازها اربعين سنة أخرى . وافاضت الجرائد في هذا الموضوع بين مستحسن ومستقبح وطلب المصريون الى الجناب العالي عرض ذلك على الجمعية العمومية فامر باجتماعها لهذه الغاية فاخذت تدرس المشروع لتبدي حكمها فيه فكتب الينا غير واحد يسألوننا عن تاريخ هذه الترعة وسائر أحوالها واليك هي :

## الوصل بين البحر الاحمر والبحر المتوسط

لا يخفى ان الفاصل بين هذين البحرين برزخ السويس وما برح ملوك مصر من عهد الفراعنة يسعون في الوصل بينهما لتسهيل طرق التجارة بين الشرق والغرب ولم يكن الناس اكتشفوا رأس الرجاء الصالح فكان برزخ السويس فاصلا بين الشرق والغرب فاهتم رجال السياسة من الملوك وغيرهم في الوصل بينهما بحيث تجري السفن من الواحد الى الآخر ولو بقناة صغيرة . ولكن القدماء كانوا يعتقدون ان البحر الاحمر أعلى من البحر المتوسط فخافوا اذا فتحوا ما بينهما ان تطوف المياه وتغرق البلاد فوجهوا عنايتهم الى الوصل بين البحرين بطرق أخرى . ويقال بالاجمال ان مساعيهم كانت

ترمي الى احدى ثلاث طرق وهي (١) الوصل بينهما بواسطة النيل والصحراء (٢) بواسطة النيل وفروعه (٣) بواسطة ترعة مالحة — واليك خلاصة السعي في كل منها :

١ — الوصل بين البحرين بالنيل والصحراء

هذه اقدم طرق الايصال بينهمـا واول من شرع بها مريرع احد ملوك العائلة السادسة الفرعونية في القرن السابع والثلاثين قبل الميلاد واتمه حنو من العائلة الحادية عشرة · وبعض المؤرخين يذهب الى ان بطليموس فيلاذلفوس هو اول من أوجد هذا الاتصال في القرن الثالث قبل الميلاد ولعل الصواب انهُ اعاده بعد إهماله

وكان الاتصال المذكور يتم بطريق الصحراء بين برنيس على البحر الاحمر وقفط على النيل بقرب قوص بمصر العليا · فكانت المنقولات تُحمل على الجمال او نحوها من برنيس الى قفط ومن هناك تنقل على مراكب نيلية الى البحر المتوسط عن طريق دمياط او رشيد · وما زالت هذه الطريق عظيمة الاهمية حتى اكتشفوا رأس الرجاء الصالح جنوبي افريقيا سنة ١٤٩٧ م فانحطت اهميتها · ولما فتح خليج السويس كادت تهمل بالكلية لكنها لا تزال تستعمل في بعض الاحوال · وقد اصبح الاتصال الان بين القصير على البحر الاحمر وقنا على النيل عوضاً من برنيس وقفط وقد يكون الى قفط ولا تستعمل الا اذا كان المقصود المواصلة بين البحر الاحمر ومصر العليا رأساً

٢ — الوصل بواسطة النيل فقط

لا بد قبل الكلام في ذلك من كلمة نقولها في تاريخ فروع النيل لانها الان غير ما كانت عليه في عصر الفراعنة والبطالسة والرومان . فالنيل الان ينقسم بقرب القاهرة الى فرعيه الكبيرين فيسيران شمالاً يمرُّ الشرقي منهما بينها فميت غمر فسمنود فالمنصورة وينتهي الى البحر المتوسط بالقرب من دمياط · والغربي يمرُّ بمنوف فكفر الزيات فدسوق الى ان يصب في ذلك البحر بالقرب من رشيد · وهذان الفرعان هما الفرعان الوحيدان للنيل الان وقلما يتفرع منهما غير الترع الاصطناعية

أما في الازمنة الخالية فكانت لها فروع اخرى كبيرة اكبرها متشعب من الفرع الشرقي . وكيفية ذلك ان هذا الفرع بعد ان يصل الى قرب بنها يسير منه فرع غربي ينقسم الى عدة فروع تنتهي الى البحر المتوسط بثلاثة تصب عند بحيرتي المنزلة والبرلس

أهمها فرع كبير شرقيٌّ يقال له فرع بلوسيوم كان يخرج من الفرع الشرقي قرب بنها ويسير نحو الشمال الشرقي فيمرّ ببوباستس ( تل بسطة ) فالصالحية فدفنة الى ان يصب في البحر المتوسط بالقرب من بلوسيوم ( طينة ) شمالي الفرما اما بحر القلزم او البحر الاحمر فكان متصلاً بالبحيرة المرة الكبرى بمضيق صالح لسير السفن وكانت هذه البحيرة خليجاً يدعى خليج هيروبوليس نسبة الى مدينة كانت قائمة على مسافة قصيرة من رأسه بالقرب من فيثوم ( تل المسخوطة )

والوصل بين البحرين بواسطة النيل يتم بحفر ترعة موصلة بين النيل والبحر الاحمر أما البحر المتوسط فان النيل يصب فيه . وأول من فكر في ذلك سيتي الاول من ملوك العائلة التاسعة عشرة فاراد ان يصل النيل بالبحيرة المرة بترعة . ويظن ارستوتل وسترابو وبلينيوس ان سيزوستريس ( رعمسيس الثاني أو الاكبر ) هو أول من فعل ذلك في الجيل الرابع عشر قبل الميلاد . وربما كان ظنهم هذا مبنيًّا على ان هذا الملك هو الذي أسس مدينة فيثوم المتقدم ذكرها فرجحوا انه احتفر اليها ترعة من النيل لريها . وهذه الترعة توصل بين النيل وخليج هيروبوليس فيتم الاتصال المطلوب . أما المعول عليه بالاسناد الى المصادر التاريخية الوثيقة ان أول من اخرج ذلك الى حيز الفعل انما هو الملك نخاو الثاني من العائلة السادسة والعشرين ( سنة ٦١٠ ق م ) فاحتفر ترعة تنشأ من فرع بلوسيوم عند بوباستس بالقرب من الزقازيق وتسير فيما يدعى الآن وادي القنال حتى هيروبوليس ويقال ان امتداد هذه الترعة كان ٦٢ ميلاً من الاميال الرومانية ( نحو ٥٧ ميلاً انكليزيًّا )

فلما استولى الفرس على مصر اتمها الملك داريوس ( دارا ) بن هستاسبس سنة ٥٢٠ ق م وكان المضيق بين هيروبوليس والبحر الاحمر كاد يمتلئ من الرواسب فامر بجرفه وتوسيعه وكان طوله نحو عشرة أميال . ولا تزال آثاره باقية الى هذا العهد بالقرب من شالوف عند الطرف الجنوبي للبحيرة الكبرى وترعة الاسماعيلية . ويشاهد هناك بعض الآثار الفارسية الدالة على صحة ذلك . وكان المعروف اذ ذاك ان البحر الاحمر أعلى من النيل فلم يجسر نخاو ولا داريوس على ايصال ترعتيهما هذه الى الخليج تماماً خشية ان يختلط الماءان أو يطوف المالح على العذب . فتمت المواصلة اذ ذاك على

هذه الصورة : تسير السفن من البحر المتوسط في فرع بلوسيوم الى بو باستس ومنها في تلك الترعة الى هيرو بوليس . ومن هذه كانوا ينقلون المحمولات الى مراكب البحر الاحمر على الدواب أو غيرها فكانوا يقاسون في ذلك بعض المشقة . فلما تولى بطليموس فيلاذلفوس وجه اهتمامه الى اصلاح ذلك الخلل سنة ٢٨٥ ق م فاحتفر ترعة موصلة بين هيرو بوليس ورأس البحر الاحمر وترعة اخرى من هيرو بوليس الى خليج هيرو بوليس ووسع المضيق . فاصبح هناك ترعتان كلتاهما متصلة بالبحر الاحمر واتخذ حواجز واحتياطات اخرى لمنع طغو المياه المالحة على العذبة بحيث يمكن للسفن ان تمر الى الخليج والى البحر الاحمر مع توقي الطغيان . وابتنى عند مصب الخليج في البحر الاحمر مدينة دعاها ارسينوا جعلها محطة بحرية تنتهي اليها المراكب القادمة عن طريق النيل وتقلع منها السائرة في البحر الاحمر

ثم اخذ ماء النيل يتحول عن فرع بلوسيوم شيئاً فشيئاً حتى جف ماؤه فبطلت تلك الترعة . حتى اذا كان الاسلام وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص امره الخليفة بانشاء ترعة يسهل نقل المؤن عليها الى الحجاز فاحتفر قناة دعاها خليج امير المؤمنين فابتدأ بها عند مصر القديمة حيث يبتدىء خليج مصر اليوم فسار بها في ظاهر الفسطاط حتى القاهرة اليوم ومنها الى المطرية ومنها الى بوباستس حيث تبتدىء الترعة القديمة ومن بوباستس الى البحر الاحمر . وما زالت تسير السفن في خليج امير المؤمنين من الفسطاط واليها مدة ١٣٤ سنة حتى ايام الخليفة المنصور ابي جعفر ثاني الخلفاء العباسيين ومؤسس مدينة بغداد فامر بردمه منعاً لامداد العلويين الذين ثاروا في المدينة . وما زال مردوماً الى الان . ويقال ان الملك الحاكم بامر الله الفاطمي أمر بحفره سنة ١٠٠٠ الميلاد لتسير فيه السفن الصغيرة ثم اهمل فطمرته الرمال . وظل من آثاره الى عهد غير بعيد الخليج الذي كان يقطع القاهرة من الجنوب الغربي الى الشمال الشرقي وهو المعروف بخليج مصر . كان ينشا من فم الخليج عند مصر القديمة ويسير نحو الشمال الشرقي وقبل ان يبلغ نظارة المالية ينعطف نحو الشرق الجنوبي حتى جامع السيدة زينب فيعود الى سيره نحو الشمال الشرقي فيمر بجانب بركة الفيل ثم سراي درب الجماميز فتكية الحبانية ثم يقطع شارع محمد علي فيمر بجانب سراي منصور باشا الى ان يقطع السكة

الجديدة قرب اتصالها بشارع الموسكي فيمر تاركاً كنيسة اللاتينيين وكنيسة السريان الى يساره وكنيسة الارمن وكنيسة القبط الى يمينه الى ان يصل الى بداية سكة مرجوش فيتركها الى يمينه ثم يقطع سور القاهرة عند باب الشعرية ويسير خارج القاهرة الى شارع الظاهر فيمر تاركاً جامع الظاهر الى يمينه حتى يلتقي بترعة الاسماعيلية وهناك ينتهي

وكانت فائدة هذا الخليج قاصرة على ري المدينة وبعض ضواحيها وكانوا يحتفلون بفتحه سنوياً عند وفاء النيل فلما توزعت المياه في القاهرة بالانابيب الى المنازل لم تبق له فائدة فاذنت الحكومة لشركة ترمواي القاهرة بردمه ومد خط الترامواي فوقه وهو الفرع المعروف بترامواي الخليج الآن

٣ — الوصل بينهما بقناة مالحة

وهي الباقية الى الآن نعني قناة السويس . وقد فكر في حفرها الفراعنة ولكنهم خافوا طغيان الماء كما تقدم . وفكر فيه أيضاً المسلمون منذ فتحوا مصر — فذكروا ان عمرو بن العاص اراد حفر قناة توصل بين البحرين فمنعه عمر بن الخطاب لئلا يتخذها الروم طريقاً الى الحجاز . واراد ذلك الرشيد بعده على ان يحفر ترعة مما يلي بلاد الفرما نحو بلاد تنيس على ان يكون مصب البحر الاحمر في البحر المتوسط كما هو حاله اليوم فشاور وزيره يحيي بن خالد فقال له « اذاً يخطف الروم الناس من المسجد الحرام والطواف وذلك ان مراكبهم تنتهي من بحر القلزم ( الاحمر ) الى بحر الحجاز فتطرح سراياها مما يلي جدة فيخطف الناس من المسجد الحرام ومكة والمدينة » فامتنع عن ذلك وربما فكر فيه غيره من ملوك المسلمين ولم يخرجوه الى حيز الفعل

ثم ذهبت دولة العرب واخذ الافرنج يهبون من سباتهم وسعوا في اكتشاف الطرق التجارية — وكانت التجارة بين اوربا والمشرق في الاجيال الاخيرة محصورة على نوع ما في فينسيا ( البندقية ) وكان الفينيسيون ابرع الناس فيها واكثرهم اشتغالاً بالاسفار بين البحرين عن طريق مصر . فلما اكتشف رأس الرجاء الصالح تحولت تلك التجارة الى يد البرتغاليين فشق ذلك على الفينيسيين فاهتموا في امر انشاء ترعة توصل بين البحرين فخابروا سلطان مصر اذ ذاك ( قنسو الغوري ) وما زالت المخابرات بهذا الشأن دائرة حتى الفتوح العثماني سنة ١٥١٧ م فبطلت وأهمل المشروع . فلما كانت الحملة

الفرنساوية اهتم نابوليون بونابرت بذلك الاتصال بواسطة برزخ السويس فاستكشف البرزخ ومعه المهندس الشهير موسيو لابير سنة ١٢١٣ هـ او ١٧٩٨ م وتفحصاه تفحصاً مدققاً فزعم لابير ان البحر الاحمر يعلو المتوسط ٣٠ قدماً فعدل عن فتح ترعة موصلة بين البحرين رأساً وقدم التقرير الآتي وهو يتضمن افضل ما رآه من الطرق :

(١) الاتصال بواسطة النيل وفروعه وذلك بترعة من الاسكندرية الى الرحمانية على فرع رشيد . وفي النيل من هناك الى القاهرة وبخليج امير المؤمنين من القاهرة الى البحيرة المرة حيث يقام حواجز . ومن هناك الى السويس بترعة مالحة

(٢) الوصل بين البحرين رأساً بان تحفر ترعة بين السويس والبحيرة المرة وترعة اخرى بين البحيرة المرة وبلوسيوم . الا ان هذا التقرير لم يباشر تنفيذه قبل ان قضي على تلك الحملة بالانسحاب من مصر

وفي سنة ١٢٥٥ هـ او ١٨٣٧ م أنشأت شركة البواخر الشرقية خطاً تجارياً بين الهند وانكلترا عن طريق برزخ السويس بان تأتي المنقولات في البحر المتوسط الى اول البرزخ فتنقل في البر الى السويس ومنها في البحر الاحمر الى الهند وغيرها

وفي سنة ١٢٦٤ هـ او ١٨٤٦ م تعينت لجنة مختلطة للنظر في تقرير لابير فقررت ان الفرق بالارتفاع بين البحرين لا يعبأ به الا انها انحلت ولم تصل الى نتيجة وتركت ذلك الى احد اعضائها المسيو تالابوت فكان من رأيه تتبع الترعة القديمة من السويس الى تل بسطة ( قرب الزقازيق ) رأساً واحتفار ترعة من هناك الى رأس الدلتا حيث القناطر الخيرية الآن فتقام لها قناطر تسير عليها مياه تلك الترعة الى البر الغربي ومن هناك تتم الترعة الى الاسكندرية . فكأنهُ يريد ايصال البحرين بترعة تمر بين السويس والاسكندرية وتقطع الدلتا عند رأسه فلم يصادف مشروعه استحساناً لما كان يحول دون ذلك من المشاق . ثم قدم الخواجات بارولت تقريراً من مقتضاه ان يوصل البحر الاحمر ببحيرة المنزلة الى دمياط ثم يقطع النيل وتتم الترعة الى رشيد فيقطع فرع رشيد ايضاً وتوصل الترعة الى الاسكندرية فلم يصادف هذا نجاحاً ايضاً لمشابهته مشروع تالابوت

وفي سنة ١٢٧١ هـ أو ١٨٥٥ م اهتم لينان بك وموجل بك تحت ادارة المسيو

دلسبس في امر هذه المواصلة بعد ان حصل هذا الاخير على البراءة في ذلك من سعيد باشا والي مصر اذ ذاك فاقروا على وجوب فتح ترعة في خط مستقيم بين السويس و بلوسيوم مارة في البحيرات المرة فبحيرة التمساح فالمنزلة . وان تتصل هذه الترعة من طرفيها بحواجز عند التقائها بالبحرين . واقرّوا ايضاً على احتفار ترعة عذبة من بولاق مصر الى منتصف البرزخ ومن هناك الى السويس لاجل حمل المياه للشرب والري وترعة توصل المياه الى بلوسيوم . فعمل المسيو دلسبس تقريراً في ذلك وعرضه سنة ١٢٧٧ﻫ او ١٨٥٦ م على لجنة دولية مؤلفة من نواب دول اوستريا وانكلترا وفرنسا وايطاليا وهولندا وبروسيا واسبانيا فادخلت فيه تعديلات من مقتضاها ان تنتهي تلك الترعة من طرفها الشمالي في نقطة على مسافة ١٧ ميلاً ونصف الى الغرب من بلوسيوم حيث بورت سعيد الآن وسبب ذلك ان مياه البحر المتوسط هناك عمقها بين ٢٥ و٣٠ قدماً على مسافة ميلين من الشاطئ أما عند بلوسيوم فلا تبلغ هذا العمق الا على مسافة خمسة اميال . وان تقفل الحواجز عند طرفي الترعة

وتمّ الاتفاق على ذلك وأخذوا في العمل وانتهى حفرها في ١٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ في زمن الخديوي اسماعيل فاحتفل بفتحها احتفالاً عظيماً حضره ملوك أوروبا او مندوبوهم كلف مصر نحو مليون جنيه

## القناة والحكومة المصرية

تمّ أنشأ هذه القناة بعقود مبرمة بين الحكومة المصرية والشركة التي انشأتها . فاول عقد أبرم في ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٥٤ بين سعيد باشا والي مصر وبين فرديناد دلسبس صاحب المشروع اذن له بمصادقة السلطان عبد المجيد بتشكيل شركة من متمولي العالم لجمع المال اللازم لحفر القناة الموصلة بين البحرين ويكون لها حق الانتفاع بريعها ٩٩ سنة من يوم فتحها . وانه بعد انقضاء المدة المذكورة تحلّ الحكومة محل الشركة فيأول اليها جميع حقوقها وتصير الترعة وما يتبعها من الابنية ملكاً لها الا الادوات والاثاث فانها تدفع اثمانها . وتعهد سعيد باشا في ذلك العقد ان يساعد الشركة هو وحكومته لاخراج هذا المشروع لحيز الوجود . وتعهد في لائحة صدرت بعد سنتين ان يكون اربعة اخماس الفعلة الذين يشتغلون في حفر القناة من المصريين واشترطت اشياء أخرى لمصلحة الشركة

وتعهدت الشركة من الجهة الاخرى ان تنجز العمل في ست سنوات وأن تتكفل هي بالنفقات اللازمة وان القناة تكون طريقاً حرًّا لكل طارق بلا تفريق بين الدول أو الامم وان يكون للحكومة المصرية ١٥ في المئة من صافي الربح ولها أن تشتري من اسهم الشركة المقدار الذي تريده

واضطرت الحكومة سنة ١٨٦٦ الى عقد وفاق ثالث مع الشركة يقضي على الحكومة بغرامة — وذلك ان السلطان عبد العزيز اعترض على تعهد سعيد باشا بتشغيل المصريين في القناة رغم ارادتهم واعتبر ذلك من قبيل السخرة الجبرية لانها تخالف الحرية الشخصية فاضطر اسماعيل باشا وهو الخديوي يومئذ ان يدفع للشركة غرامة مقدارها مليون ونصف من الجنيهات

ابتدأت الشركة بالحفر سنة ١٨٥٩ واعلنت الاكتتاب باسهمها فاشترت الحكومة المصرية (على عهد سعيد باشا) ١٧٧,٦٤٢ سهماً وذلك يعدل نحو ٤٤ في المئة من رأس مال الشركة واشترت فرنسا ٢٠٧,١٦٠ سهماً أي نحو ٥٢ في المئة ولم تشتر انكلترا الا ٨٥ سهماً

فتحت القناة للملاحة سنة ١٨٦٩ و بيد الحكومة المصرية ٤٤ في المئة من أسهمها ثم كان ما هو مشهور من تهور اسماعيل في النفقات على البلاد وعلى نفسه واضطر للاموال فجعل يبدد مما في يديه من الاسهم . واحتاج أخيراً الى مبلغ كبير وكان لا يزال عنده من الاسهم ١٧٦ ٠٠٠ فتقدمت فرنسا لابتياعها فانتبهت انكلترا لما يترتب على ذلك من تغلب نفوذ فرنسا في ذلك الطريق . فما زالت تسعى حتى ابتاعت تلك الاسهم بمبلغ ٤,٠٠٠,٠٠٠ جنيه وهي لو بقيت الى اليوم لبيعت بثلاثين مليوناً أو اكثر

وتورط اسماعيل في السخاء فاحتاج الى مال آخر فاقترض مليون جنيه من شركة السنديكات الكبرى ورهن عندها حصة مصر من أرباح القناة أي ١٥ في المئة . فلما اقتضى اسرافه تداخل أوربا في الشؤون المالية المصرية ظهر للموجلين بالبحث والتفتيش ثقل ما تحمله مصر من الديون فوضعوا قانون التصفية وعجزت مصر عن دفع المليون المذكور فتنازلت عن الرهن وتألفت شركة فرنساوية دفعت الدين وقامت مقام مصر في الاستيلاء على حصتها المشار اليها . و يقدرون جملة ما وصلها من ذلك بار بعين مليون جنيه !

وكان اسماعيل قبل بيع أسهم القناة قد باع أرباحها لعشرين سنة فلما باع الاسهم لانكلترا سوّت مسألة تلك الارباح بان تسددها الحكومة المصرية باقساط مقدارها ٢٠٠,٠٠٠ جنيه كل سنة الى سنة ١٨٩٦

فاعتبر مبلغ ماخسرته مصر بسبب قناة السويس انه يقدر بعشرات الملايين من الجنيهات . وقد مضى من مدة الامتياز الآن نحو أربعين سنة ولا يزال للشركة نحو ستين سنة تصبح القناة بعد انقضائها ملكاً للحكومة المصرية . ولكن المستشار المالي وضع مشروعاً لاطالة مدة الامتياز اربعين سنة أخرى خلاصته : ان تزيد الحكومة مدة امتياز الشركة ٤٠ سنة فضلاً عن الستين الباقية بحيث يصير آخرها سنة ٢٠٠٨ وتقبض مصر في مقابل ذلك أربعة ملايين جنيه تستولي عليها في أثناء اربع سنوات (من سنة ١٩١٠ — ١٩١٣ ) ويكون لها من سنة ١٩٢١ حصة من الربح تبدأ باربعة في المئة وتزداد الى ستة فثمانية فعشرة فاثني عشر في المائة الى سنة ١٩٦٩ وهي نهاية مدة الامتياز الاصلية . ومتى دخلت مدة الامتياز الجديد تستولي الحكومة المصرية فيه على خمسين في المئة من أرباح الشركة الصافية . ومتى انتهت هذه المدة سنة ٢٠٠٨ تصير القناة وابنيتها ملكاً لها الا الادوات والأثاث فتدفع قيمتها

ولما نشر المستشار مشروعه طلب الاهالي عقد الجمعية العمومية لاخذ رأيها فيه . والرأي العام مائل الى رفضه والبقاء على الشروط القديمة وهو ما يخطر بالبال لاول وهلة وحجة القائلين بتجديد الامتياز حاجة الحكومة الى نقود . والمعارضون لا يرون الحكومة في حاجة الى المال وعندها المال الاحتياطي واذا لم يكن عندها مال وكان لابد من الانفاق فلا يعجزها الاقتراض بالفوائد القانونية . وقد دارت المناقشة في الصحف على أي الوجهين افضل ولكن الرأي يرجع طبعاً الى الجمعية العمومية والحكومة المصرية وشركة القناة وسنرى ما يكون

# باب السؤال والاقتراح

## الحج في الاسلام

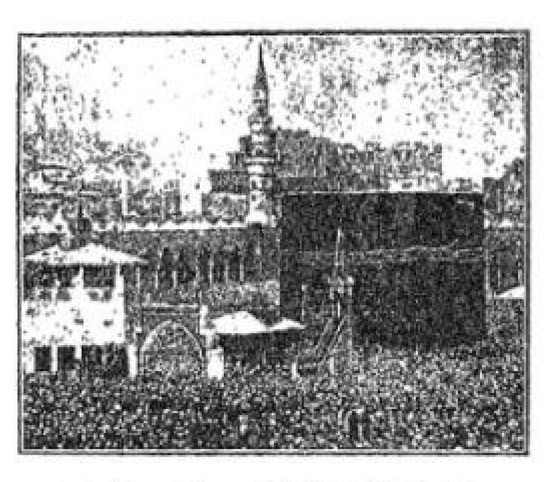
﴿ القاهرة ﴾ محمد سعيد افندي الحسيني

نظراً لعزم مولانا الامير على تأدية فريضة الحج في هذا العام نرجو ان تذكروا لنا تاريخ الحج وشروطه في الاسلام وقبله على عادتكم في مثل هذه الاحوال

﴿ الهلال ﴾ كتبنا في الحج وتاريخه مقالات متسلسلة في السنة العاشرة من الهلال أتينا فيها على اصل الحج وتاريخه وأصل لفظ « حج » في اللغات السامية . واقدم من حج من الامم المصريون القدماء ( ليس للكعبة ) والاشوريون والفينيقيون واليونان والرومان والهنود واليهود . وفصلنا ذلك الى الحج العربي قبل الاسلام وما كان عند العرب وخصوصاً حج الكعبة وأتينا على تاريخها وتاريخ المسجد الحرام الى الآن وصورناه ووصفنا أجزاءه والمحمل والكسوة والحجر الاسود وكيف يحجون ويطوفون مما يطول بنا نقله فنقتطف منه ما يناسب المقام

الكعبة

الكعبة : هي بناء مربع الشكل تقريباً واقع في وسط المسجد . طولها اثنا عشر متراً في عشرة امتار وعشرة سنتيمترات . وارتفاعها خمسة عشر متراً وجدرانها غير تامة الاتجاه الى الجهات الاربع . فان الجدار الذي فيه الباب ( وهو الظاهر في الرسم ) يقابل الشرق مع ميل قليل نحو الشمال وطوله ١٢ متراً يقابله من البلاد ممالك العجم وافغانستان والهند . يليه نحو الجدار الذي يقابله الحجر ( حجر اسماعيل ) وفي أعلاه الميزاب . والجدار المذكور متجه نحو الشمال مع ميل نحو الغرب وطوله عشرة أمتار وهو يقابل من البلاد المدينة والشام . أي ان اهل هذين البلدين اذا ولوا وجوههم المسجد الحرام قابلهم منه هذا الجدار وقس على ذلك اتجاه الجدارين الباقيين . وللكعبة



(ش ١) الكعبة عليها الكسوة والناس حولها يطوفون

اربعة اركان هي اقرب الى الجهات الاربع من الجدران ويسمونها غالباً بالنسبة الى البلاد التي تقابلها . فالركن المؤلف من ملتقى جدار الباب بجدار الميزاب ( الى يمين الواقف تجاه باب الكعبة يستقبلها بوجهه ) هو الركن الشامي ويسمى العراقي او ركن حجر اسماعيل ويواجهه من البلاد الجزء الاكبر من الحجاز وفارس وتركستان والعراق وشمال الهند والسند . والى يسار مستقبل باب الكعبة ركن الحجر الاسود وهو بين الشرق والشرق الجنوبي ويقابل الجزء الجنوبي من الحجاز الى عدن ومدغسكر واوستراليا وجنوب الهند والصين وسومطرا . ومن صلى في هذه البلاد كانت قبلته الحجر الاسود . فالذي يستقبل باب الكعبة بوجهه يكون ركن الحجر الاسود الى يساره والركن الشامي الى يمينه . ويلي الركن الشامي الركن الغربي وهو واقع بين الغرب والغرب الشمالي ويواجه روسيا وسائر اوربا وبلاد المغرب في شمالي افريقيا ومصر الى الشلال الثاني فاذا صلى اهل مصر كانت قبلتهم الركن المذكور . والركن الرابع الذي يلي ركن الحجر الاسود يقال له الركن اليميني بين الجنوب والجنوب الغربي وهو يواجه اليمن وافريقيا الجنوبية . والكعبة مبنية من حجارة كبيرة صماء زرقاء اللون ويحيط بها من الاسفل درجة يسمونها الشاذروان

باب الكعبة : هو في جدارها الشرقي الشمالي وعلوه عن الارض متران وعتبته من الفضة وكذلك قفله . مصراعاه من الساج المصفح بالفضة المذهبة صفحه السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩ للهجرة . وللباب ستارة كبيرة خاصة به وهي مزركشة في غاية الاتقان ترسل من مصر في جملة الكسوة ولا يمكن الصعود الى باب الكعبة

الا بسلم . وسلمه من خشب مصفح بالفضة يصعد عليه الحاجون الى باب الكعبة

داخل الكعبة وسطحها : وفي داخل الكعبة ثلاثة اعمدة من العود الماوردي قطر الواحد منها خمسة وعشرون سنتمتراً وهي منصوبة صفاً واحداً في وسط البيت من الشمال والجنوب . وفي سقف الكعبة تحفٌ من الجواهر الثمينة ونحوها مما كان يهديه الخلفاء والسلاطين وهي معلقة في السقف . وجدران الكعبة مكسوة من الداخل باطلس أحمر عليه مربعات من الحرير الابيض مكتوب عليها «الله جل جلاله» وهي هدية من السلطان عبد العزيز . وفي الزاوية التي تلي حجر اسماعيل الى يمين الداخل شطرة فيها باب يصعد منه على درج الى اعلى الكعبة هو باب التوبة . وسطح الكعبة مرصف بالواح المرمر وعلى حوافيه الاربع حلق لربط الكسوة من الخارج حتى تكون منسدلة على الجهات الاربع بانتظام

الكسوة

هي كساء للكعبة كان العرب في الجاهلية يكسونها به . ويقال ان اول من كساها ابو كرب سعد ملك حمير من ملوك اليمن وكانوا يكسونها بالجلد او القباطي او نحوها. ثم كساها عبد الملك بن مروان في اواخر القرن الاول للهجرة بالديباج وهو اول من فعل ذلك من الخلفاء . ولم يكونوا يجددونها الا عند الحاجة لا يتقيدون بزمن اوميقات حتى تولى الخليفة المأمون فجعل تجديدها فرضاً في كل عام من الابرسم الاسود . وفي سنة ٧٥٠ للهجرة على عهد السلاطين المماليك بمصر اشترى السلطان الملك الصالح بن الناصر بن قلاون ثلاث قرى من القليوبية اوقف ايرادها على صنع الكسوة واشترط في الوقفية ان تصنع من الحرير الاسود سنوياً وترسل من مصر . ثم خربت هذه القرى ولم يعد ايرادها يفي بالنفقة اللازمة فاشترى السلطان سليمان القانوني في اواسط القرن العاشر للهجرة سبع قرى في الشرقية واوقفها لتلك الغاية . ولا تزال هذه الكسوة تصنع في مصر وترسل الى الكعبة في المحمل بزمن الحج . وبلغ ما ينفق كل سنة على اصطناع هذه الكسوة ٥٠٠ ٤ جنيه مصري ثمن الاقمشة والمخيشات واجرت شغلها فقط

والكسوة عبارة عن ثماني قطع من نسيج الحرير الاسود طول كل منها بعلو الكعبة وكل قطعتين بعرض جدار من جدرانها فاذا أسدلت على الجهات الاربع لحق

كل جدار قطعتان . وفي عرض كل قطعة طراز مزركش عرضه سبعون سنتيمترًا عليه آيات قرآنية موسومة بالمخيش فاذا اسدلت الكسوة حول الكعبة كان ذلك الطرز كالنطاق حولها في ارتفاع ثلثي الكعبة . ومن توابع الكسوة ايضاً ستارة كبيرة من الاطلس الاخضر المزركش لباب الكعبة وستر لمقام ابراهيم الخليل وستارة لباب هذا المقام . وقد جرت العادة ان الكسوة تترك في آخر العام للشيخ الشيبي فاتح البيت الا الاشياء المزركشة فيأخذها شريف مكة وقد تحمل الى مولانا السلطان

﴿ المحمل ﴾ يراد بالمحمل الهودج أو المحفة غير التي توضع بها الكسوة وتحمل على جمل خاص بها . والمحمل مربع الشكل فوقه قبة على اربعة اضلاع عليه كساء من الاطلس الاحمر مزركشة بالقصب في غاية الاتقان وعليه كتابة بالمخيش هي آيات من القرآن وعلى اركانه الاربعة كرات من الفضة

ويقال ان اول من استخدم المحمل شجرة الدر ام الملك المعظم احد سلاطين مصر المماليك — وذلك انها ارادت الحج سنة ٦٤٠ هـ فصنعوا لها هودجاً مربعاً عليه قبة لحملها فمشى هودجها وقافلة الحج تتبعه فسمي بالمحمل

الحجر الاسود

هو حجر اسود موضوع في ركن الكعبة الى يسار الداخل في بابها وهو الركن الشرقي الجنوبي . ولهذا الحجر تاريخ طويل — من اهم حوادثه ان قريشاً لما ارادوا بناء الكعبة قبيل الاسلام ووصلوا بالجدران الى علو مكان اختلفوا في من يرفع ذلك الحجر الى مكانه لان كل قبيلة ارادت أن ترفعه هي . ثم اتفقوا على ان يحكموا اول داخل الى الحرم . وكان حضرة صاحب الشريعة الاسلامية يومئذ في الخامسة والثلاثين من عمره اي قبل مبعثه بخمس سنوات . فاتفق انه كان اول من دخل الحرم بعد ذلك الاشتراط فحكموه وكانوا يسمونه الامين فامرهم ان يضعوا الحجر في ثوب وان تمسك كل قبيلة بطرف من اطراف الثوب وان يرفعوه الى موضعه ففعلوا ذلك . فلما ارتفع الحجر اخذه هو بيده ووضعه في موضعه ثم اتموا بناء الكعبة . ومن اهم حوادث الحجر ايضاً ان القرامطة الذين ظهروا في اوائل القرن الرابع للهجرة وحاربوا الخلفاء العباسيين سطوا سنة ٣١٧ هـ على مكة ورئيسهم ابو طاهر القرمطي ونهبوا اموال الحجاج وقلعوا

الحجر الاسود وحملوه الى هجر بالبحرين ليحولوا الناس عن الكعبة · وخلعوا باب الكعبة ايضاً واخذا كسوتها وارتكبوا كل منكر · وما زال الحجر عندهم في هجر الى سنة ٣٣٩ هـ فاعادوه بعد ان ضعف امرهم وقد حبسوه عن مكة ٢٢ سنة


الحجر الاسود

والحجر الاسود موضوع في الركن الشرقي الجنوبي كما تقدم . ارتفاعه عن الارض ستة اشبار ونصف فالطويل من الناس يتطامن لتقبيله والقصير يتطاول اليه وهو ملصق بالركن المذكور في صندوق من الفضة فيه فتحة مستديرة يبدو الحجر منها للخارج · قطر الفتحة ٢٧ سنتيمتراً أي نحو شبر وثلثي الشبر . وسطح الحجر مقعر مثل الكاس وفيه شقوق كان فيه صدوعاً · ويقال أنه اصيب بدبوس على عهد القرامطة فتشقق

## الاحرام

يعدون مكة وما يجاورها حرماً وعلى القادم ان يغير ثيابه ويغتسل قبل دخوله في ذلك الحرم وهو ما يعبرون عنه بالاحرام · وحدود هذا الحرم تعين باعتبار طرق الحج · فالقادم من المدينة يحرم في « ذي الحليفة » وهو مكان يسميه العامة آبار علي· والقادمون من العراق وفارس يحرمون في « ذات عرق » . وأهل اليمن والهند في « يلملم » واهل الشام ومصر في « جحفة » او « رابغ » واهل تهامة ونجد في « قرن»

والاحرام ان يحلق الحاج شعره ويقلم اظافره ويغتسل ويأتزر بفوطة بيضاء كبيرة ويرتدي باخرى يدخل طرفها في الئزر ويديرها على جسمه بحيث تستر ظهره وصدره وكتفه الى العنق ويترك طرفها الاخر مسدولا ويترك رأسه مكشوفا ويلبس برجليه نعلين

لا يستران الا نصف الاصابع كما ترى في الشكل



حاج بلباس الاحرام

ثم يقول « اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني » ثم يلبي فيقول « اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك » يكررها ثلاث مرات . ومنهم من يتلو صلوات اخرى ودعاء آخر . وبعد نية الاحرام لا يجوز الحلاقة ولا تقليم الاظافر ولا حك الجسم بها ولا ستر الرأس الا بنحو شمسية او غطاء محفة ولا التدهن أو التعطر ولا قتل الصيد ولا الاشارة الى صيده ولا الاشارة الى من يقتله ولا الجماع ولا الجدال مع احد . واذا كان المحرم امرأة فانها تلبس ثيابها الاعتيادية بشرط ان تكون نظيفة . والاصل في احرامها أن تكشف وجهها ولكن لمنع الافتتان تستره بقطعة مجدولة من الخوص كالمروحة فيها خروق تنظر منها . ومتى احرم المسلمون صاروا جميعاً على هيأة واحدة الكبير كالصغير والامير كالحقير وقد تجردوا من زخارف الدنيا ولبسوا لباس الاحرام وهو رمز عن الزهد

الطواف والسعي وعرفة ورمي الجمار

حالما يقبل الزائر على مكة يغتسل او يتوضأ ثم يدخل من كداء ويمر بالحجون حتى يهبط مقبرة مكة فيزور بعض الاضرحة ثم يدخل المسجد من باب السلام وحالما يشاهد الحرم يقول « اللهم ان هذا حرمك وحرم رسولك فحرم لحمي ودمي على النار اللهم آمني من عذابك يوم تبعث عبادك » ثم يدخل برجله اليمنى ويقول « اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد اللهم اغفر ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك »

ومتى وقع بصره على الكعبة يقول « باسم الله والله اكبر لا اله الا الله اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ومهابة وتكريماً » ثم يتجه الى باب بني شيبه وهو عبارة

عن عمودين تعلوهما قنطرة امام مقام ابراهيم فيمر منه وهو يدعو دعاء خاصاً . ويتوجه الى جنوبي الكعبة ويقف ما بين الركن اليماني والحجر الاسود وينوي طواف القدوم وهو التحية سبعة اشواط . فيتوجه اولا الى الركن الذي فيه الحجر الاسود ومنه يبدا الطواف فيستلم الحجر ويقبله . وكيفية ذلك ان يضع يده عليه مكبراً فان لم يمكن الاقتراب منه للازدحام وقف محاذيا له واستقبله برهة ورفع يديه وكبر . ثم يطوف حول البيت ( الكعبة ) من شرقيه فيمر بالباب ويستمر بالطواف وهو مضجع رداءه اي انه يجعله تحت ابطه الايمن ويلقيه على كتفه الايسر ويكون الطواف وراء الحطيم داخل المطاف حتى يعود الى الحجر الاسود فيقف الطائف برهة ويفعل كما فعل في المرة الاولى ويكرر ذلك سبع مرات وبعد الطواف يزور مقام ابراهيم ثم يمر بزمزم ويخرج للسعي

﴿ السعي بين الصفا والمروة ﴾ ومتى فرغ الحاج من طوافه يخرج من المسجد من الباب المسمى باب الصفا الى الشارع ومنه الى الصفا بالجهة الاخرى من الشارع وهو مكان شبيه بالمصلى يصعد اليه ويستقبل الحرم ويكبر ويدعو ثم ينوي السعي سبعة اشواط ثم يسير منه الى المروة في شارع المسعى وطول المسافة اربعماية وخمسة امتار حتى يصل المروة فيصعد اليها ثم يعود الى الصفا وهكذا الى آخر الاشواط السبعة

﴿ عرفة ﴾ هي بقعة من الارض في شرقي مكة سطحها مستو مساحته كيلو متر مربع تحيط به الجبال وفيه وتنصب خيام الحجاج زمن الحج . وفي غربيه جامع كبير اسمه جامع نمرة وبين هذه الجبال جبل صغير يسمى جبل الرحمة وهو الذي يسميه العامة جبل عرفات طوله ثلاثمائة متر وارتفاعه ثلاثون متراً يصعد اليه على حجر مدرج كالسلم . واعلى هذا الجبل سطح مبلط بالحجر مساحته عشرون متراً مربعاً في وسطه مصطبة طولها سبعة امتار في سبعة وارتفاعها متر ونصف وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه اربعة امتار وعرضه متران وفي اسفل الجبل قناة عين زبيدة يشرب منها الحجاج

وفي الطريق من مكة الى عرفة « منى » وهي بلدة مستطيلة فيها نحو ٢٠٠ منزل لا تسكن الا في ايام العيد . وعلى يسار الداخل الى منى ركن يسمى جمرة العقبة يرجمونه بعد النزول من عرفة . ويليه بعد ١٥٠ متراً بناء اخر اسمه الجمرة الثانية ثم الجمرة الثالثة . وبعد منى « المزدلفة » وهي ارض متسعة تحتوي على محل فيه جداران

بينهما ستون متراً وارتفاعهما أربعة امتار ويسمى هذا المكان المشعر الحرام ومنه تؤخذ الحصى لرمي الجمار عند العودة . فيذهب الحجاج الى عرفة فيصلونها في التاسع من ذي الحجة فيقفون عند اسفل جبل الرحمة في مكان معد لذلك فيخطب الامام خطبتين ويصلي الظهر والعصر . وبعد الدعاء والتلبية ينزل الناس من عرفة بعد الغروب نحو مكة

(رمي الجمار) فيمرون اولا بالمزدلفة فيبيتون فيها وفي الفجر يصلون في المشعر الحرام ويلتقط كل واحد ٤٩ حصاة قدر الواحدة نحو الحمصة او الفولة ويغسلها سبع مرات ويحفظها عنده . ويتنقلون بعد طلوع الشمس الى منى فينزلون ويذهب كل واحد من الحجاج الى العقبة الاولى ويرمي سبع حصى وهي الجمرة الاولى ويكبر هو ويرميها ثم يعود الى مخيمه ويحلق ويفك احرامه ويلبس ثيابه ويضحي . ويحتفل الحجاج بعيد الاضحى رسمياً ويهنئون بعضهم بعضاً . وتتراكم الاضاحي في ذلك اليوم وما يليه فتكثر العفونات وتتخذ الحكومة بعض الاحتياطات لتخفيف ذلك . ويعود الحجاج الى مكة ثالث يوم العيد فراراً من الرائحة الكريهة فيطوف الحاج حول الكعبة طوف الزيارة (الطواف الاول يسمونه طواف القدوم) ثم يعود الى منى فيرمي الجمار الثلاث في اليوم الثاني بعد الزوال ويفعل في اليوم الثالث كذلك ثم يعود الى مكة . واذا اراد الخروج من مكة طاف سبعة اشواط اخرى بـلا سعي ثم يستقي من زمزم ويشرب . ثم يأتي باب الكعبة ويقبل العتبة ويضع صدره وبطنه وخده الايمن على الملتزم وهو ما بين الباب والحجر الاسود ويتشبث بالاستار ساعة ويدعو مجتهداً ويبكي ويرجع القهقري حتى يخرج من المسجد

---

# السوريون والجنس الاصفر

﴿ ايرن موتتن متشكان باميركا ﴾ بولس افندي اسحق الخوري

قامت قيامة صحفنا على حكومة اميركا لانها تهمُّ ان تعتبر السوريين من الجنس الاصفر المغولي او لانه من آسيا فتحرمه من حق التجنس بالجنسية الاميركية حسب قانونهم فهل يحق لها ذلك وما هو الفرق بين الاجناس وكيف تمتاز بعضها عن بعض

﴿ الهلال ﴾ نظر علماء الانسان في سكان الارض من حيث اشكالهم والوانهم وارادوا ترتيبهم في طبقات او اجناس يجمع كل طبقة او جنس صفة مشتركة فقسموهم اولاً باعتبار الالوان الى اربعة اجناس وهي الابيض والاسود والاصفر والنحاسي . ثم وجدوا اللون لا يعدُّ حدًّا فاصلاً بين اصناف البشر فقسموهم بالنظر الى اشكال رؤوسهم واعضائهم وملامح وجوههم الى اربعة اصناف وهي : الاوسترالي والزنجي والمغولي والابيض واليك مميزات كل منها :

**الاستراليون** : هم سمر البشرة ( بلون الشكولاته ) سمر العيون او سودها مع اسوداد الشعر وتجعده وضيق الجمجمة وبروز الحاجبين والفك وكبر الاسنان وثخن الشفتين وعرض الانف . وهذا الصنف يمثل اهل اوستراليا و بعضاً من سكان جبال الهند و يظن ان المصريين القدماء منه ايضاً

**الزنوج** : يختلف لون بشرة هؤلاء بين السمرة والسواد الشديد وعيونهم سمراء او سوداء وشعورهم قصيرة معروفة وجماجمهم ضيقة وحواجبهم متقاعسة وشفاهم ثخينة وانوفهم فطساء . وهذا الصنف يشمل اكثر سكان افريقيا الوسطى والشمان في جنوبيها والهوتنتوت وسكان جزائر اندمان وملقا وفيلبين وبابوار وكالدونيا الجديدة وتسمانيا . وهؤلاء اي الهوتنتوت الخ ضروب من الخلاسيين ( من ابوين مختلفين ) وليسو من الزنوج تماماً

**المغول** : وهم اهل اسيا الوسطى والشرقية والشمالية . مميزاتهم قصر القامة ولهم بشرة صفراء تضرب الى السمرة وشعور سوداء مسترسلة وعيون سوداء منحرفة واناف صغيرة منبسطة . واهل الصين واليابان منهم . وهم طوال الرؤوس وليس في اهل بولينسيا شيءٌ من انحراف العيون او استرسال الشعر

**البيض** : قسم هكسلي هؤلاء الى قسمين الاول من اشتد بياضه والثاني من ضرب بياضه الى السمرة . اما الاول فيمتاز بطول القامة وبشرة لا يشوبها شيء من اللون عيونهم زرقاء او ضاربة الى الزرقة شعورهم خفيفة يختلف لونها بين الاصفر والكستائي جماجمهم طويلة او

مستديرة وهم سكان أوروبا الشمالية وأوروبا الوسطى

اما الثاني فيختلف قليلاً عن الاول ويشتمل على الايرلنديين واهل وايلس والبريطان الاصليين والاسبان والايطاليان واليونان والعرب والارمن والهنود الاريين . وقد اختلط هذا الصنف من البشر بالاوسترالي فكان ولدهما اشد سمرة من الهنود الاريين وهو يشمل عامة سكان الهند



تباينات اصناف البشر في اسيا

(١) الهندي (٢) الافغاني (٣) البورمي (٤) السيامي (٥) الصيني (٦) التبتي
(٧) الياباني (٨) الكوري (٩) الملقي (١٠) الفارسي (١١) العربي (١٢) الارمني

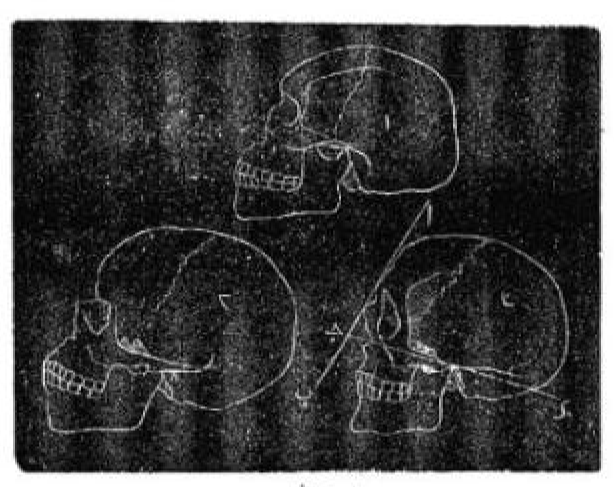
وتحت كل صنف من هذه الاصناف تباينات تختلف باختلاف الاصقاع والمناطق والاقاليم لا يقع تحت الحصر . وترى في هذا الشكل بضعة عشر تبايناً في اسيا وحدها بعضها من الصنف الابيض و بعضها من المغول والبعض الآخر من الاوسترالي او من الزنجي .

ولعلماء الانسان تقاسيم أخرى غير هذه لافائدة من ايرادها

وقسمهم آخرون باعتبار اخلاقهم ومراتبهم الى اربعة اقسام : القوقاسي والمغولي والاميركاني (الاصلي) والزنجي . فيختلف هذا التقسيم عما تقدم بالقوقاسي والاميركاني واليك مميزاتهما :

القوقاسي : وهو ارقى اصناف الناس واكثرهم تمدناً ومنهم امم اوربا ومن نزح منهم الى اميركا وغيرها وسكان غربي آسيا الى نهر الكنج . وسكان شمالي افريقيا على سواحل بحر الروم . ناهيك بمن تمدن من اهل العالم القديم كالفينيقيين والبابليين واليونان والرومان وغيرهم .

ويسمى القوقاسيون ايضاً الجنس الابيض لان اكثرهم بيض . على ان منهم شعوباً سمراء كالمصريين والمراكشيين والهنود . وتختلف شعورهم من الاسود الحالك الى الاحمر والاشقر والابيض ولكنها تشترك في ميلها الى الطول والسبوطة . وقد تكون جعدة جعودة قليلة بعيدة عن جعودة شعر الزنوج



زاوية الوجه

وقد يميز علماء الانسان بين اصناف البشر بشكل جماجمهم وزوايا وجوههم . فزاوية وجه القوقاسي أكثر انفراجا من زوايا سائر الوجوه لان لزاوية الوجه علاقة كبيرة باخلاق الناس . وهي عبارة عن خط مستقيم يمتد عرضاً من طرف الانف الى اسفل الاذن وخط يصعد من طرف الانف الى اعلى الجبهة . والزاوية الحادثة من التقاء هذين الخطين عند طرف الانف هي زاوية الوجه . وهم يقيسون ارتقاء الامم بانفراج تلك

الزاوية . فهي حادة في الزنوج ثم تنفرج في الامم المرتقية حتى تبلغ معظم انفراجها في الجنس القوقاسي ومنه كل الامم المتمدنة . وفي الشكل المتقدم جماجم اهم اصناف الناس — فالجمجمة العليا (١) زنجية والتي الى اليسار (٢) اوسترالية . والاخيرة (٣) قوقاسية . وعلى هذه الاخيرة زاوية (ج) عند التقاء الخطين (اب) و (ج ك) لو رسمت مثلها في الجمجمتين الأخريين لكانت هي اوسعهما ثم (٢) ثم (١)

ويمتاز راس القوقاسي باستدارته وانتظامه وتناسبه وتكامل جبهته وضيق وجنتيه واطمئنانهما واستواء الوجه وميله الى الشكل البيضي مع ظهور الملامح وبروز الانف وصغر المناخر وصغر الفم وامتلاء الذقن وبروزه . وتختلف الوان العيون فيهم اختلافاً عظيماً . ولما كان القوقاسي ارقى اصناف البشر فهو اكثرها تفرعاً وتنوعاً

الاميركاني : ويراد به سكان اميركا الاصليون ما عدا الاسكيمو . وتمتاز جماجمهم بالاستدارة من جهة الوجه مع عرض الوجنات حتى يظهر الوجه عريضاً جداً بين الاذنين . جباههم عريضة وبارزة من اسفلها ثم تتقهقر ولا تعلو كثيراً . انوفهم تشبه الانف الاسرائيلي عيونهم قاتمة اللون افواههم مستقيمة الشكل والاسنان عمودية . شعورهم خفيفة جداً ويندر ان ينبت الشعر في وجوههم . الوانهم سمراء مع ميل الى اللون النحاسي . صدورهم عريضة وابدانهم عضلية . ومن اخلاقهم النشاط والشجاعة والغضب والثبات والحذر والحيلة والقسوة وحب الانتقام . قوة الفهم حسنة بهم واما الحكم والتجريد فانهما ضعيفان وعقولهم محصورة جداً

وقد تقدم الكلام عن الزنجي والمغولي . ويهمنا من هذا البحث ان السوريين من الجنس القوقاسي ولا خلاف في ذلك . واما حرمانهم من الجنسية الاميركانية فقد كان المظنون قبلاً ان سببه حسبانهم من المغول او الجنس الاصفر ثم ظهر ان السبب انما هو كونهم من قارة اسيا لان قوانين الولايات المتحدة تحرم جنسيتها على الاسيويين وتحصرها بالبيض الاحرار ( Free white Persons ) ويعنون بهم سكان اوربا خاصة . وقد وضع هذا القانون قبل تحقيق البحث في السلالات البشرية . وما من اديب اميركي الا وهو يعترف بخطأ تلك القاعدة لان الاجناس لا تميز بمساكنها — فليس كل سكان اسيا من جنس واحد ولا سكان اوربا او غيرها كذلك . فقد رايت في ما تقدم ان قارة اسيا فيها سلالات مختلفة من القوقاسي والمغولي تتفاوت ذكاء وعقلاً وقوة وارتقاء . فليس من العدل ولا العلم ان تعامل كالجنس الواحد — والا فالحرمان المذكور يجب ان يشمل اهل اوربا كافة لانهم نزحوا في الاصل من اواسط اسيا . والمعوَّل عليه اليوم ان الآريين ومنهم

الرومان واليونان والجرمان اصول شعوب اوربا المتمدنة اليوم نزحوا في الاصل من اعالي الهند فيكون الاوربيون اسيويين مثل السوريين والاتراك وغيرهم من اهل هذه القارة

واذا جعلوا عمدتهم في تفضيل الاوربيين شرف البقعة او سالف المجد فسوريا وما بين النهرين في اعتبار النصارى والاسرائيليين اشرف بقاع الارض لان فيها وجد الانسان الأول ومنها ظهر مؤسس النصرانية ورسله واكثر الانبياء . وفيها نشأت دول كان لها شأن عظيم في التاريخ القديم كالفينيقيين والاشوريين والبابليين والكلدانيين والحثيين وغيرهم . يكفي من مجد الفينيقيين وحدهم وهم سكان سوريا خاصة انهم اول من سلك البحار واخترعوا أحرف الهجاء وعنهم اخذتها سائر الامم قبل الميلاد ببضعة عشر قرناً يوم لم يكن لاوربا ذكر وكان اهلها غارقين في غياهب الهمجية

واذا كان المراد تمييز الاوربيين عن سواهم لارتقائهم عن سائر البيض في عوامل المدنية فما هم ارقى من السوريين في شيء من حيث استعدادهم للتمدن . والسوريون حيثما حلوا كانوا من اهل المقدمة بالعلم او التجارة او غيرهما . حتى في ارقى مدائن أوربا واميركا اذا سوبقوا سبقوا في كل فن ومنهم فلاسفة طبيعيون في اكبر مدائن العالم (لندن) بينهم من يعدُّ من نخبة فلاسفة العصر هناك ولهُ رأيٌ يعوَّل عليه في الابحاث الحديثة . فضلاً عن النوابغ في البلاد الأخرى . ناهيك باصحاب التجارات الواسعة والمشاريع الكبرى في انكلترا وفرنسا وسائر اوربا وفي اميركا . غير المشهورين في الشرق بالعلم والتجارة وغيرهما

ولا ريب عندنا ان الاميركان اذا تحروا الانصاف وجب ان يعدلوا قانون التجنيس الى ما يوافق العلم الحديث وخصوصاً من حيث اهل سوريا . لان السوريين اسرع النازحين اندماجاً في الامم التي ينزلون بينها . فالسوري في اميركا يتخذ عادات الاميركان وآدابهم واخلاقهم حتى تحسبه منهم وكذلك في سائر الممالك

فليس من العدل منع السوري من التجنس لانهُ اسيوي ولا لانحطاط جنسه وخصوصاً لان حكومة اميركا تجيز تجنس الزنوج وهم من ادنى السلالات البشرية . ولكنها لما وضعت قانونها خصصت بالتجنس الشعوب الاوربية التي كانت تنزح الى اميركا عند اول تعميرها بدون التفات الى درجة الارتقاء في سائر البشر . ولذلك قلنا انهم اذا اعادوا النظر فيه اليوم عدلوه تعديلاً كبيراً

المرجو من القراء

يلزم لادارة الهلال الاعداد ٢ من السنة ١٥ و٦ من السنة ١٦ و١ من السنة ١٧ فمن يتبرع على احد هذه الاعداد او كلها يخابر الادارة وله الفضل

# باب الأخبار العلمية

اكتشاف اميركا قبل كولمبوس : عثر المنقبون في الولايات المتحدة على احجار عليها نقوش محفورة بالاحرف السكندنافية استدلوا من قراءتها ان اهل اوربا كانوا هناك قبل كولمبوس بمئة وخمسين سنة . وذلك ان جماعة من الاسكندناف قصدوا تلك القارة للاكتشاف ونزلوا فيها وحفروا خبرهم هذا على صخر هو الذي عثروا عليه بالامس في قرية اسمها كنستون من ولاية مينيسوتا وحلوا رموزه وهذا معناه :

« نحن ثمانية من القوط ( اسوجيين ) و٢٢ من النروجيين خرجنا من بلادنا للبحث عن اسكوتلاندا الجديدة فسرنا غرباً حتى نزلنا قرب صخرين في الماء على يوم من هذا الحجر فاصطدنا يوماً كاملاً ولما رجعنا لقينا عشرة رجال حمر الالوان مكسوين بالدم وقد ماتوا — احمينا يا مريم العذراء من الشر — وعندنا عشرة رجال في البحر ساهرون على سفننا على مسافة ٤١ يوماً من هذه الجزيرة سنة ١٣٦٢ »

فيظهر من ذلك ان كولمبوس ليس اول من اكتشف اميركا وقد نسب السبق الى غير واحد لكنه لم يثبت بالنصوص الناطقة مثل هذا

زنجي ابيض : يمتاز الزنوج بتقاطيع وجوههم فضلاً عن لونهم الاسود . على ان هذا اللون صفة لا تفارقهم . واذا فارقتهم عدّ ذلك من خوارق الطبيعة . ومن هذه الخوارق زنجيٌّ من الداهومي كل تقاطيعه زنجية ولونهُ ناصع البياض

خريطة العالم : تهتم حكومة انكلترا بوضع خريطة كبيرة للارض تكون النسبة فيها واحد الى مليون من مساحة الارض . وقد دعت الدول للاشتراك في هذا العمل فعينت كل دولة مندوبين من علماء الجغرافية للاشتغال معاً

البرص : هو من الامراض القديمة وقد خفت وطأته بالوقاية . واهتم الاطباء بالامس بعقد مؤتمر طبي دولي لدرسه فعقد في برجن من نروج

الراديوتوريوم : اكتشف الدكتور بالي أحد علماء اميركا في كولورادو ملحاً من املاح التوريوم فيه خاصة الاشعاع كالراديوم فسماه راديوتوريوم وزعم انهُ وجد لهُ تأثيراً كبيراً في شفاء الامراض العضالة كالسرطان ونحوه

**قذارة الهواء** : في الهواء مواد منتشرة كالهباء ونحوه . وهي من الاوساخ الطارئة عليهِ يختلف مقدارها باختلاف الاصقاع . فهي في المدن اكثر مما في القرى وفي كل حال اكثر مما يتبادر للاذهان . والدليل عَلَى ذلك ان بعض اطباء لندن فحص الثلج الذي تساقط في ٢٨ فبراير الماضي عَلَى لندن وضواحيها فقدَّر ما يشتمل عليهِ من المواد المعدنية والمواد الحيوية الذائبة ٧٥ طناً فضلاً عن ١٤٢ طناً من المواد غير الذائبة و ١٠٠ طن من الفحم و ٢٥ طناً من الملح وطن واحد من الامونياك . ولو وقع هذا المطر في ايام العمل (لانه تساقط يوم الاحد) لحوى اضعاف ماحواه من الفحم

**المنطاد المركب** : نظراً لما يحدق بالمناطيد والمركبات الهوائية من الخطر لانفجار المنطاد أو انكسار بعضه . ارتأى ادولفس ويزنبرج الالماني طريقة للافاة الخطر فاشار باصطناع منطاد طوله ١٤٠ متراً يظهر لاول وهلة مثل منطاد زبلين لكنهُ مؤلف من ثماني قطع كل واحدة منطاد قائم بنفسهِ يمكن فصله بآلته وبالونه ولا يضر بسواه . فاذا اصاب احد المناطيد تمزيق أو كسر فصلوهُ عن رفاقه فلا يصيبها ضرر

**سكة حديد بغداد** : يشتاق الناس الى اتمام هذه السكة وقد تجددت الهمة في انجازها والمنتظر ان تتم بعد خمس سنوات وتكون نهايتها بالطرف الجنوبي إما في البصرة أو في الكويت

**قهوة بلا قهوين** : القهوين هو المادة الفعالة في البن كما ان المورفين مادة الافيون والستركنين مادة الجوز المقيء والنيكوتين مادة التبغ . وبعض مدمني القهوة يشكون من تأثير القهوين المنبه عَلَى قلوبهم . فارتأي بعض العلماء استخراجه من القهوة بدون ان تخسر طعمها وسائر ظواهرها . وقد وفق الى ذلك باطلاق بخار الماء الحار عَلَى حب البن الاخضر حتى يصير قابلاً للارتشاح فيوضع في الاثير أو البنزين أو الكلوروفورم فيذوب كل قهوينه ويبقى بطعمهِ ونكهتهِ تاماً

**التدشين بالتلغراف** : جرت عادة الأمم المتمدنة انهم اذا بنوا معبداً أو نادياً أو معرضاً أو نحوه ان يحتفلوا بتدشينهِ احتفالاً يحضره الملك أو الرئيس فيكون هو أول من يفتح هذا البناء ثم يدخله الناس . وقد يكون المكان المطلوب تدشينه في اطراف المملكة فينيب عنهُ من يدشنه . لكن الاميركان استنبطوا طريقة تغني عن الانابة بواسطة التلغراف . واول من فعل ذلك تافت رئيس جمهورية اميركا ففتح معرض الاسكا بزر ضغط عليهِ وهو في واشنطون فانيرت المصابيح الكهربائية وفتحت الابواب . واقتدى بهِ الملك ادوار بالامس بتدشين « معمل ادوار » في مونتريل كندا في اعالي قارة اميركا الشمالية . فلما آن وقت التدشين والناس مجتمعون في ساحة المعمل ضغط الملك ادوار عَلَى زر في لندن (وقد فتحت

له الطريق حتى لا يعترض المجرى الكهربائي ما يوقفهُ او يؤخره ) فانيرت مصابيح المعمل وفتحت ابوابهُ ورفع فوقهُ العلم البريطاني

مناقع الورق : يصنع الورق بغلي المواد النباتية كالانسجة القديمة او الالياف الخشبية حتى تصير بقوام العجين السائل ويصب على الشكل المطلوب . فتفننوا في صب ذلك العجين بعد اضافة بعض المواد الصلبة اليهِ على اشكال كثيرة الفائدة . فهم يصنعون منهُ عجل المركبات وخطوطاً للسكة الحديدية وحدواً لحوافر الخيل وقطعاً صلبة لترصيف الشوارع وانصبة للسكاكين واجنحة للنوافذ . واستخدموهُ في اصطناع المظلات والمصابيح والمناديل والاقداح وقصريات الزهر والقناني وعيدان الكبريت . ويقلدون بهِ البروسلين وكرات البلياردو ورصاص البنادق . وفي نروج كنيسة مبنية كلها من الورق حتى الجرس

مكتب جوليا ولومبروزو : ذكرنا قبل الآن ان المستر ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية انشأ مكتباً لمخابرة الارواح سماهُ «مكتب جوليا» وقد وجد من يصدقهُ ويخابر موتاه على يده ! حتى في اكبر عواصم العالم (لندن) على انهُ لا يضيع فرصة لا يعلن بها عن ذلك المكتب . فلما توفي الاستاذ لومبروزو الفيلسوف الايطالي بالامس نشر في مجلتهِ ان لومبروزو خابره على يد جوليا يهديهِ سلامهُ — لانهُ كان صديقه — ويقول لهُ «انهُ مسرور في ذلك العالم وانهُ سينضم الى رجال البحث في مكتب جوليا فيشتغل مع مايرس وغيره في تحقيق القوانين المتعلقة بالتجسد والانفصال عن الجسد الخ » !!

السكك الحديدية في العالم : بلغ طول الخطوط الحديدية في اوربا سنة ١٩٠٧ نحو ٣١٦٠٩٣ كيلو متراً وبلغ مقدار ما انفق على مدها ١١٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠ فرنك. وبلغ طول الخطوط الحديدية في سائر العالم ٦١٧٧٥٧ كيلو متراً كلفت ١٢٥٢٧٥٠٠٠٠٠٠ فرنك . فمجموع خطوط العالم ٩٣٣٠٨٥ كيلو متراً ونفقاتها اكثر من ٢٤٠ مليارا من الفرنكات

الحرايق في اميركا : ان الولايات المتحدة الاميركية اكثر البلاد تعرضاً للحريق ويقدرون ماخسرته في هذا السبيل سنة ١٩٠٨ بنحو ٤٠٠٠٠٠٠ جنيه في الشهر أو نحو ٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه في السنة

الزراعة في العالم : نشرت المجلة الزراعية الانكليزية احصاء عن الارض الزراعية في الارض وعدد ما فيها من الماشية والطيور فكانت مساحة البقاع الزراعية في العالم كله ١٣٢٧٦٠٠٠٠٠ قصبة منها ٣٠٧٦٠٠٠٠٠ قصبة في انكلترا ومستعمراتها — والباقي ١٠٢٠٠٠٠٠٠٠ قصبة في سائر العالم واليك ما فيها وفي غيرها من الحيوانات :

| | عدد ما في انكلترا | عدد ما في سائر العالم |
|---|---|---|
| البقر ونحوها | ٧٧ ٣٠٠ ٠٠٠ | ٢٠٢ ٥٠٠ ٠٠٠ |
| الغنم | ١٣٧ ٨٠٠ ٠٠٠ | ٢٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠ |
| الخنازير | ٨ ٢٠٠ ٠٠٠ | ١١٩ ٣٠٠ ٠٠٠ |
| الخيل | ٧ ٦٠٠ ٠٠٠ | ٩٥ ٣٠٠ ٠٠٠ |

فترى من هذه المقابلة غنى انكلترا بالنسبة الى سائر دول العالم وخصوصاً في الحيوانات ولكن الفضل في ذلك عائد الى مستعمراتها في اوستراليا والهند. فان في اوستراليا وحدها ٨٢ ٠٠٠ ٠٠٠ رأس من الغنم و ٩ ٢٠٠ ٠٠٠ من البقر وفيها مساحة ٩ ٦٠٠ ٠٠٠ قصبة للزراعة . اما الطيور الداجنة فاميركا اغنى ممالك العلم بها . وافقرها نروج على هذه النسبة :

| | عدد الدجاج | الوز | ديك الحبش |
|---|---|---|---|
| في الولايات المتحدة | ٢٣٤ ٠٠٠ ٠٠٠ | ٥ ٥٠٠ ٠٠٠ | ٦ ٥٠٠ ٠٠٠ |
| « المانيا | ٥٥ ٣٩٦ ٠٠٠ | ٦ ٣٢٩ ٠٠٠ | ٣٥١ ٠٠٠ |
| « فرنسا | ٥٤ ١٠٣ ٠٠٠ | ٣ ٥٢٠ ٠٠٠ | ١ ٩٦٨ ٠٠٠ |
| « الدنمارك | ١١ ٥٥٥ ٠٠٠ | ١٨٨ ٠٠٠ | ٥٨ ٠٠٠ |
| « نروج | ١ ٦٤٠ ٠٠٠ | ٧ ٠٠٠ | ٤ ٠٠٠ |

اما انكلترا فلم يستطيعوا ضبط احصائها ولكنهم يقدرون ما في ايرلندا وحدها ١٧ ٦٦٣ ٠٠٠ دجاجة و ١ ٨٣٨ ٠٠ وزة و ١ ٠٥١ ٠٠٠ ديك حبش

**التلفون بلا سلك** : ما اجل ان يخاطب الصديق صديقه وكل منهما في غرفته وبينهما مئات من الاميال . وقد كان اسلافنا يحسبون ذلك من المستحيلات وظهر لنا امكانه واخرج الى الفعل بهمة ضابطين من ضباط البحرية الفرنساوية وهما كولين وجان . فاخذا يشتغلان في المخاطبة بالتلفون بلا سلك فتمكنا بالامس من المخابرة به على مسافة ٢٤٠ كيلومتراً ولا يزال التحسين جارياً

**خضاب الشعر** : يهتم اكثر الكهول والشيوخ بخضاب شعورهم تمويهاً على انفسهم وعلى الناس . وهم يبذلون الجهد في اختيار اثبت الاصبغة واقربها من الطبيعة . واكثر الاصبغة الشائعة (وتعرف بالتدريجية لان الشعر يكتسب السواد بالتدريج وقد نالت الشهرة بالثبوت والنقاء) مؤلفة بالاكثر من احد املاح الرصاص مذوب في سائل عطري . ومحتكرو هذه الاصبغة يبيعونها باثمان باهظة . ويمكن الاستغناء عنها بمحلول يصنعه الانسان لنفسه وهو عبارة عن خمسة غرامات من خلات الرصاص تذاب في الماء النقي معطراً بشيء

من العطور الاعتيادية كالكولونيا ونحوها ويدهن الشعر بهذا المحلول دهناً خفيفاً كل يوم على بضعة ايام فيتحول لون الشعر بالتدريج من الابيض الى الاسمر فالاصفر الداكن الى الكستنائي فالاسود . والتعليل الكيماوي لهذا التغيير ان في الشعر مادة كبريتية تتركب مع الرصاص فتكون كبريتات الرصاص وهو اسود وغير قابل الذوبان. ولا بد من الانتباه في استعمال هذا الخضاب مثل الانتباه لسائر مركبات الرصاص فان في بعض الاجسام استعداداً لامتصاصه فيظهر فيها التسمم . وقد يبطىء ظهوره وعلى كل حال لا بد للخاضب من ملاحظة ذلك فاذا شعر بانحراف توقف عن العمل

السكة الحديدية الافريقية : لم يبق على اتمام الخط الحديدي بين القاهرة ورأس الرجاء الصالح الا ٩٦٠ كيلو متراً اكثرها في ارض الكونغو فلا يقتضي لاتمامه اكثر من سنة

باب كنيسة الفنار

كتبنا الى الاستانة نسأل اهل الفنار عن سبب اغلاق بابه فاجابوا انه أغلق لما علق عليه البطريرك غريغوريوس الخامس ولا يزال

# مطبوعات جديدة

**تاريخ نابوليون الاول** : صدرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب وهو يشتمل على ستمائة صفحة وثمنه ٣٠ غرشاً والبريد ٤ غروش ويطلب من مكتبة التأليف بشارع عبدالعزيز بمصر

**زوبعة البحر** : رواية تشخيصية للشاعر الانكليزي شكسبير نقلها الى العربية محمد بك عفت القاضي وطبعت بنفقة محمد افندي امين فوزي صاحب جريدة العجائب . وتطلب من مكتبة التأليف وهي من خيرة ما نقل الى لساننا ثمنها خمسة غروش والبريد غرش

**الغرام والسياسة** : أو نابوليون الاول هي رواية غرامية سياسية تأليف عبد الرؤوف افندي ابراهيم وقد نقحها وصححها ونسق فصولها يوسف فتحي بك صاحب جريدة المقياس وتطلب من مكتبة التأليف وثمن النسخة ثمانية غروش والبريد غرشان

**روايات الاغاني** : يراد بها ما حواه كتاب الاغاني المشهور من الاخبار والآداب . وقد عني باستخراجها منه حضرة الاب انطون صالحاني اليسوعي وعلق عليها حواشي وجعلها في جزئين . الاول في اخبار المغنين والشعراء . والثاني في حروب العرب بالجاهلية والاسلام . وقد ظهرت الطبعة الثانية من الجزء الاول . ويطلب من مكتبة الهلال وثمن الجزئين ٢٢ غرشاً والبريد ٤ غروش

**النفس اليابانيه** : كتاب اخلاقي حماسي في سياق سرد الحوادث اليابانية الاخيرة

تأليف اليوزباشي ساكوراي من ضباط الجيش الياباني وقد نقله الى العربية اليوزباشي احمد افندي فضلي تزيل اليابان و يطلب من مكتبتي الهلال والتأليف وثمن النسخة ٥ غروش صاغ

**مشاهير الاقباط** : يشتغل توفيق افندي اسكاروس مغير القسم الافرنجي بالكتبخانة الخديوية بتأليف كتاب يشتمل على تراجم من نبغ من الاقباط في العلم او السياسة في اثناء القرن التاسع عشر من عهد الحملة الفرنساوية الى آخر القرن المذكور وقد زينه برسوم اكثرها لم ينشر بعد . وهو مشروع جليل وسنوفيه حقه عند ظهوره

**اللآلي السنية** : ظهرت الطبعة الثانية لهذا الكتاب تأليف محمد افندي شكري مدرس رياضة بمدرسة الناصرية الاميرية . وهو يحتوي على مقرر التعليم الابتدائي وزيادات تهم الطلبة في الحساب على آخر بروغرام قررته نظارة المعارف ويطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة ١٢½ غرش واجرة البريد ثلاثة غروش

**حمص** : جريدة علمية ادبية اخبارها تصدر في حمص مرة في الاسبوع لصاحب امتيازها سيادة المطران اثناسيوس عطاالله ومديرها المسئول الدكتور كامل لوقا ومحررها قسطنطين افندي يني . بدل اشتراكها مجيدي ونصف في حمص ومجيديان في الممالك العثمانية وعشرة فرنكات في الخارج وهي اول جريدة صدرت في حمص

**المطالعة المصرية** : صدر الجزء الثالث من هذا الكتاب في اللغتين الانكليزية والعربية تأليف علي افندي مراد ومحمود افندي نديم ويطلب من مكتبة الهلال وثمنه غرشان والبريد نصف غرش

**الدر النفيس** : في مدينة منفيس تأليف احمد بك كمال الامين الوطني لدار الآثار المصرية طبع بنفقة جمعية الكمال باذن البرنس احمد باشا فؤاد رئيس الجامعة المصرية . ويطلب من الجمعية وثمن النسخة غرش لطلبة الجامعة وغرشان لسواهم

**المجموع الصفوي** : هو كتاب القوانين الذي جمعه العلامة القبطي الطيب الذكر الشيخ الصفي ابي الفضائل ابن العسال وفيه قوانين الكنيسة القبطية والاحوال الشخصية وغيرها وقد عني بنشره وشرح مواده وذيله بتعليقات وشروح رصيفنا جرجس افندي فيلوثاوس عوض منشئ المجلة القبطية . وهو يدخل في ٤٦٠ صفحة كبيرة و يطلب من مكتبة الهلال وثمنه عشرون غرشاً والبريد اربعة غروش

**النفايس العصرية** : مجلة فكاهية ادبية تاريخية تصدر في حيفا مرة في الشهر لمنشئها خليل افندي بيدس بدل اشتراكها ريال مجيدي في سوريا وستة فرنكات في الخارج . وفي ذيلها رواية اهوال الاستبداد لتولستوي تنشر تباعاً